

* (فهرسة الجزء الاول من تفسير
فتح البيان) *

صحيفة

١٨ سورة الفاتحة

٣٩ سورة البقرة

* (تمت) *

٢ (فهرسة الجزء الاول من تفسير الحافظ
ابن كثير) *

صحيفة

١٣ سورة الفاتحة

٥٥ تفسير سورة البقرة

* (تمت) *

* (ترجمة المؤلف آدم الله مجده) *

هو السيد السند الامام العلامة الاصولي المتكلم المحدث الفهامة زينة اهل
الاستقامة فريد العصر نادرة الدهر خاتمة النقاد حامل لواء الاسناد بقية اهل الاجتهاد
بلا خلاف وعناد كشاف اصداف القرائد قطاف ازهار الفوائد فاتح آفاق العلوم
ما فتح انفال المنطوق منها والمفهوم مضمك كما تم النكت من فوائده مفتاح فواظر الطرف
في موارد ومصادره عز الاسلام والمسلمين محي المائت من سبتي سيد المرسلين
الجوهر الجوهر النضار النضار الشريف الشريف أبو الطيب ضديقي بن حسن بن علي
البحاري القنوجي الحسيني نسباً على السبائك عاليا والسني مذهبا الى الصواب هاديا
أولاه الله تعالى خاتمة العناصر والوجود وأراه بعين عنايته عالم المظاهر في مناظر الشهود
يوم الاحد وقت الضحى لعمري التاسع عشر من جمادى الاولى سنة ثمان وأربعين ومائتين
وألف الهجرية على صاحبها الصلاة والتحية ببلدة بريلى موطن جده القريب من
جهة الام ثم جاءت به أمه الكريمة من بريلى الى قنوج موطن آبائه الرقاة الى سماء
العملا والابوج ولما طعن في السنة السادسة من عمره انتقل والده الشريف الى جوار
رحمة الله وبقي في حجر أمه يتيماً وبجمل الزمان باتيان مشهدين في السيادة والشرافة كأنه
صار عقيباً الى ان تعرض فقر آمن الفارسية والصرف والتجرب بعض رسائلها وأتقن
نبذة من مسائلها ونزل ببلدة (كانبور) وتعلم هناك الفوائد الضيائية ومختصر المعاني
وغيرها من كتب المعاني والمباني ثم شمر عن ساق الجد لتحصيل العلوم وشد الرحل الى
دهلي وأخذ عن الشيخ محمد صدر الدين خان الملقب بها واتم الدرس وأكمل مراتب الفنون
ومقاصد دابذنه الثاقب وناقذ الحدس وعاد من دهلي الى قنوج وسافر منها الى بلدة
بهوپال وألقى بها عصا التسيار طالبا للرزق الحلال وكان زمام الحكومة اذذاك بيد
اقدار المليك العالية المهم فواب سكتندريكم غفر الله لهما وأجرل لهما الاجرا الاعظم
وصحب به هذه البلدة المحمية الشيخ حسين بن محسن المني حياه الله تعالى وأقام سلسلة
الاسانيد لكتب الحديث الشريف واستحصل سند القرآن الكريم عن الشيخ محمد
يعقوب الدهلوي المهاجر المتوفى بمكة المكرمة رحمه الله تعالى في سنة ١٢٨١ وأخذ
الاجازة عن الشيخ المعمر عبد الحق الهندي تلميذ الامام الرباني القاضي محمد بن علي بن
محمد اليماني الشوكاني رحمه الله تعالى واستكتب اسناد الامهات الست والمسانيد
والمعاجم وغير ذلك من كتب التفاسير والاصول والفقه وغير ذلك وأجازة كل واحد من
هؤلاء الائمة بما هو مذكور في ثبوتهم الجامع لجميع اصناف العلوم وأنواع الفنون واشتغل
بالدرس والتأليف وصار رأساً في المعقول والمنقول واماماً في على الفروع والاصول
وجدوا اجتهدوا في اتقان القرآن والسنة وتدوين علومهما واشاعة ذلك وبذل المال الكثير
في اذاعتها بالطبع والتقسيم وما هنالك وله مصنفات عديدة ومجاسيع متممة مفيدة
منها ما كتب في أوان التخصيل ومنها ما ألف بعد ذلك وحى كلها نافعة جدامة لمة من
الحقائق والفوائد على ما لم يشتهل عليه كتاب من كتب علماء هذا العصر من العرب

فما الالب ثم قال هو التكلف فاعلمك أن لا تدري به وهذا كله محمول على انه ما رضى الله عنهم انما اراد الاستكشاف علم كيفية الالب والافكونه بتمام من الارض ظاهر لا يجهل كقوله تعالى فانبتنا فيها احبا وعبا الآية وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن عليه عن أيوب عن ابن أبي مليكة ان ابن عباس سئل عن آية لو سئل عنها بضعكم لقال فيها فاني ان يقول فيها اسناده صحيح وقال أبو عبيد حدثنا السمعيل بن ابراهيم عن أيوب عن ابن أبي مليكة قال سأل رجل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة فقال له ان عباس في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فقال له الرجل انما سألتك (٩) لحدثني فقال ابن عباس هما يومان ذكرهما

الله في كتابه الله أعلم به مما فكره ان يقول في كتاب الله ما لا يعلم وقال ابن جرير أيضا حدثني يعقوب يعني ابن ابراهيم حدثنا ابن عليه عن مهيدي بن ميمون عن الوليد بن مسلم قال جاء طلق بن حبيب الى جندب بن عبد الله فسأله عن آية من القرآن فقال أخرج عليك ان كنت مسلما ما قت عني أو قال أن تجالسني وقال مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه كان اذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال انا لا نقول في القرآن شيئا وقال الليث عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب انه كان لا يتكلم الا في المعلوم من القرآن وقال شعبة عن عمرو بن مرة قال سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن فقال لا تسألني عن القرآن وسئل من يزعم أنه لا يخفى عليه منه شيء يعني عكرمة وقال ابن شاذان حدثني يزيد بن أبي زيد قال كانا سأل سعيد بن المسيب عن الحرام والحلال وكان أعلم الناس فاذا سأله عن تفسير آية من القرآن سكنت كأن لم يسمع وقال ابن جرير حدثني أحمد بن عبد الصمد حدثنا جاد بن

فان وجدت فيه هذا الشرائط فلا طعن فيه والافهوجمزل عن القبول قال الرخشري من حق التفسير أن يتعاهد بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدى سليمان التادح وكما ينو في التفسير شرائط ينو في التفسير أيضا شرائط لا يحل التعاطي لمن عرى عنها أو هو في اراجل وهي أن يعرف اللغة والنحو والتصريف والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع والقراآت وأصول الدين وأصول الفقه وأسباب النزول والقصص والناسخ والمنسوخ والفقه والاحاديث المبينة للتفسير المجمل والمبهم وعلم الموهبة وهو علم يورثه الله سبحانه لمن عمل بما علم انتهى ثم ان تفسير القرآن ثلاثة أقسام الاول ما لم يطاع الله عليه أحد من خلقه وهو ما استأثر به من علوم أسرار كتابه من معرفة كنهه ذاته ومعرفة حقائق أسمائه وصفاته وهذا لا يجوز لأحد الكلام فيه الثاني ما أطلع الله سبحانه نبيه عليه من أسرار الكتاب واختص به فلا يجوز الكلام فيه الا له صلى الله عليه وسلم وأول أذن له قبل وأوائل السور من هذا القسم وقيل من الاول وهو الرابع والثالث علوم عليها الله نبيه وأمره بتعليمها وهذا ينقسم الى قسمين منه ما لا يجوز الكلام فيه الا بطريق السمع كاسباب النزول والناسخ والمنسوخ واللغات والقراآت وقصص الامم وأخبار ما هو كائن ومنه ما يؤخذ بطريق النظر والاستنباط من الالفاظ وهو قسمان قسم اختلفه وفي جوازه وهو تأويل الآيات المتشابهات وقسم اتفقوا عليه وهو استنباط الاحكام الاصلية والفرعية والاعرابية وكذلك فنون البلاغة وضروب المواعظ والحكم والاشارات لا يتبع استنباطها منه لمن له أهلية ذلك وما عدا هذه الامور هو التفسير بالرأى الذي نهى عنه وفيه خمسة أنواع الاول التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير الثاني تفسير المتشابه الذي لا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى الثالث التفسير المقرر للمذهب الفاسد بان يجعل المذهب أصلا والتفسير تابع له فيرد اليه بأي طريق أمكن وان كان ضعيفا الرابع التفسير بان مراد الله سبحانه كذا على القطع من غير دليل الخامس التفسير بالاستحسان والهوى والتقليد (أقول) ان التفسير الذي ينبغي الاعتماد اده والرجوع اليه هو تفسير كتاب الله جل جلاله باللغة العربية حقيقة ومجازا ان لم تثبت في ذلك حقيقة شرعية فان ثبتت فهي مقدمة على غيرها وكذلك اذا ثبت تفسير ذلك من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فهو أقدم من كل شيء بل حجة متبعة لا يسوغ مخالفتها شيء

(٢ - فتح البيان ل) زيد حدثنا عبيد الله بن عمر قال لقد أدركت فقهاء المدينة وانهم لي عظمون القول في التفسير منهم سالم بن عبد الله والقاسم بن محمد وسعيد بن المسيب ونافع وقال أبو عبيد حدثنا عبد الله بن صالح عن ليث عن هشام بن عروة قال ما سمعت أبي يؤول آية من كتاب الله قط وقال أيوب وابن عون وهشام الدستوائ عن محمد بن سيرين سألت عبيدة يعني السلمي عن آية من القرآن فقال ذهب الذين كانوا يعملون فيما أنزل القرآن فاتقوا الله وعليك بالسداد وقال أبو عبيد حدثنا معاذ عن ابن عون عن عبد الله بن مسالم بن يسار عن أبيه قال اذا حدثت عن الله حديثا فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده حدثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم

قال كان أصحابنا يتقون التفسير ويهابونه وقال شعبة عن عبد الله بن أبي السفر قال قال الشعبي والله ما من آية الا وقد سألت عنها ولكم الرواية عن الله عز وجل وقال أبو عبيد حدثنا هشيم حدثنا عمرو بن أبي زائدة عن الشعبي عن مسروق قال اتقوا التفسير فانما هو الرواية عن الله فهذه الآثار الصحيحة وما شأنا كذا عن أئمة السلف محمولة على تحريجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه فاما من تكلم ما يعلم من ذلك لغة وشعر عاف لا حرج عليه ولهذا روى عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير ولا منافاة لانهم تكلموا فيما لم يرو (١٠) وسكتوا عما جهلوه وهذا هو الواجب على كل أحد فانه كما يجب السكوت عما لا علم له به

آخر ثم تفاسير علماء الصحابة المختصين برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانه يعد كل البعد أن يفسر أحدهم كتاب الله تعالى ولم يسمع في ذلك شيأ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى فرض عدم السماع فهو أحد العرب الذين عرفوا من اللغة دقها وجلها وأما تفاسير غيرهم من التابعين ومن بعدهم فان كان من طريق الرواية نظرنا في صحة سواها كان المروى عنه الشارع أو أهل اللغة وان كان محض الرأي فليس ذلك بشي ولا يحل التمسك به ولا جعله حجة بل الحجة ما قد مرناه ولا نطق بعالم من علماء الاسلام أن يفسر القرآن برأيه فان ذلك مع كونه من الاقدام على ما لا يحل بما لا يحل قد ورد النهي عنه في حديث من فسر القرآن برأيه فاصاب فقد أخطأ ومن فسر القرآن برأيه فخطأ فقد كفر أو كما قال الأنا لم تبعدهم مجرد هذا الاحسان للظن على أن تقبل تفسير كل عالم كيفما كان بل اذالم نجد مستند الى الشارع ولا الى أهل اللغة لم يحل لنا العمل به مع التمسك بحمل صاحبه على السلامة ونظير ذلك اختلاف العلماء في المسائل العلمية فلو كان احسان الظن مسوغا للعمل بما ورد عن كل واحد منهم لوجب علينا قبول الاقوال المتناقضة في تفسير آية واحدة أو في مسألة علمية واللازم باطل فالمرزم مثله واذا عرفت هذه القواعد فاعلم ان كتب التفسير كثيرة ذكرتها ملا كاتب الحلبي في كشف الظنون ما يزيد على ثلثمائة تنسب لمرتب على حروف الهجاء وزدنا عليه في كتابنا الاكسيري في أصول التفسير فيها تفسير ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد الرازي الحافظ المتوفى سنة خمس وتسعين ومائتين واتقاه الشيخ جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة احدى عشرة وتسعمائة في مجلده ومنها تفسير ابن جرير أبي جعفر محمد الطبري المتوفى سنة عشرة وثلثمائة قال السيوطي في الاتقان وكتابه أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الاقدمين اه وقد قال النووي أجبت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري وعن أبي حامد الاسفرايني أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا ومنها تفسير ابن كثير الامام الحافظ أبي الفداء اسمعيل بن عمر القرشي الدمشقي المتوفى سنة أربع وسبعين وسبعمائة تليد شيخ الاسلام بن تيمية الحراني رحمه الله تعالى وهو كبير في عشر مجلدات فسر بالاحاديث والآثار مستندة عن أصحابها مع الكلام على ما يحتاج اليه جرحا وتعديلا ومنها تفسير ابن

فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلم له لقوله تعالى لتبينه للناس ولا تسكتونه ولما جاء في الحديث الذي روى من طرق من سئل عن علم نسكته أبلغ يوم القيامة بلجام من نار وأما الحديث الذي رواه أبو جعفر ابن جرير حدثنا عباس بن عبد العظيم حدثنا محمد بن خالد بن عتبة حدثنا أبو جعفر بن محمد الزبيرى حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفسر شيأ من القرآن الا أتابعه دعلمن آياه جبرائيل عليه السلام ثم رواه عن أبي بكر محمد بن يزيد الطرسوسي عن معن بن عيسى عن جعفر بن خالد عن هشام به فانه حديث منكر غريب وجعفر هذا هو ابن محمد بن خالد بن الزبير بن العوام القرشي الزبيرى قال البخاري لا يتابع في حديثه وقال الحافظ أبو الفتح الأزدي منكر الحديث وتكلم عليه الامام أبو جعفر عما حاصله ان هذه الآيات مما لا يعلم الا بالتوقيف عن الله تعالى مما وثقه عليها جبرائيل وهذا تأويل صحيح لو صح الحديث فان من القرآن

ما استأثر الله تعالى بعلمه ومنه ما يعلم العلماء ومنه ما تعلمه العرب من لغاتهم ما لا يعذر أحد في جهالة كما صرح المنذر بذلك ابن عباس فيما قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن أبي الزناد قال قال ابن عباس التفسير على أربعة أوجه وجه تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد في جهالة وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه أحد الا الله قال ابن جرير وقد روى نحوه في حديث في اسناده نظر حديثي يونس بن عبد الأعلى الصدفي أنبأنا ابن وهب سمعت عمرو بن الحارث يحدث عن الكلبي عن أبي صالح مولى أم هانئ عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنزل القرآن على أربعة أحرف حلال

وحرام لا يعذر أحد بالجهالة به وتفسير تفسره العرب وتفسير تفسره العلماء ومتشابه لا يعلمه إلا الله عز وجل ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب والنظر الذي أشار إليه في أسناده هو من جهة محمد بن السائب الكلبي فإنه تروى الحديث لكن قد يكون اغماوهم في رفعه ولعله من كلام ابن عباس كما تقدم والله أعلم (مقدمة) مفيدة تذكر في أول التفسير قبل النسخة قال أبو بكر بن الأنباري حدثنا اسمعيل بن اسحق القاضي حدثنا جاج بن منهل حدثنا همام عن قتادة قال روى في المدينة من القرآن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وبراءة والعدو والنحل والحج والنور والاحزاب ومحمد الفتح (١١) والحجرات والرحمن والحديد والمجادلة

والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق وآية النسي لم تحرم والى رأس العشر وإذا زلزلت وإذا جاء نصر الله هؤلاء السور نزلت بالمدينة وسائر السور بمكة فاما عدد آيات القرآن العظيم فستمائة ألف آية ثم اختلف فيما زاد على ذلك على أقوال ففهم من لم يزد على ذلك ومنهم من قال ومائتي آية وأربع آيات وقيل وأربع عشرة آية وقيل ومائتان وتسع عشرة آية وقيل ومائتان وخمس وعشرون آية أوست وعشرون آية وقيل ومائتان وست وثلاثون حكى ذلك أبو عمرو الداني في كتابه البسان واما كتابه فقال الفضل بن شاذان عن عطاء بن يسار سبع وسبعون ألف كلمة وأربع مائة وتسع وثلاثون كلمة وأما حروفه فقال عبد الله بن كثير عن مجاهد هذا ما أحصيناه من القرآن وهو ثلثمائة ألف حرف وأحد وعشرون ألف حرف ومائة وثمانون حرفا وقال الفضل بن عطاء بن يسار ثلثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألفا وخمسة عشر حرفا وقال سلام أبو

المزور وهو الامام أبو بكر محمد بن ابراهيم النيسابوري المتوفى سنة ثمان عشرة وثلثمائة ومنها تفسير البخاري وهو ما ذكره في صحيحه وجعله كتابا منه وله التفسير الكبير غير هذا ذكره القرطبي ومنها تفسير النحاس وهو أبو جعفر أحمد بن محمد البخوي المصري المتوفى سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة قصد فيه الاعراب لكن ذكر القرطبي أن يحتاج أن يبين اعرابها والعلل التي فيها وما يحتاج فيه من المعاني ومنها تفسير الواحد البسيط والوسيط والوجيز وتسمى هذه الثلاثة الحاوي لجميع المعاني ومنها تفسير المهدوي وهو أبو العباس أحمد بن عمار التميمي المتوفى بعد الثلاثين وأربع مائة ثم من المفسرين من اقتصر في تفسيره على مجرد الرواية وقنع برفع هذه الرواية كجلال الدين السيوطي في الدر المنثور وغيره في غيره من المفسر من اكتفى بمجرد الرواية وجرى نظره إلى مقتضى اللغة العربية بجميع العناية وهم الأكثر ومنهم من جمع بين الأمرين وسلك المسلكين وقيل ما هم وقيل من عبادى الشكور ومن أحسن التفاسير جمع بين الرواية والدراية فيما علمت تفسير الامام الحافظ القاضي محمد بن علي بن محمد الشوكاني التميمي المتوفى سنة خمسين ومائتين وألف الهجرة وهو تفسير كبير بالقول في مجلدات أربع وطال ما يدور في خلدي أن أحرر في التفسير كتابا يحتوى على أمرين ويجمع طريقين على الوجه المعتبر في الورد والصدور غير مشوب بشئ من التفسير بالرأى الذي هو من أعظم الخطر وكنت أنزل في الفرصة في البلاد والقري وأقدم رجلا وأخر أخرى لصعوبة المرام وعزلة المقام فإين الخفيض من الذرى والثرى من الثرى فخال بيني وبين ما كنت أخال تراكم المهمات وتراحم الاشغال وابتليت بتدبير مصالح العباد في مدينة بهو بال وانصرفت عرى الآمال عن الفوز بفراغ البال وأنا أصرف جهدى والمراد ينصرف والمقصود يتقاعس عن الحصول ويحرف والايام تحول وتخبز واليالي تعدو ولا تنجز حتى سألت جماعة من أهل العلم ممن يتحرى اتباع السنة والكتاب ويحجب الابتداع في كل باب وألحوا علي وأظهروا الفقرة إلى ولم يسعني إلا اسعاف ما أتلهو واتجاس ما سأله فاجبتهم بمعتمد على فضل الله وتيسيره متملا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فيما يرويه أبو سعيد الخدري ويرفعه أن رجلا يأتيكم من أقطار الارض يتفقهن في الدين فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا ومقتديا بالسلف الماضين في تدوين علوم الدين ابقاء على الخلق

محمد الجاني ان الججاج جمع القراء والحفاظ والكتاب فقال أخبروني عن القرآن كم من حرف هو قال فحسبنا فأجمعوا أنه ثلثمائة ألف وأربعون ألفا وسبع مائة وأربعون حرفا قال فأخبروني عن نصه فاذا هو إلى النعمان قوله في الكهف وليستطف ثلثه الاول عند رأس مائة آية من براءة والثاني على رأس مائة أو إحدى ومائة من الشعراء والثالث إلى آخره وسبعة الاول إلى الدال من قوله تعالى ففهم من آمن به ومنهم من صدوا والسبع الثاني إلى التاء من قوله تعالى في سورة الاعراف وأولئك حببت والثالث إلى الالف الثانية من قوله تعالى في الرعد أكلها والاربع إلى الالف في الحجر قوله جعلنا منسكا والخامس إلى الهاء من قوله

في الاحزاب وما كان لمؤمن ولا مؤمنة والسادس الى الواو من قوله تعالى في النجى الظالمين بالله ظن السوء والسابع الى آخر القرآن قال سلام ابو محمد علما ذلك في أربعة أشهر قالوا وكان الحجاج يقرأ في كل ليلة ربع القرآن في الاول الى آخر الانعام والثاني الى وليستطف من سورة الكهف والثالث الى آخر الزمر والرابع الى آخر القرآن وقد حكى الشيخ أبو عمرو والداني في كتابه البيان خلافا في هذا كله فانه أعلم (وأما التحزب والتحزبة) فقد اشتهرت الاجزاء من ثلاثين كما في الربعات بالمدارس وغيرها وقد ذكرنا فيما تقدم الحديث الواردة في تحزب الصحابة (١٢) للقرآن والحديث في سبب الامام أحمد وسنن أبي داود وابن ماجه وغيرهم

وايضا الحق وليس على ما جمعه وصنفوه من زيد ولكن لا ينبغي كل زمان من تجديد ما طال به العهد وقصر للظالمين فيه الجهد وايقاظ للناسين وتجريضا للمتعبين فحرت بعون الله تعالى وحسن توفيقه فيما سألوه واستحقوه كتابا في أسير زمان وأحسن تقدير متوسطا بين الطويل الممل والقصير المخل وجمعة جمعا حسنا بعبارة سهلة وألفاظ يسيرة مع تعرض للترجيح بين التقاسير المتعارضة في مواضع كثيرة وبيان للمعنى العربي والاعرابي واللغوي مع حرص على ايراد صفوة الصفوة مما ثبت من التفسير النبوي ومن عظماء الصحابة وعلما التابعين ومن دونهم من سلف الامة وأئمتها المتعبرين كبن عباس جبر هذه الامة ومن بعدهم من الائمة مثل مجاهد وعكرمة وعطاء والحسن وقتادة وأبي العالية والقرظي والكوفي والضمك ومقاتل والسدي وغيرهم من علماء اللغة والنحو والقرآن والزجاج وسيبويه والمبرد والخليل والنحاس ولكن الثابت الصحيح من التفسير المرفوع الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وان كان المصير اليه مستعينا وتقدمه محتجنا هو تفسير آيات قليلة بالنسبة الى جميع القرآن والثابت من التفسير عن الصحابة ومن تبعهم بالا حسان ان كان من اللفظ الذي قد نقله الشرع الى معنى مغاير للمعنى اللغوي فهو مقدم على غيره وان كان من الالفاظ التي لم ينقلها الشرع فهو كواحد من أهل اللغة الموثوق بعريتهم فاذا خالف ذلك المشهور المستفيض لم تقم الحجة علينا بتفسيره الذي قاله على مقتضى لغة العرب العربية الاولى تقاسير من بعدهم من تابعيهم وسائر الائمة وأبضا كثيرا ما يقتصر الصحابي ومن بعده من السلف على وجه واحد مما يقتضيه النظم القرآني باعتبار المعنى اللغوي ومعلوم ان ذلك لا يستلزم اجمال سائر المعاني التي تفيدها اللغة العربية ولا اجمال ما يستفاد من العلوم التي يتبين بها دقائق العربية وأسرارها كعلم المعاني والبيان فان التفسير بذلك هو تفسير باللغة لا تفسير بمحض الرأي للمنى عنه وقد قال سفيان ليس في تفسير القرآن اختلاف انما هو كلام جامع يراد منه هذا وهذا وقال أبو الدرداء لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها وأخرج ابن سعد أن عليا قال لابن عباس اذهب اليهم يعني الخوارج ولا تتخاصمهم بالقرآن فانه ذو وجوه ولكن خاصهم بالسنة وأبضا لا يتيسر في كل تركيب من التراكيب القرآنية تفسير ثابت عن السلف بل قد يخلو عن ذلك كثير من القرآن ولا اعتبار بما لا يصح كالتفسير المنقول باسناد

عن أوس بن حذيفة انه سئل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته كيف تحزبون القرآن قالوا ثلث وخمس وسبع وتسع واحدى عشر وثلاثة عشر وخرب المفصل حتى تحتم

(فصل) واختلاف في معنى السورة مما شئ مشقة فقبل من الابانة والارتفاع قال النابغة ألم تر ان الله أعطى السورة

ترى كل ذلك دونها يذب فكان القارئ ينقل بها من منزلة الى منزلة وقيل لشرفها وارتفاعها كسور البلدان وقيل سميت سورة لكونها قطعة من القرآن وجزأ منه مأخوذ من اسرار الالاء وهو البقية وعلى هذا فيكون أصلها مهموزا وانما خففت الهجزة فابدت الهجزة واوالا انضمام ما قبلها وقيل لتماها ما كوا لها لان العرب يسمون الناقة التامة سورة (قلت) ويحتمل ان يكون من الجمع والاحاطة لاياتها كما يسمى سور البلد لاحاطته بمنزله ودوره وجمع السورة سور بفتح الواو وقد يجمع على سورات وسورات وأما الآية فمن العلامة على انقطاع

الكلام الذي قبلها عن الذي بعدها وانفصالها أي هي بآية عن آخرها منفردة قال الله تعالى ان آية ملكه وقال النابغة ضعيف توهمت آيات لها فعرفتها * لست اعوام وذا العام سابع وقيل لانها جماعة حروف من القرآن وطائفة منه كما يقال خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم قال الشاعر خرجنا من النقيض لآتي مثلنا * بآيتنا زجي اللقاح المطافلا وقيل سميت آية لانها عجب يعجز البشر عن التكلم بمثلها قال سيدي وأصلها آية مثل أكمة وشجرة تحرك الياء وانفتح ما قبلها فقلت ألفاف صارت آية بهمزة بعد خامدة وقال الكسائي أصلها آية على وزن أمانة فقلت ألفافم حذف لتباسها وقال القراء أصلها آية بتشديد الياء الاولى

فقلبت ألفا كراهية للتشديد فصارت آية وجميعها آي وإي وآيات وأما الكلمة فهي اللفظة الواحدة وقد تكون على حرفين مثل ما ولا وله ونحو ذلك وقد تكون أكثر أو أكثر ما تكون عشرة أو حرف مثل يستخلفونهم والزمكموه فاسقينا كموه وقد تكون الكلمة الواحدة آية مثل والتجروا الخبي والعصر وكذلك الموطه ويس وحم في قول الكوفيين وحم عسق عندهم كلمتان وغيرهم لا يسمى هذه آيات بل يقول هذه فوائح السور وقال أبو عمرو والداني لأعلم كلمة هي وحدها آية الا قوله تعالى مدحاهما بن بسورة الرحمن * (فصل) قال القرطبي اجعوا على (١٣) انه ليس في القرآن شيء من التراكيب

الاجمية واجعوا أن فيه اعلاما من الاجمية كإبراهيم وفوح ولوط واختلفوا هل فيه شيء من غير ذلك بالاجمية فأكثر ذلك الباقلاني والطبري وقالوا موقع فيه ما يوافق الاجمية فهو من باب ما توافق في اللغات

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سورة الفاتحة) يقال لها الفاتحة أي فاتحة الكتاب خطا وبها تفتح القراءة في الصلوات ويقال لها أيضا أم الكتاب عند الجمهور ذكره أنس والحسن وابن سيرين كرهاتسميتها بذلك قال الحسن وابن سيرين إنما ذلك اللوح المحفوظ وقال الحسن الآيات المحكمات هن أم الكتاب ولذا كرهها أيضا أن يقال لها أم القرآن وقد ثبت في الصحيح عند الترمذي وصححه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني والقرآن العظيم ويقال لها الحمد ويقال لها الصلاة لقوله صلى الله عليه وسلم عن ربه قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال العبد الحمد لله رب

ضعيف ولا يفسر من ليس بثقة منهم وإن صح اسناده اليه وهذا تعرف انه لا بد من الجمع بين الأمرين والتحلي بالوصفين وعدم الاقتصار على مسالك أحد الفريقين وهذا هو المقصد الذي أردته والمسالك التي قصده وأذكر الحديث معزو إلى الراويين من غير بيان حال الاسناد لأنني آخذ من الاصول التي نقلت عنها كذلك كما يقع في تفسير ابن جرير والقرطبي وابن كثير والسيوطي ويعد كل البعد أن يعلموا في الحديث ضعفا ولا يبينوه ولا ينبغي أن يقال فيما أطلقوه انهم قد علموا بثبوته فإن من الجائز أن يتقلوه من دون كشف عن حال الاسناد بل هذا هو الذي يغلب به الظن لانهم لو كشفوا عنه فثبتت عندهم صحته لم يتركوا بيان ذلك كما يقع منهم كثيرا التصريح بالصحة والحسن فن وجدنا الاصول التي يروون عنها ويعزون ما في تفاسيرهم اليها فليمنظروا أسانيد هاهنا ففان شاء الله تعالى واعلم ان تفسير السيوطي المسمى بالدر المنثور قد اشتمل على غالب ما في تفسيرات السلف من التفاسير المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتفسيرات الصحابة ومن بعدهم ومافاته الا القليل النادر وقد اشتمل هذا التفسير على جميع ما تدعو اليه الحاجة عما يتعلق بالنفس مع اختصار لما تكرر لفظا واتحد معنى بقول ومثله أو ونحوه وضمت إلى ذلك فوائد لم يشتمل عليها زبر أهل الرواية ووجدتها في غير هاهنا من تفاسير علماء الدراية وعوائد لاحتلى من تصحيح أو تحسين أو تضعيف أو تعقب أو جمع أو ترجيح مع تحرير للمقاصد بحسب ما يراد ولا يذاد وتقرير للمعاني بحيث لا يضاعف ولا يصاد ولم آل جهدا في حسن تحريره وتهذيبه وسعي في لطافة مزججه بالمفسر وترتيبه بالفاظ تنفتح لها الأذان وتنشرح بها الصدور ومعان تهلل بها وجوه الأوراق وتبسم نفور السطور رغبة إلى الدخول من أبوابه والكون من أحزابه ونشاطا إلى القعود في محرابه وبذلا للقوة في إيراد مباحث قلت عنابة المتأخرين بهما من المفسرين وقد بالغ في الاعتناء بها المحققون من المتقدمين لاسيما السبعيات التي هي المطلب الأعلى والمقصد الأقصى في أصول الدين والعروة الوثقى والعمدة القصوى لاهل الحق واليقين مع تنقيح للكلام وتوضيح للمرام بهتله علماء البلاد في كل ناد ولا يغض منه الا كل هائم في واد من يهد الله فهو المهتدي ومن يضله فلا الهاد ووطئت النفس على سلوك طريقة هي بالقبول عند الفحول حقيقة مقتصرافيه على أرجح الاقوال واعراب ما يحتاج اليه عند السؤال وترك التطويل

العالمين قال الله حمدني عبدي الحديث فسميت الفاتحة صلاة لانها شرط فيها ويقال لها الشفاء لما رواه الدارمي عن أبي سعيد مرفوعا فاتحة الكتاب شفاء من كل سم ويقال لها الرقية لحديث أبي سعيد في الصحيح حين رقى بها الرجل السليم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك انها رقية وروى الشعبي عن ابن عباس أنه سمهاها اساس القرآن قال واسماها باسم الله الرحمن الرحيم وسمها أسفان بن عيينة بالواقية وسمها يحيى بن أبي كثير بالكافية لانها تنفي عما عداها ولا يكتفي باسمها عنها كما جاء في بعض الاحاديث المرسلة أم القرآن عوض من غيرها وليس غيرها عوضا منها ويقال لها سورة الصلاة والكنز كرهما

الزنجشري في كشافه وهي مكتبة قاله ابن عباس وقتادة وأبو العالية وقيل مدينة قاله أبي هريرة ومجاهد وعطاء بن يسار والزهرى ويقال نزلت مرة بمكة ومرة بالمدينة والاول أشبه لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والله أعلم وحكى أبو الليث السمرقندى ان نصفها نزل بمكة ونصفها الاخر نزل بالمدينة وهو غريب جداً نقله القرطبي عنه وهي سبع آيات بلا خلاف وقال عرو بن عبيد شمان وقال حسين الجعفي ستة وهذا القولان شاذان وانما اختلفوا في البسطة هل هي آية مستقلة من أولها كما هو عند جمهور قراء الكوفة (١٤) وقول جماعة من الصحابة والتابعين وخلق من الخلف أو بعض آية أو

بذكر أقوال غير مرضية وقصص لا تصح وأعاريب محلها كتب العربية وحيث ذكرت فيه شيئاً من القراءات فهو من السبع المشهورات الا ماشاء الله وقد أذكر بعض أقوال وأعاريب القوة مداركها أولورودها واذا قرع سمعك ما لم تسمع به من المحصلين فلا تسرع وقف وقفه المتأملين اعلمك تطلع يوم مضى برق الهى وتألق نور رباني من شاطئ الوادى الايمن في البقعة المباركة على برهان لهجلى أو بيان من سلف صالح واضح وضى وقد تلقيت هذا التفسير بحمد الله من تفاسير متعددة عن أئمة ظهرت وبهرت مفارحهم وانتشرت واشتهرت ما أثرهم جعنى الله وياهم وجميع المسلمين ومن أخلفهم في مستقر رحمة من فراديس جنة فهذا التفسير وان كبر حجمه فقد كثر عمله وتوفر من التحقيق قسمه وأصاب غرض الحق سهمه مفيد لمن أقبل على تحصيله مفيد على من تمسك بذيل اجاله وتفصيله وقد اشتمل على جميع ما في كتب التفاسير من بدائع الفوائد مع زوائد فرائد وقواعد شوارد من صحيح الدراية وصریح الرواية فان أحيت ان تعتبر صحة هذا فهذه كتب التفسير على ظهر البسيطة انظر تفاسير المعتمدين على الرواية ثم ارجع الى تفاسير المعتمدين على الدراية ثم انظر في هذا التفسير بعد النظرين فعند ذلك يسفر الصبح لاني عينين ويتبين لك أن هذا الكتاب هو لب الباب وعجب العجائب وذخيرة الطلاب ونهاية ما رتب أرباب الالباب وأسوة المتبعين وقدوة الناسكين وهدى للمتقين وقد جاء بحمد الله كنزاً مرفوناً من جواهر الفوائد وبمرا مشحوناً بنفائس الفرائد في اطائف طالمات كانت مخزونة وعن الاضاعة مصونة بتقارير تراح لها نفوس المحصلين الكاملين وتتراح منها شبه المبطلين وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين وتضحى أنوارها في قلوب السعداء وتطلع نيرانها على أفئدة الاعداء لا يعقل بيناتها الا العالمون ولا يحجبها بآياتها الا القوم الطالمون* (وسميته فتح البيان في مقاصد القرآن) وهو اسم له تاريخي مستدا من الله سبحانه بلوغ الغاية والوصول بعد هذه البداية الى النهاية راجياً منه جل جلاله ان يديم به الانتفاع ويجعله من الذخائر التي ليس لها انقطاع ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اعلم ان الاحاديث في فضائل القرآن كثيرة جداً ولا يتم اصحاب القرآن ما يطلبه من الاجر الموعود به في الاحاديث الصحيحة حتى يفهم معانيه فان ذلك هو الثمرة من قراءته قال القرطبي ينبغي له ان يتعلم أحكام القرآن فيفهم عن الله مراده وما فرض عليه فينتفع

لا تعتمد أولها بالكلية كما هو قول اهل المدينة من القراء والفقهاء على ثلاثة أقوال كما سيأتى تقريرها في موضعها ان شاء الله تعالى وبه الثقة قالوا وكلما خمس وعشرون كلمة وحرّفها مائة وثلاثة عشر حرفاً قال البخارى في أول كتاب التفسير وسميت أم الكتاب لانه يبدأ بكتابها في المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلاة وقيل انما سميت بذلك لرجوع معاني القرآن كله الى ما تضمنته قال ابن جرير والعرب تسمى كل جامع أمراً أو مقدم لأمراً اذا كانت له نواحي تتبعه هولها امام جامع أمّا فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ أم الرأس ويسمون لواء الجيش وراية تهم التي يجتمعون تحتها أمّا واستشهد بقول ذى الرمة على رأسه أم لنا فتدنى بها

جامع أمور ليس نعصى لها أمراً يعنى الرمح قال وسميت مكة أم القرى لتقدمها امام جميعها وجمعها ما سواها وقيل لان الارض دحيت منها ويقال لها أيضاً الفاتحة لانها تفتح بها القراءة وافتتحت الصحابة بها كتابة المصحف الامام وصح

تسميتها بالسبع المثاني قالوا لانها تدنى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وان كان للمثاني معنى آخر غير هذا كما سيأتى بيانه في موضعها ان شاء الله تعالى قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون اثنان ابن أبي ذئب وهاشم بن هاشم عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في أم القرآن هي أم القرآن وهي السبع المثاني وهي القرآن العظيم ثم رواه عن اسمعيل بن عمر عن ابن أبي ذئب وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري حدثني يونس بن عبد الاعلى اثنان ابن وهب أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هي أم القرآن وهي

فانتمسة الكتاب وهي السبع المثاني وقال الحافظ ابو بكر أحمد بن موسى بن مردويه في تفسيره حدثنا أحمد بن محمد بن زياد حدثنا
 محمد بن غالب بن حارث حدثنا اسحق بن عبد الواحد الموصلي حدثنا المعافي بن عمران عن عبد الحسود بن جعفر عن نوح بن أبي
 بلال عن المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين سبع آيات بسم الله الرحمن الرحيم
 احداهن وهي السبع المثاني والقرآن العظيم وهي أم الكتاب وفاحة الكتاب وقدر واد الدار قطني أيضا عن أبي هريرة مرفوعا
 بنحوه أو مثله وقال كلهم ثقات وروى البيهقي عن علي وابن عباس وأبي (١٥) هريرة أنهم فسروا قوله سبعاً من المثاني

بما يقرأ ويعمل بما يتلو فاقبح بحامل القرآن ان يتلو فرائضه وأحكامه عن ظهر قلب وهو
 لا ينهم معنى ما يتلو فكيف يعمل بما لا يفهم معناه وما أقبح به أن يسأل عن فقه ما يتلو ولا
 يدريه فمما مثل من هذه حاله الا كمثل الجار يحمل أسفارا وينبغي له ان يعرف المكي من
 المدني ليفرق بين ما خاطب الله به عبادته في أول الاسلام وما ندبهم اليه في آخره وما فرض في
 أول الاسلام وما زاد عليهم من الفرائض في آخره فالمدني هو الناسخ للمكي في أكثر القرآن
 انتهى وقد جعت في بيان ناسخ القرآن والحديث ونسوخهم أموالا سميتها افادة الشيوخ
 بمقدار الناسخ والمنسوخ وهو بالنارسية وأجاب الشوكاني رحمه الله تعالى عن سألته عن
 العوام والنساء الذين يقرؤون القرآن من غير معرفة حلاله وحرامه ومعانيه هل لهم الاجر
 الوارد من غير نقص أم لا فقال الاجر على تلاوة القرآن ثابت لكنه اذا كان بتدبر ومعانيه
 فأجره مضاعف وأما أصل الثواب بمجترد التلاوة فلا شك في حصوله والله سبحانه لا يضيع
 عمل عامل منهم انتهى فيمكن جعل ما ذكرهنا أولا على مضاعفة الاجر الموعود به لا بمجرد
 الاثابة على نفس التلاوة وأما ما جاء عن الصحابة والتابعين في فضل التفسير فعن علي انه
 ذكر جابر بن عبد الله ووصفه بالعلم وقال انه كان يعرف تفسير قوله تعالى ان الذي فرض
 عليك القرآن لادّلك الى معاد وقال مجاهد أحب الخلق الى الله أعلمهم بما أنزل الله وقال
 الشعبي رحل مسروق في تفسير آية الى البصرة فقبل له ان الذي يفسر هارحل الى الشام
 فقبض ورحل الى الشام حتى علم تفسيرها وقال عكرمة في قوله سبحانه ومن يخرج من بيته
 مهاجرا الى الله ورسوله طلبت اسم هذا الرجل أربع عشرة سنة حتى وجدته قال ابن عبد
 البر هو ضمرة بن حبيب وقال ابن عباس مكنت سنتين أريدا أن أسأل عمر عن المراتين اللتين
 تظاهرا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما ينبغي الامهات به فسألتها فقال هي حفصة
 وعائشة وقال اياس بن معاوية مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم
 جاءهم كتاب من عند مليكهم ليلا وليس عندهم مصباح فتدأخلتهم روعة ولا يدرون ما في
 الكتاب ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرأ ما في الكتاب والسلف
 رجهم الله من هذا الجنس ما لا يأتي عليه الحصر وعن عثمان قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم خيركم من تعلم القرآن وعلمه رواه البخاري وعن عائشة قالت قال رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتبع

بما يقرأ ويعمل بما يتلو فاقبح بحامل القرآن ان يتلو فرائضه وأحكامه عن ظهر قلب وهو
 لا ينهم معنى ما يتلو فكيف يعمل بما لا يفهم معناه وما أقبح به أن يسأل عن فقه ما يتلو ولا
 يدريه فمما مثل من هذه حاله الا كمثل الجار يحمل أسفارا وينبغي له ان يعرف المكي من
 المدني ليفرق بين ما خاطب الله به عبادته في أول الاسلام وما ندبهم اليه في آخره وما فرض في
 أول الاسلام وما زاد عليهم من الفرائض في آخره فالمدني هو الناسخ للمكي في أكثر القرآن
 انتهى وقد جعت في بيان ناسخ القرآن والحديث ونسوخهم أموالا سميتها افادة الشيوخ
 بمقدار الناسخ والمنسوخ وهو بالنارسية وأجاب الشوكاني رحمه الله تعالى عن سألته عن
 العوام والنساء الذين يقرؤون القرآن من غير معرفة حلاله وحرامه ومعانيه هل لهم الاجر
 الوارد من غير نقص أم لا فقال الاجر على تلاوة القرآن ثابت لكنه اذا كان بتدبر ومعانيه
 فأجره مضاعف وأما أصل الثواب بمجترد التلاوة فلا شك في حصوله والله سبحانه لا يضيع
 عمل عامل منهم انتهى فيمكن جعل ما ذكرهنا أولا على مضاعفة الاجر الموعود به لا بمجرد
 الاثابة على نفس التلاوة وأما ما جاء عن الصحابة والتابعين في فضل التفسير فعن علي انه
 ذكر جابر بن عبد الله ووصفه بالعلم وقال انه كان يعرف تفسير قوله تعالى ان الذي فرض
 عليك القرآن لادّلك الى معاد وقال مجاهد أحب الخلق الى الله أعلمهم بما أنزل الله وقال
 الشعبي رحل مسروق في تفسير آية الى البصرة فقبل له ان الذي يفسر هارحل الى الشام
 فقبض ورحل الى الشام حتى علم تفسيرها وقال عكرمة في قوله سبحانه ومن يخرج من بيته
 مهاجرا الى الله ورسوله طلبت اسم هذا الرجل أربع عشرة سنة حتى وجدته قال ابن عبد
 البر هو ضمرة بن حبيب وقال ابن عباس مكنت سنتين أريدا أن أسأل عمر عن المراتين اللتين
 تظاهرا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما ينبغي الامهات به فسألتها فقال هي حفصة
 وعائشة وقال اياس بن معاوية مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم
 جاءهم كتاب من عند مليكهم ليلا وليس عندهم مصباح فتدأخلتهم روعة ولا يدرون ما في
 الكتاب ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرأ ما في الكتاب والسلف
 رجهم الله من هذا الجنس ما لا يأتي عليه الحصر وعن عثمان قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم خيركم من تعلم القرآن وعلمه رواه البخاري وعن عائشة قالت قال رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتبع

فاتية فقال ما منعك ان تأتيني قال قلت يا رسول الله اني كنت أصلي قال ألم يقل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول
 اذا دعاكم لما يحييكم ثم قال لا علمك أعظم سورة في القرآن قبل ان تخرج من المسجد قال فأخذ بيدي فلما أراد أن يخرج من
 المسجد قلت يا رسول الله انك قلت لا علمك أعظم سورة في القرآن قال نعم الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم
 الذي أوتيته وهكذا رواه البخاري عن مسدد وعلي بن المديني كلاهما عن يحيى بن سعيد القطان به ورواه في موضع آخر من
 التفسير وابوداود والنسائي وابن ماجه من طرق عن شعبة به ورواه الواقدي عن محمد بن معاذ الانصاري عن خبيب بن عبد الرحمن

عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد بن المعلى عن أبي بن كعب فذكر نحوه وقد وقع في الموطأ للإمام مالك بن أنس رحمه الله ما ينبغي التنبيه عليه فأنه رواه مالك عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب الحرقي أن أباه سعيد مولى ابن عاصم بن كريب أخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى أبي بن كعب وهو يصلي في المسجد فلما فرغ من صلاته لحقه قال فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على يدي وهو يريد أن يخرج من باب المسجد ثم قال صلى الله عليه وسلم إلى لا رجوان لا تخرج من باب المسجد حتى تعلم سورة ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل (١٦) ولا في القرآن مثلها قال أبي رضي الله عنه فجعلت أبطن في المشي رجلاً فقلت ثم

قلت يا رسول الله ما السورة التي وعدتني قال كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة قال فقرأت عليه الحمد لله رب العالمين حتى أتيت على آخرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي هذه السورة وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت فأبوسعيد هذا ليس بأبي سعيد بن المعلى كما اعتقده ابن الأثير في جامع الأصول ومن تبعه فإن ابن المعلى صحابي أنصاري وهذا تابعي من موالى خزاعة وهذا الحديث متصل صحيح وهذا ظاهره أنه منقطع إن لم يكن سمعه أبوسعيد هذا من أبي بن كعب فإن كان قد سمعه منه فهو على شرط مسلم والله أعلم على أنه قد روى عن أبي بن كعب من غير وجه كما قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم حدثنا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بن كعب وهو يصلي فقال يا أبي فالتفت ثم لم يجبه ثم قال أبي تخفف أبي ثم انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام

فيه وهو عليه شاق له أجران متفق عليه وعن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين رواه مسلم وعن أبي أمامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه رواه مسلم وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها رواه أحمد والترمذي وأبو داود والنسائي وأخرج الدارمي والترمذي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب قال الترمذي هذا حديث صحيح وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أعطى السائلين وفصل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه رواه الترمذي والدارمي والبيهقي في شعب الإيمان وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف أو ن حرف أو لام حرف وميم حرف رواه الترمذي وصححه والدارمي وعن عتبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لو جعل القرآن في آخاب ثم أتني في النار ما احترق رواده الدارمي وعن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ القرآن فاستظله به فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار رواه أحمد والترمذي واستغربه وابن ماجه والدارمي وفيه حفص بن سليمان يضعف في الحديث وعن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصيماً من الأبل في عقلها متفق عليه وقد وردت أحاديث كثيرة في الاعتصام بالكتاب والسنة وأما أحاديث فضائل القرآن سورة فلا خلاف بين من يعرف الحديث أنها موضوعة مكذوبة وقد أقر به واضعها آخره الله بأنه الواضع لها وليس بعد الإقرار بشئ ولا اعتذار بمثله ذكر الرخصي لها في آخر كل سورة فأنه وإن كان امام اللغة والآلات على اختلاف أنواعها فلا يفرق في الحديث بين أصح الصحيح والكذب الكذب ولا يقدح ذلك في علمه الذي بلغ فيه غاية التحقيق ولكل علم رجال وقد وزع الله سبحانه

عليك أي رسول الله قال وعليك السلام ما منعك أي أبي أددعوتك أن تجيبني قال أي رسول الله اني كنت في الصلاة قال أولست تجتهد فيما أوحى الله إلى استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحبككم قال بلى يا رسول الله لا أعوذ قال اتعجب إن أعلمك سورة لم تنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفسر فإن مثلها قلت نعم أي رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى لا رجوان لا تخرج من هذا الباب حتى تعلمها قال فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدي يمشي وأنا أتأبطا مخافة أن يبلغ قبل أن يقضى الحديث فلما أدنونا من الباب قلت أي رسول الله ما السورة التي وعدتني قال ما تقرأ في الصلاة قال

فقرأت عليه أم القرآن قال والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها إنما السبع
المثاني ورواه الترمذي عن قتبية عن الدراوردي عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه فذكره وعندهما من السبع
المثاني والقرآن العظيم الذي أعظمه ثم قال هذا حديث حسن صحيح وفي الباب عن أنس بن مالك ورواه عبد الله بن الإمام أحمد
عن اسمعيل بن أبي عمير عن أبي أسامة عن عبد الحميد بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي بن كعب فذكره مطولا
بخوه أو قريبا منه وقدرناه الترمذي والنسائي جميعا عن أبي عمار (١٧) حسين بن حريث عن الفضل بن موسى عن

النضائل بين عباده والرحمن شري تفصل هذه الاحاديث عن تفسير النعلبي وهو مثله في عدم المعرفة بعلم السنة وقد اخطأ من قال انه يجوز التساهل في الاحاديث الواردة في فضائل الاعمال وذلك لان الاحكام الشرعية متساوية الاقدام لافرق بين واجبها ومحرمها ومسئونها ومكروها ومندوبها فلا يحل اثبات شيء منها الا بما تقوم به الحجة والافه ومن التقول على الله تعالى يقول ومن التجري على الشرعية المطهرة بادخال ما لم يكن منها في او قد صح لو ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار فهذا الكذاب الذي كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محتسبا للناس بحصول الثواب لم يربح الا كونه من اهل النار واما الذي يتراءى القرآن ولا يعرف معناه كالعوام فالاجر على تلاوة القرآن ثابت لكنه اذا كان يتدبر معانيه ويمكنه فهمها فاجره مضاعف واما اصل الثواب فيعبر بالتلاوة فلا شك فيه والله سبحانه لا يضيع عمل عامل وتلاوة القرآن كتابه سبحانه من اشرف الاعمال انما هم ولغيرها هم واذا اضع احد ما شتم عليه القرآن من الاحكام اثم من جهة الاضاعة لا من جهة التلاوة والله أعلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزل القرآن على خمسة اوجه حلال وحرام ومحكم ومتشابهة رأشال فاحلوا الحلال وحرموا الحرام واعلموا بالمحكم وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالامثال آخره البغوي وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قال في القرآن برأيه فليتبوا مقعده من النار ورواه الترمذي وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المرأى في القرآن كسر وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوما يتدارئون في القرآن فقال اغما ذلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضهم ببعض واغما نزل كتاب الله يصدق بعضهم بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوا وما جهلتم فجاوذا الى عالمه رواه أحمد وابن ماجه قال البغوي في تنبيهه قد جاء الوعيد في حق من قال في القرآن برأيه وذلك فيمن قال من قبل نفسه شيئا من غير علم فاما التاويل وهو صرف الآية الى معنى يحتمل موافق لما تبناه من بعد ما غير محتمل للكتاب والسنة من طريق الاستنباط فقد رخص فيه لاهل العلم أما التفسير وهو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقتها فلا يجوز الا بالسمع بعد ثبوت من طريق النقل وأصل التفسير من التفسير وهو الدليل الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف

(٣ - فتح البيان ل) ثم قال ألا أخبرك يا عبد الله بن جابر بأخيرة سورة في القرآن قلت بلى يا رسول الله قال اقرأ الحمد لله رب العالمين حتى تحقها هذا السناد جيد وابن عقيل هذا يحتج به الأئمة الكبار وعبد الله بن جابر هذا الحديث ذكر ابن الجوزي أنه هو العبدى والله أعلم ويقال أنه عبد الله بن جابر الأنصارى البياضى فيما ذكره الحافظ بن عساكر واستدلوا به في الحديث وأمثلة على تناقل بعض الآيات والسور على بعض كذا في المحكي عن كثير من العلماء منهم أحمد بن رازويه وأبو بكر بن العربي وابن الحارث من المالكية وذهب طائفة أخرى إلى أنه لا تناقل في ذلك لأن الجميع كلام الله وليس لأحد من التفضل

عليه وان كان الجميع فاضلا نقله القرطبي عن الاشعري وأبي بكر الباقلاني وأبي حاتم ابن حبان البستي وأبي حبان وبجي بن يحيى
وروايه عن الامام مالك أيضا حديث آخر قال البخاري في فضائل القرآن حدثنا محمد بن المنني حدثنا وهب حدثنا هشام عن
محمد بن معبد عن أبي سعيد الخدري قال كفي مسير لنا فزنا فجاءت جارية فقالت ان سيدا الحي سليم وان نفرنا غيب فهل منكم
راق فقام معها رجل ما كنا نأمنه برقية فرقا فبرأ فأمر له بثلاثين شاة وسقانا لبنا فلما رجع قلنا له أ كنت تحسن رقية أو كنت ترقى
قال لا ما رقت الايام الكتاب قلنا لا تتحدثوا شيئا (١٨) حتى تأتي أو نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدمنا المدينة ذكرناه

عن علي المريض كذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وقصتها واشتقاق التأويل من
الاول وهو الرجوع يقال أولته قال أي صرفه فانصرف انتهى والفرق بينهما ان التفسير
موقوف على النقل المسموع والتأويل موقوف على الفهم الصحيح وفي الحديث أنزل
القرآن على سبعة أحرف واختلفوا في المراد بها على أقوال ذكرتها في الاكسير والسور
باعتبار النسخ والمنسوخ على أقسام ذكر سليمان الجبل بعض ذلك في حاشيته على الجلالين
وقد أوضحنا المرام في افادة الشيوخ بما لا يخفى عليه وتفصيل حروف القرآن ذكرها
النسفي في كتابه مجمع العلوم ومطلع النجوم وليست هذه من التفسير في شيء وأما علوم القرآن
فقد استوعبها السيوطي في الاتقان على وجه البسط والابقان ولا دخل لذكرها في فن
التفسير وعقد النظام النيسابوري في تفسيره مقدمات أكثرها معزل عن علم التفسير
ولهذا لم تتكلم عليها في تفسيرنا هذا الا في الشيء اليسير وها أنا أشرع الآن بحمد الله في
تحرير ما هو بصائر أولى النهي والتمييز في تفسير الكتاب العزيز وبحسن توفيقه أقول وهو
الموفق لكل خير والمعطى كل مسؤل

(سورة الفاتحة)

أي فاتحة الكتاب معناها أول ما من شأنه أن يفتح به الكتاب ثم أطلقت على أول كل شيء
كالكلام والثناء للنقل من الوصفية الى الاسمية أو هي مصدر بمعنى الفتح أطلقت عليه تسمية
للمفعول باسم المصدر واشعارا بأصالته كأنه نفس الفتح والاضافة بمعنى اللام كما في جزء
الشيء لا بمعنى من كما في خاتم فضة لما عرفت ان المضاف جزء من المضاف اليه لا جزئ له وسميت
بذلك لان القرآن افتتح به اذهى أول ما يكتبه الكاتب من المصحف وأول ما يقرأه التالئ من
الكتاب العزيز وان لم تكن أول ما نزل من القرآن وقد اشتهرت بهذا الاسم في أيام النبوة قيل
انها مكية وهو قول أكثر العلماء وقيل مدنية وهو قول مجاهد وقيل انها نزلت مرتين مرة
بمكة حين فرضت الصلوات الخمس ومرة بالمدينة حين حوت القبلة جمع بين الروايات والاول
أصح قاله البغوي ورجحه البيضاوي وأسماء السور توقيفية وكذا ترتيب السور والآيات أي
توقف على نقلها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل غير ذلك وانما هذا على الراجح
والسورة طائفة من القرآن لها اول واخر وترجمة باسم خاص بها توقيف والسورة قد يكون
لها اسم واحد وقد يكون لها اسمان أو أكثر وأسماء السور في المصاحف لم يثبت الصحابة في

للنبي صلى الله عليه وسلم فقال وما كان
يديره انهم رقية أقسموا واضربوا الى
بسهم وقال أبو معمر حدثنا عبد
الوارث حدثنا هشام حدثنا محمد بن
سير بن حدثنا معبد بن سير بن
أبي سعيد الخدري بهذا وهكذا
رواه مسلم وأبو داود ومن رواية هشام
وهو ابن حسان عن ابن سيرين به وفي
بعض روايات مسلم لهذا الحديث
ان أبا سعيد الخدري هو الذي رقى
ذلك السليم يعني الذي يخبر به
بذلك نقولاً حديث آخر روى مسلم
في صحيحه والنسائي في سننه من
حديث أبي الاحوص سلام بن سليم
عن عمار بن زريق عن عبد الله بن
عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى
عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس
قال بينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعنده جبرائيل اذ سمع نبيضا
فوقه فرجع جبريل بصره الى السماء
فقال هذا باب قد فتح من السماء
ما فتح قط قال فنزل منه ملك فأتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبشر
بنورين قد آوتيتهم لم يؤتتهما أي قبلك
فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة
لم تقرأ حرفا منهما الا آوتيته وهذا

لفظ النسائي * وسلم نحوه حديث آخر قال مسلم حدثنا اسحق بن ابراهيم الحنظلي هو ابن راهويه حدثنا سفيان
ابن عيينة عن العلاء يعني ابن عبد الرحمن بن يعقوب الخرق عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى
صلاة لم يقرأ فيها بآم القرآن فهي خداج ثلاثا غير تمام فليل لبي هريرة ان تكون خلف الامام فقال اقربهم في نفسك فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فاذا قال الحمد لله رب
العالمين قال الله مجدي عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله آخني على عبدي فاذا قال مالك يوم الدين قال الله مجدي عبدي وقال

مرة فؤوض الى عبدى فاذا قال اياك نعبد و اياك نستعين قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله هذا عبدى ولعبدى ما سأل وهكذا رواه النسائي عن اسحق بن راهويه وقدر وياه أيضا عن قتيبة عن مالك عن العلاء عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة عن أبي هريرة في هذا السياق فنصفها الى ونصفها العبدى ولعبدى ما سأل وهكذا رواه ابن اسحق عن العلاء وقدر واه مسلم من حديث ابن جريح عن العلاء عن أبي السائب هكذا رواه أيضا من حديث ابن أبي أويس عن العلاء (١٩) عن أبيه وأبي السائب كلاهما عن أبي هريرة

وقال الترمذى هذا حديث حسن وسألت أبا زرعة عنه فقال كلا الحديثين صحيح من قال عن العلاء عن أبيه وعن العلاء عن أبي السائب وقدر واه مسلم من حديث عبد الله بن الإمام أحمد من حديث العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي بن كعب مطولا وقال ابن جرير حديثنا صالح بن مسمار المروزي حدثنا زيد بن الحباب حدثنا عن عتبة بن سعيد عن مطرف بن طريف عن سعيد بن اسحق عن كعب بن عجرة عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين وله ما سأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال حمدنى عبدى واذا قال الرحمن الرحيم قال آتىنى على عبدى ثم قال هذا الى وله ما بقى وهذا غريب من هذا الوجه الكلام على ما يتعلق به هذا الحديث مما يختص بالفاتحة من وجوه احدها انه قد أطلق فيه لفظ الصلاة والمراد القراءة كقوله تعالى ولا تتجرب بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا أى بقراءة تك

مصحفهم وانما هو شئ ابتدعه الخباج كما ابتدع اثبات الاعشار والاسباع وسميت هذه أم القرآن لكونها أصلا ومنشأها المبدء أيتم الله والاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله عز وجل والتعبد بأمره ونهيته وبيان وعده ووعدته أو على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سؤل الصراط المستقيم والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الاشقياء والمراد بالقرآن هو المراد بالكتاب وسميت أيضا أم الكتاب لانه يبدأ بقراءتها في الصلاة قاله البخارى في الصحيح وقال أبو السعد ومناط التسمية ما ذكر في أم القرآن لا ما أورده البخارى فانه مما لا يتعلق بها التسمية كما أشير اليه قال ابن كثير وصحح تسميتها بالسبع المثاني لانها سبع آيات وتأتى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة أولئك ركز زولها وأخرج أحمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي أم القرآن وهي السبع المثاني وهي القرآن العظيم وأخرج ابن جرير عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال هي أم القرآن وهي فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني وأخرج نحوه ابن مردويه والدارقطنى من حديثه وقال كلهم ثقات ومن أمهاتهم كما حكاه في الكشف سورة التين والرافية وسورة الحمد وسورة الصلاة وتسمى الكافية لانها تكتفى عن سواها في الصلاة ولا يكتفى سواها عنها وسورة الشفاء والشافية لقوله صلى الله عليه وآله وسلم هي الشفاء من كل داء وأخرج الثعلبي عن الشعبي ان رجلا اشتكى اليه موجه الخاصرة فقال عليك بأساس القرآن وأخرج البيهقي في الشعب عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله أعطاني فيما من به علي فاتحة الكتاب وقال هي كنز من كنوز عرشى وأخرج اسحق بن راهويه في مسنده عن علي نحوه مرفوعا وذكر القرطبي للفاتحة اثنى عشر اسما وقد ذكر السيوطى في الاتقان خمسة وعشرين اسما للفاتحة وهي سبع آيات بخلاف كما حكاه ابن كثير في تفسيره قال القرطبي أجمعت الأمة على انها سبع آيات الاماروى عن حسين الجعفي انها ست وهو شاذ وعن عرو ابن عبيد انه جعل اياك نعبد آية فهي عند عثمان وهو شاذ انتهى وانما اختلفوا في البسملة كما سياتى وقد أخرج عبد بن حميد وشيخ بن نصر في كذب الصلاة وابن الانبارى في المصاحف عن حماد بن سيرين ان أبي بن كعب وعثمان بن عفان كانا يكتبان فاتحة الكتاب والمعوذتين ولم يكتب ابن مسعود شيئا منهن وقد خالف في ذلك اجماع الصحابة وسائر أهل البيت ومن بعدهم وأخرج ابن حميد عن ابراهيم قال كان عبد الله بن مسعود

جاء مصر حابه في الصحيح عن ابن عباس وهكذا قال في هذا الحديث قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فنصفها الى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل ثم بين تفصيل هذه القسمة في قراءة الفاتحة فدل على عظمة القراءة في الصلاة وانها من أكبر أركانها اذا طلقت العبادة وأريد بها جزؤها واحدا منها وهو القراءة كما أطلقنا في قراءة الفاتحة والمراد به الصلاة في قوله وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا والمراد صلاة الفجر كما جاء مصر حابه في الصحيحين انه يشهد هاملاتكة الليل وملائكة النهار فدل هذا كله على أنه لا بد من القراءة في الصلاة وهو اتفاق من العلماء ولكن اختلفوا في مسئلة نذكرها في الوحىة الثانية وذلك انه هل تتعين

للقراءة في الصلاة غير فاتحة الكتاب أم تجزئ هي أو غيرها على قولين مشهورين فعند أبي حنيفة ومن وافقه من أصحابه وغيرهم أنها لا تتعين بل منها قرأتها من القرآن أجزأه في الصلاة واحتجوا بعموم قوله تعالى فاقروا ما تيسر من القرآن وبما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة في قصة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له إذا قلت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن فالرأف أمره بقراءة ما تيسر ولم يعين له الفاتحة ولا غيرها فافدل على ما قلنا والقول الثاني أنه تعين قراءة الفاتحة في الصلاة ولا تجزئ الصلاة بدونها وهو (٢٠) قول ببيعة الأئمة مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأصحابهم وجهور

العلماء واحتجوا على ذلك بهذا الحديث المذكور حيث قال صلوات الله وسلامه عليه من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج والخداج هو الناقص كما فسره في الحديث غير تمام واحتجوا أيضا بما ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب وفي صحيح ابن خزيمة وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن والاحاديث في هذا الباب كثيرة ووجه المناظرة ههنا يطول ذكره وقد أشرفنا إلى ما أخذهم في ذلك رجعهم الله ثم ان مذهب الشافعي وجماعة من أهل العلم أنه يجب قراءتها في كل ركعة وقال آخرون انما تجب قراءتها في معظم الركعات وقال الحسن وأكثر البصريين انما تجب قراءتها في ركعة واحدة من الصلوات أخذنا بطلان الحديث لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب وقال أبو

لا يكتب فاتحة الكتاب في المصحف وقال لو كتبتهم الكتب في أول كل شيء وقدر في فضل هذه السورة أحاديث منها ما أخرجه البخاري وأحمد وأبو داود والنسائي من حديث أبي سعيد بن المعلى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له لا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد قال فأخذ بيدي فلما أراد أن يخرج من المسجد قلت يا رسول الله انك قلت لا أعلمك أعظم سورة في القرآن قال نعم الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته وأخرج أحمد والنسائي والترمذي وصححه من حديث أبي ابن كعب أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له أتجيب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها ثم أخبره أنها الفاتحة وأخرج أحمد في المسند من حديث عبد الله بن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له ألا أخبرك بأخير سورة في القرآن قلت بلى يا رسول الله قال اقرأ الحمد لله رب العالمين حتى تحتّمها وفي سننه ابن عقيل وقد احتج به كبار الأئمة وبقيّة رجاله ثقات وابن جابر هذا هو العبدى كما قال ابن الجوزي وقيل الانصاوى البياضى كما قال ابن عساكر وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لما أخبره بأن رجلا رقى سلما بفاتحة الكتاب وما كان يدرى أنها رقية الحديث وأخرج مسلم والنسائي عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنده جبرائيل إذ سمع نقيضا فوقفه فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط قال فنزل منه ملك فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال أبشر بنورين قد أوتيتهم ما لم يوتيهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ أحرفا منهما إلا أوتيته وأخرج مسلم والنسائي والترمذي وصححه عن أبي هريرة من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلثا غير تمام وأخرج البزار في مسنده بسند ضعيف عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد فقد أمنت من كل شيء إلا الموت وأخرج سعيد بن منصور في سننه والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي سعيد الخدري قال إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فاتحة الكتاب شفاء من كل سقم وأخرج أبو الشيخ نحوه من حديثه وحديث أبي هريرة مرفوعا وأخرج الدارمي والبيهقي في شعب الإيمان بسند رجاله ثقات عن عبد الملك بن عير قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في

حنيفة وأصحابه والاوزاعي لا تتعين قراءتها بل لو قرأ غيرها أجزأه لقوله تعالى فاقروا ما تيسر من القرآن فاتحة والله أعلم وقد روى ابن ماجه من حديث أبي سفيان السعدي عن أبي نضرة عن أبي سعيد مرفوعا لا صلاة لمن لم يقرأ في كل ركعة بالحمد وسورة في فريضة أو غيرها وفي صحة هذا نظر وموضع تحرير هذا كنه في كتاب الأحكام الكبير والله أعلم الوجه الثالث هل تجب قراءة الفاتحة على المأموم فيه ثلاثة أقوال للعلماء أحدها أنه يجب عليه قراءتها كما يجب على إمامه لعموم الأحاديث المتقدمة والثاني لا يجب على المأموم قراءة بالكلية للفاتحة ولا غيرها إلا في صلاة الجهرية ولا في صلاة السرية لما رواه الإمام

أحمد بن حنبل في مسنده عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من كان له امام فقرأه الامام له قراءة ولكن في اسناده ضعف ورواه مالك عن وهب بن كيسان عن جابر من كلامه وقد روى هذا الحديث من طرق ولا يصح شيء منها عن النبي صلى الله عليه وسلم والله أعلم والقول الثالث انه يجب القراءة على المأموم في السرية لما تقدم ولا يجب ذلك في الجهرية لما ثبت في صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما جعل الامام ليؤتم به فاذا كبر فكبروا واذا قرأ فاستمعوا وذكر بقية الحديث وهكذا رواه بقية أهل السنن أبو داود (٢١) والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي

هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال واذا قرأ فاستمعوا وقد صححه مسلم بن الحجاج أيضا فدل هذان الحديثان على صحة هذا القول وهو قول قديم للشافعي رحمه الله والله أعلم ورواية عن الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى والغرض من ذكر هذه المسائل ههنا بيان اختصاص سورة الفاتحة بأحكام لا تتعلق بغيرها من السور وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا غسان بن عبيد عن أبي عمران الجوني عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد فقد أمنت من كل شيء الا الموت تفسير الاستعاذة وأحكامها قال الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین واما ينزغك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم وقال تعالى ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون وقال تعالى ادفع بالتي

فاتحة الكتاب شفاء من كل داء وأخرج أحمد وأبو داود والنسائي وابن السني في عمل اليوم والليلة وابن جرير والحاكم وصححه عن خارج بن خارج بن الصلت التميمي عن عمه انه أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم أقبل راجعا من عنده فقرأ على قوم وعندهم رجل مجنون موثق بالجد يد فقال أهله أعندك ما تداوى به هذا فان صاحبه قد جاء بخير قال فقرأت عليه فاتحة الكتاب ثلاثة أيام في كل يوم مرتين غدوة وعشية أجمع بنائي ثم أنفل فبرأ فأعطاني مائة شاة فأثبت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكر ذلك له فقال كل فن اكل برقية باطله فقد أكلت برقية حق وعن ابن عباس قال فاتحة الكتاب ثلث القرآن وأخرج الطبراني في الاوسط بسند ضعيف عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ أم القرآن وقل هو الله أحد فكمناقرأ ثلث القرآن وأخرج عبد بن حميد في مسنده بسند ضعيف عن ابن عباس يرفعه الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاتحة الكتاب تعدل ثلثي القرآن وأخرج الحاكم وصححه وأبو ذر الهروي في فضائله والبيهقي في الشعب عن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مسير له فنزل فثنى رجل من أصحابه الى جنبه فالتفت اليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ألا أخبرك بأفضل القرآن قلا عليه الحمد لله رب العالمين وأخرج أبو نعيم والديلي عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاتحة الكتاب تجزئ ما لا يجزئ شيء من القرآن ولو أن فاتحة الكتاب جعلت في كفة الميزان وجعل القرآن في الكفة الاخرى لفصلت فاتحة الكتاب على القرآن سبع مرات وأخرج أبو عبيد في فضائله عن الحسن مرسلا قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ فاتحة الكتاب فكمناقرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان الى غير ذلك من الاحاديث ثم الاستعاذة قبل القراءة سنة عند الجمهور لقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم واختلفوا في لفظها المختار ولا يأتي بكثير فائدة ومعنى أعوذ بالله ألتجئ اليه وأستعنه به مما أخشاه من عاذي عوذ والشيطان أصله من شطن أي تباعد من الرحمة أو من شاط اذا هلك واحترق والاول وأولى والشيطان اسم لكل عات من الجن والانس والرجيم من يرجم بالوسوسة أو من جوم بالشهيب عند استراق السمع أو بالعذاب أو مطرود عن الرحمة والاستعاذة تطهر القلب عن كل شيء شاغل عن الله ومن لطائفها أن قوله أعوذ بالله من الشيطان الرجيم اقرار من العبد بجهنم وضعفه

هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واما ينزغك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم فهذه ثلاث آيات ليس لهن رابعة في معناها وهو ان الله تعالى يأمر بمصانعة العدو الانسي والاحسان اليه ليرده عنه طبعه الطيب الاصل الى الموالاة والمصافاة ويأمر بالاستعاذة به من العدو الشيطاني لا محالة اذ لا يقبل مصانعة ولا احسانا ولا ينبغي بخير هلاك ابن آدم لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل كما قال تعالى يا اي آدم لا يفتنك الشيطان كما أخرج أبو يكرم من الجنة وقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو

حزبه لكونوا من اصحاب السعير وتال اقتتف ذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس اللطمين بدلا وقد اقسام للوالد آدم عليه السلام انه لمن الناحين وكذب فكيف معاملته لنا وقد قال فبغزتكم لاغوينهم اجمعين الاعباد لك منهم المخلصين وقال تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتكفلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون قالت طائفة من القراء وغيرهم يتعذّب بعد القراءة واعتمدوا على ظاهر سماع الآية ولدفع الاججاب بعد فراغ العبادة ومن ذهب (٢٢) الى ذلك حجة فيما نقله عنه ابن فلوفا وأبو حاتم السجستاني حكى ذلك أبو القاسم

وبقدرة الباري على دفع جميع المضرات

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اختلف أهل العلم هل هي آية مستقلة في أول كل سورة كتبت في أولها أو هي بعض آية من أول كل سورة أو هي كذلك في الفاتحة فقط دون غيرها وأنها السبب بآية في الجميع وإنما كتبت للفصل والاقوال وأدلتها مبسطة في موضع الكلام على ذلك وقد اتفقوا على أنها بعض آية في سورة النحل وقد حزم قراء مكة والكوفة وفقهاؤها ما بانها آية من الفاتحة ومن كل سورة وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها فلم يجعلوها آية لأن الفاتحة ولأن غيرهما من السور وقالوا إنها آية فذمة من القرآن أنزلت للفصل والتبرك لا لبثائها وبالاول قال ابن عباس وابن عمر وأبو هريرة وسعيد بن جبيرة وعطاء بن المبارك وأحمد في أحد قوليه واسحق وعلي بن أبي طالب والزهري ومحمد بن كعب والثوري وهو القول الجديد للشافعي وأذلك يجهر بها عنده وبالثاني قال الاوزاعي ومالك وأبو حنيفة وأصحابه قال أبو السعود وهو الصحيح من مذهب الحنفية وقد أثبتهم السلف في المصحف مع الامر بتجريد القرآن عما ليس منه ولذا لم يكتبوا آمين وقد أخرج أبو داود بإسناد صحيح عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان لا يعرف فصل السورة وفي رواية ان قضاء عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسم الله الرحمن الرحيم وأخرجه الحاكم في المستدرک وقال صحيح السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم وأخرجه الحافظ في المستدرک وقال صحيح على شرط الشيخين وأخرج ابن خزيمة في صحيفته عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ البسملة في أول الفاتحة في الصلاة وعدّها آية وفي اسناده عمر بن هرون البلخي وفيه ضعف وروى نحوه الدارقطني مرفوعا عن أبي هريرة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ قرأتم الحمد لله فاقروا بسم الله الرحمن الرحيم فانها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم احدى آياتها رواه الدارقطني وقال رجال اسناده كلهم ثقات ورواه البخاري في تاريخه وروى موقوفا أيضا وأخرج مسلم عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنزلت على أنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيتك الكوثر الحديث قال البيهقي أحسن ما احتج به أصحابنا في ان البسملة من القرآن وانها من فواتح السور سوى سورة براءة ما رويناه في جمع الصحابة كتاب الله عز وجل في المصاحف وانهم كتبوا فيها البسملة على رأس كل سورة سوى سورة براءة فكيف يتوهم

يوسف بن علي بن جنادة الهذلي المتغربي في كتاب العبادة الكامل وروى عن أبي هريرة أيضا وهو غريب ونقله محمد بن عمر الرازي في تفسيره عن ابن سيرين في رواية عنه قال وهو قول ابراهيم النخعي وداود بن علي الاصماني الظاهري وحكى القرطبي عن أبي بكر ابن العربي عن المجموعة عن مالك رحمه الله ان القارئ يتعوذ بعد الفاتحة واستغفره اب العربي وحكى قولنا وهو الاستعاذة أولا وآخر اجمعين الدليلين نقله الرازي والمشهور الذي عليه الجمهور ان الاستعاذة انما تكون قبل التلاوة لدفع الموسوس عنها ومعنى الآية عندهم فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم أي اذا أردت القراءة كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الآية أي اذا أردتم القيام والدليل على ذلك الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله محمد ثنا محمد بن الحسن بن انس حدثنا جعفر بن سليمان عن علي

ابن علي الرافعي الشكري عن أبي المتوكل التاجي عن أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متوهم اذا قام من الليل فاستفتح صلاته وكبر قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ثم يقول لا إله الا الله ثلاثا ثم يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وقد رواه أهل الستين الاربعة من رواية جعفر بن سليمان عن علي بن علي وهو الرافعي وقال الترمذي هو أشهر رشي في هذا الباب وقد فسر الهمة بالموتة وهي الخلق جعفر بن سليمان عن علي بن علي وهو الرافعي وقال الترمذي هو أشهر رشي في هذا الباب وقد فسر الهمة بالموتة وهي الخلق والنفخ بالكبر والنفث بالشعر كما رواه أبو داود وابن ماجه من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن عاصم الغزي عن نافع بن جبير

امطعم عن أبيه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل في الصلاة قال الله أكبر كبيرا ثلاثا الحمد لله كثيرا ثلاثا سبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا اللهم اني أعوذ بك من الشيطان من همزه ونفخه ونفثه قال عمرو همزه الموتة ونفخه الكبر ونفثه الشعر وقال ابن ماجه حدثنا علي بن المنذر حدثنا ابن فضيل حدثنا عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفثه الموتة ونفخه الكبر ونفثه الشعر وقال الامام أحمد حدثنا اسحق بن يوسف حدثنا شريك (٢٣) عن يعلى بن عطاء عن رحيل حدثه انه

سمع أبا أمامة الباهلي يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة كبر ثلاثا ثم قال لا اله الا الله ثلاث مرات وسبحان الله وبحمده ثلاث مرات ثم قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وقال الحافظ أبو يعلى احمد بن علي بن المشني الموصلي في مسنده حدثنا عبد الله ابن عمر بن أبان الكوفي حدثنا علي ابن هشام بن السبريد عن يزيد بن زياد عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب رضى الله عنه قال تلاحي رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم فقزع أنف أحدهما غضبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم شيئا لو قاله لذهب عنه ما يجبد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وكذا رواه النسائي في اليوم والليلة عن يوسف ابن عيسى المروزي عن الفضل ابن موسى عن يزيد بن زياد بن أبي الجعدية وقد روى هذا الحديث أحمد بن حنبل عن أبي سعيد عن زائدة وأبو داود عن يوسف بن موسى عن جرير بن عبد

متوهم انهم كتبوا فيه مائة وثلاث عشرة آية ليست من القرآن وقد علمنا بالروايات الصحيحة عن ابن عباس انه كان بعد البسملة آية من الفاتحة ويقول اتزع الشيطان منهم خير آية في القرآن رواه الشافعي * وكما وقع الخلاف في اثباتها وقع الخلاف في الجهر بها في الصلاة وقد أخرج النسائي في سننه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهم ما والحاكم في المستدرک عن أبي هريرة انه صلى فجهر في قراءته بالبسملة وقال بعد أن فرغ اني لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصححه الدارقطني والخطيب والبيهقي وغيرهم وروى أبو داود والترمذي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يفتح الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم قال الترمذي وليس اسناده بذلك وقد أخرج الجاهل في المستدرک عن ابن عباس بالنظر كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجهر بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال صحيح وأخرج البخاري في صحيحه عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال كانت قراءته مدتها ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يدب بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم وأخرج أحمد في المسند وأبو داود في السنن وابن خزيمة في صحيحهم والحاكم في مستدرکة عن أم سلمة انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقطع قراءته بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين وقال الدارقطني اسناده صحيح وبهذا قال من الصحابة أبو هريرة وابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومن التابعين فمن بعدهم سعيد بن جبيرة وأبو قلابة والزهري وعكرمة وعطاء وطاوس ومجاهد وعلي بن الحسين وسالم ابن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي وابن سيرين وابن المنكدر ونافع مولى ابن عمرو وزيد بن أسلم ومكحول وغيرهم واليه ذهب الشافعي واحتج من قال انه لا يجهر بالبسملة في الصلاة بما في صحيح مسلم عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين وفي الصحيحين عن أنس قال صليت خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين ولمسلم لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول القراءة ولا في آخرها وأخرج أشعث السنن مشحود عن عبد الله بن مغفل رالي هذا ذهب الخلفاء الاربعون وجماعة من الصحابة كابن مسعود وعمار بن ياسر وابن مغفل وغيرهم ومن التابعين الحسن والشعبي وابراهيم النخعي وقتادة والاعمش والثوري واليه ذهب مالك وأبو حنيفة وأحمد وغيرهم وأحاديث الترك وان

الحمد والتمدي والنسائي في الترم والليله عن بدار عن ابن مهدي عن الثوري والنسائي أيضا من حديث زائدة بن قدامة ثلاثتهم عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم فغضب أحدهما غضبا شديدا حتى يخيل الى أن أحدهما يمتزع أنفه من شدة غضبه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجبد من الغضب فقال ما بنى يا رسول الله قال يقول اللهم اني أعوذ بك من الشيطان الرجيم قال فجعل معاذ يأمره فأبى وجعل يردد غضبا وهذا القيل أبي دارود قال الترمذي مرسل يعني ان عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يلق معاذ بن جبل

فانه مات قبل سنة عشرين (قلت) وقد يكون عبد الرحمن بن أبي ليلى - معه من أبي بن كعب كما تقدم وبلغه عن معاذ بن جبل فان هذه القصة شهيد خارج واحد من العصابة رضى الله عنهم قال البخاري حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الاعمش عن عدى بن ثابت قال قال سليمان بن صرد رضى الله عنه استبرجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم ونحن عنده نجلس فاحدهما يسب صاحبه مغضبا قد اجرو وجوهه فقال النبي صلى الله عليه وسلم انى لعلم كتمانوا له ان الله عليه وسلم قال انى لست بمجنون وقد رواه أيضا الشيطان الرجيم فقالوا الرجل الا نسمع (٢٤) ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى لست بمجنون وقد رواه أيضا

مع مسلم وأبى داود النسائي من طرق متعددة عن الاعمش به وقد جاء فى الاستعانة أحاديث كثيرة يطول ذكرها ههنا وموطنها كتاب الاذكار وفصائل الاعمال والله أعلم وقد روى ان جبريل عليه السلام أول ما نزل بالقرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بالاستعانة كما قال الامام أبو جعفر ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا بشر بن عمار حدثنا أبو روق عن الفضالك عن عبد الله بن عباس قال أول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال يا محمد استعذ قال استعذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال اقرأ باسم ربك الذى خلق قال عبد الله وهى أول سورة أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم بلسان جبريل وهذا الاثر غريب وانما ذكرناه ليعرف فان فى أسناده ضعف وانقطاعا والله أعلم (مسئلة) وجهور العلماء على ان الاستعانة مستحبة ليست بمحتمة يأثم تاركها وحكى الرازى عن عطاء ابن أبى رباح وجوبه فى الصلاة وخارجها كما أراد القراءة قال وقال ابن سيرين اذا تعوذ مرة واحدة فى عمره ابن أبى رباح وجوبه فى الصلاة وخارجها كما أراد القراءة قال وقال ابن سيرين اذا تعوذ مرة واحدة فى عمره

الرجن
ابن أبى رباح وجوبه فى الصلاة وخارجها كما أراد القراءة قال وقال ابن سيرين اذا تعوذ مرة واحدة فى عمره
فقد كفى فى اسقاط الوجوب واحتج الرازى لعطاء بظاهر الآية فاستعذ وهو أمر ظاهر الوجوب وبمواظبة النبي صلى الله عليه وسلم عليها ولا تدرأ شر الشيطان وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ولان الاستعانة أحوط وهو أحد مسالك الوجوب وقال بعضهم كانت واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم دون أمته وحكى عن مالك انه لا يتعوذ فى المكتوبة ويتعوذ فى قيام رمضان فى أول الليلة منه (مسئلة) وقال الشافعى فى الاملاء يجهر بالتعوذ وان أسر فلا يضر وقال فى الام بالخير لانه أسر ابن عمر وجهر

أبوهريرة واختلف قول الشافعي فيما عدا الركعة الأولى هل يستحب التعوذ فيه على قولين ورجح عدم الاستحباب والله اعلم فإذا قال المستعيد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كفى ذلك عند الشافعي وأبي حنيفة وزاد بعضهم أعوذ بالله السميع العليم وقال آخرون بل يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم قاله الثوري والاوزاعي وحكى عن بعضهم أنه يقول أستعید بالله من الشيطان الرجيم لطابقة أمر الآية ولحديث الغزال عن ابن عباس المذكور والاحاديث الصحيحة كما تقدم أولى بالاتباع من هذا والله أعلم (مسئلة) ثم الاستعاذة في الصلاة انما هي للتلاوة وهو قول (٢٥) أبي حنيفة ومحمد وقال أبو يوسف بل للصلاة

فعلى هذا يتعوذ بالمأموم وإن كان لا يقرأ ويتعوذ في العيد بعد الاحرام وقبل تكبيرات العيد والجهوز بعده وقبل القراءة ومن لطائف الاستعاذة انهم طهارة للفم مما كان يتعاطاه من الغرور والرفث وتطيب له وهو لتلاوة كلام الله وهي استعاذة بالله واعتراف له بالقدرة وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو والميئ الباطني الذي لا يقدر على منعه ودفعه الا الله الذي خلقه ولا يقبل مصانعة ولا يدارى بالاحسان بخلاف العدو من نوع الانسان كما دلت على ذلك آيات من القرآن في ثلاث من المثاني وقال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا وقد نزلت الملائكة لمقابله العدو البشري فن قتل العدو الظاهري البشري كان شهيدا ومن قتل العدو الباطني كان طريدا ومن غلبه العدو الظاهري كان مأجورا ومن قهره العدو الباطني كان مفتونا أو موزورا ولما كان الشيطان يرى الانسان من حيث لا يراد استعاذ منه بالذي يراه ولا يراه الشيطان (فصل) * والاستعاذة هي الالتجاء

الرجح اسم عام في جميع أنواع الرحمة يختص به الله تعالى والرجيم انما هو في جهة المؤمنين قال تعالى وكان بالمؤمنين رجيمًا وعن ابن عباس قال هما اسمان أحدهما أرق من الآخر وقبل معناهما ذو الرحمة جمع بينهما للتأكيذ وقبل غير ذلك والاول أولى وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم والرحمة ارادة الخير والاحسان لاهله وقيل ترك عقوبة من يستحق العقاب واسداء الخير والاحسان الى من لا يستحق فهو على الاول صفة ذات وعلى الثاني صفة فعل وأسماء الله تؤخذ باعتبار الغايات التي هي أفعال دون المبادئ التي هي انفعالات وافراد الوصفين الشريفيين بالذكر تحريك سلسلة الرحمة وهل الرحمن مصر وف أولافيه قولان مال التقساز الى جواز الامر بن وقد ورد في فضلها أحاديث ينبغي البحث عن أساسيدها والكلام عليها وقد شرعت التسمية في مواطن كثيرة قد بينها الشارع منها عند الوضوء وعند الذبيحة وعند الأكل وعند الجماع وغير ذلك (الجلد لله) هو الشاء باللسان على الجميل الاختيارى على قصد التجميل وبهذا فارق المدح وقال الزمخشري انهم اخوان والجد اخص من الشكر موردا وأعم منه متعلقا وبه صرح في الفائق لكن الاوفق ما عليه الاكثر انهم غير مترادفين بل متشابهان معنى أو اشتقاقا كبيرا وتعريفه لاستغراق افراد الجمد وانها محتصة بالرب سبحانه على معنى ان جمد غيره لا اعتداده لان المنعم هو الله عز وجل أو على ان جمد هو الفرد الكامل فيكون الحصر ادعائيا ورجح الزمخشري ان التعريف هنا هو تعريف الجنس لا الاستغراق واليه شأ أبو السعد والصواب ما ذكرناه وعليه الجمهور وقد جاء في الحديث اللهم لك الحمد كله قال ابن جرير الجمد ثناء شئ به على نفسه وفي ضمنه أمر عباده ان يثنوا عليه فكأنه قال قولوا الحمد لله ثم رجع اتحاد الجمد والشكر مستدلا على ذلك بما حاصله ان جميع أهل المعرفة بلسان العرب يوقعون كلام الجمد والشكر مكان الآخر قال ابن كثير وفيه نظر لانه اشتهر عند كثير من العلماء المتأخرين ان الحمد هو الشاء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية والشكر لا يكون الا على المتعدية ويكون بالجنان واللسان والاركان انتهى ولا يخفى أن المرجع في مثل هذا الى معنى الحمد في لغة العرب لا الى ما قاله جماعة من العلماء المتأخرين فان ذلك لا يرده على ابن جرير ولا تقوم به الحجة هذا اذا لم يثبت للعميد حقيقة شرعية فان ثبت وجب تقديمها روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه قال الحمد لله كلمة الشكر واذا قال العبد الحمد لله قال

(٤ - فتح البيان ل) الى الله تعالى والاتصاف بجنابه من شرك ذي شرو والعبادة تكون لدفع الشر والياد يكون لطلب جلب الخير كما قال المتنبى يامن ألذبه فيما أمته * ومن أعوذ به مما أحاذره لا يجبر الناس عظما أنت كاسره * ولا يهينون عظما أنت جابره ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أى أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم ان يضرك في ديني أو دنياي أو يصدني عن فعل ما أمرت به أو يخشى على فعل ما نهيت عنه فان الشيطان لا يكفه عن الانسان الا الله واله هذا أمر تعالى بصناعة شيطان الانس ومداراة باسداء الجميل اليه ليرده طبعه عما هو فيه من الاذى وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن

لانه لا يقبل رشوة ولا يورثه جيل لانه شرير بالطبع ولا يكفه عنك الا الذي خلقته وهذا المعنى في ثلاث آيات من القرآن لا أعلم لغير
 رابعة قوله في الاعراف سجد العنود وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين فهذا فيما يتعلق بمعاملة الأعداء من المشركين قال وأما
 فيمنعك من الشيطان نزغ فاستعد بالله انه ميسر عليهم وقال تعالى في سورة قذاف لمؤمنون ادفع بالتي هي أحسن السيئة فمن أعلم
 بما يسهنون وقال رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب ان يحضرون وقال تعالى في سورة حم السجدة ولا تستوي الحسنة
 ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي (٢٦) بينك وبينه عداوة كأنه ولي حم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو

خلف عظيم وأما بمنعك من الشيطان
 نزغ فاستعد بالله انه هو الميسر
 العليم والشيطان في لغة العرب
 مشتق من شطن اذا بعد فهو بعيد
 بطبعه عن طباع البشر وبعيد
 بنفسه عن كل خبر وقيل مشتق
 من شاط لانه مخلوق من نار ومنهم
 من يقول كلاهما صحيح في المعنى
 ولكن الاول أصح وعليه يدل كلام
 العرب قال أمية بن أبي الصلت في
 ذكر ما أوتي سليمان عليه السلام
 أي شاطن عصاه عكاد

ثم يلقي في السجين والاعلال
 فقال أي شاطن ولم يقل أي شاطن
 وقال النابغة الذبياني وهو زياد بن عمرو
 ابن معاوية ابن جابر بن ضباب بن
 يربوع بن مرة ابن سعد بن ذبيان
 نابت بسعاد عنك نوى شطون

فباتت والقوا أمهار عين
 يقول بعدت بها طريق بعيدة وقال
 سيبويه العرب تقول تشيطان فلان
 اذا فعل فعل الشياطين ولو كان من
 شاط لقوا تشيط فالشيطان مشتق
 من البعد على الصحيح ولهذا يسمون
 كل من تفرس من حنى وأنسى وجوان
 شيطانا قال الله تعالى وكذلك

الله شكرني عبدي وروى ابن جرير عن الحكم بن عمرو كذبت له حجة قال قال النبي صلى
 الله عليه وآله وسلم اذا قلت الحمد لله رب العالمين فقد شكرت الله فزادني وأخرج عبد الرزاق
 في المعتمد والحكيم الترمذي في نوادر الاصول والخطابي في الغريب والبيهقي في الادب
 والذيلي في مسند الفردوس عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 وآله وسلم انه قال الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده وأخرج الطبراني في الاوسط
 بسند ضعيف عن النواس بن سمعان قال سرق ناق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 فقال لن ردّها الله علي لا شكرت ربّي فرجعت فلما راها قال الحمد لله فانتظر واهل يحدث
 عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صوم أو صلاة فظنوا انه نسي فقالوا يا رسول الله
 كنت قد قلت لن ردّها الله علي لا شكرت ربّي قال ألم أقل الحمد لله وقد ورد في فضل الحمد
 أحاديث منها ما أخرجه أحمد والنسائي والحاكم وصححه البخاري في الادب المفرد عن
 الاسود بن سريع قال قلت يا رسول الله الا تشدك لحام حدثت به ربي تبارك وتعالى
 فقال اما ان ربك يحب الحمد وأخرج الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه وابن حبان
 والبيهقي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الذكر لا اله الا الله
 وأفضل الدعاء الحمد لله وأخرج البيهقي في شعب الايمان عن جابر قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وآله وسلم ما من عبد ينعم عليه بنعمة الا كان الحمد أفضل منها وأخرج مسلم
 والنسائي وأحمد عن أبي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 الطهور وشر الايمان والحمد لله تلاءم الميزان وأخرج البيهقي عن أنس قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم ما شئ أحب الى الله من الحمد وفي الباب أحاديث أخرجه أهل
 السنن وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل
 أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع وأخرج مسلم عن أنس قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وآله وسلم ان الله يرضى عن العبد أن يأكل الاكلة فيحمده عليها أو يشرب
 الشرية فيحمده عليها أو يثار الرفع على النصب الذي هو الاصل الا إذا بان ثبوت الجدل
 تعالى إذا الله لا لا ثبات مثبت وان ذلك أمر دائم مستمر لا حادث متجدد كما تفيد قراءة النصب
 (رب العالمين) قال في الصحاح الرب اسم من أسماء الله تعالى ولا يقال في غيره الا بالاضافة
 وقد قالوه في الجاهلية الملك وقال الزمخشري الرب المالك كما يقال رب الدار ورب الشيء

جعلنا لكل نبي عدا وشياطين الانس والجن يوسى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وفي مسند
 الامام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا باذر تعوذ بالله من شياطين الانس والجن فقلت أو
 الانس شياطين قال نعم وفي صحيح مسلم عن أبي ذر أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع الصلاة المراقاة والجار والكلب
 الاسود فقلت يا رسول الله ما بال الكلب الاسود من الاجر والاصفر فقال الكلب الاسود شيطان وقال ابن وهب أخبرني هشام
 ابن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ركب برذونا فجعل يتجتره فجعل يضربه فلا يزال اذا التجتره انزل

عنه وقال ما حلتوني الا على شيطان ما زلت عنده حتى أنكرت نفسي اسناد صحيح والرحيم فعيل بمعنى منقول أى انه مرجوم
مطرود عن الخير كما قال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بصايع وجعلناها رجوما للشياطين وقال تعالى انارينا السماء الدنيا
بزينة الكواكب وحفظنا من كل شيطان مارد لا يسمعون الا الاملا الا على ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب
الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب وقال تعالى ولقد جعلنا في السماء رجوما لالشياطين وحفظنا ما من كل شيطان
رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين الى غير ذلك من الآيات وقيل (٢٧) رجيم بمعنى راجم لانه يرجم الناس بالوسواس

والرباثة والاول أشهر وأصح
(بسم الله الرحمن الرحيم) افتتح بها
الحكاية كتاب الله واتفق العلماء على
انها بعض آية من سورة النمل ثم
اختلفوا هل هي آية مستقلة في أول
كل سورة أو من أول كل سورة
كتبت في أولها وأنها بعض آية من
كل سورة وأنها كذلك في الفاتحة
دون غيرها وأنها انما كتبت للفصل
لأنها آية على أقوال العلماء سلفا
وخلفا وذلك مبسوط في غير هذا
الموضع وفي سنن أبي داود باسناد صحيح
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
لا يعرف فصل السورة حتى ينزل
عليه بسم الله الرحمن الرحيم وأخرجه
الحاكم أبو عبد الله النيسابوري في
مستدرکه أياضاً وروى مرسل عن
سعيد بن جبيرة وفي صحيح بن خزيمة
عن أم سلمة رضي الله عنها ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة
في أول الفاتحة في الصلاة وعدها
آية لكنه من رواية عمر بن هرون
البلخي وفيه ضعف عن ابن
جرير عن ابن أبي مليكة عنهما وروى
له الدارقطني متابعاً عن أبي هريرة

أى مالكة قال القرطبي والرب السيد ومنه قوله تعالى اذ كرى عند ربك وفي الحديث
ان قد الامتريها والرب المصلح والمدير والمربي والخابر والقائم قال والرب المعبود والعالمين
جمع عالم لا واحد له من لفظه وهو اسم لما يعلم به غلب فيما يعلم به الصانع من المصنوعات قال
أبو السعود وهو الاحق الاظهر أو اسم لكل موجود سوى الله تعالى قاله قتادة فيدخل
فيه جميع الخلق وهو ظاهر كلام الجوهرى وقيل أهل كل زمان عالم قاله الحسين بن مفضل
وقال ابن عباس العالمون هم الجن والانس وقيل اسم جمع عالم بالفتح وليس جعله لان العالم
عام في العقلاء وغيرهم والعالمين مختص بالعقلاء والخاص لا يكون جمعاً لما هو أعم منه قاله
ابن مالك وتبعه ابن هشام في توضيحه وذهب كثير الى انه جمع عالم على حقيقة الجمع وقال
الفراء وأبو عبيد العالم عبارة عما يعقل وهم أربعة أعم الانس والجن والملائكة والشياطين
ولا يقال للبهائم عالم لان هذا الجمع انما هو جمع ما يعقل حكاهما القرطبي وذكر أدلتهم وقال ان
القول الاول أصح هذه الاقوال لانه شامل لكل مخلوق موجود ليس له قوله تعالى قال
فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ما وقيل عنى به الناس فان كل
واحد منهم عالم وفيه بعد قال الزجاج العالم كل ما خلقه الله تعالى في الدنيا والآخرة وعلى
هذا يكون جمعه بالياء والنون تغليباً للعقلاء على غيرهم وعن ابن عباس في الآية قال الله
الخلق كله السموات كاهن ومن فيهن والارض كاهن ومن فيهن ومن بينهن مما يعلم ولا
يعلم وفيه دليل على ان رب العالمين جرى مجرى الدليل على وجود الله القديم وبيان لشمول
ربوبيته تعالى لجميع الاجناس فآثار تربيته عز وجل الفائضة على كل فرد من أفراد
الموجودات في كل آن من آتات الوجود غير متناهية فسبحانه ما أعظم شأنه لا تلاحظه
العيون بانظارها ولا تطالعه العقول بأفكارها شأنه لا يضاهاى واحسانه لا يتناهى ونحن
في معرفته حائرون وفي أقامته مراسم شكره قاصرون وأنى يجمع القلة تنبيهاً على أنهم
وان كثروا قلائدون في جنب عظمتهم وكبريائه تعالى واختلف في مبلغ عدد العالم على أقوال
لم يصح شيء منها والحق ما قاله سبحانه وتعالى وما يعلم جنود ربك الا هو (الرحمن الرحيم)
اسمان مشتقان من الرحمة على طريق المبالغة والرحن أشد مبالغة من الرحيم وفي
كلام ابن جرير ما يفهم حكاية الاتفاق على هذا ولذلك قالوا رحن الدنيا والآخرة
ورحيم الدنيا وقد تقرر ان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى وقال ابن الانبارى والزجاج ان

مرفوعاً وروى مثله عن علي وابن عباس وغيرهما ومن حكى عنه انها آية من كل سورة الا برائة ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو
هريرة وعلي ومن التابعين عطاء وطاوس وسعيد بن جبيرة ومكحول والزهري وبه يقول عبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد بن حنبل
في رواية عنه وأصح بن راهويه وأبو عبيد القاسم بن سلام رجيمهم الله وقال مالك وأبو حنيفة وأصحابهم ليست آية من الفاتحة ولا
من غيرها من السور وقال الشافعي في قول في بعض طرق مذهبه هي آية من الفاتحة وليست من غيرها وعنه انها بعض آية من أول كل
سورة وهما غريبان وقال داود هي آية مستقلة في أول كل سورة لانها وهذا رواية عن الامام أحمد بن حنبل وحكاها أبو بكر الرازي

عن أبي الحسن الشاذلي رحمه الله ما يتعلق بكونها آية من الآيات أم لا فالما الظهر به المنقرع على هذا فمن رأى أنه ليست من الآيات فلا يجهر بها وكذا من قال أنها آية في آرائها وأما من قال بأنها من أوائل السور فاختلفوا فذهب الشافعي رحمه الله إلى أنه يجهر بها مع الآيات والسورة وهو مذهب طوائف من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين سلفا وخلفا فجهر بها من الصحابة أبو هريرة وابن عمر وابن عباس ومعاذ بن عبد البر والبيهقي عن عمرو بن دينار ونقلا الخطيب عن الخلفاء الأربعة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وخوشر يب (٢٨) ومن التابعين عن سعيد بن جبيرة وعكرمة وأبي قلابة والزهرى وعلي بن الحسن وابنه

شمس وسعيد بن المسيب وعطاء وناوس وجماعة وسالم ومحمد بن كعب الترمذي وعبد وأبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وأبي وأبي وأبي سيرين ومحمد بن المسكندر وعلي بن عبد الله ابن عباس وابنه محمد ونافع مولى ابن عمرو يزيد بن أسلم وعمرو بن عبد العزيز والأزرق بن قيس وحبيب بن أبي ثابت وأبي الشعثاء ومكحول وعبد الله بن معقل بن مقرن زاذ البيهقي وعبد الله بن صفوان ومحمد ابن الحنفية زاذ ابن عبد البر وعمرو ابن دينار وأخيه في ذلك أنه بعض الآيات فيجهر بها كسائر أفعالها وأيضا فقد روى النسائي في سننه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة أنه صلى جهر في قراءته بالجملة وقال بعد أن فرغ إلى لا أشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم وصححه الدارقطني والخطيب والبيهقي وغيرهم وروى أبو داود والترمذي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفتح الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال الترمذي وليس اسناده بذلك وقد

الرحمن عراقي والرحيم عربي وخالفهما غيرهما قال القرطبي وصف نفسه بهما لأنه لما كان بائنا فذهب العالمين تهربا قربا بالرحمن الرحيم لما تضمن من الترغيب ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه فيكون أعون على طاعته وأمنع وقيل فائدة تكريره هنا بعد الذكر في البسلة أن العناية بالرحمة أكثر من غيرها من الأمور وأن الحاجة إليها أكثر فنبه سبحانه بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها وأنه هو المتفضل بها على خلقه وفيه اثبات الصفات الذاتية كافي التي قبلها الثبات الصانع وحدوث العالم (مالك) فذاختلف العلماء أيما بلغ ملك أو مالك والقراءتان مرويتان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر ذكرهما الترمذي فذهب إلى الأول أبو عبيد والمبرد وجهه الرخشي والي الثاني أبو حاتم والقاضي أبو بكر بن العربي والحق لكل واحد من الوصفين نوع اختصاص لا يوجد في الآخر فالمالك يقدر على ما لا يقدر عليه الملك من التصرفات بما هو مالك له بالبيع والهبة والعق وشوهاو الملك يقدر على ما لا يقدر عليه المالك من التصرفات العائدة إلى تدبير الملك وحياطته ورعاية مصالح الرعية فأحدهما أقوى من الآخر في بعض الأمور والفرق بين الوصفين بالنسبة إلى الرب سبحانه أن الملك صفة ذاته والمالك صفة لغيره وقيل بينهما عموم مطلق فكل ملك مالك ولا عكس لعموم ولاية الملك التزاما لمطابقة قوله التفازاني وقيل هما بمعنى وقد أخرج الترمذي عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ ملك بغير ألف وأخرج نحوه ابن الأنباري عن أنس وأخرج أحمد والترمذي عن أنس أيضا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا يقرأون مالك بالألف وأخرج نحوه سعيد بن منصور عن ابن عمر فروعا وأخرج نحوه أيضا وكيع في تفسيره وعبد بن حميد وأبو داود عن الزهري يرفعه هر سلا وأخرجه أيضا عبد الرزاق في تفسيره وعبد بن حميد وأبو داود عن ابن المسيب فروعا هر سلا وقد روى هذا من طرق كثيرة فهو أرجح من الأول ومالك بمعنى المستقبل قاله القرطبي وأضافته إلى ما بعده حقيقة أو لفظية والتعويل على القرائن والمقامات قاله الكرخي وهذا أس بالعبسية وأقعد في طريقها قاله أبو القاسم الزجاجي قال الخطيب والتقييد بقوله (يوم الدين) لا ينافي الاستمرار لأنه من غير اعتبار حدوث في أحد الأزمنة انتهى واليوم في العرف عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها من الزمان وفي الشرع عما بين طلوع الفجر الثاني وغروب

رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال صحيح وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك أنه سئل عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقال كانت قراءته مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يتدبسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود وصحيح ابن خزيمة ومستدركه الحاكم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين وقال الدارقطني اسناد صحيح وروى الإمام أبو عبد الله الشافعي والحاكم في مستدركه عن أنس أن

معاوية صلى بالمدينة فترك البسملة فانكر عليه من حضره من المهاجرين ذلك فلما صلى المرة الثانية بسمل وفي هذه الاحاديث والاشعار التي اوردناها كفاية ومقنع في الاحتجاج لهذا القول عمادها فاما المعارضات والروايات الغريبة وتطريدها وتعليقها وتضعيفها وتقريرها فله موضع آخر وذهب آخرون الى انه لا يجهر بالبسملة في الصلاة وهذا هو الثابت عن الخلفاء الاربعة وعمد الله بن معقل وطوائف من سلف التابعين والخلف وهو مذهب ابي حنيفة والثوري وأحمد بن حنبل وعند الامام مالك انه لا يقرأ البسملة بالكسبة لاجهر ولا سرا واحتجوا بما في صحيح مسلم عن عائشة (٢٩) رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين وبما في الصحيحين عن أنس بن مالك قال صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يفتتحون بالحمد لله رب العالمين ولمسلم لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا في آخرها ونحوه في السنن عن عبد الله بن معقل رضي الله عنه فهذه ما أخذ الأئمة رجعهم الله في هذه المسئلة وهي قريبة لانهم أجمعوا على صحة صلاة من جهر بالبسملة ومن أسر والله الخذ والمنة

(فصل) * في فضلها قال الامام العالم اظهر العباد أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم رحمه الله في تفسيره حدثنا أي حدثنا جعفر بن مسافر حدثنا زيد بن المبارك الصنعاني حدثنا سلام بن وهب الجندی حدثنا أي عن طاوس عن ابن عباس ان عثمان بن عفان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال هو اسم من أسماء الله وما بينه وبين اسم الله الا كبر الا كما بين سواد

الشمس والمراد هنا مطلق الوقت والدين الجزاء خيرا كان أو شرا ويوم الدين يوم الجزاء من الرب لعباده يقال كما تدن تدان أي كما تفعل تجازي ويدل له قوله تعالى وما أدراك ما يوم الدين يوم لا تغلك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله والاضافة هذه على طريق الاتساع لا تدنى ملايسة أي مالك الأمر كله في يوم الجزاء للعباد لان الأمر فيه لله وحده ولذا خص بالذكر وعن ابن مسعود وناس من الصحابة أنهم فسروا يوم الدين بيوم الحساب وقال قتادة يوم يدين الله العباد بأعمالهم وقيل في معنى الدين غير ذلك والأولى ما ذكرناه وهذه الاوصاف التي أجزيت على الله من كونه رب العالمين موجد الهم ومنعما بالنعم كلها ومالك للامر كله يوم الجزاء بعد الدلالة على اختصاص المجدبة في قوله الحمد لله دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يمكن أحد أحق منه للحمد والثناء عليه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف مشعر بعليته وفي هذه الآية أثبات المعاد (يا أيها العباد ويا أيها المستعين) أي شخصك بالعبادة وتوحدك ونطيعك خاضعين لك ومنك نطلب المعونة على عبادتك وعلى جميع أمورنا وفي هذه الآية ابطال الجبر والقدر معا كما أشار إليه التغلبي في تفسيره ويا عند سبويه اسم مضمير والكاف حرف خطاب ولا محل له من الاعراب وهو الاصح وقد ارتضاه القاضي وعند الخليل اسم مضمير أضيف ايا اليه لانه يشبه المظهر لتقدمه على الفعل والفاعل وقال الكوفيون اياك بكما لها اسم وجلة الاقوال فيه سبعة عد منها الخفاجي خمسة فقط وتقدم المفعول على الفعل لقصد الاختصاص والحصر والقصر وقيل للاهتمام والصواب انه لهما ولا تراحم بين المقبضيات والعبادة أقصى غايات الخضوع والتذلل والعبودية أدنى منها وسمى العبد عبد الله لانه وانقياده ولا تستعمل الا في الخضوع لله تعالى قال ابن كثير وفي الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف والاستعانة بطلب المعونة وهي ضرورية وغير ضرورية والعدول عن الغيبة الى الخطاب لقصد الالتفات وتلوين النظم من باب الى باب وفيه الترقى من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود ومن المعقول الى المحسوس اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون السامعين للآثر وقد يكون من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم أي بكم وقوله والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه أي فساقه وقد يكون من التكلم الى الغيبة فهذه أربعة

العينين وبياضهم من القرب وهكذا رواه ابو بكر بن مردويه عن سليمان بن احمد عن علي بن المبارك عن زيد بن المبارك به وقد روى الحفاظ بن مردويه عن اسماعيل بن عيسى عن اسماعيل بن يحيى عن مسعر عن عطية عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى بن مريم عليه السلام اسلمته أمه الى الكتاب ليعلقه فقال له المعلم اكتب فقال ما أكتب قال بسم الله قال له عيسى وما بسم الله قال المعلم ما أدري قال له عيسى الباء الله والسين ساؤه والميم ملكته والله اله الا لهة والرحمن الرحمن الدنيا والآخرة والرحيم رحيم الآخرة وقد رواه ابن جرير من حديث ابراهيم بن العلاء الملقب بابن زريق عن اسماعيل بن عياش عن

ابن أبي يحيى عن ابن أبي مليكة عن حمزة عن ابن مسعود ومعه عن عطية عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 نذركم وعدا غريبا جدا وقد يكون محييا إلى من دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يكون من الأسرار بليبات لأن المرفوعات
 والله أعلم وتدرى جوهر عن النخاع ثم من قبله وقد روى بن مردويه من حديث يزيد بن خالد عن سليمان بن بريدة في روايه
 عن عبد الكريم بن أبي أمية عن أبي بريدة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنزلت على آية لم تنزل على نبي غير سليمان بن
 داود وغيري وهي بسم الله الرحمن الرحيم (٣٠) وروى بإسناده عن عبد الكريم الكبير بن المعاني عن عمران عن أبيه عن

عمر بن زر عن عطاء بن أبي رباح عن
 جابر بن عبد الله قال لما نزل بسم الله
 الرحمن الرحيم هرب الغريم إلى
 المشرق وسكنت الرياح وهاج البحر
 وأصغت البهايم بأذانها ورجت
 الشياطين من السماء وحلف الله
 به إلى بعزته وجلاله أن لا يسمى اسمه
 على شيء إلا بارأ فيه وقال وكيع
 عن الأعشى عن أبي وأئل عن ابن
 مسعود قال من أراد أن ينجيه الله
 من الزبانية التسعة عشر فليقرأ بسم
 الله الرحمن الرحيم فيجعل الله له من
 كل حرف منها حسنة من كل واحد
 ذكره ابن عطية والقرطبي ووجهه
 ابن عطية ونصره بجديت لقد رأيت
 بضعة وثلاثين ملكا يتسدرونها
 لقول الرجل ربنا ولك الحمد جدا
 كثيرا طيبا مباركا فيه من أجل أنها
 بضعة وثلاثون حرفا وغير ذلك وقال
 الامام أحمد بن حنبل في مسنده
 حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة
 عن عاصم قال سمعت أبا ثيمة يحدث
 عن رديف النبي صلى الله عليه وسلم
 قال عثر بالنبي صلى الله عليه وسلم
 فقات تعس الشيطان فقال النبي
 صلى الله عليه وسلم لا تقل تعس

أقسام ذكرها البيضاوي والتحقيق انها ستة وهي ظاهرة لان الملتفت منه والملتفت اليه
 اثنان وكل منهما اما غيبة او خطاب او تكلم والعرب يستكثرون منه لفوائد تستدعيه
 ورون الكلام اذا انتقل من أسلوب الى أسلوب آخر كان أدخل في القبول عند السامع
 وأحسن نظرية لتساطه واملا للاستداز اصغائه وأكثر ايقاظه كما تقر في علم المعاني وقد
 يختص مواقعه بقوائد ولطائف قلما تنضج الالحد في المهره وقليل ما هم وما اختص به هذا
 الموضع انه لما ذكر الحقيق بالجد والثناء وأجرى عليه تلك الصفات لتعلق العلم معلوم على
 الذات سمي الصفات حري بالثناء وغاية التدليل والاستعانة في المهمات فحوط ذلك المعلوم
 للقبز تلك الاوصاف فقل اياك يا من هذه صفاته نعبد ونستعين لا غيرك والجي بالتون في
 الشغلين لقصد الاخبار من الداعي عن نفسه وعن جنسه من العباد أو عن سائر الموحدين
 وفيه اشعار على التزام الجماعة وقد تمت العبادة على الاستعانة لتوافق رؤس الاتي
 ولكون الاولى وسيلة الى الثانية وتقديم الوسائل سبب لتحصيل المطالب واطلاق العبادة
 والاستعانة لقصد التعميم لتتناول كل معبوده ومستعان فيه واستحسنه الرخصى
 وقال لتلاوم الكلام وأخذ بعضه بحجة بعض وتكرير اللفظ للتفصيل على تخصصه
 تعالى بكل واحدة منهما ولا يرازال التذازب المناجاة والخطاب وأخرج مسلم عن أبي هريرة عن
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يقول الله قسمت الصلاة بيني وبين عبدتي نصفها
 لى ونصفها العبدى ولعبدى ما سأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله جدي عبدى
 واذا قال الرحمن الرحيم قال انى على عبدى واذا قال مالك يوم الدين قال مجدنى عبدى
 وربما قال فوض الى عبدى واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بينى وبين عبدى
 ولعبدى ما سأل فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم الخ قال هذا العبدى ولعبدى ما سأل
 وعن أبي طلحة قال قال كأمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزاة نلني العدو فسمعته
 يقول يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين قال فلقد رأيت الرجال تصرع فتضربها
 الملائكة من بين يديها ومن خلفها أخرجه البغوى والياوردى معاني معرفة الصحابة
 والطبراني في الاوسط وأبو نعيم في الدلائل (اهدنا الصراط المستقيم) افراد له ظم أفراد
 المعونة المسؤلة بالذكر وتعين لما هو الاهم أو بيان لها أى أرشدنا وقلل بئنا على المنهاج
 الواضح او اهدنا في الاستقبال كما هديتنا في الحال وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على

الشيطان فانك اذا قلت تعس الشيطان تعاطم وقال بقوى ضرعته واذا قلت بسم الله تصاعرت حتى يصير مثل
 الذباب هكذا وقع في رواية الامام أحمد وقدرى النسائي في اليوم واليلية وابن مردويه في تفسيره من حديث خالد الحذاء عن أبي
 ثيمة وهو السجيمى عن أبي المليح بن اسامة بن عيسى عن أبيه قال كنت بريد النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وقال لا تقل هكذا
 فانه يتعاطم حتى يكون كالبيت ولكن قل بسم الله فانه يصغر حتى يكون كالذباب فهذا من تأثير بركة بسم الله ولهذا استحب في أول كل
 عمل وقول فتسبح في أول الخطبة لما جاء كل أمر لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أجندهم وتسبح البسملة عند دخول

الخلاء لما ورد من الحديث في ذلك وتحتب في أول الوضوء لما جاء في مسند الامام احمد والسنن من رواية أبي هريرة وسعيد بن زيد وأبي سعيد مرفوعا لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه وهو حديث حسن ومن العلماء من أوجبها عند الذكرونها ومنهم من قال بوجوبها مطلقا وكذا تحتب عند الذبيحة في مذهب الشافعي وجاعا وأوجبها آخرون عند الذكروها مطلقا في قول بعضهم كإسائني فإنه في موضعه ان شاء الله وقد ذكر الرازي في تفسيره في فضل البسلة أحاديث منها عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أتيت أهلك فسم الله فانه ان وجدك ولدك كتب لك بعدد (٣١) انفسه وانفاس ذريته حسنات وهذا الأصل

له ولا رأيت في شيء من الكتب المعتمدة عليها ولا غيرها وهكذا يستحب عند الاكل لما في صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لربيبة عمر بن أبي سلمة قل بسم الله وكل بيمينك وكل بيمينك ومن العلماء من أوجبها والحالة هذه وكذلك تستحب عند الجماع لما في الصحيحين عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن أحدكم اذا أراد أن يأتي أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا فإنه ان يقدر بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدا ومن ههنا ينكشف لك ان القولين عند النكاح في تقدير المتعلق بالباء في قوله بسم الله هل هو اسم أو فعل متقاربان وكل قد ورد به القرآن أما من قدره باسم تقديره بسم الله ابتدائي فلعله تعالى وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها ان ربي لغفور رحيم ومن قدره بالفعل أمرا أو خبرا نحو ابدأ بسم الله أو ابتدأت بسم الله فلعله تعالى اقرا باسم ربك الذي خلق وكلاهما صحيح فان الفعل

الهداية بمعنى سؤال التثبيت وطلب حريد الهداية والثبات عليه لان اللطاف والهدايات من الله تعالى لا تنهاى قال الله تعالى والذين اشتهوا زادهم هدى الآية وقال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والهداية هي الارشاد والتوفيق والتبيين أو الالهام أو الدلالة بلطف على ما يوصل الى البغية ثم هي قديتعدى فعلها بنفسه كما هنا وكقوله وهديناه النجدين وقديتعدى بالي كقوله اجتباها وهدها الى صراط مستقيم وقوله فاهدوهم الى صراط الجحيم وانك لتهدى الى صراط مستقيم وقديتعدى باللام كقوله هداها لهدا وقوله يهدي للتي هي اقوم وقال الرخصي أصله ان يتعدى باللام أو بالي انتهى وفرق كثير من المتأخرين بين المتعدى بنفسه وغير المتعدى فقالوا معنى الاول الايصال ومعنى الثاني الدلالة والصراط بالصاد الخاصة لغة قریش وهي الجادة والسين قراءة ابن كثير في كل القرآن ويذكر ويؤث كالطريق والسبيل فالنذر كبر لغة تميم والتأنيث لغة الخجاز وجعه صرط وقد تشم الصاد صوت الزاي تحريا للقرن من المبدل منه وقد قرئ بهن جميعا وفصحاهن الصاد وهي الثابتة في الامام أي في مصحف عثمان رضي الله عنه ككاتبه وخطا المسمى اماما عند القراء والمفسرين وغيرهم فان الامام لغة ما يؤتم ويقتدى به فيتبع وان لم يكن من العقلاء ولهذا أطلق على اللوح والكتاب كما قال تعالى ومن قبله كتاب موسى اماما ورجلة فسمى الكتاب اماما على وجه وقد كان سنة ثلاثين لما سار حذيفة رضي الله تعالى عنه لبعض الغزوات وعاد قال لعثمان رضي الله تعالى عنه اني رأيت أمرا عجيبا رأيت الناس يقول بعضهم لبعض قراء في خير من قراءتك فان تركوا يختلفوا في القرآن فيكون لذلك أمر فجمع عثمان الصحابة رضي الله عنهم واستشارهم فاشاروا عليه بجمعهم على مصحف واحد فأرسل الى حفصة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها لترسل العجف لتنسخ وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه جعها لما كثر قبل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باليامة وهو الجمع الاول فأرسلها اليه فأمر عثمان رضي الله تعالى عنه زيد بن ثابت وابن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث فنسخوها في مصاحف اختلف في عددها كما في شرح الرأية للسخاوي رحمه الله تعالى وأرسل الى كل مصر مصحفا وخرق ماسواها فسمى كل من تلك المصاحف اما مالا المصحف الذي كان عند عثمان رضي الله تعالى عنه وحده كما قيل ذكره الخنابى والمستقيم المستوى والمراد به طريق الحق وملة الاسلام قال

لا بد له من مصدر فالك ان تقدر الفعل ومصدره وذلك بحسب الفعل الذي سميت قبله ان كان قايما أو قعودا أو كذا أو شربا أو قراءة أو وضوءا أو صلاة فالمشروع ذكر اسم الله في الشروع في ذلك كله تبركا وتيمنا واستعانة على الاتمام والتقبل والله أعلم ولهذا روى ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث بشر بن عمار عن أبي روق عن النخاع عن ابن عباس قال ان أول ما نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال يا محمد قل استعبد بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم قال قال له جبريل بسم الله يا محمد بقول اقرأتك كرا لله ربك وقم واقعدنك كرا لله تعالى لفظا من حروا ما مسئلة الاسم هو المسمى أو غيره ففهم الناس

ثلاثة أقوال أحدها أن الاسم هو المسمى وهو قول أبي عبيدة وسيبويه واختاره الباقلاني وابن قزوين وقال الرازي وهو محمد بن عمر المعروف بابن خطيب الرازي في مقدمات تفسيره قالت الحشوية والكرامية والأشعرية الاسم نفس المسمى وغير نفس التسمية وقالت المعتزلة الاسم غير المسمى ونفس التسمية واختار عندنا أن الاسم غير المسمى وغير التسمية ثم نقول إن كان المراد بالاسم هذا اللفظ الذي هو أصوات مقطعة وحروف مؤلفة فالعلم الضروري حاصل أنه غير المسمى وإن كان المراد بالاسم ذات المسمى (٣٢) فهذا يكون من باب إيضاح الواضحات وهو بحث فثبت أن

ابن كثير أجبت الأمة من أهل التأويل بجمع على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه وهو كذلك في لغة جميع العرب وعنى الله الخفيفة السجدة المتوسطة بين الإفراط والتفريط وعن جابر بن عبد الله أنه قال هو دين الإسلام وهو أوسع مما بين السماء والأرض وعن النحاس بن سمعان عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تغرقوا داع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال ويحك لا تفعله فأنك إن تفعله تلحقه فالصراط الإسلام والسوران حدود الله والأبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على رأس الصراط كذب الله والداعي من فوق وأعطى الله تعالى في قلب كل مسلم قال ابن كثير وهو اسناد حسن صحيح وعن ابن مسعود وهو كذب الله وقيل السنة والجماعة وعن أبي العباس هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبه من بعده وعن الفضيل بن عياض أنه طريق الحج وقيل معناه أحدنا صراط المستقيم الجنة وعن ابن عباس أن معناه ألهما بذلك الحق وهو الأولى باعتبار العموم (صراط الذين أنعمت عليهم) بدل كل من كل وفائدة التوكيد والتخصيص على أن صراط المسلمين هو المشهور عليه بالاستقامة والاستواء على أكد وجهه وأبلغه بحيث لا يذهب الوهم عند ذكره إلا إليه والآنعام إيصال النعمة والاحسان إلى الغير إذا كان من العقلاء ونعم الله تعالى مع استحالة احصائها ينحصر أصولها في ديني وآخرى وأطلقه ليشمل كل أنعام فإن نعمة الإسلام عنوان النعم كلها فمن فاز بها فقد حازها بهذا أفير حاتم المراد بالموصول هم الأربعة المذكورة في سورة النساء حيث قال ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وقال ابن عباس هم قوم موسى وعيسى الذين لم يغيروا ولم يبدلوا وقيل هم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وقيل هم الأنبياء خاصة وقيل مطلق المؤمنين والأول أولى وفيه الإشارة إلى الاقتداء بالسلف الصالح وهو غير التقليد (غير المغضوب عليهم) بدل كل من كل أي غير صراط الذين غضبت عليهم وهم اليهود لقوله تعالى فيهم من ألعنه الله وغضب عليه قال القرطبي الغضب في اللغة الشدة وفي صفة الله أراد العقوبة

الطوض في هذا البحث على جميع التقديرات يجرى مجرى العبت ثم شرع يستدل على مغايرة الاسم للمسمى بأنه قد يكون الاسم موجودا والمسمى متفوقا كلفظه المجدوم وبأنه قد يكون للشيء أسماء متعددة كما ترادفة وقد يكون الاسم واحدا والمسميات متعددة كالمسترك وذلك دال على تعابر الاسم والمسمى وأيضا فالاسم لفظ وهو عرض والمسمى قد يكون ذاتا محسوسة أو واجبة بذاتها وأيضا فلفظ النار والنج لو كان هو المسمى لوجد اللفظ بذلك حر النار أو برد النج وهو ذلك ولا بقوله عاقل وأيضا فقد قال الله تعالى والله الأسماء الحسنى فادعوه بها وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن لله تسعة وتسعين اسما فاعرفها أسماء كثيرة والمسمى واحد وهو الله تعالى وأيضا فقوله والله الأسماء أضافها إليه كما قال فسبح باسم ربك العظيم وهو ذلك فالإضافة تقتضي المغايرة وقوله تعالى فادعوه بها أي فادعوا الله باسمائه وذلك دليل على أنها غيره واحتج من قال الاسم هو

المسمى بقوله تعالى تبارك اسم ربك ذوالجلال والإكرام والتبارك هو الله تعالى والجواب أن الاسم معظم فهو أعظم الذات المقدسة وأيضا فإذا قال الرجل زينب طالق يعني امرأته طالت ولو كان الاسم غير المسمى لما رقع الطلاق والجواب أن المراد أن الذات المسماة بهذا الاسم طالت قال الرازي وأما التسمية فأنما جعل الاسم معينا لهذه الذات فيسمى غير الاسم وأيضا والله أعلم (الله) علم على الرب تبارك وتعالى يقال أنه الاسم الأعظم لأنه يوصف بجميع الصفات كما قال تعالى هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار

المتكبر سبحانه الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم
فأجرى الاسماء الباقية كلها صفات له كما قال تعالى والله الاسماء الحسنى فادعوه بها وقال تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما
تدعوا فله الاسماء الحسنى وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا
من أحصاها دخل الجنة وجاء تعداها في رواية الترمذي وابن ماجه وبين الروايتين اختلاف في زيادة ونقصان وقد ذكر الرازي في
تفسيره عن بعضهم أن لله خمسة آلاف اسم ألف في الكتاب والسنة (٣٣) الصحيحة وألف في التوراة وألف في الانجيل
وألف في الزبور وألف في اللوح

فهو صفة ذاته أو نفس العقوبة ومنها حديث أن الصدقة لتطفئ غضب الرب فهو صفة
فعله وغضب الله لا يلحق عصاة المؤمنين وإنما يلحق الكافرين والعدول عن اسناد الغضب
إلى تعالى كالانعام جرى على منهاج الآداب التنزيلية في نسبة النعم والخيرات إليه عز
وجل دون اضدادها وفي عليهم عشر لغات وكلها صواب قاله ابن الأنباري (ولا الضالين)
لأزائدة قاله الطبري والزحسري وقيل هي تأكيد حكمه مكي والمهدوي وقيل بمعنى غير قاله
الكوفيون والمحلي أي وغير الضالين عن الهدى وهم النصارى لقوله عز وجل قد ضلوا من
قبل الآية وأصل الضلال الغيبوبة والهالك ومنه ضل اللبن في الماء أي غاب وقال
القرطبي هو في لسان العرب الذهب عن سنن القصد وطريق الحق أخرج أحمد وعبد بن
جيد والترمذي وحسنه وابن حبان وصححه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن
المغضوب عليهم هم اليهود وإن الضالين النصارى ورواه أبو الشيخ عن عبد الله بن شقيق
جر فوعا وابن مردويه عن أبي ذر من له وبه قال ربيع بن أنس ومجاهد وابن جبير وإنما
سماها بالاختصاص ككل منها ما يغلب عليه وقيل أراد المغضوب عليهم بالبدعة
والضالين عن السنة قاله القرطبي وقيل اللفظ يعم الكفار والعصاة والمستدعة لقول
الله تعالى في القاتل عداو غضب الله عليه وقال فساد بعد الحق الإضلال وقال الذين
ضل سعيهم في الحياة الدنيا وقيل غير ذلك وأنت خير بأن جعل الموصول عبارة عما ذكر
من طائفة غير معينة محل بدلية ما أضيف إليه مما قبله فالمصير إلى التفسير النبوي
ستعين وهو الذي أطبق عليه أئمة التفسير من السلف قال ابن أبي حاتم لا أعلم خلافا
بين المفسرين في هذا التفسير ويشهد له آيات من القرآن كما تقدم قال القرطبي سورة
الفاتحة مشتملة على أربعة أنواع من العلوم هي مناط الدين أحدها علم الأصول واليه
الإشارة بقوله الحمد لله إلى الرحيم ومعرفة النبوات وهي قوله أنعمت عليهم ومعرفة
المعاد وهي قوله مالك يوم الدين وثانيها علم الفروع وأعظمه العبادات وهي أياك نعبد
والعبادة مالية وبدنية وثالثها علم الأخلاق وهو قوله أياك نستعين إلى المستقيم
ورابعها علم القصص والأخبار عن الأمم السالفة السعداء منهم والاشقياء وهو المراد بقوله
أنعمت عليهم إلى آخر السورة انتهى لمخصا وللأمامين الغزالي والرازي في تقرير اشتمالها
على علوم القرآن بسط كثير حتى استخرج الرازي منها عشرة آلاف مسئلة وأول

المحفوظ وهو اسم لم يسم به غيره
تبارك وتعالى ولهذا الأيعرف في
كلام العرب له اشتقاق من فصل
يفعل فذهب من ذهب من النخلة
إلى أنه اسم جامد لا اشتقاق له وقد نقله
القرطبي عن جماعة من العلماء
منهم الشافعي والخطابي وإمام
الحرمين والغزالي وغيرهم وروى
عن الخليل وسيبويه أن ألف واللا
فيه لازمة قال الخطابي ألا ترى
أنك تقول يا الله ولا تقول يا الرحمن
فلا والله من أصل الكلمة لما جاز
ادخال حرف التثنية على الألف
واللام وقيل أنه مشتق واستدلوا
عليه بقول روبة بن العجاج
لله در الغانيات للذة

سبحن واسترجعن من تألهي
فقد صرح الشاعر بلفظ المصدر
وهو التأله من آله ياله الهة وتألها كما
روى عن ابن عباس أنه قرأ أو يذكرك
والهتكت قال عبادك أي أنه كان
يعبد ولا يعبد وكذا قال مجاهد
وغيره وقد استدلل بعضهم على كونه
مشتقا بقوله تعالى وهو الله في
السموات وفي الأرض كما قال تعالى

(٥ ل - فتح البيان)
وهو الذي في السماء له وفي الأرض له ونقل سيبويه عن الخليل أن أصله اله مثل
فعال فدخلت الألف واللام بدلا من الهمزة قال سيبويه مثل الناس أصله أناس وقيل أصل الكلمة لاه فدخلت الألف واللام
للتعظيم وهذا اختيار سيبويه قال الشاعر لاه ابن عمك لا أفضل في حسب * عني ولا أنت دنائي فتخزوني قال القرطبي بالخاء
المججمة أي فتسوسني وقال الكسائي والقراء أصله إله حذفوا الهمزة وادغوا اللام الأولى في النائية كما قال لكان هو الله ربني أي
لكم أنا وقد أمأها كذلك الحسب قال القاطم ثم قنا هو مشتهر له إذا حمه إله ذهبا العقاب قال رخصا له وإله امرأته له

ومدلوله اذ ارسل في الخبراء قاله تعالى يحير أولئك والفكر في حقائق صفاته فعلى هذا يكون ولاده فادب الوادهمزة كما قالوا في
 وشاح اشاح ووسادة اسادة وقال الرازي وقبل انه مشتق من ألهمت الى فلان أى سكنت اليه فالتعقيل لا تسكن الا الى ذكره والارواح
 لا تفرح الا بعرفته لانه الكامل على الاطلاق دون غيره قال الله تعالى لا يدرك الله طمأنين القلوب الذين آمنوا وقال وقبل من لاه
 يلوها اذا احتجب وقبل اشتقاقه من آله الفصل أولع بآله والمعنى ان العباد مألوهون مولعون بالتضرع اليه في كل الاحوال قال وقبل
 مشتق من آله الرجل ياله اذا فرغ من مرزول (٢٤) به فآله اي اجاره فالجبر لجميع الخلائق من كل المضار هو الله سبحانه

لقوله تعالى وهو يحير ولا يحجار عليه
 وهو المنعم لقوله تعالى وما يكرم من
 نعمة في الله وهو المظم لقوله تعالى
 وهو يطم ولا يطم وهو الموجد
 لقوله تعالى قل كل من عند الله
 وقد اختار الرازي أنه اسم غير
 مشتق البتة قال وهو قول الخليل
 وسيبويه وأكثر الاصوليين
 والفقهاء ثم أخذ يستدل على ذلك
 بوجوه منها انه لو كان مشتقا لاشترك
 في معناه كثيرون ومنها أن بقية
 الاسماء تتركضات له فتقول الله
 الرحمن الرحيم الملك القدوس فدل
 انه ليس بمشتق قال فأما قوله تعالى
 العزيز الحميد الله على قراءة الجسر
 بفعل ذلك من باب عطف البيان
 ومنها قوله تعالى هل تعلم له سميا وفي
 الاستدلال بهذه على كون هذا الاسم
 جامدا غير مشتق نظروا الله أعلم وكنى
 الرازي عن بعضهم ان اسم الله
 تعالى عبراني لا عربي ثم ضعفه وهو
 حقيق بالتضعيف كما قال وقد حكى
 الرازي هذا القول ثم قال واعلم ان
 الخلائق قسمان واصولون الى
 ساحل بحر المعرفة ومحرومون قد
 بقوا في ظلمات الخيرة وتيه الجهالة

السورة مشتق على الجملة وآخرها على الهمزة عن الايمان وذلك يدل على ان
 مطلع الخيرات وعنوان السعادات هو الاقبال على الله ورأس الاقايق وأسس الخالقات
 هو الاعراض عنه والبعد عن طاعته وعاقبة ذلك الغضب والضلال واعلم ان السنة
 الصحيحة الصريحة الثابتة واترا قد دلت على مشروعية التأمين بعد قراءة الفاتحة في
 ذلك ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي عن وائل بن حجر قال سمعت رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقال آمين متبها صوته ولا يداود رفع
 بها صوته وقد حسنه الترمذي وأخرجه أيضا النسائي وابن أبي شيبه وابن ماجه والحاكم
 وصححه وفي لفظ من حديثه انه صلى الله عليه وآله وسلم قال رب اغفر لي آمين أخرجه
 الطبراني وأخرج مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي موسى قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم اذا قرأ يعني الامام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين
 يحبك الله وأخرج البخاري ومسلم وأهل السنن وأحمد وابن أبي شيبه وغيرهم ان رسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا آمن الامام فامتنوا فان من وافق تأمينة تأمين
 الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه زاد الجرجاني في آماله وما تأخر قيل هم الحفظة وقيل
 غيرهم من الملائكة ويعني الذنوب الصغار دون الكبائر وفي الباب احاديث بين صحيح منها
 وضعيف وآمين اسم فعل بمعنى اللهم اسبح واسبح لنا وتقبل عنا كثر أهل العلم قاله
 القرطبي وفي الصحاح معناه كذلك فليكن وبه قال ابن عباس وعنه قال قلت يا رسول
 الله ما معني آمين قال رب افعل آخر جد جويبر في تفسيره وعن هلال بن يساف ومجاهد
 قالوا آمين اسم من أسماء الله وقال الترمذي معناه لا تخيب رجائنا وقيل هو خاتم الله على
 عبادته يدفع به عنهم الاثم رواه الطبراني عن علي بن سعيد ضعيف وعنه صلى الله عليه وآله
 وسلم انه كان يتم على الكتاب رواه أبو داود والاولى قيل وليس من القرآن انما عبد ليل
 انه لم يثبت في المصاحف وفيه لغتان المد وهو اسم أعجمي لانه بزنة قابيل وهابيل والقصر
 على وزن عيين قال مجنون ليل

يارب لا تسلبني خيرا أبدا * ويرحم الله عبدا قال آمينا

أي بالمد وقال جبريل اسأل فطمعا

تباعدي عن فطعل اذ سأله * آمين فزاد الله ما بيننا بعدا

فكانهم قد فقدوا عقولهم وأرواحهم وأما الواجدون فقد وصلوا الى عرصة النور وسمحة الكبرياء والجلال فذكره
 فتأهوا في ميادين الصمدية وبادوا في عرصة الفردانية فثبت ان الخلائق كلها والهون في معرفته وروى عن الخليل بن أحمد انه
 قال لان الخلق بالهون النسب ينصب اللام وكسر الهاء الغتان وقبل انه مشتق من الارتقاء فكأن العرب تقول لكل شيء صم ترفع لاه
 وكأقوا يقولون اذا طلعت الشمس لاهت وقبل انه مشتق من آله الرجل اذا تعبد وتأه اذا تنك وقرأ ابن عباس ويذكر والهيئت
 وأصل ذلك الاله خذفت الهمزة التي هي فاء الكلمة فالتقت اللام التي هي عينها مع اللام الزائدة في أولها التعريف فادغمت

أحدهما في الأخرى فصارت في اللفظ لا ما واحدة مشددة ونفخت تعظيما فقبل الله (الرحمن الرحيم) اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ورجح أشد مبالغة من رحيم وفي كلام ابن جرير ما يفهم منه حكاية الاتفاق على هذا وفي تفسير بعض السلف ما يدل على ذلك كما تقدم في الأثر عن عيسى عليه السلام أنه قال والرحمن رحمن الدنيا والآخرة والرحيم رحيم الآخرة وقد زعم بعضهم أنه كان غير مشتق اذ لو كان كذلك لاتصل بك المرحوم وقد قال وكان المؤمنون رحيماء وحكي ابن الأنباري في الزاهر عن المبرد أن الرحمن اسم عبراني ليس بعربي وقال أبو اسحق الزجاج في معاني (٢٥) القرآن وقال أحمد بن يحيى الرحيم عربي والرحمن

عبراني فلهذا اجتمع بينهما قال أبو اسحق وهذا القول مرغوب عنه وقال القرطبي والدليل على أنه مشتق ما أخرجه الترمذي وصححه عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته قال وهذا نص في الاشتقاق فلا معنى للمخالفة والشقاق قال وانكار العرب لاسم الرحمن لجهلهم بالله وبما وجب له قال القرطبي ثم قيل هما بمعنى واحد كندمان ونديم قاله أبو عبيد وقيل ليس بناء فعلان كفعيل فان فعلان لا يقع الاعلى مبالغة الفعل نحو قولك رجل غضبان للرجل المملئ غضبا وفعيل قد يكون بمعنى الفاعل والمفعول قال أبو علي الفارسي الرحمن اسم عام في جميع أنواع الرحمة يختص به الله تعالى والرحيم اغما هو من جهة المؤمنين قال الله تعالى وكان بالمؤمنين رحيماء وقال ابن عباس هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من

فذكره مقصورا قال الجوهرى وتشديد الميم خطأ ولكنه روى عن الحسن وجعفر الصادق التشديد به قال الحسن بن الفضل من أم إذا قصد أي نحن قاصدون خيرك يا الله وهو مبني على الفتح مثل أين وكيف لاجتماع الساكنين ويقال منه آمن فلان تأمينا وهذه الكلمة لم تكن قبلنا الاموسى وهرون كذا ذكر الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن أنس بن مالك مرفوعا وقيل بل هي خاصة بهذه الامة لما روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما حسد تكلم اليهود على شيء ما حسد تكلم على السلام والتأمين أخرجه ابن ماجه وفي الباب أحاديث وقد اختلف أهل العلم في الجهر بها وفي أن الامام يقولها أم لا وذلك مبين في موطنه وكذلك اختلفوا في وجوب قراءة الفاتحة فذهب جمهور العلماء منهم مالك والشافعي وأحمد إلى وجوبها وانها متعينة في الصلاة لا تجزئ الا بها لقوله صلى الله عليه وآله وسلم لا صلاة لمن لم يقرأ فيها ب فاتحة الكتاب أخرجه الدارقطني وقال اسناده صحيح والكلام في هذا يطول وقد بينه الشوكاني في نيل الاوطار وأوضحناه في مسك الختام وسيأتي ان شاء الله تعالى في آخر الاعراف شيء مما يتعلق بهذا المقام هذا وقد اتفق أهل العلم على أن أعظم المقصود من تنزيل الكتاب العزيز هو اخلاص التوحيد لله عز وجل وقطع علائق الشرك كائنة ما كانت وذلك لا يحتاج الى ان تنقل فيه أقوال الرجال أو يستدل عليه بالدلة فانه الامر الذي بعث الله لاجله رسله وأنزل فيه كسبه وفي هذا الاجال ما يغني عن التفصيل ومن شك في هذا فعليه بالتفكير في القرآن الكريم فانه سيجد من أعظم مقاصده وأكبر موارده ان يحجز عن ذلك فليحظر في سورة من سورته فان قلت اريد منك مثالا اقتدى به وأمشى على طريقته وأهتدى الى التفكير الذي أرشدني اليه بتقديم النظر فيه فنقول هاشم بن قنبر المسافة ونسمل عليك ما استصعبته هذه فاتحة الكتاب العزيز التي يكررها كل مصل في كل صلاة ويفتح بها التالى لكتاب الله والمتعلم له فان فيها الارشاد الى اخلاص التوحيد في ثلاثين موضعا ١ الاول قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم فان

الآخر أى أكثر رحمة ثم حكى عن الخطابي وغيره انهم استشكلوا هذه الصفة وقالوا العله أرفق كما في الحديث ان الله رفيق يحب الرفق في الامر كله وانه يعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف وقال ابن المبارك الرحمن اذا سئل أعطى والرحيم اذا لم يسئل يغضب وهذا كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وابن ماجه عن حديث أبي صالح الفارسي الخوزي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه وقال بعض الشعراء

الله يغضب ان تركت سؤاله * وبني آدم حين يسئل يغضب وقال ابن جرير حدثنا السري بن يحيى التميمي حدثنا عثمان

ابن زفر سمعت العزري يقول الرحمن الرحيم قال الرحمن لجميع الخلق الرحيم قال بالمؤمنين قالوا ولهذا قال ثم استوى على العرش
الرحمن وقال الرحمن على العرش استوى فذكر الاسماء باسمه الرحمن ليعلم جميع خلقه برحمته وقال وكان بالمؤمنين رحمة خاصة لهم
باسم الرحيم قالوا فدل على ان الرحمن أشد مبالغته في الرحمة لعمومها في الدارين لجميع خلقه والرحيم خاصة بالمؤمنين لكن جـ في
الدعاء المأثور ربحن الدنيا والآخرة ورحيم ما واسمه تعالى الرحمن خاص به لم يسم به غيره كما قال تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن
أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى وقال تعالى (٣٦) وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أن جعلنا من دون الرحمن آلهة

يعبدون ولما تجهرهم مسيلة الكذاب
وتسمى برجن اليمامة كساه الله
جلباب الكذب وشهر به فلا يقال
له الامسيلة الكذاب فصار يضرب
به المثل في الكذب بين أهل الحضرة
من أهل المدر وأهل الزور من أهل
البادية والاعراب وقد زعم بعضهم
ان الرحيم أشد مبالغته من الرحمن
لانه أكذبه والمؤكد لا يكون الا
أقوى من المؤكد والجواب ان هذا
ليس من باب التاكيد وانما هو
من باب التعت ولا يلزم فيه ما ذكره
وعلى هذا فيكون تقدير اسم الله
الذي لم يسم به أحد غيره ووصفه
أولا بالرحمن الذي منع من التسمية
به لغيره كما قال تعالى قل ادعوا الله
أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله
الاسماء الحسنى وانما تجهرهم
مسيلة اليمامة في التسمية به ولم يتابعه
على ذلك الا من كان معه في الضلالة
وأما الرحيم فانه تعالى وصف به غيره
حيث قال لقد جاءكم رسول من
أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص
عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم كما
وصف غيره بذلك من أسمائه كما قال
تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة

علماء المعاني والبيان ذكروا أنه يقدر المتعلق متأخر اليقيد اختصاص البداية باسم الله
تعالى لا باسم غيره وفي هذا المعنى ما لا يخفى من اخلاص التوحيد * الثاني والثالث الاسم
الشريف أعني لفظ الله عز وجل فان مفهومه كما حققه علماء هذا الشأن الواجب الوجود
المختص بجميع المحامد فكان في هذا المفهوم إشارة الى اخلاص التوحيد أحدهما تفرد
بوجوب الوجود وثانيهما اختصاصه بجميع المحامد فاستفيد من الاسم الشريف الذي
أضيف اليه لفظ اسم هذان الامران * الرابع تحلية الرحمن باللام فانه من أدوات
الاختصاص سواء كانت موصولة كما هو شأن آله التعريف اذا دخلت على المشتقات او
بجرد التعريف كما يكون اذا دخلت على غيرهما من الاسماء والصفات وقد أوضح هذا
المعنى أهل البيان بما لا مزيد عليه * الخامس اللام الداخلة على قوله الرحمن والكلام
فيها كالكلام في الرحمن * السادس اللام الداخلة على قوله الحمد لله فانه تفيد ان كل
حمده لا يشار كفه فيه غيره وفي هذا أعظم دلالة على اخلاص توحيد * السابع لام
الاختصاص الداخلة على الاسم الشريف وقد تقرر ان الحمد هو البناء باللسان على الجليل
الاختصاص لقصد التعظيم فلا ثناء الا عليه ولا جليل الا منه ولا تعظيم الا له وفي هذا من
أدلة اخلاص التوحيد ما لا يقادر قدره * الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر
والثاني عشر قوله رب العالمين فان لفظ الرب باعتبار معناه الغوى مشعر بآتم اشعار
باخلاص توحيد هذه باعتبار معناه الافرادى دون الاضافى ثم في معناه الاضافى دلالة
أخرى فان كونه رب العالمين يدل على ذلك أبلغ دلالة ثم في لفظ العالمين معنى ثالث لنا تقرر
لغة وشرا أن العالم هو اسم لما عدا الله عز وجل فيدخل في هذا كل شيء غير الله سبحانه
فلا رب غيره وكل ما عداه فهو مربوب وصيغ الحصر اذا تتبعنا من كتب المعاني والبيان
والتفسير والاصول بلغت ثلاث عشرة صيغة قصا اعدا من شئ في هذا فدلنا بتبع كشاف
الخنشري فانه سيجد فيه ما ليس له ذكر في كتب المعنى والبيان كالقلب فانه جعله من
مقتضيات الحصر ولعله ذكر ذلك عند تفسيره للطاغوت وغير ذلك مما لا يقتضى المقام
بسطة ومع الاطاحة بصيغ الحصر المذكورة تكثرا لا ذلة الدلالة على اخلاص التوحيد
وابطال الشرط بجميع أقسامه ولو أراد رجل أن يجمع ما ورد في هذا المعنى من الكتاب
والسنة لكان مجلدا ضخما ثم في تعريفه باللام معنى رابع كمثل ما قد سافنا في تفيد زيادة

أتمشاج بنبيه فجعلناه سمع عابصير والحاصل ان من أسمائه تعالى ما يسمي به غيره ومنها ما لا يسمي به غيره كاسم
الله والرحمن والخالق والرازق ونحو ذلك فلهذا ابد باسم الله ووصفه بالرحمن لانه أخص وأعرف من الرحيم لان التسمية أولا
انما تكون بأشرف الانشاء فلهذا ابتداء بالخص فالأخص فان قيل فإذا كان الرحمن أشد مبالغته فهلا اكتفى به عن الرحيم فقد روى
عن عطاء الخراساني ما معناه انه لما تسمى غيره تعالى بالرحمن جـ بلفظ الرحيم ليقطع الوهم بذلك فانه لا يوصف بالرحمن الرحيم الا الله
تعالى كذا روى ابن جرير عن عطاء ووجهه بذلك والله أعلم وقد زعم بعضهم ان العرب لا تعرف الرحمن حتى رد الله عليهم ذلك بقوله

فل ادعوا الله او ادعوا الرحمن آياتا تدعوا اقله الاسماء الحسنى ولهذا قال كفار قرين يوم الحديبية لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل اصكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا لانعرف الرحمن ولا الرحيم رواه البخاري وفي بعض الروايات لانعرف الرحمن اليامة وقال تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا والظاهر ان انكار هذا التماهوجور وعناد وتعت في كفرهم فانه قد وجد في أشعارهم في الجاهلية تسمية الله تعالى بالرحمن قال ابن جرير وقد أنش بعض الجاهلية الجهال ألاخرت تلك الفتاة هجيمها * الاقضب الرحمن ربي (٣٧) يمينها وقال سلامة بن جندب الطهور

عجلم علينا ان يجعلنا عليكم

وما يشاء الرحمن يعقد ويطلق

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريد

حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا

ابن عماره حدثنا أبو روق

الغفالي عن عبد الله بن عباس قال

الرحمن الغفيلان من الرحمة وهو

من كلام العرب قال الرحمن الرحيم

الرفيق الرقيق بن أحب أن يرج

والبعيد الشديد على من أحب أن

يعنف عليه وكذلك اسماءؤه كله

وقال ابن جرير أيضا حدثنا محمد

ابن بشار حدثنا حماد بن مسعود

عن عوف عن الحسن قال الرحمن

اسم ممنوع وقال ابن أبي حاتم

حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد

القطان حدثنا زيد بن الحباب

حدثني أبو الأشهب عن الحسن

قال الرحمن اسم لا يستطيع الناس

أن يتكلموه تسمى به تبارك وتعالى

وقد جاء في حديث أم سلمة ان رسول

الله صلى الله عليه وسلم كان يقطع

قراءته حرفا خفا بسم الله الرحمن

الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن

الرحيم مالك يوم الدين فقرا بعضهم

كذلك وهم طائفة ومنهم من

الاختصاص وتقرر ذلك المفهوم في هذا الموضع ثم في صيغة الجمع معنى خامس بزيادة
تأكيد وتقرير فان العالم ان كان اسما للمعبود الله لم يكن جمعه المثل هذا المعنى وعلى
فرض انه دمه باللام فهو لا يقتضي ذهاب هذا المعنى المستفاد من أصل الجمع * الثالث
عشر والرابع عشر قوله الرحمن الرحيم وتقرير الكلام فيهما كما سلف * الخامس عشر
* والسادس عشر * قوله مالك يوم الدين فان لفظ مالك معناه الافرادى من غير نظر الى
معناه الاضافى يفيد استحقاقه باخلاص توحيد ثم في معناه الاضافى الى يوم الدين معنى
ثان فان من كان له الملك في مثل هذا اليوم الذى هو يوم الجزاء لكل العباد وفيه يجتمع العالم
أولهم وآخرهم سابقهم ولحقهم جنهم وانسهم وملائكتهم فيه اشارة الى استحقاقه
اخلاص توحيد * السابع عشر ما يستفاد من نفس لفظ الدين من غير نظر الى كونه
مضافا اليه * الثامن عشر ما يستفاد من تعريفه فان في ذلك زيادة حاظنة وشمول فان
ذلك الملك اذا كان في يوم هو يوم الدين الذى يشتمل على كل دين كان من له هذا الملك حقيقا
بان يخلص العباد توحيدوه ويفردونه بالعبادة كما تقرر بعلمك يوم له هذا الشأن فان قلت ان
هذين المعنيين الكائنين في لفظ الدين باعتبار أصله وباعتبار تعريفه قد أخذ في المعنى
الاضافى حسما ذكره سابقا قلت لا تراحم بين المقتضيات ولا يستكر النظر الى الشئ
باعتبار معناه الافرادى تارة وباعتبار معناه الاضافى اخرى وليس ذلك بممنوع ولا محجور
عند من يعرف العلم الذى تستفاد منه فائق العربية واسرارها وهم أهل علم المعاني
والبيان * التاسع عشر والموفى عشرين والحادى والعشرون قوله اياك نعبد فان تقديم
الضمير معمو لا للفعل الذى بعده يفيد اختصاص العبادة به ومن اختص بالعبادة فهو
الحقيق باخلاص توحيد ثم مادة هذا الفعل أعني لفظ نعبد تفيد معنى آخر ثم المحي مبنون
الجماعة الموجبة لكون هذا الكلام صادرا عن كل من تقوم به العبادة من العابدين
كذلك فكأن الدلالات في هذه الجملة ثلاثا الاولى في اناك مع النظر الى الفعل الواقع
بعده الثانية ما تفيد مادة نعبد مع ملاحظة كونها واقعة لمن ذلك الضمير عبارة عنه
واشارة اليه الثالثة ما تفيد النون مع ملاحظة الاخرين المذكورين ولا تراحم بين
المقتضيات (الثاني والعشرون والثالث والعشرون والرابع والعشرون) قوله واياك
نستعين فان تقديم الضمير معمو لا لهذا الفعل له معنى ثم مادة هذا الفعل لها معنى آخر فان

وضاها بقوله الحمد لله رب العالمين وكسرت الميم لا لبقاء الساكنين وهم الجمهور وحكى الكسائي من الكوفيين عن بعض العرب
انها تقرأ بفتح الميم وصله الهمزة فيقولون بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين فتعولوا حركة الهمزة الى الميم بعد تسكينها كما قرئ
قوله تعالى الم الله لا اله الا هو قال ابن عطية ولم ترد هذه قراءة عن أحد فيما علمت (الحمد لله رب العالمين) القراءة السبعة على ضم الدال
في قوله الحمد لله هو مبتدأ وخبر وروى عن سفيان بن عيينة ورؤبة بن النخاح انها ما قالوا الحمد لله بالنصب وهو على اضماعه وقرأ
ابن أبي عمير الحمد لله بضم الدال واللام اتباعا للثاني الاول وله شواهد لكنه شاذ وعن الحسن وزيد بن علي الحمد لله بكسر الدال

اسماع الاول الثاني قال ابو جعفر بن جرير معنى الحمد لله الشكر لله فالصا دون سائر ما يعبد من دونه ودون كل ما برأ من خلقه بما
أنعم على عباده من النعم التي لا يحصى العدد ولا يحيط بعددها غيره أحد في تصحيح الآلات لطاعته وتصحيح جوارح أجهام
المكلفين لأداء فرائضه مع ما يبطئهم في دنياهم من الرزق وغداهم به من نعم العيش من غير استحقاق منهم ذلك عليهم مع ما تبهم
عليه ودعاهم اليه من الاسباب المؤدية الى دوام الخلود في دار المقام في النعم المقيم فليزنا الحمد على ذلك كله أولا وآخرا وقال ابن
جرير رحمه الله الحمد لله شاء أني به على نفسه (٣٨) وفي ضمنه أمر عباده أن يتوا عليه فكأنه قال قولوا الحمد لله قال وقد قيل ان

قول المقاتل الحمد لله شاء عليه
باسمائيه الحسنى وصفاته العلى
وقوله الشكر لله شاء عليه بنعمه
وأياديه ثم شرع في رد ذلك بما حاصله
ان جميع أهل المعرفة بلسان العرب
يوقعون كلاما من الحمد والشكر مكان
الآخرة وقد نقل السلي هذا المذهب
انهم ساءوا عن جعفر الصادق وابن
عطاء من الصوفية وقال ابن
عباس الحمد لله كلمة كل شاكرك وقد
استدل القرطبي لابن جرير بجملة
قول المقاتل الحمد لله شكر او هذا
الذي اقتناه ابن جرير فيه نظر لانه
اشتهر عند كثير من العلماء من
المتأخرين ان الحمد هو الثناء بالقول
على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية
والشكر لا يكون الا على المتعدية
ويكون بالحنان واللسان والاركان
كما قال الشاعر

أفادتكم النعماء مني ثلاثة

يدى ولسانى والضمير المحجبا
ولكنهم اختلفوا أيهما أعم الحمد
أو الشكر على قولين والتحقيق ان
بينهما عموما وخصوصا فالحمد أعم
من الشكر من حيث ما يقعان
عليه لانه يكون على الصفات اللازمة

من كان لا يستعان بغيره لا ينبغي ان يكون له شريك بل يجب افراده بالعبادة واخلاص
توحيده اذ وجوده من لا يتعان به كعدمه وتقرير الكلام في الثلاث الدلالات كتقريره في
الملك تعبد فلا يعبد (الخامس والعشرون والسادس والعشرون والسابع والعشرون)
قوله اخذنا الصراط المستقيم فان طلب الهداية منه وحده باعتبار ركوز هذا النعم واقعا
بعد الفعلين اللذين تقدم معسولهما فكان له حكمهما وان كان قد تغير أسلوب الكلام في
الجملة حيث لم يقل نستهدى او نطلب الهداية حتى يصح ان يكون ذلك الضمير المتقدم
المنسوب معمولا له تقدير الكن مع بقاء مخاطبة وعدم اخروج وعمما يقتضيه لم يقطع
النظر عن ذلك الضمير الواقع على تلك الصورة لتوسطه بين هذا الفعل اعني اخذنا وبين
من أسند اليه ثم في ضمير الجماعة معنى يشير الى استحقاقه سبحانه اخلاص التوحيد
على الوجه الذي قد ساند في الفعلين السابقين ثم في كون هذه الهداية هي هداية الصراط
المستقيم التي هي الهداية بالحقيقة ولا اعتبار بهداية الى صراط لا استقامة فيه معنى
ثالث يشير الى ذلك المدلول (الثامن والعشرون) قوله صراط الذين أنعمت عليهم فان
من يهدي الى هذا الصراط الذي هو صراط من أنعم الله عليهم يستحق أن لا يشتغل بغيره
ولا ينظر الى سواه لان الاصل الى طرائق النعم هو المقصود من المنى والمراد بمحركات
السائرين وذلك كناية عن الوصول الى النعم نفسها اذ لا اعتبار بالوصول الى طرائقها من
دون وصول اليها فكان وقوع الهداية على الصراط المستقيم نعمة بمنجرت دالات الاستقامة
اذا نصرت عند تصور الاعوجاج كأن فيها راحته هذا الاعتبار فكيف اذا كان ذلك كناية
عن طريق الحق فكيف اذا كان حقا ووصلا الى الفوز بمع الله سبحانه (التاسع
والعشرون) قوله غير المغضوب عليهم ووجه ذلك ان الوصول الى النعم قد يكون منعصا
مكدر باشيئ من غضب المنعم سبحانه فاذا صفا ذلك عن هذا الكدر وانضم الى النظر بالنعم
النظر عما هو أحسن منها موقع عند العارفين وأعظم قدرا في صدور المتقين وهو رضاء رب
العالمين كان في ذلك من البهجة والسرور ما لا يمكن التعبير عنه ولا الوقوف على حقيقته
ولا تصور معناه واذا كان المولى لهذه النعمة والمفضل بها هو الله تعالى ولا يقدر على ذلك
غيره ولا يتمكن منه سواه فهو المستحق لاخلاص توحيد وافراده بالعبادة (المرفق
ثلاثين) قوله ولا الضالين ووجهه أن الوصول الى النعم مع الرضاء قد يكون مشوبا بشيئ

من حيث ما يقعان
من
والمتعدي بقوله لغرضه وحده لكرمه وشراخص لانه لا يكون الا بالقول والشكر أعم من حيث ما يقعان
عليه لانه يكون بالقول والفعل والنية كما تقدم وهو أخص لانه لا يكون الا على الصفات المتعدية لا يقال شكرته لغرضه
ويقول شكرته على كرمه واحسانه الى هذا حاصل ما حرره بعض المتأخرين والله أعلم وقال أبو نصر اسمعيل بن حماد
الجوهري الحمد نقيض الذم تقول حمدت الرجل أحمده حمدا او محمدا فهو حميد ومحمود والثناء بدأ ببلغ من الحمد والحمد أعم من
الشكر وقال في الشكر هو الثناء على المحسن بما أولاه من المعروف يقال شكرته وشكرت له وبالآدم أفصح وأما الملاح فيؤرأهم من

الحمد لأنه يكون العبي والحمد أيضا كما يدح الطعام والمكان ونحو ذلك ويكون قبل الاحسان وبعده وعلى الصفة المتعدية والازمة أيضا فهو أعم (ذكر أقوال السلف في الحمد) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو معمر القطيعي حدثنا حنف عن ججاج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال عمر رضي الله عنه قد علمنا سبحان الله ولا اله الا الله فما الحمد فقال على كلمة رضيها الله لنفسه ورواه غير أبي معمر عن حفص فقال قال عمر لعلي وأصحابه عنده لا اله الا الله وسبحان الله والله أف قد عرفنا ما الحمد لله قال على كلمة أحبها الله تعالى لنفسه ورضيها لنفسه (٣٩) وأحب أن يقال وقال على بن زيد بن جعدان:

يوسف بن مهران قال ابن عبد الله الحمد كلمة الشكر وإذا قال الع الحمد لله قال شكرني عبد يروى ابن أبي حاتم وروى أيضا هو وأبو جري من حديث بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن عباس أنه قال الحمد لله هو الشكر هو الاستجداء له والاقبال به نعمته وهدايته وابتدائه وغير ذلك وقاب كعب الاحبار الحمد لله ثمانية وقال الضحاك الحمد لله رداء الرجاء وقد ورد الحديث بنحو ذلك قال ابن جرير حدثنا سعيد بن عمر السكوني حدثنا بقيق بن الوليد حدث عيسى بن ابراهيم عن موسى بن أبي حبيب عن الحكم بن عمير وكانت له صحبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قلت الحمد لله رب العالمين فقد شكرت الله فزاد وقد روى الامام أحمد بن حنبل حدثنا روح حدثنا عوف عن الحسن بن الاسود بن سريع قال قلت يا رسول الله ألا أنشدك محمد جدت بهار بن تبارك وتعالى فقال أما إن ربك يحب الحمد ورواه النسائي عن علي بن حجر عن ابن

من الغواية مكدرا بنوع من أنواع المخالفة وعدم الهداية وهذا باعتبار أصل الوصول الى نعمة من النعم مع رضا المنعم بها فإنه لا يستلزم سبب كون المنعم عليه على ضلالة لا باعتبار هذه النعمة الخاصة من هذا المنعم عز وجل ولما كان الامر في الأصل هكذا كان في وصول النعم الى المنعم عليه من النعم بهام كونه راضيا عليه غير غاضب عنه إذا كان ذلك الوصول معصوبا يكون صاحبه على ضلالة في نفسه قصور عن وصولها الى من كان جامع بين كونه واصلا الى المنعم فائزا برضا المنعم عليه خالصا من كدر كونه في نفسه على ضلالة وتقرير الدلالة من هذا الوجه على اخلاص التوحيد كتقريرها في الوجه الذي قبله فهذه ثلاثون دليلا مستفادة من سورة الفاتحة باعتبار ما يستفاد من تراكيها العربية مع ملاحظة ما يفيد ما اشتبكت عليه من تلك الدقائق والاسرار التي هي راجعة الى العلوم الآلية وداخلية فيما تقتضيه تلك الالفاظ بحسب المادة والهيئة والصورة مع قطع النظر عن التفسير بمعنى خاص قاله بعض السلف أو وقف عنده من بعدهم من الخلف فان قلت هذه الأدلة التي استخرجتها من هذه السورة المباركة وبلغت بها الى هذا العدد وجعلتها ثلاثين دليلا على مدلول واحد لم نجد ذلك في اسلف ولا سبقك بها غيرك قلت * هذى شهادة ظاهر عنك عارها واعتراض غير واقع وموقعه ولا مصادف محزه فان القرآن عربي وهذا الاستخراج لما ذكرناه من الأدلة هو على مقتضى اللغة العربية وبحسب ما تقتضيه علومها التي دونها الثقات ورواها العدول الاثبات وليس هذا من التفسير بالرأى الذي ورد انتهى عنه والزجر لفاعله بل من الفهم الذي يعطاه الرجل في كتاب الله كما أشار اليه على بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في كلامه المشهور وما كان من هذا القبيل فلا يحتاج فيه الى سلف وكنفي باغة العرب وعلومها المدونة بين ظهري الناس وعلى ظهر البسيطة سلفا وبالجملة فهذه ثلاثون موضعا في فاتحة الكتاب يفيد كل واحد منها اخلاص التوحيد مع أن فاتحة الكتاب ليست الا سبع آيات فإظنك بما في سائر الكتاب العزيز فذكرنا لهذه المواضع في فاتحة الكتاب كالبهران على ما ذكرناه من أن في الكتاب العزيز من ذلك ما يطول تعداده وتتعسر الاحاطة به

(سورة البقرة)

عليه عن يونس بن عبيد عن الحسن بن الاسود بن سريع به وروى أبو عيسى الحافظ الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث موسى بن ابراهيم بن كثير عن طلحة بن خراش عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم افضل الذكرا لا اله الا الله افضل الدعاء الحمد لله وقال الترمذي حسن غريب وروى ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله الا كان الذي أعطى أفضل مما أخذ وقال القرطبي في تفسيره وفي نوادر الاصول أن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو أن الدنيا جند أفرها في بدر حاربته أمة ثم قال الحمد لله كما كان الحمد لله ١١٠

قال القرطبي وغيره أي لكان الهامه الحمد لله أكثر نعمة عليه من نعم الدنيا لأن ثواب الجذل لا ينقضي ونعيم الدنيا لا يبقى قال الله تعالى
 المال والنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيراً أملاً وفي سنن ابن ماجه عن ابن عمر أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم حدثهم أن عباد الله قال يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك فعضلت بالملكين فلم
 يدريا كيف يكتبانها فقصدها إلى الله فقال لا يربنا إن عبد الله قال بمقالة لا ندري كيف نكتبها قال الله وهو أعلم بما قال عبده ماذا قال
 عبدي قال لا يربنا قال لك الحمد يا رب كما ينبغي (٤٠) لجلال وجهك وعظيم سلطانك فقال الله لهما اكسباها كما قال عبدي حتى

يلقاني فأجزيه بها وحكى القرطبي
 عن طائفة منهم قالوا قول العبد
 الحمد لله رب العالمين أفضل من قوله
 لا اله الا الله لا شئ الا الحمد لله رب
 العالمين على التوحيد مد مع الحمد
 وقال آخرون لا اله الا الله أفضل
 لأنها التفصيل بين الايمان والكفر
 وعليها يقاتل الناس حتى يقولوا لا اله
 الا الله كما ثبت في الحديث المتفق
 عليه وفي الحديث الآخر أفضل
 ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا اله
 الا الله وحده لا شريك له وقد تقدم
 عن جابر مرفوعاً أفضل الذكرك لا اله
 الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله وحسنه
 الترمذي والاف واللام في الحمد
 لاستغراق جميع أجناس الحمد
 وصنوفه لله تعالى كما جاء في الحديث
 اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله
 ويدك الخير كله والسيد يرجع
 الأمر كله الحديث ثم الرب هو
 المالك المتصرف ويطلق في اللغة
 على السيد وعلى المتصرف للاصلاح
 وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى
 ولا يستعمل الرب لغير الله بل بالإضافة
 تقول رب الدار رب كذا وأما الرب
 فلا يقال الا لله عز وجل وقد قيل انه

قال القرطبي مدينة نزلت في مدد شئ وقيل هي أول سورة نزلت بالمدينة الآية قوله تعالى
 واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله فانها آخر آية نزلت من السماء ونزلت يوم النحر في يوم
 حجة الوداع يعني قاله ابن عباس وآيات الربا أيضاً من آخر ما نزل من القرآن وقد ورد
 في فضلها أحاديث وآثار كثيرة في الصباح والسحر وغيرهما من فضائلها ما هو خاص بآية
 الكرمي وما هو خاص بخواتيم هذه السورة وما هو في فضلها وفضل آل عمران وما هو
 في فضل السبع الطوال وليلطلب ذلك من موطنه وهي مائتان وست وقيل وسبع
 ومائتان آية قال ابن العربي فيها ألف أمر وألف نهى وألف حكم وألف خبر أخذها بركة
 وتركها حيرة لا تستطيعها البطالة وهم السحرة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) قال القرطبي اختلف أهل التأويل في الحروف التي في أوائل السور فقال الشعبي
 وسفيان الثوري وجماعة من المحدثين هي سمر الله في القرآن والله في كل كتاب من كتبه سر
 فهي من المتشابه الذي انشأ الله بعلمه ولا نخب أن تكلم فيها ولكن تؤمن بها وتؤمن بها كما
 نطقت وروى هذا القول عن أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب قال وذكر أبو الليث
 السمرقندي عن عمرو وعثمان وابن مسعود أنهم قالوا الحروف المقطعة من المكثوم الذي
 لا يفسر وفائدة ذكرها طلب الايمان بها ولا يلزم البحث عنها فهي مما استأثر الله بعلمه
 وقال ابو حاتم لم نجد الحروف في القرآن الا في أوائل السور ولا ندري ما أراد الله عز وجل
 وقال جمع من العلماء كثير بل نخب أن تكلم فيها ولتس الفوائد التي تحتمل المعاني التي
 تخرج عليها واختلفوا في ذلك على أقوال عديدة فروى عن ابن عباس وعلي أيضاً أن
 الحروف المقطعة من القرآن اسم الله الاعظم الا أنها لا تعرف تأليف منها وقال قطرب
 والمبرد والقراء وغيرهم واختاره جمع عظيم من المحققين هي إشارة إلى حروف الهجاء
 أعلم الله بها العرب حين تحداهم بالقرآن أنه مؤلف من الحروف التي بنى كلامهم عليها
 ليكون يحزهم عنه أبلغ في الحجة عليهم اذ لم يخرج عن كلامهم قال قطرب كانوا يتفرون عند
 استماع القرآن فلما نزل الم المص استذكروا هذا اللفظ فلما أنصتوا له صلى الله عليه
 وآله وسلم أقبل عليهم ثم بالقرآن المؤلف ليثبت في أسماعهم وأذانهم ويقم الحجة عليهم

وقال
 الاسم الاعظم والعالمين جمع عالم وهو كل موجود سوى الله عز وجل والعالم جمع لا واحد له من لفظه والغوام أضاف
 الخلق في السموات وفي البر والبحر وكل قرن منها وجعل يسمى عالماً أيضاً قال بشر بن عمار عن أبي روق عن الصادق عن ابن
 عباس الحمد لله رب العالمين الحمد لله الذي له الخلق كله السموات والارض وما بينهن مما نعلم ومما لا نعلم وفي رواية سعيد بن
 جبيرة وعكرمة عن ابن عباس رب الجن والانس وكذلك قال سعيد بن جبيرة ومجاهد وابن جرير وروى عن علي بن فضال عن ابن أبي
 حاتم بإسناد لا يعتمد عليه واستدل القرطبي لهذا القول بقوله تعالى ليكون للعالمين نذيراً وهم الجن والانس قال القراء وأبو عبيد

العالم عبارة عما يعقل وهم الانس والجن والملائكة والشياطين ولا يقال للبهائم عالم وعن زيد بن أسلم وأبي محيصة العالم كل ماله روح ترفرف وقال قتادة رب العالمين كل صنّف عالم وقال الحافظ ابن عساكر في ترجمة ابن مروان بن الحكم وهو أحد خلفاء بني أمية وهو يعرف بالجعد ويلقب بالجارانة قال خلق الله سبعة عشر ألف عالم أهل السموات وأهل الارض عالم واحد وسائرهم لا يعلمهم الا الله عز وجل وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى رب العالمين قال الانس عالم والجن عالم وما سوى ذلك ثمانية عشر ألفاً وأربعة عشر ألف عالم هو يشك الملائكة على الارض (٤١) وللارض أربع زوايا في كل زاوية ثلاثة

آلاف عالم وخمسة عالم خلقهم الله لعبادته رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وهذا كلام غريب يحتاج مثله الى دليل صحيح وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الفرث يعني ابن الوليد عن معتب بن سمي عن سبيع يعني الحميري في قوله تعالى رب العالمين قال العالمين ألف أمة فسمّيت في البحر وأربع مائة في البر وحكي مثله عن سعيد بن المسيب وقدروى نحو هذا امر فوعا كما قال الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى في مسنده حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبيد بن واقد القيسي أبو عباد حدثنا محمد بن عيسى بن كيسان حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قل الجراد في سنة من سني عمر التي ولي فيها فسأل عنه فلم يخبر بشيء فاعتم لذلك فأرسل راجلاً يضرب الى اليمن وآخر الى الشام وآخر الى العراق يسأل هل رأى من الجراد شيء أم لا قال فأتاه الركب الذي من قبل اليمن بقبضة من جراد فألقاها بين يديه فلما رآها كبر ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

وقال جماعة هي حروف دالة على أسماء أخذت منها وحذفت بعينها كقول ابن عباس وغيره الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد وذهب الى هذا الزجاج فقال أذهب الى أن كل حرف منها يؤتى عن معنى وقد تكلمت العرب بحروف مقطعة كقوله فقلت لها قني فقلت قاف أي وقفت وفي الحديث من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة قال شقيق هو أن يقول في اقتل أق كما قال صلى الله عليه وآله وسلم كني بالسيف شأى شافيا وقال بعضهم الالف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والمعنى ان الله الواحد أنزل ثلاثين جزءاً من القرآن على محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما بلغ أربعين سنة التي بعثه عندها الى الخلق وقال زيد بن أسلم هي أسماء للسور وقال السكبي هي أقسام أقسم الله بها لشرعها وفضلها وهي من أسمائه وقيل ان النطق بالحروف أنفسمها كانت العرب مستوية فيها بخلاف النطق بأسمائها وهو خاص بمن خط وقرأ والأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم أمي فأتى بها كذلك زيادة في الإيجاز وقيل غير ذلك مما لا يأتي عليه الحصر وقد ذكر شرطاً منها الرازي في تفسيره ومن أدق ما أبرزه المتكلمون في معاني هذه الحروف ما ذكره الزمخشري في الكشف حيث قال انك اذا تأملت ما أورده الله عز سلطانه في القوائم من هذه الاسماء وجدت ما نصف أسامي حروف المجيم أربعة عشر سواء وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المجيم ثم اذا نظرت في هذه الاربعة عشر وجدت ما مشتملة على أنصاف أجناس الحروف بيان ذلك ان في ما من الميم خمسة نصفها الصاد والكاف والياء والسين والحاء ومن الميم خمسة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والسين والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنقطة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلة نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء ثم اذا استقرت الكلم وتراكبها رأيت الحروف التي ألغى الله ذكرها

(٦ ل - فتح البيان)

خلق الله ألف أمة سمّيت في البحر وأربع مائة في البر فاؤل شيء يهلك من هذه الامم الجراد فاذا غلثت تابعت مثل النظام اذا قطع سلكه محمد بن عيسى هذا وهو الهلالي ضعيف وحكي البغوي عن سعيد بن المسيب انه قال لله ألف عالم سمّيت في البحر وأربع مائة في البر وقال وهب بن منبه لله ثمانية عشر ألف عالم الدنيا عالم منها وقال مقاتل العوالم ثمانون ألفاً وقال كعب الاحبار لا يعلم عدد العوالم الا الله عز وجل نقله كذا البغوي وحكي القرطبي عن أبي سعيد الخدري انه قال ان لله أربعين ألف عالم الدنيا من شرقها الى مغربها عالم واحد منها وقال الزجاج العالم كل ما خلق الله في الدنيا والاخرة قال

القرطبي وهذا هو الصحيح انه شامل لكل العالمين كقوله قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين والهالم مستق من العلامة (قلت) لانه علم دال على وجود خالقه وصانعه ووحدايته كما قال ابن المعتز فيا عجبا كيف يعصى الاله أم كيف يمجده الجاحد وفي كل شيء آية تدل على انه واحد وقوله تعالى الرحمن الرحيم تقدم الكلام عليه في البسطة بما أغنى عن الاعادة قال القرطبي انه اوصف نفسه بالرحمن الرحيم بعد قوله رب العالمين ليكون من باب قرن الترغيب بعد التهيب كما قال تعالى اني عبادي اني انا الغفور الرحيم وأن عذابي (٤٢) هو العذاب الاليم وقوله تعالى ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور

رحيم قال فالرب فيه ترهيب والرحمن الرحيم ترغيب وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في جنسه أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رجته أحد (مالك يوم الدين) قرأ بعض القراء ملك يوم الدين وقرأ آخرون مالك وكلاهما صحيح متواتر في السبع ويقال مالك بكسر اللام وباسكانه او يقال ملك أيضا وأشبع نافع كسرة الكاف فقرأ ملكي يوم الدين وقد رجح كلا من القراءتين مرجحون من حيث المعنى وكلاهما صحيحة حسنة ورجح الرخيشري ملك لانها قراءة أهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم قوله الحق وله الملك وحكي عن أبي حنيفة انه قرأ ملك يوم الدين على انه فعل وفاعل ومفعول وهذا اذا غريب جدا وقد روى أبو بكر بن أبي داود في ذلك شيئا غريبا حيث قال حدثنا أبو عبد الرحمن الأزدي حدثنا عبد الوهاب بن عدي بن الفضل عن أبي المطرف عن ابن شهاب انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

من هذه الاجناس المعدودات ككثورة بالمد ككثرة منها فجان الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت أن معظم الشيء وجد لا ينزل منزلة كله وهو المماثل للطاقات التنزيل واختصاراته فكان الله عز اسمه عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلالهم اشارة الى ما ذكرت من التبيكيت لهم والزام الحجة اياهم ومما يدل على انه تعمد بالذ كر من حروف المعجم أكثرها وقوعا في تراكيب الكلم ان الالف واللام لما تكررا وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والاعراف والردو يونس وابراهيم وهود ويوسف والخروج انتهى وتبعه في ذلك جماعة من أهل التفسير منهم الخازن والنسفي والبيضاوي والخطيب وأبو السعود وغيرهم (أقول) هذا التدقيق لا يأتي بفائدة يعتد بها ويبيانه انه اذا كان المراد منه الزام الحجة والتبيكيت كما قال فهذا امتيسر بأن يقال لهم هذا القرآن هو من الحروف التي يتكلمون بها ليس من حروف مغايرة لها فيكون هذا تكييلا والزام ايفهمه كل سامع منهم من دون الغاز وتعمية وتفریق لهذه الحروف في فواتح تسع وعشرين سورة فان هذا مع ما فيه من التطويل الذي لا يستوفيه سامعه الالسماع جميع هذه الفواتح هو أيضا مما لا يفهمه أحد من السامعين ولا يتعقل شيئا منه فضلا أن يكون تكييلا والزام الحجة اياه فان ذلك هو أمر وراء الفهم مترتب عليه ولم يفهم السامع هذا ولا ذكر أهل العلم عن فرد من أفراد الجاهلية الذين وقع التحدى لهم بالقرآن أنه بلغ فهمه الى بعض هذا فضلا عن كله ثم كون هذه الحروف مشتقة على النصف من جميع الحروف التي تركبت لغة العرب منها وذلك النصف مشتقا على أنصاف تلك الأنواع من الحروف المتصفة بتلك الاوصاف هو أمر لا يتعلق به فائدة لجاهلي ولا اسلامي ولا مقرر ولا منكر ولا مسلم ولا معارض ولا يصلح أن يكون بقصد من مقاصد الرب سبحانه الذي أنزل كتابه لا لارشاد الى شرائعه والهداية به وذهب ان هذه صناعة عجيبة ونكتة غريبة فليس ذلك مما يتصف ببساطة ولا بلاغة حتى يكون مفيدا أنه كلام بليغ او فصيح وذلك لان هذه الحروف الواقعة في الفواتح ليست من جنس كلام العرب حتى تتصف بهذين الوصفين وغاية ما هناك انها من جنس حروف كلامهم ولا مدخل لذلك فيما ذكرنا أيضا لو فرض أنها كلمات مترتبة بتقدير شيء قبلها أو بعدها لم يصح وصفها بذلك لانها تعمية غير مفهومة للسامع

الا وايا بكر وعمر وعثمان ومعوية وابنه يزيد بن معاوية كانوا يقرؤون مالك يوم الدين قال ابن شهاب وأول من أحدث ملك مروان قلت مروان عنده علم بصحة ما قرأه لم يطالع عليه ابن شهاب والله أعلم وقد روى من طرق متعددة أو ردها بن مردويه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأها مالك يوم الدين ومالك ما أخذ من الملك كما قال تعالى اننا نحن نزلت الارض ومن عليها والينا يرجعون وقال قل أعوذ برب الناس ملك الناس ومالك ما أخذ من الملك كما قال تعالى اننا نحن نزلت الارض ومن عليها وقال الملائكة يومئذ الحق للرحمن وكان يومنا على الكافرين عسيرا وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه لانه

قد تقدم الاخبار بانه رب العالمين وذلك عام في الدنيا والاخرة وانما اضيف الى يوم الدين لانه لا يدعى أحد خذناك شيئا ولا يتكلم أحد
الا بآذنه كما قال تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وقال تعالى وخشعت الاصوات
للرحمن فلا تسمع الا همسا وقال تعالى يوم يأتي لا تكلم نفس الا بآذنه فنهتم شق وسعيد وقال الضمالة عن ابن عباس مالك يوم الدين
يقول لا يملك أحد معه في ذلك اليوم حكما كلكهم في الدنيا قال ويوم الدين يوم الحساب للخالق وهو يوم القيامة يدنيهم بأعمالهم
ان خير الخسيران شرافتمن الامن عقابته وكذلك قال غيره من الصحابة (٤٣) والتابعين والسلف وهو ظاهر وحكى ابن

جرير عن بعضهم انه ذهب الى ان
تفسير مالك يوم الدين انه القادر على
اقامته ثم شرع بضعفه والظاهر
لا مسافة بين هذا القول وما تقدم
وان كلامنا القائلين لهذا القول
وبما قبله يعترف بصحة القول الا
ولا ينكره ولكن السياق أدل على
المعنى الاول من هذا كما قال تعالى
المالك يومئذ الحق للرحمن وكان يوم
على الكافرين عسيرا والقول الثاني
يشبه قوله تعالى ويوم يقول كم
فيكون والله أعلم والمالك في الحقيقة
هو الله عز وجل قال الله تعالى هو الله
الذي لا اله الا هو الملك القدوس
السلام وفي الصحيحين عن أبي
هريرة رضي الله عنه عن قوعا اخذ
اسم عند الله رجل يسمى بعلل
الاملاء ولا مالك الا الله وفيه ما
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يقبض الله الارض ويطوى
السماء بيمنه ثم يقول انا الملك اير
مسألة الارض أين الجبارون اير
المتكبرون وفي القرآن العظيم لمن
المالك اليوم لله الواحد القهار قام
تسمية غيره في الدنيا ملك فغلى سبيل
الحجاز كما قال تعالى ان الله قد بعث

الابان يأتي من يريد يانها بمثل ما يأتي به من اراد بيان الاغاز والتعمية وليس ذلك من
الفصاحة والبلاغة في ورود ولا صدر بل من عكسها وضد رسمها واذ اعرفت هذا
فاعلم ان من تكلم في بيان معاني هذه الحروف جاز ما بان ذلك هو ما اراده الله عز وجل
فقد غلط أجمع الغلط وركب في فهمه ودعواه أعظم الشطط فانه ان كان تفسيره لها بما
فسرناه راجعا الى لغة العرب وعلومها فهو كذب بحت فان العرب لم يتكلموا بشيء من
ذلك واذ سمعنا السامع منهم كان معدودا عنده من الرطانة ولا ينافي ذلك انهم قد
يقصرون على حرف أو حرف من الكلمة التي يريدون النطق بها فانهم لم يفعلوا ذلك
الا بعد ان تقدمه ما يدل عليه ويقدم معناه بحيث لا يلتبس على سامعه كمثل ما تقدم ذكره
ومن هذا القبيل ما يقع منهم من الترخيم وأين هذه الفواتح الواقعة في أوائل السور من
هذا واذ اتقرر لك انه لا يمكن استفادة ما تدعونه من لغة العرب وعلومها لم يبق حينئذ الا
أحد أمرين الاول التفسير بمحض الرأي الذي ورد النسخ عنه والوعيد عليه وأهل العلم
أحق الناس بتجنبه والصد عنه والنكس عن طريقه وهم أتقى لله سبحانه من أن يجعلوا
كتاب الله سبحانه لمعبدة لهم يتلاعبون به ويضعون جماعات أنظارهم وخزعات
أفكارهم عليه الثاني التفسير بتوقيف عن صاحب الشرع وهذا هو المهيض الواضح
والسبيل القويم بل الخاتمة التي ماسواها مردوم والظريفة العاصرة التي ماعداها
مهدوم فمن وجد شيئا من هذا فغير ملوم أن يقول بل فيه ويتكلم بما وصل اليه عمله
ومن لم يبلغه شيء من ذلك فليقل لا أدري أو الله أعلم بما راده فقد ثبت النهي عن طلب فهم
المتشابه ومحاوله الوقوف على علمه مع كونه ألفاظا عربية وترا كيب مفهومة وقد جعل
الله تتبع ذلك صنيع الذين في قلوبهم زيغ فكيف بما نحن بصدد فانه ينبغي أن يقال فيه
انه متشابه المتشابه على فرض ان للفهم النسبة سبيل ولا كلام العرب فيه مدخلا فكيف
وهو خارج عن ذلك على كل تقدير وانظر كيف فهم اليهود عند سماع الم فأنهم لما لم يجدوها
على نطق لغة العرب فهموا أن الحروف المذكورة رمز الى ما يصلحون عليه من العدد
الذي يجعلونه لها كما أخرج ابن اسحق والجاري في تاريخه وابن جرير بسند ضعيف عن
ابن عباس عن جابر بن عبد الله قال مر أبو ياسر بن أخطب في رجال من يهود بنو رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة الم ذلك الكتاب لا ريب فيه فأتى

لكم طالوت ملكا وكان وراءهم ملك وفي الصحيحين مثل الملوكة على الاسرة اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا والذين الجزا
والحساب كما قال تعالى يومئذ يوفى لهم الله دينهم الحق ويعلمون وقال أنما لدينون أي محزونون محاسبون وفي الحديث الكيس من دان
نفسه وعمل لما بعد الموت أي حاسب نفسه لنفسه كما قال عمر رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزوا أنفسكم قبل أن
توزنوا وتأهبوا للعرض الاكبر على من لا تخفى عليه أعمالكم يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية (اياله نعبدا ويا له نستعين) قرأ
السبعة والجمهور بتشديد الياء من اياه وقرأ عمرو بن فايد تخفيفها مع الكسر وهي قراءة شاذة مر دودة لان اياضه الشمس وقرأ

بعضهم أياك بفتح الهمزة وقرأ بعضهم أياك بفتح الهمزة وتشديد ألياء قرأ بعضهم هياك بالهااء بدل الهمزة كما قال الشاعر
 فيهاك والأمر الذي أن تراجبت موارده ضاقت عليك مصابره ونستعين بفتح النون أول الكلمة في قراءة الجميع سوى
 يحيى بن وثاب والاعمش فانهما كسرا ما وهي لغة بني أسد وربعه وبني عقيم والعبادة في اللغة من الذلة يقال طربن معبودا ويعبر معبود
 أي مذال وفي الشعر عبارة عما يصبح كمال المحبة والخضوع والخوف وقدم المفعول وهو أياك وكرر اللاحق مقام والحصر أي لا نعبد
 إلا أياك ولا نتوكل إلا عليك وهذا هو كمال (٤٤) الطاعة والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين وهذا كما قال بعض السلف

الفاشحة سر القرآن وسر شاعده
 الكلمة أياك نعبد وأياك نستعين
 فالأول تبر من الشرك والثاني
 تبر من الحول والقوة والتفويض
 إلى الله عز وجل وهذا المعنى في غير
 آية من القرآن كما قال تعالى فاعبد
 ولو كل عليه وما ربك بغافل عما
 تعملون قل هو الرحمن أسانه وعليه
 توكلنا رب المشرق والمغرب لا اله
 الا هو فاتخذ وكلا وكذلك هذه
 الآية الكريمة أياك نعبد وأياك
 نستعين وتحول الكلام من الغيبة
 إلى المواجهة بكاف الخطاب وهو
 مناسبة لأنه لما أتى على الله فكأنه
 اقترب وحضر بين يدي الله تعالى
 فلهذا قال أياك نعبد وأياك نستعين
 وفي هذا دليل على أن أول السورة
 خبر من الله تعالى بالثناء على نفسه
 الكريمة بمجمل صفاته الحسنى
 وارشاد لعباده بأن يشروا عليه بذلك
 ولهذا الانصاح صلاة من لم يقل ذلك
 وهو قادر عليه كما جاء في الصحيحين
 عن عبادة بن الصامت قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة
 لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب وفي صحيح
 مسلم من حديث العلاء بن عبد

أخاه حي بن أخطب في رجال من اليهود فقال تعلمون والله لقد سمعت محمدا يقول فيما أنزل
 عليه الم ذلك الكتاب فقال أنت سمعته فقال نعم فشي حي في أولئك النفر إلى رسول الله صلى
 الله عليه وآله وسلم فقالوا يا محمد ألم يذكرك أنك تتلو فيما أنزل عليك الم ذلك الكتاب قال بلى
 قالوا آجلك بهذا جبريل من عند الله قال نعم قالوا لقد بعث الله من قبلك الأنبياء ما نعلمه
 بين نبي منهم مائة ملة ملكه وما أجل أمته غيرك فقال حي بن أخطب وأقبل على من كان
 معه الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة أفقدت دخولون في
 ديني انما ملة ملكه وأجل أمته إحدى وسبعون سنة ثم أقبل على رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم فقال يا محمد هل مع هذا غيره قال نعم قال وما ذلك قال المص قال هذه أثقل
 وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون فهذه إحدى وستون
 ومائة سنة هل مع هذا يا محمد غيره قال نعم قال وما ذلك قال المص قال هذه أثقل وأطول الألف
 واحدة واللام ثلاثون والراء مائة ثمان هذه إحدى وثلاثون سنة ومائة ثمان فيل مع هذا غيره
 قال نعم المص قال فهذه أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والراء
 مائة ثمان فهذه إحدى وسبعون سنة ومائة ثمان ثم قال لقد لبس علينا أمر يا محمد حتى
 ما ندري أقلب لأعطيت أم كثيرا ثم قام فقال أبو ياسر لا خيسه حي ومن معه من الأخبار
 ما يدريكم لعلة قد جمع هذا الحمد كله إحدى وسبعون واحدة وستون ومائة واحدة
 وثلاثون ومائة ثمان واحدة وسبعون ومائة ثمان فذلك سبع مائة وأربع وثلاثون سنة فقالوا
 لقد تشابه علينا أمره فزعزعون أن هذه الآيات نزلت فيهم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه
 آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فانظر ما بلغت إليه أفيأماهم من هذا الأمر
 المختص بهم من عدد الحروف مع كونه ليس من لغة العرب في شيء وتأمل أي موضع أحق
 بالبيان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذا الموضع فان شؤلاء الملاعين قد جعلوا
 ما فهموه عند سماع الم ذلك الكتاب من ذلك العدد موجبا للتشبيط عن الاجابة له والدخول
 في شريعته فلو كان ذلك معنى يعقل ومدلول يفهم لدفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 ما ظنوه بآدي بدعي حتى لا يأتا عنه ما جأوا به من التشكيك على من معهم فان قلت هل ثبت
 عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الفواتح شيء يصلح للتشكيك به قلت لا أعلم أن
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تكلم في شيء من معانيها بل غاية ما ثبت عنه هو مجرد

الرحمن مولى الخرقه عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين
 عبدي نصفين نصفهما في ونصفها العبدى ولعبدى ما سأل اذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله جدي عبدي واذا قال الرحمن
 الرحيم قال الله اتني على عبدي فاذا قال سالت يوم الدين قال الله مجدني عبدي واذا قال أياك نعبد وأياك نستعين قال هذا بيني وبين
 عبدي ولعبدى ما سأل فاذا قال اخذنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا العبدى
 ولعبدى ما سأل وقال الفخالك عن ابن عباس رضي الله عنهما أياك نعبد يعني إلى نوحدر ونخاف ونرجو لا يربنا غيرك وأياك نستعين

على طاعتك وعلى أمورنا كلها وقال قتادة أياك نعبد وأياك نستعين بأمركم أن تخلصوا له العبادة وأن تستعينوا على أموركم وأنما
قدم أياك نعبد على وأياك نستعين لأن العبادة له هي المقصودة والاستعانة وسيلة إليها والخدم تقديم ما هو الأهم فالأهم
والله أعلم فان قيل فإمعن النون في قوله تعالى أياك نعبد وأياك نستعين فان كانت للجمع فالداعي واحد وان كانت للتعظيم فلا
يناسب هذا المقام وقد أجيب بان المراد من ذلك الاخبار عن جنس العباد والمصلى فرد منهم ولا سيما ان كان في جماعة أو أياك نعبد
فاخبر عن نفسه وعن أخوانه المؤمنين بالعبادة التي خلقوا لاجلها وتوسط لهم ٤٥

عدد حروفها فاخرج البخاري في تاريخه والترمذي وصححه والحاكم وصححه عن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة
بعشر أمثالها لا أقول الح حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف وله طرق عن ابن
مسعود وأخرج ابن أبي شيبة والبراء بن سفيان عن عوف بن مالك الأشجعي نحوه
مرفوعا فان قلت هل روى عن الصحابة شيء من ذلك بأسناد متصل بقائله أم ليس إلا ما تقدم
من حكاية القرطبي عن ابن عباس وعلى قلت قدر روى عن ابن مسعود أنه قال الح حرف
اشقت من حروف اسم الله وعنه قال هي اسم الله الاعظم وعن ابن عباس في قوله المرحم
ون قال اسم مقطع وعنه في فواتح السور قال هو قسم أقسمه الله وهو من أسماء الله وعن
الربيع بن أنس قال ألف مفتاح اسمه الله ولام مفتاح اسمه لطيف وميم مفتاح اسمه مجيد
وقدر روى نحوه هذه التفاسير عن جماعة من التابعين فيهم عكرمة والشعبي والسدي وقتادة
ومجاهد والحسين فان قلت هل يجوز الاقتداء بأحد من الصحابة قال في تفسير شيء من
هذه الفواتح قولنا صح أسناده إليه قلت لا لما قدمنا إلا أن يعلم أنه قال ذلك عن علم أخذه
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان قلت هذا مما لا يحال للاجتهاد فيه
ولا مدخل للغة العرب فلم لا يكون له حكم الرفع قلت تنزيل هذا من نزلة المرفوع وان قال
به طائفة من أهل الأصول وغيرهم فليس مما يشترح له صدور المنصفين ولا سيما إذا كان
في مثل هذا المقام وهو التفسير لكلام الله سبحانه فانه دخول في أعظم الخطر مما لا يبرهان
عليه صحيح الاجر وقولهم انه يبعد من الصحابي كل البعد ان يقول بحض رأيه فيما لا يحال
للاجتهاد فيه وليس محذور هذا الاستبعاد بسوغا للوقوع في خطر الوعيد الشديد على انه
يمكن أن يذهب بعض الصحابة الى تفسير بعض المتشابه كما تجده كثيرا في تفاسيرهم المنقولة
عنهم وتجعل هذه الفواتح من جملة المتشابه ثم ههنا مانع آخر وهو ان المروي عن الصحابة في
هذا يختلف متناقض فان علمنا بما قاله أحدهم دون الآخر كان تحكما لا وجه له وان علمنا
بالجميع كان عملا بما هو مختلف متناقض ولا يجوز ثم ههنا مانع غير هذا المانع وهو أنه لو كان
شيء مما قالوه مأخوذا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تفقوا عليه ولم يختلفوا كسائر
ما هو مأخوذ عنه فلما اختلفوا في هذا علمنا انه لم يكن مأخوذا عن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم ثم لو كان عندهم شيء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا المأثر كواحاكيته عنه

للتعظيم كأن العبد قيل له اذا كنت
داخل العبادة فانت شريف وجاهك
عريض فقل أياك نعبد وأياك
نستعين وان كنت خارج العبادة
فلا تقل نحن ولا فعلنا ولو كنت في
مائة ألف أو ألف ألف لا احتياج
الجميع الى الله عز وجل وفقيرهم اليه
ومنهم من قال أياك نعبد أياك نستعين
التواضع من أياك عبدنا لما في
الثاني من تعظيم نفسه من جعله نفسه
وحداه أهلا لعبادة الله تعالى الذي
لا يستطيع أحد أن يعبده حق عبادته
ولا يثنى عليه كما يليق به والعبادة
مقام عظيم يشرف به العبد لا تتساوى
الى جناب الله تعالى كما قال بعضهم
لا تدعى إلا بعباده

فانه أشرف أسمائي
وقد سمي الله رسوله صلى الله عليه
وسلم بعبده في أشرف مقاماته فقال
الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب
وانه لما قام عبد الله يدعوه سبحانه
الذي أسرى بعبده ليلا فسماه عبدا
عندنا له عليه وعند قيامه في الدعوة
واسرائيه وأرسله الى القيام
بالعبادة في أوقات يضيق صدره من
تكذيب المخالفين حيث يقول

ولقد علم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وقد حكى الرازي في
تفسيره عن بعضهم ان مقام العبودية أشرف من مقام الرسالة لكون العبادة تصدر من الخلق الى الحق والرسالة من الحق الى
الخلق قال ولان الله يتولى مصالح عبده والرسول يتولى مصالح أمته وهذا القول خطأ والتوجيه أيضا ضعيف لا حاصل له
ولم تعرض له الرازي بضعيف ولا رد وقال بعض الصوفية العبادة اما التحصيل ثواب أو درء عقاب قالوا وهذا ليس بباطل
اذ مقصوده بتحصيل مقصوده واما للتشريف بتكاليف الله تعالى وهذا أيضا عندهم ضعيف بل العالي ان يعبد الله لذاته المقدسة

المرب رفة بالسؤال قالوا لهذا يقول المسأل أصلى لله ولو كان لتحصيل الثواب ردد العقاب لبطلت الصلاة وقد ردد ذلك عليهم
آخرون وقد كانوا كون العبادة لله عز وجل لا ينافي أن يطلب معها ثوابا ولا يدفع عذابا كما قال ذلك الاعرابي أما متى لا احسن دندستك
ودندسته معاذنا أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم حولنا ندين (اخذنا الصراط المستقيم) قراءة
البحر والصاد وقرئ الصراط وترى بالراي قال الفراء هي لغة بني عذرة وبني كلب لما تقدم النشاء على المسؤل تبارك وتعالى
نائب ان يعقب بالسؤال كما قال نصفه في ال (٤٦) ونصفها العبدى والعبدى ما سأل وهذا أكمل أحوال السائل ان

يسدح مسؤله ثم يسأل حاجته
ومحاجة اخوانه المؤمنين بقوله
اخذنا الصراط المستقيم لأنه أخرج
للحاجة وأخرج للاجابة وليد الأرشد
الله البسه لأنه الاكمل وقد يكون
السؤال بالخبايا عن حال السائل
راحته حاجته كما قال موسى عليه
السلام رب انى لما أنزلت الى من خير
فقير وقد تقدمه مع ذلك وصف
مسؤل كقول ذى النون لا اله الا انت
سبحانك انى كنت من الظالمين وقد
يكون عجزا للنشاء على المسؤل كقول
الشاعر

أأذكر حاجتى أم قد كفانى

حباؤك ان شئتك الحبا

اذا أنى عليك المرء يوما

كفاه من تعرضه النشاء

والهداية ههنا الارشاد والتوفيق

وقد تعدى الهداية بنفسها كما هنا

اخذنا الصراط المستقيم فتضمن معنى

ألهنا أو وقفنا أو أزرقتنا أو أعطنا

رحمينا ناه النجدين أى بيناه الخير

والشر وقد تعدى بالى كقوله

تعدى اجنياه وهداه الى صراط

مستقيم فاهدوهم الى صراط الخيم

وذلك بمعنى الارشاد والدلالة

ورفعه اليه لاسيما عند اختلافهم واضطراب أقوالهم في مثل هذا الكلام الذى لا مجال
للغة العرب فيه ولا مدخل لها ولا يقال قد اختلفوا فى غيره من الاحكام فيلزم عدم الاخذ به
لانا نقول اختلافهم فى ذلك من قبيل الاخذ بالاحص أو الاعم أو المتقدم أو المتأخر وفى
كثير مما اختلفوا فيه ان علومنا النص تركوا ذلك بخلاف ما هنا والله تعالى أعلم والذى أراه
لنفسى ولكل من أحب السلامة واقتضى بسلف الائمة ان لا يتكلم بشئ من ذلك مع
الاعتراف بأن فى انزالها حكمته لله عز وجل لا تبلغها عقولنا ولا تهتدى اليها أفهامنا وإذا
انتهت الى السلامة فى مدالك فلا تجاوز وسأق لناعند تفسير قوله تعالى منه آيات محكمات
هن أم الكتاب وأخر متشابهات كلام طويل الذيل وتحقيق تقبله صحاحات الافهام
وسليمات العقول (ذلك الكتاب) أى القرآن وقيل فيه اضممار أى هذا الكتاب الذى
وعدت به أو وعدت به على لسان موسى وعيسى أن أنزله عليك قال ابن عباس فى الآية
يعنى هذا الكتاب وبه قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة والسدى ومقاتل وزيد بن أسلم
وابن جرير وحكاة البخارى عن أبى عبيدة والاشارة الى الكتاب المذكور بعده والعرب قد
تستعمل الاشارة الى البعيد الغائب مكان الاشارة الى القريب الحاضر ومنه قوله تعالى
ذلك عالم الغيب والشهادة وقوله تلك حجتنا آتيناها ابراهيم وقوله تلك آيات الكتاب وقوله
ذلكم حكم الله قال أبو السعود وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للإيدان
بعلو شأنه وكونه فى الغاية القاصية من الفضل والشرف انتهى وقيل ان الاشارة الى غائب
واختلف فى ذلك الغائب فقيل هو الكتاب الذى كتب على الخلائق بالسعادة والشقاوة
والاجل والرزق وقيل الكتاب الذى كتبه الله على نفسه فى الازل كما فى صحيح مسلم عن ابى
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما قضى الله الخلق كتب فى كتاب على
نفسه فهو موضوع عنده ان رحتى تغلب غضبى وفى رواية سبقت وقيل الاشارة الى ما قد
نزل بمكة وقيل الى ما فى التوراة والانجيل وقيل الى قوله قبله الم وربحه الزمخشري وقد وقع
الاختلاف فى ذلك الى تمام عشرة أقوال حسبما حكاها القرطبي وأرجحها ما صدرناه
والكتاب مصدر بمعنى المكتوب وأصله الضم والجمع ومنه يقال الجند كتيبة لاجتماعها
والكتاب يجمع الحروف بعضها الى بعض وهو اسم من أسماء القرآن (لأريب فيه) أى
لاشك فيه أنه من عند الله وأنه الحق والصدق وقيل هو خبر بمعنى النهى أى لا ترتبوا فيه

وكذلك قوله وانك لتهدى الى صراط مستقيم وقد تعدى باللام كقول أهل الجنة الحمد لله الذى هدانا لهذا والريب

أى وقفنا لهذا وجعلناه أهلا وأما الصراط المستقيم فقال الامام أبو جعفر بن جرير أجمعت الامة من أهل التأويل جميعا على ان
الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذى لا اعوجاج فيه وذلك فى لغة جميع العرب فن ذلك قول جرير بن عطية الخطفى
أمير المؤمنين على صراط اذا عوج الموارد مستقيم قال والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصر قال ثم تستعير العرب الصراط
تستعمله فى كل قول وعمل ووصف باستقامة أو اعوجاج فتصف المستقيم باستقامته والمعوج باعوجاجه ثم اختلفت عبارات

المفسر من من السلف والخلف في تفسير الصراط وان كان يرجع حاصلها الى شيء واحد وهو المتابعة لله وللرسول فروى انه كتاب الله قال ابن ابي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثني يحيى بن يعان عن حمزة الزيات عن سعيد وهو ابن المختار الطائي عن ابن اخي الحرث الاور عن الحرث الاور عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصراط المستقيم كتاب الله وكذلك رواه ابن جرير من حديث حمزة بن حبيب الزيات وقد تقدم في فضائل القرآن فيما رواه احمد والترمذي من رواية الحرث الاور عن علي مرفوعا وهو حبل الله المتين وهو الذر الحكيمة وهو (٤٧) الصراط المستقيم وقد روى موقوفاً على علي رضي الله عنه وهو أشبه والله أعلم

وقال الثوري عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال الصراط المستقيم كتاب الله وقيل هو الاسلام قال الضحاك عن ابن عباس قال قال جبريل لمحمد عليهما السلام قل يا محمد اهدنا الصراط المستقيم يقول ألهما الطريق الهادي وهو دين الله الذي لا اعوجاج فيه وقال ميمون بن مهران عن ابن عباس في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم قال ذلك الاسلام وقال اسمعيل ابن عبد الرحمن السدي الكبير عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اهدنا الصراط المستقيم قالوا هو الاسلام وقال عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر اهدنا الصراط المستقيم قال هو الاسلام أو سجع مما بين السماء والارض وقال ابن الحنفية في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم قال هو دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم اهدنا الصراط المستقيم قال

والرب الشك مع التهمة مصدر وهو قلق النفس واضطرابها ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك رية وان الصدق طمأنينة ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه وقيل الريب هو الشك مطلقاً وقال ابن ابي حاتم لا أعلم في هذا خلافاً وقد يستعمل الريب في التهمة والحاجة حكى ذلك القرطبي ومعنى هذا النبي العام ان الكتاب ليس بمنظنة للريب لوضوح دلالة وضوح ما يقوم مقام البرهان المقضي لكونه لا ينبغي الارتباب فيه بوجه من الوجوه (هـ) أي ارشاد وبيان وأنه يذكر وهو الكثير وبعضهم يؤث أي هو هدي أو هذه هدي أو هو هاد لهم الى الحق والهدي مصدر وهو هذا وزن نادري المصدر لم يرد منه فيما قيل الا الهدي والتقى والسري والكتاب القصر في لغة وزاد الشاطبي لغى بالضم في لغة أيضاً قال الرخشي وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلال في مقابلته انتهى قال القرطبي الهدي هديان هدي دلالة وهو الذي يقدر عليه الرسل واتباعهم قال الله تعالى ولكل قوم هاد وقال وانك لتهدي الى صراط مستقيم فأثبت لهم الهدي الذي معناه الدلالة والدعوة والتبشير وتفرد سبحانه بالهدي الذي معناه التأييد والتوفيق فقال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم انك لاتهدي من أحببت قال هدي على هذا يعني خلق الايمان في القلب ومنه قوله تعالى أولئك على هدى من ربهم وقوله ولكن الله يهدي من يشاء (للمتقين) أي من ثبت لهم التقوى وتخصيص الهدي بالمتقين لما انهم المقبسون من أنوار المستفيعون بانوارهم وان كانت هدايتهم شاملة لكل ناظر من مؤمن وكافر ولذا أطلقت في قوله هدي للناس قاله أبو السعود قال ابن فارس وأصلها في اللغة قلبه الكلام وقال في الكشاف المتقى في اللغة اسم فاعل من قولهم وفاه فاتى والوقاية الصيانة وهو في الشريعة الذي بقي نفسه تعاطى ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك انتهى قال ابن مسعود وعلم المؤمنين وعن معاذ بن جبل انه قيل له من المتقون فقال قوم اتقوا الشرك وعبادة الاوثان وأخلصوا لله العبادة وعن أبي هريرة ان رجلاً قال له ما التقوى قال هل وجدت طريقاً شاكاً قال نعم قال فكيف صنعت قال اذا رأيت الشوك عدلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه قال ذلك التقوى وعن أبي الدرداء قال تمام التقوى ان يتقى الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خيفة أن يكون حراماً يكون حجاباً بينه وبين الله وقد روى نحو

هو الاسلام وفي هذا الحديث الذي رواه الامام احمد في مسنده حيث قال حدثنا الحسن بن سوار أبو العلاء حدثنا ثابث يعني ابن سعد عن معاوية بن صالح ان عبد الرحمن بن جبير بن نفير حدثه عن أبيه عن النواس بن سمعان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ضرب الله مثلا صراطاً مستقيماً وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعجزوا داع يدعو من فوق الصراط فاذا أراد الانسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال ويحك لاتفتحه فانك ان تفتحه يلقه فالصراط الاسلام والسوران حدود الله والاله اب المفتحة محارم الله

211

معينايه ووفقنا الشبان على ما ارضيتهم
ووفقك له من أنعمت عليه من
عبادك من قول وعمل وذلك هو
الاعراض المستقيم لان سن وفق لما
وفق له من أنعم الله عليهم من النبين

دوفق للاسلام وتصديق الرسل والتسليم بالكتاب والعمل بما أمره الله وقد
 باح النبي صلى الله عليه وسلم ومنهاج الخلفاء الاربعة وكل عبد صالح وكل ذلك من الصراط
 من الهداية في كل وقت من صلاة وغيره ما هو متصف بذلك فهل هذا من باب تحصيل الخصال
 ليلا ونهار الى سؤال الهداية لما أرشده الله تعالى الى ذلك فان العبد مفتقر في كل ساعة وحالة
 يسوؤه فيها وتبصيره وازيادته منها واستمراره عليها فان العبد لا يملك لنفسه تنعاز ولا ضير

والصديقين والشهداء والصالحين فقد وفق للاسلام وتصديق الرسل والتسليم بالكتاب والعمل بما أمره الله وقد به والارزجار عما رجزه عنه واتباع منهاج النبي صلى الله عليه وسلم ومنهاج الخلفاء الاربعة وكل عبد صالح وكل ذلك من الص المستقيم فان قيل فكيف يسأل المؤمن الهداية في كل وقت من صلاة وغيرها وهو متصف بذلك فهل هذا من باب تحصيل الخ أم لا فالجواب أن لا لولا احتياجه ليل او نهار الى سؤال الهداية لما أرشده الله تعالى الى ذلك فان العبد مفتقر في كل ساعة الى الله تعالى في تبيينه على الهداية ورسوخه فيها وتبصيره وازيادته منها واستمراره عليها فان العبد لا يملك لنفسه تنعازلا

الامام شاه الله فاشهد تعالى الى ان يسالني في كل وقت ان عده بالمعونة والثبات والتوفيق فالحمد لله وفقه الله تعالى لسر الله فانه تعالى قد نكش لنا جابة الداعي اذا دعاه ولا سيما المختار المختار المستقر اليه آباء الابل وأطراف النهار وقد قال تعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكاتب الذي نزل على رسوله والكاتب الذي أنزل من قبيل الآية فقد أمر الذين آمنوا بالايان وليس ذلك من باب تخصيص الحاصل لأن المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الاعمال المعينة على ذلك والله أعلم وقال تعالى أمر العباد المؤمنين ان يقولوا ربنا لا تزعج قلوبنا بعد اذ هدينا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت (٤٩)

وقد أنزلهم الله الميزة التي أنزلهم بها قالوا يا رسول الله الانبياء الذين أكرمهم الله برسالاته ونبوته قال هم كذلك ويحق لهم وما يمنهم وقد أنزلهم الله الميزة التي أنزلهم بها قالوا يا رسول الله الانبياء الذين استشهدوا مع الانبياء قال هم كذلك وما يمنهم وقد أكرمهم الله بالشهادة قالوا فن يا رسول الله قال أقوام في أصلاب الرجال يأتون من بعدى يؤمنون بي ولم يروني ويصدقوني ولم يروني يحيدون الورق المعلق فيعملون بما فيه فهو لاء أفضل أدخل الايمان ايمانا وفي اسنائه محمد بن أبي حمزة وفيه ضعف وأخرج حسن ابن عرفة في جزئه المشهور واليه في الدلائل عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر نحو الحديث الاول وفي اسناده المعيرة ابن قيس البصري وهو مكر الحديث وأخرج نحوه الطبراني عن ابن عباس مرفوعا والاسمعيلى عن أبي هريرة مرفوعا أيضا والبراز عن أنس مرفوعا وأخرج ابن شبيبة في مسنده عن عوف بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باليتنى قد لقيت اخواني قالوا يا رسول الله ألسنا اخوانك قال بلى ولكن قوم يحشون من بعدكم يؤمنون بي ايمانكم ويصدقوني تصديقكم وينصرونى نصركم فماليتى قد لقيت اخواني وعن أبي جعفر الانصارى قال قلت يا رسول الله هل من قوم أعظم منابك واتبعناك قال ما ينعمكم من ذلك ورسول الله بين أظهركم يأتكم بالوحي من السماء بل قوم يأتون من بعدكم يأتهم كتاب الله بين لوحين فيؤمنون بي ويعملون بما فيه أولئك أعظم منكم أجرا آخر جبه أحمد والدارمي والباوردي وابن قانع معاني معجم الصحابة والبخاري في تاريخه والطبراني والحاكم عن أبي أمامة الباهلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طوبى لمن رأى وآمن بي وطوبى لمن آمن بي ولم يرنى سمع مرات أخرجه الطيالسى وأحمد والبخاري في تاريخه والطبراني والحاكم وأخرج أحمد وابن خبان عن أبي سعيد ان رجلا قال يا رسول الله طوبى لمن رأى وآمن بك قال طوبى لمن رأى وآمن بي وطوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرنى وأخرج الطيالسى وعبد بن حميد عن ابن عمر نحوه وأخرج أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث أنس نحوه حديث الباهلى المتقدم وعن ابن مسعود أنه قال والذي لا اله الا هو ما آمن أحد أفضل من ايمان يغيب ثم قرأ الم الآية وللتابعين أقوال والراجح ما تقدم من ان الايمان الشرعى يصدق على جميع ما ذكرهنا وذكر الحافظ ابن حجر

وقد أنزلهم الله الميزة التي أنزلهم بها قالوا يا رسول الله الانبياء الذين أكرمهم الله برسالاته ونبوته قال هم كذلك ويحق لهم وما يمنهم وقد أنزلهم الله الميزة التي أنزلهم بها قالوا يا رسول الله الانبياء الذين استشهدوا مع الانبياء قال هم كذلك وما يمنهم وقد أكرمهم الله بالشهادة قالوا فن يا رسول الله قال أقوام في أصلاب الرجال يأتون من بعدى يؤمنون بي ولم يروني ويصدقوني ولم يروني يحيدون الورق المعلق فيعملون بما فيه فهو لاء أفضل أدخل الايمان ايمانا وفي اسنائه محمد بن أبي حمزة وفيه ضعف وأخرج حسن ابن عرفة في جزئه المشهور واليه في الدلائل عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر نحو الحديث الاول وفي اسناده المعيرة ابن قيس البصري وهو مكر الحديث وأخرج نحوه الطبراني عن ابن عباس مرفوعا والاسمعيلى عن أبي هريرة مرفوعا أيضا والبراز عن أنس مرفوعا وأخرج ابن شبيبة في مسنده عن عوف بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باليتنى قد لقيت اخواني قالوا يا رسول الله ألسنا اخوانك قال بلى ولكن قوم يحشون من بعدكم يؤمنون بي ايمانكم ويصدقوني تصديقكم وينصرونى نصركم فماليتى قد لقيت اخواني وعن أبي جعفر الانصارى قال قلت يا رسول الله هل من قوم أعظم منابك واتبعناك قال ما ينعمكم من ذلك ورسول الله بين أظهركم يأتكم بالوحي من السماء بل قوم يأتون من بعدكم يأتهم كتاب الله بين لوحين فيؤمنون بي ويعملون بما فيه أولئك أعظم منكم أجرا آخر جبه أحمد والدارمي والباوردي وابن قانع معاني معجم الصحابة والبخاري في تاريخه والطبراني والحاكم عن أبي أمامة الباهلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طوبى لمن رأى وآمن بي وطوبى لمن آمن بي ولم يرنى سمع مرات أخرجه الطيالسى وأحمد والبخاري في تاريخه والطبراني والحاكم وأخرج أحمد وابن خبان عن أبي سعيد ان رجلا قال يا رسول الله طوبى لمن رأى وآمن بك قال طوبى لمن رأى وآمن بي وطوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرنى وأخرج الطيالسى وعبد بن حميد عن ابن عمر نحوه وأخرج أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث أنس نحوه حديث الباهلى المتقدم وعن ابن مسعود أنه قال والذي لا اله الا هو ما آمن أحد أفضل من ايمان يغيب ثم قرأ الم الآية وللتابعين أقوال والراجح ما تقدم من ان الايمان الشرعى يصدق على جميع ما ذكرهنا وذكر الحافظ ابن حجر

(٧ ل - فتح البيان) أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس صراط الذين أنعمت عليهم قال هم النبيون وقال ابن جرير عن ابن عباس هم المؤمنون وكذا قال مجاهد وقال وكيع هم المسلمون وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هم النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه والتفسير المتقدم عن ابن عباس رضى الله عنهم ما أعلم وأمثل والله أعلم وقوله تعالى غير المغضوب عليهم ولا الضالين قرأ الجهور غير بالجر على النعت قال الزحشرى وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم والعامل أنعمت والمعنى اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم

من تقدم وصفهم ونعمهم وهم اهل الهداية والاستقامة والطاعة لله ورسوله واستمالوا امره وتركوا هيبته وزواجره غير صراط
المغضوب عليهم وهم الذين فسدت ارادتهم فعموا الحق وعدلوا عنه ولا صراط الضالين وهم الذين فقدوا العلم فعموا حقهم هائمون في الضلالة
لا يمتدون الى الحق وكذا الكلام بلا دليل على ان ثم مسلكن فاسدين وهما طريقتا اليهود والنصارى وقد زعم بعض النجاة ان
غير هؤلاء استثنائية فيكون على هذا مستقطعا لاستثنائهم من المنعم عليهم وليسوا منهم وما اردنا اولى بقول الشاعر
كأنك من جمال بني اقيش * يتعقع عند رجليه بشن (٥٠) أي كأنك رجل من جمال بني اقيش خذف الموصوف واكتفى

بالصفة وكذلك غير المغضوب عليهم
أي غير صراط المغضوب عليهم
اكتفى بالمضاف اليه عن ذكر المضاف
وقد دل عليه سياق الكلام وهو
قوله تعالى آتينا الصراط المستقيم
صراط الذين أنعمت عليهم ثم قال
تعالى غير المغضوب عليهم ومنهم من
زعم ان لا في قوله تعالى ولا الضالين
زائدة وان تقدير الكلام عنده غير
المغضوب عليهم والضالين واستشهد
ببيت العجاج

* في بئر لا حور سعي وما شعر *
أي في بئر حورروا الصحيح ما قدمناه
ولهذا روى أبو عبيد القاسم بن سلام
في كتاب فضائل القرآن عن أبي
معاوية عن الأعمش عن ابراهيم
عن الاسود عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه كان يقرأ غير
المغضوب عليهم وغير الضالين وهذا
اسناد صحيح وكذلك حكى عن أبي بن
كعب أنه قرأ كذلك وهو محمول على
انه صدر منهما على وجه التفسير
فبدل على ما قلناه من انه انما جيء
بلا لتأكيد النفي لتلايتوهم انه
معطوف على الذين أنعمت عليهم
والفرق بين الطريقتين ليجنب كل
واحد منهما ما ظن طريقه أهل الايمان

في الفتح كلاما مفيدا في حديث عمر بن الخطاب المتقدم باعتبار ما ورد في الصحابة وحاصله
ان فضيلة الصحابة لا يعدلها عمل لمشاخدة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومجرد زيادة
الأجر لا يستلزم أفضلية غير الصحابة على الصحابة لان الأجر انما يقع بمفاضلة بالنسبة الى
ما يتأمله من العمل ومشاخدة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يعدلها عمل هذا حاصل ما أشار
اليه وهو محتاج اليه لانه كثير ما يستشكل الجمع بين الأحاديث والله أعلم قال ابن جرير في
هذه الآية والأولى أن يكونوا موصوفين بالإيمان بالغيب قولوا واعتقادوا وعلموا وتدخل
الخشية لله في معنى الإيمان الذي هو تصديق القول بالعمل والإيمان كلمة جامعة للأقرار بالله
وكتبه ورسوله وتصديق الأقرار بالنقل وقال ابن كثير ان الإيمان الشرعي المطلوب لا يكون
الاعتقادا وقولوا وعملوا هكذا ذهب اليه اكثر الأئمة بل قد حكاه الشافعي وأحمد وأبو عبيد
وغير واحد اجابا أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وقد ورد فيه آثار كثيرة انتهى وقد
أكثر أكرأ كثير المتكلمين زيادة الإيمان ونقصانه وقال أهل السنة ان نفس التصديق لا يزيد
ولا ينقص والإيمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة الأعمال ونقصانها وبهذا أمكن الجمع
بين ظواهر النصوص من الكتاب والسنة التي جاءت بزيادة الإيمان ونقصانه وبين أصله من
اللغة والدليل على ان الأعمال من الإيمان قوله صلى الله عليه وآله وسلم سلم الإيمان بضخ
وسبعون شعبة أفضلها قول لا اله الا الله وأدناها ما طاعة الأذى عن الطريق والحياء شعبة
من الإيمان أخرجه الشيخان عن أبي هريرة وشيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد
السلام كلام في معنى الغيب وعالمه في كتاب العقل والقل حاصله ان من زعم ان عالم الغيب
الذي أخبر به الله والرسول هو العالم العقلي الذي يشبهه هؤلاء الفلاسفة فهو من أضل الناس
فان ابن سينا ومن سلك سبيله في هذا كالشهرستاني والرازي وغيرهما يقولون ان الالهيين
يشبون العالم العقلي ويردون على الطبيعيين منهم الذين لا يشنون الا العالم الحسي ويدعون
ان العالم العقلي الذي يشبوه هو ما أخبر به الرسل من الغيب الذي أمروا بالإيمان به مثل
وجود الرب والملائكة والجنة وليس الامر كذلك فان ما يشبوه من العقليات اذا
حقق الامر لم يكن لها وجود الا في العقل وسميت مجردات ومفارقات لان العقل مجرد
الامور الكلية عن الغيبات واما تسميتها بمفارقات فكان أصله ان النفس الناطقة
تفارق البدن وتصور حينئذ عقلا وكانوا يسمون ما جامع المادة بالتدبير لها كالنفس قبل

مشتله على العلم بالحق والعمل به واليهود فقدوا العمل والنصارى فقدوا العلم ولهذا كان الغضب لليهود
والضلال للنصارى لان من علم وترك استحق الغضب بخلاف من لم يعلم والنصارى لما كانوا فاسدين شيأ لم يكن لهم لا يمتدون الى طريقه
لانهم لم يأثروا الامر من بابيه وهو اتباع الحق ضلوا وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه لكن أخص أوصاف اليهود
الغضب كما قال تعالى عنهم من لعنه الله وغضب عليه وأخص أوصاف النصارى الضلال كما قال تعالى عنهم قد ضلوا من قبل وأضلوا
كثيرا وضلوا عن سواء السبيل وفيه ما اجابنا في الأحاديث والآثار وذلك واضح بين فيما قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة قال

سمعت سمك بن جرب يقول سمعت عباد بن جحيش يحدث عن عدي بن حاتم قال جاءت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا عني وناسا فلما أتوا بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوا له فقال يا رسول الله نأى الوافدون انقطع الولد وأنا عجز كبير ما بي من خدمة فمن علي من الله عليك قال من وافدك قالت عدي بن حاتم قال الذي فر من الله ورسوله قالت فمن علي فلما رجعت ورجل إلى جنبه ترى انه علي قال سليه جلانا فاستألسه فامر لها قال فأتتني فقالت لقد فعلت فعلة ما كان أبوك يفعلها فانه قد أتاه فلان فأصاب منه وأتاه فلان فأصاب منه فأتته فاذا عنده امرأة وصبيان وذكر قريتهم من النبي (٥١) صلى الله عليه وسلم قال فعرفت انه ليس

بملك كسرى ولا قيصر فقال يا عدي ما أفترك ان يقال لا اله الا الله فهل من اله الا الله ما أفترك ان يقال الله اكبر فهل شيء اكبر من الله عز وجل قال فاسلمت فرأيت وجهه استبشروا قال ان المغضوب عليهم اليهود والنصارى وذكر الحديث ورواه الترمذي من حديث سمك بن جرب وقال حسن غريب لا نعرفه الا من حديثه قلت وقد رواه حماد بن سلمة عن سمك عن مري بن قطري عن عدي بن حاتم قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى غير المغضوب عليهم قال هم اليهود والنصارى قال النصارى هم الضالون وهكذا رواه سفیان بن عيينة عن اسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن عدي بن حاتم به وقد روى حديث عدي هذا من طرق وله ألفاظ كثيرة يطول ذكرها وقال عبد الرزاق أنا معمر بن بديل العقيلي أخبرني عبد الله بن شقيق انه أخبره عن سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بوادي القرى على فرسه وساله رجل من بني القين فقال يا رسول الله من هؤلاء قال

الموت نفسا وما فارقه بالكلية فلم يتعلق بها الا تعلق تدبير ولا غيره عقلا ولا ريب ان النفس الناطقة فاعية بنفسها باقية بعد الموت منعمة أو معذبة كما دل على ذلك نصوص الكتاب والسنة واجماع سلف الامة وأئمتها ثم تعاد الى الابدان والمقصود ههنا ما يثبتونه من العقليات اذا حققت لم يكن الاما ثبت في عقل الانسان ولهذا كان منتهى تحقيقهم الوجود المطلق وهو الوجود المشترك بين الموجودات وهذا انما يكون مطلعا في الازمان لافي الاعميان والمتفلسفة يجعلون الكلّي المشترك موضوع العلم الالهي وأما الوجود الواجب فتارة يقولون هو الوجود المقسّد بالقيود السلبية كما يقوله ابن سينا وتارة يجعلونه المجرد عن كل قيد سلبي وشبوبي كما يقوله بعض الملاحدة من باطنية الرافضة والاتحادية وتارة يجعلونه نفس وجود الموجودات فلا يجعلون للممكنات وجودا غير الوجود الواجب وغايتهم أنهم يجعلون في أنفسهم شيئا يظنون ان ذلك موجود في الخارج ولهذا يدعهم الشياطين فان الشياطين تتصرف في الخيال وتلقي في خيالات الناس أمور الاحقيقة لها ومحققو ذلك يقولون أرض الحقيقة هي أرض الخيال وأما ما أخبر به الرسل صلوات الله عليهم من الغيب فهو أمور موجودة ثابتة أكمل واعظم مما نشأخده نحن في هذه الدار وتلك أمور محسوسة تشاهد وتحس ولكن بعد الموت وفي الدار الآخرة ويمكن ان يشاهد في هذه الدار من يختصه الله بذلك ليست عقلية فاعية بالعقل ولهذا كان الفرق بيننا وبين الحسيات التي نشاهد ههنا تلك غيب وهذه شهادة قال تعالى الذين يؤمنون بالغيب وكون الشيء غائبا وشاهدا أمر اضافي بالنسبة اليه فاذا غاب عنا كان غيبا واذا شاهدناه كان شهادة ليس هو فراق يعود الى ان ذاته تعقل ولا تشاهد ولا تحس بل كل ما يعقل ولا يمكن ان يشاهد بحال فانما يكون في الذهن والملائكة يمكن ان يشاهدوا ويروا الرب تعالى ويمكن رؤيته بالابصار والمؤمنون يزونه يوم القيامة وفي الجنة كما لو اترت النصوص في ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم واتفق على ذلك سلف الامة وأئمتها وامكان رؤيته يعلم بالدلائل العقلية القاطعة لكن ليس هو الدليل الذي سلكه طائفة من أهل الكلام كما في الحسن وأمثاله حيث ادعوا ان كل موجود يمكن رؤيته بل قالوا ويمكن ان يتعلق به الحواس الخمس السمع والبصر والشم والذوق واللمس فان هذا مما يعلم فساد بالضرورة عند جاحيز العلماء وهذا من أعاليط بعض المتكلمين هذا

المغضوب عليهم وأشار الى اليهود والنصارى وقد رواه الجري وعروة وخالد الحذاء عن عبد الله بن شقيق فأرسلوه ولم يذكره من سمع النبي صلى الله عليه وسلم ووقع في رواية عروة تسمية عبد الله بن عمر وقاله أعلم وقد روى ابن مردويه من حديث ابراهيم ابن طهمان عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المغضوب عليهم قال اليهود قلت الضالين قال النصارى وقال الهدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهذلي عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم غير المغضوب عليهم هم اليهود والنصارى قال النجاشي وابن جبر بن جبر عن ابن عباس

غير المغضوب عليهم اليهود ولا الضالين النصارى وكذلك قال الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد وقال ابن أبي حاتم ولا أعلم بين المفسرين في هذا الاختلاف وشاع ما قاله هؤلاء الأئمة من أن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون الحديث المتقدم وقوله تعالى في خطابه مع بني إسرائيل في سورة البقرة يش ما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله نغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فبأوبغضب على غضب والكافرين عذاب مقيم وقال في المائدة قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل (٥٢) منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء

السبيل وقال تعالى لعن الذين كفروا سن بن إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكرهم فلعنوا لبئس ما كانوا يفعلون وفي السيرة عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه لما خرج نحو جماعة من أصحابه إلى الشام يطلبون الدين الحنيف قالت له اليهود أنك لن تستطيع الدخول معنا حتى تأخذ بصيبيك من غضب الله فقال أنا من غضب الله أفرو قالت له النصارى أنك لن تستطيع الدخول معنا حتى تأخذ بصيبيك من سخط الله فقال لا أستطيعه فاستقر على فطرته وجانب عبادة الأوثان ودين المشركين ولم يدخل مع أحد من اليهود ولا النصارى وأما أصحابه فنصره وأدخلوا في دين النصرانية لأنهم وجدوه أقرب من دين اليهود ذلك وكان منهم ورقة بن نوفل حتى هداه الله بنبيه لمابعه آمن بما وجد من الوحي رضى الله عنه (مسألة) في الصحيح من مذاهب العلماء أنه يقتصر الإخلال بغير ما بين الضاد والظاء لقرب حجيجهما وذلك أن الضاد مخرجها

(ويقيمون الصلاة) أي يداومون عليها والافتاء في الأصل الدوام واللباب وليس من القيام على الرجل وانما هو من قولك قام الحق أي ظهروا وبث واقامة الصلاة أداؤها بأركانها وسننها وهي أوقاتها وحفظها من أن يقع فيها خلل في فرائضها ووجدنا وزيع في أفعالها وإتمام أركانها والصلاة أصلها في اللغة الدعاء من صلى يصلي إذا دعا ذكر هذا الجوهري وغيره وقال قوم هي مأخوذة من الصلاة وهو عسرق في وسط الظهر ويفترق عند العجب ذكر هذا القزطبي وهذا هو المعنى القوي وأما المعنى الشرعي فهو هذه الصلاة التي هي ذات الأركان والأركان قال ابن عباس المراد به الصلوات الخمس وقال قتادة إن إقامة الصلاة المحافظة على مواقيتها ووضعها ورصها وسجودها (وممارز قناهم ينفقون) أي يخرجون ويتصدقون في طاعة الله وفي سبيله والرزق عند الجمهور ما صلح لا يتقاع به حسلا لا كان أو حراما خلافا للبعثرة فقالوا إن الحرام ليس برزق والبحث في هذه المسئلة موضع غير هذا الاتفاق أخرج المال من اليد وأنفق الشيء وأنفقه أخوان ولو استقرت الالفاظ وجدت كل ما فاءه ونوعه فاءه الأعلى معنى الذهاب والخروج وفي المحج عن التبعيضية هي ناكسة سريه هي الإرشاد إلى ترك الاسراف والتبذير وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤس الأئمة قال أبو بكر الباقلاني ذهب الأشاعرة كلهم إلى نفي الجمع عن القرآن وذهب كثير من خالفهم إلى إثباته انتهى قال البقاعي الثاني فاسد وأطال في بيان ذلك بلا طائل والحق أنه في القرآن من غير التزام له في الأكثر وكان من نفاذه في التزامه أو أكثرية ومن أثبت أنه أراد وروده فيه في الجملة فأحفظه ولا تلتفت لما سوادوا الذي عليه العلماء أنه نطق القواصل عليه دون الجمع قاله الخفاجي قال ابن عباس يعني زكاة أموالهم وعن قتادة يعني الانفاق في فرائض الله التي افترض عليهم في طاعته وسبيله كزكاة والنذر في الجهاد وعلى النفس وقال ابن مسعود هي نفقة الرجل على أهله واختار ابن جرير أن الآية عامة في الزكاة والنفقات وهو الحق من غير فرق بين النفقة على الأقارب وغيرهم وصدقة القرض والنفل وعدم التصريح بنوع من الأنواع التي يصدق عليها معنى الاتفاق يشعرا ثم اشعار بالتعميم (والذين يؤمنون) أي يصدقون (بما أنزل اليك) المراد به ما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو القرآن بأسره والشرعية عن آخرها والتعبير بالماضي مع كون بعضه

من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس ويخرج الظاء من طرف اللسان وأطراف الشيا العليا متروكا ولأن كلام الحرفين من الحروف المجردة ومن الحروف الرخوة ومن الحروف المطبقة فلهذا كله اعتبرا استعمال أحدهما مكان الآخر لمن لا يميز ذلك والله أعلم وأما حديث أنا أفصح من نطق بالضاد فلا أصل له والله أعلم (فصل) اشتملت هذه السورة التكمية وهي سبع آيات على حمد الله وتمجيد الشاء عليه ذكر أسمائه الحسنى المستلزمة لصفاة العاليا وعلى ذكر المعاد وهو يوم الدين وعلى إرشاده عبده إلى سؤاله والتضرع إليه والتبرؤ من حولهم وقوتهم وإلى إخلاص العبادة له وتوحيده بالالوهة تبارك

وتعالى وتزجهم ان يكون له شريك أو نظير أو مماثل وإلى سؤالهم إياه الهداية إلى الصراط المستقيم وهو الدين القويم وتثبيتهم عليه حتى يقتضى لهم بذلك إلى جواز الصراط الحسنة يوم القيامة المفضى بهم إلى جنات النعيم في جوار النبين والصدّيقين والشهداء والصالحين واشتملت على الترتيب في الأعمال الصالحة ليكونوا مع أهلها يوم القيامة والتحذير من مسالك الباطل لئلا يحشروا مع السالكين يوم القيامة وهم المغضوب عليهم والضالون وما أحسن ما جاء أسناد الانعام عليه في قوله تعالى صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وحذف الفاعل في الغضب في قوله تعالى غير المغضوب (٥٣) عليهم وان كان هو الفاعل لذلك في الحقيقة كما قال تعالى ألم ترالى الذين

تولوا قوما غضب الله عليهم الآية وكذلك أسناد الضلال إلى من قام به وان كان هو الذى أضلهم بقدره كما قال تعالى من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وقال من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه سبحانه هو المنفرد بالهداية والاضلال لا كما تقول الفرقة القدريّة ومن هذا حذرهم من أن العباد هم الذين يختارون ذلك ويقعّلونه ويحتجون على بدعتهم بتشابه من القرآن ويتركون ما يكون فيه صريحا في الرد عليهم وهذا حال أهل الضلال والغي وقد ورد في الحديث الصحيح إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سبى الله فاحذروهم يعنى في قوله تعالى فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فليس بحمد الله لمبتدع فى القرآن حجة صحيحة لأن القرآن جاء ليفصل الحق من الباطل مفرقا بين الهدى والضلال وليس فيه تناقض ولا اختلاف لأنه من

متربعا لتغليب المحقق على المقدّر أو لتزليل ما فى شرف الوقوع منزلة الواقع قال القاضى الانزال نقل الشئ من أعلى إلى أسفل وهو انما يخلق المعانى بتوسط لحوقه الذوات الحامله لها قال الامام المراد من انزال القرآن ان جبريل عليه السلام فى السماء سمع كلام الله فنزل به على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما يقال نزلت رسالة الامير من القصر والرسالة لا تنزل ولكن كان المستمع فى علو فنزل وأدى فى سفلى وقول الامير لا يفارق ذاته اه قال الخفاجى وذهب بعض السلف الى أنه من المتشابه أى يجزم بالنزول من غير معرفة بكيفية وهو الحق اذ مثل هذا من التدقيقات الفلسفية لا ينبغى ذكره فى التفسير اه حاصله قلت ويرد على مذهب بعض السلف ما ورد فى الاحاديث الصحيحة من بيان كيفية الوحي وبدئه وبه ترجم البخارى وهو أول باب عنوان به كتابه الصحيح وقد نطق به القرآن ولا شك أن كلامه سبحانه المنزل على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مسموع بالاذن ومقرّوب باللسنة محفوظ فى الصدور مكتوب فى المصاحف له حرف وصوت كدات عليه السنة المطهرة فى غير موضع من دواوين الاسلام وزبر الايمان وليس هذا موضع بسطه وسأبقى الكلام عليه تحت تفسير قوله تعالى حتى اذا فرغ عن قولهم قالوا ما ذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير (وما أنزل من قبلك) وهو الكتب السالفة المنزلة على الانبياء من قبل كالتوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وغيرها والايمان بالكل جملة فرض عين وبالقرآن تفصيلا فرض كفاية قيل هو مؤمنوا أهل الكتاب وفيهم نزلت وقد رجع هذا ابن جرير ونقله السدى عن ابن عباس وابن مسعود وأناس من الصحابة واستشهد به ابن جرير بقوله تعالى وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم بقوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب من قبلهم به يؤمنون والآية الاولى نزلت فى مؤمنى العرب وقيل ان الايتين جميعا فى المؤمنين على العموم وعلى هذا فالجمله عطف على الجملة الاولى صفه للمؤمنين بعد صفة أو مرفوعة على الاستئناف أو عطف على المتقين والتقدير هدى لهم وللذين يؤمنون والحق ان هذه الآية فى المؤمنين كالتى قبلها وليس مجرد ذكر الايمان بما أنزل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما أنزل الى من قبله بجملة بل جعل ذلك وصف للمؤمنى أهل الكتاب ولم يأت ما يوجب الخالفه لهذا ولا فى نظم القرآن ما يقتضى ذلك وقد ثبت الثناء على من جمع بين الامر من المؤمنين فى غير آية فن ذلك قوله يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب

عند الله تنزيل من حكيم حميد (فصل) يستحب لمن يقرأ الفاتحة أن يقول بعدها آمين مثل يس ويقال آمين بالقصر أيضا ومعناه اللهم استجب والدليل على استحباب التامين ما رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذى عن وائل بن حجر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقال آمين مذهبهم صوته ولا يداود رفع بها صوته وقال الترمذى هذا حديث حسن وروى عن علي وابن مسعود وغيرهم وعن أبى هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تلا غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال آمين حتى يسمع من يليه من الصف الاول رواه أبو داود وابن ماجه وزاد فيه فيرفعهم المسجد والدارقطنى

وقال هذا اسناد حسن وعن بلال انه قال يا رسول الله لا تسبقني يا أمين رواه أبو داود ونقل أبو نصر الفشيري عن الحسن وجعفر الصادق انه ما شهد الميم من آمين مثل آمين البيت الحرام قال أصحابنا وغيرهم ويستحب ذلك ان هو خارج الصلاة وتما كذب في حق المنسلي وسواء كان منفردا أو آمنا أو مأموئا في جميع الأحوال لنا جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا آمن الامام فامضوا فانه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قال أحدكم في الصلاة (٥٤) آمين والملائكة في السماء آمين فوافقت احداهما الاخرى غفر له

ما تقدم من ذنبه قيل بمعنى من وافق تأمينه تأمين الملائكة في الزمان وقيل في الاجابة وقيل في صفة الاخلاص وفي صحيح مسلم عن أبي موسى حر فوعا اذا قال يعني الامام رلا الضالين فقولوا آمين يجبكم الله وقال جوير عن الخصال عن ابن عباس قال قلت يا رسول الله ما معنى آمين قال رب افعل وقال ابو جهرى بمعنى آمين كذلك فليكن وقال الترمذي معناه لا تخيب رجاءنا وقال الاكثرون معناه اللهم استجب لنا وحكي القرطبي عن مجاهد وجعفر الصادق وهلال بن يساف ان آمين اسم من أسماء الله تعالى وروى عن ابن عباس حر فوعا ولا يصح قاله أبو بكر بن العربي المالكي وقال أصحاب مالك لا يؤمن الامام ويؤمن المأموم لما رواه مالك عن سبي عن أبي صالح عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال راد اقال يعني الامام ولا الضالين فقولوا آمين الحديث واستأثروا أيضا بمحدث أي موسى عنده وسلم واذا قرأوا الضالين فقولوا آمين وقد قدمنا في المنفق عليه اذا آمن الامام

الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل وقوله تعالى وقولوا آمنا بالذي أنزل اليانا وأنزل اليكم وقوله تعالى آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقال والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفسر قوا بين أحد منهم (وبالآخرة) أي بالدار الآخرة تأييد الآخر الذي هو نقيض الاول كما أن الدنيا تأييد الآخرة غلبتنا على الدارين فجرنا بحري الاسماء وهي صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة وسعيت آخرة لتأخرها عن الدنيا كونها بعدتها (هم يوقنون) الايقان اتقان العلم باتقاء الشك والشبهة عنه قال في الكشف فالمراد انهم يوقنون بالبعث والنشور وسائر أمور الآخرة من دون شك وفي تقديم الظرف مع بناء الفعل على الضمير اشعار بالحصر وان ما عدا هذا الامر الذي هو أساس الايمان ورأسه ليس بمسأخل عندهم للايقان بهو القطع بوقوعه وفيه تعريض عن عذابهم من أهل الكتاب فان اعتقادهم في أمور الآخرة بمعزل من الصحة فضلا عن الوصول الى مرتبة اليقين (أولئك) أي الذين هذه صفتهم وما فيه من البعد للاشعار بعلو درجاتهم ورفعة مرتبتهم في الفضل وهو مبتدأ وخبره (على هدى من ربهم) أي على رشاد ونور وقيل على استقامة منحوها من عنده وأوتوها من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على أعمال الخير والترقى الى الأفضل فالأفضل والاجتهاد المفهوم من التنكير في هدى اكمال تفخيمه أي على هدى أي لا يبالغ كنهه ولا يقادر قدره وهذا كلام مستأنف بياني ويمكن أن يكون خبرا عن الذين يؤمنون بالغيب فيكون متصلا بما قبله قال في الكشف قوله على هدى مثل لم تكن من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قوله جعل الغواية من كما وامتطى الجيمل واقتعد غارب الهوى اه وقال أبو السعود او ايراد كلمة الاستعلاء على استعانتهم التمسكهم بالهدى استعارة تبعية متفرعة على تشبيهها بعتلاء الركاب واستوائه على مركوبه أو على جعلها قرينة للاستعارة بالكناية بين الهدى والمركوب للايدان بقوة تمسكهم منه وكال رسوخهم فيه انتهى وقال الخفاجي الاستعارة في الحرف تبعية متعلقة وهو المعنى السلكي الشامل له كما حققوه والتمثيل ضرب المثل والاثبات بمثال ومطلق التشبيه والمركب منه وهذا ظاهر

فامضوا وانه عليه الصلاة والسلام كان يؤمن اذا قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين وقد اختلف أصحابنا في الجهر بالتأمين للمأموم في الجهرية وحاصل الخلاف ان الامام ان نسي التأمين جهر للمأموم به قول واحد وان آمن الامام جهرًا فالجديد انه لا يجهر للمأموم وهو مذهب أي حنيفة ورواية عن مالك لانه ذكر من الاذكار فلا يجهر به كسائر أذكار الصلاة والقديم انه يجهر به وهو مذهب الامام أحمد بن حنبل والرواية الاخرى عن مالك لما تقدم حتى يرفع المسجد ولنا قول آخر ثالث انه ان كان المسجد بصغيرا لم يجهر للمأموم لانهم يسمعون قراءة الامام وان كان كبيرا جهر لسلامة التأمين من في ارجاء المسجد والله اعلم

وقد روى الامام أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر في غزوة بدر فقال انهم لن يحسدونا على شيء كما يحسدونا على الجمعة التي خدانا الله لها وفضلوا عننا وعلى قولنا خلف الامام امين ورواه ابن ماجه ولفظه ما حسدكم اليهود على شيء ما حسدكم على السلام والتأمين ولعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حسدكم اليهود على شيء ما حسدكم على قول امين فاكثروا من قول امين وفي اسناده طلحة بن عمرو وهو ضعيف وروى ابن مردويه عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امين خاتم رب العالمين عليه وسلم قال امين خاتم رب العالمين (٥٥)

على عباده المؤمنين وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت امين في الصلاة وعند الدعاء لم يعط أحد قبلي الا ان يكون موسى كان موسى يدعو وهرون يؤمن فاختموا الدعاء امين فان الله يستجيب لكم قلت ومن غنازع بعضهم في الدلالة بهذه الآية الكريمة وهي قوله وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملائكته وأموالنا في الحياة الدنيا ربنا اضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الليم قال قد أجبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون فذكر الدعاء عن موسى وحده ومن سياق الكلام ما يدل على ان هرون آمن فنزل منزلة من دعا لقوله تعالى قد أجبت دعوتكما فدل ذلك على ان من آمن على دعاء فكأنما قاله فلهذا قال من قال ان المأموم لا يقرأ لأن تأمينه على قراءة الفاتحة بمنزلة قراءتها ولهذا جاء في الحديث من كان له امام فقرأه الامام له قراءة رواه أحمد في مسنده وكان بلال يقول لا تسبقني يا امين يا رسول الله فدل هذا المنزع على ان

لنازع فيه وانما النزاع في الاستعارة التبعية هل تكون تمثلية أم لا فذهب الفاضل المحقق الى جواره متمسكا بما صرح العلامة في مواضع من كشافه كما صرح به هنا وقد سبقه اليه الطيبي وقال انه من تلك الشئخين الزنجشري والسكاكي ولم يرتضه المدقق في الكشف فأول ما في عباراتهم وتبعه فيه السيد وشنع على الفاضل حتى كأنه أبوعذرة وهي المعركة العظمى التي عقدت لها المجالس وصنفت فيها الرسائل مما هو أشهر من قفائلك والحاصل ان استعارة على استعارة تبعية تستلزم كون الاستعلاء مشبها به وتركب الطرفين يستلزم ان لا يكون مشبها به فلا يجتمعان ومن الفضلاء من رده واتصروا للسعد بسعد جده فقال هو ممنوع والحاصل انه يجزى في الحرف التمثيل بمعنى ان نزاع الحالة من الامور المتعددة ولا يجزى فيه التشبيه في الفصل المركب قصدوا الذي يخطر بالبال بعد طي شقة القيل وقال ان الخلاف بينهم في حرف واحد اذ خلاف في ان التمثيل التفصيلي المعزوف يستدعي تركب الطرفين حقيقة وان التمثيل الآخر الذي هو محمل النزاع هل يشترط فيه التركيب بعد الاتفاق على انه لا يلزم التصريح بأجزائه لفظا ولا تقدير اذهب الشريف الى انه يشترط فيه أن تكون أجزاؤه مرادة منوية فلا يكون ما اقتصر عليه من الحرف ونحوه مما هو عمدة المعنى المجازي مستعملا في معنى مجازي بل حقيقة والا كان مجازا مفردا لا تشبها ولا يشترط فيه ذلك بل يكفي تركب المأخذ المتزعم منه ذلك ويكون الحرف المذكور مع ما يدل عليه بالالتزام من طرفي التشبيه وما يتمه متجاوزا فيه والا لم يصح دخول على على الهدى كما مشى عليه السعد ومن مشى على جادته فالنزاع كاللفظي انتهى حاصله قلت وقد أطلت المحققون الكلام على هذا بما لا يتسع له المقام واختلف من بعدهم في ترجيح الراجح من القولين وقد جمع العلامة الشوكاني في ذلك رسالة مستقلة سماها الطود المنيف في ترجيح ما قاله السعد على ما قاله الشريف فليرجع اليها من أراد ان يتضح له المقام ويجمع بين أطراف الكلام على التمام وحاصلها ان الحق في جانب السعد وان الصواب بيده وقد تقدم الى مثل هذا العلوي في حاشيته على الكشف وليس للسعد فيه زيادة على ما يفيد كلام الزنجشري الاجمرد الايضاح ولم يأت بشيء من طرفه يستحق المأخذة عليه انتهى أقول فالحق اجتماع الاستعارة التبعية والتمثلية وذلك هو محمل النزاع وقد اعترف الشريف بان المقام صالح له سماه لكن ادعى

المأموم لا قراءة عليه في الجهرية والله أعلم ولهذا قال ابن خردويه حدثنا أحمد بن الحسن حدثنا عبد الله بن محمد بن سلام حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا جرير عن ليث عن ابن أبي سليم عن كعب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال الامام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقال آمين فوافق آمين أهل الارض آمين أهل السماء غفر الله للعبد ما تقدم من ذنبه ومثل من لا يقول آمين كمثل رجل غزا مع قوم فاقتروا فخرجت سهامهم ولم يخرج سهمه فقال لم يخرج سهمي فقيل انك لم تقل آمين * (بسم الله الرحمن الرحيم) * رب يسر وأعن يا كريم * (تفسير سورة البقرة) * (ذكر ما ورد في فضلها) * قال الامام أحمد حدثنا

غارم حدثنا معمر عن أبيه عن رجل عن أبيه عن معقل بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البقرة سناسم القرآن وذروني نزل مع كل آية منها غمامون ملكوا واستخرجت الله لا اله الا هو الحي القيوم من تحت العرش فوصلت بها اوقوصت بسورة البقرة ووس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة الا غفر له واقروها على موتاكم انقردها أحمد وقدر واه أحمد أيضا عن غارم عن عبد الله بن المبارك عن سليمان التيمي عن أبي عثمان وليس بالتهدي عن أبيه عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقروها على موتاكم يعني يس فقد تيناه هذا الاسناد (٥٦) معرفة المهم في الرواية الاولى وقد أخرج هذا الحديث على هذه الصفة

امتناع اجتماعهما ويذكر على ان الاستعارة التبعية تمثيلية الاستعارة به يشعر قول امام الفن السكاكي صاحب المفتاح وهذا صريح فيما صرح به السعد والله أعلم (وأولئك) في تكرير اسم الإشارة دلالة على ان كلامنا الهداية الماضية والفلاح الآتي بحيث لو انفرد أحدهما لكان كافي ميمز على حياله (هم المفلحون) أي المتبحرون الناجون الفائزون نحو امن النار وقازوا الجنة والمنلح الظافر بالمطلوب والفلاح أصله في اللغة الشق والقطع قاله أبو عبيد قال القرطبي وقد يستعمل في الفوز والبقاء وهو أصله أيضا في اللغة فغناه الفائزون بالجنة والياقون فيها وقال في الكشف المفلح الفائز بالمغنة كأنه الذي انتقحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه انتهى وقد استعمل الفلاح في السحور ومنه الحديث الذي رواه أبو داود حتى كاد يفوتنا الفلاح قلت ما الفلاح قال السحور وكان معي الحديث ان السحور به بقاء الصوم فلهذا سمي فلاحا وضمير الفصل ويسمى عماد الفوائد ذكرها الخفاجي منها الدلالة على اختصاص المسند اليه بالمستندون غيره وقدر في فضل هذه الآيات الشريفة أحاديث ثم ذكر سبحانه فريق الشريعة الفراغ من ذكر فريق الخبر فاطع هذا الكلام عن الكلام الاول معنونه بما يفيد ان شأن جنس الكفرة عدم اجداء الانذار لهم وانه لا يترتب عليه ما هو المطلوب منهم من الايمان وان وجود ذلك كعدمه فقال (ان الذين) التعريف للعهد أو للجنس والثاني أولى (كفروا) أي جحدوا وأنكروا وأصل الكفر في اللغة الستر والتغطية ومنه سمي الكافر كافرا لانه يغطي بكفره ما يجب أن يكون عليه من الايمان (سواء عليهم) أي متساو لديهم وسواء اسم مصدر بمعنى الاستمواء وارتفاعه على انه خبر لان (أأنذرتهم) أي خوفتهم وحدثتهم والانباء الابلاغ والاعلام مع التخويف فكل منذر معلم وليس كل معلم منبذرا فقرأت بتحقيق الهمزتين وأبدال الثانية الفاء قال البيضاوي وهذا الأبدال الحسن ورد عليه علي القاري بان ما قاله تقليد للكشاف خطأ لان القراءة بمثواترة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فانكارها كفر وعام هذا البحث في الجمل (أم لم تنذروهم لا يؤمنون) أي لا يصدقون قال القرطبي واختلاف العلماء في تاويل هذه الآية فقيل هي عامة ومعناها الخصوص فمن حققت عليه كلمة العذاب وسبق في علم الله انه يموت على كفره أراد الله تعالى أن يعلم الناس ان فيهم من هذا حاله دون ان يعين أحد او قال ابن عباس والكلبي نزلت في رؤساء اليهود جي بن

في الرواية الثانية أبو داود والنسائي وابن ماجه وقدرى الترمذي من حديث حكيم بن جبير وفيه ضعف عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء سناسم وان سناسم القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيده أي القرآن آية الكبرى وفي مسند أحمد وصحيح مسلم والترمذي والنسائي من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجمعوا بيوتكم قبور اقان البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان وقال الترمذي حسن صحيح وقال أبو عبيد القاسم ابن سلام حدثني ابن أبي مريم عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يخرج من البيت اذا جمعت سورة البقرة تقرأ فيه سنان ابن سعد ويقال بالعكس وثقه ابن معين واستنكر حديثه أحمد ابن حنبل وغيره وقال أبو عبيد حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن سلمة بن كهيل

عن أبي الأحوص عن عبد الله يعني ابن مسعود رضي الله عنه قال ان الشيطان يقر من البيت يجمع فيه سورة البقرة ورواه النسائي في اليوم والليلة وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث شعبة ثم قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن كامل حدثنا أبو اسمعيل الترمذي حدثنا أيوب بن سليمان بن بلال حدثني أبو بكر بن أبي أويس عن سليمان بن بلال عن محمد بن عجلان عن أبي اسحق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ألقين أحدكم يضع إحدى رجله على الأخرى يتغنى ويدع سورة البقرة يقرؤها فان الشيطان ينفر من البيت تقرأ فيه سورة البقرة

وان أصغر البيوت الخوف الصفر من كآب الله وهكذا رواه النسائي في اليوم والليلا عن محمد بن نصر عن أيوب بن سليمان به وروى الدارمي في مسنده عن ابن مسعود قال ما من بيت تقرأ فيه سورة البقرة الا خرج منه الشيطان وله ضراط وقال ان لكل شيء سناما وان سنام القرآن سورة البقرة وان لكل شيء لبابا وان لباب القرآن المفضل وروى أيضا من طريق الشعبي قال قال عبد الله ابن مسعود من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان ذلك الله أربع من أولها وآية الكرسي وآيات بعد ها وثلاث آيات من آخرها وفي رواية لم يقر به ولا أهل بيته من شيطان ولا (٥٧) شيء يكرهه ولا يقرئ على مجنون الا فاق وعنه سهل بن سعد قال قال رسول الله

اخطف وكعب بن الاشرف ونظر انهم اوقال الربيع بن أنس نزلت فيمن قتل يوم بدر من قادة الاحزاب والاول أصح فان من عين أحد افا تمثله عن كشف الغيب بعونه على الكفر انتهى (ختم الله على قلوبهم) أي طبع الله عليها واستوثق فلا تعي خيرا ولا تفهمه والختم والكم اخوان وأصل الختم مصدر معناه التغطية على الشيء والاستيثاق منه حتى لا يدخله شيء ولا يخرج منه ما حصل فيه ومنه ختم الكتاب والباب وما يشبه ذلك حتى لا يوصل الى ما فيه ولا يوضع فيه غيرة فشبّه هذا المعنى بضرب الخاتم على الشيء تشبيه معقول بمحسوس والجامع اتقاء القبول لما منع منه وكذا يقال في الختم على الاسماع واسناد الختم الى الله قد احتج به أهل السنة على المعتزلة وحاولوا دفع هذه الحجة بمثل ما ذكره صاحب الكشاف والكلام على مثل هذا متقرر في مواطنه (وعلى سمعهم) أي مواضعه وانما وحد السمع مع جمع القلوب كما تقدم والابصار كما سيأتي لانه مصدر يقع على القليل والكثير ولو حدة السمع وهو الصوت وانما خص هذه الاعضاء بالذكر لانها طرق العلم فالقلب محل وطريقه اما السماع والارؤية (وعلى أبصارهم غشاوة) الغشاوة الغطاء وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ومنه غاشية السرج وهي غطاء التعامى عن آيات الله ودلائل توحيده قيل المراد بالختم والغشاوة ههنا هما المعنويان لا الحسيان ويكون الطبع والختم على القلوب والاسماع والغشاوة على الابصار كما قاله جماعة قال تعالى فان يشاء الله يختم على قلبك وقال ختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة (ولهم عذاب عظيم) يعني في الآخرة وقيل الاسر والقتل في الدنيا والعذاب الدائم في العقبي والعذاب هو كل ما يؤلم الانسان وهو ما يؤخذ من الحبس والمنع يقال في اللغة أعذبه عن كذا حبسه ومنعه ومنه عذوبة الماء لانها حبست في الاناء حتى صفت وقيل هو الايجاع الشديد والعظيم نقيض الحقيق والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما أن الحقيق دون الصغير ويستعملان في الجثث والاحداث جميعا (ومن الناس) جمع انسان أو اسم جمع لانسان قاله سيبويه والجمهور وأصله اناس وذهب الكسائي الى أنه اسم تام وقال سلمة كل من ناس واناس مادة مستقلة والفرق بين الجمع واسم الجمع ان اسم الجمع ما دل على ما فوق الاثنين ولم يكن على أوزان الجوع سواء كان له مفرد أو لا ويشترط فيه أيضا أن لا يفرق بينه وبين واحده بالتاء كتمر وتمر ولا

سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء سناما وان سنام القرآن البقرة وان الشيطان ثلاث ليال ومن قرأها في بيته نهارا لم يدخله شيطان ثلاثة أيام رواه أبو القاسم الطبراني وأبو حاتم بن حبان في صحيحه وابن مردويه من حديث الازرق بن علي حدثنا احسان بن ابراهيم حدثنا خالد بن سعيد المدني عن أبي حازم عن سهل به وعند ابن حبان خالد ابن سعيد المدني وقد روى الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عبد الجيد بن جعفر عن سعيد المقبري عن عطاء مولى أبي أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وهم ذوو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل واحد منهم مائة من القرآن فأتى علي رجل من أحدتهم سنا فقال ما معك يا فلان فقال معي كذا وكذا وسورة البقرة فقال أمعك سورة البقرة قال نعم قال اذهب فانت أميرهم فقال رجل من أشرفهم والله ما معني أن أعلم

(٨ - لفتح البيان) سورة البقرة الا اني خشيت ان لا أقوم بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا القرآن واقرؤه فان مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جرأب محسوس كما يفوح ريحه في كل مكان ومثل من تعلمه فتركه وهو في جوفه كمثل جرأب أو كى على مسك هذا القطر رواية الترمذي ثم قال هذا حديث حسن ثم رواه من حديث الليث عن سعيد بن عطاء مولى أبي أحمد من سلافة الله أعلم قال البخاري وقال الليث حدثني زيد بن الهاد عن محمد بن ابراهيم عن أسيد بن حضير رضي الله عنه قال بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده اذ جالت الفرس فسكت فسكنت فقرا بأجالت الفرس فسكت

فكذبت ثم قرأ بحالت الفرس فانصرف وكان الشديحي قريسا منها فاشفق ان نصيبه فلما أخذته رفع رأسه الى السماء حتى ما راها فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقرأ يا ابن حضير قال قد أسفقت يا رسول الله على يحيى وكان منها قريسا فافترقت رأسي وانصرف اليه فرفعت رأسي الى السماء فاذا مثل القطلة فيها أنثال المصابيح فخرجت حتى لأراها قال وتدرى ما ذاك قال لا قال تلك الملائكة ذنت لصوتك ولوقرات لاصبحت ينظر الناس اليها لا تتوارى منهم وهذا كذا رواه الامام العالم أبو عبد القاسم ابن سلام في كتاب فضائل القرآن عن عبد الله (٥٨) بن صالح ويحيى بن بكير عن الليث بن سعد وقدرى من وجه آخر عن أسيد

ابن حضير كما تقدم والله أعلم وقد وقع نحو من هذا الثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه وذلك فيما رواه أبو عبيد حدثنا عباد بن عباد عن جرير بن حازم عن عمه جرير بن يزيد ان أشياخ أهل المدينة حدثوه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ألم تر ثابت بن قيس بن شماس لم تر لداه الباردة تره مرصايح قال فله قرأ سورة البقرة قال فسأت ثابتا فقال قرأت سورة البقرة وهذا اسناد جيد الا ان فيه ابا امامته هو مرسل والله أعلم (ذكر ما ورد في فضلها مع آل عمران) قال الامام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا بشر بن مهاجر حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه قال كنت جالسا لعبد النبي صلى الله عليه وسلم فسمعتة يقول تعلقوا سورة البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطالة قال ثم سكنت ساعة ثم قال تعلقوا سورة البقرة وآل عمران فانهم سما الزهرا وان يظلان صاحبهم يوم القيامة كأنهم ما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف وان القرآن يليق صاحبه

بالباء كزنج وزنجي فانه اسم جنس يحيى ويعرف باطرا دتصغره من غير رد الى المفرد وقد يراد باسم الجمع المجمع الوارد على خلاف القياس وهذا في عرف النحاة وأما أهل اللغة فاسم الجمع عندهم يسمى جمعا حقيقة ذكره الخفاجي سمي به لانه عهد اليه فنسي أولانه يستأنس بمثله ولا م التعريف فيه الجنس أو للعهد (من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر) ذكر سبحانه في أول هذه السورة المؤمنين الخالص ثم ذكر بعدهم الكفرة الخالص ثم ذكرنا المنافقين في الآيات الثلاث عشرة وهم الذين لم يكونوا من إحدى الطائفتين بل صاروا فرقة ثالثة لأنهم وافقوا في الظاهر الطائفة الأولى وفي الباطن الطائفة الثانية ولذا نزل فيهم ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار قيل نزلت في عبد الله بن أبي ومعقب بن قشير وحدث بن قيس وأصحابهم والمراد باليوم الآخر الوقت الذي لا ينقطع بل هو دائم أبدا وهو يوم القيامة (وما هم بمؤمنين) نفي عنهم الايمان بالنسبة في جميع الأزمنة كما تفيد الجمل الاسمية ففسيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره (يخادعون الله) أي يخالفونه (والذين آمنوا) والخداع في أصل اللغة الفساد حكاه ثعلب عن ابن الأعرابي وقيل أصله الاخفاء حكاه ابن فارس وغيره والمراد أنهم صنعوا صنع الخادعين وان كان العالم الذي لا يخفى عليه شيء لا يخدع وصنعة فاعل تفيد الاشتراك في أصل الفعل والمراد بالخادعة من الله انه لما أجرى عليهم أحكام الاسلام مع أنهم ليسوا منه شيء فكانت خادعهم بذلك كما خادعوه بإظهار الاسلام وابطان التكفر مشاكلة لما وقع منهم بما وقع منه والمراد بخادعة المؤمنين لهم هو أنهم أجرى عليهم ما أمرهم الله به من أحكام الاسلام ظاهرا وان كانوا يعلمون فساد بواطنهم كما أن المنافقين خادعوه بإظهار الاسلام وابطان التكفر وقيل يكون الخداع حسنا اذا كان الغرض منه استدراج الغير من الضلال الى الرشود ومن ذلك استدراج التزييل على لسان الرسل في دعوة الامم قاله الطيبي والآية من قبيل الاستعارة التمثيلية حيث شبه حالهم في معاملتهم لله بحال الخادع مع صاحبته من حيث القبح أو من باب المجاز العقلي في النسبة الإيقاعية وأصل التركيب يخادعون رسول الله أو من باب التورية حيث ذكر معاملتهم لله بلفظ الخداع والمراد بقوله (وما يخادعون الا أنفسهم) الاشعار بأنهم لما خادعوا من لا يخدع كانوا مخادعين لان تقسمهم لان الخداع انما يكون مع من لا يعرف البواطن وأما من عرف البواطن فن دخل معه في الخداع فأغيا يخدع نفسه وما يشعر

يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كل رجل الشاحب فيقول له اهل تعرفني فيقول ما أعرفك فيقول أنا صاحبك القرآن الذي أظمتك في الهواجر وأسهرت ليلك وان كل تاجر من وراء تجارته وانك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك يمينه وانظروا بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والذاه جليلان لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان بما كسبنا هذا فيقال بأخذ ولدكم القرآن ثم يقال اقرأ أو اصعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلا وروى ابن ماجه من حديث بشر بن المهاجر بعضه وهذا اسناد حسن على شرط مسلم فان بشر هذا اخرج له مسلم ووثقه ابن معين وقال النسائي ما به باس الا ان الامام

أجد قال فيه هو منكر الحديث قد اعتبرت أحاديثه فإذا هي تأتي بالعجب وقال البخاري يخالف في بعض حديثه وقال أبو حاتم الرازي يكتب حديثه ولا يحتج به وقال ابن عدي روى ما لا يتابع عليه وقال الدارقطني ليس بالقوي (قلت) ولكن لبعضه شواهد فمن ذلك حديث أبي امامة الباهلي قال الامام أجد حدثنا عبد الملك بن عمر حدثنا هشام عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام عن أبي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرأوا القرآن فإنه شافع لأهل يوم القيامة اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتیان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنتهما (٥٩) فرقان من طير صواف يحاجان عن أهلهم ما يوم

بذلك والمراد أنهم يمنونهم الاماني الباطلة وهي كذلك تنعيم والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل القلب والروح والدم والماء نفس والمراد بالنفس هنا ذواتهم أو قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم (وما يشعرون) أي لا يعلمون أن وبال خداعهم راجع عليهم قال أهل اللغة شعرت بالشيء فظنت قال في الكشف الشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الانسان حواسه وقيل الشعور ادراك الشيء من وجه يذوق ويحس من الشعار دقته والاول أولى قال ابن عباس أنهم المنافقون من الاوس والخزرج ومن كان على أمرهم عن ابن سيرين قال لم يكن عندهم شيء أخوف من هذه الآية (في قلوبهم مرض) المرض كل ما يخرج به الانسان عن جذ الصحة من علة أو نفاق أو نقصير في أمر قاله ابن فارس وقيل هو الألم فيكون على هذا مستعار للفساد الذي في عقائدهم اما شكوا ونفاقا أو بخدا وتكديبا (فزادهم الله مرضا) أي كفر ونفاقا والمراد بزيادة المرض الاخبار بأنهم كذلك بما يتجدد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من النعم ويكره له من من الله الدينوية والدينية ويحتمل أن يكون دعاء عليهم بزيادة الشك وترادف الحسرة وفطر النفاق وفسر ابن عباس المرض بالنسك والنفاق وقال ابن زيد هذا مرض في الدين وليس مرضا في الاجسام وقال عكرمة وطاوس المرض الرياء والقراء مجمعون على فتح الراء من مرض الأتباع وعرفانه قرا بالسكون (ولهم عذاب) أي نكال (أليم) أي مؤلم يخلص وجعه الى قلوبهم قال ابن عباس كل شيء في القرآن أليم فهو الموضع انتهى ووصف به العذاب للمبالغة (بما كانوا يكذبون) أي يبدلون ويحرفون قاله ابن مسعود وقيل المعنى بكذبهم الله ورسوله في السر وقيل بكذبهم اذ قالوا آمنوا بهم غير مؤمنين والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب (واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض) يعني المنافقين والقائل لهم هو الله أو الرسول أو المؤمنون والمعنى لا تفسدوا بالنفاق وموالات الكفر وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبالقرآن فانكم اذا فعلتم ذلك فسد ما في الارض بهلاك الابدان وخراب الديار وبطلان الزراع وخراب العالم كما هو مشاهد عند ثوران الفتن وهجج الحروب والتنازع والفساد خروج الشيء عن الحالة الاثقة به والاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع (قالوا انما نحن مصلحون) يعني يقولونه كذبا واتمان أدوات القصر كما هو مبين في علم

ثم قيل القلب والروح والدم والماء نفس والمراد بالنفس هنا ذواتهم أو قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم (وما يشعرون) أي لا يعلمون أن وبال خداعهم راجع عليهم قال أهل اللغة شعرت بالشيء فظنت قال في الكشف الشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الانسان حواسه وقيل الشعور ادراك الشيء من وجه يذوق ويحس من الشعار دقته والاول أولى قال ابن عباس أنهم المنافقون من الاوس والخزرج ومن كان على أمرهم عن ابن سيرين قال لم يكن عندهم شيء أخوف من هذه الآية (في قلوبهم مرض) المرض كل ما يخرج به الانسان عن جذ الصحة من علة أو نفاق أو نقصير في أمر قاله ابن فارس وقيل هو الألم فيكون على هذا مستعار للفساد الذي في عقائدهم اما شكوا ونفاقا أو بخدا وتكديبا (فزادهم الله مرضا) أي كفر ونفاقا والمراد بزيادة المرض الاخبار بأنهم كذلك بما يتجدد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من النعم ويكره له من من الله الدينوية والدينية ويحتمل أن يكون دعاء عليهم بزيادة الشك وترادف الحسرة وفطر النفاق وفسر ابن عباس المرض بالنسك والنفاق وقال ابن زيد هذا مرض في الدين وليس مرضا في الاجسام وقال عكرمة وطاوس المرض الرياء والقراء مجمعون على فتح الراء من مرض الأتباع وعرفانه قرا بالسكون (ولهم عذاب) أي نكال (أليم) أي مؤلم يخلص وجعه الى قلوبهم قال ابن عباس كل شيء في القرآن أليم فهو الموضع انتهى ووصف به العذاب للمبالغة (بما كانوا يكذبون) أي يبدلون ويحرفون قاله ابن مسعود وقيل المعنى بكذبهم الله ورسوله في السر وقيل بكذبهم اذ قالوا آمنوا بهم غير مؤمنين والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب (واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض) يعني المنافقين والقائل لهم هو الله أو الرسول أو المؤمنون والمعنى لا تفسدوا بالنفاق وموالات الكفر وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبالقرآن فانكم اذا فعلتم ذلك فسد ما في الارض بهلاك الابدان وخراب الديار وبطلان الزراع وخراب العالم كما هو مشاهد عند ثوران الفتن وهجج الحروب والتنازع والفساد خروج الشيء عن الحالة الاثقة به والاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع (قالوا انما نحن مصلحون) يعني يقولونه كذبا واتمان أدوات القصر كما هو مبين في علم

أولئذان سوداوان بينهما شرق أو كأنهم فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما ورواه مسلم عن اسحاق بن منصور عن يزيد بن عبد ربه به والترمذي من حديث الوليد بن عبد الرحمن الجرشى به وقال حسن غريب وقال أبو عبيد حدثنا حجاج عن جاد بن سلمة عن عبد الملك بن عمير قال قال حماد أحسبه عن أبي منيب عن عمه ان رجلا قرأ البقرة وآل عمران فلما قضى صلاته قال له كعب أقرأت البقرة وآل عمران قال نعم قال فوالذي نفسي بيده ان فيهما اسم الله الذي اذا دعى به استجاب قال فاخبرني به قال لا والله لا أخبرك به ولو أخبرتك به لا وشكيت أن تدعوه بدعوة أهلك فيها أن أتيت وحدثنا عبد الله بن صالح عن معاذ بن صالح

ابن عامر انه سمع أبا امامة يقول ان أخاك لم أرى في المنام ان الناس يسلكون في صدع جبل وعرطويل وعلى رأس الجبل شجرتان خضراوان يهتقان هل فيكم قارئ يقرأ سورة البقرة وهل فيكم قارئ يقرأ سورة آل عمران قال فاذا قال الرجل نعم دتما منه باعذا أقهما حتى يتعلق بهما فيخطر ان به الجبل وحده ثناء عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن أبي عمران انه سمع أم الدرداء تقول ان رجلا ممن قرأ القرآن أغار على جاره فقتله وانه أقسده فقتل فزال القرآن ينسل منه سورة سورة حتى بقيت البقرة وآل عمران جمعة ثم ان آل عمران انسلت منه وأقامت (٦٠) البقرة جمعة فقبل لها ما يبذل القول لدى وما أناب لظلام للعبيد قال فخرجت كأنها

المعاني والصالح ضد الفساد وهذا الجواب منهم رد للناسخ على أبلغ وجه لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض (ألا انهم هم المفسدون) في الارض بالكفر وهو أشد الفساد ردلا الدعوة أبلغ ردلا استئناف به وتصديره بحرفي التأكيد والأخرى تنبيه ينبه بها المخاطب وهي التنبيه على تحقيق ما بعدها قال ابن مسعود الفساد ههنا الكفر والعمل بالعصية (ولكن لا يشعرون) وذلك لانهم يظنون ان ما هم عليه من النفاق وابطان الكفر صلاح وهو عين الفساد وقيل لا يشعرون ما أعد الله لهم من العذاب والاول أولى (وإذا قيل لهم) أي للمنافقين (آمنوا) نكحهم من وجهين أحدهما النهي عن الفساد وهو عبارة عن التخلي عن الرذائل وثانيهما الامر بالايان وهو عبارة عن التخلي بالفضائل فان كل الايمان بجموع الامرين (كما آمن الناس) يعني أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم من المهاجرين والانصار وقيل الناس عبد الله بن سلام وأصحابه ومصدرية أو كلفة واللام للعهد والجنس واستدل به على قبول توبة الزنديق وأن الاقرار باللسان ايمان (قالوا) أي أجابوا بأحق جواب وأبعد عن الحق والصواب (أنؤمن كما آمن السفهاء) أي الجهال الهمة للانكار واللام مشاربهم الى الناس أو للجنس بأسره وهم مندرجون فيه نسبوا الى المؤمنين بالسفاهة استمرزا واستخفافا فتسببوا بذلك الى تسهيل الله عليهم بالسفاهة بأبلغ عبارة وآ كد قول وحصر كما قال تعالى (ألا انهم هم السفهاء) أي الجهال وأصل السفه والتفاهة رقة الخلو من فساد البصائر وخفاة العقول وخفة النهي وانما سمي الله المنافقين سفهاء لانهم كانوا عند أنفسهم عقلاء فقلب ذلك عليهم وسماهم سفهاء ورد أبلغ رد في تجهيلهم (ولكن لا يعلمون) أنهم كذلك اما حقيقة أو مجازا تزيلا لاصرارهم على السفه منزلة عدم العلم وانما ذكر العلم هنا والشعور فيما قبل لانه أكثر طباقا بذكر السفه والتمييز بين الحق والباطل يفتقر الى نظرية وفكرة والنفاق يدركه بأدنى تفتن وتأمل من قولهم وفعلهم عن ابن عباس أنها نزلت في شأن اليهود (وإذا القوا الذين آمنوا) أي المهاجرين والانصار ومعنى لقيته ولاقيته استقبلته قريبا (قالوا آمنوا) كما يائسكم (وإذا خلوا الى شياطينهم) أي رجعو اليهم قبل هوم من الخلوة وقيل الى بمعنى الباء وقيل بمعنى مع وخلوت بفلان واليه اذا انفردت معه أو من خلل لدم أي مضى عنك ومنه القرون الخالية أو من خلوت به اذا سخرت منه وعدى بالي لتضمين معنى الانتهاء والمراد بالشياطين

السحابة العظيمة قال أبو عبيد آراه يعني انهما كانتا معه في قبره يدفعان عنه ويؤنسانه فكانتا من آخر ما بقي معه من القرآن وقال أيضا حدثنا أبو مسهر الغساني عن سعيد ابن عبد العزيز التنوخي ان يزيد بن الاسود الجرشى كان يحدث انه من قرأ البقرة وآل عمران في يوم برئ من النفاق حتى عسى ومن قرأهما في ليلة برئ من النفاق حتى يصبح قال فكان يقرأهما كل يوم وليلة سوى جزئه وحده ثنائير يد عن ورفاء ابن اياس عن سعيد بن جبير قال قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه من قرأ البقرة وآل عمران في ليلة كان أو كتب من القاتلين فيه انقطاع ولكن ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأهما في ركعة واحدة (ذكر ما ورد في فضل السبع الطوال) قال أبو عبيد حدثنا هشام بن اسمعيل الدمشقي عن محمد بن شعيب عن سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي المليح عن واثله بن الاسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت السبع مكان التوراة وأعطي المئين مكان

الانجيل وأعطي المثاني مكان الزبور وفضلت بالمفصل هذا حديث غريب وسعيد بن أبي بشير فيه لين وقدرناه رؤساؤهم أبو عبيد عن عبد الله بن صالح عن الليث عن سعيد بن أبي هلال قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكره والله أعلم ثم قال حدثنا اسمعيل بن جعفر عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب بن عبد الله بن حنطب عن حبيب بن هند الاسلمي عن عروة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أخذ السبع فهو خير وهذا أيضا غريب وحبيب بن هند بن اسماء بن هند بن حارثة الاسلمي وروي عنه عمرو بن عمرو وعبد الله بن أبي بكر وذكره أبو حاتم الرازي ولم يذكر فيه جرحا قال الله أعلم وقد رواه الإمام أحمد

عن سليمان بن داود وحسين كلاهما عن اسمعيل بن جعفر بن وهب رواه أيضا عن أبي سعيد عن سليمان بن بلال عن حبيب بن طند عن عروة
 عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أخذ السبع الأول من القرآن فهو حبر قال أحمد وحدثنا حسين بن علي عن أبي
 الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله قال عبد الله بن أحمد وهذا آرى فيه عن أبيه عن الأعرج ولكن
 كذا كان في الكتاب فلا أدري أعفله أم لا وكذا هو مرسل وروى الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث
 بعثاؤهم ذو وعد و قد علم عليهم أحدثهم سنا لحفظه سورة البقرة ٦١ وقال له اذهب فأنت أميرهم وصحبه

الترمذي ثم قال أبو عبيد حدثنا
 هشيم أنا أبو بشر عن سعيد بن جبير
 في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعة
 من المثاني قال هي السبع الطوال
 البقرة وآل عمران والنساء والمائدة
 والانعام والاعراف ويونس قال
 وقال مجاهد هي السبع الطوال
 وهكذا قال مكحول وعطية بن قيس
 وأبو محمد الفارسي وشداد بن أوس
 ويحيى بن الحرث الدمري في تفسير
 الآية بذلك وفي تعدادها وإن
 يونس هي السابعة * (فصل) *
 والبقرة جميعها مدنية بلا خلاف
 وهي من أوائل ما نزل بها لكن قوله
 تعالى فيها واتقوا يومًا ترجعون فيه
 إلى الله الآية يقال إنها آخر ما نزل
 من القرآن ويحتمل أن تكون منها
 وكذلك آيات الرابعا من آخر ما نزل وكان
 خالد بن معدان يسمي البقرة فسطاط
 القرآن قال بعض العلماء وهي
 مشتملة على ألف خبر وألف أمر
 وألف نهي وقال العاذن آياتها
 مائة وستون وثمانون وسبع آيات وكلها
 ستة آلاف كلمة ومائة وأحدى
 وعشرون كلمة وحر وفها خمسة
 وعشرون ألفا وخمسة عشر حرف
 قاله أعلم قال ابن جرير عن عطاء

رؤساؤهم وكنهتهم وقيل المراد بالشياطين المماتلون منهم الشياطين في التردد والعناد
 المظهرون لكفرهم أو كبار المنافقين والقائلون صغارهم (قالوا أنما معكم) في الدين
 والاعتقاد أي أنما صاحبكم في دينكم وموافقكم عليه (انما نحن مستزرون) أي بجمدة
 صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بما نطهر لهم من الاسلام لنأمن من شرهم ونقف على
 سيرهم ونأخذ من غناهم تاكيدا لقبلة أو بدلا منه أو استئناف قال ابن عباس نزلت
 هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه والهرج السخرية واللعب والاستخفاف يقال
 هزأت واستهزأت بمعنى وأصله الخفة وهو القتل السريع وهزأهم زأما تفضاة وتمزأ به ناقته
 أي تسرع به وتخف والمراد رؤسهم للاسلام ودفعهم للحق (الله يستزى بهم) أي ينزل بهم
 الهوان والحقارة ويتقمم منهم ويستخف بهم اتصافا منهم بعبادته المؤمنين وجزاء
 لاستهزائهم بهم فسمى الجزاء باسمه لانه في مقابلته وورد ذلك في القرآن كثيرا ومنه جزاء
 سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم والجزاء لا يكون
 سيئة والقصاص لا يكون اعتداء لانه حق ومنه ومكروا ومكر الله وانهم يكيدون كيدا
 وأكيد كيدا وتعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك وهو في السنة كثير كقوله صلى الله
 عليه وآله وسلم إن الله لا يلحقني فداي وأما قال الله يستزى بهم لانه يقيد التجدد وقتا بعد
 وقت وهو أشد عليهم وأكبر لقلوبهم وأوجع لهم من الاستهزاء الدائم الثابت المستفاد
 من الجلة الاسمية لانه يألفه ويوطن نفسه عليه قال ابن عباس يفتح لهم باب الجنة
 فإذا انتهوا إليه سد عنهم وردوا إلى النار (ويذهبهم) أي يتركهم ويهملهم ويطلق لهم المدة
 كما قال انما نلهم ليزدادوا انما والمدايز باده قال يونس بن حبيب يقال مد في الشر وأمد
 في الخير ومنه وأمددناهم باده وال وبنين وأمددناهم بفاكهة وقال الاخفش مددت له اذا
 تركته وأمددته اذا أعطيته (في تخيائهم) أي في ضلالهم واصل الطغيان مجاوزة الحد
 ومنه انما ملأني الماء والغلو في الكفر (يعمهمون) أي يترددون في الضلالة تمحييرين والعمه
 والعامه الحائر المتردد والعمه في القلب كالعمى في العين قال في الكشف العمه مثل العمى
 الا ان العمى في البصر والرأى والعمه في الرأي خاصة انتهت فيهم ماعوم وخصوص
 مطلما (أو أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) يعني المنافقين استبدلوا الكفر بالايان
 وانما أخرجه بلفظ الشراء والتجارة توسعا على سبيل الاستعارة فالشراء ههنا مستعار

عن ابن عباس نزلت بالمد ستة سورة البقرة وقال خصيف عن مجاهد عن عبد الله بن الزبير قال نزلت بالمد ستة سورة البقرة وقال
 الواقدى حدثني الفخائل بن عثمان عن أبي الزناد عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال نزلت البقرة بالمد ستة وهكذا قال غير
 واحد من الأئمة والعلماء والمفسرين ولا خلاف فيه وقال ابن جرير حدثنا محمد بن معمر حدثنا الحسن بن علي بن الوليد الفارسي
 حدثنا خلف بن هشام حدثنا عيسى بن ميمون عن موسى بن أنس بن مالك عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا
 بسورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النساء وكذا القرآن كله ولكن قولوا الله قال الله تعالى لا تقولوا

عمران وكذا القرآن كله هذا حديث غريب لا يصح رفعه وعيسى بن ميمون هذا هو أبو سيلة الخواص وهو ضعيف الرواية لا يحتج به
وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود أنه روى الجرجاني عن بطن الوادي جعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه ثم قال هذا مقام الذي أنزلت
عليه سورة البقرة أخرجه وروى ابن مردويه من حديث شعبة عن عقيل بن طلحة عن عتبة بن مرثد قال رأى النبي صلى الله عليه
وسلم في أحجابه تأخر انقال يا أصحاب سورة البقرة وأظن هذا كان يوم خيبر يوم ولوا مدبرين أمر العباس فناداهم يا أصحاب الشجرة
يعني أهل بعة الرضوان وفي رواية يا أصحاب
سورة البقرة لينشطهم بذلك فجعلوا يقولون من كل وجه وكذلك يوم

٦٢

للاستبدال كقوله تعالى فاستجبوا للعمى على الهدى فاما ان يكون معنى الشراء المعاوضة
كما هو أصل حقيقة فلا لان المنافقين لم يكونوا مؤمنين وما كانوا على الهدى فبدعوا
اياهم والعرب قد تستعمل ذلك في كل من استبدل شيئاً بشئ آخر وأصل الضلالة الخيرة والخور
عن القصد وفقد الاهتداء ويطلق على التسيان ومنه قوله تعالى فعلتم اذا واثمن الضالين
وعلى الهالك كقوله تعالى اذا ضللتنا في الارض والهدى التوجه الى القصد وقداستعبر
الاول للعدول عن الصواب في الدين والثاني للاستقامة عليه قال ابن عباس في الآية
اشتروا الكفر بالايمان وقال مجاهد آمنوا ثم كفروا وقال قتادة قد والله رأى قومهم خرجوا
من الهدى الى الضلالة ومن الجماعة الى الفرقة ومن الايمان الى الخوف ومن السنة الى
البدعة (فما ربحت تجارتهم) أى ما ربحوا في تجارتهم وأصل الربح الفضل عن رأس
المال والتجارة صناعة التاجر وأسند الربح اليها على عادة العرب في قولهم ربح يبعك
وخسرت صفقتك وهو من الاسناد المجازى وهو اسناد الفعل الى ملابس الفاعل كما هو
مقرر في علم المعاني والمراد بجحوا وخبروا (وما كانوا مهتدين) أى مصيبين في تجارتهم
لان رأس المال هو الايمان فلما أضاعوه واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى وقيل
في شرائهم الضلالة وقيل في سابق علم الله (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً) المثل قول
يشبهه قولاً آخر بينهما مشابهة ليس أحدهما الآخر ويصوره ولهذا ضرب الله الامثال
في كتابه وهو أحد أقسام القرآن السبعة ولما ذكر حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب
المثل زيادة في الكشف والبيان لانه يؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه ولان
المثل تشبيه الشيء الخفي بالجلي فيتأكد الوقوف على ماهيته وذلك هو النهاية في الايضاح
وشروطه ان يكون قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه واستوقد بمعنى أوقد مثل استجاب بمعنى
أجاب فالسين والتاء زائدان وو قد النار سطوعها وارتفاع لها (فلما أضاعت ماحولها)
يعني النار والاضاءة فرطت النار فعملها يكون لازماً ومتعدياً (ذهب الله بنورهم) الذهاب
زوال الشيء (وتركهم) أى ابقاهم وترك في الاصل بمعنى طرح وخلي (في ظلمات) جمع ظلمة
والظلمة عدم النور (لا يصرون) هذا المثل للمنافقين لبيان ما يظهره من الايمان مع
ما يطنونه من النفاق لا يثبت لهم به أحكام الاسلام كمثل المستوقد الذي اضاءت ناره ثم
طفئت فانه يعود الى الظلمة ولا تنفعه تلك الاضاءة اليسيرة فكان بقاء المستوقد في ظلمات

اليامة مع أصحاب مسيلة جعل
العناية يفرقون لكشافه جيش بني
حنيفة فجعل المهاجرون والانصار
يتنادون يا أصحاب سورة البقرة حتى
فتح الله عليهم رضى الله عن أصحاب
رسول الله أجمعين

(بسم الله الرحمن الرحيم الم) *
قد اختلف المفسرون في الحروف
المقطعة التي في أوائل السور فذهب
من قال هي مما استأثر الله بعلمه
فسردوا عليها الى الله ولم يفسروها
حكاية القرطبي في تفسيره عن أبي بكر
وعمر وعثمان وعلى وابن مسعود
رضي الله عنهم أجمعين وقاله عامر
الشعبي وسفيان الثوري والربيع
ابن خنيم واختاره أبو حاتم بن حبان
ومنها من فسرها واختلف هؤلاء في
معناها فقال عبد الرحمن بن زيد بن
أسلم انما هي أسماء السور قال
السلامة أبو القاسم محمود بن عمر
الزخشري في تفسيره وعليه طباق
الاكثر ونقله عن سيبويه انه نص
عليه ويعتضد لهذا بما ورد في
الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في
صلاة الصبح يوم الجمعة الم السجدة

وهل أتى على الانسان وقال سفيان الثوري عن ابن أبي نجیح عن مجاهد انه قال الم وحده والمص ووص فواتح اقتبح الله لا
بها القرآن وكذا قال غيره عن مجاهد وقال مجاهد في روايه أبي حذيفة موسى بن مسعود عن شبل عن ابن أبي نجیح عنه انه قال الم اسم
من أسماء القرآن وهكذا أو قال قتادة وزيد بن أسلم ولعل هذا يرجع الى معنى قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم انه اسم من أسماء السور
فان كل سورة يطلق عليها اسم القرآن فانه يعد ان يكون المص اسماً للقرآن كله لان المتبادر الى فهم سامع من يقول قرأت المص
انما ذلك عبارة عن سورة الاعراف لا مجموع القرآن والله اعلم وقيل هي اسم من أسماء الله تعالى فقال الشعبي فواتح السور ومن

أسماء الله تعالى وكذلك قال سالم بن عبد الله واسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير وقال شعبه عن السدي بلغني ان ابن عباس قال
 الم اسم من أسماء الله الاعظم هكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث شعبه وزوايد ابن جرير عن ابن مهدي عن شعبه قال
 سألت السدي عن حم وطس والم فقال قال ابن عباس هي اسم الله الاعظم وقال ابن جرير وحدثنا محمد بن المنفي حدثنا أبو النعمان
 حدثنا شعبه عن اسمعيل السدي عن مرة الهمداني قال قال عبد الله فذكرنيوه وحكي مثله عن علي وابن عباس وقال علي بن أبي
 طلحة عن ابن عباس هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله تعالى وروى ٦٣

لا ينصر كبقاء المنافق في حشرته وترده قال ابن عباس في الآية نزلت في المنافقين يقول
 مثلهم في نفاقهم كمثل رجل أوقد ناراً في ليلة مظلمة في مقارفة فاستدفا ورأى ماحوله فأتى
 بما يخاف فيبناه وكذلك انطفئت ناره فبقى في ظلمة حائرة تخوف كذا حال المنافقين
 أظهر وأكبر الإيمان وأموالهم على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وبناحو المسلمين
 وقاسموهم في الغنائم فذلك نورهم فلما ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف وقيل ذهب نورهم
 ظهر وعقبتهم للمؤمنين على إيمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل في القبر أو على
 الصراط والاولى وأما وصف هذه النار بالاضاءة مع كونها نار باطل لأن الباطل
 كذلك يسطع لهيب ناره لحظة ثم تحفت ومنه قولهم للباطل صولة ثم يضمحل وقد تقرر عند
 علماء البلاغة ان لضرب الامثال شأناً عظيماً في ابراز خفيات المعاني ورفع أسرار محجبات
 الدقائق ولهذا استكثر الله تعالى ذلك في كتابه العزيز وكان رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم يكثر من ذلك في مخاطباته ومواعظه قال ابن جرير وصح ضرب مثل الجماعة بالواحد
 كما قال رأيهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشي عليه من الموت وقال تعالى مثل
 الذين جاولوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الجمار يحمل أسفارا (صم) أي عن استماع الحق لأنهم
 لا يسمونه وإذا لم يقبلوه فكأنهم لم يسمعه وهو الصمم الاسداد (بكم) أي خرس عن النطق
 بالخير فهم لا يقولونه والابكم الذي لا ينطق ولا يفهم فإذا فهم فهو الآخر وقيل الابكم
 والآخر واحد (عمى) أي لا بصائر لهم يميزون بين الحق والباطل ومن لا بصيرة له كمن
 لا يبصر له فهو أعمى والعمى ذهب البصر كانت حواسهم سليمة ولكن لما استدوا عن سماع
 الحق آذانهم وأبوا ان تنطق به ألسنتهم وان ينظروا باليد يعيونهم جعلوا كمن تعطلت
 حواسه وذهب أدراكه كما قال الشاعر

صم اذا سمعوا خيرا ذكرك به * وان ذكرت بسوء كلهم آذن

(فهم لا يرجعون) أي عن ضلالهم ونفاقهم (أو كصيب من السماء) أو حرف الشك لقصده
 التخيير بين المثلين أي مثلوهم هذا وهذا وهي وإن كانت في الاصل للشك فقد توسع فيها
 حتى صارت مجرد التساوي من غير شك وقال القراء وغيره انما يعنى الواو والصيب المطر
 واشتقاقه من صاب يصوب اذا نزل وكل ما نزل من الاعلى الى الاسفل فهو صيب والسماء
 في الاصل كل ما علاك ومنه قيل لسقف البيت سماء والسماء أيضا المطر سمى بها

الله والالاف سنة واللام ثلاثون سنة والميم أربعون سنة هذا اللفظ ابن أبي حاتم وشعوره رواه ابن جرير ثم شرع يوجه كل واحد من هذه
 الاقوال ويوفق بينها وانه لا منافاة بين كل واحد منها وبين الآخر وان الجمع ممكن فهى أسماء للسنن وروى أسماء الله تعالى يقتض
 بها السور فكل حرف منها دل على اسم من أسمائه وصفة من صفاته كما افتتح سورة كثيرة بحمده وتسميته وتعظيمه قال ولا مانع
 من دلالة الحرف منها على اسم من أسماء الله وعلى صفة من صفاته وعلى مدة وغير ذلك كما ذكره الربيع بن أنس عن أبي العالسة لان
 الكلمة الواحدة تطلق على معاني كثيرة كقظة الامة فانها تطلق ويراد بها الدين كقوله تعالى انا وجدنا آباءنا على أمة وطلق ويراد

عليه عن خالد الخذاء عن عكرمة أنه
 قال الم قسم وروياً أيضاً من حديث
 شريك بن عبد الله عن عطاء بن
 السائب عن أبي الفتح عن ابن
 عباس الم قال أنا الله أعلم وكذا قال
 سعيد بن جبير وقال السدي عن
 أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن
 عباس وعن مرة الهمداني عن
 ابن مسعود وعن ناس من أصحاب
 النبي صلى الله عليه وسلم الم قال
 أما الم فهى حروف استفتحت من
 حروف هجاء أسماء الله تعالى وقال
 أبو جعفر الرازي عن الربيع بن
 أنس عن أبي العالسة في قوله تعالى
 الم قال هذه الاحرف الثلاثة من
 التسعة والعشرين حرفاً دارت فيها
 الاسن كلها ليس منها حرف الا وهو
 مفتاح اسم من أسمائه وليس منها
 حرف الا وهو من آلائه وبلائه
 وليس منها حرف الا وهو في مدة
 أقوام وآجالهم قال عيسى بن مريم
 عليه السلام وعجب فقال اعجب انهم
 ينطقون باسمائه ويعيشون في رزقه
 فكيف يكفرون به فالالف مفتاح
 اسم الله واللام مفتاح اسمه لطيف
 والميم مفتاح اسمه مجيد فالآل
 آلاء الله واللام لطف الله والميم مجد

به الرجل المطيع لله كقوله تعالى ان اراهم كان امة فاسأله خبيثا ولم يك من المشركين وتطلق ويراد بها الجماعة فهو له تعالى واحد
عليه امة من الناس يسقون وقوله تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا وتطلق ويراد بها الخلق من البشر كقوله تعالى وقال الذي ينهى
منه ما واذكر بعد امة أي بعد جن على أصح القولين قال فكذلك هذا إذا حصل كلامه موجها ولكن عند اليس كذا كره أبو
العالية فان أبا العالية يزعم ان الحرف دل على خدا وعلى خدا وعلى هذا معا ولقلة الامه وما شبهها من الالفاظ المشتركة في الاصطلاح
اتسادل في القرآن في كل موطن على ٦٤ معنى واحد دل عليه سياق الكلام فاما حمله على مجموع محامله اذا أمكن فمسئله

لتزوله منها واطلاق السماء على المطر واقع كثير في كلام العرب وقيل من السماء بعينها
وانما ذكر الله تعالى من السماء وان كان المطر لا ينزل الا من الله اليرد على من زعم ان المطر
ينعقد من اجخرة الارض فباطل مذهب الحكماء بقوله من السماء يعلم ان المطر منها لا كما هو
زعمهم الباطل (فيه ظلمات) أي في الصيب وبه قال جمهور المفسرين وقال السيوطي
في السحاب وهو خلاف ظاهر نظم الآية وقيل في بمعنى مع وانما جاع الظلمات إشارة الى انه
انضم الى ظلمة الليل ظلمة الغيم والمطر (ورعد) اسم لصوت الملك الذي يجر السحاب وقد
أخرج الترمذي من حديث ابن عباس قال سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم
عن الرعد ما هو قال ملك من الملائكة يده مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث يشاء
الله قالوا فما هذا الصوت الذي يسمع قال زجر السحاب اذا زجره حتى ينتهي الى حيث
أمر قالت صدقت الحديث بطوله وفي اسناده مقال وعلى هذا التفسير أكثر العلماء وقيل
هو اضطراب أجرام السحاب عند نزول المطر منها والى هذا ذهب جمع من المفسرين تبعوا
للفلاسفة وبجمله المتكلمين وقيل غير ذلك قال ابن عباس الرعد اسم ملك يسوق السحاب
والبرق لمعان سوطه من نور يجر به السحاب وقيل الرعد اسم ملك يجر السحاب اذا
تددت جمعها وضمها فاذا اشتد غضبه يخرج من فيه النار فيسمى البرق (وبرق) النار التي
تخرج منه أي مخراق بيد الملك الذي يسوق السحاب واليه ذهب كثير من الصحابة وجمهور
علماء الشريعة الحديث السابق وقال بعض المفسرين تبعوا للفلاسفة ان البرق ما يتقدح
من اصطكاك أجرام السحاب المتراكمة من الاجخرة المتصاعدة المشتملة على جزء نار يلهب
عند الاصطكاك (يجعلون) أي أصحاب الصيب (أصابعهم في اذانهم من الصواعق)
اطلاق الاصابع على بعضها مجاز مشهور والعلاقة الجزئية والكلية لان الذي يجعل في
الاذن انما هو رأس الاصبع لا كما هو الصواعق ويقال الصواعق هي قطعة نار تنفصل
من مخراق الملك الذي يجر السحاب عند غضبه وشدة ضربه لها ويدل على ذلك حديث
ابن عباس المذكور قريبا وبه قال كثير من علماء الشريعة ومنهم من قال انها نار تخرج
من فم الملك وقال الخليل هي الوقعة الشديدة من صوت الرعد يكون معها أحيانا قطعة
نار تحرق ما أت عليه وقال أبو زيد الصاعقة نار تسقط من السماء في رعد شديد وقال
بعض المفسرين تبعوا للفلاسفة ومن قال بقوله هم انها نار لطيفة تتقدح من السحاب اذا

تختلف فيها بين علماء الاصول ليس
هذا موضع البحث فيها والله أعلم ثم
ان لفظة الامه تدل على كل من
معانيها في سياق الكلام بدلالة
الوضع فاما دلالة الحرف الواحد
على اسم يمكن أن يدل على اسم آخر
من غير أن يكون أحدهما أولى من
الآخر في التقدير أو الاضمار بوضع
ولا بغيره فهذا مما لا يفهم الا
بتوقيف والمسئلة مختلف فيها وليس
فيها إجماع حتى يتحكم به وما أنشده
من الشواهد على صحة اطلاق
الحرف الواحد على بقية الكلمة
فان في السياق ما يدل على ما
حذف بخلاف هذا كما قال الشاعر
فلنا في لفافات قاف

لا تحسبي اناسينا الايجاف
نعني وقف وقال الآخر
ما للظلم عال كيف لا يا
ينقد عنه جلده اذا يا
فقال ابن جرير كأنه أراد أن يقول
اذا يفعل كذا وكذا فاكتفى بالياء
من يفعل وقال الآخر
بان خير خيرات وان شرافا
ولا أريد الشر الا ان اتا
يقول وان شرافا شر ولا أريد الشر

الا ان تشافا كتنى بالقاء والتاء من الكلمتين عن بقتهم ما ولكن هذا ظاهر من سياق الكلام والله أعلم
قال القرطبي وفي الحديث من اعان على قتل مسلم بشطر كلمة الحديث قال سفيان هو ان يقول في اقل اق وقال خفيف عن
مجاهد انه قال فواتح السور كلها قوص وحرم وطمم والرو غير ذلك هي اعم موضوع وقال بعض أهل العربية هي حروف من حروف
المعجم استغنى به كرماد كرمها في أوائل السور عن ذكر روافيها التي هي تبة الثمانية والعشرين حرفا كما يقول القائل اني يكسب
في ا ب ت ث أي في حروف المعجم الثمانية والعشرين فيستغنى به كرمها عن مجموعها حكاه ابن جرير قلت مجموع الحروف

المذكورة في أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفا وهي ال م ص ر ل ه ي ع ط س ح ق ن يجمعها قولك نص حكيم قاطع لاسروهي نصف الحروف عددا والمذكور منها أشرف من المتروك ويان ذلك من صناعة التصريف قال الزنجشري وهذه الحروف الأربعة عشر مستقلة على أصناف أجناس الحروف يعني من المهموسة والمجهورة ومن الرخوة والشديدة ومن المطبقة والمفتوحة ومن المستعلية والمنخفضة ومن حروف القلقة وقد سردناها مفصلة ثم قال فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته وهذه الأجناس العديدة مذكورة بالمذكورة منها (٦٥) وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كلمة

ومن ههنا لخص بعضهم في هذا المقام كلاما فقال لا شك أن هذه الحروف لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثا ولا سدى ومن قال من الجهلة أن في القرآن ما هو تبعد لا معنى له بالكلمة فقد أخطأ خطأ كبيرا فاعتين أن لها معنى في نفس الأصرفان صح لنا فيها عن المعصوم شيء قلنا به والا وقفنا حيث وقفنا وقلنا آدنا به كل من عند ربنا ولم يجمع العلماء فيها على شيء معين وإنما اختلفوا فن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه والا فالوقف حتى يتبين هذا مقام المقام الآخر في الحكمة التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السور ما هي مع قطع النظر عن معانيها في أنفسها فقال بعضهم إنما ذكرت ليعرف بها أوائل السور حكاه ابن جرير وهذا ضعيف لأن الفصل حاصل بدونها فيعلم تذكريه وفيما ذكرت فيه البسطة تلاوة وكتابة وقال آخرون بل ابتدئ بها لتفتح لاسمائها اسماع المشركين إذ نواصوا بالاعراض عن القرآن حتى إذا استمعوا له تلاع عليهم المؤلف منه حكاه ابن جرير أيضا وهو ضعيف

اصطكت أجزامها وسيأتى في سورة الرعد أن شاء الله تعالى في تفسير الرعد والبرق والصواعق ما له مزيد فائدة وإيضاح وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم لا تقمنا بغضبك ولا تم لكنا بعدا بك وعافنا قبل ذلك أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (حذر الموت) أي مخافة الهلاك والموت ضد الحياة (والله محيط بالكافرين) أي عالم بحالهم وقيل يجمعهم ويعذبهم والاحاطة الأخذ من جميع الجهات حتى لا يفوت الحاط به بوجه من الوجوه (يكاد البرق) أي يقرب يقال كاد يفعل ولم يفعل (يخطف أبصارهم) أي يختلسها والخطف استلاب الشيء والأخذ بسرعة (كلما أضاء لهم) يعني البرق (مشوا فيه) أي في إضاءته ونوره (وإذا أظلم عليهم فاسوا) أي وقفوا متحيرين (ولو شاء الله لذهب بهمهم) أي بصوت الرعد (وأبصارهم) يوميض البرق (أن الله على كل شيء قدير) أي هو الفاعل لما يشاء لا منازع له فيه والآية على عمومها بلا استثناء وفيه دليل على أن الحوادث حال حدوثه والممكن حال بقاءه مقدوران لا كزعم المعتزلة من أن الاستطاعة قبل الفعل وهذا مثل آخر ضربه الله للمنافقين والمنافقون أصناف منهم من يظهر الإسلام ويبطن الكفر ومنهم من قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه واحدة منهن كان فيه خصله من النفاق حتى يدعيها من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان وورد بلفظ أربع وزاد وإذا خاصم فجر وورد بلفظ إذا عاهد غدر وقد ذكر ابن جرير ومن تبعه من المفسرين أن هذين المثنيين لصف واحد من المنافقين (يا أيها الناس) لم يقع النداء في القرآن بغير ما من الأدوات والنداء في الأصل طلب الأقبال والمراد به هنا التنبيه وأي معنى على الضم في محل نصب والناس نعت لأي على اللفظ وحر كته اعرابية وحر كته أي بناءية واستشكل رفع التابع مع عدم عامل الرفع والنداء على سبع مراتب نداء مدح كقولها يا أيها النبي ويا أيها الرسول ونداء ذم كقولها يا أيها الذين هادوا ويا أيها الذين كفروا ونداء تنبيه كقولها يا أيها الإنسان يا أيها الناس ونداء إضافة كقولها يا عبادي ونداء نسبة كقولها يا بني آدم يا بني إسرائيل ونداء تسمية كقولها داود يا إبراهيم ونداء تضيف كقولها يا أهل الكتاب قاله الكرخي قال ابن عباس يا أيها الناس خطاب لاهل مكة ويا أيها الذين آمنوا خطاب لاهل المدينة وهو هنا خطاب عام لاهل مكة والحق أن ما قاله ابن عباس أكثرى لا كل في فان

(٩ - فتح البيان) أيضا لانه لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور لا يكون في بعضها بل غالبها ليس كذلك ولو كان كذلك أيضا لا ينبغي الابتداء بها في أوائل الكلام معهم سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك ثم إن هذه السورة والتي تليها أعني البقرة وآل عمران مدينتان ليستا خطابا للمشركين فانتقض ما ذكره به هذه الوجوه وقال آخرون بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانا لا بحجاز القرآن وإن الخلق عاجزون عن معارضته بمثل هذا مع أنه صريح من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها وقد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره عن المبروجين من المحققين وحكى القرطبي عن القراء وقطرب نحو هذا

ورفعه الزنجشري في كشافه ونصره ثم نصره واليه ذهب الشيخ الامام العلامة أبو العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج
الزبي وحكاه في عن ابن تيمية قال الزنجشري ولم ترد كلها مجموعة في أول القرآن وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكيث كما
كررت قصص كثيرة وكررت التحدي بالصرح في أما كن قال وجاء منها على حرف واحد كقوله ص ن ق و حرفين مثل حم
وثلاثة مثل الم وأربعة مثل الروالمص وخمسة مثل كييعص وجعسق لان أساليب كلامهم على هذا من الكلمات ما هو
على حرف وعلى حرفين وعلى ثلاثة (٦٦) وعلى أربعة وعلى خمسة لأكثر من ذلك قلت وليذا كل سورة افتحت

بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الاتصاف
للقرآن وبيان إعجازه وعظمته
وخذ ما معلوم بالاستقراء وهو الواقع
في تسع وعشرين سورة ولهذا يقول
تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه
الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل
عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين
يديه المص كتاب أنزل اليك فلا يكن
في صدره لشرح منه الكتاب أنزلناه
اليك لنخرج الناس من الظلمات الى
النور باذن ربهم الم تنزيل الكتاب
لا ريب فيه من رب العالمين حم
تنزيل من الرحمن الرحيم جمعسق
كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك
الله عزيز الحكيم وغير ذلك من
الآيات الدالة على صحة ما ذهب اليه
هو لا لمن أمعن النظر والله أعلم
وأما من زعم انه نادى على معرفة
المدد وانه يستخرج من ذلك أوقات
الحوادث والفتن والملاحم فقد
ادعى ما ليس له وطار في غير مطاره
وقد ورد في ذلك حديث ضعيف
وهو مع ذلك أدل على بطلان هذا
المسلك من التمسك به على صحته
وهو ما رواه محمد بن اسحق بن يسار
صاحب المغازي حدثني الكلبي عن

البقرة والنساء والجرات نديان وفاو وقد كان في كل منها يا أيها الناس (اعبدوا ربكم
الذي خلقكم) قال ابن عباس وحيدوا كل ما ورد في القرآن من العبادة قيل معناه
التوحيد وأصل العبادة غاية التسذل وقد تقدم تفسيرها والمعنى ابتدع خلقكم من غير
مثال سبق وانما خص نعمة الخلق وامتن بها عليهم لان جميع النعم مترتبة عليها وهي أصلها
الذي لا يوجب حشدا منها بدونها وأيضا قال الكفار يقرون بان الله هو الخالق ولئن سألتهم من
خلقهم ليقولن الله فامتن عليهم بما يعترفون به فلا ينكرونه وفي أصل معنى الخلق وجهان
أحدهما التقدير يقال خلقت الادم السقاء اذا قدرته قبل القطع الثاني الانشاء
والاختراع والابداع (والذين من قبلكم) بالذات أو الزمان أى وخلقهم (لعلكم تتقون)
ولعل أصلها التبرج والطمع والتوقع والاشفاق وذلك مستحيل على الله تعالى ولكنه لما
كان في مخاطبة منه للبشر كان بمنزلة قوله لهم افعلوا ذلك على الرجاء منكم والطمع وبهذا
قال جماعة من أهل العربية منهم سيوبه وقيل بمعنى لام كي أى استقروا بهذا قال جماعة
منهم قطرب والطبري وقيل انها بمعنى التعرض للشيء كأنه قال متعرضين للتقوى واليه
مال أبو البقاء وغيره (الذي جعل لكم الأرض فراشا) أى خلق لكم الأرض بساطا ووطاء
مدلة ولم يجعلها حربة لا يمكن القرار عليها والحزن ما غلب من الأرض وجعل هنا بمعنى صير
وجاء بمعنى صار وطفق وأترجدوا التصير يكون بالفعل تارة وبالقول والعقد أخرى والفرش
وطاء يستقرون عليه واستدل به أكثر المفسرين على ان شكل الأرض بساط ليس بكبرى
(والسماء بناء) أى سقفا مرفوعا قيل اذا تأمل الانسان المتفكر في العالم وجدته كالبيت
المعمور فيه كل ما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والأرض مفروشة كالسباط
والسجود كالمصاييح والانسان كمالك البيت وفيه ضرور النبات المهيأة لمنفعة وأصناف
الحیوان مصروفة في مصالحه فيجب على الانسان المستخر له هذه الاشياء شكر الله تعالى
عليها والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد وقيل جمع سموات والبناء مصدر سمي به
المنبي بيتا كان أو قبلة أو خباء وأصل البناء وضع لبنه على أخرى فجعل السماء كالقبة
المضروبة عليهم والسقف البيت الذي يسكنونه كما قال وجعلنا السماء سقفا محفوظا (وأنزل
من السماء) يعنى السحاب (ماء) يعنى المطر (فأخرج به) أى بذلك الماء (من الثمرات)
جمع ثمرة (رزقناكم) والمعنى أخر جبالكم أو انا من الثمرات وأنواعا من النبات ليكون ذلك

أبي صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله بن رباب قال مر أبو ياسر بن أخطب في رجال من يهود رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة الم ذلك الكتاب لا ريب فيه فأتى أخاه حتى بن أخطب في رجال من اليهود فقال تعلمون
والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل الله تعالى عليه الم ذلك الكتاب لا ريب فيه فقال أتت سمعته قال نعم قال فثنى حتى بن أخطب
في أولئك النفر من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ألم يدكر أنك تتلو فيما أنزل الله عليك الم ذلك الكتاب فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فقالوا لاجل هذا جبريل من عند الله فقال نعم قالوا لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه من لنى منهم

ما مدة ملككم وما أجل أمته غيرك فقام حي بن أخطب وأقبل على من كان معه فقال اسم الآلة واحدة واللام ثلاثون وأسم
أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة أفتدخلون في دين بني أمية مدة ملككم وأجل أمته إحدى وسبعون سنة ثم أقبل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد هل مع هذا غيره فقال نعم قال ماذا قال المص قال هذا أثقل وأطول الآلة واحدة واللام ثلاثون
والميم أربعون والصاد تسعون فهذه إحدى وثلاثون ومائة سنة هل مع هذا شيء غيره قال نعم قال ماذا قال الر قال هذا أثقل
وأطول الآلة واحدة واللام ثلاثون والراء مائة تسعون فهذه إحدى وثلاثون ومائة سنة فهل مع هذا شيء غيره قال نعم قال ماذا قال الر
قال هذا أثقل وأطول الآلة واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والراء مائة تسعون (٦٧) فهذه إحدى وسبعون ومائة سنة ثم قال لقد

ليس علينا أمر لنا شيء حتى ما ندري
أقبل لا أعطيت أم كثير ثم قال قرمرا
عنه ثم قال أبو ياسر لا شيء حي بن
أخطب ولمن معه من الأخبار
ما يدريكم لعل قد جمع هذا الحمد كله
إحدى وسبعون وإحدى وثلاثون
ومائة وإحدى وثلاثون ومائة تسعون
واحدة وسبعون ومائة تسعون فذلك
سبع مائة وأربع سنين فقالوا لقد
تشابه علينا أمره فيزعمون أن هؤلاء
الآيات نزلت فيهم هو الذي أنزل
عليك الكتاب منه آيات محكمات هن
أم الكتاب وآخر متشابهات فهذه
الحديث مداره على محمد بن السائب
الكافي وهو ممن لا يمتنع بما انفرد
به ثم كان مقتضى هذا المسالك أن كان
صحيحا أن يحسب بالكل حرف من
الحروف الأربعة عشر التي ذكرناها
وذلك يبلغ منه جملة كثيرة وأن
حسبت مع التكرار فاطم وأعظم
والله أعلم (ذلك الكتاب لأريب
فيه هدى للمستقين) قال ابن
جرير قال ابن عباس ذلك الكتاب
أي هذا الكتاب وكذا قال مجاهد
وعكرمة وسعيد بن جبيرة والسدي
ومقاتل بن حبان وزيد بن أسلم وابن

مستاعا لكم وعلمنا الدوابكم إلى حين وهو قادر على أن يوجد الأشياء كلها بالأسباب ومراكم
أبدي نفوس الأسباب والمواد ولكن في الأنشاء مدرجا من حال إلى حال صنائع وحكم
يجد فيها الأولى الإصدار عبرا وسكونا إلى عظيم قدرته ليس ذلك في إيجادها دفعة (فلا تفتعلوا
لله أنه آداة) جمع نذر وهو المثل والنظير وفي جعله جمع نذر (وأنتم تعلمون) بعة ولكم أن
هذه الأشياء والأمثال لا يصح جعلها انداد الله وأنه واحد خالق لجميع الأشياء وإنه لا مثل له
ولا نذر ولا ضد وفي الآية دليل على وجوب استعمال التخييل وترك التقيد وأخرج ابن أبي
شيبه وأحمد والبخاري في الأدب المفرد والنسائي وابن ماجه وأبو نعيم في الحلية عن ابن
عباس قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ما شاء الله وشئت قال جعلته لله ندا
ما شاء الله وحده وأخرج ابن أبي شيبه وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والبيهقي عن
حديثه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان قولوا
ما شاء الله ثم شاء فلان وأخرج البخاري ومسلم عن ابن مسعود قال قلت يا رسول الله أي
الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك (وان كنتم في ريب) أي شك (٢) لأن الله أعلم
بأنهم شاكون (عمارنا على عبدا) أي القرآن أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم
وفيه التفات من الغيبة إلى التكميل للتخمين لأن قبله أعبدوا ربكم فكان حق المقام أن يقول
عمارنا على عبده والعبد ما خوذ من التعبد وهو التذلل وعبدا إضافة تشريف لمحمد صلى
الله عليه وآله وسلم والتنزيل التدرج والتخييل (فالوا بسورة) أي من سورة والسورة
الطائفة من القرآن المسماة باسم خاص سميت بذلك لأنها اشتملت على كلماتها كاشف
سور البلدة عليها أو أقل ما تألف منه السورة ثلاث آيات استدلل به من قال أنه يتعلق الإعجاز
بأقل من سورة ورد به على من قال من المعتزلة بأنه يتعلق بجميع القرآن (من مثله) الضمير
عائد على القرآن عند جمهور أهل العلم وقيل على التوراة أو الانجيل لأن المعنى أنها تصدق
بما فيه وقيل يعود على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى من بشر مثل محمد صلى الله عليه
وآله وسلم أي لا يكتب ولا يقرأ أو الأول أو وجهه وأولى ويدل عليه أن ذلك مطابق لسائر
الآيات الواردة في التحدي وانما وقع الكلام في المنزل لافي المنزل عليه (وادعوا شهداءكم)
جمع شهود بمعنى الحاضرا والقائم بال شهادة أو المعاون والمراد هنا الآلهة أي استعينوا
بآلهتكم التي تعبدونها (من دون الله) وقيل المعنى وادعوا ناسا يشهدون لكم ومعنى

جرير أن ذلك بمعنى هذا والعرب تعارض بين اسمي الإشارة فيستعملون كلامهم ما كان الآخر وهذا معروفا في كلامهم وقد
حكاه البخاري عن معمر بن المثنى عن أبي عبيدة وقال الرخصي ذلك إشارة إلى الم كما قال تعالى لا فارض ولا بكرعوان بين ذلك وقال
تعالى ذلكم حكم الله يحكم بينكم وقال ذلكم الله وأما شير به إلى ما تقدم ذكره والله أعلم وقد ذهب بعض المفسرين
فما حكاه القرطبي وغيره أن ذلك إشارة إلى القرآن الذي وعد الرسول صلى الله عليه وسلم بأنزاله عليه أو التوراة أو الانجيل أو نحو
ذلك في أقوال عشرة وقد ضعف هذا المذهب كثيرون والله أعلم والكتاب القرآن ومن قال أن المراد بذلك الكتاب الإشارة إلى

التوراة والانجيل كما سلكه ابن جرير وغيره فقد أبعد النجعة وأغرق في التزع وتكلف ما لا علم له به والرب الشك قال السدي عن
 أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لأرب فيه لا شك فيه وقال أبو الدرداء وابن عباس وجها وسعيد بن جبيرة وأبو مالك ونافع مولى ابن عمر وعطاء أبو العالية والربيع
 ابن أنس ومقاتل بن حيان والسدي وقتادة واستعمل بن أبي خالد وقال ابن أبي حاتم لا أعلم في هذا خلافا وقد يستعمل الرب
 في التهمة قال جميل ببينة قالت يا جميل (٦٨) أربني فقلت كذا نياشين مريب واستعمل أيضا في الحاجة كما قال بعضهم
 قضي من تهامة كل رب

وخبر ثم أجمعنا السيوف
 ومعنى الكلام هنا أن هذا الكتاب
 هو القرآن لا شك فيه أنه نزل من عند
 الله كما قال تعالى في السجدة الم
 نزل الكتاب لأرب فيه من رب
 العالمين وقال بعضهم هذا خبر
 ومعناه النهي أي لا ترواوا فيه
 ومن القراء من ينف على قوله تعالى
 لأرب ويبتدئ بقوله تعالى فيه
 هدى للمتقين والوقف على قوله
 تعالى لأرب فيه أولى الآية التي
 ذكرها ولا يصير قوله تعالى هدى
 صفة للقرآن وذلك أبلغ من كون فيه
 هدى وهدى يحتمل من حيث
 انعريية أن يكون مرفوعا على
 المنع ومنصوبا على الحال وخصت
 الهداية للمتقين كما قال قل هو للذين
 آمنوا هدى وشفاء والذين
 لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم
 عمي أولئك ينادون من مكان بعيد
 وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة
 لله ومنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا
 إلى غير ذلك من الآيات الدالة على
 اختصاص المؤمنين بالنفع بالقرآن
 لأنه هو في نفسه هدى ولكن لا يناله

دون أدنى مكان من الشيء واتسع فيه حتى استعمل في تحطى شيء إلى شيء آخر ومنه ما في هذه
 الآية وله معان أخر منها التقصير عن الغاية والحقارة والعرب تقول هذا دون ذلك أي أقرب
 منه (أن كنتم صادقين) فيما قلتم أنكم تقفرون على المعارضة وهذا تعجيز لهم وبيان
 لانقطاعهم أو أن محمد صلى الله عليه وآله وسلم يقوله من تلقاء نفسه والاول أولى والصدق
 خلاف الكذب وهو مطابقة الخبر للواقع أو للاعتقاد وله معاني الخلاف المعروف في
 علم المعاني (فان لم تفعلوا) فيما مضى (ولم تفعلوا) ذلك فيما يأتي وتبين لكم عجزكم عن
 المعارضة وذلك أن النفوس الآية إذا قرعت بمثل هذا التقرير استغرقت الوسع في
 الايمان بمثل القرآن أو بمثل سورة منه ولو قدر واعي ذلك لا يوابه فثبت لم يأتوا بشيء ظهرت
 المعجزة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبأن عجزهم وهم أهل الفصاحة والبلاغة والقرآن من
 جنس كلامهم وكانوا أحرص على اطفاء نوره وإبطال أمره ثم مع هذا الحرص الشديد لم
 توجد المعارضة من أحدهم ورضوا بسبي الذراري وأخذوا الأموال والقتل وادأوا
 عجزهم عن المعارضة صح صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإذا كان الأمر كذلك
 وجب ترك العناد وهذا من الغيوب التي أخبرهم القرآن قبل وقوعها لانهم لم تقع المعارضة
 من أحد من الكفرة في أيام النبوة وفيما بعد هداها إلى الآن وقد كرر الله سبحانه هدى
 الكفار لهذا في مواضع من القرآن منها هذا ومنها قوله تعالى في سورة القصص قل فأتوا
 بكتاب من عند الله هو أهدى منهم ما أتبعه ان كنتم صادقين وقال في سورة سبحان قل لئن
 اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض
 ظهير أو قال في سورة هود أم يقولون اقتراء قل فأتوا بعشر سور مثله مفريات وادعوا من
 استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وقال في سورة يونس أم يقولون اقتراء قل فأتوا
 بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وقد وقع الخلاف بين أهل
 العلم هل وجه الاجاز في القرآن هو كونه في الرتبة العلمية من البلاغة الخارجة عن طوق
 البشر أو كان العجز عن المعارضة الصرفة من الله سبحانه لهم عن أن يعارضوه والحق الاول
 فان القرآن يأتي تاريا لقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل بالمعنى ودوانه
 فارقت أساليب أساليب الكلام وأوزانه أوزان الاشعار والخطب والرسائل ولهذا تحدث
 العرب به فججزوا عنه وتحيروا فيه واعترفوا بفضله وهم معدن البلاغة وفرسان الفصاحة

الا ابرار كما قال تعالى يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين وقد قال السدي حتى
 عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 هدى للمتقين يعني نور للمتقين وقال أبو روق عن النعمان عن ابن عباس قال هدى للمتقين قال هم المؤمنون الذين يتقون الشر لي
 ويعملون بطاعتي وقال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس للمتقين
 قال الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ويرجون رحمة في التصديق بما جاء به وقال سفيان الثوري

عن رجل عن الحسن البصري قوله تعالى للمتقين قال اتقوا ما حرم الله عليهم وأدوا ما افترض عليهم وقال أبو بكر بن عياش سألني
الاعمش عن المتقين قال فاجبته فقال لي سأل عنها الكلي فبألتسه فقال الذين يجتنبون بكائرا لا ثم قال فرجعت الى الاعمش فقال
يرى انه كذلك ولم يسكره وقال قتادة للمتقين هم الذين نعتهم الله بقوله الذين يؤمنون بالغيب ويقومون الصلاة الآية والتي بعدها
واختيار ابن جرير ان الآية تعم ذلك كله وهو كما قال وقدرى الترمذى وابن ماجه من رواية أبي عقيل عبد الله بن عقيل عن
عبد الله بن يزيد عن ربيعة بن يزيد وعطية بن قيس عن عطية السعدى قال قال (٦٩) رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد

حتى قال الوليد بن المغيرة في وصف القرآن ان له لطلاوة وان عليه لطلاوة وان أصله لمغدق
وان أعلاه لمغروا والذكر في هذا مبسوط في مواطنه (فاتقوا النار) بالايمان بالله وكتبه
ورسله والقيام بفرائضه واجتناب مناهيه وقيل المعنى فاحترزوا من انكار كونه منزلا من
عند الله فانه مستوجب للعقاب بالنار (التي وقودها الناس والحجارة) أى حطبها والوقود
بالفتح الحطب وبالضم التوقد وقيل كل من الفتح والضم يجزى في الآلة والمصدر والمراد
بالجارية الاصنام التي كانوا يعبدونها لانهم قرئوا أنفسهم بها في الدنيا فجعلت وقود النار
معهم ويدل على هذا قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقيل المراد
بهاجارة الكبريت لانها أكثر الترابا قاله ابن عباس وقيل جميع الحجارة وفيه دليل على
عظم تلك النار وقوتها وفي هذا من التحويل ما لا يتبادر قدومه من كون هذه النار تنقد
بالناس والحجارة فاوقدت بنفس ما يراد احراقها (أعدت للكافرين) أى لمن كان مثل
ما انتم عليه من الكفر قاله ابن عباس والمعنى جعلت عدة لعذابهم وهيئت لذلك وأخرج
ابن مردويه والبيهقي في شعب الايمان عن أنس قال تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
هذه الآية وقودها الناس والحجارة قال أوقد عاينها ألف عام حتى اجرت وألف عام حتى
ابيضت وألف عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة لا يظن ألها بها وأخرج ابن أبي شيبة
والترمذى وابن مردويه والبيهقي عن أبي هريرة مرفوعا منه له وأخرج أحمد ومالك
والبخارى ومسلم عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال نار بنى آدم التي
يوقدون جزء من سبعين جزأ من نار جهنم قالوا يا رسول الله ان كانت لكافية قال فانهم اقد
فضلت عاينها بتسعة وستين جزأ كلهن مثل حترها عن أبي هريرة قال أنرونها اجراء مثل ناركم
هذه التي توقدون انها أشد سوادا من القار والاية دلت على انها مخلوقة الا ان اذا اخبر
عن اعدادها بلفظ الماضى دليل على وجودها والازم الكذب في خبر الله تعالى فجازعته
المعتزلة من أنها تخلق يوم الجزاء مردود وتأويلهم بأنه يعبر عن المستقبل بالماضى لتحقيق
الوقوع ومثله كثير في القرآن مدفوع بأنه خلاف الظاهر ولا يصار اليه الا بقرينة
والاحاديث الصحيحة المتقدمة تدفعه (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات) لما ذكرته الى
جزء الكافرين عقبه بجزء المؤمنين ليجمع بين الترهيب والترغيب والوعود والوعيد كما هي
عادته سبحانه وتعالى في كتابه العزيز لما في ذلك من تشييع عباده المؤمنين لطاعته وتبسيط

ولما مرشدا الى غير ذلك من الآيات ويطلق ويراد به بيان الحق وتوضيحه والدلالة عليه والارشاد اليه قال الله تعالى وانك لنهى
الى صراط مستقيم وقال اما أنت منذر ولكل قوم هاد وقال تعالى وأما نود فهدى ناهم فاستجبوا العمى على الهدى وقال
وهدى ناه التجدين على نفسين قال المراد بهما الخير والشر وهو الارح والله أعلم وأصل التقوى التوقى مما يكره لان أصلها
وقوى من الوقاية قال النابغة
فالتقنا عاده الشمس واتقت
باحسن موصولين كف ومعصم
وقد قيل ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل أبي بن
سقط النصف ولم ترد اسقاطه فسنأولته واتقتنا باليد وقال الاخر

كعب عن النعماني فقال له أما سلكت طريقا ذاك الشوك قال بلى قال فاعلمت قال فسمعت قال فاجتهدت قال فذلك التقوى وقد أخذته
 المعنى ابن المعتز فقال خل الذنوب صغيرها * وكبيرها ذلك التي واصنع كاش فوق آثر * ض الشوك يحذر ما ير
 لا تحقرن صغيرة * ان الجبال من الحصى وأنشد أبو الذرداء يوما يريد المرء أن يوتى مناه * ويأى الله الأما أراد
 يقول المرء فأنشدني ومالى * وتقوى الله أفضل ما استفاد وفي سنن ابن ماجه عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ما استفاد المرء (٧٠) بعد تقوى الله خيرا من زوجة صالحه ان نظر اليها سرته وان أمرها

عباده الكافرين عن معاصيه والتبشير الاخبار بما ينظر أثره على البشيرة وهي الخلد الطاهرة
 من البشر والسرور والماثور بالتبشير قيل هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل هو كل أحد
 كافي قوله صلى الله عليه وآله وسلم بشر المشائين في الظلم الى المساجد بالنور التام يوم القيامة
 والصالحات الاعمال المستقيمة والمراد هنا الاعمال المطلوبة منهم المفترضة عليهم وفيه
 رد على من يقول ان الايمان بمجرد كفي فالجنة تنال بالايمان والعمل الصالح قيل هو
 ما كان فيه أربعة أشياء العلم والنية والصبر والاخلاص يعني عن الرياء قاله عثمان
 (ان لهم جنات) جمع جنة وهي البساتين وانما سميت جنات لانها تجن من فيها أي تستر
 بشجرها وتسترها بالاشجار والاوراق وقيل الجنة ما فيه نخل والفرودس ما فيه كرم وهي
 اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنات كثيرة (تجري) أي على ظهر الارض من
 غير حفرة بل هي متمسكة بقدره الله (من تحتها) أي تحت الجنات لاشمالها على الاشجار
 أي من تحت أشجارها قال مسروق انها تجري من غير أخدود الانهار جمع نهر وهو
 المجري الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والمراد الماء الذي يجري فيه الان
 الانهار لا تجري وأسند الجري اليها مجازا فالجاري حقيقة هو الماء كافي قوله تعالى واسأل
 القرية التي كفنها أي أهلها والنهر يجوز فيه فتح الهاء وسكونها وكذا كل ما عينه حرف
 حلق وجمع الاول أنهار وجمع الآخر أنهار واخرج ابن أبي حاتم وابن حبان والطبراني
 والحاكم وابن مردويه والبيهقي في البعث عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أنهار الجنة تفجر من تحت جبال مسك (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا) أي أطعموا
 من الجنة طعاما والمراد بثمره النوع لا الفرد قاله سعد التفقار أي وأطال الكلام فيه
 (قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) في الدنيا (وأوابه متشابه) وصف آخر للجنات أو جنة
 مستأنفة والمراد انه شبيهه ونظيره لانه هو لان ذات الحاضر لا يكون عين ذات الغائب
 لاختلافهما وذلك ان اللون يشبه اللون وان كان الحجم والطعم والرائحة والمادة مختلفة
 والضمير في به عائد الى الرزق وقيل المراد انهم أتوا بما رزقونه في الجنة متشابهات فالياتهم في
 أول النهار يشابه الذي يأتيهم في آخره فيقولون هذا الذي رزقنا من قبل فاذأكلوا وجدوا
 له طعما غير طعم الاول عن ابن عباس ليس في الدنيا مما في الجنة شيء الا الاسماء وعن
 الحسن في قوله متشابهات قال خيار كانه يشبه بعضه بعضا لا زوال فيه ألم تزوا الى ثمار الدنيا

أطاعته وان أقسم عليها أبرته وان
 غاب عنها نعتيته في نفسه ما وه
 (الذين يؤمنون بالغيب) قال أبو
 جعفر الرازي عن العلاء بن المسيب
 ابن رافع عن أبي اسحق عن أبي
 الاحوص عن عبد الله قال الايمان
 التصديق وقال علي بن أبي طلحة
 وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما
 يؤمنون يصدقون وقال معمر عن
 الزهري الايمان العمل وقال أبو
 جعفر الرازي عن الربيع بن أنس
 يؤمنون يخشون قال ابن جرير
 والاولى أن يكونوا موصوفين
 بالايمان بالغيب قولوا واعتقادا وعلا
 وقد تدخل الخشية لله في معنى
 الايمان الذي هو تصديق القول
 بالعمل والايمان كلمة جامعة للايمان
 بالله وكتبه ورسله وتصديق الاقرار
 بالنقل * قلت أما الايمان في
 اللغة فيطلق على التصديق المحض
 وقد يستعمل في القرآن والمراد به
 ذلك كما قال تعالى يؤمن بالله ويؤمن
 للمؤمنين وكما قال اخوة يوسف
 لا يهيم وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا
 صادقين وكذلك اذا استعمل
 مقرونا مع الاعمال كقوله تعالى

الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فأما اذا استعمل مطلقا فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون الاعتقاد او قولوا وعلا
 هكذا ذهب اليه أكثر الأئمة بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيدة وغير واحد اجابا ان الايمان قول وعمل يزيد
 وينقص وقد ورد فيه آثار كثيرة وأحاديث أفردنا الكلام فيها في أول شرح البخاري والله الجد والملة ومنهم من فسر بالخشية
 كقوله تعالى ان الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب والخشية خلاصة الايمان والعمل كما
 قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال بعضهم يؤمنون بالغيب كما يؤمنون بالشهادة وليسوا كما قال تعالى عن المنافقين

واذلقوا الذين آمنوا قالوا آمنوا واذلوا إلى شياطينهم قالوا انما معكم انما نحن مستزنون وقال اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك
 لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فعلى هذا يكون قوله بالغيب حالا أي في حال كونهم غيبا عن
 الناس وأما الغيب المراد ههنا فقد اختلفت عبارات السلف فيه وكلها صحيحة ترجع إلى ان الجبجس مراد قال أبو جعفر الرازي عن
 الربيع بن أنس عن أبي العالفة في قوله تعالى يؤمنون بالغيب قال يؤمنون بالله وما لا تكتسه وكتبه ورسله واليوم الآخر وحبته
 وناره ولقائه يؤمنون بالحياة بعد الموت وبالبعث فهذا غيب كله (٧١) وكذا قال قتادة بن دعامة وقال السدي عن أبي

مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس
 وعن مرة الهذلي عن ابن مسعود
 وعن ناس من أصحاب النبي صلى
 الله عليه وسلم أما الغيب فثلاث
 عن العباد من أمر الجنة وأمر
 النار وما ذكر في القرآن وقال محمد
 ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن
 عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن
 عباس بالغيب قال بما جاء من معنى
 من الله تعالى وقال سفيان الثوري
 عن عاصم عن ذكر قال الغيب القرآن
 وقال عطاء بن أبي رباح من آمن
 بالله فقد آمن بالغيب وقال اسمعيل
 ابن أبي خالد يؤمنون بالغيب قال
 بغيب الاسلام وقال زيد بن أسلم الذين
 يؤمنون بالغيب قال بالقدر فكل
 هذه متقاربة في معنى واحد لان
 جميع هذه المذكورات من الغيب
 الذي يجب الايمان به وقال سعيد
 ابن منصور حدثنا أبو معاوية عن
 الاعمش عن عمارة بن عمير عن عبد
 الرحمن بن يزيد قال كنا عند
 عبد الله بن مسعود جالوسا فذكرنا
 أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
 وما سبقوا به فقال عبد الله ان أمر
 محمد صلى الله عليه وسلم كان بينا

كيف تزلون بعضه وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهل
 الجنة يأكلون ويشربون ولا يملون ولا يتغوطون ولا يتخبطون ولا يبرقون يلهمون الحمد
 والتسبيح كما يلهمون النفس طعامهم جشاء ورشحهم كرش المسك وفي لفظ ورشحهم
 المسك آخر جهه مسلم والمعنى ان فضول طعامهم يخرج في الجشاء وهو تنفس المعدة والرشح
 العرق ولهم فيها أزواج مطهرة أي في الجنات من الحور العين المطهرة من البول والغائط
 والحيض والولادة وسائر الاقدار وقيل هن عجايز الدنيا الغمص العمش طهرن من قدرات
 الدنيا وقيل طهرن من مساوي الاخلاق والمعنى انه لا يصيبهن ما يصيب النساء من قدر
 الخبث والنفاس والغائط والبراق والخامة وسائر الاذناس التي لا تمتنع تعانتها نساء
 الدنيا والازواج جمع زوج وهو ما يكون معه آخر فيقال زوج للرجل والمرأة زوجة بالتاء
 قليل وانها لغة تميم قاله الفراء والزوج أيضا الصنف والتنسية زوجان والظهارة الظلقة
 (وهي فيها خالدة) أي ما تكون أبدا وانخلدوا والبقاء الدائم الذي لا ينقطع وقد
 يستعمل مجازا فيما يطول دام ولم يدم والمراد هنا الاول لما يشهد له الآيات والاحاديث
 والمعنى لا يخرجون منها ولا يموتون وعن ابن عباس في قوله وهم فيها خالدون قال يخبرهم ان
 الثواب بالخبر والشر مقيم على أهله أبدا لا انقطاع له وعن سعيد بن جبير خالدون يعني
 لا يموتون وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 قال يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم يأهل النار لا موت يأهل
 الجنة لا موت كل خالد فيما هو فيه وأخرج الطبراني وابن مردويه وأبو نعيم من حديث ابن
 مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو قيل لأهل النار انكم ما كنون في النار
 عدد كل حصاة في الدنيا لفرحوا ولو قيل لأهل الجنة انكم ما كنون عدد كل حصاة لخرنوا
 ولكن جعل لهم الأبد وقد أخرج ابن ماجه وابن أبي الدنيا في صفات الجنة والبرار وابن أبي
 حاتم وابن حبان والبيهقي وابن مردويه عن أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم لأهل مشعر الجنة فان الجنة لا خطر لها حتى ورب الكعبة نوريت لا وريحانة
 تمترز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرات ضجة وزوجة حسناء جيلة وحلل كثيرة ومقام في أبد
 في دار سلمية وفا كهة خضراء الحديث والاحاديث في وصف الجنة كثيرة جدا نابتة في
 العجيج وغيرهما وكذلك في صفات نساء أهل الجنة ما لا يتسع المقام لبسطه فليست في

رأه والذي لا اله غيره ما آمن أحد قط ايمانا أفضل من ايمان بغيب ثم قرأ الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون
 بالغيب إلى قوله المتفلحون وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم في مستدركه من طرق عن الاعمش به وقال الحاكم صحيح على
 شرط الشيخين ولم يخبر به وفي معنى هذا الحديث الذي رواه أحمد حدثنا أبو المغيرة نا الاوزاعي حدثني أسد بن عبد الرحمن عن خالد بن
 دريك عن بن محيرز قال قلب لابي جعة حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم أحدثك حديثا جديدا تغدينا
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فقال يا رسول الله هل أحد خير منا أسامة جعل وجاهدنا معك قال نعم قوم

من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني طريق أخرى قال أبو بكر بن هريرة في تفسيره حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا اسمعيل عن عبد الله بن مسعود حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا معاوية بن صالح عن صالح بن جبير قال قدم علينا أبو جعة الانصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس يصلي فيه ومعنا يوشع بن جابر بن حيوة رضي الله عنه فلما انصرف خرجنا نبعثه فلما أراد الانصراف قال ان لكم جائزة وحقنا احدثكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا خات رجلك الله قال تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا عاذ بن جبل عاشر عشرة (٧٢) فقلنا يا رسول الله هل من قوم أعظم منا أجرا آتيا لله واتبعناك قال

دواوين الاسلام وقد ألف الحافظ محمد بن أبي بكر القيم الجوزي كتابا في أحوال الجنة سماه حادي الارواح الى بلاد الافراح لم يؤلف في الاسلام قبله مثله وخرأجمع ما جمع في هذا الباب وقد خصه بحذف الروايد والاسانيد وحميته مئسراكن الغرام الى روضات دار السلام فليرجع اليه وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صفات أهل الجنة في الحديث وغيرهما من طريق جماعة من الصحابة أن أهل الجنة لا يمضقون ولا يشخطن ولا يتغوطون (ان الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة) أنزل الله هذه الآية رداعلى الكفار لما أنكروا ما ضرب به سبحانه من الامثال كقوله مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً وقوله أو كصيب من السماء فقالوا ان الله أجبل وأعلى من أن يضرب الامثال وقد قال الرازي انه تعالى لما بين بالدليل كون القرآن معجزاً وردّه من شبهة أو ردّها الكفار قد حافى ذلك وأجاب عنها وتقرر الشبهة انه جاء في القرآن ذكر النحل والعنكبوت والثلث وهذه الاشياء لا يابق ذكرها بكلام النحباء فاشتمال القرآن عليها يقدر في فصاحته فضلا عن كونه معجزاً وأجاب الله عنها بأن صغر هذه الاشياء لا يقدر في الفصاحة اذا كان ذكراً مستقلاً على حكمة بالغداة انتهى ولا يخفى ان تقرير هذه الشبهة على هذا الوجه وارجاع الانكار الى مجرد الفصاحة لا مستند له ولا دليل عليه وقد تقدم الى شيء من هذا صاحب الكشف والظاهر ما ذكرناه أولاً لا يكون هذا الآية جات بعقب المثلين اللذين هما مذكوران قبلها ولا يستلزم استنكارهم لضرب الامثال بالاشياء المحقرة أن يكون ذلك لكونه قادحاً في الفصاحة والابحار والحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم كذا في الكشف وتبعه الرازي في مناقب الغيب وقال القرطبي الاستحياء الانقباض عن الشيء والامتناع منه خوفاً من مناقب القبيح وهذا محال على الله انتهى وقد اختلفوا في تأويل ما في هذه الآية من ذكر الحياء فقيل ساع ذلك لكونه واقعاً في الكلام المحكى عن الكفار وقيل هو من باب المشاكلة كما تقدم وقيل هو جار على سبيل التمثيل وضرب المثل اعتماده وصنعه والبعض صغار البق الواحدة بعوضة سميت بذلك لصغرها قاله الجوهرى وغيره وهو من عجب خلق الله في غاية الصغر شديد اللسع وله ستة أرجل وأربعة اجنحة وله ذنب وخرطوم مخوف وغومع صغره بغوص خرطومه في جلد القمل والجاموس والجل فيبلغ منه الغاية (فخافوها) يعنى الباب والعنكبوت وما هو

ما بينكم من ذلك ورسول الله بن أظهركم يا أيكم بالوحي من السماء بل قرء بعدكم يا أيهم كتاب من بين لرحين يؤمنون به ويعلمون بما فيه أولئك أعظم منكم أجراً صريتين ثم رواد من حديث ضمرة بن ربيعة عن مرزوق بن نافع عن صالح بن جبير عن أبي جعة بنحوه وهذا الحديث فيه دلالة على العمل بالوجادة التي اختلف فيها أهل الحديث كما قرئته في أول شرح البخارى لانه مدحهم على ذلك وذكر انهم أعظم أجراً من هذه الجنة لا مطلقاً وكذا الحديث الآخر الذي رواه الحسن بن عرفة العبدى حدثنا اسمعيل بن عياش الجصى عن المغيرة بن قيس التميمي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الخلق عجب اليكم ايماناً قالوا الملائكة قال وما لهم لا يؤمنون وشهم عند ربهم قالوا فاليؤمنون قال وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم قالوا فافهم قال وما لكم لا تؤمنون وانابن أظهركم قال فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم ألا ان أعجب الخلق الى ايماناً القوم يكونون من بعدكم يحدون صحفها كتاب يؤمنون بما فيها قال أبو أعظم حاتم الرازي المغيرة بن قيس البصرى منكر الحديث (قلت) ولكن قد روى أبو يعلى في مسنده وابن هريرة في تفسيره والحاكم في مستدركه من حديث محمد بن ابي حميد وفيه ضعف عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله أو نحوه وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخبر جاء وقد روى نحوه عن أنس بن مالك مرفوعاً والله أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن محمد المسندى حدثنا الحق بن ادريس أخبرني ابراهيم بن جعفر بن محمود بن سلمة الانصاري أخبرني جعفر بن محمود عن جده بن دية

بنت أسلم قالت صليت الظهر أو العصر في مسجد بني حارثة فاستقبلنا مسجد أيلاء فصلينا بحديثين ثم جاءنا من يخبرنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استقبل البيت الحرام فحزول النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء فصلينا السجدين الباقيتين ونحن مستقبلون البيت الحرام قال إبراهيم خدني رجال من بني حارثة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك قال أولئك قوم آمنوا بالغيب هذا حديث غريب من هذا الوجه (ويقيمون الصلاة وعمارزقناهم ينفقون) قال ابن عباس ويقيمون الصلاة أي يقيمون الصلاة بفروضها وقال الضحاك عن ابن عباس إقامة الصلاة اتمام (٧٣) الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والاقبال عليها فيها وقال قتادة إقامة

الصلاة المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها وقال مقاتل بن حيان أقامتها المحافظة على مواقيتها واسباغ الطهور فيها وتمام ركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها والتشميد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فهذا أقامتها وقال علي بن أبي طلحة وغيره عن ابن عباس وعمار زقناهم ينفقون قال زكاة أموالهم وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمار زقناهم ينفقون قال نفقة الرجل على أهله وهذا قبل أن تنزل الزكاة وقال جوير عن الضحاك كانت النفقات قربا ياتقربون بها إلى الله على قدر ميسرتهم وجهدهم حتى نزلت فرائض الصدقات سبع آيات في سورة براءة بما يذكر فيها من الصدقات هن الناسخات المنبئات وقال قتادة وعمار زقناهم ينفقون فانفقوا مما أعطاكم الله هذه

أعظم من مافي الجنة قال الكسائي والنسائي الفاء هنا بمعنى إلى وقيل معناه فنادوها وأصغرها وهذا القول أشبه بالآية لأن الغرض بيان أن الله تعالى لا يمنع من التمثيل بالشيء الصغير الحقير وقد ضرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثلا للدينا بفتح البعوضة وهو أصغر منها وقد ضرب العرب المثل بالمحقرات فقيل هو أحقر من ذرة وأجمع من غلة وأطيش من فراشة وألح من ذبابة (فأما الذين آمنوا) بحمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن (فيعملون أنه) يعني ضرب المثل (الحق) أي الثابت الواقع موقعه وهو المقابل للباطل والحق واحد الحقوق والمراد هنا الأول وقد اتفق المسلمون على أنه يجوز إطلاق هذا اللفظ على الله سبحانه (من بينهم) لا يجوز أنكاره لأن ضرب الأمثال من الأمور المستحسنة في العقل وعند العرب (وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) أي بهذا المثل والارادة تقيض الكراهة وقيل هي زوع أي اشتياق النفس وميلها إلى فعل بحيث يحملها عليه أو هي قوة هي منبذ النزوع والأول مع الفعل والثاني قبله وأرادنه سبحانه ترجيح أحد مقدوريه على الآخر بالإيقاع أو معنى يوجب هذا الترجيح والارادة صفة لذاتية قديمة زائدة على العلم (يضل به كثيرا) أي من الكفار وذلك أنهم يكذبونه فيزدادون به ضلالا (ويهدى به كثيرا) يعني المؤمنين يصدقونه ويعلمون أنه حق وهو كالتفسير الجملتين السابقتين المصدرتين بما فهو خبر من الله سبحانه وقيل هو حكاية لقول الكافرين كانوا هم قالوا ما أمر الله بهذا المثل الذي يفرقه بالناس إلى ضلاله وإلى هدى وليس هذا بصحيح فإن الكافرين لا يقولون بأن في القرآن شيئا من الهداية ولا يعرفون على أنفسهم شيئا من الضلالة وقد أطال المتكلمون الخصام في تفسير الضلال المذكور هنا وفي نسبته إلى الله سبحانه وقد نفع الزاوي في تفسيره في هذا الموضع تفجيحا نفيسا وجوده وطوله وأوضح فروعه وأصوله فليرجع إليه فإنه مفيد جدا وأما صاحب الكشاف فقد اعتمد هنا على عصاه التي يتوكأ عليها في تفسيره فجعل اسناد الضلال إلى الله سبحانه ليكون سببا فهو من الاسناد المجازي إلى ملابس للفاعل الحقيقي وحكي القرطبي عن أهل الحق من المفسرين أن المراد بقوله يضل يخذل (وما يضل به إلا الفاسقين) يعني الكافرين وقيل المنافقين وقيل اليهود ولا خلاف في أن هذا من كلام الله سبحانه قاله القرطبي فيه دلالة للذهب أهل السنة أن الهدى والضلال من الله والفسق

(١٠ - فتح البان ل) الأموال عوار وودائع عندنا ابن آدم نوسك أن تفارقها واختار ابن جرير أن الآية عامة في الزكاة والنفقات فإنه قال وأولى التاويلات وأحقها بصفة القوم أن يكونوا جميع اللازم لهم في أموالهم مؤدين زكاة كانت ذلك أو نفقة من لزمته نفقته من أهل أو عيال وغيرهم ممن يجب عليهم نفقته بالقرابة والملك وغير ذلك لأن الله تعالى غم وصفهم ومدحهم بذلك وكل من الاتفاق والزكاة بمدوح به محمود عليه (قلت) كثير ما يقرن الله تعالى بين الصلاة والاتفاق من الأموال فإن الصلاة حق الله وعبادته وهي مشتملة على توحيدته والشأن عليه وتبجيله والابتغال إليه ودعائه والتوكل عليه والاتفاق هو من الاحسان إلى المخلوقين

بالنفع المتعدى اليهم وأولى الناس بذلك القرابات والأهلون والمائليك ثم الأجانب فكل من النفقات الواجبة والزكاة المفروضة داخل في قوله تعالى وتمازقناهم بفقون ولهذا ثبت في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بي الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والاحاديث في هذا كثيرة وأصل الصلاة في كلام العرب الدعاء قال الأعشى لها حارس لا يبرح الدهر بيتها * وإن ذبحت صلى عليها وزمما وقال أيضاً وقابلها الرمح في دنها * وصلى على دنها وارثهم (٧٤) أشدهما ابن جرير مستشهداً على ذلك وقال الآخر وهو الأعشى أيضاً

الخروج عن الشيء كرمعني هذا القراء وقد زعم ابن الأعرابي أنه لم يسمع قط في كلام الجاهلية ولا في شعرهم فاسق وهذا امر دود عليه فقد حكى ذلك عن العرب وأنه من كلامهم جماعة من أئمة اللغة كابن فارس والجريري وابن الأنباري وغيرهم وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال خمس فواسق الحديث وقال في الكشف الفسق الخروج عن القصد ثم قال والفاسق في الشرعية الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة اه وقال القرطبي الفسق في عرف الاستعمال الشرعي الخروج عن طاعة الله عز وجل فقد يقع على من خرج بكفر وعلى من خرج بعصيان اه وهذا هو أنسب للمعنى اللغوي ولا وجه لقصره على بعض الخارجين دون بعض قال الرازي في تفسيره واختلاف أهل القبلة هل هو مؤمن أو كافر فعند أصحابنا هو مؤمن وعند الخوارج أنه كافر وعند المعتزلة أنه لا مؤمن ولا كافر واحتج الخالف بقوله بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان وقوله ان المنافقين هم الفاسقون وقوله يجب اليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان وهذه المسئلة طويلة مذكورة في علم الكلام اه (الذين يتقضون عهد الله) النقض افساد ما أبرم من بناء أو جعل أو عهد والنقضاء ما نقض من حمل الشعر وقيل أصل النقض الفسخ وفك المركب والمعنى متقارب والمعنى يتروكون ويتخلفون وأصل العهد حفظ الشيء وصرعاته حالاً بعد حال والعهد قبل هو الذي أخذه الله على بني آدم حين استخرجهم من ظهروه وهو قوله ألت بربكم قالوا بلى وقيل هو وصية الله إلى خلقه وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعته ونهيهم إياهم عما نهاهم عنه من معصيته في كنهه على السن رساله ونقضهم ذلك ترك العمل به وقيل بل هو نصب الأدلة على وحدانيته بالسموات والأرض وسائر مخلوقاته ونقضه ترك النظر فيه وقيل هو ما عهده إلى الذين أوثقوا الكتاب لتبينته للناس (من بعد ميثاقه) الضمير للعهد أو لله تعالى قاله السمين وعلى الأول مصدر مضاف إلى المفعول وعلى الثاني مضاف للفاعل ومن لا بداء الغاية فان ابتداء النقض بعد الميثاق والميثاق العهد المؤكد باليمين مفعول من الوثاق وهي الشدة في العقد والربط جميعاً والجمع الموائيق والمياثيق واستعمال النقض في ابطال العهد على سبيل الاستعارة (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) القطع معروف والمصدر في الرحم القطيعة واختلفوا ما هو الشيء الذي أمر الله بوصله فقيل الأرحام وموالات المؤمنين وقيل وصل القول بالعمل

تقول بتي وقد قربت من تحلا يارب جنب أبي الاوصاب والوجعا عليك مثل الذي صليت فاعتمضي نو ما فان جنب المرء مضطجعا يقول عليك من الدعاء مثل الذي دعيت له وهذا ظاهر ثم استعملت الصلاة في الشرع في ذات الركوع والسجود والافعال المخصوصة في الاوقات المخصوصة بشروطها المعروفة وصفاتها وأنواعها المشهورة قال ابن جرير وأرى ان الصلاة سميت صلاة لان المصل يتعرض لاستنجاح طلبته من ثواب الله بعمله مع ما يسأل ربه من حاجاته وقيل هي مشتقة من الصلوات اذا تحرر كافي الصلاة عند الركوع والسجود وهما عرفان يتدان من الظهر حتى يكسفاً عجب الذنب ومنه سمي المصل وهو التالي للسابق في حلبة الخيل وفيه نظر وقيل هي مشتقة من الصلي وهو الملازمة للشيء من قوله تعالى لا يصلاها أي لا يلزمها ويدوم فيها الا لا شق وقيل مشتقة من تصلية الخشب في النار لتقوم كإمان المصلى يقوم

عوجه بالصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر واشتقاقها من الدعاء أوضح وأشهر والله أعلم وأما الزكاة فبأي الكلام عليها في موضعه ان شاء الله تعالى (والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون) قال ابن عباس والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك أي يصدقون بما جئت به من الله وما جاءه من قبلك من المرسلين لا يفرقون بينهم ولا يجحدون ما جؤهم به من ربهم وبالاخرة هم يوقنون أي بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان وانما سميت الاخرة لانها بعد الدنيا وقد اختلف المفسرون في الموصوفين هنا هل هم الموصوفون

بما تقدم من قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ومن هم على ثلاثة أقوال حكاه ابن جرير
أحدها أن الموصوفين أولاهم الموصوفون ثانياً وهم كل مؤمن مؤمنة العرب ومؤمنو أهل الكتاب وغيرهم فالله مجاهد وأبو العالية
والربيع بن أنس وقتادة والثاني هما واحد وهم مؤمنو أهل الكتاب وعلى هذين تكون الواو عاطفة صفات على صفات كما قال
تعالى سبحانه ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى فجعله غثا نحوى وكما قال الشاعر
إلى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتبية في المزدحم (٧٥) فعطف الصفات بعضها على بعض والموصوف واحد

والثالث أن الموصوفين أولاهم مؤمنو

العرب والموصوفون ثانياً بقوله

والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما

أنزل من قبلك وبالأخرة هم

يوقنون لمؤني أهل الكتاب نقله

السدي في تفسيره عن ابن عباس

وابن مسعود وأناس من الصحابة

واختاره ابن جرير رحمه الله

ويستشهد لما قال بقوله تعالى وإن

من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله

وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم

خاشعين لله الآية وبقوله تعالى

الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم

به يؤمنون وأذا نزل عليهم قالوا

آمنابه إنه الحق من ربنا أنا كنا من

قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم

مرتين بمصبروا ويذرون بالحسنة

السيئة ومما رزقناهم ينفقون وبما

ثبت في الصحيحين من حديث

الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

بلائهم يؤتون أجرهم مرتين رجل

من أهل الكتاب آمن بنبيه ومن بي

ورجل مملوك أذى حق الله وحق

مواليه ورجل أذب جاريته

فأحسن تأديبها ثم اعتقها وترجها

لزوم الجماعات المفروضة وقبل أمر أن يوصل التصديق بجميع أنبيائه فقطعوه بتصديق
بعضهم وتكذيب البعض الآخر وقبل المراد به حفظ شرائعه وحدوده التي أمر في كتبه
المنزلة على ألسن رسله بالمحافظة عليها وقبل سائر ما فيه رفض خيرا وتعاطى شر فانه يقطع
الوصل بين الله وبين عبده فهي عامة وبه قال الجمهور وهو الحق والأمر هو القول الطالب
للفعل وقبل مع العلو وقبل مع الاستعلاء وبه سمي الأمر الذي هو واحد الأمور تسمية
للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به (ويفسد في الأرض) يعني بالمعاصي وتعويق الناس
عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن والاستمرار بالحق وقطع الوصل التي بها
نظام العالم وصلاحه فالمراد بالفساد في الأرض الأفعال والأقوال المخالفة لما أمر الله به
كعبادة غيره والأضرار بعباده وتغيير ما أمر بحفظه وبالجملة فكل ما خالف الصلاح شرعا
أو عقلا فهو فساد وهو لما استبدلوا النقص بالوفاء والقطع بالوصل كان عملهم فسادا لما
نقصوا أنفسهم من الفلاح والربح عن قتادة قال ما نعلم الله أو عدى ذنب ما أو عدى
نقص هذا المشاقق فن أعطى عهد الله وميثاقه من ثمرة قلبه فليوف به الله وقد ثبت عن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أحاديث ثابتة في الصحيح وغيره من طريق جماعة من
الصحابة النهي عن نقض العهد والوعد الشديد عليه (أولئك هم الخاسرون) أي
المغبونون بأهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحياة الأبدية وأصل الخسار
والخسران النقصان والخاسر هو الذي نقص نفسه من الفلاح والفوز قال مقاتل
الخاسرون هم أهل النار وقال ابن عباس كل شيء نسيه الله إلى غير أهل الإسلام مثل خاسر
ومسرف وظالم ومجرم وفاسق فأنما يعني به الكفر وما نسبته إلى أهل الإسلام فأنما يعني به
الذم (كيف) هو للسؤال عن الأحوال والمراد هنا الأحوال التي يقع عليها الكفر على
الطريق البرهاني من العسر واليسر والسفر والأقامة والكبر والصغر والعز والذل وغير
ذلك وهذا الاستفهام هو لأنكار عليهم والتعجب من حالهم وفيه تبكيت وتعنيف لهم
(نسكفرون بالله) بعد نصب الدلائل ووضع البراهين الدالة على وحدانيته والخطاب على
طريقة الالتفات ثم ذكر الدلائل فقال (وكنتم أمواتا) يعني نطقا في أصلاب آبائكم وعلما
ومضغا (فاحياكم) يعني في الأرحام بنفخ الروح وفي الدنيا (ثم يميتكم) أي عند انقضاء
آجالكم ثم يحييكم بالشور يوم تفتح الصور واختلف المفسرون في ترتيب هاتين الموتيتين

وأما ابن جرير فاستشهد على صحة ما قال بالاجتناسية وهي أن الله وصف في أول هذه السورة المؤمنين والكافرين فكأنه صنف
الكافرين إلى صنفين كافرون منافقون فكذلك المؤمنون صنفهم إلى صنفين عربي وكفاي (قلت) والظاهر قول مجاهد فيمارة والنوري
عن رجل عن مجاهد ورأه غيره واحد عن ابن أبي شبيب عن مجاهد أنه قال أربع آيات من أول سورة البقرة في نعمت المؤمنين وآيات في
نعت الكافرين وثلاثة عشر في المنافقين فهذه الآيات الأربع عامات في كل مزمع من انصفهم من عربي ويحجمي وكفاي من أنسي
وحنيني وليس تصح واحدة من هذه الصفات بدون الأخرى بل كل واحدة مستلزمة للأخرى وشرط معهما فلا يصح الإيمان بالغيب

واقام الصلاة والزكاة الامع الايمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به من قبله من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم
 اجمعين والايقان بالآخرة كما ان هذا لا يصبغ الا بهذا وقد أمر الله المؤمنين بذلك كما قال يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله
 والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل الآيات وقال تعالى ولا تتجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين
 ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل السنا وأنزل اليكم والهناء والهناء واحدا الآية وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا والكتاب آمنوا بما
 نزلنا من قبلنا معكم وقال تعالى قل يا أهل الكتاب (٧٦) لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وأخبر

تعالى عن المؤمنين كلهم بذلك فقال
 تعالى آمن الرسول بما أنزل اليه من
 ربه والمؤمنون كل آمن بالله
 وملائكته وكتبه ورسوله لا تفرق
 بين أحد من رسله وقال تعالى والذين
 آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين
 أحد منهم الى غير ذلك من الآيات
 الدالة على جميع أمر المؤمنين
 بالايقان بالله ورسوله وكتبه لكن
 لمؤمني أهل الكتاب خصوصية
 وذلك انهم يؤمنون بما يابدهم
 مفصلا فاذا دخلوا في الاسلام
 وآمنوا به مفصلا كان لهم على ذلك
 الاجر مرتين وأما غيرهم فانما يحصل
 له الايمان بما تقدم مجملا كما جاء في
 الصحيح اذا حدثكم أهل الكتاب
 فلا تكذبوهم ولا تصدقوهم ولكن
 قولوا آمنا بالذي أنزل السنا وأنزل
 اليكم ولكن قديكون ايمان كثير
 من العرب بالاسلام الذي بعث به
 محمد صلى الله عليه وسلم آتموا كل
 وأعم وأشمل من ايمان من دخل
 منهم في الاسلام فهم وان حصل لهم
 أجران من تلك الحثية فغيرهم
 يحصل له من التصديق ما ينيف
 ثوبه على الاجرين اللذين حصل لهم

والحياتين والحاصل ان المراد بالموت الاول العدم السابق بالحياة الاولى الخلق وبالموت
 الثاني الموت المعهود وبالحياة الثانية الحياة للبعث فجاءت الفاء ثم على بابيهما من
 التعقيب والتراخي على هذا التفسير وهو أحسن الاقوال وقد ذهب الى هذا جماعة من
 الصحابة فن بعدهم قال ابن عطية وهذا القول هو المراد بالآية وهو الذي لا محيد للكفار
 عنه واذ أدعت نفوس الكفار بكونهم كانوا معدومين ثم احياء في الدنيا ثم أموات فيها
 لهم الاقرار بالحياة الاخرى قال غيره والحياة التي تكون في القبر على هذا التأويل في
 حكم حياة الدنيا وقيل ان المراد كنتم أمواتا في ظهر آدم عليه السلام ثم آخر حكم من ظهره
 كالذين يميتكم موت الدنيا ثم يعثكم وقيل كنتم أمواتا أي نطفة في اصلاب الرجال ثم
 يحييكم حياة الدنيا ثم يميتكم بعد هذه الحياة ثم يحييكم في القبور ثم يميتكم فيها ثم يحييكم
 الحياة التي ليس بعدها موت قال القرطبي فعلى هذا التأويل هي ثلاث موتات وثلاث
 احياء آت وكونهم موتى في ظهر آدم وآخر احياءهم من ظهره والشهادة عليهم غير كونهم نطفة
 في أصلاب الرجال فعلى هذا يحيى أربع موتات وأربع احياءات وقد قيل ان الله
 أوجدهم قبل خلق آدم كلبهم وأما ثم فيكون على هذا خمس موتات وخمس احياءات
 وموتة سادسة للعصاة من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما ورد في الحديث ولكن ناسا
 أصابتهم النار بنوهم فماتهم الله امانة حتى اذا كانوا خفا أذن في الشفاعة فجئ بهم الى
 أن قال فينبئون نبات الحبة في جيل السيل وهو في الصحيح من حديث أبي سعيد (ثم اليه
 ترجعون) أي تردون في الآخرة الى الله سبحانه فيجازيكم بأعمالكم قال في الكشف في
 عطف الاول بالفاء وما بعده ثم لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بغير تراخي وأما الموت فقد
 تراخي عن الاحياء والاحياء الثاني كذلك مترخي عن الموت ان أريد به النشور تراخيها
 وان أريد به احياء القبر فتمسك به العلم بتراخيها والرجوع الى الجزاء أيضا مترخي عن
 النشور انتهى ولا يخفى انه ان أراد بقوله ان الاحياء الاول قد تعقب الموت انه وقع على
 ما هو متصف بالموت فالمراد بالآخرة وقوع على ما هو متصف بالحياة وان أراد انه وقع الاحياء
 الاول عند أول انصافه بالموت بخلاف الثاني فغير مسلم فانه وقع عند آخر أوقات موته كما
 وقع الثاني عند آخر أوقات حياته فقامل هذا وقد أخرج ابن جرير عن ابن مسعود وناس
 من الصحابة قال لم تكونوا شيئا خلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة (هو الذي خلق

والله أعلم) أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون يقول تعالى أولئك أي المتصفون بما تقدم من الايمان
 بالغيب واقام الصلاة والانفاق من الذي رزقهم الله والايقان بما أنزل الى الرسول ومن قبله من الرسل والايقان بالدار الآخرة
 وهو مستلزم الاستعداد لها من الاعمال الصالحة وترك المحرمات على هدى أي على نور بيان وبصيرة من الله تعالى وأولئك هم
 المفلحون أي في الدنيا والآخرة وقال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أولئك على هدى
 من ربهم أي على نور من ربهم واستقامة على ما جاءهم به وأولئك هم المفلحون أي الذين أدركو ما طلبوا ونجوا من شر ما نهى ربوا

وقال ابن جرير وأما معنى قوله تعالى أولئك على هدى من ربهم فإن معنى ذلك فأنهم على نور من ربهم وبإيهان واستقامة وسداد بتسديد
إياهم وتوفيقه لهم وتأويل قوله تعالى أولئك هم المفلحون أى المنجحون المدركون ما طابوا عند الله بأعمالهم وإيمانهم بالله
وكتبه ورسله من الفوز بالنواب والخلود فى الجنات والنجاة مما أعد الله لأعدائه من العقاب وقد حكى ابن جرير قولاً عن بعضهم
أنه أعاد اسم الإشارة فى قوله تعالى أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون الى مؤمنى أهل الكتاب الموصوفين بقوله تعالى
والذين يؤمنون بما أنزل اليك الآية على ما تقدم من الخلاف وعلى هذا فيجوز (٧٧) ان يكون قوله تعالى والذين يؤمنون بما

لكنهم ما في الارض قال ابن كيسان أي خلق من أجلكم ما فيهما من المعادن والنبات والحيوان والجبال والبحار لتتقوا به في مصالح الدين والدنيا أما الدين فهو الاعتبار والتفكير في عجائب مخلوقات الله الدالة على وحدانيته وأما الدنيا فهو الانتفاع بما خلق فيها وقيل اللام للاختصاص وقيل للملك والاباحة وفيه دليل على ان الاصل في الاشياء مخلوقة الاباحة حتى يقوم دليل يدل على النقل عن هذا الاصل ولا فرق بين الحيوانات وغيرها مما ينتفع به من غير ضرر وفي التأكيده بقوله (جميعا) أقوى دلالة على هذا وقد استدلل بهذه الآية على تحريم أكل الطين لانه تعالى خلق لنا ما في الارض دون نفس الارض وقال الرازي في تفسيره ان لقائل ان يقول ان في جلة الارض ما يطلق عليه انه في الارض فيكون جامعاً للوصفين ولا شك ان المعادن داخله في ذلك وكذلك عروق الارض وما يجري مجرى البعض لها ولا أن تخصص الشيء بالذ كر لا يدل على نفي الحكم عما عداه اه وقد ذكر صاحب الكشاف ما هو أوضح من هذا فقال فان قلت هل لقول من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة قلت ان أراد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء وتراد الجهات العلوية جاز ذلك فان الغبراء وما فيها واقعة في الجهات السفلية اه وأما التراب فقد ورد في السنة تحريمه وهو أيضاً ضار ليس مما ينتفع به أكلاً ولكنه ينتفع به في منافع أخرى وليس المراد منفعة خاصة كمنفعة الاكل بل كل ما يصدق عليه انه ينتفع به بوجه من الوجوه وأما السم القاتل ففيه نفع لاجل دفع الحيوانات المؤذية وقملها فلا يرد انه لا نفع فيه (ثم استوى الى السماء) أي قصدوا قبل على خلقها وقيل عمد وقال ابن عباس ارتفع وقال الازهرى صعداً مره وكذا ذكره صاحب المحكم وذلك ان الله خلق الارض أولاً ثم عمد الى خلق السماء وأصل ثم يقتضي تراخياً زمانياً ولا زمان هنا فمبطل هي اشارة الى التراخي بين ترتيب خلق الارض والسماء قاله القرطبي والاستواء في اللغة الاعتدال والانتصاب والاستقامة وضده الاعوجاج قاله في الكشاف والرازي ويطلق على الارتفاع والعلو على الشيء قال تعالى فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك وقال لتستوا على ظهوره وهذا المعنى هو المناسب لهذه الآية وقد قيل ان هذه الآية من المشكلات وقد ذهب كثير من الأئمة الى الايمان بها وترك التعرض لتفسيرها وخالفهم آخرون وقد استدلل بقوله ثم استوى على ان خلق الارض

يا رسول الله انانقرأمن القرآن فخرجوننقرأمن القرآن فسكادأن يأسأوكما قال قال أفلا أخبركم عن أهل الجنة وآهل النار قالوا بلى يا رسول الله قال ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الى قوله تعالى المغفلون هؤلاء أهل الجنة قالوا النار حوان نكون هؤلاء ثم قال ان الذين كفروا ساء عليهم الى قوله عظيم هؤلاء أهل النار قالوا السناهم يا رسول الله قال أجل (ان الذين كفروا ساء عليهم أنذرهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) يقول تعالى ان الذين كفروا أى غطوا الحق وستروه وقد كتب الله تعالى عليهم ذلك ساء عليهم انذارك وعدمه فانهم لا يؤمنون بما جئتكم به كما قال تعالى ان الذين كفروا ساء عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية حتى

يروا العذاب الاليم وقال تعالى في حق المانسين من أهل الكتاب ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك الآية أي ان من كتب الله عليه الشقاوة فلا سعة له ولا فلاحا دى له فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وبلغهم الرسالة فمن استجاب لك فلا الخط الاوفرو من يؤلى فلا تحزن عليهم ولا يهمنك ذلك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب انما انت نذير والله على كل شئ وكيل وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ان الذين كفروا ساء عليهم آتذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرض ان يؤمن جميع (٧٨) الناس ويتابعوه على الهدى فاخبره الله تعالى انه لا يؤمن الا من سبق له من

الله السعادة في الذكر الاول ولا يضل الا من سبق له من الله الشقاوة في الذكر الاول وقال محمد ابن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس ان الذين كفروا أي بما أنزل اليك وان قالوا انا قد آمننا بما جاءنا فبقك ساء عليهم آتذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون أي أنهم قد كفروا بما عندهم من ذكرك وجدوا ما أخذ عليهم من الميثاق وقد كفروا بما جاءهم وما عندهم مما جاءهم به غيرك فكيف يدعون منك انذارا وتحذرا وقد كفروا بما عندهم من علمك وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العباس قال نزلت هاتان الايتان في قادة الاحزاب وهم الذين قال الله فيهم ألم ترالى الذين بدلوا نعمه الله كفرا وأحلوا قومهم دارالبوارجهن يصلونها والمعنى الذي ذكرناه أولا وهو المروى عن ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة أظهر ويفسر بيقية الايات التي في معناها والله أعلم وقد ذكر ابن أبي حاتم هي ناحدين فقال حدثنا أني حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح

المصري حدثنا أبي حدثنا ابن لهيعة حدثني عبد الله بن المغيرة عن أبي الهيثم عن عبد الله بن عمرو قال قال الله ان الذين كفروا ساء عليهم آتذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون هو لا أهل النار قالوا السنانهم يارسول الله قال أجل وقوله تعالى لا يؤمنون محله من الاعراب انه جلة مؤكدة التي قبلها ساء عليهم آتذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون أي هم كفار في كلا الحالين فلهذا أكد ذلك بقوله تعالى لا يؤمنون ويحتمل أن يكون لا يؤمنون خبر الان تقديره ان الذين كفروا لا يؤمنون ويكون قوله تعالى ساء عليهم آتذرتهم أم لم تنذرهم

السما

لا يؤمنون جملة معترضة والله أعلم (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) قال السدي ختم الله أي طبع الله وقال قتادة في هذه الآية استحوذ عليهم الشيطان إذ أطاعوا فختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة فهم لا يبصرون هدى ولا يستمعون ولا يفقهون ولا يعقلون وقال ابن جرير قال مجاهد ختم الله على قلوبهم قال الطبع ثبت الذنوب على القلب خفت به من كل نواحيه حتى تلتقى عليه فالتقاءها عليه الطبع والطبع الختم قال ابن جرير ختم الله على القلب والسمع قال ابن جرير وحدثني عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهدا يقول (٧٩) الران أي سر من الطبع والطبع

أي سر من الاقفال والاقفال أشد من ذلك كله وقال الاعمش أرانا مجاهد يده فقال كانوا يرون أن القلب في مثل هذه يعني الكف فإذا أذنب العبد نبرأ من الله وقال باصبعه الخنصر هكذا فإذا أذنب ضم وقال باصبع أخرى فإذا أذنب ضم وقال باصبع أخرى هكذا حتى ضم أصابعه كلها ثم قال يطبع عليه بطابع وقال مجاهد كانوا يرون أن ذلك الرين ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن الاعمش عن مجاهد نحوه قال ابن جرير وقال بعضهم إنما معنى قوله تعالى ختم الله على قلوبهم سم أخبار من الله عن تكبرهم واعراضهم عن الاستماع لمادعوا إليه من الحق كما يقال إن فلانا أصم عن هذا الكلام إذا امتنع من سماعه ورفع نفسه عن تفهمه تكبرا قال وهذا لا يصح لأن الله تعالى قد أخبر أنه هو الذي ختم على قلوبهم وسمعهم قلت وقد أظن الرن مخشري في تقرير مراده ابن جرير ههنا وتناول الآية من خمسة أوجه وكلها ضعيفة جدا وما جرد على

السما فان الله تعالى خلق لهم ضياء يستمدون منه وهذا قول من جعل الارض كرية وفي الآية قول ثالث حكاه الطيبي عن أبي صالح عن ابن عباس انها سبع أرضين منبسطة ليس بعضهم فوق بعض تفرق بينها البحار وتطل جميعها السماء انتهى وسيأتي تحقيق ما هو الحق في آخر سورة الطلاق ان شاء الله تعالى وقد ثبت في الصحيح قولاً صلى الله عليه وآله وسلم من أخذ من الارض شبرا ظلما طوقه الله من سبع أرضين وهو ثابت من حديث عائشة وسعيد ابن زيد وقد أظن الرأزي في تفسيره في بيان السموات هل هي سبع أو ثمان وذكر مذهب الحكماء في ذلك وأجابهم بوجه ثم قال أعلم ان هذا الخطب مما ينهك على انه لا سبيل للعقول البشرية الى ادراك هذه الاشياء فانه لا يسيطر بها العلم فاطرها وحالها فوجب الاقتصار فيه على الدلائل السمعية فان قال قائل فهل يدل التخصيص على سبع سموات على نفي العدد الزائد قلنا الحق ان تخصيص العدد بالذکر لا يدل على نفي الزائد انتهى وفي هذا الإشارة الى ما ذكره الحكماء من الزيادة على السبع ونحن نقول انه لا يتأتى عن الله ولا عن رسوله الا السبع فنقتصر على ذلك ولا نعمل بالزيادة الا اذا جاءت من طريق الشرع ولم يأت شيء من ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة في هذه الآية قالوا ان الله كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا قبل الماء فلما أراد ان يخلق الخلق أخرج من الماء دحانا فارتفع فوق الماء فسماه سماء ثم أنشأ الماء فجعله أرضا واحدة ثم فقهها سبع أرضين في يومين الاحد والاثني خلق الارض على حوت وهو الذي ذكره في قوله ن والقلم والحوت قائم على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملاك على عترة والعرة في الريح وهي العترة التي ذكر لقمان ليست في السماء ولا في الارض فحرك الحوت فاضطرب فدرأت الارض فارسي عليها الجبال فقوت فذلك قوله تعالى وجعل لها رواسي أن تعبدكم وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها وسخرها وما ينبغي لها في يومين في الثلاثاء والاربعاء وذلك قوله أنتم كنتم تكفرون بالذي خلق الارض الى قوله وبارك فيها يقول أثبت شجرها فيها وقرر فيها أقواتها يقول أقوات أهلها في أربعة أيام سواء للسائلين يقول من سأل فهكذا الامر ثم استوى الى السماء وهي دخان وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة ثم فقهها فجعلها سبع سموات في يومين في الخميس والجمعة وانما سمى يوم الجمعة لانه جمع فيه خلق السموات والارض وأوحى في كل سماء أمراها قال خالق في كل سماء خلقها من

ذلك الاعتزاله لأن الختم على قلوبهم ومنعها من وصول الحق اليها فبقي عنده تعالى الله عنه في اعتقاده ولو فهم قوله تعالى فلما رآعو آراغ الله قلوبهم وقوله ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون وما أشبه ذلك من الآيات الدالة على انه تعالى إنما ختم على قلوبهم وحال بينهم وبين الهدى جزاء وفا على عما دبتهم في الباطل وتركهم الحق وهذا عدل منه تعالى حسن وليس بقيق فلما علم هذا ما قال ما قال والله أعلم قال القرطبي وأبجعت الأمة على ان الله عز وجل قد وصف نفسه بالختم والطبع على قلوب الكافرين مجازا لا كقوله كما قال بل طبع الله عليهم فكفرهم وذكر حديث ثعلبة بن قيس

وياء قلب القلوب ثبت فلو با على ذلك وذكر حديث حذيفة الذي في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعرض القنن على القلوب كالحصير عودا عودا فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض والآخر أسود مرابدا كالكور مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا الحديث قال ابن جرير والحق عندى في ذلك ما صبح بنظيره الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما حدثنا به محمد بن بشار حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا ابن عجلان (٨٠) عن القعقاع عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله

الملائكة والخلق الذى فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلم ثم زين السماء الدنيا بالكواكب فجعلها زينة وحفظا من الشياطين فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش أخرجه البهيقي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن جرير وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حديث أبي هريرة في الصحيح قال أخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم يوم الجمعة بعد العصر وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من طرق عند أهل السنن وغيرهم عن جماعة من الصحابة أحاديث في وصف السموات وإن غلط كل سماء مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام وإنها سبع سموات وإن الأرض سبع أرضين ولم يأت في التنزيل ولا في السنة المطهرة تصريح بان فيهن من يعقل من العوالم والأوادم وأنبيائهم والأتار من الصحابة ومن بعدهم ان جاءت بسند صحيح لا تصلح للاحتجاج على ذلك فكيف بمالم يصح سنده أو صح ولكنه لم يتابع عليه أو توبع ولكنه لم يساعده نص من الله ورسوله وكذلك ثبت في وصف السماء آثار من جماعة من الصحابة وقد ذكر السيوطي في الدر المنثور بعض ذلك في تفسير هذه الآية وإنما ترك ذكره هنا لكونه غير متعلق بهذه الآية على الخصوص بل هو متعلق بما شؤ أعم منها (وهو بكل شيء عليم) أى يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات وإنما أثبت سبحانه لنفسه العلم بكل شيء لأنه يجب ان يكون عالما بجميع ما ثبت انه خالقه (وإذا قال ربك) أى واذا ذكرنا ما وجدنا في القرآن من هذا الخوف فهذا سبيله وقيل اذا زائدة والاول أوجه (للملائكة) جمع ملك بوزن فعل قاله ابن كيسان وقيل جمع ملائكة بوزن مفعول قاله أبو عبيدة وأراد بالملائكة الذين كانوا في الأرض وذلك ان الله تعالى خلق الأرض وأسكن فيها الجن وأسكن في السماء الملائكة فافسدت الجن في الأرض فبعث اليهم طائفة من الملائكة فطردتهم إلى جزائر البحار ورؤس الجبال وأقاموا مكانهم وقيل القول لمطلق الملائكة وكان ذلك تعليما للمشاورة وتعظيما لآدم وبيان لكون الحكمة تقتضى إيجاد ما يغلب خيره على شره واللام في الملائكة للتبليغ وهو أحد المعاني التي جاءت لها اللام (أنى جاعل في الأرض خليفة) أى خالى بدلا منكم ورافعكم إلى وجاعل هنا من جعل المتعدى إلى مفعولين وذكر

صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب وزرع واستعجب صقل قلبه وان زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذى قال الله تعالى كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون هذا الحديث من هذا الوجه قدره الترمذي والنسائي عن قتيبة واليث بن سعد وابن ماجه عن هشام بن عمار عن حاتم ابن اسمعيل والوليد بن مسلم ثلاثتهم عن محمد بن عجلان به وقال الترمذي حسن صحيح ثم قال ابن جرير فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذنوب اذا تابعت على القلوب أغلقتها واذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله تعالى والطبع فلا يكون للايمان اليها مسلك ولا للكفر عنها مخلص فذلك هو الختم والطبع الذى ذكر في قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم نظير الختم والطبع على ما تدرسه الابصار من الاوعية والظروف التى لا يوصل الى ما فيها الا بغض ذلك عنها ثم حلها فكذلك لا يصل الايمان الى قلوب من وصف

الله انه ختم على قلوبهم وعلى سمعهم الا بعد فض خاتمته وحده رباطه عنها واعلم ان الوقف التام على قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وقوله وعلى ابصارهم غشاوة جلة تامة فان الطبع يكون على القلب وعلى السمع والغشاوة هي الغطاء الذى يكون على البصر كما قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم يقول فلا يعقلون ولا يسمعون يقول وجعل على ابصارهم غشاوة يقول على أعينهم فلا يبصرون وقال ابن جرير حدثني محمد بن سعد حدثنا أبي حنيفة عن عبيد بن الحسن بن

الحسن عن أبيه عن جده عن ابن عباس ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم والغشاوة على أبصارهم قال وحدثننا القاسم حدثنا الحسين يعني ابن داود وهو سني حدثني ججاج هو ابن محمد الأعور حدثني ابن جريج قال الختم على القلب والسمع والغشاوة على البصر قال الله تعالى فان بشا الله يختم على قلبك وقال وختم على سمعهم وقلوبهم وجعل على أبصارهم غشاوة قال ابن جريج ومن نصب غشاوة من قوله تعالى وعلى أبصارهم غشاوة يحتمل انه نصبها بانفسهم فجعل على أبصارهم غشاوة ويحتمل ان يكون نصبها على الاتباع على محل وعلى سمعهم كقوله تعالى وحور عين وقول الشاعر (٨١) علقمتا بنوا ماء باردا * حتى شئت هما لذة عيناها وقال

الآخر

ورأيت زوجك في الزغا

مستقلدا سيفا ورحما

تقديره وسقيته ماء باردا وبعتة قلا

رحما * لما تقدم وصف المؤمنين في

صدر السورة بآيات ثم عترف

حال الكافرين بهاتين الآيتين

شرع تعالى في بيان حال المنافقين

الذين يظهرون الإيمان ويبطنون

الكفر ولما كان أمرهم يشبهه على

كثير من الناس أطنب في ذكرهم

بصفات متعددة كل منها نفاق كما

أنزل سورة براءة فيهم وسورة

المنافقين فيهم وذكرهم في سورة

النور وغيرها من السور تعريفا

لاحوالهم لتجنب ويحتمل من

تلبس بها أيضا فقال تعالى (ومن

الناس من يقول آمنا بالله وباليوم

الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون

الله والذين آمنوا وما يخدعون الا

أنفُسهم وما يشعرون) النفاق هو

إظهار الخير وإسرار الشر وهو

أنواع اعتقادي وهو الذي يتخذ

صاحبه في النار وعلى وهو من

أكبر الذنوب كما سيأتي تفصيله في

موضع ان شاء الله تعالى وهذا كما

المطري انه بمعنى الخالق وذلك يقتضي انه يستعد الى مفعول واحد وصيغة اسم الفاعل بمعنى المستقبل والارض هنا هي هذه الغبراء ولا يختص ذلك بمكان دون مكان وقيل انها مكة كما ورد في مرسل ضعيف وقال ابن كثير انه مدرج والخليفة هنا معناه الخائف لمن كان قبله من الملائكة ويجوز ان يكون بمعنى الخوف أي يخلفه غيره قيل هو آدم كما دل عليه السياق وقيل كل من له خلافة في الارض ويقوى الأول قوله خليفة دون الخلافة واستغنى بذلك عن ذكر آدم عن ذكر من بعده والصحيح أنه انما سمى خليفة لانه خليفة الله في أرضه لإقامة حدوده وتنفيذ قضايه قيل خاطب الله الملائكة بهذا الخطاب للمشورة ولكن لاستخراج ما عندهم قيل وفيه ارشاد عباده الى المشاورة وان الحكمة تقتضي اتخاذ ما يغلب خبره وان كان فيه نوع شر وان لا رأى مع وجود النص وهو أصل في المسائل التعمدية قال بعض المفسرين ان في الكلام حذفاً والتقدير اني جاعل في الارض خليفة يفعل كذا وكذا فذكر هو ذلك و(قالوا) أي استكشافا عما خفي عليهم من الحكمة الباهرة وليس باعتراض على الله ولا طعن في بني آدم على وجه الغيبة فانهم أعلى من أن يظن بهم ذلك لقوله بل عباد مكرمون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله أو تلقى من اللوح المحفوظ أو قياسا لاحد الثقلين على الآخر (أتجعل فيهم من يفسد فيها) بالمعاصي بمقتضى القوة الشهوانية والفساد ضد الصلاح (وبسفل الدماء) بغير حق بمقتضى القوة الغضبية كما فعل الجن وسفل الدم صبه قاله ابن فارس والجوهري والمهدوي ولا يستعمل السفك الا في الدم (ونحن نسج) أي نقول سبحانه الله وبحمده وهي صلاة الخلق وعليها يرزقون عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل أي الكلام أفضل قال ما اصابني الله للملائكة أو لعباده سبحانه الله وبحمده أخرجه مسلم وقال ابن عباس كل ما جاء في القرآن من التسبيح فالمراد منه الصلاة فيكون المعنى ونحن نصلي لك وأصل التسبيح في كلام العرب التزينة والتبجيل من السوء على وجه التعظيم فيكون المعنى ونحن نزهك عن كل سوء وتقيصه (بحمدك) أي حامدين لك أو متلبسين بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتكبر من ذلك (ونقدس لك) وأصل التقديس التطهير أي ونظهر لك عن النقائص وعن كل ما لا يليق بك من سوء ومما نسب اليك المجددون واقترامه الجاحدون وذكر في الكشف ان معنى التسبيح والتقديس واحد وهو تبيح الله من سوء وفي القاموس وغيره من

(١١ - فتح البيان ل) قال ابن جريج المنافق يخالف قوله فعله وسره علانية ومداخله مخبره ومخبره مغيبه وانما نزلت صفات المنافقين في السور المدنية لان مكة لم يكن فيها نفاق بل كان خلافة من الناس من كان يظهر الكفر مستكرا وهو في الباطن مؤمن فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان بها الانصار من الاوس والخزرج وكانوا في جاهليتهم يعبدون الاصنام على طريقة مشركي العرب وبها اليهود ومن أهل الكتاب على طريقة اسلافهم وكانوا ثلاث قبائل بنو قينقاع حلفاء الخزرج وبنو النضير وبنو قريظة حلفاء الاوس فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأسلم من أسلم من الانصار من قبلي الاوس

والخزرج وقيل من أسلم من اليهود الا عبد الله بن سلام رضى الله عنه ولم يكن اذ ذاك اتفاقاً أيضاً لانه لم يكن للمسلمين بعد شوكه تخاف بل قد كان عليه الصلاة والسلام واذع اليهود وقبائل كثيرة من احياء العرب حوالى المدينة فلما كانت وقعة بدر العظمى وأظهر الله كبره وأعز الاسلام وأخذ قال عبد الله بن أبي ترسل وكان راساً فى المدينة وهو من الخزرج وكان سيد الطائفتين فى الجاهلية وكانوا قد عزموا على ان يملكوه عليهم فجاهم الخبر وأسلموا واشتغلوا عنه فبقى فى نفسه من الاسلام وآله فلما كانت وقعة بدر قال هذا أمر قد توجه فظهر الدخول فى الاسلام (٨٢) ودخل معه طوائف من هو على طريقته ونخلته وآخرون من أهل الكتاب

كتب اللغة ما يرشد الى ما ذكرناه والتأسيس خير من التأكيذ خصوصاً فى كلام الله سبحانه وقيل معناه فظهر أنفستنا لطاعتك وعبادتك والاول أولى وعن ابن مسعود وناس من الصحابة نقض لك أى نصلى لك وقال مجاهد نعظمك ونكبرك واللام زائدة والجملة حال أى فحين أحق بالاستخلاف ولما كان سؤالهم واقعا على صفة تستلزم اثبات شئ من العلم لانفسهم أجاب الله سبحانه عليهم فقال انى أعلم ما لا تعلمون وفى هذا الاجال ما يغنى عن التفصيل لان من علم ما لا يعلم الخاطب له كان حقيقاً بان يعلم له ما يصدر عنه وعلى من لا يعرف أن يعترف لمن يعلم بان أفعاله صادرة على ما توجه العلم وتقتضيه المصلحة الراجحة والحكمة البالغة ولم يذ كر متعلق قوله تعلمون ليفيد التعظيم ويذهب السامع عند ذلك كل مذهب ويعترف بالعجز ويقر بالقصور عن ابن عباس قال ان الله أخرج آدم من الجنة قبل ان يخلق فى الارض قبل ان يخلق بالنى عام الجن بنو الجان فأفسدوا فى الارض وسفكوا الدماء فلما أفسدوا فى الارض بعث الله عليهم جنوداً من الملائكة فضربوهم حتى ألحقوهم بجزائر البحور فلما قال انى جاعل فى الارض خليفة قالوا ألتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كما فعل أولئك الجان فقال انى أعلم ما لا تعلمون أخرجهم الخاكم وصححه عنه وفى الباب آثار من الصحابة كثيرة وعن قتادة كان فى علم الله انه سيكون من الخليفة انبياء ورسل وقوم صالحون وسأكنوا الجنة وقيل أعلم انهم يذنبون ويستغفرون فاعفروهم وقيل أعلم من وجود المصلحة والحكمة ما لا تعلمون أنتم وقد ثبت فى كتب الحديث المعتبرة أحاديث من طريق جماعة من الصحابة فى صفة خلقه سبحانه لادم وهى موجودة فلا تطول بذكرها قيل خاطبهم بذلك لاجل ان يصدر منهم ذلك السؤال فيجابون بذلك الجواب وقيل لاجل تعليم عبادهم مشروعية المشاورة لهم وظاهر انهم استنكروا استخلاف بنى آدم فى الارض لكونهم مظنة للفساد فى الارض وانما قالوا هذه المقالة قبل أن تتقدم لهم معرفة بنى آدم بل قبل وجود آدم فضلاً عن ذرية لعلم قد علموا ومن الله سبحانه بوجه من الوجود لانهم لا يعلمون الغيب قال بهذا جماعة من المفسرين (وعلم آدم الاسماء كلها) سمى آدم لانه خلق من اديم الارض وهو وجهها وقيل لانه كان آدم اللون والادمة هى السمرة ولما خلق الله آدم وتم خلقه علمه اسماء الاشياء كلها قال فى الكشف وما آدم الاسم أجمعى وأقرب أمره أن يكون على فاعل كآزر وعازر وعابر وشالح وفالغ وأشياء

فمن ثم وجد اتفاق فى أهل المدينة ومن حولها من الاعراب فاما المهاجرون فلم يكن فيهم أحد هاجر لانه لم يكن أحد معها جرمكرهابل بهاجر فترك ماله وولده وأرضه رغبة فيما عند الله فى الدار الآخرة قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ومن الناس من يقول آمنابالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين يعنى المنافقين من الاوس والخزرج ومن كان على أمرهم وكذا فسرهما بالمنافقين من الاوس والخزرج أبو العالسة والحسن وقتادة والسدى ولهذا به الله سبحانه على صفات المنافقين لئلا يغتربا ظاهر أمرهم المؤمنين فيقع بذلك فساد عريض من عدم الاحتراس منهم ومن اعتقاد ايمانهم وهم كفار فى نفس الامر وهذا من المحذورات الكبار أن يظن بأهل الفجور خير فقال تعالى ومن الناس من يقول آمنابالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين أى يقولون ذلك قولاً ليس وراءه شئ آخر كما قال تعالى اذا جاءه المنافقون قالوا نشهد انك

لرسول الله والله يعلم انك لرسوله أى انما يقولون ذلك اذا جاؤك فقط لافى نفس الامر ولهذابو كدون فى الشهادة ذلك بان ولا م التأكيذ فى خبرها كدوا أمرهم قالوا آمنابالله وباليوم الآخر وليس الامر كذلك كما كذبهم الله فى شهادتهم وفى خبرهم هذا بالنسبة الى اعتقادهم بقوله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وقوله وماهم بمؤمنين وقوله تعالى يحادعون الله والذين آمنوا أى باظهارهم ما أظهره من الايمان مع اسرارهم الكفر يعتقدون بجهلهم انهم يتحدعون الله بذلك وان ذلك نافعهم عنده وانه يروج عليه كقدير ووج على بعض المؤمنين كما قال تعالى يوم يعثهم الله جميعاً فيحلفون له كيجلفون لكم ويحسبون انهم على

ثم انهم هم اسكانون وليد ان يذهب على اعتقاد شبهة فتكون ومثله الدعوى ان انفسهم وما في صدورهم يسترون وما في قلوبهم يسترون
 هذا في الجند دون ان انفسهم وما في صدورهم انفسهم كما قد تعرف ان هذا قد يكون انه وصورته قد تقدم ومن الغرض انفس
 فلو وما في جند دون ان انفسهم وما في صدورهم انفسهم كما قد تعرف ان هذا قد يكون انه وصورته قد تقدم ومن الغرض انفس
 هذا قد يكون انه وصورته قد تقدم ومن الغرض انفس
 هذا قد يكون انه وصورته قد تقدم ومن الغرض انفس

[illegible]

أوسعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قلوبهم مرض قال شك وكذلك قال مجاهد وعكرمة والحسن البصري وأبو العباس والربيع
ابن أنس وقتادة وعن عكرمة وطائوس في قلوبهم مرض يعني الرباء وقال الضمك عن ابن عباس في قلوبهم مرض قال نفاق فزادهم
الله مرضا قال نفاقا وهذا كالأول وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قلوبهم مرض قال هذا مرض في الدين وليس مرضا في
الاجساد ومرض المنافقون والمرض الشك الذي دخلهم في الاسلام فزادهم الله مرضا قال زادهم رجسا وقرأنا الذين آمنوا فزادهم
إيمانا ومرضهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم ٨٤ مرض فزادهم رجسا إلى رجسهم قال شر إلى شرهم وضلالة إلى ضلالتهم

وسبحان مصدر لا يكاد يستعمل إلا مضافا منصوبا بإضمار فعله كـ معاذ الله (لا علم لنا إلا
ما علمنا) أي أنك أجل من أن نحيط بشئ من علمك إلا ما علمنا (أنت العليم) أي بحقيقك
وهو من أسماء الصفات الثابتة وهو المحيط بكل المعلومات (الحكيم) أي في أمرك وله
معنيان أحدهما أنه القاضي العدل الثاني المحكم للأمر كي لا يتطرق اليه الفساد
(قال) يعني الله تعالى (يا آدم) استدل به على أن آدم نبي متكلم (أنبئهم باسمائهم) وذلك لما ظهر
عجز الملائكة فسمي كل شئ باسمه وذكر وجه الحكمة التي خلق لأجلها بان قال لهم هذا
الجرم يسمى القصعة وحكمته وضع الطعام فيه وهكذا (قلما أنبأهم باسمائهم) فيه دليل على
حزنة العلم وأنه شرط في الخلافة وفضل آدم على الملائكة قال الامام لما أراد الله اظهار
فضل آدم على الملائكة لم يظهره الا بالعلم فلو كان في الامكان شئ أشرف من العلم كان
اظهار فضله بذلك الشئ لا بالعلم ولذلك أمر الله تعالى الملائكة بالسجود له لأجل فضيلة العلم
قلت ويؤخذ من هذا استحباب القيام للعالم وقال الطيبي أفادت هذه الآية أن علم اللغة
فوق التخلي بالعبادة فكيف علم الشريعة (قال) يعني الله تعالى (ألم أقل لكم) يا ملائكتي
(أني أعلم غيب السموات والارض) يعني ما كان وما سيكون وذلك أنه سبحانه علم أحوال
آدم قبل أن يخلقه وفي اختصاصه بعلم غيب السموات والارض رد لما يتكفاه كثير من
العباد من الاطلاع على شئ من علم الغيب كالنجمين والكهان وأهل الرمل والسحر
والشعوذة (وأعلم ما تدون وما كنتم تكتمون) أي ما تظهرون وما تسمرون كما يفيد معنى
ذلك عند العرب ومن فسر به شئ خاص فلا يقبل منه ذلك الأبدليل (وأذن قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم) قيل هذا خطاب مع ملائكة الارض والاصح أنه خطاب مع جميع
الملائكة وهو الظاهر من قوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون والسجود معناه في كلام
العرب التذلل والخضوع وغايته وضع الوجه على الارض والاسجد اذانة النظر وفي هذه
الآية فضله لا دم عليه السلام عظيمة حيث أسجد الله له ملائكته وقبل أن السجود كان
لله ولم يكن لا دم وإنما كانوا مستقبليين له عند السجود ولا يلجئ لهذا فإن السجود للبشر
قد يكون جائزا في بعض الشرائع بحسب ما تقتضيه المصالح وقد دلت هذه الآية على أن
السجود لا دم وكذلك الآية الأخرى أعني قوله فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا
له ساجدين وقال تعالى ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا فلا يستلزم بحريه لغير الله

وهذا الذي قاله عبد الرحمن رحمه
الله حسن وهو الجزء من جنس
العمل وكذلك قاله الاولون
وهو تفسير قوله تعالى أيضا والذين
استندوا زاداتهم هدى وآتاهم تقواهم
وقوله بما كانوا يكذبون وقرئ
يكذبون وقد كانوا متصفين بهذا وهذا
فأنهم كانوا كذبة ويكذبون بالغيب
يجمعون بين هذا وهذا وقد سئل
القرطبي وغيره من المفسرين عن
حكمة كفه عليه الصلاة والسلام
عن قتل المنافقين مع علمه باعيان
بعضهم وذكروا أجوبة عن ذلك
منها ما ثبت في الصحيحين أنه صلى
الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله
عنه أكره أن يتحدث العرب أن
محمد يقتل أصحابه ومعنى هذا أخشية
أن يقع بسبب ذلك تغير لكثير من
الاعراب عن الدخول في الاسلام
ولا يعلمون حكمة قتله لهم وإن قتله
اباهم إنما هو على الكفر فأنهم إنما
يأخذونه عجزا لما يظهر لهم فيقولون
إن محمدا يقتل أصحابه قال القرطبي
وهذا قول علماءنا وغيرهم كما كان
يعطى المؤلف مع علمه بسوء اعتقادهم
قال ابن عطية وهي طريقة أصحاب
مالك نص عليه محمد بن الجهم

والقاضي اسمعيل والابهرى وعن ابن الماجشون ومنها ما قال مالك إنما كف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنافقين في
يسين لامتة ان الحياكم لا يحكم بعلمة قال القرطبي وقد اتفق العلماء عن بكرة أبيهم على أن القاضي لا يقتل بعلمة وان اختلفوا في سائر
الاحكام قال ومنها ما قال الشافعي إنما منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل المنافقين ما كانوا يظهرونه من الاسلام مع العلم
بنفاقهم لان ما يظهرونه يجب ما قبله ويؤيد هذا قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الجمع على صحة في الصحيحين وغيرهما أمرت
أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فإذا قالوها عصيوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل ومعنى هذا ان

من قالها جرت عليه أحكام الاسلام ظاهر ا فان كان يعتقدوا وجدوا ب ذلك في الدار الاخرة وان لم يعتقدوا لم ينفعهم جريان الحكم عليه في الدنيا وكونه كان خليط اهل الايمان ينادونهم لم تكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء أمر الله الآتي ففهم يحاطونهم في بعض المحشر فاذا حقت المحقوقية تميزوا منهم ويخلفوا بعدهم وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولم يمكنهم ان يسجدوا معهم كما نطق بذلك الاحاديث ومنها ما قاله بعضهم انه اعلم يقتلهم لانه كان لا يخاف من شرهم مع وجوده عليه الصلاة والسلام من أظهرهم يتلو عليهم آيات الله مبينات ٨٥ فاما بعده فيقتلون اذا أظهروا النفاق وعلمه

المسلمون قال مالك المنافق في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الزنديق اليوم قلت وقد اختلف العلماء في قتل الزنديق اذا أظهر الكفر هل يستتاب أم لا أو يفرق بين أن يكون داعية أم لا أو يشكر منه ارتداده أم لا أو يكون اسلامه ورجوعه من تلقاء نفسه أو بعسده ان ظهر عليه على أقوال متعددة موضع بسطها ونقريرها وعزوها كتاب الاحكام ، (تنبيه) بقول من قال كان عليه الصلاة والسلام يعلم أعيان بعض المنافقين انما استنده حديث حذيفة بن اليمان في تسمية أولئك الاربعة عشر منافقا في غزوة تبوك الذين هموا ان يقتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم في ظلماء الليل عند عقبه هناك عزمو على ان ينقروا به الناقة لي سقط عنها فأوحى الله اليه أمرهم فاطلع على ذلك حذيفة ولعل الكف عن قتلهم كان لمدرئهم هذه المذارك وأولغرها والله أعلم فاما غير هؤلاء فقد قال الله تعالى ومن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا

في شريعة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان يكون كذلك في سائر الشرائع ومعنى السجود هنا وضع الجبهة على الأرض واليه ذهب الجمهور وقال قوم هو مجرد التذلل والانقياد والاول أولى وقد وقع الخلاف هل كان السجود من الملائكة لا دم قبل تعلمه الاسماء أم بعده وقد أطال البحث في ذلك البقاع في تفسيره وظاهر السياق انه وقع التعليم وتعبه الامر بالسجود وتعبه اسكانه الجنة ثم اخرجهم منها واسكانه الأرض وفي هذه الآية دليل لمذهب أهل السنة في تفضيل الانبياء على الملائكة وهذه القصة ذكرت في القرآن في سبع سور وفي هذه السورة والاعراف والحجر والاسراء والكهف وطه وص ولعل السر في تكريرها تسليمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانه كان في محنة عظيمة في قومه وأهل زمانه فكانه قال ألا ترى ان أول الانبياء وهو آدم كان في محنة عظيمة للنفاق ذكره الخطيب والظاهر انه لاظهار شرف آدم وفضله على سائر الخلق حتى الملائكة وليس في هذه القصة ما يدل على محنة آدم (فسجدوا) وكان السجود يوم الجمعة من وقت الزوال الى العصر قيل أول من سجد لا دم جبرائيل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون والله أعلم (الابليس) استثناء متصل لانه كان من الملائكة على ما قاله الجمهور قال شهر بن حوشب وبعض الاصوليين كان من الجن الذين كانوا في الأرض فيكون الاستثناء على هذا منقطعاً واستدلوا على هذا بقوله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وبقوله تعالى الابليس كان من الجن والجن غير الملائكة وأجاب الاولون بانه لا يمنع ان يخرج ابليس عن جملة الملائكة لما سبق في علم الله من شقائه عدلا منه لا يستل عما يفعل وليس في خلقه من نار ولا تركب الشهوة فيه حين غضب الله عليه ما يدفع انه من الملائكة وأيضا على تسليم ذلك لا يمنع ان يكون الاستثناء متصلا بغيرها للملائكة الذين هم ألوف مؤلفة على ابليس الذي هو فرد واحد بين أظهرهم وسعى به لانه ابليس من رجمة الله أي ينسب وكان اسمه عزازيل بالسريانية وبالغربية الحرت فلما عصى غير اسمه فسمى ابليس وغيرت صورته قال ابن عباس كان ابليس من الملائكة بدليل انه استناده منهم وقيل انه من الجن وانه أصل الجن كما ان آدم أصل الانس والاول أصح لان الخطاب كان مع الملائكة فهو داخل فيهم ثم استناده منهم وعليه أكثر المفسرين كالغوري والواحدي والقاضي وقالوا المعنى كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعاً أولان الملائكة

على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم الآية وقال تعالى لمن ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرحفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا فهدا دليل على انه لم يغربهم ولم يدرك على أعيانهم وانما كان تذكرة لصفاتهم فيتوسمها في بعضهم كما قال تعالى ولولنا لاريناكمهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول وقد كان من أشهرهم بالنفاق عبد الله بن أبي بن سائل وقد شهد عليه زيد بن أرقم بذلك الكلام الذي سبق في صفات المنافقين ومع هذا المامات صلى الله عليه وسلم وشهد بدفعه كما يفعل ببقية المسلمين وقد عاتبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيه فقال اني أكره ان يتحدث

العرب ان محمد يقتل أخته وفي رواية في الصحيح اني خبرت فاختبرت وفي رواية لو أعلم اني لوزدت على السبعين بغفر له لردت (واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الطيب الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون قال هم المنافقون أما لا تفسدوا في الارض قال الفساد هو الكفر والعمل بالمعصية وقال أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي ٨٦ العالية في قوله تعالى وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قال يعني لا تعصوا

في الارض وكان فسادهم ذلك معصية الله لانه من عصي الله في الارض أو أمر بمعصيته فقد أفسد في الارض لان صلاح الارض والسماء بالطاعة وهكذا قال الربيع بن أنس وقسادة وقال ابن جريج عن مجاهد وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قال اذا ركبوا معصية الله فقبل لهم لا تفعلوا كذا وكذا قالوا انما نحن على الهدى مصلحون وقال وكيع وعيسى بن يونس وعثام بن علي عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله الاسدي عن سلمان الفارسي واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون قال سلمان لم يجيء أهل هذه الآية بعد وقال ابن جرير حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم حدثنا عبد الرحمن بن شريك حدثني أبي عن الاعمش عن زيد بن وهب وغيره عن سلمان الفارسي في هذه الآية قال ما جاء هؤلاء قال ابن جرير يحتمل ان سلمان رضى الله عنه أراد بهذا ان الذين ياتون بهذه الصفة أعظم فسادا من الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لانه عنى انه لم

قد يسهون جنالا اختفائهم (أي) امتنع من فعل ما أمر به من السجود فلم يسجد فيه رد على الجبرية اذ لا يوصف بالاباء الا من هو قادر على المطاوع (واستكثر) أي تعظم عن السجود لا دم والاستحسان الاستعظام للنفس وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وآله وسلم ان الكبير بطريق الحق وعظم الناس وفي رواية غص الناس وانما قدم الاباء عليه وان كان متاخرا عنه في الترتيب لانه من الافعال الظاهرة بخلاف الاستحسان فانه من أفعال القلوب واقتصر في سورة ص على ذكر الاستحسان وفي سورة الحجر على ذكر الاباء (وكان من الكافرين) أي من جنسهم في علم الله تعالى وانما وجبت له النار لسابق علم الله تعالى بشقاوته وقبل ان كان هنا بمعنى صار قال ابن فورك انه خطأ ترده الاصول وأفادت الآية استقباح التكبر والخوض في سر الله تعالى وان الامر للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان يحكم الحال مؤمنا وهذه مسألة الموافقة المنسوبة الى أبي الحسن الأشعري ومعناها ان العبرة بالايان الذي يوافي العبد عليه أي ياتي متصفا به في آخر حياته وأول منازل آخرته وحيث أطلقت مسألة الموافقة فالمراد به اذالك وهي مما اختلف فيها الشافعية والحنفية والماتريدية والسبكي فيها تأليف مستقل ومن فروعه ان يصح أن يقول أنا مؤمن ان شاء الله ويبتى عليها مسألة الاحباط في الاعمال بالردة قال الخفاف في مسألة الموافقة من أمهات المسائل وفصلها النسفي في شرح التمهيد وقال ما حاصله ان الشافعي يقول ان الشيء شقي في بطن أمه وكذا السعيد فلا تبدل في ذلك وبظهر ذلك عند الموت ولقاء الله وهو معنى الموافقة والماتريدية يقولون يحو الله ما يشاء ويثبت فمصر السعيد شقي والشقي سعيد الا انهم يقولون من مات مسلما لم يخلد في الجنة ومن مات كافرا لم يخلد في العذاب باتفاق الفريقين فلا تفرقة للخلاف أصلا الا أن يقال ان من كان مسلما وورث أباه المسلم اذا مات كافرا يرد ما أخذه الى بقية الورثة المسلمين وكذا الكافر وتبطل جميع أعماله والمنقول في المذهب خلافه فيمنع ذلك لا تفرقة له الا انه يصح منه أن يقول أنا مؤمن ان شاء الله بقصد التعليق في المستقبل حتى لا يكون شكافي الايمان حالا ولا حاجة لتأويله والماتريدية يمنعون ذلك مطلقا اه (وقلنا) هو من خطاب الاكابر والعظماء أخبر سبحانه عن نفسه بصيغة الجمع لانه ملك الملوكة (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) أي اتخذ الجنة مأوى ومنزلا ومسكنا وهو محل السكون وأما

يخص من تلك صفة أحد قال ابن جرير قال المناق مفسدون في الارض بمعصيتهم فيها ربهم وركوبهم فيها ما نهى الله عن ركوبه وتضييعهم فرائضه وشكهم في دينه الذي لا يقبل من أحد عمل الا بالتصديق به والايقان بحقيقته وكذبهم المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون من الشك والريب ومظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورساله على أولياء الله اذا وجدوا ان ذلك سبلا فذلك افساد المناق في الارض وهم يحسبون أنهم يفعلون ذلك مصلحون فيها وهذا الذي قاله حسن فان من الفساد في الارض اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء كما قال تعالى والذين كفروا بعضهم أولياء بعض لا تفعلوه تكن فتنه في الارض

وفساد كبير فقطع الله الموالاة بين المؤمنين والكافرين كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين
أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ثم قال ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار وان تجد لهم نصيرا فلما نفاق لما كان ظاهره
الايمان اشتبه أمره على المؤمنين فكان الفساد من جهة المنفاق حاصل لانه هو الذي غتر المؤمنين بقوله الذي لاحقيقة له والى
الكافرين على المؤمنين ولوانه استقر على حاله الاول لكان شره أخف ولو أخلص العمل لله وتطابق قوله وعمله لافلح وأنجح ولهذا قال
تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون أي نريد (٨٧) أن نداري الفريقين من المؤمنين والكافرين

ونصطح مع هؤلاء كما قال محمد بن
اسحق عن محمد بن أبي محمد عن
عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن
عباس واذا قيل لهم لا تفسدوا في
الارض قالوا انما نحن مصلحون
أي اننا نريد الاصلاح بين الفريقين
من المؤمنين وأهل الكتاب
يقول الله ألا انهم هم المفسدون
ولكن لا يشعرون يقول ألا ان هذا
الذي يعتمدونه ويرجعون انه اصلاح

هو عين الفساد واكن من جهلهم
لا يشعرون بكونه فسادا (واذا قيل
لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا
أنؤمن كما آمن السفهاء ألا انهم هم
السفهاء ولكن لا يعلمون) يقول
تعالى واذا قيل للمنافقين آمنوا كما
آمن الناس أي كايمن الناس بالله
وملائكته وكتبه ورسله والبعث
بعد الموت والجنة والنار وغير ذلك
مما أخبر المؤمنين به وعنه وأطيعوا
الله ورسوله في امتثال الاوامر
وترك الزواجر قالوا أنؤمن كما آمن
السفهاء يعنون لعنهم الله أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى
الله عنهم قاله أبو العالية والسدي
في تفسيره بسند عن ابن عباس

ما قاله بعض المفسرين ان قوله اسكن تنبيه على الخروج لان السكنى لا يكون ملكا وأخذ
بذلك من قول جماعة من العلماء ان من أسكن رجلا منزلا له فانه لا يملكه بذلك وان له ان
يخرجه منه فهو معنى عرفي والواجب الاخذ بالمعنى العربي اذ لم يثبت في اللفظ حقيقة
شرعية والزوج هي حواء بالمدهوى في اللغة الفصحى بغير هاء وقد جاءها قليلا كما في صحيح
مسلم قال يا فلان هذه زوجتي فلانة الحديث وكان خلق حواء من ضلعه الايسر فلذا كان
كل انسان ناقصا ضلعاً من الجانب الايسر وجهة اليمين اضلاعها ثمانية عشر وجهة اليسار
اضلاعها سبعة عشر وقصة خلقها مبسطة في كتب السنة لا تطول بذكرها هنا فبه دلالة
على ان الجنة مخلوقة الآن واختلفوا في الجنة التي أمر آدم بسكها ف قيل انها اجنة كانت
في الارض وقيل هي دار الجزاء والثواب لانها المعهود وقيل هي جنة بارض فلسطين أو
بين فارس وكرمان خلقها الله امتحانا لا دم وجل الاهباط على النقل منها الى أرض الهند كما
في قوله تعالى اهبطوا منها الى ارضنا فخلقنا البشرى فيها لعلهم يحسرون في قوله تعالى
القصة رفعه الى السماء ولو وقع ذلك لكان أولى بالذكر والتذكير لما أنه من أعظم النعم
ولانها لو كانت دار الخلد لما دخلها ابليس وقيل انها كانت في السماء السابعة بدليل
اهبطوا ثم ان الاهباط الاول كان منها الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وقيل
الكل ممكن والادلة النقيصة متعارضة فوجب التوقف وترك القطع قاله أبو السعود قلت
وقد استوعب الحافظ ابن القيم في كتابه حادى الارواح الى بلاد الافراح دلائل الفريقين
من غير تصريح برجحان أحد القولين والله تعالى أعلم (وكلا منها) أي اجمعيا بين الاستقرار
والاكل من رزق الجنة (رغدا) رعد العيش اتسع ولان أي رزقا واسعا لينسا وأرعد القوم
أخصبوا والرغيدة الزبد (حيث شئتما) أي في أي مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما
ازاحة للعله والعذر في تناول من الشجرة المنهى عنهما من بين أشجارها التي لا تنحصر (ولا
تقر باهذه الشجرة) يعني للاكل والقرب الدنوا قال الاصمعي والنهسي عن القرب فيه سه سة
للذريعة وقطع للوسيلة ولهذا جاء به عوضا عن الاكل ولا يخفى ان النهي عن القرب
لا يستلزم النهي عن الاكل لانه قد ياكل من ثمرة الشجرة من هو بعيد عنها اذا جل اليه
فالاولى أن يقال المنع من الاكل مستفاد من المقام والشجر ما كان له ساق من نبات الارض
وواحدة شجرة واختلف أهل العلم في تعيين هذه الشجرة فقيل هي الكرم وقيل هي السنبلة

وابن مسعود وغير واحد من الصحابة وبه يقول الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم يقولون أن نصير نحن
وهؤلاء بمنزلة واحدة وعلى طريقة واحدة وهم سفهاء والسفهاء جمع سفيه لان الحكماء جمع حكيم والحلماء جمع حليم والسففيه هو
الجاهل الضعيف الرأى القليل المعرفة بموضع المصالح والمضار ولهذا سمي الله النساء الصبيان سفهاء في قوله تعالى ولا تؤنوا
السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما قال عامة علماء التفسير هم النساء والصبيان وقد نزل الله سبحانه جوابهم في هذه
المواطن كما هو فقال ألا انهم هم السفهاء فأكذ وحصر السفاهة فيهم ولكن لا يعلمون يعني ومن تمام جهلهم انهم لا يعلمون بحالهم

في الضلالة والخلل وذلك أردى لهم وأبلغ في العمى والبعد عن الهدى (واذ القوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستزرون الله يسترزيهم ويعد فيهم طغيانهم يعمهون) يقول تعالى وإذا أتى هؤلاء المناقون المؤمنين قالوا آمنا أظهروا لهم الايمان والموااة والمصافاة عروا منهم المؤمنين ونفاقا ومصانعة وتقية وليس كرههم فيما أصابوا من خير ومغرم وإذا خلوا إلى شياطينهم يعني إذا انصرفوا وذهبوا وخلصوا إلى شياطينهم فحين خلوا معي انصرفوا لتعديته بالي ليدل على الفعل المضمر والفعل الملقوط به ومنهم (٨٨) من قال إلى غنا معي مع والاول أحسن وعليه يدور كلام ابن جرير وقال

السدي عن أبي مالك خلوا يعني مضوا وشياطينهم سادتهم وكبرائهم ورؤسائهم من أجباز اليهود ورؤس المشركين والمناقين قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهذلي عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وإذا خلوا إلى شياطينهم يعني هم رؤسائهم في الكفر وقال الخليل عن ابن عباس وإذا خلوا إلى أصحابهم وهم شياطينهم وقال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وإذا خلوا إلى شياطينهم من يهود الذين يامرؤهم بالكذب وخلاف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد وإذا خلوا إلى شياطينهم إلى أصحابهم من المنافقين والمشركين وقال قتادة وإذا خلوا إلى شياطينهم قال إلى رؤسهم وقادتهم في الشرك والشر وبخو ذلك فسر أبو مالك وأبو العالسة والسدي والربيع بن أنس قال ابن جرير وشياطين كل شيء مردته ويكون الشيطان من الانس

قاله ابن عباس وله عنه طريق صحيحة وقيل التين وقيل الخنطة وقيل اللوز وقيل الخلة وقيل هي شجرة القلم وقيل الكافور وقيل الاترج وقيل هي شبه البر وتسمى البعة وهذا مروي عن جماعة من الصحابة فمن بعدهم وقيل عن جنس من الشجرة وقيل ليس في ظاهر الكلام ما يدل على التبيين اذا لا حاجة اليه لانه ليس المقصود تعرف عين تلك الشجرة وما لا يكون مقصود الا يجب بيانه (فتكونا من الظالمين) يعني ان أكلتما من هذه الشجرة طامتا أنفسكما فمن جوز ارتكاب الذنوب على الانبياء قال ظلم نفسه بالمعصية والظلم وضع الشيء في غير موضعه ومن لم يجوز ذلك على الانبياء حمل الظلم على انه فعل ما كان الاولى ان لا يفعله وكلام أهل العلم في عصمة الانبياء واختلاف مداهم في ذلك مدون في مواضعه وقد أطلال البحث في ذلك الرازي في تفسيره في هذا الموضع فليزجج اليه فاهم فبغير (فأرسلهما الشيطان) أي استزل آدم وحواء (عنها) أي الجنة ودعاها ما إلى الزلة وهي الخطيئة أي استزلها وأوقعهما فيها وقيل من الزلة وهي التخيبة أي فاحماها وقيل من الزوال وقد اختلف أهل العلم في الكيفية التي فعلها الشيطان في إزالهما ف قيل انه كان ذلك بمشاهدة منه لهما واليه ذهب الجمهور واستدلوا على ذلك بقوله تعالى وقاسمهما إلى لكانن الناصحين والمفاسين ظاهرها المشاهدة وقيل لم يصدر منه الا مجرد الوسوسة والمقابلة ليست على بابها بل للمبالغة وقيل غير ذلك (فأخرجهما مما كانا فيه) أي صرفهما عما كانا عليه من الطاعة إلى المعصية وقيل الضمير للجنة وعلى هذا فالقول مضمع معنى أبعدهما وانما نسب ذلك إلى الشيطان لانه هو الذي بولى اغواء آدم حتى أكل من الشجرة (وقلنا اهبطوا) أي انزلوا إلى الارض خطاب لآدم وحواء وخوطبا بما يحاطب به الجمع لان الاثنين أقل الجمع عند البعض من أمم العربية وقيل انه خطاب لهما ولا بليس وللجنة فهبط آدم بسريديب من أرض الهند على جبل يقال له نود وأهبط حواء بمجدة وابليس بالآلة من أعمال البصرة والخيسة بأصهان وقيل خطاب لهما ولذر يتهم لانهما لما كانا أصل هذا النوع الانساني جعلنا بمنزلته ويدل على ذلك قوله (بعضكم لبعض عدو) فان هذه الجملة الواقعة حالا مبينا للهية الثابتة للماورين بالهبوط تفيد ذلك يعني العداوة التي بين المؤمنين من ذرية آدم وبين ابليس واليه الاشارة بقوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا والعدو خلاف الصديق وهو من عدو اذا ظلم والعدوان الظلم الصراح وقيل انه مأخوذ

والجن كما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا وشياطين الانس والجن يوسى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا وفي المستند عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من شياطين الانس والجن فقلت يا رسول الله أو للانس شياطين قال نعم وقوله تعالى قالوا انا معكم قال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أي انا على مثل ما أنتم عليه انما نحن مستزرون أي انما نحن نستزري بالقوم ونلعب بهم وقال الخليل عن ابن عباس قالوا انما نحن مستزرون ساخر ون باصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك قال الربيع بن أنس وقادة وقوله تعالى جوا بانهم

ومقابلة على صنيعهم الله يستزى بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون وقال ابن جرير أخبر تعالى انه فاعل بهم ذلك يوم القيامة في قوله تعالى يوم يقول المنافقون والمنافقات الذين آمنوا وناقبتس من نوركم قِيلَ ارجعوا ورائكم فالتسوا ورائكم فاضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب الآية وقوله تعالى ولا تحسبن الذين كفروا اعمالي لهم خير لا انفسهم اعمالي لهم ليزدادوا اعمالا الآية قال فهذا وما أشبهه من استنزاء الله تعالى ذكره وسخريته ومكره وخديعته للمنافقين وأهل الشر لانه عند قائل هذا القول ومتاويل هذا التاويل قال وقال آخرون بل استنزأه (٨٩) بهم فويخه اياهم ولومه لهم على ما ركبوا من معاصيه ولم يكفر به قال وقال

آخرون هذا وأمثاله على سبيل الجواب كقول الرجل لمن يخدعه اذا ظفر به أنا الذي خدعتك ولم يكن منه خديعة ولكن قال ذلك اذا صار الامر اليه قالوا وكذلك قوله تعالى ومكروا ومكر الله والله خير مما كرين والله يستزى بهم على الجواب والله لا يكون منه المكر ولا الهزء والمعنى ان المكر والهزء حاق بهم وقال آخرون قوله تعالى اعمالن مستزؤن الله يستزى بهم وقوله يخادعون الله وهو خادعهم وقوله فيسخرن منهم سخر الله منهم ونسوا الله فنسيهم وما أشبه ذلك اخبار من الله تعالى انه يجازيهم جزاء الاستنزاء ومعاقبتهم عقوبة الخداع فأخرج خبره عن جزائه اياهم وعقابه لهم مخرج خبره عن فعلهم الذي عليه استحقوا العقاب في اللفظ وان اختلف المعنيان كما قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله وقوله تعالى فمن اعتسدى عليكم فاعتدوا عليه فالاول ظلم والثاني عدل فهما وان

من الجائزة يقال عداء اذا جاوزه والمعنيان متقاربان فان من ظلم فقد تجاوز قال ابن فارس العدر اسم جامع للواحد والاثنين والثلاثة والعداوة التي بين ذرية آدم والحية هي ماروى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم تترك الحيات بخافة طلمهن فليس منما سألناهن من هذا بنهن أخرجه أبو داود وله عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اقتلوا الحيات كلهن فمن خاف من ثارهن فليس مني وفي رواية الا الجبان الايبض الذي كانه قضيب فضة وعن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان بالمدينة جناق قد أسلموا فاذا رأيتم منهم شيئا فادفوه ثلاثة أيام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فاعيا هو شيطان وفي رواية ان بهذه البيوت عوامر فاذا رأيتم منها شيئا فخرجوا عليه ثلاثا فان ذهب والا فاقتلوه فانه كافر (ولكم في الارض مستقر) المراد بالمستقر موضع الاستقرار ومنه أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وقد يكون بمعنى الاستقرار ومنه الى ربك يومئذ المستقر فالآية محتملة للمعنيين ومثلها قوله جعل لكم الارض قرارا (ومتاع) المتاع ما يستمتع به من المأكول والمشروب والملبوس ونحوها أي بلغة ومستمتع (الى حين) أي الى وقت انقضاء آجالكم واختلاف المفردون في قوله حين فقيل الى الموت وقيل الى قيام الساعة وأصل معنى الحين في اللغة الوقت البعيد ومنه هل أتى على الانسان حين من الدهر والحين الساعة ومنه أو تقول حين ترى العذاب والحين القطعة من الدهر ومنه فذرهم حتى يفرغهم حتى حين أي حتى تقضى آجالهم ويطلق على السنة وقيل على ستة أشهر ومنه تؤتى أكلها كل حين ويطلق على المساء والصباح ومنه حين تمسون وحين تصبحون قال ابن العربي الحين الجهول لا يتعلق به حكم والحين المعلوم سنة (فلما خلق آدم من ربه كيات) ومعنى التلقى أخذها لهما وقبولها فاعيا وعلمها وقيل فهمه لهما وفطنتها لتضمنته وأصل معنى التلقى الاستقبال أي استقبال الكلمات الموحاة اليه وقيل ان معنى تلقى تلقن ولا وجه له في العربية واختلف السلف في تعيين هذه الكلمات فعن ابن عباس قال هي قوله ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وعنه قال علم شان الحج وهي الكلمات وعن عبد الله بن زيد قال لا اله الا انت سبحانك وبحمدك علمت سواك وظلمت نفسي فارحني انك أنت أرحم الراحمين وروى نحوه عن أنس وسعيد بن جبير (فتاب عليه) أي فتابوا عنه وغفروا له وأصل التوبة من تاب يتوب اذا رجع (انه هو التواب) أي الرجاء

(١٢ ل - فتح البيان) اتفق لفظهم ما فند اختلاف معناه ما قال والى هذا المعنى وجهه واكل ما في القرآن من نظائر ذلك قال وقال آخرون ان معنى ذلك ان الله أخبر عن المنافقين انهم اذا اخلوا الى مردتهم قالوا اننا معكم على دينكم في تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به وانما نحن بما نظهر لهم من قولنا لهم مستزؤن فأخبر تعالى أنه يستزى بهم فيظهر لهم من أحكامه في الدنيا يعني من عصمة دماءهم وأموالهم خلاف الذي لهم عنده في الآخرة يعني من العذاب والنعكس ثم شرع ابن جرير يوضح هذا القول وينصبره لان المصكر والخداع والسخرية على وجه اللعب والعيش مستقيم عن الله عز وجل بالاجتماع واما على وجه الانتقام

والمقابل بالعدل والمجازاة فلا يتعذر ذلك قال وبنصر ما قلنا فيه روى الخبر عن ابن عباس حدثنا أبو بكر يرب حدثنا أبو عثمان حدثنا بشر
عن أبي روق عن الضحالك عن ابن عباس في قوله تعالى الله يستهزئ بهم قال يستهزئ بهم للنخبة منهم وقوله تعالى ويهدمهم في طغيانهم
يعمهمون قال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم يهدمهم على لهم وقول مجاهد يهدمهم وقال تعالى أبحسبون أنعمنا عليهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات
بل لا يشعرون وقال سنستدرجهم من حيث (٩٠) لا يعلمون قال بعضهم كلما أحدثوا نبأ أحدث لهم نعمة وحي في الحقيقة

نتسمة وقال تعالى فلما نسوا
ما ذكروا به فخنسنا عليهم أبواب كل
شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا
أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون
فقطع دابر القوم الذين ظلموا
والحمد لله رب العالمين قال ابن جرير
والصواب نزيدهم على وجه
الاملاء والترك لهم في عقوبتهم
وتردهم كما قال تعالى ونقلب
أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به
أول مرة ونذرهم في طغيانهم
يعمهمون والطغيان هو المجاوزة
في الشيء كما قال تعالى انما يطغى
الماء جلاكم في الجارية وقال
الضحالك عن ابن عباس في طغيانهم
يعمهمون في كفرهم يترددون
وكذا فسر السدي بسنده عن
الحصبة وبه يقول أبو العالسة
وقتادة والريبع بن أنس ومجاهد
وأبو مالك وعبد الرحمن بن زبدى
كفرهم وضلالهم قال ابن جرير
والعمه الضلال يقال عمه فلان
يعمه عمها وعموها اذا ضل قال
وقوله في طغيانهم يعمهمون في
ضلالهم وكفرهم الذي نمرهم
دنسهم وعلاهم رجسهم يترددون

على عباده بقبول التوبة (الرحيم) بخلقهم (قلنا اهبطوا منها جميعا) اما في زمان واحد أو في
أزمنة متفرقة لان المراد الاشتراك في أصل الفعل وهذا هو الفرق بين جاؤا جميعا و جاؤا معا
يعنى هؤلاء الاربعة أو آدم وحوا وذريتهما وكره قوله اهبطوا للتوكيد والتعليل وقيل انه
لما تعلق به حكم غير الحكم الاول كرهه ولا تراحم بين مقتضيات فقد يكون التكرير للاهمية
معا أخرج عبد بن حميد والحاكم وصححه عن ابن عباس قال ما سكن آدم الجنة الا ما بين صلاة
العصر الى غروب الشمس وعنه ما غابت الشمس من ذلك اليوم حتى أهبط من الجنة وعن
الحسن قال لبث آدم في الجنة ساعة من نهار تلك الساعة مائة وثلاثون سنة من أيام الدنيا
وأخرج البخاري والحاكم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا بنو اسرائيل
لم يختر اللحم ولولا حواء لم تكن آفة زوجها وقد ثبت أحاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة في
الصحابين وغيرهما في محاجة آدم وموسى عليهما السلام ورجح موسى بقوله أتألو منى على أمر
قدره الله على قبل أن أخلق وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال أول ما أهبط الله آدم الى
أرض الهند وعنه الى أرض بين مكة والطائف وعن علي أطيب ربح الأرض الهند هبط
بها آدم فعلق شجرها من ربح الجنة وقدرى عن جماعة من الصحابة ان آدم أهبط الى
أرض الهند منهم جابر وابن عمر وعلي وقدرى عن جماعة من الصحابة والتابعين ومن
بعدهم حكماء في صفة هبوط آدم من الجنة وما أهبط معه وما صنع عند وصوله الى
الأرض ولا حاجة لنا بسط جميع ذلك وقد ذكر طرفا منها الحافظ ابن القيم في الحادى (فأما
يا تبتكم منى هدى) أى رشد وبيان وشريعة وقيل كتاب ورسول وقيل التوفيق للهداية
(فن تبع هداى فلا خوف عليهم) فيما يستقبلهم وقيل عند الفزع الاكبر (ولاهم
يخزون) أى على ما خلقوا ووافاتهم من الدنيا وقال ابن جرير لا خوف عليهم في الآخرة
ولا يخزون للموت والخوف هو الذعر ولا يكون الا في المستقبل والحزن ضد السرور قال
اليزيدى حزنه لغة قريش وأحزنه لغة تميم (والذين كفروا) أى جحدوا وعطف على فن تبع
قسيم له (وكذبوا يا تبتا) أى بالقرآن (أولئك أصحاب النار) أى يوم القيامة وصحبة أهل
النار لها بمعنى الاقتران والملازمة (هم فيها خالدون) أى لا يخرجون منها ولا يموتون فيها
وبنى قسم ثالث وهم من آمن ولم يعمل الطاعات فليس داخل في الاثنين وقد تقدم تفسير
الخالد (يا بنى اسرائيل) اتفق المفسرون على ان اسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم

جبارى ضلالا لا يجدون الى المخرج منه سبيلا لان الله قد طبخ على قلوبهم وختم عليهم وأعمى أبصارهم عن الهدى عليهم
وأغشاها فلا يبصرون رشدا ولا يهتدون سبيلا وقال بعضهم العمى في العين والعمه في القلب وقد يستعمل العمى في القلب
أيضا قال الله تعالى فانها لا تعصى الابصار ولكن تعصى القلوب التي في الصدور وتقول عمه الرجل يعمه وعمو هافو عمه وعمامه
وجمعهم وعمه وذهبت ابلة العمه اذا لم يدرك عين ذهبت (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فسار بحسب تجارتهم وما كانوا مهتدين)
قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من الصحابة أولئك الذين

اشترى الضلالة بالهدى قال أخذوا الضلالة وتركوا الهدى وقال ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أولئك الذين اشترى الضلالة بالهدى أى الكفر بالإيمان وقال مجاهد آمنوا ثم كفروا وقال قتادة استحبوا الضلالة على الهدى وهذا الذى قاله قتادة يشبهه فى المعنى قوله تعالى فى ثمود فآمنوا ثم كفروا ففهمناهم فاستحبوا العمى على الهدى وحاصل قول المفسرين فيما تقدم ان المنافقين عدلوا عن الهدى الى الضلال واعتاضوا عن الهدى بالضلالة وهو معنى قوله تعالى أولئك الذين اشترى الضلالة بالهدى أى بذلوا الهدى غملا للضلالة وسواء فى ذلك من (٩١) كان منهم قد حصل له الايمان ثم رجع عنه الى الكفر كما قال تعالى فىهم ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وأأنسهم استحبوا الضلالة على الهدى كما يكون حال فريق آخر منهم فانهم أنواع وأقسام ولهذا قال تعالى فما رجحت تجارتهم وما كانوا مهتدين أى ما رجحت صفقتهم فى هذه البيعة وما كانوا مهتدين أى راشدين فى صنعهم ذلك وقال ابن جرير حدثنا بشير حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة فما رجحت تجارتهم وما كانوا مهتدين قدوة لله رأيتهم خرجوا من الهدى الى الضلالة ومن الجماعة الى الفرقة ومن الامن الى الخوف ومن السنة الى البدعة وهذا كذا رواه ابن أبي حاتم من حديث يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة بمثل سواه (مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون) يقال مثل ومثل ومثيل أيضاً والجمع امثال قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون

عليهم السلام ومعناه عبد الله لان اسرى لغتهم هو العبد واول هو الله وكذلك جبريل وهو عبد الله وميكائيل عبد الله قال القفال ان اسرا بالعبرانية فى معنى انسان فكأنه قيل رجل الله وقيل معناه صفوة الله والاول اولى والمعنى يا اولاد يعقوب والخطاب مع جماعة اليهود الذين كانوا بالمدينة من ولد يعقوب فى أيام محمد صلى الله عليه وآله وسلم قيل ان له اسمين وقيل ان اسرا ئيل لقب له وهو اسم أعجمى غير منصرف وقد تصرف فيه العرب بلغات كثيرة أفصحها لغة القرآن وهى قراءة الجمهور استدلل به على دخول أولاد الاولاد فى الرقب على الاولاد (اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) أى اشكروا وانما عبر عنه بالذكور لان من ذكر النعمة فقد شكرها ومن جحد هاق فقد كفرها والد كرا بالكسر هو ضد الانصات وبالضم ضد التسميان وجعله بعض أهل العلم مستركا بين ذكر القلب واللسان وقال الكسائى ما كان بالقلب فهو مضموم الذال وما كان باللسان فهو مكسور الذال قال ابن الانبارى والمعنى فى الآية اذكروا واشكروا نعمتى فخذف الشكرا كقفا بذكر النعمة وهى اسم جنس وحدها أنهم المنفعة المفغولة على جهة الاحسان الى الغير وقيل المنفعة الحسنة والاول اولى والكلام على قيود هذا الحديث وضروب النعمة مستوفى فى تفسير الرازى فليراجعه والنعم المخصوصة بينى اسرائيل كثيرة من جلتها أنه جعل منهم أنبياء وأنزل عليهم الكتاب والمن والسلوى وأخرج لهم المائت من الخبز ونجاههم من آل فرعون وخلق لهم البحر وأغرق فرعون وظللهم بالغمام وغير ذلك من نعم كثيرة وقيل ان هذه النعمة هى ادرأه الخطابين بهاز من محمد صلى الله عليه وآله وسلم والاول اولى قال ابن الفارس فيه دليل على أن الله على الكفار نعمة خلافاً لما قال لانعمة الله عليهم وانما النعمة للمؤمنين (وأوفوا بالعهد) أى امتثلوا أمرى يقال أوفى ووفى مشدداً ووفى مخففاً ثلاث لغات بمعنى وقيل يقال وفيت ووفيت بالعهد وأوفيت بالكيل لا غير واختلف أهل العلم فى العهد المذكور فى هذه الآية ما هو وقيل هو المذكور فى قوله تعالى خذوا مائتنا كم بقوة وقيل هو ما فى قوله ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقيل هو قوله ولقد أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس وقيل ان المراد من هذا العهد ما أثبتته فى الكتب المتقدمة من وصف محمد صلى الله عليه وآله وسلم وانه سيبعثه على ما صرح بذلك فى سورة المائدة بقوله ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل الى قوله لا تكفرن عنكم سيا تكملوا دخلنكم جنت تجري من تحتها الانهار وقال فى سورة الاعراف ورحمتى وسعت كل شئ فساكتبها

وتقدير هذا المثل ان الله سبحانه يشبههم فى اشترائهم الضلالة بالهدى وصيرورتهم بعد البصيرة الى العمى بمن استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله وانفجرت بها وأبصر بها ما عن يمينه وشماله وتأنس بها فبيناه كذلك اذ طفت نار دوار فى ظلام شديد لا يبصر ولا يهتدى وهو مع هذا أصم لا يسمع أبكم لا ينطق أعشى لو كان ضياء لما أبصر فلهذا لا يرجع الى ما كان عامه قبل ذلك فكذلك هؤلاء المنافقون فى استبدالهم الضلالة عوضاً عن الهدى واستحبابهم النقي على الرشد وفى هذه المثل دلالة على انهم آمنوا ثم كفروا كما أخبر تعالى عنهم فى غير هذا الموضع والله أعلم وقد حكى هذا الذى قلناه الرازى فى تفسيره عن السندى ثم قال والتشبيه ههنا فى غاية الصحة لانهم

[illegible]

الذين يتقون ويؤتون الزكاة الذين هم بايمانهم يؤمنون الذين يقبلون الرسول النبي الاخير
 الذي يجدره مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل واما عندهم فهو وان يخبراهم
 ما عندهم من وضع ما كان عليهم من الامور والاعمال التي كانت في اعناقهم وقالوا اذا نزل
 الله منافق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لآية وقال
 واذا قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم معذراً لما بين يدي من التوراة
 وبشيرة ارسولي في من بعدي احمده اجد وقال ابن عباس ان الله تعالى كان عهداً الى بني
 اسرائيل في التوراة اني باعث من بني اسمعيل نبياً ما من تبعه وصديق بالتوراة الذي ياتي به
 أي القرآن غفر له ذنبه وأدخلته الجنة وجعل له أجرين أجر ابائنا باع ما جاء به مريم
 وجاءت به سائر انبياء بني اسرائيل وأجر ابائنا باع ما جاء به محمد النبي الامي من ولاد اسمعيل
 ونصدق هذا في القرآن في قوله تعالى الذين آتيناكم الكتاب من قبلهم يذنبون الى قوله
 أو انك يؤتون أجرهم مرتين بمصابروا وكان علي بن عيسى يقول تصديق ذلك في قوله
 تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفاين من رحمته وتصديقاً أيضاً
 فيما روى أبو موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ثلاثة يؤتون
 أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بعيسى ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فله
 أجران ورجل أدب أمته فأحسن تأديهم وأعلمها فأحسن تعاليمها ثم أعنتها وترجها فله
 أجران ورجل أطاع الله وأطاع رسوله فله أجران ولذكرا لأن بعض ما جاء في كتب
 الانبياء المتقدمين من البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وآله وسلم فالاول جاء في الفصل
 التاسع من السفر الاول من التوراة ان هاجر لما غضبت عليه اسارة تراه اليها ملك الله فقال
 او يا هاجر أين تريدين ومن أين آتيت قالت أشرب من سديتي سارة فقال لها ارجعي الى
 سيدتك واخفضي لها فان الله سيكثر زرعك وذرئك وستحبلين وتلدن ابناً وتسميه اسمعيل
 من أجل ان الله سمع بتلك وخشوعاً وهو يكون عين الناس وتكون يده فوق الجميع
 ويد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع وهو يشكر على رغم جميع اخوته واعلم ان الاستدلال
 بهذا الكلام أن هذا الكلام خرج مخرج البشارة وليس يجوز أن يشر المالك من قبل الله
 بالظلم والجور وبما لا يتم الا بالكذب على الله تعالى ومعنا أن اسمعيل وولده لم يكونوا
 متصرفين في الكل أعني في معظم الدنيا ومعظم الامم ولا كانوا محالطين للكل على سبيل

مشرب من في الجماعة بالواحد كما
 قد نزل رأيتم سيم ينظرون اليك تدور
 أعينهم كأنني يغشى عليه من
 الموت أي تدور وان الذي يغشى عليه
 من الموت وقال تعالى ما خافكم
 ولما بينكم أنما كنفس واحدة
 وقال تعالى مثل الذين جالوا النوراة
 ثم لم يتبعوا ما كذبوا به من القول
 أسفار أو قال بعضهم تقدير الكلام
 مثل قسمهم كقصة الذين استودعوا
 نارا وقال بعضهم المستودع واحد
 الجماعة معه وقال آخرون الذي
 هيئناهم في الذين كما قال الشاعر
 وإن الذي كانت ببلج دماؤهم
 هم القوم كل التوم يا أم خالدة
 قلت وقد التفت في أثناء المثل من
 الواحد الى الجمع في قوله تعالى فلما
 أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم
 وتركهم في ظلمات لا يبصرون وهم
 بكم عنى فذهب لا يرجعون وهذا
 أفصح في الكلام وأبلغ في النظام
 وقوله تعالى ذهب الله بنورهم أي
 ذهب عنهم ما يتعين وهو النور
 وأبقى لهم ما يبصرهم وهو الاحراق
 والسخا وتتركهم في ظلمات وهو
 ما هم فيه من الشك والكفر

والنفاق لا يصدقون لا يمتدنون الى سبيل خير ولا يعرفونها وهم مع ذلك حم لا يسمعون خيرا بكم لا يتكلمون الاستيلاء
بما ينهيمهم عن في ضلالة وعماية البصرة كما قال تعالى فانها لا تعصى الا بصار ولكن تعصى القلوب التي في الصدور فلهذا
لا يرجعون الى ما كانوا عليه من الهداية التي باعوها بالضلالة * ذكر أقوال المفسرين من السلف بضموماد كرناد * قال السدي
في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهذلي عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة في قوله تعالى فلما
أضأت ما حورارزعم ان ناسا دخلوا في الاسلام مقدمي النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ثم انهم نافقوا وكان مثلهم كمثل رجل كان

في ظلمة فاقود ناراً فلما أضاءت ماحولة من قذى أو أذى فابصره حتى عرف ما يتقى منه فبينما هو كذلك اذطفئت ناره فاقبل لا يدري ما يتقى من أذى فذلك المنافق كان في ظلمة الشرك فاسلم فعرف الحلال والحرام والخير والشر فبينما هو كذلك اذكفر فصار لا يعرف الحلال من الحرام ولا الخير من الشر وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية قال أما النور فهو إيمانهم الذي كانوا يتكلمون به وأما الظلمة فهي ضلالتهم وكفرهم الذي كانوا يتكلمون به وهم قوم كانوا على هدى ثم نزع منهم ففتوا بعد ذلك وقال مجاهد فلما أضاءت ماحولة أما اضاءة النار فاقبالهم إلى المؤمنين والهدى (٩٣) وقال عطاء الخراساني في قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً قال هذا

الاستيلاء بالاسلام لانهم كانوا قبل الاسلام محصورين في البادية لا يجاسرون على الدخول في أوائل العراق وأوائل الشام الاعلى أتم خوف فلما جاء الاسلام استولوا على الشرق والغرب بالاسلام ومازجوا الامم ووطئوا بلادهم ومازجهم الامم وججوا بينهم ودخلوا بلادهم بسبب مجاورة الكعبة فلولم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صادقا فكانت هذه الخاطئة منهم للامم ومن الامم لهم معصية الله تعالى وخر وجاعن طاعته إلى طاعة الشيطان والله تعالى عن أن يبشر بما هذا سيئه والثاني جاء في الفصل الحادي عشر من السفر الخامس ان الرب الهكم يقيم لكم نبيا مثلي من بينكم ومن اخوانكم وفي هذا الفصل ان الرب تعالى قال لموسى اني مقيم لهم نبيا مثلك من بين اخوانهم وأما رجل لم يسمع كلامي التي يؤتيها عن ذلك الرجل باسمي أنا أقسم منه وهذا الكلام يدل على ان النبي الذي يقيمه الله تعالى ليس من بني اسرائيل كما أن من قال لبني هاشم انه سيدهم يكون من اخوانكم امام عقل منه أنه لا يكون من بني هاشم ثم ان يعقوب عليه السلام هو اسرائيل ولم يكن له أخ الا العيص ولم يكن للعيص ولد من الانبياء سوى أيوب وأنه كان قبل موسى عليه السلام فلا يجوز أن يكون موسى عليه السلام مبشرا بهو اما اسمعيل فانه كان آخا لاسحق والد يعقوب ثم ان كل نبي بعث بعده موسى كان من بني اسرائيل فالنبي عليه السلام ما كان منهم لكنه كان من اخوانهم لانه من ولد اسمعيل الذي هو أخ اسحق عليهم السلام فان قيل قوله من بينكم يمنع من أن يكون المراد محمد أصلي الله عليه وآله وسلم لانه لم يقيم من بين بني اسرائيل قلنا بل قد قام من بينهم لانه عليه السلام ظهر بالجزيرة بمكة وهاجر إلى المدينة ونها تكامل أمره وقد كان حول المدينة بلاد اليهود كخبر وبني قينقاع والنضير وغيرهم وأيضاً فان الجزيرة يقارب الشام وجهود اليهود كانوا اذ ذلك بالشام فاذا قام محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالجزيرة فقد قام من بينهم وأيضاً فانه اذا كان من اخوانهم فقد قام من بينهم فانه ليس يتبعيد منهم والثالث قال في الفصل العشرين من هذا السفر ان الرب تعالى جاء في طور سيناء وطلع لسان من ساعير وظهر من جبال فاران وصف عن عيونه عنوات القديسين ففتحهم العز وحيهم إلى الشعوب ودعا الجميع قديسية بالبركة وجه الاستدلال ان جبل فاران وهو بالجزيرة لان في التوراة ان اسمعيل تعلم الرعي في بركة فاران ومعلوم أنه انما سكن بمكة اذا ثبت هذا فنقول ان قوله فتحهم العز لا يجوز أن يكون المراد اسمعيل

كمثل الذي استوقد ناراً قال هذا مثل المنافق يبصر أحيانا ويعرف أحيانا ثم يدركه عمى القلب وقال ابن أبي حاتم وروى عن عكرمة والحسن والسدي والربيع بن أنس نحو قول عطاء الخراساني وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً قال هذا مثل المنافق يبصر أحيانا ويعرف أحيانا ثم يدركه عمى القلب وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً إلى آخر الآية قال هذه صفة المنافقين كانوا قد آمنوا حتى أضاء الإيمان في قلوبهم كما أضاءت النار لهؤلاء الذين استوقدوا ناراً ثم كفروا فذهب الله بنورهم فانتزعهم كاذب بضوء هذه النار فتركهم في ظلمات لا يبصرون وأما قول ابن جرير في شبه مارواه على بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً قال هذا مثل ضربه الله للمنافقين انهم كانوا يعتزون بالاسلام فينا حكمهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم

التي فلما مات أسلمهم الله ذلك العز كما سلب صاحب النار ضوؤه وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العباس مثله كمثل الذي استوقد ناراً فانما أضواء النار ما أوقد بها فاذا أخذت ذهب نورها وكذلك المنافق كلما تكلم بكلمة الاخلاص بلا الله الا الله أضاء له فاذا شك وقع في الظلمة وقال الخليل ذهب الله بنورهم أما نورهم فهو إيمانهم الذي تكلموا به وقال عبد الرزاق عن معمر بن قتادة مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ماحولة فهي لا اله الا الله أضاءت لهم فأكوا بها وشربوا وآمنوا في الدنيا وأنكروا النساء وحققوا دماءهم حتى اذا ماتوا ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون وقال سعيد بن قتادة في هذه الآية

من تعين ان لما اتوا بغيرهم ولا اله الا ان ذنبا له في الدنيا فقتل جميع بها المساكين وعازاهم بهم او وارثهم بها او حتى به ادمه وماله فلما
 كان عند الموت سألها المسائق لانه لم يكن فيها اصل في قلبه ولا حقيقة في عمله وتركهم في ظلمات لا يبصرون قال علي بن ابي طالب عن ابن
 عباس وتركهم في ظلمات لا يبصرون يقول عذاب اذا ماتوا وقال محمد بن احمد عن محمد بن ابي شعبة عن عكرمة بن اوس عن عبد بن بدير عن
 ابن عباس وتركهم في ظلمات لا يبصرون اخرو ويتولون به حتى اذا ضربوا من دابة الكفرة طغفوا بكفرهم ونداهم فيه فتركهم
 في ظلمات الكفرة لا يبصرون عدى (٩٤) ولا يستقيمون على حق وقال السدي في تفسيره بسنده وتركهم في ظلمات

عليه السلام لانه لم يحصل عقيب سكنى اسمعيل عليه السلام من العز ولا اجتمع هناك
 ربات القديسين فوجب جلاله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم قالت اليهود اماراد ان النار
 لما ظهرت من طور سيناء ظهرت من ساعير نار ايضا ومن جبل فاران ايضا فانتشرت في حده
 المواضع فلما هذا لا يصح لان الله تعالى لو خلق نار في موضع فانه لا يقال جاء الله من ذلك
 الموضع ان اذا تبع ذلك الواقعة وحس نزل في ذلك الموضع او عوقوبة وما أشبه ذلك وعندكم
 انه لم يتبع ظهور النار وحى ولا كلام الامن طور سيناء كما كان ينبغي الا ان يقال جاء الله
 من طور سيناء فاما ان يقال ظهر من ساعير ومن جبل فاران فلا يجوز ورواه كمالا يقال
 جاء الله من الغمام اذا ظهر في الغمام احتراق ونيران كما يتفق ذلك في أيام الربيع وايضا في
 كتاب جقوق بيان ما قلناه وهو جاء الله من طور سيناء والقدس من جبل فاران لو انك كشفت
 السماء من بهاء محمد وامتلات الارض من حله يكون شعاع منظره مثل النور يحفظ
 بلده بغيره تسير المنايا اسامه ويحب سباع الطير اجناده قام ففتح الارض وتامل الامم
 وبحث عنها فتعوضت الجبال القديمة وانضعت الروابي الدهرية وترعزت ستور اهل
 مدين ركب الخيول وعلوت مراكب الانقياد والغوث واستزع في قسيك اغراق وزعا
 وترقى السهام باحرارك يا محمد ارقوا وتنفخو الارض بالانهار ولقد رأتك الجبال فارناعت
 وانحرف عنك شروب السيل ونفرت المنهارى تنسيرا وعبورا رفعت ايديها ورجلا وفرا
 وتوقفت الشمس والقمر عن مجراهما وسارت العساكر في برق سهاك ولعان بيانك تدوخ
 الارض غضبا وتدوس الامم زحرا لانك ظهرت بخلاص أمتك وانقاذ تراب آبائك هكذا
 نقل عن ابن رزين الطبري اما النصارى فقال ابو الحسين رحمه الله تعالى في كتاب الغرر قد
 رأيت في نقولهم وظاهر من جبال فاران لقد تقطعت السماء من بهاء محمد المجود وترقى
 السهام باحرار المجود لانك ظهرت بخلاص أمتك وانقاذ مسيحك فظهر عما ذكرنا ان قوله
 تعالى في التوراة اظهر الرب من جبال فاران ليس معناه ظهور النار منه بل معناه ظهور
 شخص موصوف بهذه الصفات وما ذاك الا رسولنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فان قالوا
 المراد مجيئه الله تعالى ولقد قال في آخر الكلام وانقاذ مسيحك قلنا لا يجوز وصف الله
 تعالى بانه يركب الخيول وبان شعاع منظره مثل النور وبانه جازا المشاعر القديمة واما قوله
 وانقاذ مسيحك فان محمد عليه السلام انقاذ المسيح من كذب اليهود والنصارى والرابع

في كتاب التلمذة تقديمه وقال الحسن
 البصري وترككم في ظلمات
 لا يبصرون فذلك حين يوت
 الدنيا فينتقل عليه عمله السوء
 فلا يتيسر له اعلان خبير عمله
 بغيره قوله لا اله الا الله صم بكم
 عني قال السدي بسنده صم بكم
 عني فهم خرس عني وقال علي بن
 ابي طالب عن ابن عباس صم بكم عني
 يقول لا يسمعون الهدي ولا
 يبصرون ولا يعقلونه وكذا قال ابو
 العباس وقتادة بن دعامة فهم
 لا يرجعون قال ابن عباس اى
 لا يرجعون الى هدى وكذا قال
 الربيع بن أنس وقال السدي
 بسنده صم بكم عني فهم لا يرجعون
 الى الاسلام وقال قتادة فهم
 لا يرجعون اى لا يتوبون ولا هم
 يذكرون (أو كصيب من السماء
 فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون
 أصابعهم في آذانهم من الصواعق
 حذر الموت والله محيط بالكافرين
 كعاد البرق يخطف ابصارهم كلما
 أضاء لهم بشوا فيه واذا أظلم عليهم
 قاموا ولو شاء الله لذهب بجمعهم
 وأبصارهم ان الله على كل شئ قدير)

هذا مثل آخر ضرب به الله تعالى لضرب آخر من المنافقين وهم قوم يظهرهم الحق تارة ويشكون تارة أخرى فقلوبهم ما جاء
 في حال شكهم وكفرهم وتردد هم كصيب والصيب المطر قاله ابن مسعود وابن عباس وناس من الصحابة وأبو العباس ومجاهد وسعيد
 ابن جبير وعطاء والحسن البصري وقتادة وعطية العوفي وعطاء الخراساني والسدي والربيع بن أنس وقال الضحاك هو السحاب
 والاشهر هو المطر نزل من السماء في حال ظلمات وحى الشكوك والكفر والنفاق ورعد وهو ما يرعج القلوب من الخوف فان من
 شأن المنافقين الخوف الشديد والفرع كما قال تعالى يحسبون كل صيحة عليهم وقال ويخلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم

قوم يفرقون لم يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلات إلى الله وهم يجمعون والبرق هو ما يلج في قلوب هؤلاء الضرب من المنافق
في بعض الأحيان من نور الإيمان ولهذا قال يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين أي و
يجدي عنهم حذرهم شياً لأن الله محيط بقدرته وهم تحت مشيئته وإرادته كما قال هل أتاك حديث الجنود فرعون وعمر بل الذير
كفروا في تكذيب الله من وراءهم محيط بهم ثم قال يكاد البرق يخطف أبصارهم أي لشدة وقوته في نفسه وضعف بصائرهم وعد
ثباتهم للإيمان وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يكاد البرق يخطف (٩٥) أبصارهم يقول يكاد يحكم القرآن يدل على

ما جاء في كتاب شعنا في الفصل الثاني والعشرين منه قومي فازهرى مصباحك يريد مكة
فقد دنا وقتك وكرامة الله تعالى طاعة عليك فقد تجلج الأرض الظلام وغطى على الأعم
الضباب والرب يشرق عليك أشراقاً ويظهر كرامته عليك تسير الأعم إلى نورك والملوك
إلى ضوء طلوعك وارفعي بصرك إلى ما حولك وتأمل في أنهم مستجمعون عندك
ويحسونك ويأتونك ولذلك من بعيد لآنك أم القرى فأولاد سائر البلاد كانوا أولاد مكة
وتزين مياك على الأرائك والسررحين تزين ذلك تسرين وتبهجين من أجل أنه عيل
اليك ذخائر الجبر ويحج إليك عساكر الأعم ويساق إليك كباش مدين ويأتونك أهل سبا
ويتحدثون بنعم الله ويمجدونه وتسير إليك أعنام فاران ويرفع إلى مذبحي ما يرزني وأحدث
حينئذ ليت محمد بن عبد الله فوجه الاستدلال أن هذه الصفات كلها موجودة لمكة فانه قد
جاء إليها عساكر الأعم ومال إليها ذخائر الجبر وقوله أحدث لييت محمد بن عبد الله فانه قد
العرب كانت تأتي قبل الإسلام فتقول ليك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك
ثم صار في الإسلام ليك اللهم ليك لا شريك لك ليك فهذا هو الحمد الذي جده الله لييت
محمد بن عبد الله فان قيل المراد بذلك بيت المقدس وسيكون ذلك فيما بعد قلنا لا يجوز أن يقول
الحكيم قد دنا وقتك مع أنه ما دنا بل الذي دنا أمر لا يوافق رضاه ومع ذلك لا يحذر منه
وأيضاً فان كتاب شعنا ملئ من ذكر البادية وصفهم وأولئك يطل قولهم الخماس روى
السمان في تفسيره في السفر الأول من التوراة أن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم عليه السلام
قال قد أجبت دعائك في اسمعيل وباركت عليه فكبرته وعظمته جدا جدا وسيلداً ثني عشر
عظيماً وأجعله لامة عظيمة والاستدلال به أنه لم يكن في ولد اسمعيل من كان لامة عظيمة غير
نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فامدعاء إبراهيم عليه السلام واسمعيل فكان لرسولنا
عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بناء الكعبة وهو قوله ربنا وابعث فيهم رسلاً منهم
يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم ولهذا كان
يقول عليه الصلاة والسلام نادعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى وهو قوله ومبشر برسول
يأتي من بعدي اسمه أحمد فانه مشتق من الحمد والاسم المشتق من الحمد ليس إلا نبينا فان
أحمد محمد وأحمد محمد وقيل ان صفة في التوراة أن مولد بمكة ومكة بطيبة ومكة
بالشام وأمة الجنادون والسادس قال المسيح للحواريين أنا ذاهب وسأأتيكم القار قليط

عورات المنافقين وقال ابن اسحق
حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة
أوسعيد بن جبر عن ابن عباس
يكاد البرق يخطف أبصارهم أي
لشدة ضوء الحق كلما أضاء لهم
مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا
أي كلما ظهر لهم من الإيمان شيء
استأنسوا به واتبعوه وتارة تعرض
لهم الشكوك أظلمت قلوبهم
فوقفوا حائرين وقال علي بن أبي
طلحة عن ابن عباس كلما أضاء لهم
مشوا فيه يقول كلما أصاب المنافق
من عز الإسلام اطمأنوا إليه
وإذا أصاب الإسلام نكبة قاموا
ليرجعوا إلى الكفر كقوله تعالى
ومن الناس من يعبد الله على حرف
فان أصابه خير اطمأن به وقال محمد
ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن
عكرمة أوسعيد بن جبر عن ابن
عباس كلما أضاء لهم مشوا فيه
وإذا أظلم عليهم قاموا أي يعرفون
الحق ويتكلمون به فهم من قولهم
به على استقامة فإذا ارتكسوا منه
إلى الكفر قاموا أي متحيرين
وهكذا قال أبو العالية والحسن
المصري وقتادة والزبيعي بن أنس

والسدي بسنده عن البخاري وهو أصح وأظهر والله أعلم وهكذا يكون يوم القيامة عندما يعطى الناس النور بحسب إيمانهم
فهم من يعطى من النور ما يضيء له مسيرة قراخ وأكثر من ذلك وأقل من ذلك ومنهم من يطفأ نوره تارة ويضيء أخرى ومنهم من
عشى على الصراط تارة ويقف أخرى ومنهم من يطفأ نوره بالكلمة وهم الخالص من المنافقين الذين قال تعالى فيهم يوم يقول
المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا وقال في حق المؤمنين يوم ترى
المؤمنين والمؤمنات يضيء نورهم بين أيديهم ويمنانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار الآية وقال تعالى يوم لا يخزي الله

النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير (ذكر الحديث الوارد في ذلك) قال سعيد بن أبي عروبة في قوله تعالى يوم تری المؤمنین والمؤمنات الا یذکر لئان نبی الله صلی الله علیه وسلم کان یقول من المؤمنین من یشیء نوره من المذنبه الى عدن آیین بصغاء ودون ذلك حتی ان من المؤمنین من لا یشیء نوره الا موضع قد مره رواه ابن جریر ورواه ابن ابی حاتم من حدیث عمران بن داود القطان عن قتادة بن خویر وهذا كما قال المنهال بن عمرو عن قیس ابن السکن عن عبد الله بن مسعود قال یقولون (٩٦) نورهم علی قدر أعمالهم فممن من یؤتی نوره كالنخله ومنهم من یؤتی نوره

روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه اغنا يقول كما يقال له وتصديق ذلك ان أتبع الاما يوحى الى وقوله قبل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ان أتبع الاما يوحى الى أما الفارقيط في تفسيره وجهان أحدهما انه الشافع المشفع وهذا أيضا صفة عليه الصلاة والسلام الثاني قال بعض النصارى الفارقيط هو الذي يفرق بين الحق والباطل وكان في الاصل فاروق كما يقال راووق للذي يروق به وأما الباطل فهو التحق في الامر كما يقال شيب أشيب وشيب وهذا أيضا صفة شرعنا لانه هو الذي يفرق بين الحق والباطل والسابع قال دانيال لبحث نصر حين سأله عن الرؤيا التي كان رآها من غير ان قصه عليه رأيت أيها الملك بمنظر اهاثا لرأسه من الذهب الابيض وساعده من الفضة وبطنه ونخاعه من نحاس وساقاه من حديد وبعض رجله من حديد وبعضها من خرف ورأيت حجرا يقطع من غير قاطع وصل رجل ذلك الصم ودقها دقا شديدا فقتل الصم كله حديد ونحاس وقضه وذبه وصارت رفاتا وعصفت بها الرياح فلم يزل يجلدها أثر وصار ذلك الحجر الذي وصل ذلك الرجل من ذلك الصم جبلا عاليا امتلأت به الارض فهذا رؤياك أيها الملك وأما تفسيرها فأنت الرأس الذي رأيت من الذهب ويقوم بعدك مملكة أخرى دونك والمملكة الثالثة التي تشبه النحاس تنبسط على الارض كلها والمملكة الرابعة تكون قوتها مثل الحديد وأما الرجل الذي كان بعضها من حديد وبعضها من خرف فان بعض المملكة يكون عزيزا وبعضها يكون ذليلا وتكون كلمة الملك متفرقة ويقوم الله السموات في تلك الايام مملكة أبدية لا تتغير ولا تزول وانما تزيل جميع الممالك وسلطانها يظل جميع السلاطين وتقوم هي الى الدهر الدهر فهذا تفسير الحجر الذي رأيت أنه يقطع من جبل بلا قاطع حتى دق الحديد والنحاس والخرف والله أعلم بما يكون في آخر الزمان فهذه هي البشارات الواردة في الكتب المتقدمة بمبعث رسولنا محمد صلي الله عليه وعلى آله وصحبه وبارك وسلم ذكره الرازي وقال الزجاج المراد بالعهد ما أخذ عليهم في التوراة من اتباع محمد صلي الله عليه وآله وسلم وقيل هو أداء الفرائض وقيل أراد جميع ما أمر الله به من غير تخصيص ببعض التكليف دون بعض ولا مانع من جملة على جميع ذلك (أوف بعهدكم) أي بما ضمنتم لكم من الجزاء وقيل بالقبول والثواب عليه بدخول الجنة (واباى قارهبون) أي خافون في تقصيركم العهد والرهبة والخوف ويتضمن الامر به معنى التهديد وتقديم

كل رجل القاء وأدناهم نورا على ايمانهم يطفأ مرة ويتقدم مرة وهكذا رواه ابن جرير عن ابن مشي عن ابن ادریس عن أبيه عن المنهال وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن علي بن محمد الطنافسي حدثنا ابن ادریس سمعت أبي يذکر عن المنهال بن عمرو عن قیس بن السکن عن عبد الله بن مسعود نورهم يسعى بين أيديهم سم قال على قدر أعمالهم يرون على الصراط منهم من نور مثل الجبل ومنهم من نورهم مثل النخله وأدناهم نورا من نورهم في ايمانهم يتقدم مرة ويطفأ أخرى. وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا محمد بن اسمعيل الاجسي حدثنا أبو يحيى الحماني حدثنا عتبة بن اليقظان عن عكرمة عن ابن عباس قال ليس أحد من أهل التوحيد الا يعطى نور يوم القيامة فاما المنافق فيطفأ نوره فالؤمن مشفق مما يرى من اطفاء نور المنافقين فهم يقولون ربنا أتم لنا نورنا وقال الضحاك بن مزاحم يعطى كل من كان يظهر الايمان في الدنيا يوم القيامة نور فاذا انتهت

الى الصراط طفي نور المنافقين فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا فقالوا ربنا أتم لنا نورنا فاذا تقرر هذا صار للناس أقساما مؤمنون خلص وهم الموصوفون بالايات الأربع في أول البقرة وكفار خلص وهم الموصوفون بالآيتين بعدها ومنافقون وهم قسيمان خلص وهم المضروب لهم المثل الناري ومنافقون يترددون تارة يظهر لهم الخ الايمان وتارة يخبئونهم أصحاب المثل المنائي وهم أخف حالا من الذين قبلهم وهذا المقام يشبه من بعض الوجوه ما ذكر في سورة النور من ضرب مثل المؤمن وما جعل الله في قلبه من الهدى والنور بالمصباح في الزجاجة التي كأنها كوكب دري وهي قلب المؤمن المقطوع على الايمان

واستداده من التبريعه الخالصه الصافيه الواصله اليه من غير ~~عكس~~ ولا يحلظ ~~في~~ ساني بقريه في موضعها ان شاء الله ثم ضرب
مثل العباد من الكفار الذين يعتقدون انهم على شيء وليسوا على شيء وهم أصحاب الجبل الماركب في قوله تعالى والذين كفروا أعمالهم
كسراب بقعة يحسه الظمان ما حتى اذا جاءه لم يجد شيئا الاية ثم ضرب مثل الكفار الجبال الجبل البسيط وهم الذين قال
تعالى فيهم ثم أوكلناهم في بحر لحي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها
ومن لم يجعل الله نورا فلا نور اخاله من نور قسم الكفار ههنا الى قسمين داعية ومقلد كما ذكره في أول سورة الحج ومن الناس من
يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مرید وقال ومن الناس من يجادل (٩٧) في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير وقد

قسم الله المؤمنين في أول الواقعة
وفي آخرها وفي سورة الانسان
الى قسمين سابقون وهم المقربون
وأصحاب يمين وهم الابرار فتلخص
من مجموع هذه الايات الكريكات
ان المؤمنين صنفان مقربون
وأبرار وان الكافرين صنفان
دعاة ومقلدون وان المنافقين أيضا
صنفان منافق خالص ومنافق فيه
شعبة من نفاق كما جاء في الصحيحين
عن عبد الله بن عمر وعن النبي صلى
الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه
كان منافقا خالصا ومن كانت فيه
واحدة منهن كانت فيه خصلة
من النفاق حتى يدعها من اذا
حدث كذب واذا وعد أخلف
واذا ائتمن خان استدلوا به على ان
الانسان قد تكون فيه شعبة من
ايمان وشعبة من نفاق اما علمي
لهذا الحديث أو اعتقادي كما
دلت عليه الآية كما ذهب اليه
طائفة من السلف وبعض العلماء
كما تقدم وكما ساقى ان شاء الله قال
الامام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا
أبو معاوية يعني شيان عن ليث
عن عمرو بن مرة عن أبي البختري

معمول الفعل يفيد الاختصاص قال صاحب الكشاف وهو كذا في افادة التخصيص
من اية لعبدوا الفاء جواب أمر مقدرا أي تبهوا فارهبون أو زانده وتسقط المياء من قوله
فارهبون لانه رأس آية (وامنوا بما أنزلت) يعني القرآن (مصدق المامعكم) أي لما في
التوراة من التوحيد والنبوة والاخبار ونعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ولا تكونوا
أول كافرينه) المراد أهل الكتاب لانهم العارفون بما يجب للانبياء وما يلزم من التصديق
أي لا تكونوا يا معشر اليهود أول كافر بهذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع كونكم
قد وجدتموه مكتوبا عندكم في التوراة والاشجيل مبشرا به في الكتب المنزلة عليكم وقد
حكى الرازي في تفسيره في هذا الموضع ما وقف عليه من البشارات برسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم في الكتب السابقة وقيل الضمير في بعائنه الى القرآن المدلول عليه بقوله بما أنزلت
وقيل عائد الى التوراة المدلول عليه بقوله لما معكم والخطاب لجامعة والكافر لفظه واحد
وهو في معنى الجمع أي أول الكفار أو أول فريق كافر ومفهوم الصفة غير مرادها
فلا يراد أن المعنى بل آخر كافر وانما ذكرت الاولية لانها أخش لما فيها من الابتداء بالكفر
بل يجب ان تكونوا أول فريق مؤمن به لا تكتم أهل نظري مجزاه والعلم به وهو صفاته
(ولا تشترؤا باي غنا قليلا) أي لا تستبدلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي
في التوراة عوضا يسير من الدنيا بالنسبة الى الآخرة كالشيء اليسير الحقير الذي
لا قيمة له والذي كانوا يأخذونه من الدنيا كالشيء اليسير بالنسبة الى جميعها فهو قليل
القليل وهذه الآية وان كانت خطبا بالنبي اسراييل ونهيا لهم فهي متناولة لهذه الامة
بفحوى الخطاب أو لجنه من أخذ من المسلمين رشوة على ابطال حق أمر الله به أو اثبات
باطل نهى الله عنه أو امتنع من تعليم ما علمه الله وكم البيان الذي أخذ الله عليه مساقه به
فقد استترى بآيات الله غنا قليلا (واياي فائقون) بالايان واتباع الحق والاعراض عن
حطام الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادئ لما في الآية الثانية
فصلت بالرهبة التي هي من مقدمات التقوى أو لان الخطاب به الماعم العالم والمقلد أمر
فيها بالرهبة المتناولة للفريقين واما الخطاب بالثانية فثبت خص بالعلماء أمر فيها بالتقوى
الذي هو المنتهى وبقي الكلام فيه كالكلام في قوله وياي فارهبون وقد تقدم قريبا
(ولا تلبسوا الحق بالباطل) أي ولا تكتبوا في التوراة ما ليس فيها فيختلط الحق المنزل

(١٣ ل - فتح البيان)

أجر دفيه مثل السراج يزهر وقلب أغلف مربوط على غلافه وقلب مكسوس وقلب مصفح فاما القلب الاجرد فقلب المؤمن
فسراج فيه نوره وأما القلب الاغلف فقلب الكافر وأما القلب المكسوس فقلب المنافق الخالص عرف ثم أنكر وأما القلب
المصفح فقلب فيه ايمان ونفاق ومثل الايمان فيه كمثل النقلة عدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة عدها القيح والدم
فهي المادتين غلبت على الاخرى غلبت عليه وهذا السناد جيد حسن وقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسبعهم وأبصارهم ان الله على

كل شيء قد ر قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله تعالى ولو شاء الله لذهب
بسمعهم وأبصارهم قال لما تركوا من الحق بعد معرفته ان الله على كل شيء قدير قال ابن عباس أي ان الله على كل ما أراد بعباده من
نعمته أو عقوبته وقيل ان جريرا عاين الله تعالى نفسه بالقدرة على كل شيء في هذا الموضع لانه حذر المنافقين بأسمه وسطوته
وأخبرهم انه بهم محيط وعلى اذهاب اسماعيلهم وأبصارهم قدير ومعنى قدير قادر كما معنى عليهم عالم وذهب ابن جرير ومن تبعه من
كثرت من المفسرين الى ان هذين المثليين ضروران لصنف واحد من المنافقين وتكون أوفى قوله تعالى أو كصب من السماء جمعي
الواو كقوله تعالى ولا تطع منهم أعمى أو كفورا (٩٨) أو تكون للخير أي أضرب لهم مثلا بهذا وان شئت بهذا قال القرطبي

أو للتساوي مثل جالس الحسن أو
ابن سيرين على ما وجهه الرخصى
ان كلا منهما مساو لاخر في
اباحة الجلوس اليه ويكون معناه
على قوله سواء ضربت لهم مثلا
بهذا أو بهذا فهو مطابق لحالهم
(قلت) وهذا يكون باعتبار جنس
المنافقين فانهم أصناف ولهم
أحوال وصفات كما ذكرها الله
تعالى في سورة براءة ومنهم ومنهم
ومنهم يذكر أحوالهم وصفاتهم
وما يعقدونه من الافعال والاقوال
فجعل هذين المثليين لصنفين منهم
أشد مطابقة لآحوالهم وصفاتهم
والله أعلم كما ضرب المثليين في سورة
النور لصنفى الكفار الدعاة
والمقلدين في قوله تعالى والذين
كفروا أعمالهم كسراب بقيعة الى
أن قال أو كظلمات في بحر لجى
الآية فالاول للدعاة الذين هم في
جهل صر كب والثاني لذوى الجهل
البسيط من اتباع المقلدين والله
أعلم بالصواب (يا أيها الناس
اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين
من قبلكم لعلكم تتقون الذى
جعل لكم الارض فراشا والسماء

بالباطل الذى كنتم وقيل لا تخلطوا الحق من صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالباطل من
تغيير صفته واللبس الخلط وقيل خوما خوذ من التغطية أى لا تغطوا الحق بالباطل
والاول أولى والباء للاتصاف على الاول وقيل للاستعانة واستبعده أبو حيان وقال فيه
صرف عن الظاهر من غير ضرورة قال السمين ولا أدري ما هذا الاستبعاد مع وضوح هذا
المعنى الحسن والباطل في كلام العرب الزائل والباطل الشيطان والمراد به هنا خلاف
الحق والمراد النهى عن كتم حجة الله التى أوجب عليهم تبليغها وأخذ عليهم بيانها ومن فسر
اللبس أو الكتمان بشئ معين ومعنى خاص كما تقدم فلم يصب ان أراد أن ذلك هو المراد
دون غيره لان أرادانه مما يصدق عليه (وتكتموا الحق) لما فيه من الضرر والفساد وقيل
ان العالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه وفيه تنبيه لسائر الخلق وتحذير من
مثله فصار هذا الخطاب وان كان خاصا في الصورة عاما في المعنى فعلى كل أحد أن لا يلبس
الحق بالباطل ولا يكتم الحق (وأنتم تعلمون) فيه أن كفرهم كفر عناد لا كفر جهل وذلك
أغلظ للذنب وأوجب العقوبة وهذا التقييد لا يفيد جواز اللبس والكتمان مع الجهل
لان الجاهل يجب عليه أن لا يقدم على شئ حتى يعلم بحكمه خصوصا في أمور الدين فان
التكلم فيها والتصديق للاصدار والايادى أبوابها انما أذن الله به لمن كان رأسا في العلم
فردا في الفهم وما للجهال والدخول فيما ليس من شأنهم والقعود في غير مقامهم واعلم
ان كثيرا من المفسرين جاؤا بعلم متكاف وخاضوا في بحر لم يكفوا سبحانه واستغرقوا
أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأى المنهى عنه
في الامور المتعلقة بكلام الله سبحانه وذلك انهم أرادوا ان يذكر والمناسبة بين الآيات
القرآنية المنسودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف فجاءوا بتكلفات وتفسيرات
يتراءى منها الانصاف ويتزعمونها كلام البغاة فضلا عن كلام الرب سبحانه حتى أفردوا ذلك
بالتصنيف وجعلوا المقصد الاهم من التأليف كما فعله الباقى في تفسيره ومن تقدمه ومن
تأخره وان هذا لمن أعجب ما يسمعه من يعرف ان هذا القرآن ما زال ينزل مفرقا على حسب
الحوادث المقتضية لنزوله منذ نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى أن
قبضه الله عز وجل اليه وكل عاقل فضلا عن عالم لا يشك ان هذه الحوادث المقتضية لنزول
القرآن متخالفة باعتبار نفسها بل قد تكون متناقضة كتحريم أمر كان حلالا أو تحليل أمر

بناه وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) شرع تبارك
وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته بانه تعالى هو المنعم على عبده بإخراجه من العدم الى الوجود وأسبغ عليه النعم الظاهرة
والباطنة بان جعل لهم الارض فراشا أي مهدا كالفرش مقرر موطأة مثبتة بالرواسى الشاححات والسماء بناء وهو السقف كإفال
في الآية الاخرى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتهم معرضون وأنزل لهم من السماء ماء والمراد به السحاب ههنا في وقته
مفسدة احتياجهم اليه فأخرج لهم به من أنواع الزرع والثمر ما حرم مشاهد رزقهم ولانعامهم بكافرهم هذا في غير موضع من

القرآن ومن أشبه آية بهذه الآية قوله تعالى الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم صورتكم وورثكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ومضمونه أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنها ورازقهم فيها يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره ولهذا قال فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم عند الله قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك الحديث وكذا حديث معاذ بن ندرى ما حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا الحديث وفي الحديث الآخر لا يقولن أحدكم ماشاء الله (٩٩) وشاء فلان ولكن ليقل ماشاء الله ثم شاء فلان وقال حماد بن سلمة حديثا

عبد الملك بن عمير عن ربي بن حراش عن الطفيل بن مخبزة أخى عائشة أم المؤمنين لأمها قال رأيت فيمباري المنام كائن آتيت على نفر من اليهود فقلت من أنتم قالوا نحن اليهود قلت أنكم لا أنتم القوم لولا أنكم تقولون عزيز ابن الله قالوا وأنكم لا أنتم القوم لولا أنكم تقولون ماشاء الله وشاء محمد قال ثم مررت بنفر من النصارى فقلت من أنتم قالوا نحن النصارى قلت أنكم لا أنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله قالوا وأنكم لا أنتم القوم لولا أنكم تقولون ماشاء الله وشاء محمد فلما أصبحت أخبرتهم بها من أخبرتهم ثم آتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال هل أخبرتهم بها أحدا قلت نعم فقام حمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان طفيل لا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم وأنكم قلتم كلمة كان ينبغي كذا وكذا أن أنكم علمتم عن هؤلاء تقولوا ماشاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ماشاء الله وحده هكذا رواه ابن مردويه في تفسيره هذه الآية من

كان حراما وإثبات أمر لشخص أو أشخاص يناقض ما كان قد ثبت لهم قبله وتارة يكون الكلام مع المسلمين وتارة مع الكافرين وتارة مع من مضى وتارة مع من حضر وحينما في عبادة وحينما في معاملة ووقتا في ترغيب ووقتا في تهيب وآونة في بشارة وآونة في نذارة وطورا في أمر دنيا وطورا في أمر آخرة وحرقة في تكاليف آتية وحررة في آفاق ماضية وإذا كانت أسباب النزول مختلفة هذا الاختلاف ومما يبينه هذا التباين الذي لا يتيسر معه الاتفاق فالقرآن النازل فيها هو باعتبار نفسه مختلف كاختلافها فكيف يطلب العاقل المناسبة بين الضب والنون والماء والنار والملاح والحدادي وهل هذا إلا من فتح أبواب الشك وتوسيع دائرة الريب على من في قلبه مرض أو كان مرضه مجرد الجهل والقصور فانه إذا وجد أهل العلم يتكلمون في التناسب بين جميع أي القرآن ويفردون ذلك بالتنصيف تقرر عنده أن هذا الأمر لا بد منه وأنه لا يكون القرآن بليغا معجزا إلا إذا ظهر الوجه المقتضى للمناسبة وتبين الأمر الموجب للاتساق فان وجد الاختلاف بين الآيات رجع إلى ما قاله المتكلمون في ذلك فوجده تكلفا محضا وتعمسا بينا انتقد في قلبه ما كان عنه في عافيه وسلامته هذا على فرض أن نزول القرآن كان مترتبا على هذا الترتيب الكائن في المحصف فكيف وكل من له أدنى علم بالكتاب وأيسر حظ من معرفته يعلم علمنا يقينا أنه لم يكن كذلك ومن شك في هذا وإن لم يكن مما يشك فيه أهل العلم رجع إلى كلام أهل العلم العارفين بأسباب النزول المطلعين على حوادث النبوة فانه ينبثق صدره ويؤول عنه الريب بالنظر في سورة من السور المتوسطة فضلا عن المطولة فانه لا محالة يجد هاشمته على آيات نزلت في حوادث مختلفة وأوقات متباينة لا مطابقة بين أسبابها وما نزل فيها في الترتيب بل يكفي المقصر أن يعلم أن أول ما نزل أقر باسم ربك الذي خلق وبعده ما أيها المدثر يا أيها المزمل وينظر أين موضع هذه الآيات والسور في ترتيب المحصف وإذا كان الأمر هكذا فأى معنى لطلب المناسبة بين آيات نزلت قطعاً أنه قد تقدم في ترتيب المحصف ما أنزله الله متأخرا وتأخر ما أنزله الله متقدما فان هذا عمل لا يرجع إلى ترتيب نزول القرآن بل إلى ما وقع من الترتيب عند جمعه من تصدى ذلك من العناية وما أقل نفع مثل هذا وأنزله رغبته وأحقر فائده بل هو عند من يفهم ما يقول وما يقال له من تضيق الاوقات وانفاق الساعات في

حديث حماد بن سلمة به وأخرجه ابن ماجه من وجه آخر عن عبد الملك بن عمير به نحوه وقال سفيان بن سعيد الثوري عن الأجلح بن عبد الله الكندي عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ماشاء الله وشئت فقال أ جعلتني لله ندا قل ماشاء الله وحده واد ابن مردويه وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث عيسى بن يونس عن الأجلح به وهذا كله صيانة وحماية لجناب التوحيد والله أعلم وقال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال قال الله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم للرب يقين جميعا من الكفار والمنافقين أي وجدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قلوبكم

وبه عن ابن عباس فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون أي لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم برزقكم غيره وقد علم أن الذي يدعوكم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم من التوحيد هو الحق الذي لا شك فيه وهكذا قال قتادة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم حدثنا أبي عمرو حدثنا أبي الفخار بن محمد أبو عاصم حدثنا شبيب بن بشر حدثنا عكرمة عن ابن عباس في قول الله عز وجل فلا تجعلوا لله أندادا قال الأنداد هو الشرك أخفى من ديب النمير على صفات سوداء في ظلمة الليل وهو أن يقول (١٠٠) والله وحيا نك يا فلان وحيا نك ويقول لولا كلمة هذا أنا للصوم

البارحة ولولا البط في الدار لآتى للصوم وقول الرجل لصاحبه ماشاء الله وشئت وقول الرجل لولا الله وفلان لا تجعل في فلان هذا كاه به شرك وفي الحديث أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماشاء الله وشئت قال أبعثني لله ندا وفي الحديث الآخر نعم القوم أنتم لولا أنكم تزدون تقولون ماشاء الله وشاء فلان قال أبو العالية فلا تجعلوا لله أندادا أي عدلاء شركاء وهكذا قال الربيع بن أنس وقاتدة والسدي وأبو مالك واسمعيلى بن أبي خالد وقال مجاهد فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون قال تعلمون أنه الواحد في التوراة والإنجيل * ذكر حديث في معنى هذه الآية الكريمة قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو خليف موسى بن خلف وكان يعد من البلاء حدثنا يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن جده ممتور عن الحرث الأشعري أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله عز وجل أمر يحيى بن زكريا عليه السلام بخمس كلمات أن يعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن

أمر لا يعود ينفع على فاعله ولا على من يقف عليه من الناس وأن تعلم أنه لو تصدى رجل من أهل العلم للمناسبة بين ما قاله الرجل من البلغاء من خطبه ورسائله وإنشائه أو إلى ما قاله شاعر من الشعراء من القصائد التي تكون تارة مدحا وأخرى هجاء وحينئذ راء وغير ذلك من الأنواع المتخالفة فعمد هذا المتصدي إلى ذلك المجموع فناسب بين فقره ومقاطعه ثم تكلف تكلفا آخر فناسب بين الخطبة التي خطبها في الجهاد والخطبة التي خطبها في الحج والخطبة التي خطبها في السكاح ونحو ذلك وناسب بين الانشاء الكائن في العزاء والانشاء الكائن في الهناء وما يشابه ذلك لعمد هذا المتصدي لمثل هذا مضانا في عقله متلما عما بأوقانه عاشا بعمره الذي هو رأس ماله وإذا كان مثل هذا هذه المنزلة وهو ركوب الاجوفة في كلام البشر فكيف تراه يكون في كلام الله سبحانه الذي أعجزت بلاغته بلغاء العرب وأبكمت فصاحته فصحاء عدنان وقحطان وقد علم كل مقصر وكامل أن الله سبحانه وصف هذا القرآن بأنه عربي وأنزله بلغة العرب وملك فيه مسالكهم في الكلام وجرى فيه مجاريهم في الخطاب وقد علمنا أن خطيبهم كان يقوم المقام الواحد فيأتى بقصون مختلفة وطرائق متباينة فضلاء عن المقامين فضلاء عن المقامات فضلاء عن جميع ما قاله مادام حيا وكذلك شاعرهم ولنكتف بهذا التنبيه على هذه المفسدة التي يعتز في ساحتها كثير من المحققين وانما ذكرنا هذا البحث في هذا الموطن لأن الكلام هنا قد انتقل مع بني إسرائيل بعد أن كان قبله مع أبي البشر آدم عليه السلام فإذا قال متكلف كيف ناسب هذا ما قبله قلنا لا كيف

فدع عنك نهبا صيح في حجرانه * وهات حديثا ما حديث الرواحل

(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) المراد هنا الصلاة المعهودة وهي صلاة المسلمين يعني الصلوات الخمس بمواقيتهم وحوادثها وجميع أركانها على أن التعريف للعهد ويجوز أن يكون للجنس ومثلها الزكاة والابتاء الاعطاء والزكاة مأخوذة من الزكاء وهو النماء وسمى اخراج جزء من المال زكاة أي زيادة مع أنه نقص منه لأنها تكثر بركته أو يكثر أجر صاحبه وقيل الزكاة مأخوذة من التطهير كما يقال زكى فلان أي طهره والظاهر أن الصلاة والزكاة والحج والصوم ونحوها قد نقلها الشرع إلى معان شرعية هي المرادة بما هو مذكور في الكتاب والسنة منها وقد تكلم أهل العلم على ذلك بما لا يتسع

يعملوا بهن وأنه كاد أن يطيء بها فقال له عيسى عليه السلام أنك قد أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فاما أن تبلغهن واما أن تبلغهن فقال يا أخي اني أخشى أن أسبقتني أن أعذب أو يخسف بي قال فجمع يحيى بن زكريا بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فعد على الشرف حمد الله وأثنى عليه ثم قال إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وأمركم أن تعملوا بهن أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا فان مثل ذلك كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بورق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدى غلبته إلى غير سيده فأبكم يسره أن يكون عبده كذلك وإن الله خلقكم ورزقكم

فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأمركم بالصلاة فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده ما يلتفت فإذا صليتم فلا تلتفتوا وأمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة كلهم يجذرون المسك وإن خلو في فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وأمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشده ويديه إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه وقال لهم هل لكم إن أقتدى نفسى منكم بفعل يقتدى نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه وأمركم بذكر الله كثيراً وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعى أثره فألقى حصناً حصيناً فتحصن فيه وإن العبد أحصن ما يكون (١٠١) من الشيطان إذا كان في ذكر الله قال

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أمركم بخمس أمرتى بهن الجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله فإنه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه الآن أن تراجع ومن دعا بدوى جاهلية فهو من جثى جهنم قالوا يا رسول الله وإن صام وصلى فقال وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم فادعوا المسلمين باسمائهم على ما سماهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد الله هذا حديث حسن والشاهد منه في هذه الآية قوله وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وهذه الآية دالة على توحيده تعالى بالعبادة وحده لا شريك له وقد استدل به كثير من المفسرين كالرازي وغيره على وجود الصانع تعالى وهي دالة على ذلك بطريق الأولى فإن من تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية واختلاف أشكالها وألوانها وطبائعها ومنافعها ووضعها في مواضع النفع بما يحكمه علم قدرة خالقها وحكمته وعلمه واتقانه

المقام لبسطه وقد اختلف أهل العلم في المراد بالركعة هنا فقيل المفروضة لا قرائنها بالصلاة وقيل صدقة الفطر والظاهر أن المراد ما هو أهم من ذلك (واركعوا مع الراكعين) أى صلوا مع المصلين يعنى محمد صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم والركوع في اللغة الانحناء وكل منحنى رآكع ويستعار الركوع أيضاً للانحناء طاقى المنزلة وانما خص الركوع بالذكر هنا لأن اليهود لا ركوع في صلاتهم وقيل لكونه كان ثقيلاً على أهل الجاهلية وقيل أنه أراد بالركوع جميع أركان الصلاة والركوع الشرعى هو أن ينحني الرجل ويمتد ظهره وعنقه ويفتح أصابع يديه ويقبض بها على ركبتيه ثم يطعن رآكعاً إذا كرأ بالذكر المشروع وقد ورد في ذلك من الأحاديث الصحيحة الثابتة في الصحيحين وغيرهما ما هو معروف وفي الآية حديث على إقامة الصلاة في الجماعة وقد أوجب حضور الجماعة بعض أهل العلم على خلاف بينهم في كون ذلك عيناً أو كفاية وذهب الجمهور إلى أنه سنة مؤكدة مرغب فيها وليس بواجب وهو الحق للأحاديث الصحيحة الثابتة عن جماعة من الصحابة من أن صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بخمس وعشرين درجة أو سبع وعشرين درجة وثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وآله وسلم الذي يصلى مع الإمام أفضل من الذي يصلى وحده ثم يأم والبحث طويل الذبول كثير النقول استوفاه الشوكاني في شرحه للمتنقى (أنا أمرت الناس بالركعة) الهمزة للاستفهام مع التوبيخ للخطابين وليس المراد توبيخهم على نفس الأمر بالركعة فعل حسن مندوب إليه بل سبب ترك فعل البر المستفاد من قوله (وتستون أنفسكم) تتركونها فلا تأمرونها به مع ترك النفس والقيام في مقام دعاة الخلق إلى الحق أيها الناس وقليلاً عليهم نزلت في علماء اليهود والبر والطاعات والنسيان هو هنا بمعنى الترك وفي الأصل خلاف الذكر والحفظ أى زوال الصورة التي كانت محفوظة عن المدركة والحفاظه وانما عبر عن الترك بالنسيان لأن نسيان الشيء يلزمه تركه فهو من استعمل المألوم في اللازم أو السبب في المسبب وسر هذا التجوز الإشارة إلى أن ترك ما ذكر لا ينبغي أن يصدر عن العاقل الانسيان والنفس الروح ومنه قوله تعالى يتوفى الانفس حين موتها يريد الارواح والنفس الجسد والمعنى وتعدلون عما لها فيسه نفع (وأنتم تتلون

وعظيم سلطانه كما قال بعض الاعراب وقد سئل ما الدليل على وجود الرب تعالى فقال يا سبحان الله ان البعر ليدل على البعير وان أثر الاقدام لتدل على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير وحكى الرازي عن الامام مالك أن الرشيد سأل عنه ذلك فاستدل له باختلاف اللغات والاصوات والغمات وعن أبي حنيفة ان بعض الزنادقة سأله عن وجود البارئ تعالى فقال لهم دعوني فأني مفكر في أمر قد اخترت عنه ذكر والى أن سفيضة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاحر وليس بها أحد يحرك سها ولا يسوقها وهي مع ذلك تذهب وتجي وتسير بنفسها وتحترق الامواج العظام حتى تخلص

منها وتسير حيث شاءت بنفسها من غير ان يسوقها أحد فقالوا اخذ شئ لا يقوله عاقل فقال ويحكم هذه الموجودات بما فيه من
العالم العلوي والسفلي وما اشتملت عليه من الاشياء المحكمة ليس لها صانع فثبت القوم ورجعوا الى الحق وأسلموا على يديه وعن
الشافعي انه سئل عن وجود الصانع فقال هذا ورق التوت طعمه واحد تأكله الدود فيخرج منه الابرسم وتأكله النمل فيخرج
منه العسل وتأكله الشاة والبقرة والانعام فتلقيه بعراور وثاوتاً تأكله الطياف فيخرج منها المسك وهو شئ واحد وعن الامام أحمد
ابن حنبل انه سئل عن ذلك فقال ههنا حصن (١٠٢) حصين أملس ليس له باب ولا منفذ ظاهره كالفضة البسيطة وباطنه كالذهب

الابرز فينا هو كذلك اذا تصدع
جداره فخرج منه حيوان
سمع بصير ذو شكل حسن وصوت
ملج يعني بذلك البيضة اذا خرج
منها الدجاجة وسئل أبو نواس
عن ذلك فأنشد

تأمل في نبات الارض وانظر
الى آثار ما صنع المليك
عيون من بلين شاخصات
بأحداق هي الذهب السيلك
على قصب الزبرجد شاهدات
بأن الله ليس له شريك
وقال ابن المعتز

فيا عجباً كيف يعصى الاله
به أم كيف يجعده الجاحد
وفي كل شئ له آية

تدل على أنه واحد
وقال آخرون من تأمل هذه
السموات في ارتفاعها واتساعها
وما فيها من الكواكب البكار
والصغار النيرة من السيارة ومن
الثوابت وشاهدها كيف تدور مع
الفلك العظيم في كل يوم وبسالة
دويرة ولها في أنفسها سير يخصها
ونظر الى البحار المكتنفة للارض
من كل جانب والجبال الموضوعة

الكتاب) جملة حالية مشددة على أعظم تقرير وأشد توبيخ وأبلغ تنكيه اي كيف
تتركون البر الذي تأمرون الناس به وأنتم من أهل العلم العارفين بيقين هذا الفعل وشدة
الوعيد عليه كما ترونه في الكتاب الذي تتلون وتدرسونه والآيات التي تقرأونها من التوراة
والتلاوة والقراءة وهي المراد هنا وأصلها الاتباع (أفلا تعقلون) استفهام للانكار عليهم
والتقريع لهم وهو أشد من الاول وأشد ولشد ما قرع الله في هذا الموضع من يأمر بالخير
ولا يفعل من العلماء الذين هم غير عاملين بالعلم فاستنكروا عليهم أولاً أمرهم للناس بالبر
نسيان أنفسهم من ذلك الامر الذي قاموا به في الجامع ونادوا به في المجالس ايمام الناس
بأنهم مبلغون عن الله ما تحمّلوه من حجة ومبينون لعباده ما أمرهم ببيانهم وموصلون الى
خلقهم ما استودعهم وانتمنهم عليه وهم تركوا الناس لذلك وأبعدهم من نفعه وأزادهم
فيه ثم ربط هذه الجملة بجملة أخرى جعلها مبينة لحالهم وكاشفة لعوارضهم وهاتكة
لاستارهم وهي أنهم فعلوا هذه الفعلة الشنيعة والحصله القطعية على علم منهم ومعرفة
بالكتاب الذي أنزل عليهم وملازمة لتلاوته وهم في ذلك كما قال المعري

واما جل التوراة قارئها * كسب الفوائد لاحب التلاوات

ثم انتقل معهم من تقرير الى تقرير ومن توبيخ الى توبيخ فقال انكم لو لم
تكونوا من أهل العلم وجملة الحق وأهل الدراسة لكتب الله لكان مجرد كونكم من يعقل
حائلاً بينكم وبين ذلك ذائد الكرم عنه زاجر الكرم منه فكيف أهملتم ما يقتضيه العقل
بعد ايهما لكم لما وجبه العلم والعقل في أصل اللغة المنع ومنه عقاب البعير لانه يمنع عن
الحركة ومنه العقل في الدية لانه يمنع الولي عن قتل الجاني والعقل نقيض الجهل ويصح
تفسير ما في الآية هنا بما هو أصل معنى العقل عند أهل اللغة أي أفلا تمنعون أنفسكم من
مواقعة هذه الحال المزرية ويصح أن يكون معنى الآية أفلا تنتظرون بعقوبتكم التي
رزقكم الله اياها حيث لم تنتفعوا بما لديكم من العلم والعقل قوة بمعنى قبول العلم ويقال للعلم
الذي يستفيده الانسان بملك القوة العقل وأخرج أحمد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد
والبرار وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو نعيم في الحلية وابن حبان وابن مردويه والبيهقي عن
أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأيت ليلة أسري بي رجلاً تقرض شفاهم
بعمقريض من نار كلما قرضت رجعت فقلت لجبريل من هؤلاء قال هؤلاء خطباء من أمتك

في الارض لتقرؤ يسكن ساكنوها واختلاف أشكالها وألوانها كما قال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف
ألوانها وغرايب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء وكذلك هذه الانهار
السارحة من قطر الى قطر للمنافع وما ذرأ في الارض من الحيوانات المتنوعة والنبات المختلف الطعوم والارايح والاشكال
والالوان مع اتحاد طبيعة التربة والماء استدلل على وجود الصانع وقدرته العظيمة وحكمته ورجته بخلقه ولطفه بهم واحسانه
اليهم وبرههم لاله غيره ولا رب سواه عليه توكلت واليه آيئ والايات في القرآن الدالة على هذا المقام كثيرة جداً (وان كنتم في

رب عمار لنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا أولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) ثم شرع تعالى في تقرير النبوة بعد أن قرر أنه لا اله الا هو فقال مخاطبا للكافرين وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا يعني محمد اصلي الله عليه وسلم فأتوا بسورة من مثل ما جاء به ان زعمتم أنه من عند غير الله فعارضوه بمثل ما جاء به واستعينوا على ذلك بمن شئتم من دون الله فإنكم لا تستطيعون ذلك قال ابن عباس شهداءكم أعوانكم وقال السدي عن أبي مالك شركاءكم أي قوما آخرين يساعدونكم على ذلك أي استعينوا (١٠٣) بالله في ذلك عندونكم وينصرونكم وقال مجاهد وادعوا شهداءكم قال

ناس يشهدون به يعني أحكام القضاة وقد تحداهم الله تعالى بهذا في غير موضع من القرآن فقال في سورة القصص قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدي منهما أتبعه ان كنتم صادقين وقال في سورة سبحان قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقال في سورة هود أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وقال في سورة يونس وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وكل هذه الآيات مكية ثم تحداهم بذلك أيضا في المدينة فقال في هذه الآية وان كنتم في ريب أي شك مما نزلنا على عبدنا يعني محمد اصلي الله عليه وسلم فأتوا بسورة من مثله يعني من

كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون وثبت في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق به أفتابه فيسددورها كأي دور الحجار برحاه فيطيف به أهل النار فيقولون يا فلان مالك ما أصابك ألم تكن تأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر فيقول كنت أأمركم بالمعروف ولا آتية وأنهاكم عن المنكر وآتية وفي الباب أحاديث معناها جميعا أن يطلع قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لهم هم دخلتم النار وانا مدخلنا الجنة بتعليمكم قالوا انا كنا نأمركم ولا نفعل وأخرج الطبراني والخطيب في الاقتصاء والاصحاب في الترغيب بسند جيد عن جندب بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل العالم الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كمثل السراج يضيء الناس ويحرق نفسه (واستعينوا بالصبر والصلاة) قيل ان المخاطبين بهذا هم المؤمنون وقيل اليهود لما عاقبهم عن الايمان بالشريعة وحب الرياسة فأمرهم بالصبر وهو الصوم لانه يكسر الشهوة والصلاة لانه تورث الخشوع وتنفى الكبر وأفرد الصلاة بالذكر تعظيما لشأنها والمعنى استعينوا على حوائجكم الى الله وقيل على ما يشغلهم من أنواع البلايا وقيل على طلب الآخرة بالصبر والصلاة في اللغة الجنس والمراد هنا استعينوا بحبس أنفسكم عن الشهوات وقصرها على الطاعات على دفع ما يرد عليكم من المكروهات وقيل الصبر هذا هو خاص بالصبر على تكاليف الصلاة وأداء الفرائض واستدل هذا القائل بقوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها وليس في هذا الصبر الخاص بهذه الآية ما ينفي ما يفيد في الالف واللام الداخلة على الصبر من الشجول كأن المراد بالصلاة هنا جميع ما يصدق عليه الصلاة الشرعية من غير فرق بين فريضة ونافلة وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا جزئه أمر فزع الى الصلاة وعن ابن عباس أنه نعى له أخوه قثم وهو في سفر فاسترجع ثم تبنى عن الطريق فصلى ركعتين أطال فيهما السجود ثم قام الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة وقد وردت أحاديث كثيرة في مدح الصبر والترغيب فيه والخزء للصبرين ولم يذكرها هنا لانها ليست بمخاصة لهذه الآية بل هي واردة في مطلق الصبر وقد ذكر السيوطي في الدر المنثور ههنا من شرط اصالحا وفي الكتاب العزيز من البناء

مثل القرآن قاله مجاهد وقادة واختاره ابن جرير الطبري والريشي والرازي ونسب له عن عمرو بن مسعود وابن عباس والحسن البصري وأكثر المحققين ورجح ذلك بوجه من أحسنه انه تحداهم كلهم متفرقين ومجتعين سواء في ذلك أميهم وكنايتهم وذلك أكمل في التحدي وأشمل من أن يتحدى أحدهم الاميين عن لا يكتب ولا يعانى شأن من العاوم وبديل قوله تعالى فأتوا بعشر سور مثله وقوله لا يأتون بمثله وقال بعضهم من مثل محمد صلى الله عليه وسلم يعني من رجل ألقى مثله والصحيح الاول لان التحدي عام لهم كلهم مع أنهم أقصح الامم وقد تحداهم بهذا في مكة والمدينة مرات عديدة مع شدة عداوتهم له وبغضهم له ومع هذا عجزوا عن ذلك ولهذا قال

تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ولن تفعلوا في المستقبل أي ولن تفعلوا ذلك أبدا وهذه أيضا معجزات أخرى وهو أنه أخبر بخبر
 جازما قاطعا قد ما غير خائف ولا مشفق ان هذا القرآن لا يعارض بمثله أبدا لا بد من ودر الداهرين وكذلك وقع الامر لم يعارض من
 ليدنه الى زمانا هذا ولا يمكن وأني يتأتى ذلك لاحد القرآن كلام الله خالق كل شيء وكيف يشبه كلام الخالق كلام المخلوق ومن
 تدبر القرآن وجد فيه من وجوه الإعجاز فتوناظاهرة وخفية من حيث اللفظ ومن جهة المعنى قال الله تعالى الركاب أحكمت
 آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير فأحكمت (١٠٤) ألفاظه وفصلت معانيه وأبوالعكس على الخلاف فكل من لفظه ومعناه

على ذلك والترغيب فيه الكثير الطيب وأخرج أحمد وأبو داود وابن جرير عن حذيفة قال
 كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا خزنه أمر فزع الى الصلاة وأخرج أحمد
 والنسائي وابن حبان عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال كانوا يعنى الأنبياء
 يفزعون إذا فزعوا الى الصلاة وعن ابن عباس أنه كان في مسير له فبقي اليه ابن له فزل فضلى
 ركعتين ثم استرجع فقال فعلنا كما أمرنا الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وقد روى نحو
 ذلك عن جماعة من الصحابة والتابعين واختلاف المفسرون في مرجع الضمير في قوله (وإنها
 الكبيرة) فقيل أنه راجع الى الصلاة وإن كان المتقدم هو الصبر والصلاة فقد يجوز ارجاع
 الضمير الى أحد الأمرين المتقدم ذكرهما كما قال تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه إذا
 كان أحدهما داخل تحت الآخر بوجه من الوجوه وقيل أنه عائد الى الصلاة من دون
 اعتبار دخول الصبر تحتها لأن الصبر هو عليها كما قبل سابقا وقيل ان الضمير راجع الى
 الصلاة وإن كان الصبر حراد اسمها الكنى لما كانت آكد وأعم تكليفا وأكثر فوبا كانت
 الكناية بالضمير عنها ومنه قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل
 الله كذا قيل وقيل ان الضمير راجع الى الأشياء المكسوزة ومثل ذلك قوله وإذا راء أو التجارة
 أولها وانفصوا اليها فأرجع الضمير هنا الى الفضة والتجارة لما كانت الفضة أعم نفعاً وأكثر
 وجوداً والتجارة هي الحاملة على الانقضاء والفرق بين هذا الوجه والوجه الأول أن
 الصبر هنا جعل داخل تحت الصلاة وهنا لم يكن داخل وان كان مراداً وقيل ان المراد
 الصبر والصلاة ولكن أرجع الضمير الى أحدهما استغناء عن الآخر ومنه قوله تعالى
 وجعلنا ابن مريم وصيه وأمه آية أي ابن مريم آية وأمه آية وقيل رجع الضمير اليها بعد تأويلها
 بالعبادة وقيل رجع الى المصدر المفهوم من قوله واسمعيوا وهو الاستعانة وقيل رجع الى
 جميع الأمور التي نهى عنها بنو إسرائيل والأول هو الظاهر الجارى على قاعدة كون
 الضمير للأقرب والكبيرة التي يكبر أمرها ويتعظم شأنها على حاملها لما يجده عند تحملها
 والقيام بها من المشقة ومنه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه (الا) استثناء مفرغ وشرطه
 أن يسبق بنى فيقول الكلام هذا الذى أى أنها لا تحقق ولا تسهل (الا) على الخاشعين
 يعنى المؤمنين وقيل الخائفين وقيل المطيعين المتواضعين لله والخاشع هو المتواضع قال في
 الكشاف الخشوع هو الاخبات والتطامن وأما الخشوع فاللين والانقياد انتهى وقال

فصيح لا يحدى ولا يدانى فقد أخبر
 عن معصيات ماضية كانت ووقعت
 طابق ما أخبر سواء بسواء وأمر بكل
 خير ونهى عن كل شر كما قال
 تعالى وقت كثر بك صدقاً وعدلاً
 أى صدقاً فى الاخبار وعدلاً فى
 الاحكام فكله حق وصدق وعدل
 وهدى ليس فيه مجازفة ولا كذب
 ولا افتراء كما لو جدى أشعار العرب
 وغيرهم من الأكاذيب والمجازفات
 التى لا يحسن شعرهم إلا بها كما قيل
 فى الشعر ان أعذبه كذبه وتجبد
 القصيدة الطويلة المديدة قد
 استعمل غالبها فى وصف النساء
 أو الخيل أو الخمر أو فى مدح شخص
 معين أو فرس أو ناقة أو حرب
 أو كائنة أو مخافة أو سببح أو شئ
 من المشاهدات المتعينة التى
 لا تفيد شياً الاقدرة المتكلم
 المعين على الشئ الخفى أو الدقيق
 أو ابرازه الى الشئ الواضح ثم تجدد
 له فيه بيتاً أو بيتين أو أكثر
 هي بيوت القصيدة وسأرها هذر
 لا طائل تحته وأما القرآن فجميعه
 فصيح فى غاية نهايات البلاغة عند
 من يعرف ذلك تفصيلاً واجملاً

من فهم كلام العرب وتصريف التعبير فإنه ان تأملت أخباره وجدت ما فى غاية الخلاوة سواء كانت مبسطة الزجاج
 أو وجيزة وسواء تكررت أم لا وكل تكرر جلا وعلا لا يخلق عن كثرة الرد ولا يمل منه العلماء وان أخذنى الوعيد والتهدية فإني
 ما تشعرت منه الجبال الصم الزاسيات فإني لا أخلق عن كثرة الرد ولا يمل منه العلماء وان أخذنى الوعيد والتهدية فإني
 ومجاورة عرش الرحمن كما قال فى الترغيب فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرد أعين جزاء بما كانوا يعملون وقال وفيها ما تشبه
 الانفس وتلد الاعين وأنتم فيها خلدون وقال فى التهيب أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أفأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم

من الاھوال وفى وصف الجنة والنار
وما أعد الله فىہم ما لولیاتہ وأعدائہ
من النعم والجحیم والملاذو العذاب
الایم بشرت به وحذرت وأندرت
ودعت الى فعل الخیرات واجتناب
المحکرات وزهدت فى الدنیا
ورغبت فى الاخرى وثبتت على
الطریقۃ المثلی وهدت الى صراط
الله المستقیم وشرعه القویم ونفت
عن القلب رجس الشیطان
الرجیم ولہذا ثبت فى الصحیحین عن
أبی ہریرۃ رضی اللہ عنہ أن رسول
الله صلی اللہ علیہ وسلم قال ما من
نبی من الانبیاء الا قد أعطی من
الآیات ما آمن على مشلہ البشر
وانما کان الذى أوتیتہ وحیا أو جاء
الله الى فأرجو أن أكون أكثرهم
تابعاً یوم القیامۃ لفظ مسلم وقولہ
صلی اللہ علیہ وسلم وانما کان الذى
أوتیتہ وحیا أى الذى اختصت به
من بینہم هذا القرآن المعجز للبشر
أن یعارضوہ بخلاف غیرہ من
الکتاب الالہیۃ فانہ لیس بمجزة
عند کثیر من العلماء واللہ أعلم وله
علیہ الصلاۃ والسلام من الآیات
الدالۃ على نبوۃ وصدقہ فما طامہ

(١٤ ل - فتح البيان) ما لا يدخل تحت حصر والله الجود المنة وقد قرر بعض المتأسنة وقول المعتزلة في الصرفة فقال ان كان هذا القرآن معجزا في نفسه لا يستطيع البشر الا قد حصل المدعى وهو المطلوب وان كان في امكانهم معارضته بمثله ولم يفعلوا ذلك مع شدة عدا الله لصرفه اناهم عن معارضته مع قدرتهم على ذلك وهذه الطريقة وان لم تكن مرضية للبشر معارضته كما قررنا الا انها تصلح على سبيل التنزل والمجذلة والمناخفة عن الحق وبهذه القبول في السور القصار كالعصر وانا اعطيناك الكوثر وقوله تعالى فاتقوا النار التي وقودها

(١٤ ل - فتح البيان) ما لا يدخل تحت حصر ولله الحمد والمنة وقد قرر بعض المتكلمين الاجاز بطريق يشمل قول أهل السنة وقول المعتزلة في الصرفة فقال ان كان هذا القرآن معجزا في نفسه لا يستطيع البشر الاثبات بعثله ولا في قواهم معارضته فقد حصل المدعى وهو المطلوب وان كان في امكانهم معارضته بعثله ولم يفعلوا ذلك مع شدة عداوتهم له كان ذلك دليلا على انه من عند الله لصرفه اياهم عن معارضته مع قدرتهم على ذلك وهذه الطريقة وان لم تكن مرضية لان القرآن في نفسه معجز لا يستطيع البشر معارضته كما قررنا الا انها تصلح على سبيل التبرل والمجادلة والمناخعة عن الحق وبهذه الطريقة أجاب الرازي في نفسه سيرة عن سؤاله في السور القصار كالعصر وانا أعطيناك الكوثر وقوله تعالى فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين أمّا

الرفود بنسخ الراوندية وما يلي في النار لا ذر اسمها كالحطب ونحوه كما قال تعالى وما المقاسطون فكأنوا الجحيم حطباً وقال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آية ما وردوها وكل فيها الدون والمراد بالحجارة ههنا هي حجارة الكبريت العظيمة السوداء الصلبة المنتمة وهي أشد الاجبارح اذ حبت أجارنا الله منها وقال عبد الملك بن ميسرة الرراد عن عبد الرحمن بن سابط عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى وقودها الناس والحجارة قال هي حجارة من كبريت خلقها الله يوم خلق السموات والارض في السماء الدنيا بعد خال الكافر بن رواه ابن جرير وهذا لفظه وابن أبي حاتم والحاكم في مستدركه وقال علي شرط الشيخين وقال (١٠٦) السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن

مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة اتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أما الحجارة ففي حجارة في النار من كبريت أسود يعذنون به مع النار وقال مجاهد حجارة من كبريت أتت من الجحفة وقال أبو جعفر محمد بن علي حجارة من كبريت وقال ابن جرير حجارة من كبريت أسود في النار وقال لي عمرو بن دينار أصلب من هذه الحجارة وأعظم وقيل المراد بها حجارة الاصنام والانداد التي كانت تعبد من دون الله كما قال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية حكاه القرطبي والرازي ورجحه على الاول قال لأن أخذ النار في حجارة الكبريت ليس بمستكر فعملها عند الحجارة أولى وهذا الذي قاله ليس بقوى وذلك ان النار اذا أضمرت ببجارة الكبريت كان ذلك أشد حرها وأقوى لسعيرها ولا سيما على ما ذكره السلف من انها حجارة من كبريت معدة لذلك ثم ان أخذ النار بهذه الحجارة أيضا مشاهد وهذا الجص يكون أجبارا فعمل فيه بالنار حتى

للابناء قيل فيه ورود العام المراد به الخصوص لان المراد بالعالمين بالموزمانهم وقيل على جميع العالمين بما جعل فيهم الانبياء وقال في الكشاف على الجمل الغفير من الناس كقوله باركافيهما للعالمين يقال رأيت عالما من الناس يراد الكثرة انتهى قال الرازي في تفسيره وهذا ضعيف لان لفظ العالم مشتق من العلم وهو الدليل وكلما كان دليلا على الله كان علما وكان من العالم وهذا تحقيق قول المتكلمين العالم كل موجود سوى الله وعلى هذا لا يمكن تخصيص لفظ العالم ببعض المحدثات انتهى أقول هذا الاعتراض ساقط اما أن لا قد عوى اشتقاقه من العلم لا برهان عليه وأما ثانيا فلولا صحة هذا الاشتقاق كان المعنى موجودا بما يتحصل معه مفهوم الدليل على الله الذي يصح اطلاق اسم العلم عليه وهو كائن في كل فرد من افراد الخلق التي يستدل بها على الخالق وغايته ان جمع العالم يستلزم ان يكونوا مفضلين على أفراد كثيرة من المحدثات وأما انهم مفضلون على كل المحدثات في كل زمان فليس في اللفظ ما يفيد هذا ولا في اشتقاقه ما يدل عليه وأما من جعل العالم أهل العصر فغايته أن يكونوا مفضلين على أهل عصور لا على أهل كل عصر فلا يستلزم ذلك تفضيلهم على أهل العصر الذين فيهم ينسأ على الله عليه وآله وسلم ولا على ما بعده من العصور ومثل هذا الكلام ينبغي استحضاره عند تفسير قوله تعالى وآنا كم ما لم يوت أحدنا من العالمين وعند قوله تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وعند قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين فان قيل ان التعريف في العالمين يدل على شموله لكل عالم قلت لو كان الامر هكذا لم يكن ذلك مستلزما لكونهم أفضل من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقوله تعالى كنتم خيرا أمة أخرجت للناس فان هذه الآية ونحوها تكون مخصصة لتلك الآيات (واتقوا يوما) أي واخشوا عذاب يوم أحر معناده الوعيد والمراد باليوم يوم القيامة أي عذابه (لا تجزى) لا تكفي ولا تقضى (نفس عن نفس شيئا) يعني حقارتهما وقيل معناه لا تنوب نفس عن نفس يوم القيامة ولا ترد عنها شيئا أما أصاب ابل يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وقيل ان طاعة المطيع لا تقضى عن العاصي ما كان واجبا عليه والنفس الاولى هي المؤمنة والثانية هي الكافرة ومعنى التسكرير التحقير أي شيئا يسيرا حقيرا (ولا يقبل منها شفاعة) أي في ذلك اليوم وذلك أن اليهود قالوا اشفع لنا آباءنا فرد الله عليهم ذلك والشفاعة مأخوذة من الشفع وهو الاثنان تقول

يصير كذلك وكذلك سائر الاجبار تقهرها النار وتحرقها وانما سقى هذا في حر هذه النار التي

استشفعة

وعودها وشدة ضررها وقوة لهيها كما قال تعالى كلما خبت زنادهم سعيرا وهكذا راجح القرطبي أن المراد بها الحجارة التي تسعير بها النار لتحمروا يشتدل بهيها قال ليكون ذلك أشد عذابا لاهلها قال وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل مؤذ في النار وهذا الحديث ليس بمحفوظ ولا معروف ثم قال القرطبي وقد فسر بمعنيين أحدهما ان كل من آذى الناس دخل النار والاخر أن كل ما يؤذى في النار يآذي به أهلها من السباع والبهائم وغير ذلك وقوله تعالى أعدت للكافرين الاظهر ان الضمير في أعدت عائدا الى النار التي وقودها الناس والحجارة ويحتمل عوده الى الحجارة كما قال ابن مسعود ولا منافاة بين القولين في المعنى لأنهما

منلا زمان وأعدت أي أرصدت وحصلت للكافرين بانه ورسوله كما قال ابن اسحق عن محمد بن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس أعدت للكافرين أي لمن كُن على مثل ما أنتم عليه من الكفر وقد استدل كثير من أئمة السنة بهذه الآية على أن الار موجودة الآن لقوله تعالى أعدت أي أرصدت وهنت وقد وردت أحاديث كثيرة في ذلك منها تهاجت الجنة والنار ومنها استأذنت النار بها فقات رب أي كل بعضي بعضا فأن لها يقين نفس في الشتاء ونفس في الصيف وحديث ابن مسعود سمعنا وجبة فقلنا ما هذه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا جبرأتني به من شقيهم منذ سبعين سنة الآن وصل إلى قعرها وهو عند مسلم وحديث صلاة الكسوف ولبلة الاسرى وغير ذلك من (١٠٧) الاحاديث المتواترة في هذا المعنى وقد خالفت

المعتزلة بحيلهم في هذا وافقهم القاضي منذ بن سعيد البلوطي قاضي الاندلس (تبيينه ينبغي الوقوف عليه) قوله تعالى فأثوا بسورة من مثله وقوله في سورة يونس بسورة مثله يعم كل سورة في القرآن طويلة كانت أو قصيرة لانها نكرة في سياق الشرط قطع كما هي في سياق النبي عند المحققين من اصوليين كما هو مقرر في موضعه فالاعجاز حاصل في طوال السور وقصارها وهذا ما أعلم فيه زاعمين الناس سلفا وخلفا وقد قال الرازي في تفسيره فان قيل قوله تعالى فأثوا بسورة من مثله يتناول سورة الكوثر وسورة العصر وقليلا منها والكافرون ونحن نعلم بالضرورة ان الاتيان بمثله أو بما يقرب منه ممكن فان قلتم ان الاتيان بمثل هذه السور خارج عن مقدار البشر كان مكابرة والاقدام على هذه المكابرات مما يطرق بالتهمة الى الدين قلنا فلهذا السبب اخترنا الطريق الثاني وقلنا ان بلغت هذه السورة في النصاحة حدا الاعجاز فقد حصل المقصود وان لم يكن

استشفعته أي سأله ان يشفع لي أي يضم جاحه الى جاحك عند المشفوع اليه لصل النفع الى المشفوع له وضمير منها يرجع الى النفس المذكورة ثانيا أي ان جاءت بشفاعته شفيع ويجوز ان يرجع الى النفس المذكورة أولا أي اذا شفعت لم يقبل منها (ولا يؤخذ منها بعدل) أي فدية وهو ثلث الشيء بالشيء والعديل بفتح العين الفداء وبكسرهما المثل وقيل بالفتح المساوي للشيء فدية وقد راوا بالكسر المساوي له في جنسه وبجرمه وأما العدل واحد الاعمال فهو بالكسر لا غير قاله السمين والضمير يرجع الى النفوس المدلول عليه بالنكرة في سياق النبي والنفس تذكر وتوثب والمعنى كما قال السدي لا تغني نفس مؤمنة عن نفس كافرة من المنفعة شيئا (ولا هم ينصرون) أي لا يمنعون من العذاب والنصر العون والانصار الاعوان ومنه من أنصاري الى الله والنصر أيضا الانتقام يقال انتصر زيد لنفسه من خصمه أي انتقم منه لها والنصر أيضا الاتيان يقال نصرت أرض بني فلان أي أيتها (واذنبناكم من آل فرعون) أي واذاكروا وادخلنا اسلافكم وأجدادكم فاعتدوهم ومنه عليهم لانهم نجوا بعبادة أسلافهم وهذا شروع في تفصيل نعم الله عليهم وفصلت بعشرة أمور تهسي بقوله واذا استقي موسى والنجاة النجوة من الارض وهي ما ارتفع منها ثم سمي كل فائز وخارج من ضيق الى سعة ناجيا وان لم يلق على نجوة وآل فرعون قومه والا ل يضاف الى ذوى الخطر ولا يضاف الى البلدان فلا يقال من آل المدينة وجوزة الاخفش واختلفوا اهل يضاف الى المضمر أم لا فتحه قوم وسوغه آخرون وهو الحق وفرعون قيل هو اسم ذلك الملك بعينه وقيل انه اسم لكل ملك من ملوك العمالة أولاد عمليق بن لاو زين ارم بن سام بن نوح كما يسمى من ملك الفرس كسرى ومن ملك الروم قيصر ومن ملك الحبشة النجاشي وقيل فرعون اسم علم لمن كان يملك مصر من القبط والعماليق واسم فرعون موسى المذكور هنا قابوس في قول أهل الكتاب وقال وهب اسم الوليد بن مصعب بن الزيان وعمراً من أربع مائة سنة وعاش موسى مائة وعشرين سنة قال المسعودي لا يعرف فرعون تفسير بالعربية وقال الجوهري ان كل عات يقال له فرعون وقد تفرعن وهو ذو فرعنة أي دهاء ومكر وقال في الكشاف تفرع فلان اذا عتي وتجبر (يسمونكم) أي يكلفونكم ويولونكم قاله أبو عبيدة وقيل يذوقونكم ويلزمونكم اياد وأصل السوم الدوام ومنه

كذلك كان امتناعهم من المعارضة مع شدة ذواعيمهم الى توحيين أمره معجزا فعلى التقديرين يحصل المعجز هذا الفظه بحروفه والصواب ان كل سورة من القرآن معجزة لا يستطيع البشر معارضتها طويلا كانت أو قصيرة قال الشافعي رحمه الله لو تدبر الناس هذه السورة لسقطت والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويواصوا بالحق ويواصوا بالصبر وقد روي شاعن عمرو بن العاص انه وفد على مسيلة الكذاب قبل ان يسلم فقال له مسيلة ماذا أنزل على صاحبكم عكة في هذا الحين فقال له عمرو لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة فقال وما هي فقال والعصر ان الانسان لفي خسر ففكر ساعة ثم رفع رأسه فقال ولقد أنزل على مثلها قال وما هو فقال يا برياء بر انما أنت أذنان وصدر وسائر لحق ففرق ثم قال كيف ترى يا عمرو فقال له عمرو والله انك لتعلم اني

لا علم أنك تكذب (ويشير الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها رزقناهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون) لما ذكر تعالى ما أعد له لأعدائه من الأشقاء الكافرين به وبرسله من العذاب والتكال عطف يذكّر حال أوليائه من السعداء المؤمنين به وبرسله الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة وهذا معنى تسمية القرآن مثاني على أصح أقوال العلماء كما سنبسطه في موضعه وهو أن يذكر الإيمان ويتبع بذكر الكفر أو عكسه أو حال السعداء ثم الأشقياء أو عكسه وحاصله ذكر الشيء ومقابله وأما ذكر الشيء ونظيره فذلك التشابه كما سنوضحه إن شاء الله فلهذا قال تعالى وبشر (١٠٨) الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار

فوصفها بأنها تجري من تحتها الأنهار أي من تحت أشجارها وغرفها وقد جاء في الحديث أن أنهارها تجري في غير أخذ ودواء في الكوثر أن حافته قباب اللؤلؤ المجوف ولا مسافة بينهما فظنهما المسك الأذفر وحدهما أوها اللؤلؤ والجوهر نسأل الله من فضله أنه هو البر الرحيم وقال ابن أبي حاتم قرأ على الربيع بن سليمان حديثنا أسد ابن موسى حديثنا أبو ثوبان عن عطاء ابن قررة عن عبد الله بن ضمرة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها الجنة تفجر من تحت تلألأ آخر من تحت جبال المسك وقال أيضا حديثنا أبو سعيد حديثنا وكيع عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال قال عبد الله أنها الجنة تفجر من جبل مسك وقوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة قالوا هذا الذي رزقنا من قبل قال أنهم أتوا بالثمرة في الجنة فلما نظروا إليها قالوا هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا وهكذا قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ونصره

سائمة العنم لما دوتها الرعي وفي الكشف أصلا من سام السابعة إذا طلبها كأنه يبعث يبعونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه انتهى (سوء العذاب) أي أشد وأسوأ وأفظع وان كان كله سيئا والسوء كل ما يغني الإنسان من أمر ديني أو آخرى (يذبحون) أي يذبحون ويستحيون نساءكم) الذبح في الأصل الشق وهو فري أو داج المذبح قيل ذبحوا منهم اثني عشر ألفا وقيل سبعين ألفا وهل نساء جمع نسوة أو جمع امرأة من حيث المعنى قولان والمراد يترك نساءكم أي يحلوا نساء جمع نسوة أو جمع امرأة من حيث الإنباء واستحياء النساء لأن الكهنة أخبروه بأنه يولد مولود يكون هلاكا على يده ويعبر عن البنات باسم النساء لأنه جنس يصدق عليهن وقالت طائفة أنه أمر يذبح الرجال واستدلوا بقوله نساءكم والاول أصح بشهادة السبب ولا يخفى ما في قتل الإنباء واستحياء البنات للخدمة ونحوها من انزال الذل بهم والصاق الإهانة الشديدة بجمعهم لما في ذلك من العار والاشارة بقوله (وفي ذلكم) إلى جملة الأمر من الانجاء والذبح قاله ابن عطية (بلاء ربكم عظيم) أي اختبار وامتحان والبلاء يطلق تارة على الخير وتارة على الشر فان أريد به هنا الشر كانت الإشارة إلى ما حل بهم من العقوبة بالذبح ونحوه وان أريد به الخير كانت الإشارة إلى النعمة التي أنعم الله عليهم بالانجاء وما هو مذكور قبله من تفضيلهم على العالمين وقد اختلف السلف ومن بعدهم في مرجع الإشارة فخرج الجمهور الأول ورجح الآخرون الآخر قال ابن كيسان أبلأوه بلاءه في الخير والشر وقيل الأكثر في الخير أبلأوه في الشر بقاءه وفي الاختبار أبلأوه بقاءه قاله النحاس استدلل به بعض من يقول بالتشابه وقال إن القوم كانوا هم بأعيانهم فلم تأنطوات عليهم مدة التلاشي والبلبلى نسوا فذكروا قال الكرماني وهذا محال وجهل بكلام العرب فان العرب تخاطب بمثل هذا وتغنى الجنة الأعلى والاب الأبعد (واذ فرقا بكم البحر) أي فلقنا وأصل الفارق الفصل ومنه فرق الشعر ومنه وقرأنا فرقا أي فصلناه والباء في بكم بمعنى اللام أو السببية والمراد أن فرق البحر كان بسبب دخولهم فيه لما صاروا بين المائتين صار الفرق بهم وأصل البحر في اللغة الاتساع أطلق على البحر الذي هو مقابل البر لما فيه من الاتساع بالنسبة إلى النهر والخليج ويطلق على الماء المالح وقال السيوطي في مفتحات الاقران البحر هو القلزم وكميته أبو خالدة كما روى عن قيس بن عباد قال ابن عساکر كأنه كنى بذلك

ابن جرير وقال عكرمة قالوا هذا الذي رزقنا من قبل قال معناه مثل الذي كان بالأمس وكذا قال الربيع بن أنس وقال مجاهد يقولون ما أشبهه به قال ابن جرير وقال آخرون بل تأويل ذلك هذا الذي رزقنا من قبل شارب الجنة من قبل هذا الشدة مشابهة بعضه بعضا لقوله تعالى وأتوا به متشابها قال سديد بن داود حديثنا شيخ من أهل المصصة عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال يؤتى أحدهم بالحقة من الشيء فبأكل منها ثم يؤتى بأخر فيقول هذا الذي آتينا به من قبل فيقول الملائكة كل قالوا واحد والطمع مختلف وقال ابن أبي حاتم حديثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا امرئ بن يساف عن يحيى بن أبي كثير قال عشب الجنة الزعفران

ولبنانها المسك ويطوف عليهم الولدان بالقوا كدنيا كانوا ثم يؤتون عملها فيقول لهم أهل الجنة هذا الذي اتيتونا نغايه فتقول لهم الولدان كوا فاللون واحدوا الطعم مختلف وهو قول الله تعالى وأتوا به متشابهة وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالمة وأتوا به متشابهة قال يشبه بعضه بعضا ويختلف في الطعم قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد والربيع بن أنس والسدي فخذ ذلك وقال ابن جرير بأسناده عن السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة في قوله تعالى وأتوا به متشابهة يعني في اللون والمرأى وليس يشتمه في الطعم وهذا اختيار ابن جرير وقال عكرمة وأتوا به متشابهة قال يشبه ثم الدنيا غيران ثم الجنة أطيب وقال سفيان (١٠٩) الثوري عن الأعمش عن أبي طسان عن ابن

والله أعلم وتوكله تعالى وهم فيها البون هذا هو مقام السعادة فانهم مع هذا النعيم في مقام أمين من الموت والانتقام فلا اخر له ولا انتفاء بل في نعيم سرمدى أبدي على الدوام والله المسؤول أن يحشرنا في رحمتهم انه جواد كريم برحيم (ان الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها مما الذين آمنوا فعلموا انه الحق من وهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين الذين يتخون عهد الله من بعد مساقته ويتقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض أولئك هم الخاسرون) قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة لما ضرب الله (١١٠) هذين المثلين للمنافقين يعني قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً

وقوله او كصيب من السماء الآيات الثلاث قال المنافقون الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الامثال فأمر الله هذه الآية الى قوله تعالى هم الخاسرون وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة لما ذكر الله تعالى العنكبوت والذباب قال المشركون ما بال العنكبوت والذباب يذكران فأمر الله ان الله ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها وقال سعيد عن قتادة اي ان الله لا يستحي من الحق أن يذكر شئاً مقل أو كثر وان الله حين ذكروا في كتابه الذباب والعنكبوت قال اهل الضلالة ما اراد الله من ذكر هذا فأمر الله ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها قلت العبارة الاولى عن قتادة فيها اشعاراً أن هذه الآية تمكية وارس كذلك وعبارة رواية سعيد عن قتادة أقرب والله أعلم وروى ابن جرير عن مجاهد نحو هذا الثاني عن قتادة وقال ابن أبي حاتم روى عن الحسن واسمعييل بن أبي خالد نحو قول السدي وقتادة وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس في هذه

كان اسم رجل بن اسرائيل الذي عبدهم موت رقيب يهوت (من بعده) أي بعد مضى موسى الى الطور وقد ذكر بعض المفسرين انهم عدوا عشرين يوماً وعشرين ليلة وقالوا قد اختلف مواعيد هذا العجل وهذا غير بعيد منهم فقد كانوا يسلكون طرائق من التبعث خارجة عن قوانين العقل مخالفة لما يخاطبون به بل ويشاهدونه بأبصارهم فلا يقال كيف يعدون الايام والليالي على تلك الصفة وقد صرح لهم في الوعد بأنها أربعون ليلة والمعنى من بعد عبادتكم العجل وسمى العجل بجلا لاستعجالهم عبادته كذا قيل وليس بشئ لأن العرب تطلق هذا الاسم على ولد البقر وقد كان جعله لهم السامري على صورة العجل (وأنتم ظالمون) أي وأنتم ضارون لأنفسكم بالمعصية حيث وضعتم العبادة في غير موضعها وقيل انما سماهم ظالمين لانهم أشركوا بالله وخالفوا مواعيدهم قيل والذين عبدهم منهم ثمانية آلاف وقيل كلهم الا هرون مع اثني عشر ألفاً وهذا أولى (ثم عنونا عنكم) أي محونا ذنوبكم وتجاوزنا عنكم والعفو يجوز أن يكون بعد العقوبة والغفران لا يكون معها وهذا هو الفرق بينهما وما هو من الاضداد يقال عفت الريح الاثر أي أذهبته وعفا الشئ أي كثر ومنه حتى عفوا وقال أبو السعود العفو محو الجرمية من عفاه درسه وقد يجب أن لا يقال عرف المنزل الخالي * عقام بعد أحوال عفاه كل حثان * كثير الويل خطا

(من بعد ذلك) أي من بعد عبادتكم العجل (لعلكم تشكرون) ما أنعم الله به عليكم من العفو عن ذنوبكم العظيم الذي وقعتم فيه وتسترون بعد ذلك على الطاعة وأصل الشكر في اللغة الظهور قال الجوهري الشكر انشاء على المحسن بما أولاه من المعروف يقال شكرته وشكرت له وباللام أفصح والشكر ان خلاف الكفران (وأنتم آتينا موسى الكتاب والفرقان) الكتاب التوراة بالاجماع من المفسرين واختلفوا في الفرقان فقال الفراء وقطرب المعنى آتينا موسى التوراة ومحمد الفرقان وقد قيل ان هذا غلط أو وقعهم فيه أن الفرقان مختص بالقرآن وليس كذلك فقد قال تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان قال الزجاج ان الفرقان هو الكتاب أعيد ذكره تأكيداً وقيل ان الواصلة وهي قدراد في المنعوت وقيل ان المعنى ذلك المنزل جامع بين كونه كتاباً وقارفاً بين الحق والباطل وهو كقوله آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن وتفصيلاً لكل

الآية قال هذا مثل ضربه الله للدينان البعوضة تها ما جاعت فإذا سمت ماتت وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب لهم هذا المثل في القرآن اذا امتلأوا من الدنيا ياخذهم الله عند ذلك ثم تلى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شئ يحكمك ارواه ابن جرير ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العباس بنحوه فأنعم الله عليهم في سبب النزول وقد اختار ابن جرير ما حكاه السدي لأنه أسس بالسورة وهو مناسب ومعنى الآية أنه تعالى أخبرنا أنه لا يستحي أن لا يستنكف وقيل لا يستحي أن يضرب مثلاً ما يأي مثل كان بأي شئ كان صغيراً كان أو كبيراً وما همنا الله فليس وتكون بعوضة منصوبة على البطل كما تقول لا ضرب بن ضرباً ما فيصدق بآتي شئ أو تكون أنكره موصوفة ببعوضة واختار ابن جرير أن

فما موصولة وبعبارة معربة بأعرابها قال وذلك سأفعل في كلام العرب أنهم يعربون صلته ما ومن بأعرابها لانهم ما يكونان معرفة نارة ونكرة أخرى كما قال حسان بن ثابت يكفي بنافلا على من غرنا حب النبي محمد ايانا قال ويجوز ان تكون بعوضة منصوبة بجذف الجار وتقدير الكلام ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما بين بعوضة الى ما فوقها وهذا الذي اختاره الكسائي والقراء وقرأ الضحك وابراهيم بن عبله بعوضة بالرفع قال ابن جنى وتكون صلته لما وحذف انعائده كما في قوله تمام على الذي أحسن أى على الذي هو أحسن وحكى سيبويه ما نا بالذي قائل لك شياى بالذى هو قائل لك شياى وقوله تعالى فما فوقها فيه قولان احدهما فنادونها في الصغرة والحقارة كما اذا وصف رجل باللؤم والشح فيقول السامع (١١١) نعم وهو فوق ذلك يعنى فيما لو صنعت وهذا قول

الكسائي وأبي عبيد قاله الرازي
وأكثر المحققين وفي الحديث لو أن
الدين اتزن عند الله جناح بعوضة
لمسقى كافراً منها شربة ماء والثاني
خافوقها المأهوا كبر منها لأنه ليس
شيء أحقر ولا أصغر من البعوضة
وهذا قول قتادة بن دعامه واختيار
ابن جرير فإنه يؤيده ما رواه مسلم
عن عائشة رضي الله عنها أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ما من
مسلم بشاة شوكته خافوقها
الا كتب له بهم ادرجة وحجبت عنه
به اخطيئة فأخبر أنه لا يستغفر شيئاً
يضرب به مثلاً ولو كان في الحمار
والعمر كالبعوضة كما لا يستنكف
عن خلقها كذلك لا يستنكف
من ضرب المثل بها كما ضرب المثل
بالذباب والعنكبوت في قوله يا أيها
الناس ضرب مثل فاستمعوا
له ان الذين تدعون من دون الله
ان يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وان
يسلمهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه
ضعف الطالِب والمطلوب وقال مثل
الذين اتخذوا من دون الله أولياء
كمثل العنكبوت اتخذت بيانا وان
أوهن السوت لبست العنكبوت

شئ وقيل الفرقان الفرق بينهم وبين قوم فرعون أنجي الله هؤلاء وأعرق هؤلاء وقيل
ابن زيد الفرقان انفراق البحر والسرع الفسارق بين الخلال والحرام وقيل الفرقان
الفرج من الكرب أو النصر وقيل أنه الحجة والبيان بالآيات التي أعطاه الله من
العصا واليد وغيرهما وهذا أولى وأرجح ويكون العطف على باب كانه قال آتينا موسى
التوراة والآيات التي أرسلنا بها معجزة له (لعلكم تهتدون) يعنى بالتوراة أى لكى
تهتدوا للتدبر والتفكر فيه والعمل والاعتقاد بما يحويه (واذ قال موسى اقوم)
يعنى الذين عبدوا العجل والقوم يطلق تارة على الرجال دون النساء ومنه قوله تعالى
لا يسخر قوم من قوم ثم قال ولانساء من نساء ومنه ولوطا اذ قال اقومه اراء الرجال
وقدي يطلق على الجميع كقوله تعالى انا أرسلنا نوحا الى قومه والمراد هنا بالقوم عبدة العجل
وهذا شروع فى بيان كيفية العفو والقوم ليس له واحد من لفظه ومفرده رجل (يا قوم
انكم ظالمون) انفسكم ياخذ كم العجل يعنى الهاته بدونه فكأنهم قالوا ما نمنع فقال رقبوا
الى بارئكم أى ارجعوا الى خالقكم واعزموا وصموا بالتوبة والبارئ الخالق وقيل
البارئ هو المبدع المحدث والخالق هو المقدر الناقل من حال الى حال وفى ذكر البارئ هنا
اشارة الى عظيم جرمهم أى فقبوا الى الذى خلقكم وقد عبدتم معه غيره وأصل التركيب
لخلوص الشئ عن غيره اما على سبيل التفتى كبرى المريض من مرضه والمدين من
دينه والانشاء كبر الله آدم من الطين (فاقبلوا انفسكم) أى اجعلوا القتل متعقبا
للتوبة تمامها قال القرطبي وأجمعوا على انهم يؤمر كل واحد من عبدة العجل بأن يقتل
نفسه بيده قيل قاسوا اوصافهم وقيل بعضهم بعضا وقيل وقت الذين عبدوا العجل ودخل
الذين لم يعبدوه عليهم بالسلاح فقتلواهم فتاب الله على الباقين منهم عن ابن عباس قال
أمر موسى قومه عن أمر ربهم أن يقتلوا انفسهم واستحي الذين عكفوا على العجل فجلسوا
وقام الذين لم يعكفوا فآخذوا الخناجر بأيديهم وأصابهم ظلمة شديدة فجعل يقتل بعضهم
بعضا فنجت الثلثة عنهم عن سبعين ألف قتيل كل من قتل منهم كانت له توبة وكل من بقى
كانت له توبة وعن علي قال قال موسى ما يقتلوا قتيل بعنكم بعضا فآخذوا
السكاكين فجعل الرجل يقتل أخاه وأباه وابنه لا يسالى من قتل حتى قتل منهم سبعون
ألفا فأوحى الله الى موسى فإبرءهم فإبرءهم وقد غفر لمن قتل وتب على من بقى

لو كانوا يعلمون وقال تعالى ألم تركب ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار يثبت الله الدين آمنوا بقول النابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويصل الله الثالمين ويمنع الله ما يشاء وقال تعالى يضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء الآية ثم قال ويضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أبغا يوجهه لا يات بخبر هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل الآية كما قال ضرب الله مثلا من أنفسمكم هل لكم مما مملكت أعيانكم من شركاء فيهم ارقناكم الآية وقال يضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون الآية وقال وتلك الامثال نضربها للناس وما

يعتقونها الا انما علمون وفي القرآن أمثال كثيرة قال بعض السلف اذا سمعت المثل في القرآن فلم تقم به بكيت على نفسي لان الله قال
وتلك الامثال نضرب للناس وما يعقلها الا العالمون وقال مجاهد في قوله تعالى ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما
فوقها الامثال تغيرها كبرها يؤمن بها المؤمنون يعلمون انها الحق من ربهم وريحهم الله بها وقال قتادة فاما الذين آمنوا
فيعلمون انه الحق من ربهم اى يعلمون انه كلام الرحمن وانه من عند الله وروى عن مجاهد والحسن والريبع بن أنس نحو ذلك
وقال ابو العباس فاما الذين آمنوا ويعلمون انه الحق من ربهم يعنى هذا المثل واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا
كما قال في سورة المدثر وما جعلنا احصاء النار (١١٢) الامثلة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وليستعقن الذين

(ذلكم) يعنى هذا القتل وتحمل هذه الشدة (خير لكم) لان الموت لا بد منه (عند
بارئكم) من حيث انه طهارة من الشرك ووصلة الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية
(كتاب عليكم) اى فعلتم ما امرتم به فقبوا وزعنكم وهذه الفاء فاء التفسير وفاء التفصيل
وهذا من كلام الله تعالى خاطبهم به على طريق الالتفات من التكلم الذى يقتضيه السياق
الى الغيبة وقيل انه من جملة كلام موسى لقومه والاول اولى (انه هو التواب) اى
الرجاع بالمغفرة القابل للتوبة البالغ في قبولها منهم (الرحيم) بخلقه (واذ قلتم يا موسى
ان تؤمن لك) اى لا تصدقوا بان ما نسمعه كلام الله (حتى نرى الله جهرة) اى عيانا
ظاهر السياق ان القائلين بهذه المقالة هم قوم موسى قيل هم السبعون الذين اختارهم من
لم يعبدوا العجل وذلك انهم لما سمعوا كلام الله قالوا له بعد ذلك هذه المقالة معتدين عن
عبادة اصحابهم العجل فخرج بهم موسى وقيل عشرة آلاف من قومه والمؤمن به والجهرة
استعيرت للمعينة وأصلها الظهور (فأخذتكم الصاعقة) لفرط العناد والتعنت
وطلب المستحيل قيل هى الموت وفيه ضعف وقيل سبب الموت واختلقوا في ذلك
السبب فقيل ان نار انزلت من السماء فأحرقتهم وقيل جاءت صيحة من السماء وقيل أرسل
جوعاس الملائكة فسمعوا بحسهم فحروا صاعقين يستين يوموا ليله والاول اولى والمراد
بأخذ الصاعقة اصابتها اياهم وسيأتى فى الاعراف انهم ماؤا بالرحمة اى الزلزلة ويمكن
الجمع بأنه حصل لهم الجميع وقيل المراد بالصاعقة الموت واستدل عليه بقوله الا ثم
بعثناكم من بعد موتكم ولا موجب للمصر الى هذا التفسير لان المعصوق قد بعث من بعد
الاية وقد يغشى عليه ثم يفيق كفى قوله تعالى وخر موسى صعقا فلما أفاق وما يؤجج
بعد ذلك قوله (وأنتم تنظرون) فانما لو كانت الصاعقة عبارة عن الموت لم يكن لهذه
الجملة كثير معنى بل قد يقال انه لا يصح ان ينظروا الموت النازل بهم الا ان يكون المراد نظر
الاسباب المؤثرة للموت قيل انهم نظروا أوائل الصاعقة النازلة بهم الرائعة عليهم
لا آخرها الذى ماؤا عنده والمعنى ينظر بعضهم الى بعض كيف يأخذهم الموت وكيف
يحياؤا وتمعنوا فقبوا بأخذ الصاعقة لهم لانهم طلبوا ما لم يأذن به الله من رؤيته في الدنيا
(ثم بعثناكم من بعد موتكم) المراد بذلك الاحياء لهم لوقوعه بعد الموت فبعثوا بعد الموت
ليستوفوا آجالهم قاله أنس ولو أنهم كانوا قد ماؤا الانقضاء آجالهم لم يبعثوا الى يوم

أوتوا الكتاب ويرداد الذين آمنوا
إيماننا ولا يرناب الذين أوتوا الكتاب
والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم
مرض والكافرون ماذا اراد الله
بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء
ويهدى من يشاء وما يعلم جنود ربك
الا هو وكذلك قال عهنا يضل به
كثيرا ويهدى به كثير او ما يضل به الا
الفاسيقين قال السدى في تفسيره
عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن
عباس وعن مرة عن ابن مسعود
وعن ناس من الصحابة يضل به كثيرا
يعنى به المنافقين ويهدى به كثيرا يعنى
به المؤمنين فيزيد هؤلاء ضلالة الى
ضلاتهم لتكذيبهم بما قد علموه
حقا يقينا من المثل الذى ضرب به
الله بما ضرب لهم وانه لما ضرب له
موافق فذلك اضلال الله اياهم به
ويهدى به يعنى المثل كثيرا من أهل
الايان والتصديق فيزيدهم هدى
الى هداهم وايمانا الى ايمانهم
لتصديقهم بما قد علموه حقا يقينا
انه موافق لما ضرب به الله له مثلا
واقراهم به وذلك هداية من الله
لهم به وما يضل به الا الفاسقين قال
هم المنافقون وقال أبو العباس وما

يضل به الا الفاسقين قال هم أهل النفاق وكذا قال الريبع بن أنس وقال ابن جريج عن مجاهد عن ابن
عباس وما يضل به الا الفاسقين قال يقول يعرفه الكافرون فيكفرون به وقال قتادة وما يضل به الا الفاسقين فسقوا فاضلهم الله على
فسقهم وقال ابن ابى حاتم حدثنا عن اسحاق بن سليمان عن أبى سنان عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد عن سعد بن سعد بن كثير
يعنى الخوارج وقال شعبة عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد قال سألت أبى فقلت قوله تعالى الذين يتقون عباد الله من بعد
مشاقه الى آخر الاية فقال هم الخوارج وهذا الاسناد واضح عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فهو وتفسير على المعنى لان
الاية تريد منها التمسك على الخوارج الذين خرجوا على علي بالهروان فان أولئك لم يكونوا حال نزول الاية وانما هم داخلون

بوصفهم فيهم مع من دخل لانهم سوا خوارج لخروجهم عن طاعة الامام والقيام بشرائع الاسلام والفاسق في اللغة هو الخارج عن الطاعة أيضا وتقول العرب فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرتها اولهذ يقال للفأرة فوسقت لخروجها عن بجرها للفساد وثبت في الصحيحين عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور فالفاسق يشمل الكافر والعاصي ولكن فسق الكافر أشد وأفسد والمراد من الآية الفاسق الكافر والله أعلم بدليل انه وصفهم بقوله تعالى الذين يتقضون عهد الله من بعدم مشاقته ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض أولئك هم الخاسرون وهذه الصنات صنات الكفار المبينة (١١٣) لصفات المؤمنين كما قال تعالى في سورة

القيامة وأصل البعث الاثارة للشيء من محله وقد تكون عن اعماء ونوم ولهذا اعيد البعث بالموت وقد ذهب المعتزلة ومن تابعهم الى انكار الرؤية في الدنيا والاخرة وذهب من عداهم الى جوازها في الدنيا والاخرة ووقعها في الاخرة وقد تواترت الاحاديث الصحيحة بأن العباد يرون ربهم في الاخرة وهي قطعية الدلالة لا ينبغي لمنصف أن يتمسك في مقابلها بتلك القواعد الكلامية التي جاء بها أقدماء المعتزلة وزعموا ان العقل قد حكم بهم ادعوى مبنية على شفا جرف غار وقواعد لا يستريحها الا من لم يحظ من العلم بالمنافع بنصيب وسيا يتك بيان ما تمسكوا به من الادلة القرآنية وكذا خارج عن محل النزاع بعيد من موضع الخجة وليس هذا موضع المقال في هذه المسئلة وقد استوعب الحافظ ابن القيم الكلام عليها في كتابه حادي الارواح بما يشي العليل ويروي الغليل فليرجع اليه (لعلكم تشكرون) انعمنا بذلك اي بالبعث بعد الموت قاله أبو السعود وما كثر قوله قاله البيضاوي (وظلنا عليكم الغمام) اي جعلناه ذلك للو والغمام جمع غمامة قاله الاخفش قال الفراء ويجوز غمام قال ابن عباس غمام أبر من هذا وأطرب وهو الذي يأتي الله فيه يوم القيامة وهو الذي جاءت فيه الملائكة يرمي بدروك من عنهم في التيه وقال قتادة كان هذا الغمام في البرية ظلال عليهم من الشمس وجعل لهم عمودا من نور يضي لهم بالليل اذ لم يكن قر والتيه وادين الشام ومصر وقد ردت عدة فراسخ مكشرا فيه أربعين سنة متحيرين لا يمتدون الى الخروج (وأمرنا عليكم المن والسرى) يعنى في التيه قال قتادة أطعمهم ذلك حين برزوا الى البرية فكان المن يسقط عليهم في محلهم من طلوع النجم الى طلوع الشمس سقوط النبل أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيأخذ الرجل قدر ما يكفيه يومه ذلك فان تعدى ذلك فسد ما يقي عنده حتى اذا كان يوم سادسه يوم الجمعة أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويرم سابعه فبقى عنده لانه كان يوم عبدا لا يشخص فيه لاهم العيشة ولا اطلبه شيء وهذا كله في البرية وقد ذكر المفسرون ان هذا جرى في التيه بين مصر والشام لما امتنعوا من دخول مدينة الجبارين وقالوا موسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا لا رسيا في بسطة في سررة المائدة وكان عدد الذين ناهوا سمائة ألف وماتوا كلها في التيه الا من لم يبلغ العشرين ومات فيه موسى وهرون وكان موت موسى بعد ثرون بسنة والمن قيل هو التريخيين وعلى هذا أكثر المفسرين وهو طل ينزل من السماء

(١٥ ل - فتح البان) وانكارهم ذلك وكتمانهم علم ذلك الناس بعد اعطائهم الله من انفسهم المشاق ليبينه للناس ولا يكتونه فاخبر تعالى أنهم بذور وراء ناهورهم واشتروا به ثمنه قليلا وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله وهو قول مقاتل بن حيان وقال آخرون بل عني بهذا الآية جميع أهل الكفر والشرك والتناق وعهده الى جميعهم في ترجيده ما وضع لهم من الادلة الدالة على ربوبيته وعهده اليهم في أمره ونهيهم ما احتج به لرسله من المعجزات التي لا يقدر أحد من الناس غيرهم ان يأتي بعلمه الشايدة لهم على صدقهم قالوا ونقضهم ذلك تركهم الاقرار بما قد تبين لهم صحتها بالادلة وتكذيبهم الرسل والكتب مع علمهم ان ما أتوا به حق وروى عن مقاتل بن حيان أيضا خبر هذا خبر حسن واليه ما انزى من شري ناله قال فان قلت فما المراد بعهد الله قلت ما ذكر في

عقولهم من الخجة على التوحيد كن أمر وصايم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله تعالى وأشهدهم السب بر بكم قالوا بلى
 إذا أخذ المشاق عليهم من الكتب المترلة عليهم كقوله وأوفوا عهدي أوف بعهدكم وقال آخرون العيد الذي ذكره تعالى هو العيد
 الذي أخذ عليهم حين أخرجه من صلب آدم الذي وصف في قوله وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على
 أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا لا بينهم ونقضهم ذلك تركهم الوفا به وهكذا روى عن مقاتل بن حيان أيضا حكى هذه
 الأقوال ابن جرير في تفسيره وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى الذين ينقضون عهد الله
 من بعد ميثاقه إلى قوله أولئك هم الخاسرون (١١٤) قال حتى ست خصال من المنافقين إذا كانت فيهم الظهيرة على الناس

على شجر أو حجر ويحذرون وينقد عسلا ويجف جفاف الصمغ ذكر معناه في التماسوس
 وقيل المني العسل وقيل شراب حلو وقيل خبز الرقاق قاله رجب وقيل هو صندريم
 جميع ما من الله به على عباده من غير تعب ولا زرع ومنه ما ثبت في صحيح البخاري ومسلم
 من حديث سعيد بن زيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الكمة من المني الذي أنزل
 على موسى وقد ثبت مثله من حديث أبي هريرة عند احمد والترمذي ومن حديث جابر
 وأبي سعيد وابن عباس عند النسائي وقد قالوا يا موسى قد قلنا المني بحلاوته فادع لنا
 ربك أن يطعمنا اللهم فأرسل الله عليهم السلوى قيل هو السمانى كخبارى طائر يدبحونه
 فيما كانوا يبعثونهم عليهم الخبث قال ابن عطية السلوى طائر باجاع المفسرين قال
 القرطبي ما ادعاه من الاجاع لا يصح وقد قال المؤرج أحد علماء اللغة والتفسير انه
 العسل وبه قال الجوهري وقال ابن يحيى السلوى طائر يشبه السمانى وخاصيته أن يأكل
 الحبة يلين القلوب القاسية يموت إذا سمع صوت الرعد كما أن الخفاف يقتله البرد فليحبه
 الله تعالى أن يسكن جزائر البحر التي لا يكون فيها مطر ولا رعد إلى انتضاء أو أن المطر
 والرعد فيخرج من الجزائر ويتشرب في الارض قال الاخفش السلوى لا واحد له من
 انطه مثل الخير والشر وهو يشبه أن يكون واحد سلوى مثل جماعته وقال الخليل
 واحده سلواة وقال الكسائي السلوى واحد وتوحيه سلوى وقيل هو السمانى بعينه
 فكان الرجل يأخذ ما يكفيه يومًا وليلة فإذا كان يوم الجمعة يأخذ ما يكفيه ليومين لأنهم
 يكتفون بثلثي يوم السبت شيء (كوا) أى وقتنا لهم كانوا (من ضيقات) أى حلالان
 أو مستلذات (ما رزقناكم) ولا تدخروا العدة استدلل به على أن الضيف لا يملك ما قدم له
 وأنه لا يتصرف إلا باذن (وما ظلموا) أى وما يجسوا حقا (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)
 يأخذهم أكثر مما أخذهم فاستحقوا بذلك عذابى وقطع مادة الرزق الذى كان ينزل عليهم
 بلا مؤنة ولا تعب في الدنيا ولا حساب في العقبى فعصوا ولم يقابلوا النعم بالشكر وتقدير
 النفس ينمى الاختصاص وفيه ضرب تهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
 للدلالة على تزايدهم في الظلم واستمرارهم على الكفر (واذ قلنا ادخلوا هذه القرية) سميت
 قرية لاجتماع الناس فيها وقد يطلق عليهم ثم أزاو قوله تعالى وأسأل القرية يحتمل الرجوع إلى
 مشتقة من قرئت أى جعت لجمعها لا ههنا تقول قرئت الماء في الحوض أى جعته

أظهر واحد الخصال إذا احدثوا
 كذبوا وإذا وعدوا أخلفوا وإذا
 أوثقوا خافوا ونقضوا عهد الله من
 بعد ميثاقه وقطعوا ما أمر الله به
 أن يوصل وأفسدوا في الارض
 وإذا كانت الظهيرة عليهم أظهروا
 الخصال الثلاث إذا احدثوا كذبوا
 وإذا وعدوا أخلفوا وإذا أوثقوا
 خافوا وكذا قال الربيع بن أنس
 أيضا وقال السدي في تفسيره
 بإسناده قوله تعالى الذين ينقضون
 عهد الله من بعد ميثاقه قال هو
 ما عهد اليهم في القرآن فأقروا به ثم
 كفروا فنقضوه وقوله ويقطعون
 ما أمر الله به أن يوصل قيل المراد به
 صلة الارحام والقرابات كما فسر
 قتادة كقوله تعالى فيل عسيتم
 أن توليتم أن تفسدوا في الارض
 وتقطعوا أرحامكم وربحه ابن جرير
 وقيل المراد أنهم من ذلك فكل ما أمر
 الله بوصله وفعله فقطعوه وتركوه
 وقال مقاتل بن حيان في قوله تعالى
 أولئك هم الخاسرون قال في
 الآخرة وهذا كما قال تعالى أولئك
 لهم اللعنة ولهم سوء الدار وقال
 الخصال عن ابن عباس كل شيء تشبه

الله إلى غير أهل الاسلام من اسم مثل خاسر فاعلموا معنى الكفر وما نسب إلى أهل الاسلام فاعلموا معنى به الدنبا واسم
 وقال ابن جرير في قوله تعالى أولئك هم الخاسرون جمع خاسروهم الناصون أنفسهم حظوظهم تعصيتهم الله من رحمته
 كما يخسر الرجل في تجارته بأن يوضع من رأس ماله في بيعه وكذلك المنافق والكافر خسر بجرمان الله أياد رحمة التي خلقها لعباده
 في القيامة أخرج ما كانوا إلى رحمة يقال منه خسر الرجل يخسر خسر أو خسرا أو خساراً كما قال جرير بن عطية
 إن سلبطاني الخسارانه * أولاد قوم خلقوا الله (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم
 ثم إليه ترجعون) يقول تعالى محتجا على وجوده وقدرته وأنه الخالق المتصرف في عباده كيف تكفرون بالله أى كيف تتحدون

وجوده أو تعبدون معه غيره وكنتم أمواتا فأحياكم أي قد كنتم عدما فأنجزكم إلى الوجود كما قال تعالى أم خلقوا من غير شيء أم هم
 الخلقون أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون وقال تعالى هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا
 والآن في هذا كثيرة وقال سفيان الثوري عن أبي إسحق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قالوا ربنا
 أمنا أنتين وأحييتنا أنتين فاعترفنا بذنوبنا قال هي التي في البقرة وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم وقال ابن جريج عن
 عطاء عن ابن عباس كنتم أمواتا فأحياكم أمواتا في أصلا بآياتكم لم تكونوا شيئا حتى خلقكم ثم يميتكم مرة الحق ثم يحييكم
 حين يميتكم قال وهي مثل قول تعالى أمنا أنتين وأحييتنا أنتين وقال (١١٥) الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى

ربنا أمنا أنتين وأحييتنا أنتين
 قال كنتم ترابا قبل أن يخلقكم
 فهذه ميتة ثم أحياكم فخلقكم
 فهذه حياة ثم يميتكم فترجعون
 إلى القبور فهذه ميتة أخرى ثم
 يعنكم يوم القيامة فهذه حياة
 فهذه ميتتان وحياتان فهو كقوله
 كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا
 فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم
 وهكذا روى عن السدي بسنده
 عن أبي مالك وعن أبي صالح عن
 ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود
 وعن ناس من الصحابة وعن أبي
 العالية والحسن ومجاهد وقتادة وأبي
 صالح والضحاك وعطاء الخراساني
 نحوه ذلك وقال الثوري عن السدي
 عن أبي صالح كيف تكفرون بالله
 وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم
 ثم يحييكم ثم إليه ترجعون قال
 يحييكم في القبر ثم يميتكم وقال
 ابن جرير عن يونس عن ابن وهب
 عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال
 خلقهم في طهر آدم ثم أخذ عليهم
 المشاق ثم أماتهم ثم خلقهم في
 الأرحام ثم أماتهم ثم أحياهم يوم
 القيامة وذلك كقوله تعالى قالوا

واسم ذلك الماء قري بكسر القاف قال جمهور المفسرين القرية هي بيت المقدس وبه
 قال مجاهد وقال ابن عباس هي أريحاء قرية الجبارين قال ابن الأثير قرية بالغور قرية
 من بيت المقدس وجزم القاضي وغيره بالاول وقيل كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم
 العمالقة فعلى هذا يكون انتقال يوشع بن نون لأنه هو الذي فتح أريحاء بعد موسى لأن
 موسى مات في التيه وعلى الاول القائل موسى عليه السلام وقيل قرية من قري الشام
 (فكروا منها حيث شئتم رغدا) أمر أباحه ورغدا كثيرا وسعا أي أكلارغدا (وادخلوا
 الباب) الذي أمرتم بدخوله هو باب في بيت المقدس يعرف اليوم بباب حطة وقيل هو باب
 القبة التي كان يصلي اليها موسى وبني إسرائيل ومن قال ان القرية أريحاء قال ادخلوا
 من أي باب كان من أبوابها وكان لها سبعة أبواب (سجدا) أي منحنين كالراكعين
 أو خضعاء متواضعين والسجود قيل هو هنا الانحناء وقيل التواضع والخضوع واستدلوا
 على ذلك بأنه لو كان المراد السجود الحقيقي الذي هو وضع الجبهة على الأرض لامتنع
 الدخول المأمور به لأنه لا يمكن الدخول حال السجود قال في الكشف انهم أمروا
 بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكر الله وتواضعا واعتزضا أبو حيان في النهر الماد فقال
 لم يؤمروا بالسجود بل هو قيد في وقوع المأمور به وهو الدخول والاحوال نسب تقييدية
 والاول امر نسب اسنادية انتهى ويحجب عنه بان الامر بالتقيد امر بالتقيد فن قال أخرج
 مسرعا فهو أمر بالخروج على هذه الهيئة فلو خرج غير مسرع كان عند أهل اللسان
 مخالفا للامر ولا ينافي هذا كون الاحوال نسبا تقييدية فان اتصافها بكونها قيودا
 مأمورا بها هو شيء زائد على مجرد التقيد (وقولوا حطة) قيل الحطة في الأصل اسم للهيئة
 من الخط كالجلسة والقعدة وقيل هي آتوبة معناه الاستغفار وقال ابن فارس في المجمل
 حطة كلمة أمر وأمرها قالوا حطت أو زارهم أي لا يدري معناها قال الرازي في تفسيره
 أمرهم بأن يقولوا ما يدل على التوبة وذلك لأن التوبة صفة القلب فلا يطع الغير عليها
 وإذا اشتهر واحد بالذنوب ثم تاب بعده لم يمحى توبته لمن شاهد منه الذنب لأن التوبة
 لا تتم إلا بآتيها وكون التوبة لا تتم إلا بذلك لا دليل عليه بل مجرد عقد القلب عليها
 يكفي سواء اطاع الناس على ذنبه أم لا وربما كان التمسك بالتوبة على وجه لا يطاع عليها
 إلا الله عز وجل أحب إلى الله وأقرب إلى مغفرته وأما رفع ما عند الناس من اعتقادهم

ربنا أمنا أنتين وأحييتنا أنتين وهذا غريب والذي قبله والصحيح ما تقدم عن ابن مسعود وابن عباس وأولئك الجماعة من التابعين
 وهو كقوله تعالى قل الله يميتكم ثم يحييكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه الآية كما قال تعالى في الأصنام أموات غير أحياء
 وما يشعرون الآية وقال وآية أهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها ماءً يغيا (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا
 ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم) لماذا كرتعالى دلالة من خلقهم وما يشاهدونه من أنفسهم
 ذكر ذلك لآخر مما يشاهدونه من خلق السموات والأرض فقال هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء
 فسواهن سبع سموات أي قصد إلى السماء والاستواء عن نامض معنى القصدي والقبال لأنه عدى بالي فسواهن أي خلق السماء

سبعاً والسما عني اسم جنس فلهذا قال فسواء من سبع سموات وهو بكل شيء عليم أي وعلمه محيط بجميع ما خلق كما قال ألا يعلم من خلق وتنفصيل هذه الآية في سورة حم السجدة وهو قوله تعالى قل أنشأكم لك سموات بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداد ذلك رب العالمين وجعل فيهما رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طرعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظ ذلك تقدير العزيز العليم ففي هذا دلالة على أنه تعالى بدأ بخلق الأرض أولاً ثم خلق السموات سبعة وهذا شأن البناء أن يبدأ بعمارة أسافله (١١٦) ثم أعاليه بعد ذلك وقد صرح المفسرون بذلك كما سنذكر بعد هذا إن شاء

بقاء على المعصية فذلك باب آخر (تغفر لكم خطاياكم) أي نستردا عليكم من الغفر وهو السرلان المغفرة تستر الذنوب وخطايا جمع خطية (وستزيد المحسنين) أي نزيدهم ثواباً أو احساناً إلى احسانهم المتقدم وهو اسم فاعل من احسن وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن الاحسان فقال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يرأى (فبدل الدين طلبوا قولاً غير الذي قيل لهم) قيل أنهم قالوا احنطه وقيل قالوا بالسانهم حنطاً مستحقاً ثانياً أي حنطه حنطاً استخفاً فامنهم بأمر الله وقيل غير ذلك والصواب أنهم قالوا حنطه في شجرة قالوا ذلك استهزاء أخرجه البخاري وسلم من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي رواية عن ابن عباس عند ابن جرير وابن المنذر حنطه في شجرة والأول أرجح لكونه في الصحيحين وبدلوا الفعل أيضاً حيث دخلوا يرحقون على استهائهم قال البيهقي الرازي فيه دلائل على أنه لا يجوز تغيير الأفعال المنصوص عليها وأنه يتعين اتباعها وقال الرازي يحجب به فيما ورد من التوقيف في الأفعال والأقوال وأنه غير جائز تغييرها وربما احتج به عليه المخالف في تجويز تحريم الصلاة بالنظر التعظيم والتسبيح وفي تجويز القراءة بالفارسية وفي تجويز الكساح بلطف الهمزة وما جرى مجرى ذلك (فأمرنا على الدين ظلموا) هو من وضع الطاهر موضع المضمر لنسكنه تقدير في كل محل بما يناسبه تعظيماً كقوله أولئك حزب الله ألا أن حزب الله وتحقيراً كقوله أولئك حزب الشيطان ألا أن حزب الشيطان أو أزاله لبس أو غير ذلك وهي مبسوطة في الاتفاق للجلال السيوطي وكما تقرر في علم البيان وهي هنا تعظيم الأمر عليهم ومبالغة في تقييد فعلهم وشأنهم (رجزاً من السماء) يعني عذاباً وبالرجز العذاب قيل أرسل الله عليهم طاعوناً فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفاً وأخرج مسلم وغيره من حديث أسامة بن زيد وسعد بن مالك وخزيمة بن ثابت قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن هذا الطاعون رجز وبقية عذاب عذب به أناس من قبلكم فإذا كان بارض وأنتم بها فلا تخرجوا منها وإذا بلغكم أنه بارض فلا تدخلوها ومن المعلوم أن الطاعون ضرب الجن للإنس فهو أرضي لا سماوي وانما قيل فيه من السماء لأن القضاء به يقع فيها قال الجلال السيوطي فهلك منهم في ساعة سبعون ألفاً أو أقل انتهى وهذا الوفاء غير الذي حل بهم في التيه (بما كانوا يفسدون) أي يعصون ويخرجون عن أمر الله تعالى وفي الأعراف

الله فأمأ قوله تعالى أنتم أشد خلقاً أم السماء بناها رفع سمكها فسوها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاًها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعاً لكم ولأنعامكم فقد قيل أن ثم هيئنا أنماشي لعطف الخبر على الخبر لا لعطف الفعل على الفعل كما قال الشاعر

قل لمن ساد ثم ساد أبوه

ثم قد ساد قبل ذلك جدته وقيل أن الدحي كان بعد خلق السموات والأرض رواء على بن أبي طلحة عن ابن عباس وقد قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم قال إن الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسماء عليه فسماء سماء ثم أيس الماء فجعله أرضاً

واحدة ثم فقهها فجعلها سبع أرضين في يومين في الأحد والأثنين خلق الأرض على حوت والحوت هو الذي ذكره الله في القرآن والقلم والحوت في الماء والماء على ظهر صفة والصفاء على ظهر ملك والماء على صخرة والصخرة في الريح وهي الصخرة التي ذكر لقمان ليست في السماء ولا في الأرض فتحرر الحوت فاضطرب فتزلزلت الأرض فأرسي عليها الجبال ففرت فالجبال تفخر على الأرض فذلك قوله تعالى وجعلنا في الأرض رواسي أن تمسك بهم وخلقنا الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين في الثلاثاء والأربعاء وذلك حين يقول قل أنشأكم لك سموات بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداد ذلك رب العالمين وجعل فيهما رواسي من فوقها وبارك فيها يقول أثبت شجرها وقدر فيها أقواتها أهلها في أربعة أيام سواء للسائلين

قال ان الله بدأ الخلق يوم الاحد
فخلق الارضين في الاحد والاثني
وخلق الاقوات والرواسي في
الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات
في الخميس والجمعة وفرغ في آخر
ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم
على عجل فتمت الساعة الى تقوم
فيها الساعة وقال مجاهد في قوله
تعالى هو الذي خلق لكم ما في
الارض جميعا قال خلق الله الارض
قبل السماء فلما خلق الارض نار
منها دخان فذلك حين يقول ثم
استوى الى السماء وهي دخان
فسوا عن سبع سموات قال بعضهم
فوق بعض وسبع أرضين يعني
بعضها تحت بعض وهذه الآية
دالة على ان الارض خلقت قبل
السماء كما قال في آية السجدة
قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق
الارض في يومين وتجعلون له أندادا
ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي
من فوقها وبارك فيها وقدر فيها
اقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين
ثم استوى الى السماء وهي دخان
فقال لها وللارض ائتيا طوعا
أو كرها قالتا أتتنا طائعين فقضاهن

سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظنا ذلك تقدير العزيز العليم فهذه وهذه التان على ان الارض خلقت قبل السماء وهذا ما لا أعلم فيه نزاعا بين العلماء الا ما نقله ابن جرير عن قتادة انه زعم أن السماء خلقت قبل الارض وقد توقف في ذلك القرطبي في تفسيره لقوله تعالى أنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش إيلها وأخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها قالوا فاذ كثر خلق السماء قبل الارض وفي صحيح البخاري ان ابن عباس سئل عن هذا بعينه فاجاب بان الارض خلقت قبل السماء وان الارض انما دحيت بعد خلق السماء وكذلك أجاب غير واحد من علماء التفسير قديما وحديثا وقد سحرنا ذلك في سورة النازعات وحاصله ذلك ان الدحي مفسر بقوله تعالى

والارض بعد ذلك دحاشا أخرج منها ما شاءوا وعادوا الجبال أرساها ففسر الدحي بأخراج ما كان. ودعا فيها بالقود الى التسفل لما
أكتبت سورة الخلق والارضية ثم السماوية دحى بعد ذلك الارض فاخرجت ما كان مردعا فيها من المياه فنبئت النباتات على
اختلاف أصنافها وصفاتها وأزنانها وأشكالها وكذلك جرت هذه الافلاك فدارت بما فيها من الكواكب الثوابت والسمارة
والله سبحانه وتعالى أعلم وقد ذكر ابن أبي حاتم وابن مردويه في تفسير هذه الآية الحديث الذي رواه مسلم والنسائي في التفسير أيضا
من رواية ابن جرير قال أخبرني اسمعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة قال أخذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله (١١٨) التربة يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الأحد وخلق الشجر فيها يوم

تذكر بحماية أخرى صدرت منهم واستناد الفعل الى فروعههم وتوجيه التوبيخ اليهم لما
بينهم وبين أصولهم من الاتحاد (يا موسى ان نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج
لنا مما تبتد الارض من بقلها وقثاها وفومها وعدسها وبصلها) هذا تفجير منهم بما
صاروا فيه من النعمة والرزق الطيب والعيش المستلذ ونزوع ما ألقوه قبل ذلك من
خشونة العيش ويحتمل أن لا يكون هذا منهم تشوقا الى ما كانوا فيه وبطرا لما صاروا
اليه من المعيشة الرفيعة بل هو باب من تعنتهم وشعبية من شعب تعجز فهم كما هو دأبهم
وهيجهم في غالب ما قص علينا من أخبارهم وقال الحسن البصري انهم كانوا أهل
كرث وأبصال وأعداس فترعوا الى عكرهم عكر السوء واشتاق طبايعهم الى ما جرت
عليه عادتهم فقالوا ان نصبر على طعام واحد أي نوع منه والمراد بالطعام الواحد هو المن
والسلاوي وهما وان كانا طعامين لكن لما كانوا يا كونا أحدهما بالآخر جعلوا طعاما
واحدا وقيل لتكرهما في كل يوم وعدم وجود غيرهما معهما ولا تبديلهما والبقل كل
نبات ليس له ساق والشجر ماله ساق وقال في الكشف البقل ما أنبتته الارض من الخضار
والمراد به أطائب البقول التي يأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكرث وأشباهاها
انتهى وجمعه بقول والقضاء معروف الواحد قضاء وفيها لغتان كسر القاف وضها
والمشهور الكسر والقوم قيل هو الثوم وقد قرأه ابن مسعود بالناء وروى نحوه ذلك عن
ابن عباس وقيل القوم الخنطة واليه ذهب أكثر المفسرين كما قال القرطبي وقد رجع
هذا ابن النحاس قال الجوهري وعن قال بهذا الزجاج والاختفش وقال بالاول الكسائي
والنضر بن شميل وقيل القوم السنبله وقيل الحص وقيل القوم كان جبايخز والعنيس
والبصل مع وفان قيل انما طلبوا هذه الانواع لانها تعين على تقوية الشهوة ولانهم ملوا
من البقاء في التيه فسألوا هذه الاطعمة التي لا توجد الا في البلاد وكان غرضهم الوصول
الى البلاد لتلك الاطعمة والاول أولى (قال) يعني موسى عليه السلام لهم وقيل
القاتل هو الله والاول اولي (أتستبدلون الذي هو أدنى) أي اخس وأردأ وهو الذي طلبوه
والاستبدال وضع الشيء موضع الآخر قال الزجاج ادنى مأخوذ من الدو أي القرب وقيل
من الدناءة وقيل أصله أدون من الدون أي الردي والهضم لا انكار مع التوبيخ والمراد
أضعفون هذه الاشياء التي هي دون موضع المن والسلاوي اللذين هما خير منهما من جهة

الاثنين وخلق المكر يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث
فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم
بعد العصر يوم الجمعة من آخر
ساعة من ساعات الجمعة فيما بين
العصر الى الليل وهذا الحديث
من غرائب صحيح مسلم وقد تكلم
عليه علي بن المديني والبخاري
 وغير واحد من الحفاظ وجعلوه
من كلام كعب وان أباه ريرة انما
سمعه من كلام كعب الاخبار
وانما اشتبه على بعض الرواة
فجعلوه مرفوعا وقد حرر ذلك
البيهقي (واذا قال ربك للملائكة
اني جاعل في الارض خليفة قالوا
أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس
لك قال اني أعلم ما لا تعلمون) يخبر
تعالى بامتنانه على بني آدم بتوحيه
بدكرهم في المساء الاعلى قبل
ايجادهم فقال تعالى واذا قال ربك
للملائكة أي واذا كرم يا محمد اذا قال
ربك للملائكة واقصص على
قومك ذلك وحكي ابن جرير عن
بعض أهل العربية وهو أبو عبيدة
أنه زعم ان اذهما زائدة وان تقدير

الكلام وقال ربك ورد ابن جرير قال القرطبي وكذا رده جميع المفسرين حتى قال الزجاج هذا ابتراء
من أي عبدة اني جاعل في الارض خليفة أي قوما يخلف بعضهم بعضا قريبا بعد قرن وجبالا بعد جبل كما قال تعالى هو الذي جعلكم
خلائف الارض وقال ويجعلكم خلفاء الارض وقال ولونشاء بلعلمنا منكم ملائكة في الارض يخلفون وقال خلف من بعدهم
خلف وقرئ في السداة اني جاعل في الارض خليفة حكاهما الزمخشري وغيره ونقل القرطبي عن زيد بن علي وليس المراد ههنا بالخليفة
ادم عليه السلام فقط كما يقوله طائفة من المفسرين وعزاه القرطبي الى ابن عباس وابن مسعود وجميع أهل التأويل وفي ذلك نظر بل
الخلاف في ذلك كثير حكاه الرازي في تفسيره وغيره والظاهر انه لم يرد ادم عينا اذ لو كان ذلك احسن قول للملائكة أتجعل فيها

من يفسد فيها ويسفك الدماء فانهم ارادوا ان من هذا الجنس من يفعل ذلك وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص او بما فهموه ومن الطبيعة البشرية فانه أخبرهم انه يخلق هذا الصنف من جاصل من جامسون أو فهموا من الخليفة انه الذي يفصل بين الناس ما يقع بينهم من المظالم ويردعهم عن المحارم والمآثم قاله القرطبي أو أنهم قاسوهم على من سبق كما سئذ كرا أقوال المفسرين في ذلك وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله ولا على وجه الحسد بل على وجه كفايته وهم بعض المفسرين وقد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يسبقونه بالقول أى لا يسألونه شيأ لم يأذن لهم فيه وههنا لما أعلمهم بانه سيخلق في الارض خلقا قال قتادة وقد تقدم اليهم أنهم يفسدون فيها قالوا أن تجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء الآية (١١٩) وانما هو سؤال استعمال واستكشاف عن

الاستلذاذ والوصول من عند الله بغير واسطة أحد من خلقه والحل الذي لا تطرقه الشبهة وعدم الكلفة بالسعي والتعب في تحصيله (بالذى هو خير) أى أشرف وأفضل وهو ما هم فيه (أهبطوا مصرا) أى انزلوا مصرا واتقلوا من هذا المكان الى مكان آخر فالهبوط لا يختص بالنزول من المكان العالى الى الاسفل بل قد يستعمل في الخروج من أرض الى أرض مطلقا قاله الشهاب وظاهر هذا ان الله أذن لهم بدخول مصر وقيل ان الامر للتجيز والاهانة لانهم كانوا في التبدل لا يمكنهم هبوط مصر لانسد الطرق عليهم اذ لو عرفوا طريق مصر لما قاموا أربعين سنة متعذرين لا يمتدون الى طريق من الطرق فهو مثل قوله تعالى كونوا احجارة أو حديد اقال الخليل وسيبويه أراد مصر من الامصار ولم يرد المدينة المعروفة وهو خلاف الظاهر بل يجوز صرفه مع حصول العلمية والتأنيث لانه ثلاثي ساكن الأوسط وبه قال الاخفش والكسائي والمصر في الاصل الحد الفاصل بين الشين وقيل المصر البلدة العظيمة (فان لكم مآسا أتم) يعنى من نبات الارض (وضربت عليهم) أى على فروعه وأخلافهم (الذلة) أى الهوان وقيل الجزية وزى اليهودية وفيه بعد والاول أولى والمعنى جعلت الذلة محيطة بهم مشتهلة عليهم والزمو الذل والهوان بسبب قتلهم عيسى في زعمهم والذلة بالكسر الصغار والحقارة والذلة بالضم ضد العجز (والمسكنة) أى الفقر والفاقة وسمى الفقير مسكينا لان الفقر أسكنه وأقعدته عن الحركة ومعنى ضرب الذلة والمسكنة الزامهم بذلك والقضاء به عليهم قضاء مستقرا لا يفارقهم ولا يتفصل عنهم مع دلالة على ان ذلك مشتمل عليهم اشتغال القباب على من فيها أو لازم لهم لزوم الدرهم المضروب لسكنته وهذا الخبر الذى أخبر الله تعالى به وهو معلوم في جميع الأزمنة فان اليهود أقامهم الله أذل الفرق وأشدتهم مسكنة وأكثرهم تصاعرا لم ينظم لهم جمع ولا خفقت على رؤسهم راية ولا ثبتت لهم ولاية بل مازالوا عبدا العصى في كل زمن وطروقة كل مخل في كل عصر ومن تمسك منهم بنصيب من المال وان بلغ في الكثرة أى مبلغ فهو متظاهر بالفقر مرتد بأثواب المسكنة ليدفع عن نفسه اطماع الطامعين في ماله اما بحق كنفير ما عليه من الجزية أو باطل كما يفعل كثير من الظلمة من التجارى على الله بظلم من لا يستطيع الدفع عن نفسه فلا ترى أحدا من أهل الملل أذل ولا أحرص على المال من اليهود كأنهم فقراء وان كانوا أغنياء مياسير (وباءوا) رجعوا يقال باء بكذا أى

العصر فبكث هؤلاء ويصعدوا لئلا بالاعمال كما قال عليه الصلاة والسلام يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل فتولاهم آتيانهم وهم يصلون وتركاهم وهم يصلون من تفسير قوله لهم انى أعلم ما لا تعلمون وقيل معنى قوله تعالى جوابا لهم انى أعلم ما لا تعلمون انى الى حكمته منفصلة في خلق هؤلاء والحالة ما ذكرتم لا تعلمونها وقيل انه جواب ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال انى أعلم ما لا تعلمون أى من وجودا بليس ينسبهم وليس هو كما وصفتم أنفسكم به وقيل بل تضمن قولهم أن تجعل فيها من يفسد فيها من ان بقاءكم في السماء أصل لكم وأليق بكم ذكرها الرازي مع غيرها من الاجوبة والله أعلم * ذكر أقوال المفسرين ببسط

فما ذكرناه قال ابن جرير حدثني الناعم بن الحسن حدثني الخياط عن جرير بن حازم ومبارك عن الحسن وأبي بكر عن الحسن وقادة قالوا ل الله لا نكفك اني جاعل في الارض خليفة قال لهم اني فاعل هذا ومعناه انه أخبرهم بذلك وقال السدي استشار الملائكة في خلق آدم واداب ابن حاتم وقال زكريا عن قتادة بن شريك وهذا الخبران لم يرجع الى معنى الاخبار فتمها تساعل وعبارة الحسن وقادة في رواية ابن جرير احسن والله أعلم في الارض قال ابن حاتم حدثنا أي حدثنا أبو سلمة حدثنا جادين عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن سابط ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دحيت الارض من مكة وأقول من طاف بالبيت الملائكة فقال الله اني جاعل في الارض يعني (١٢٠) مكة وهذا مرسل وفي سنده ضعف وفيه مدرج وهو ان المراد

رجع والمراد أنهم رجعوا (بغضب من الله) أو صاروا آحقاء بغضبه وقال أبو عبيدة والنجاح احملة وقيل أقروا به وقيل استحقوه وقيل لازموه وهو الوجه يقال بوائه منزلا فبوا أي الزمة فلمزم (ذلك) أي ما تقدم من ضرب الذلة وما بعده (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق) أي بسبب كفرهم بالله وقتلهم الانبياء بغير حق بحق عليهم اتباعه والعمل به ولم يخرج هذا المخرج التقييد حتى يقال انه لا يكون قتل الانبياء بحق في حال من الاحوال لمكان العصمة بل المراد نفي هذا الامر عليهم وتعظيمه والله ظلم بحق في نفس الامر ويمكن ان يقال انه ليس بحق في اعتقادهم الباطل لان الانبياء لم يعارضوهم في مال ولا جاه بل أرسدوهم الى مصالح الدين والدنيا كما كان من شعبا وذكرا ويحيي فانهم قتلوهم وهم يعلمون ويعتقدون انهم ظالمون وانما جادلهم على ذلك حب الدنيا واتباع الهوى عن ابن مسعود قال كانت بنو اسرائيل في اليوم تقتل ثلثمائة نبي ثم يقيمون سوق بقتلهم في آخر النهار (ذلك) تكرير الاشارة لقصد التأكيذ وتعظيم الامر عليهم وتمويله وبمجموع ما بعد الاشارة الاولى والاشارة الثانية هو السبب لضرب الذلة وما بعده وقيل يجوز ان يكون الاشارة الثانية الى الكفر والقتل فيكون ما بعده سببا للسبب قاله الزنجشيري وهو بعيد جدا (بما عاصوا) أمرى (وكانوا يعتدون) الاعتداء تجاوز الحد في كل شيء أي يتجاوزون أمرى ويرتكبون محاري (ان الذين آمنوا) قبل ان المراد بهم المنافقون بدلالة جعلهم مقتربين اليهم ودوا النصارى والصائبين أي آمنوا في الظاهر والاولى ان يقال ان المراد الذين صدقوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصاروا من جملة أتباعه وكانه سبحانه أراد ان يبين ان حال هذه الملة الاسلامية وحال من قبلها من سائر الملل يرجع الى شيء واحد وهو أن آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا استحق ما ذكره الله من الاجر ومن فاته ذلك فاته الخير كله والاجر دقه وحله والمراد بالايان ههنا هو ما ينسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قوله لما سأل به جبريل عليه السلام عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره ولا يتصف بهذا الايمان الا من دخل في الملة الاسلامية فمن لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ولا بالقرآن فليس بمؤمن ومن آمن به ما صار مسلما مؤمنا ولم يبق يهوديا ولا نصرانيا ولا مجوسيا (والذين دادوا) معناه صاروا ويهودا قيل هو نسبته اليهم في يهود

بالارض مكة والله أعلم فان الظاهر ان المراد بالارض أعم من ذلك خليفة قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة ان الله تعالى قال لله لا نكفك اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا قال ابن جرير فكان تأويل الآية على هذا اني جاعل في الارض خليفة مني يخلفني في الحكم بالعدل بين خلقي وان ذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه وأما الانسداد وسفك الدماء بغير حقها فن غير خلفائه قال ابن جرير وانما معنى الخلافة التي ذكرها الله انما هي خلافة قرن منهم قرنا قال والخليفة القعيلة من قولك خلف فلان فلان في هذا الاثر اذا قام مقامه فيه بعده كما قال تعالى ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظركم كيف تعملون ومن ذلك قيل للسلطان الاعظم خليفة

لانه خلف الذي كان قبله فقام بالامر فكان معه خلفا قال وكان محمد بن اسحق يقول في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة يقول ساكنوا عمار ايعمرها ويسكنها خلقا ليس منكم قال ابن جرير وحديثنا أبو كريب حدثنا عثمان ابن سعيد حدثنا بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال ان اول من سكن الارض الجن فافسدوا فيها وسفكوا فيها الدماء وقتل بعضهم بعضا قال فبعث الله اليهم ابليس فقتلهم ابليس ومن معه حتى الحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال ثم خلق آدم فاسكنه اياها فلذلك قال اني جاعل في الارض خليفة وقال سفيان الثوري عن عطاء بن السائب عن ابن سابط اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء قال يعنون به بنى آدم وقال عبد الرحمن بن زبدي بن أسلم

قال الله للملائكة اني اريد ان اخلق في الارض خلقا واجعل فيها خليفته وليس لله عز وجل خلق الا الملائكة والارض وليس فيها خلق قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وقد تقدم ما رواه السدي عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهم ان الصحابة ان الله اعلم الملائكة بما تفعل ذرية آدم فقالت الملائكة ذلك وقد تقدم انما رواه الضحاك عن ابن عباس ان الجن افسدوا في الارض قبل بني آدم فقالت الملائكة ذلك فقاوا هو لا عباءة لك وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حذئنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا ابو عاوية عن الاعمش عن بكير بن الاخنس عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال كان الجن بنو الجن في الارض قبل ان يخلق آدم باثني سنين فافسدوا في الارض وسفكوا الدماء فبعث الله جنه من الملائكة (١٤١) فضر بهم حتى ألحقوا بجزائر البحور فقال

الله للملائكة اني جاعل في الارض
 خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد
 فيها ويسفك الدماء قال اني أعلم
 ما لا تعلمون وقال أبو جعفر الرازي
 عن الربيع بن أنس عن أبي العاللة
 في قوله تعالى اني جاعل في الارض
 خليفة الى قوله أعلم ما تدون وما
 كنتم تكتمون قال خلق الله
 الملائكة يوم الاربعاء وخلق الجن
 يوم الخميس وخلق آدم يوم الجمعة
 فكفروا من الجن فكانت
 الملائكة تميط اليهم في الارض
 فتقاتلهم بيغيبهم وكان الفساد في
 الارض فن ثم قالوا اتجعل فيها من
 يفسد فيها كما أفادت الجن ويسفك
 الدماء كما سفكوا قال ابن أبي حاتم
 وحدثنا الحسن بن محمد بن الصباح
 حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا
 مبارك بن فضالة أخبرنا الحسن
 قال قال الله للملائكة اني جاعل
 في الارض خليفة قال لهم اني
 فاعل فآمنوا بربههم فعملهم علما
 وطوى عنهم علما علمه ولم يعلموه
 فقالوا بالعلم الذي علمهم اتجعل فيها
 من يفسد فيها ويسفك الدماء قال
 اني أعلم ما لا تعلمون قال الحسن ان

ابن يعقوب بالذال المججمة فقلبت اليه العرب بالامهمله وقيل معنى هادوا تباؤا التوبه عن عبادة العجل ومنه قوله تعالى انا هدنا اليك أي تبنا وقيل ان معناه السكون والمواذعة وقال في الكشف معناه دخل في اليهودية (والنصارى) قال سيويه مفرده نصران ونصرانة كندمان وندمانة ولكن لا يستعمل الا بياء النسب فيقال رجل نصراني وامرأة نصرانية وقال الخليل واحد النصارى نصرى وقال الجوهري ونصران قرية بالشام تنسب اليها النصارى ويقال ناصرة فعلى هذا فالياء للنسب وقال في الكشف ان البياء للمبالغة كالتى فى آخرى سمو بذلك لانهم نصر والمسيح (والصابئين) جمع صابى وقيل صاب والصابى فى اللغة من خرج ومال من دين الى دين ولهذا كانت العرب تقول لمن أسلم قد صابا سمو وهذه الفرقة صابئة لانها خرجت من دين اليهود والنصارى وعبدوا الملائكة وقيل عبدوا الكواكب وقال البيضاوى انهم قوم بين اليهود والمجوس انتهى ثم جعل هذا اللقب علما للطائفة من الكفار وقيل هم يدعون أنهم على دين صابى بن شيث بن آدم والاول أولى قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتابه فى الرد على المنطقين ان حران كانت دار هؤلاء الصابئة وفيها ولد ابراهيم عليه السلام وانتقل اليها من العراق على اختلاف القولين وكان بها هيكل العلة الاولى هيكل العقل الاول هيكل النفس الكلية هيكل رذل هيكل المشتري هيكل المريخ هيكل الشمس وكذلك الزهرة وعطارد والقمر وكان هذا دينهم قبل ظهور النصرانية فيهم ثم ظهرت النصرانية فيهم مع بقاء أولئك الصابئة المشركين حتى جاء الاسلام ولم يزل بها الصابئة والفلاسفة فى دولة الاسلام الى آخر وقت ومنهم الصابئة الذين كانوا يغادروا غيرها أطباء وكبائى وبعضهم لم يسلم ولما قدم القارابى حران فى اثناء المائة الرابعة دخل عليهم وتعلم منهم وأخذ عنهم ما أخذ من المتفلسفة وكان ثابت بن قرة الحرانى صاحب الزيج قد شرح كلام ارسطو فى الالهيات وقد رأيت به وبينت بعض ما فيه من الفساد فان فيه ضللا كثيرا وكذلك كان دين أهل دمشق وغيرها قبل ظهور دين النصرانية وكانوا يصلون الى القطب الشمالى ولهذا يوجد فى دمشق مساجد قد عتية فيها قبله الى القطب الشمالى وتحت جامع دمشق معبد كبير له قبله الى القطب الشمالى كان لهؤلاء فان الصابئة نوعان صابئة حنفاء موحدون وصابئة مشركون فالاول هم الذين آتى الله عليهم بهذه الآية فأنى على من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا من هذه

(١٦ ل - فتح البيان) الجن كانوا في الارض يفسدون ويسفكون الدماء ولكن جعل الله في قلوبهم ان ذلك سيكون فقالوا بالتول الذي علمهم وقال عبد الرزاق عن معمر بن قتادة في قوله لا تجعل فيها من يفسد فيها كان الله أعلمهم انه اذا كان في الارض خلق أفسدوا فيها وسفكوا الدماء فذلك حين قالوا لا تجعل فيها من يفسد فيها وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أشام الرازي حدثنا ابن المبارك عن معروف يعني ابن خريوذ المكي عن سمع أبا جعفر محمد بن علي يقول السجمل ملك وكان هروث وماروت من أعوانه وكان في كل يوم ثلاث لحاح في ام الكتاب فنظر نظرة لم تكن له فابصر فيها خلق آدم وما كان فيسه من الامور فاسر ذلك الى هروث وماروت وكانان من أعوانه فلما قال تعالى اني جاعل في الارض خليفة قالوا لا تجعل فيها من يفسد فيها

ويسفك الدماء فالأدلة استطلاعة على الملائكة وهذا أثر غريب ويتقدير صحته إلى أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين الباقر فهو نقله عن أهل الكتاب وفيه نكارة فوجب رده والله أعلم ومقتضاه أن الذين قالوا ذلك إنما كانوا اثنين فقط وهو خلاف السباق وأغرب منه ما رواه ابن أبي حاتم أيضا حيث قال حدثنا أبي حدثنا هشام بن أبي عبيد الله حدثنا عبد الله بن يحيى بن أبي كثير قال سمعت أبي يقول أن الملائكة الذين قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك كانوا عشرة آلاف فخرجت نار من عند الله فأحرقتهم وهذا أيضا سراييلي منكر كما نرى قبله والله أعلم قال ابن جرير رحمه الله وقال بعضهم إنما قالت الله أنه كائن من خلق آدم فقالوا أتجعل

الملائكة ما قالت أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء لأن الله أذن لهم في السؤال عن ذلك بعد ما أخبرهم أن ذلك كائن من بني آدم فسأله الملائكة فقالت على التعجب منها وكيف يعصونك يا رب وأنت خالقهم فأجابهم ربهم أني أعلم ما لا تعلمون يعني أن ذلك كائن منهم وإن لم تعلموه أنهم ومن بعض ما روي أنه طاعة قال وقال بعضهم ذلك من الملائكة على وجه الاسترشاد عما يعلموا من ذلك فكانهم قالوا يا رب خبرنا مسألة استخبار منهم لآعلى وجه الإنكار واختاره ابن جرير وقال سعيد بن قتادة قوله تعالى وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقد علمت الملائكة أنه لا شيء أكروه عند الله من سفك الدماء والفساد في الأرض ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون فكان في علم الله أنه سيكون من تلك الخليفة أنبياء ورسل وقوم صالحون وسأكنوا الجنة قال وذكرنا عن ابن عباس أنه كان يقول أن الله لما أخذ في خلق آدم عليه السلام من

قالت الملائكة ما الله خالق خلقاً أكرم عليه منا ولا أعلم منافاة لما خلق آدم وكل خلق مبتلى كما ابتليت السموات والأرض بالطاعة فقال الله تعالى أطيعوا عا أو كرها قالوا أينا طاعتين وقوله تعالى ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال عبد الرزاق عن معمر بن قتادة قال التسيح التسيح والتعديس الصلاة وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال يقولون نصل لك وقال مجاهد ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال أنس بن مالك قال قال الله تعالى ونقدس لك ونعظمك ونكبرك وقال الخليل التقدس التطهير وقال محمد بن اسحق ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال

لأنه صلى ولأننا شاكركم به وقال ابن جرير التقديس هو التعظيم والتطهير ومنه قولهم سبوح قدوس يعني بقولهم سبوح
تنزيهه وبقولهم قدوس طهارة وتعظيم له وكذلك قيل للارض أرض مقدسة يعني بذلك المظهره فمعنى قول الملائكة اذ انقش
نسج بحمدك تنزهك ونبرتك مما يضيفه اليك أهل الشرك بك ونقدس لك نسبك الى ما هو من صفاتك من الطهارة من الادناس
وما أضاف اليك أهل الكفر بك وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي الكلام أفضل
قال ما صطفى الله للملائكة سبحانه الله وبحمده وقال روى البيهقي عن عبد الرحمن بن قريط ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة
أسرى به سمع تسبيحاً في السموات العلاء سبحان العلي الأعلى سبحانه وتعالى (١٢٣) قال اني أعلم ما لا تعلمون قال قتادة فكان

من المفسرين أن موسى لما جاء بني اسرائيل من عند الله بالالواح قال لهم خذوها
والتمزوها فقالوا الا الآن يكلمنا الله بها كما كلمك فصعقوا ثم أحياهم فقال لهم خذوها
والتمزوها فقالوا لأمر الله الملائكة فاقطعت جبلا من جبال فلسطين طوله فرسخ في
مثله وكذلك كان عسكرهم فجعل عليهم مثل الظلة وأوتوا بجر من خلفهم ونار من قبل
وجوههم وقل لهم خذوها وعليكم المشاق أن لاتضعوها والاسقط عليكم الجبل
فسجدوا وتوبوا لله وأخذوا التوراة بالمشاق قبل وسجدوا على انصاف وجوههم اليسرى
وجعلوا بالاحظون الجبل بأعينهم التي وهم سجود فصار ذلك سنة في سجود اليهود قيل
فكأنه حصل لهم بعد هذا القسر والالجاء قبول واذعان اختياري أو كان يكفي في الامم
السابقة مثل هذا الايمان قال ابن جرير عن بعض العلماء لو أخذوها أول مرة لم يكن
عليهم مشاق قال ابن عطية والذي لا يصبغ سواه أن الله سبحانه اخترع وقت سجودهم
الايمان لأنهم آمنوا كرها وقلوبهم غير مطمئنة انتهى وهذا تكلف ساقط حمله عليه
الحفاظة على ما قدر تسم لاديه من قواعد مذهبه قد سكن قلبه اليها كغيره وكل عاقل يعلم
أنه لا سبب من أسباب الاكراه أقوى من هذا أو أشد منه ونحن نقول أكرههم الله على
الايمان فآمنوا مكرهين ورفع عنهم العذاب بهذا الايمان وهو نظير ما ثبت في شرعنا من
رفع السيف عن تكلم بكلمة الاسلام والسيف مصلحت قد هزم حامله على رأسه وقد ثبت في
الصحيح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لمن قتل من تكلم بكلمة الاسلام معتذرا عن
قتله بأنه قالها تقية ولم يكن عن قصد صحيح أنت فتشت عن قلبه وقال لم أوهم أن اتعب
عن قلوب الناس قال القفال انه ليس اجبار على الاسلام لان الجبر ماسلب الاختيار
بل كان اكراهاً وهو جائز ولا يسلب الاختيار كالحاربة مع الكفار فأما قوله لا اكراه
في الدين وقوله أفانت تكره الناس فقد كان قبل الامر بالقتال ثم نسخ ذكره الشهاب
(خذوا ما آتيناكم) أي قلنا لهم خذوا ما أعطيناكم (بقوة) القوة الجدة والاجتهاد
(واذكروا ما فيه) أي ادرسوا ولا تنسوه والمراد بذكر ما فيه أن يكون محفوظاً عندهم
ليعملوا به (لعلكم تتقون) أي لكي تتجوز من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى أو رجاء
منكم أن تكونوا متقين (ثم توليت) أصل التولى الادبار عن الشيء والاعراض بالجسم
ثم استعمل في الاعراض عن الامور والاديان والمعتقدات انساها وحوجازا (من بعد ذلك)

في علم الله انه سيكون في تلك الخليفة
أنبياء ورسول وقوم صالحون
وساكنوا الجنة وسماي عن ابن
مسعود وابن عباس وغير واحد
من الصحابة والتابعين أقوال في
حكمة قوله تعالى قال اني أعلم
ما لا تعلمون وقد استدل القرطبي
وغيره بهذه الآية على وجوب
نصب الخليفة لينصل بين الناس
فيما اختلفوا فيه ويقطع تنازعهم
وينتصر لمطلوبهم من ظالمهم
ويقيم الحدود ويزجر عن تعاطي
الفواحش الى غير ذلك من الامور
المهمة التي لا يمكن اقامتها
الا بالامام وما لا يتم الواجب الابه
فهو واجب والامامة تنال بالنص
كما يقوله طائفة من أهل السنة في
أبي بكر وبالاياء اليه كما يقول
آخرون منهم أو باستخلاف الخليفة
آخر بعده كما فعل الصديق
بعمر بن الخطاب أو بتركه شورى
في جماعة صالحين كذلك كما فعله
عمر أو باجتماع أهل الحل والعقد
على مبايعته أو بمبايعة واحد منهم
له فيجب الالتزام بها عند الجمهور
وحكي على ذلك امام الحرميين

الاجماع والله أعلم أو بفكر واحد الناس على طاعته فوجب التلا بؤدى ذلك الى الشقاق والاختلاف وقد نص عليه الشافعي وهل
يجب الاشهاد على عقد الامامة فيه خلاف فذهب من قال لا يشترط وقيل بلى ويكتفى شاهدان وقال الجبائي يجب أربعة وعاقده
ومعقوله كما ترك عمر رضي الله عنه الامر شورى بين ستة فوقع الامر على عاقده وهو عبد الرحمن بن عوف ومعقوله وهو عثمان
واستنبط وجوب الاربعة الشهود من الاربعة الباقي وفي هذا نظر والله أعلم ويجب أن يكون ذكرا حرا بالغاً عاقلاً مسلماً عادلاً
مجتهدا بصيراً سليماً الأعضاء خبيراً بالحروب والآراء فرشي على الصحيح ولا يشترط الهاشمي ولا المعصوم من الخطا خلافاً للغلاة
الروافض ولو فسق الامام هل ينزل أم لا فيه خلاف والصحيح انه لا ينزل لقوله عليه الصلاة والسلام الا ان تروا كفراً بواحا

عندكم من الله فيه برهان وهل أن يعزل نفسه فيه خلاف وقد عزّل الحسن بن علي رضي الله عنه نفسه وسلم الأمر إلى معاوية لكن هذا العذر وقد مدح على ذلك فأما نصاب إمامين في الأرض أو أكثر فلا يجوز لقوله عليه الصلاة والسلام من جاءكم وأمركم بأمر منكم جميعاً يرد أن يفرق بينكم فأما من كان وهذا أقول الجمهور وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد منهم إمام الحرمين وقالت الكرامسة يجوز اثنين فأكثر كما كان على ومعاوية إمامين واجبي الطاعة قالوا إذا جاز بعث نبين في وقت واحد وأكثر جاز ذلك في الإمامة لأن النبوة أعلى رتبة بلا خلاف وحكى إمام الحرمين عن الأستاذ أبي إسحق أنه يجوز نصاب إمامين فأكثر إذا تابعت الاقطار واتسعت الأقاليم (١٢٤) بينهما وتردد إمام الحرمين في ذلك قلت وهذا يشبه حال الخلفاء في

العباس بالعراق والفاطميين بمصر والأُمويين بالمغرب ولنقرر هذا كله في موضع آخر من كتاب الأحكام إن شاء الله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنتم العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة بما اختصه من علم أسماء كل شيء دونهم وهذا كان بعد سجودهم له وإنما قدم هذا الفصل على ذلك المناسبة ما بين هذا المقام وعدم علمهم بحكمة خلق الخليقة حين سألوا عن ذلك فأخبرهم تعالى بأنه يعلم ما لا يعلمون ولهذا ذكر الله هذا المقام عقيب هذا السبب لهم شرف آدم بما فضل به عليهم في العلم فقال تعالى وعلم آدم الأسماء كلها قال السدي عن حديثه عن ابن عباس وعلم آدم الأسماء كلها

أى المشاق أو رفع الطور أو إتياء التوراة والمراد هنا عراضهم عن المشاق المأخوذ عليهم من بعد البرهان لهم والترهيب بأشدهم ما يكون وأعظم ما تجوز العقل وتقدره الأفهام وهو رفع الجبل فوق رؤسهم كأنه ظلة عليهم (قلولا) حرف امتناع لوجود تختص بالجبل الاسمية (فضل الله عليكم) بأن تدارككم بلطفه والفضل الزيادة والخير والافضل والاحسان قاله ابن فارس في المجمل (ورحمته) حتى أظهر والتوبة (أسكنتم من الخاسرين) أى المغبونين بذهاب الدنيا والهالكين بالعذاب في العقبي والخسران النقصان (ولقد علمتم) أى عرفتم فتعدى لواحد فقط والفرق بينهما أن العلم يستدعى معرفة الذات وما هي عليه من الاحوال والمعرفة تستدعى معرفة الذات أو الفرق أن المعرفة يسبقها جهل بخلاف العلم ولذلك لا يجوز إطلاقها عليه سبحانه (الذين اعتدوا منكم) أى جاوزوا الحد (في السبت) يقال سبت اليهود لأنهم يعظمونه ويقطعون فيه أعمالهم وأصل السبت في اللغة القطع لأن الأشياء تمت فيه وانقطع العمل وقيل هو مأخوذ من السبوت وهو الراحة والدعة وقال في الكشف السبت مصدر سببت اليهود إذا عظمت يوم السبت انتهى وفيه نظر فإن هذا اللفظ موجود وأشقاقه مذكور في لسان العرب قبل فعل اليهود ذلك وقد ذكر جماعة من المفسرين أن اليهود افرقت فرقتين ففرقة اعتدت في السبت أى جاوزت ما أمر الله به من العمل فيه فصادوا السمك الذى نهى الله عن صيده فيه والفرقة الأخرى انقسمت إلى فرقتين ففرقة جاهرت بالنهي واعتزلت وفرقة لم توافق المعتدين ولا صادوا معهم لكنهم جالسوهم ولم يجاهروهم بالنهي ولا اعتزلوا عنهم فحسبهم الله جميعاً ولم ينبج إلا الفرقة الأولى فقط وهذه من جملة المحن التى امتحن الله بها هؤلاء الذين بالغوا في المعرفة وعاندوا أنبياءهم وما زالوا في كل موطن يظهر ون من جناتهم وسحق عقولهم وتغنم نوعان أنواع التعسف وشعبة من شعب التكلف فإن الحيثان كانت في يوم السبت كما وصف الله سبحانه بقوله إذا تأتيتهم حيث أنهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبون لأن تأتيتهم كذلك بلوهم فاحتالوا لصيدها وحفروا الخفائر وشقروا الجداول فكانت الحيثان تدخلها يوم السبت فيصيدونها يوم الأحد فلم ينتفعوا بهذه الحيلة الباطلة وكانت هذه القصة في زمن داود بقرية بأرض أيلة (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) أمر بحويل وتسخير وتكوين وهو عبارة عن تعالى القدرة بنقلهم عن الحقيقة البشرية إلى

قال عليه أسماء ولده إنساناً وإنساناً ودواب فقبل هذا الجار هذا الجمل هذا القرس وقال الضحاك عن ابن عباس وعلم آدم الأسماء كلها قال هي هذه الأسماء التى يتعارف بها الناس إنسان ودواب وسما وأرض وسهل وبحر وجبل وجنار وأشياء ذلك من الأمم وغيرها وروى ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث عاصم بن كليب عن سعيد بن معبد عن ابن عباس وعلم آدم الأسماء كلها قال علمه اسم الحففة والقدر قال نعم حتى القسوة والفسمة وقال مجاهد وعلم آدم الأسماء كلها قال علمه اسم كل دابة وكل طير وكل شيء وكذلك روى عن سعيد بن جبيرة وقمادة وغيرهم من السلف أنه علم أسماء كل شيء وقال الربيع في رواية عنه أسماء الملائكة وقال جند الشاى أسماء النجوم وقال عبد الرحمن بن زيد علمه أسماء ذريته كلها واختار ابن

بحر يرأه علمه أسماء الملائكة وأسماء الذرية لانه قال ثم عرضهم وهذا عبارة عما يعقل وهذا الذي رجع به ليس بلازم فانه لا ينبغي ان يدخل معهم غيرهم ويعبر عن الجميع بصيغة من يعقل للتغليب كما قال تعالى والله خلق كل دابة من ما فهمم من عشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير وقد قرأ عبد الله بن مسعود ثم عرضهم وقرأ أبي بن كعب ثم عرضها أي المسميات والصحيح انه علمها أسماء الاشياء كلها ذاتها وصفاتها وأفعالها كما قال ابن عباس حتى الفسوة والفسية يعني أسماء الذوات والافعال الكبير والمصغر ولهذا قال البخاري في تفسير هذه الآية في كتاب التفسير من صحيحه حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا هشام عن قتادة عن (١٢٥) أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال وقال لي خليفة حدثنا يزيد ابن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيأتون آدم فيقولون أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأمسكك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء فاستفّع لنا الى ربك فيريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم ويزكركم به فيستحي أن يتواضعوا فانه أول رسول بعثه الله الى أهل الارض فيأتونه فيقول لست هناكم ويزكركم به ما ليس له به علم فيستحي فيقول اتوا خليل الرحمن فيأتونه فيقول لست هناكم فيقول اتوا موسى عبدا كلمه الله وأعطاه التوراة فيأتونه فيقول لست هناكم ويزكركم به قتل النفس بغير نفس فيستحي من ربه فيقول اتوا عيسى عبدا الله ورسوله وكلمة الله وروحه فيأتونه فيقول لست هناكم اتوا محمدا عبدا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فانا طلق حتى استأذن على ربي فيؤذن لي فاذا رأيت ربي وقعت ساجدا فمد عني ما شاء الله

حقيقة القرردة أي كونوا معددين عن الرحمة مطرودين عن الشرف وقيل فيه تقديم وتأخير معناه كونوا خاسئين قردة ولهذا لم يقل خاسئات والخاسي المبعد ومنه قوله تعالى ينقلب اليك المصر خاسئا أي مبعدا وقوله اخسئوا فيها أي تساعدوا وتساعدوا وتساعدوا ويكون الخاسي بمعنى الصاغر والمراد هنا كونوا بين المصير الى أشكال القردة مع كونهم مطرودين صاغرين فقردة خبر الكون وخاسئين خبر آخر وقيل انه صفة لقردة والاول أظهر وعن ابن عباس قال مسحهم الله قردة بمعصيتهم ولم يعيش مسيح قط فوق ثلاثة أيام ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل قال الحسن انقطع ذلك النسل وقال مجاهد مسحت قلوبهم ولم يسحقوا قردة وانما هو مثل ضربه الله لهم كقوله مثل الجار يحمل أسنانا وقال ابن عباس صار شباب القوم قردة والمشيخة صاروا خنازير واختلف في مرجع الضمير في قوله (فجعلناها) فقيل المسحة والعقوبة وقيل الامنة وقيل القرية وقيل القردة وقيل الخستان والاول أظهر (نكالا) أي عقوبة وعبرة والنكال الزجر والعقاب والنكل القيد لانه يمنع صاحبه (لما بين يديها وما خلفها) أي عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لما بعدهم الى يوم القيامة وقيل من الذنوب التي عملوا قبل وبعد قاله ابن عباس (وموعظة للمتقين) من قومهم أو لكل متى سمعها الموعظة مأخوذة من الاتعاظ والازجار والوعظ التخويف وقال الخليل الوعظ التذكير بالخير (واذ قال موسى لقومه) توابع آخر لا خلاف بنى اسرائيل بتذكير بعض جنبايات صدرت من أسلافهم أي اذكروا وقت قول موسى لأصواتكم وقد قتل لهم قيس لا يدري قائله وسأله أن يدعو الله أن يبينه لهم فدعاه والقتيل اسمه عاميل (ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) قيل ان قصة ذبح البقرة المذكورة هنا مقدم في التلاوة ومؤخر في المعنى على قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها ويجوز أن يكون قوله اذ قتلتم مقديا في التزول ويكون الاصر بالذبح مؤخرا قال الكرخي وانما أخر أول القصة تقديمالذبح مساوهم وتعدد الهالكين أبلغ في توابعهم على القتل ويجوز أن يكون ترتيب نزولها على حسب تلاوتها فكان الله أمرهم بذبح البقرة حتى ذبحوها ثم وقع ما وقع من أمر القتل فأمر وان يضربوا ببعضها هذا على فرض أن الواو تقتضي الترتيب وقد تقرر في علم العربية أنها مجرد الجمع من دون ترتيب ولا معية والبقرة اسم لا تثنى ويقال للذكر ثور وقيل انه أطلق عليه ما وأصله من البقر وهو الشق

ثم يقال ارفع رأسك وسل تعطه وقل بسمع واشفع تشفع فأرفع رأسي فأجده بحميد يعلمني ثم أشفع فيحذلي حذافأدخلهم الجنة ثم أعود اليه فاذا رأيت ربي مثله ثم أشفع فيحذلي حذافأدخلهم الجنة ثم أعود الثالثة ثم أعود الرابعة قول ما بقي في النار الامن حسنه القرآن ووجب عليه الخلود هكذا ساق البخاري هذا الحديث ههنا وقد رواه مسلم والنسائي من حديث هشام وهو ابن أبي عبد الله الدستوائي عن قتادة به وأخرجه مسلم والنسائي وابن ماجه من حديث سعيد وهو ابن أبي عروبة عن قتادة ووجه ابراهه ههنا والمقصود منه قوله عليه الصلاة والسلام فيأتون آدم فيقولون أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأمسكك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء فذل هذا على أنه علمه أسماء جميع المخلوقات ولهذا قال ثم عرضهم على الملائكة يعني المسميات كما قال عبد الرزاق عن

دعمر عن قتادة قال ثم عرض تلك الاسماء على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين وقال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرض الملائكة على الملائكة وقال ابن جرير عن مجاهد ثم عرض أصحاب الاسماء على الملائكة وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني الجراح عن جرير بن حازم ومبارك بن فضالة عن الحسن وأبي بكر عن الحسن وقتادة قال علم اسم كل شيء وجعل يسمى كل شيء باسمه وعرضت عليه أمة وبهذا الاسناد عن الحسن وقتادة في قوله تعالى ان كنتم صادقين اني لم أخلق خلقا الا كنتم أعلم منه فأخبروني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين (١٢٦) وقال الضحاك عن ابن عباس ان كنتم صادقين ان كنتم تعلمون اني لم

أجعل في الارض خليفة وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة ان كنتم صادقين ان بني آدم يفسدون في الارض ويسفكون الدماء وقال ابن جرير وأولى الاقوال في ذلك تأويل ابن عباس ومن قال بقوله ومعنى ذلك فقال أنبئوني بأسماء من عرضته عليكم أيها الملائكة القائلون أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء من غيرنا أم منا فمن نسمي بسمه ونقدس لك ان كنتم صادقين في قلوبكم اني ان جعلت خلفتي في الارض من غيركم عصاني وذريته وأفسدوا وسفكوا الدماء وان جعلتم فيها أطمعوني واتبعتهم أخرى بالتعظيم لي والتقديس فاذا كنتم لا تعلمون أسماء هؤلاء الذين عرضت عليكم وأنتم تشاهدونهم فأنتم بما هو غير موجود من الامور الكائنة التي لم توجد أخرى ان تكونوا غير عالمين قالوا سبحانه لا علم لنا الا ما علمنا انك أنت العليم الحكيم هذا تقدس وتنزيه من الملائكة

لانها تشق الارض بالحرث قال الازهرى القراسم جنس وجعه بائر (قالوا أتخذنا هزوا) أي نحن نسألك أمر القتل وأنت تأمرنا بدم بقره وانما قالوا ذلك ليعلم ما بين الامرين في الظاهر ولم يعلموا موجه الحكمة فيه والهزوهنا اللعب والسخرية وانما يفعل ذلك أهل الجهل لانه نوع من اللعب الذي لا يفعله العقلاء ولهذا أجابهم موسى بالاستعاذة بالله سبحانه من الجهل (قال) يعني موسى (أعوذ بالله) أي أستعنه (أن أكون من الجاهلين) أي بالجواب لاعلى وفق السؤال أو من المستهزئين بالمؤمنين وهذا أبلغ من قولك أن أكون جاهلا (قالوا ادع لنا ربك يمين لنا ما هي) أي ما سئنا وهذا السؤال عن صفة البقرة لانه حقيقة فأنها معروفة وهذا نوع من أنواع تعنتهم المألوفة فقد كانوا يسلكون هذه المسالك في غالب ما أمرهم الله به ولو تركوا التعنت والاستعلاء المتكلفة لاجزأهم ذبح بقرة من عرض البقر ولكنهم شددوا فشد الله عليهم (قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر) أي لاهي كبيرة ولا صغيرة والنارض المسنة التي لم تلد ومعناها في اللغة الواسع قال في الكشف وكأنيها سميت فارض لانها فرضت سننها أي قطعتها وبلغت آخرها انتهى ويقال للشيء القديم فارض والبكر الصغيرة الفتية التي لم تحمل ولم تلد ويطلق في اناث البهايم وبني آدم على ما لم يقبله الفعل ويطلق أيضا على الاول من الاولاد (عوان بين ذلك) أي نصف بين سنين والعوان المتوسطة بين سني الفارض والبكر وهي التي قد ولدت بطناً وبطنين ويقال هي التي قد ولدت مرة بعد مرة والجمع عون بالضم والاشارة الى الفارض والبكر وهم ما وان كانوا مؤنثين فقد أشير اليهم بما عاينوا لانه ذكر على تأويل المذكور كما أنه قال ذلك المذكور وجاز دخول بين المقضية لشيئين لان المذكور متعدد (فأفعلوا ما تومرون) به أي من ذبح البقرة ولا تكثر السؤل وهذا التجديد للامر وتأكيده وزجر لهم عن التعنت فلم ينفعهم ذلك ولا ينجع فيهم بل رجعوا الى طبيعتهم وعادوا الى عكرهم واستقروا على عادتهم المألوفة (قالوا ادع لنا ربك يمين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها) اللون واحد الالوان وجهه والمفسرين على أنها كانت جميعها صفراء قال بعضهم حتى قربها وظلفها وقال الحسن وسعيد بن جبيرة انها كانت صفراء القرن والظلف فقط وهو خلاف الظاهر والمراد بالصفرة هنا الصفرة المعروفة وروى عن الحسن أن صفراء معناه سوداء وهذا

الله تعالى أن يحيط أحد بشيء من علمه الا بما شاء وأن يعلموا شيئا الا ما علمهم الله تعالى ولهذا قالوا سبحانه لا علم لنا الا ما علمنا انك أنت العليم الحكيم أي الحكيم في خلقك وأمرك وفي تعليلك من تشاء ومنعك من تشاء لك الحكمة في ذلك والعدل التام قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا حفص بن غياث عن مجاهد عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس سبحانه الله قال تنزيه الله نفسه عن سوء قال ثم قال عز لعل وأصحابه عنده لا اله الا الله قد عرفنا خافا سبحانه الله فقال له على كلمة أحبها الله لنفسه ورضيها وأحب أن يقال قال وحدثنا أبي حدثنا ابن فضيل بن النضر بن عدى قال سألت رجل من بني مهران عن سبحانه الله قال اسم يعظم الله به ويحاشاه من سوء وقوله تعالى قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم

قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون قال زيد بن أسلم قال أنت جبرائيل أنت ميكائيل أنت اسرافيل حتى عدد الاسماء كلها حتى بلغ الغراب وقال مجاهد في قول الله قال يا آدم أنتهم باسمائهم قال اسم الحامة والغراب واسم كل شيء وروى عن سعيد بن جبيرة والحسن وقتادة نحو ذلك فلما ظهر فضل آدم عليه السلام على الملائكة عليهم السلام في سرده ما علمه الله تعالى من أسماء الاشياء قال الله تعالى للملائكة ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون أي ألم أقدم اليكم اني أعلم الغيب الطاهر والخفي كما قال تعالى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى وكما قال اخبارا عن الهددانه قال سليمان أليسجدوا لله الذي يخرج الخبء (١٢٧) في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما

تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم وقيل في قوله تعالى وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون غير ما ذكرناه فروى الضحاك عن ابن عباس وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون قال أعلم السر كما أعلم العلانية يعني ما كنتم ابليس في نفسه من الكبر والاعتزاز وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة قال قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء الآية فهذا الذي أبدوا وما كنتم تكتمون يعني ما أسر ابليس في نفسه من الكبر وكذلك قال سعيد بن جبيرة ومجاهد والسدي والضحاك والثوري واختار ذلك ابن جرير وقال أبو العالية والربيع ابن أنس والحسن وقتادة هو قولهم لم يخلق ربنا خلقا الا كما أعلم منه وأكرم عليه منه وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون فكان الذي أبدوا هو قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وكان الذي كتموا بينهم قولهم لن يخلق

وهذا من بدع التفاسير ومن ذكراتها وليت شعري كيف يصدق على اللون الاسود الذي هو أفتح الألوان انه يسر الناظرين وكيف يصح وصفه بالفقوع الذي يعرف كل من يعرف لغة العرب أنه لا يجري على الاسود بوجه من الوجوه فانهم يقولون في وصف الاسود طالك وحلكوك ودجوجي وغريبي قال الكسائي يقال فققع لونها اذا خلصت صفرة وقال في الكشف الفقوع أشد ما يكون من الصفرة وأنصعه ومعنى (تسر الناظرين) تدخل عليهم السرور اذا نظر واليهما العجايب واستحسننا اللونها قال وهب كانت كأن شعاع الشمس يخرج من جلدها يعجبهم حسنها وصفاء لونها (قالوا ادع لنا ربك بيننا وما هي) أي سائمة وأعماله وعلى هذا فليس هذا السؤال تكرير للسؤال الاول كما ادعاه بعضهم قاله الخطيب (ان البقر تشابه عليسا) أي التيس واشتبه أمرها علينا أي ان جنس البقر متشابه عليهم لكثرة ما يتصف منها بالعوان الصفراء الفاقعة (وانا ان شاء الله لمهتدون) وعدوا من أنفسهم بالاهتداء الى ما دلهم عليه والامتنال لما أمر به قيل لولم يستمنوا لما بينت لهم اخر الدهر (قال انه يقول انها بقرة لادلول) أي ليست مذكلة والادلول التي يذللها العمل (سيرا لارض) أي تقابلها للزراعة (ولانسق الحرت) أي ليست بسانية يعني من النواضع التي يسقى عليها ويسقى الزرع وحرف النقي الآخر نو كيد لا دلول أي هذه بقرة غير مذكلة بالحرت ولا بالنضج ولهذا قال الحسن كانت البقرة وحشية وقال قوم ان قوله تثير فعل مستأنف والمعنى ايجاب الحرت لها والنضج بها والاول ارجح لانها لو كانت مثيرة ساقية لكانت مذكلة بريضة وقد نفي الله ذلك عنها (مسلمة) أي بريئة من العيوب والمسلمة هي التي لا عيب فيها وقيل مسلمة من العمل وهو ضعيف لان الله سبحانه قد نفي ذلك عنها والتأسيس خبر من التأكيذ والافادة أولى من الاعادة (لاشية فيها) أي لالون فيها غير لونها والشية مأخوذة من وشى الثوب اذا نسج على لونين مختلفين وثور دمشقي في وجهه وقوائم سواد ويقال ثورا شيه وفرس أبلق وكبش أخرج وتيس أبرق وغراب أبقع كل ذلك بمعنى أبلق والمراد ان هذه البقرة خالصة الصفرة ليس في جسمها لمعة من لون آخر فلما سمعوا هذه الاوصاف التي لا تبقى بعد هارب ولا يخالج سامعها شك ولا تتحمل الشبهة بوجهه من الوجوه أقصروا من غوايتهم واتبهوا من رقتهم وعرفوا بمقدار ما وقعهم فيه تعنتهم من التصديق عليهم (قالوا الا ان جئت بالحق)

ربنا خلقنا الا كما أعلم منه وأكرم فعرفوا ان الله فضل عليهم آدم في العلم والكرم وقال ابن جرير حدثنا يونس حدثنا بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قصة الملائكة وآدم فقال الله للملائكة كالم تعلموا هذه الاسماء فليس لكم علم انما أردت أن أجعلهم لفسدوا فيها هذا عندى قد علمته فكذلك أخفت عنكم أي أجعل فيها من يعصيني ومن بطيعي قال وقد سبق من الله لآمل أن جهنم من الجنة والناس أجعين قال ولم تعلم الملائكة ذلك ولم يدروه قال فلما رأوا ما أعطى الله آدم من العلم أقروا بالفضل وقال ابن جرير وأولى الاقوال في ذلك قول ابن عباس وهو أن معنى قوله تعالى وأعلم ما تبدون وأعلم مع علمي غيب السموات والارض ما تظهرونه بأسمائهم وما كنتم تخفون في أنفسكم فلا يخفى على شيء سوء عندى سرائركم وعلايتكم والذي أظهره

الذي ليس بعصمت قال ثم يدخل في فيه ويخرج من دبره ويدخل من دبره ويخرج من فيه ثم يقول لست شيا لصاله ولشيء
 ما خلقت واثنى سلطت عليك لا هلكتك ولئن سلطت على لاعصيتك قال فلما نفخ الله فيه من روحه أتت النفخة من قبل رأسه
 فجعل لايجري شيء منها في جسده الا صار لحما ودماء فلما انتهت النفخة الى سرته نظر الى جسده فأعجبه ما رأى من جسده فذهب
 لينهض فلم يتدفقه وقل الله تعالى وخلق الانسان عجولا قال فخر لا صبر له على سراء ولا ضراء قال فلما تمت النفخة في جسده عطس
 فقال الحمد لله رب العالمين بالهام الله فقال الله لا يرجعك الله يا آدم قال ثم قال تعالى للملائكة الذين كانوا مع ابليس خاصة دون
 الملائكة الذين في السموات اسجدوا لآدم فسجدوا كلهم فجمعون الابليس (١٢٩) أبى واستكبر لما كان حدث نفسه

من الكبر والاعتزاز فقال لا أسجد له
 وأنا خير منه وأكبر سنا وأقوى
 خلقا خلقتني من نار وخلقته من
 طين يقول ان النار أقوى من
 الطين قال فلما أبى ابليس أن يسجد
 أبلسه الله أي آيسه من الخير كله
 وجعله شيطانا رجيا عقوبة
 لمعصيته ثم علم آدم الاسماء كلها
 وحشي هذه الاسماء التي يتعارف بها
 الناس انسان ودابة وأرض وسهل
 وبحر وجبل وحمار وأشباه ذلك من
 الاصح وغيرها ثم عرض هذه الاسماء
 على أولئك الملائكة يعني الملائكة
 الذين كانوا مع ابليس الذين خلقوا
 من نار السموم وقال لهم أبشروني
 بأسماء هؤلاء أي يقول أخبروني
 بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ان
 كنتم تعلمون لم أجعل في الارض
 خليفة قال فلما علمت الملائكة
 موجدته الله عليهم فيما تكلموا به
 من علم الغيب الذي لا يعلمه غيره الذي
 ليس لهم به علم قالوا سبحانه تنزيها
 لله من أن يكون أحد يعلم الغيب
 غيره تبنا اليك لاعلم لنا الا ما علمتنا
 تبريائنا منهم من علم الغيب الا ما علمتنا
 كما علمت آدم فقال يا آدم أبشروني

الانصاة أحكام منها الاستدلال بقوله ان الله يأمركم على أن الامر لا يدخل في عموم
 الامر فان موسى لم يدخل في الامر بدليل قوله فذبحوها ومنها الاستدلال على أن السنة
 في البقرة الذبح ومنها الاستدلال على جواز ورود الامر بمجلا وتأخير بيانه ومنها دلالة
 قوله لا فارض ولا بكر وقوله مسلمة على جواز الاجتهاد واستعمال غالب الظن في الاحكام
 لان ذلك لا يعلم الا بالاجتهاد ومنها ان المستتر في يستحق سمعة الجهل ومنها دلالة قوله ان
 شاء الله على الاستثناء في الامور ومنها دليل أهل السنة في أن الامر لا يستلزم المشيئة
 ومنها الدلالة على حصر الحيات بالوصف وجواز السلم فيه ومنها دلالة قوله فافعلوا
 ما تؤمرون على أن الامر على الفور ويدل على ذلك انه استقصى هم حين لم يبادروا الى فعل
 ما أمرهم به وقال فذبحوها وما كادوا يفعلون (واذ قلتم نفسا) أي واذكروا يا بني
 اسرائيل وقت قتل هذه النفس وما وقع فيه من القصة والخطاب لليهود المعاصرين للنبي
 صلى الله عليه وآله وسلم واسناد القتل والتدريء اليهم لان ما يصدر عن الاسلاف ينسب
 للاخلاف توخيها وتقريعا قال الرازي في تفسيره اعلم أن وقوع القتل لا بد أن يكون
 متقدما لامر الله تعالى بالذبح فأما الاخبار عن وقوع القتل وعن أنه لا بد أن يضرب القتل
 ببعض تلك البقرة فلا يجب أن يكون متقدما على الاخبار عن قصة البقرة فقول من يقول
 هذه القصة يجب أن تكون متقدمة في التلاوة وعلى الاولى خطأ لان هذه القصة في نفسها
 يجب أن تكون متقدمة على الاولى في الوجود فأما التقدم في الذكرفغير واجب لانه تارة
 يقدم ذكر السبب على الحكم وأخرى على العكس من ذلك فكأنهم لما وقعت لهم تلك
 الواقعة أمرهم الله بذبج البقرة فلما ذبحوها قال واذ قلتم نفسا من قبل ونسب القتل
 اليهم ليكون القايل منهم انتهى والقتيل اسمه عاميل ذكره الكرماني وقيل نكار حكاية
 الماوردي وقائله ابن أخيه وقيل أخوه (فأذا رأتهم فيها) اختلفتم وتنازعتم لان المتنازعين
 يدرب بعضهم بعضا أي يدفعه (والله يخرج ما كنتم تكتمون) أي ما كنتم ينسبونكم من أمر
 القتل فآله مظهره لعباده ومبينه لهم وعن المسيب بن رافع قال ما عمل رجل حسنة في
 سبعة آيات الا أظهرها الله وما عمل رجل سيئة في سبعة آيات الا أظهرها الله وتصدق
 ذلك في كتاب الله والله يخرج ما كنتم تكتمون وأخرج أحمد والحاكم وصححه عن ابن
 عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو أن رجلا عمل عملا في خفرة صماء

(١٧ ل - فتح البیان) باسم اسم يقول أخبرهم بأسمائهم فلما أبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم أيها الملائكة خاصة اني أعلم غيب
 السموات والارض ولا يعلم غيري وأعلم ما تبدون وتول ما تظهرون وما كنتم تكتمون يتول أعلم السر كما أعلم العلانية يعني ما كنتم
 ابليس في نفسه من الكبر والاعتزاز هذا ساق غريب وفيه أشياء فيها نظر يطول مناقشتها وهذا الاسناد الى ابن عباس يروي به تفسير
 مشهور وقال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي صلى
 الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش فجعل ابليس على مناب السماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة
 يقال لهم الجن واناسهمو الجن لانهم خزان الجنة وكان ابليس مع ملكه خازنا فوقع في صدره وقال ما أعطاني الله هذا الامنية لي

على الملائكة فلما وقع ذلك الكبر في نفسه اطعم الله على ذلك منه فقال الله للملائكة اني جاعل في الارض خليفة فقالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال يكون له ذرية يفسدون في الارض ويقتل بعضهم بعضا قالوا ربنا أجبناهم بفسادهم ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون يعني من شأن ابليس فبعث الله جبريل الى الارض ليأتمه بدين منها فقال الرب اني أعوذ بالله من ان تنقص مني أو تسبني فرجع ولم يأخذ وقال الرب انهم اعادتك بان فأعذبتهم فأبعث ملكا بيل فعادتهم منه فعادوا فرجع فقال كما قال جبريل فبعث ملك الموت فعادتهم منه فقال وآنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره فأخذ من وجه الارض وخلط ولم يأخذ (١٣٠) من مكان واحد وأخذ من تربة جرائم يساعه سردها وذلك خرج سوا

آدم مختلفين فصعد به فبسل التراب حتى عاد طينا لازبا واللازب هو الذي يلتصق ببعضه بعض ثم قال للملائكة اني خالق بشر من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين خلقه الله بيده لئلا يتكبر ابليس عنه ليقول له تتكبر عما علمت يسدي ولم أتكبر أنا عنه بخلقه بشر افكان جسدا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة فخرت به الملائكة فنزعوا منه لمارأوه فكان أشدهم فرعاه منه ابليس فكان يمر به فيضرب به فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة فذلك حين يقول من صلصال كالفخار ويقول لاهر ما خلقت ودخل من فيه فخرج من دبره وقال للملائكة لا ترموا من هذا فان ربكم صمد وهذا أجوف اثنى سلطت عليه لاهلكه فلما بلغ الحين الذي يريد الله عز وجل ان ينفخ فيه الروح قال للملائكة اذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس فقالت الملائكة قل الحمد لله فقال الحمد لله الجدة فقال الحمد لله

لا باب لها ولا كوة خرج عمله الى الناس كما شئنا كان وأخرج السبيح من حديث عثمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كانت له سريرة صالحة أو سنة أظهر الله عليه منها رداء يعرف به الموقر فأصبح ولجاعة من العجالة والتابعين كلمات تفيد هذا المعنى (فقلنا اضربوه ببعضها) يعني القتل واختلف في تعيين البعض الذي أمر وaban يضربوا به القتل فقل بلسانها وقيل بعجب الذنب وقيل بفخذها اليقين وقال ابن عباس بالعظم الذي يلي الغضروف وهو أصل الأذن ولا حاجة الى ذلك مع ما فيه من القول بغير علم ويكفي أن نقول أمرهم الله بأن يضربوه ببعضها فأى بعض ضربوا به فقد فعلوا ما أمر وابه وما زاد على هذا فافهم من فضول العلم اذ لم يرد به رهاق وليس في الكتاب العزيز والسنة المطهرة ما يدل على ذلك البعض ما هو وذلك يقتضى التخيير (كذلك يحيي الله الموتى) أى كمثل هذا الاحياء يوم القيامة فلا فرق بينهم فى الجواز والامكان والغرض من هذا الرد عليهم فى انكار البعث وهذا يقتضى أن يكون الخطاب مع العرب لأمع اليهود لانهم يقررون بالبعث والحزاء وعلى هذا الجملة اعتراض فى خلال الكلام المسوق فى شأن اليهود (ويريكم آياته) أى علاماته ودلائله الدالة على كمال قدرته وهذا يحتمل أن يكون خطابا لمن حضر القصة ويحتمل أن يكون خطابا للوجودين عند نزول القرآن والرؤية هنا بصريّة (لعلكم تعقلون) أى تمنعون أنفسكم عن المعاصى وقد أخرج عبد بن حميد وأبو الشيخ فى العظمة عن وهب بن منبه قصة طويلة فى ذكر البقرة وصاحبها لا حاجة الى التطويل بذكرها وقد استوفىها السيوطى فى الدر المنثور (ثم) موضوعا للترخى فى الزمان ولا تراخى خفايى محمولة على الاستعداد مجازا (قست قلوبكم) أى يست وجفت وقيل غلظت واسودت وصلبت وقساوة القلب انتزاع الرحمة منه والقسوة الصلابة والبس وهى عبارة عن خلوهما من الانابة والاذعان لا يأت الله مع وجود ما يقتضى خلاف هذه القسوة من احياء القليل وتكلمه وتعيينه لقائه ووفيه استعارة تعجبية تشبيه الحال القلوب فى عدم الاعتبار والاعتباط بالقسوة والاشارة بقوله (من بعد ذلك) الى ما تقدم من الايات الموجبة للين القلب ورقته التى جاء بها موسى أو احياء القليل بعد ضرب به بعض البقرة وهذا مؤكدا للاستبعاد المذكور أشد تأكيد (فهى) أى القلوب فى الغلظة والشدة (كالخجارة) أى كالشئ الصلب الذى لا يتخلل فيه قيل أوفى قوله (أو أشد قسوة) بمعنى الواو

يرجك ربك فلما دخلت الروح فى عنده نظر الى ثمار الجنة فلما دخل الروح الى جوفه اشتبه الطعام فوثب قبل ان تبلغ الروح رجليه فجعل الى ثمار الجنة فذلك حين يقول الله تعالى خلق الانسان من عجل فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا ابليس أى أن يكون مع الساجدين أى واستكبر وكان من الكافرين قال الله له ما منعك ان تسجد اذ أمرتك لما خلقت يسدي قال أنا خير منه لم أكن لاسجد ابشر خلقته من طين قال الله له اخرج منها فما يكون لك معنى ما ينبغي لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين والصغار هو الذل قال وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرض الخلق على الملائكة فقال أنبؤنى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين أن بنى آدم يفسدون فى الارض ويسفكون الدماء فقالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمنا انك أنت اعلم الحكيم قال الله يا آدم أنبئهم بأسمائهم

فلما أنبأهم باسمائهم قال ألم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما يدور وما سمعتموه من قولهم يجعل فيهم امن يتسدف فيها فهذا الذي أبدوا واعلم ما تكتمون يعني ما أسرا بليس في نفسه من الكبر فهذا الاسناد الى هؤلاء العجايب مشهور في تفسير السدي ويقع فيه اسرايليات كثيرة فقلع بعضها مدرج ليس من كلام العجايب أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة والله أعلم والحاكم يروي في مستدركة بهذا الاسناد بعينه أشياء ويقول على شرط البخاري والغرض ان الله تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لا دم دخل ابلis في خطابهم لانه وان لم يكن من عنصرهم الا انه كان قد تشبه بهم وتوسم بأفعالهم فلهذا دخل في الخطاب لهم ودم في مخالفة الامر وسنسط المسئلة ان شاء الله تعالى عند (١٣١)

عن أسمر بن وهب قال سمعت محمد بن اسحق عن خلد بن عطاء عن طائوس عن ابن عباس قال كان ابلis قبل ان يركب المعصية من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان الارض وكان من أشد الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علماً فلذلك دعاه الى الكبر وكان من حي يسمون جنا وفي رواية عن خلاد عن عطاء عن طائوس أو مجاهد عن ابن عباس أو غيره بنحو وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد يعني ابن العوام عن سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال كان ابلis اسمه عزازيل وكان من أشرف الملائكة ثم أدوى الاجنحة الاربعة ثم أبلس بعد وقال سنيد عن حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس كان ابلis من أشرف الملائكة ثم كرمهم قبيلة وكان خازناً على الجنان وكان له سلطان سماء الدنيا وكان له سلطان الارض وهكذا روى الضحاك وغيره عن ابن عباس سواء وقال صالح مولى التوامنة عن ابن عباس ان من الملائكة قبيلة

كفي قوله تعالى آثموا وكفروا وقيل هي بمعنى بل واختاره أبو حيان وعلى أن أو على اصلها أو بمعنى الواو فالعطف على قوله كالخارجة أي هذه القلوب هي كالخارجة وهي أشد قسوة منها فشبها بها أي الامر ينشتم فانكم مصيبون في هذا التشبيه وقد أجاب الرازي في تفسيره عن وقوع أو ههنا مع كونها للترديد الذي لا يليق بعلم الغيوب بشأنة أوجه (وان من الجارة) قال في الكشف انه بيان لفضل قلوبهم على الجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله أو أشد قسوة انتهى وفيه أن مجيء البيان بالواو غير معروف ولا مألوف والاولى جعل ما بعد الواو تذيلاً أو حالاً (لما تفجر منه الانهار) قيل أراد به جميع الجارة وقيل أراد به الجار الذي كان يضرب عليه موسى ليلقي الاسباط والتفجر التفج بالسة والكثرة (وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء) يعني العيون الصغار التي هي دون الانهار التفجر التفج والشق واحد الشقوق وهو يكون بالطول أو بالعرض بخلاف الانفجار فهو الانفتاح من موضع واحد مع اتساع الحرق والمراد أن الماء يخرج من الجارة من مواضع الانفجار والانشقاق (وان منها لما يهبط من خشية الله) أي أن من الجارة لما ينحط من المكان الذي هو فيه الى أسفل منه من الخشية التي تدخله وتحمل به وقيل ان الهبوط مجاز عن الخشوع منها والتواضع الكائن فيها لقياد الله عز وجل فهو مثل قوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله واختاره ابن عطية وقد حكى ابن جرير عن فرقة ان الخشية للجارة مستعارة كما استعيرت الارادة للجدار وذكر الجاحظ ان الضمير في قوله وان منها راجع الى القلوب لا الى الجارة وهو فاسد فان الغرض من سياق هذا الكلام هو التصريح بان قلوب هؤلاء بلغت في القسوة وفرط اليلis الموجهين لعدم قبول الحق والتأثر للمواعظ الى مكان لا تبلغ اليه الجارة التي هي أشد الاجسام صلابة وأعظمها صلابة فانها ترجع الى نوع من الين وهو تفجرها بالماء وتشققها عنه وقبولها لما توجه الخشية لله من الخشوع والانقياد بخلاف تلك القلوب وفي قوله (وما الله بغافل عما تعملون) من التهديد وتشديد الوعيد ما لا يخفى فان الله عز وجل اذا كان عالماً بما يعملونه مطلعاً عليه غير غافل عنه كان مجازاتهم بالمرصاد (أفقطمعون) الهمة للاستفهام وتدخل على ثلاثة من حروف العطف الفاء كما هنا والواو كقوله الاتي أولاً يعملون وشم كقوله آثم اذا ما وقع واختلف في مثل هذه التركيب فذهب الجمهور

يقال لهم الجن وكان ابلis منهم وكان يسوس ما بين السماء والارض فعصى فسخه الله شيطاناً رجيماً واه ابن جرير وقال قتادة عن سعيد بن المسيب كان ابلis رئيس ملائكة السماء الدنيا وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا اعدى بن أبي عدي عن عوف عن الحسن قال ما كان ابلis من الملائكة طرفه عين قط وانه لأصل الجن كما أن آدم أصل الانس وهذا الاسناد صحيح عن الحسن وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم سواء وقال شهر بن حوشب كان ابلis من الجن الذين طردتهم الملائكة فأسره بعض الملائكة فذهب به الى السماء واه ابن جرير وقال سنيد بن داود حدثنا هشيم ثبناً ناعداً عبد الرحمن بن يحيى عن موسى بن غير وعثمان بن سعيد ابن كمال عن سعد بن مسعود قال كانت الملائكة تقابل الجن ففسى ابلis وكان صغيراً فكان مع الملائكة يتبعهم معها فلما أمروا

بالسجود لا آدم سجدوا فابى ابليس فلذلك قال تعالى الابليس كان من الجن وقال ابن جرير حدثنا محمد بن سنان البرازي حدثنا ابو عاصم عن شريك عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس قال ان الله خلق خلقا فقال اسجدوا لا آدم فقالوا لا ننعل فبعث الله عليهم نارا فاسرقتم ثم خلق خلقا آخر فقال اني خالق بشر امن طين اسجدوا لا آدم قال فابى الله عليهم نارافا فاسرقتم ثم خلق هؤلاء فقال اسجدوا لا آدم قالوا نعم وكان ابليس من اولئك الذين ابى ان يسجدوا لا آدم وعذابا غريبا ولا يكاد يصح اسناده فان فيه رجلا منهم ما ومثله لا يصح به والله اعلم وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا ابو اسامة حدثنا صالح بن حيان حدثنا عبد الله بن بريدة قوله تعالى وكان من الكافرين من (١٣٢) الذين ابوا فاسرقتم النار وقال ابو جعفر رضى الله عنه عن الربيع عن ابي

العالية وكان من الكافرين يعنى من العصاة وقال السدى وكان من الكافرين الذين لم يتلقوا الله يومئذ يكونون بعد وقال محمد بن كعب القرظي ابتداء الله خلق ابليس على الكفر والضلالة وعمل بعمل الملائكة فصبره الله الى ما أبدى عليه خلقه من الكفر قال الله تعالى وكان من الكافرين وول قتادة في قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لا آدم فكانت الطاعة لله والسجدة لا آدم اكرم الله آدم ان اسجد له ملائكته وقال بعض الناس كان هذا سجود شامة وسلام واكرام كما قال تعالى ورفع ابويه على العرش وخر والله سجدا وقال يا ايت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد كان هذا مشروعا في الامم الماضية ولكنه نسخ في ملتنا قال معاذ قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لاساقنتهم وعلمائهم فانت يا رسول الله احق ان يسجد لك فقال لا لو كنت امر ابشر ان يسجد لبشر لا امرت المرأة ان تسجد لزوجه من عظم حقه عليها ورجحه

الى ان الهمزة مقدمة من تأخير لان اليها الصدر والتقدير فأتطمعون وألا يعلمون وثم اذا وذهب الرخصى الى انها اذا اخذ على محذوف دل عليه سياق الكلام والتقدير هنا أتسمعون أخبارهم وتعلمون أخبارهم فتنطمعون (أن يؤمنوا الكفر) مع أنهم لم يؤمنوا بموسى هذا الاستفهام فيه معنى النكار كأنه أليس هم من ايمان هذه الفرقة من اليهود والخطاب لاصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأوله صلى الله عليه وآله وسلم والجمع للتعظيم (وقد كان فريق منهم) قيل المراد بالفريق هم الذين كانوا مع موسى عليه السلام يوم الميقات والفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه (يسمعون كلام الله) أى التوراة وقيل أنهم سمعوا خطاب الله لموسى عليه السلام حين كلمه وعلى هذا فيكون الفريق هم السبعون الذين اختارهم موسى (ثم يحرفونه) أى يغيرونه ويبدلونه والتحريف الامالة والتحويل وثم للترخي اما في الزمان أو في الرتبة والمراد من التحريف أنهم عدوا الى ما سمعوه من التوراة فجعلوا حلاله حراما وفجروا ذلك بما فيه موافقة لاهوائهم كتحريفهم صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واسقاط الحدود عن أشرفهم أو صنعوا كلام الله لموسى عليه السلام فزادوا فيه ونقصوا وهذا الخبر عن اصرارهم على الكفر وانكار على من طمع في ايمانهم وحالهم هذه الحال أى وليهم سلف حرفوا كلام الله وغيروا شرائعه وهم مقتدون بهم يتبعون سبيلهم (من بعد ما عقابوه) أى علموا صحة كلام الله وحراده فيه (وهم يعلمون) أى ذلك الذى فعلوه هو تحريف مخالف لما أمرهم الله به من تبليغ شرائعه كما هي فهمم وقعوا في المعصية عالمين بها وذلك أشد لعقوبتهم وأبين اضلالهم واعلم أن التوراة والانجيل اللذين عند اليهود والنصارى الآن اختلف فيهما هل هما مبتدآن ومحرران لفظا أو تأويلان فاما التوراة فأفطر فيها قوم وقالوا كلها أو جلها مبديل وذهبت طائفة من الفقهاء والمحدثين الى ان ذلك انما وقع في التأويل فقط كما صرح به البخارى واختاره الفخر الرازى وغيره لقوله تعالى قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين وهو أمر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بالاحتجاج بها والمبديل لا يتجبه به ولما اختلفوا في الرجم لم يكنهم تغيير آياته منها وتوسط طائفة وهو الحق فلو ابدل بعض منهم ما حرف لفظه وأول بعض منهم ما غير المراد منه وان لم يعط منها موسى لبني اسرائيل غير سورة واحدة وجعل ما عداها عند أولادهم فلم تزل عندهم حتى قتلوا عن آخرهم

الرازى وقال بعضهم بل كانت السجدة لله وآدم قبله فيها كما قال تعالى أقم الصلاة لذكرك الشمس وفي هذا التنظير في نظروا الاظهر أن القول الاول أولى والسجدة لا آدم اكراما واعظاما واحتراما وسلاما وهي طاعة لله عز وجل لانها امتثال لأمره تعالى وقد قواه الرازى في نفسه بوجه وضعف ما عدا من القولين الآخرين وهما كونه جعل قبله اذ لا يظهر فيه شرف والاخر أن المراد بالسجود الخضوع لا الاشياء ووضع الجبهة على الارض وهو ضعيف كما قال وقال قتادة في قوله تعالى فسجدوا لا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين حسد عدو الله ابليس آدم عليه السلام على ما أعطاه الله من الكرامة وقال أنا نارى وهذا طين وكان

بدء الذنوب الكبر استكبر عدو الله ان يسجد لآدم عليه السلام قلت وقد ثبت في الصحيح لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر وقد كان في قلب ابليس من الكبر والكفر والعناد ما اقتضى طرده وابعاده عن جناب الرحمة وحضرة القدس قال بعض المعربين وكان من الكافرين أى وصار من الكافرين بسبب امتناعه كما قال فكان من المغرقيين وقال فتسكونا من الظالمين وقال الشاعر
 يتباهون وقروا المطى كأنها قطا الحزن قد كانت فراخها يوضها

أى وقد صارت وقال ابن فورل تقديره وقد كان في علم الله من الكافرين (١٣٣) ورجحه القرطبي وذكره هنام سئل

فقال قال علماؤنا من أظهر الله على يديه من ليس بنبي كرامات وخوارق للعبادات فليس ذلك إلا على ولايته خلافا لبعض الصوفية والرافضة هذا الفقه ثم استدلل على ما قال بأننا لا نقطع بهذا الذى جرى الخارق على يديه أنه يوافي الله بالإيمان وهو لا يقطع لنفسه بذلك يعنى والولى هو الذى يقطع له بذلك فى نفس الامر قلت وقد استدلل بعضهم على ان الخارق قد يكون على يدى غير الولي بل قد يكون على يد الساجر والكافر أيضا بما ثبت عن ابن صياد انه قال هو الدخ حين خبأه رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين و بما كان يصدر عنه انه كان يلا الطريق اذا غضب حتى ضربه عبد الله بن عمرو بما ثبت به الاحاديث عن الدجال بما يكون على يديه من الخوارق الكثيرة من أنه يأمر السماء ان تطر فتمطر والارض ان تنبت فتنب وتنبه كنوز الارض مثل الياسيب وأنه يقتل ذلك الشاب ثم يحييه الى غير ذلك من الامور الموهولة وقد

فى وقعة يجتنبه و بعد ذلك جمع عزير بعضا منها من حفظها فهو الذى عندهم اليوم وليس أصلها وفيه زيادة ونقص وخلاف ترجمة وتأويل وأما الانجيل فقمه تبديل وتحرير فى بعض ألفاظه ومعانيه وهو مختلف النسخ والاناجيل أربعة كما فصله بعضهم فى كتاب عقده لذلك سماه المسمى فى التوحيد (واذا القوا الذين آمنوا قالوا آمنا) نزلت فى اليهود قال ابن عباس ان منافق اليهود كانوا اذا القوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا لهم آمنا بالذى آمنتم به وان صاحبكم صادق وقوله حق وانا نجحدنعه وصفته فى كتابنا (واذا خلا بعضهم الى بعض) يعنى كعب بن الاشرف وكعب بن أسد وهب ابن يهودار وساء اليهود لا وامنافق اليهود على ذلك وعن عكرمة انه انزلت فى ابن صوريا و (قالوا أئمتد ثوبهم بما فتح الله عليهم) وذلك ان ناسا من اليهود أسلموا ثم نافقوا فكانوا يحدون المؤمنين من العرب بما عذب به اباؤهم وقيل ان المراد ما فتح الله عليهم فى التوراة فى صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم والفتح عند العرب القضاء والحكم والفتاح القاضى بلغته المن والفتح النصر ومن ذلك قوله تعالى يستفتحون على الذين كفروا وقوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ومن الاول ثم ينتج بيننا بالحق وهو خير الفاتحين أى الحاكمين ويكون الفتح بمعنى الفرق بين الشيعين وقيل معناه الانزال وقيل الاعلام أو التبيين أو المن أى ما من به عليكم من نصركم على عدوكم (ليحاجوكم به) أى ليخاصمكم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويحتجوا عليكم بقولكم فيقولون لكم قد أقررتم أنه نبي حق فى كتابكم ألا تتبعونه (عند ربكم) فى الدنيا والآخرة وقيل عند معنى فى وقيل عند ذكر ربكم والاول أولى والمحاجة ابراز الحجة أى لا تخبروهم بما حكم الله به عليكم من العذاب فيكون ذلك حجة لهم عليكم فيقولون نحن أكرم على الله منكم وأحق بالخير منه والحجة الكلام المستقيم وحاجت فلانا فحججته أى غلبته بالحجة (أفلا تعقلون) ما فيه الضرر عليكم من هذا التحديث الواقع منكم لهم وهذا من عام مقولهم ثم وبخهم الله سبحانه فقال (أولا يعلمون) أى اليهود (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) ما يخفون وما يسرون ويظهرون من جميع أنواع الاسرار وأنواع الاعلان ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان وتحرير الكلام عن مواضعه قال ابن عباس هذه الايات فى المنافقين من اليهود وقال أبو العالية ما يسرون من كفرهم بمحمد صلى الله عليه وآله

قال يونس بن عبد الاعلى الصد فى قلت للشافعى كان الليث بن سعد يقول اذا رأى يتم الرجل يشى على الماء يطير فى الهواء حتى تغروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة فقال الشافعى قصر الليث رحمه الله بل اذا رأى يتم الرجل يشى على الماء يطير فى الهواء فلا تغروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة وقد حكى الرازى وغيره قولين العلماء هل المأمور بالسجود لآدم خاص بملائكة الارض أو عام فى ملائكة السموات والارض وقد رجع كلامنا من القولين طائفة وظاهر الآية الكريمة العموم فبعد الملائكة كلهم أجعون الأبلش فهذه أربعة أوجه مقبولة للعموم والله أعلم (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلامنا عندنا حيث شئنا ولا تقر باهذه الشجرة فتسكونا من الظالمين فازلها الشيطان عنها فأخرجها مما كانا فيه وقالاهما

بعضكم بعض عدو ولكم في الارض مستقر وسع الى حين) يقول الله تعالى اخبارا عما كرم به ادم بعد ان اضر الملائكة بالجهنم فوجدوا ابليس انه اباحه الجنة يسكن منها حيث يشاء وياكل منها ما يشاء رغداً أي هنيئاً واسعاً طيباً وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه عن حديث محمد بن عيسى الدامغاني حدثنا سلمة بن الفضل عن مسكان بن عيسى عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله أرايت آدم أنبيا كان قال نعم نبيارسلوا يكلمه الله قبيلاً يعني عينا نادى فقال اسكن أنت وزوجك الجنة وقد اختلفت في الجنة التي أسكنها آدم أي في السماء أو في الارض فالأكثر على الأول وحكي القرطبي عن المعتزلة والقدرية القول بانهم في الارض وسيأتي (١٣٤) تقرير ذلك في سورة الاعراف ان شاء الله تعالى وسيأتي الآية يقتضي أن حواء خلقت قبل دخول آدم الجنة وقد

وسلم وتكذبهم وما يعلنون حين قالوا للمؤمنين آمنا وقد قال بعثل هذا جماعة من السلف (ومنهم أتيمون) أي ومن اليهود والاي منسوب الى الامة الامية التي هي على أصل ولادتهم من أمهاتهم لم تعلم الكتابة ولا تحسن القراءة للمكتوب ومنه حديث ان أمة أمة لا تكتب ولا تحسب وقال أبو عبيدة انما قبل لهم أميون لنزول الكتاب عليهم كما أنهم نسبوا الى أم الكتاب فكانت قال ومنهم أهل كتاب وقيل هم نصارى العرب وقيل هم قوم كانوا أهل كتاب فرفع كتابهم لذنوب ارتكبوها وقيل هم الجوس حكاية المهدوي وقيل غير ذلك والراجح الأول وقيل أميون أي عوام ومن هذا شأنه لا يطعم في أيامه (لا يعلمون الكتاب الا أماني) أي أنهم لا علم لهم به الا ما هم عليه من الاماني التي يتصورها ويعملون بها أنفسهم والاماني جمع امنية وهي ما يتناهى الانسان انفسه فهو لا يعلم لهم بالكتاب الذي هو التوراة لما هم عليه من كونهم لا يكتبون ولا يقرؤون المكتوب والاستثناء منقطع أي لكن الاماني ثابتة لهم من كونهم مغفور اليهم عما يدعون لانفسهم من الاعمال الصالحة أو بما لهم من السلف الصالح في اعتقادهم وقيل الاماني الا كاذب الخلق قاله ابن عباس أي ولكن يعتمدون أكاذب أخذوها تقليداً من المخرفين أو مواعيد فارغة سمعوها منهم من أن الجنة لا يدخلها الا من كان هودا وقيل الاماني التلاوة ومنه قوله تعالى الا اذا نطق الشيطان في امنيته أي اذا نطق الشيطان في تلاوته أي لا علم لهم الا بمجرد التلاوة من دون تفهم وتدبر وقراءة عارضة عن معرفة المعنى وقيل الاماني التقدير قال الجوهرى يقال منى له أي قدر قال في الكشاف والاشتقاق من منى اذا قدر لان المتنى يقدر في نفسه ويحزم ما يتناهى وكذلك الخلق والقارئ يقدران كلمة كذا بعد كذا انتهى وقيل هو من التنى وهو قولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودة وغير ذلك مما تنموه والمعنى لكن يتنمون أشياء لا تحصل لهم (وان هم الا يظنون) أي ليسوا على يقين والظن هو التردد والراجح بين طرفي الاعتقاد الغير الحازم كذا في القاموس أي ما هم الا يترددون بغير حزم ولا يقين وقيل الظن هنا بمعنى التكذب وقيل هو مجرد الحدس لما ذكر الله سبحانه أهل العلم بأنهم غير عاملين بل يحرفون كلام الله من بعد ما عقولهم وهم يعملون ذكر أهل الجهل منهم بأنهم يتكلمون على الاماني ويعتمدون على الظن الذي لا يقفون من تقليد هم على غيره ولا يظفرون بسواه (فويل للذين يكتبون الكتاب

صرح بذلك محمد بن اسحق حيث قال لما فرغ الله من معاذة ابليس أقبل على آدم وقد علمه الاسماء كلها فقال يا آدم أتنبههم بأسمائهم الى قوله انك أنت العليم الحكيم قال ثم ألقيت السنة على آدم فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم عن ابن عباس وغيره ثم أخذ ضلعاً من أضلاعه من شقه الايسر ولا مكانه لحماً وادم نائم لم يرب من نومه حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء فسواها امرأة ليسكن اليها فلما كشف عنه السنة وهب من نومه رآها الى جنبه فقال فيا رب نعم والله أعلم لحى ودمى وزوجتى فسكن اليها فلما روجه الله وجعل له سكناً نفسه قال له قبيلاً يا آدم اسمك أنت وزوجك الجنة وكلا من رعدا حيث شئتما ولا تقر يا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ويقال ان خلق حواء كان بعد دخول الجنة كما قال السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من

الصحابه أخرجه ابليس من الجنة وأسكن ادم الجنة فكان يعيش فيها وحيداً ليس له زوج يسكن اليه فنام نومة فاستمط وعنده رأسه امرأة فاعده خلقها الله من ضلعه فسأها ما أنت قالت امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن الى قالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه ما اسمها يا آدم قال حواء قال انها خلقت من شيء عني قال الله يا آدم اسمك أنت وزوجك الجنة وكلا من رعدا حيث شئتما وأما قولها ولا تقر يا هذه الشجرة فهو اختيار من الله تعالى وامتحان لا دم وقد اختلف في هذه الشجرة ما عني فقال السدي عن حماد بن عيسى عن ابن عباس الشجرة التي نهي عنها آدم عليه السلام هي الكرم وكذا قال سعيد بن جبير والسدي والبيهقي وجعدة بن هبيرة ومحمد بن قيس وقال السدي أيضاً في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن

عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة ولا تقر بأهذه الشجرة هي الكرم وترتفع بهم ودانها الخنطة وقال ابن جرير وابن أبي حاتم حدثنا محمد بن اسمعيل بن شعرة الاحمسي حدثنا أبو يحيى الجاني حدثنا أبو الضمير أبو عمر الخزاز عن عكرمة عن ابن عباس قال الشجرة التي نهى عنها آدم عليه السلام هي السنبلة وقال عبد الرزاق أنبأنا ابن عيينة وابن المبارك عن الحسن بن عمار عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال هي السنبلة وقال محمد بن اسحق عن رجل من أهل العلم عن حجاج عن مجاهد عن ابن عباس قال هي البر وقال ابن جرير وحدثني المثنى بن ابراهيم حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا القاسم حدثني رجل من بني تميم ان ابن عباس كتب الى أبي الجليل يسأله عن الشجرة التي أكل منها آدم (١٣٥) والشجرة التي تاب عندها آدم فكتب اليه

أبو الجليل سألتني عن الشجرة التي نهى عنها آدم وهي السنبلة وسألتني عن الشجرة التي تاب عندها آدم وهي الزيتون وكذلك فسره الحسن البصري ووهب بن منبه وعطية العوفي وأبو مالك ومحارب بن ثثار وعبد الرحمن بن أبي ليلى وقال محمد بن اسحق عن بعض أهل اليمن عن وهب بن منبه انه كان يقول هي البر ولكن الحبة منها في الجنة ككلا البقر وألين من الزبد وأحلى من العسل وقال سفيان الثوري عن حصين عن أبي مالك ولا تقر بأهذه الشجرة قال النخلة وقال ابن جرير عن مجاهد ولا تقر بأهذه الشجرة قال التينة وبه قال قتادة وابن جرير وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية كانت الشجرة من أكل كل منها أحدث ولا ينبغي ان يكون في الجنة حدث وقال عبد الرزاق حدثنا عمر بن عبد الرحمن بن مهران قال سمعت وهب ابن منبه يقول لما سكن الله آدم وزوجته الجنة ونهاه عن أكل الشجرة وكانت شجرة عصونها

بأيديهم) الويل الهلاك قال القراء الاصل في الويل وي أي حزن كما تقول وي لفلان أي حزن له فوصلته العرب باللام قال الخليل ولم يسمع على بناءه الا وبيع وويس وويه وويك وويب وكاه متقارب في المعنى وقد فرق بينهما قوم وهي مصادر لم تنطق العرب بأفعالها وجازا لا تبدأ به وان كان نكرة لان فيه معنى الدعاء وقال ابن عباس الويل شدة العذاب وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الويل واد في جهنم وي في الكفار أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره أخرجه الترمذي وقال حديث غريب والتحريف السنة والكتابة معروفة والمعنى انهم يكتبون الكتاب المحرف ولا يبينون ولا ينكرونه على فاعله أو ما يكتبونه من التأويلات الزائفة وقوله بأيديهم تأكد لان الكتابة لا تكون الا باليد فهو مثل قوله ولا طائر يطير بجناحه وقوله يقولون بافواههم قال ابن السراج هو كتابة عن أنه من تلقا ثم دون ان ينزل عليهم وفيه أنه قد دل على أنه من تلقا ثم قوله يكتبون الكتاب فاسناد الكتابة اليهم في ذلك (ثم يقولون هذا) أي جميعا على الاول وبخصوصه على الثاني وثم للتراخي الرتبة فان نسبة المحرف والتأويل الزائغ الى الله سبحانه صريحا أشد شناعة من نفس التحريف والتأويل (من عند الله ليشتروا به) أي بما كتبوا (ثم اقليل) أي المأكل والرشاء والاشتراء الاستبدال ووصفه بالقليل لكونه فانيا لا ثواب فيه أو لكونه حراما لا تحل به البركة فهو لاء الكتابة لم يكتبوا بالتحريف ولا بالكتابة لذلك المحرف حتى نادوا في المحافل بانه من عند الله لينالوا به المعاصي المتكررة هذا العرض التزوي والعوض الخفية واستدل به النبي على كراهة كتابة المحف بالاجرة (فويل لهم مما كتبت أيديهم) تأكيد لقوله ويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ومع ذلك فيه نوع مغايرة لان هذا وقع تعليلا فهو مقصود وذلك وقع صلة فهو غير مقصود والكلام في هذا كالذي فيما قبله من جهة أن التكرير للتأكييد (فويل لهم مما يكتبون) قيل من الرشاء ونحوها وقيل من المعاصي وكررا الويل تغليظا عليهم وتعظيما لفعالهم وحثا لاستئثارهم وقال السعد التقطازاني انما كرر لفيد أن الهلاك مرتب على كل واحد من الفعلين على حدة لا على مجموع الامرين والتكسب مسبب بخفاء النظم على هذا الترتيب وقد ذكر صاحب الدر المنثور أنار عن جماعة من السلف أنهم كرهوا بيع المصاحف مستبدلين بهذه الآية

متشعب بعضهم من بعض وكان لها ممر تأكله الملائكة لخلدهم وهي الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته فهذه أقوال ستمت في تفسير هذه الشجرة قال الامام العلامة أبو جعفر بن جرير رحمه الله والصواب في ذلك ان يقال ان الله عز وجل شأوه مني آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها فأكل منها ولا علم عندنا بأي شجرة كانت على التعيين لان الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك في القرآن ولا من السنة الصحيحة وقد قيل كانت شجرة البر وقيل كانت شجرة العنب وقيل كانت شجرة التين وجاز ان تكون واحدة منها وذلك علم اذا علم لم تنفع العلم به علمه وان جهل جاهل لم يضربه جهله به والله أعلم وكذلك رجع الابهام الرازي في تفسيره وغيره وهو الصواب وقوله تعالى فأزلهما الشيطان عنها ليصبح ان يكون الضمير في قوله عن عاذه الى الجنة فيكون

معنى الكلام كما قرأتم فان الله ما يفتحها ما يصح ان يكون عائداً على اقرب المذكورين وهو الشجرة فيكون معنى الكلام كما
 دل الحسن وقتاً قد اقرأتم من قبل ان فعل هذا يكون تقدير الكلام فان الله الشيطان عن أي سببها كما قال تعالى يؤمن
 عنه من انك أي بصرف سبيد من حوماً قد سألنا هذا قال تعالى فأنجزهم ما كانا فبه أي من اللباس والمثل والرحب والرزق التي
 والراحة وقلنا اشدوا بعضكم لبعض عدو ولو كنتم مستقروا لم نكن فيكم من غيرنا الى حين أي قراراً وازقوا الى حين أي الى وقت مؤقت
 ومقدار معين ثم تقوم القيامة وقد ذكر المفسرون من السلف كالسدي بأسانيد وآي العلية وهب من منبه وغيرهم ههنا أخباراً
 امراً ايلية عن قصة الجنة واليس وكيف (١٣٦) جرى من دخول ابليس الى الجنة وسوسته وسبب ذلك ان شاء الله في

ولاد لاله فيم على ذلك ثم ذكر آثاراً عن جماعة منهم أنهم جوزوا ذلك ولم يكرهوه (وقالوا)
 أي اليهود (لن نؤمن) أي تصدينا (الدار الا أياماً معدودة) استثناء مفرغ أي قدرنا
 مقدراً يحصرها العدد ويلزمها في العادة القلة ثم رفع عنا العذاب وقد اختلف في سبب
 نزول هذه الآية قال ابن عباس ان اليهود كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة
 وانما عذب بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً في النار وانما هي سبعة أيام معدودة
 ثم نفع العذاب فانزل الله في ذلك هذه الآية وعن عكرمة قال اجبعت يهود يوماً
 نخاصه والنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا لن نؤمن النار الا أربعين يوماً ثم اختلفنا فيها
 ناس وأشاروا الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم وردي على رأسه كذبتم بل أنتم خلدون تخلدون فيها لا تختلفكم فيها ان شاء الله
 أبداً فقام نزلت هذه الآية وأخرج أحمد والبخاري والدارقطني والنسائي من حديث أبي
 هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سأل اليهود في خبر من أهل النار قالوا ان يكون
 فيها يسير انتم تخلفون فاقبل الله من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اخسئوا والله
 لا تختلفكم فيها أبداً والمراد بقوله (قل ان اتخذتم عند الله عهداً) الانكار عليهم لما صدر
 منهم من هذه الدعوى الباطلة أنهم ان تسبهم النار الا أياماً معدودة أي لمية تدم لكم مع الله
 عهدهم هذا ولا أسلفتم من الاعمال الصالحة ما يصدق هذه الدعوى حتى يتعين الوفاء بذلك
 وعدم اخلاف العهد أي ان اتخذتم عهداً (قلن يخلف الله عهداً) هذا جواب
 الاستفهام المتقدم في قوله اتخذتم وقال ابن عطية هذا اعتراض بين أثناء الكلام قال
 الرازي العهد في هذا الموضع يجري مجرى الوعد وانما سمي خبره سبحانه عهد الان خبره
 أو كرم من اليهود المؤكدة (أم تقولون) أم متصلة وحينئذ الاستفهام للتقرير المؤدى
 الى التبكيت أو منقطعة والاستفهام لانكار الاتخاذ ونفيه (على الله ما لا تعلمون بل)
 اثبات لما بعد حرف النفي مختص به خبراً واستفهاماً أي بل تمسكم النار أبداً لا على الوجه
 الذي ذكرتم من كونه أياماً معدودة (من كسب سيئة) المراد بها الخس ههنا ومنه ما روي
 تعالى وجزاء سيئة سيئة لها ومن يعمل سوءاً يجز به ثم أوضح سبحانه ان مجرد كسب السيئة
 لا يوجب الخلود في النار بل لابد ان يكون سببه محبة طابه فقال (وأطاط به خطيئته)
 أي أحاطت به من جميع جوانبه فلا تبقى له حسنة وسدت عليه مسالك النجاة قبل هي

سريرة الاعراف نيننا القصة أبسط
 منها احبنا والله الموفق وقد قال ابن
 أبي حاتم ههنا حدثنا علي بن الحسن
 ابن اشكاب حدثنا علي بن عاصم
 عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة
 عن الحسن عن أبي بن كعب قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ان الله خلق آدم رجلاً طوالاً كبيراً
 شعر الرأس كأنه شملة سموق فلما
 ذاق الشجرة سقط عنه لباسه فأول
 ما بدا منه عورته فلما انظر الى عورته
 جعل يشتد في الجنة فأخذت شعره
 شجرة فثاها فثاها الرجن يا آدم
 متى ترفل مع كلام الرجن قال
 يارب لا والله استحياء قال
 وحديثي جعفر بن أحمد بن الحكم
 القرشي سنة أربع وخمسين ومائتين
 حدثنا سليمان بن منصور بن عمار حدثنا
 علي بن عاصم عن سعيد عن قتادة
 عن أبي بن كعب قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لما ذاق آدم
 من الشجرة فثر ناراً فثقت شجرة
 بشعره فنودي يا آدم أفرار أمي قال
 بل حياء منك قال يا آدم اخرج من
 جنواي فبعزتي لا يساكني فيها
 من عصائي ولو خلقت مثلك ملاء

الارض خلقتهم عصوني لا سكنتم دار العاصين هذا حديث غريب وفيه اذعان بل اعضاء بين قتادة وأبي بن كعب الشريك
 رضي الله عنه وقال الحاكم حديثاً أبو بكر بن باكويه عن محمد بن أحمد بن النضر عن معاوية بن عمرو عن زائدة عن عمار بن أبي معاوية
 الجبلي عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال ما أسكن آدم الجنة الا ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس ثم قال صحيح على شرح
 الشيخين ولم يخرجاه وقال عبد بن جعفر في تفسيره حدثنا روح عن هشام عن الحسن قال لبث آدم في الجنة ساعة من نهار تلك
 الساعة ثلاثون ومائة سنة من أيام الدنيا وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس قال خرج آدم من الجنة للساعة التاسعة
 أو العاشرة فأخرج آدم معه عصاً من شجر الجنة على رأسه تاج من شجر الجنة وهو الاكليل من ورق الجنة وقال السدي قال الله

أهبطوا منها جميعاً فهبطوا ونزل آدم بالهند ونزل معه الحجر الأسود وقبضة من ورق الجنة فبشبه بالهند فنبئت شجرة الطيب فأعما
أصل ما يجاء به من الطيب من الهند من قبضة الورق التي هبط بها آدم وأما قبضتها آدم أسفا على الجنة حين أخرج منها وقال عمران
ابن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أهبط آدم بدحنا أرض بالهند وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو
زرعة حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جري عن عطاء عن سعيد عن ابن عباس قال أهبط آدم عليه السلام إلى أرض يقال لها دحنا
بين مكة والطائف وعن الحسن البصري قال أهبط آدم بالهند وحواً بمجدة وابليس بدستيسان من البصرة على أميال
وأهبطت الجنة بأصهان رواء ابن أبي حاتم وقال محمد بن أبي حاتم (١٣٧) حدثنا محمد بن عمار بن الحرث حدثنا محمد بن
سعيد بن سابق حدثنا عمر بن أبي

الشرك قاله ابن عباس ومجاهد وقيل هي الكيكة وتفسيرها بالشرك أولى لما ثبت في
السنة توأما من خروج عصاة الموحد من النار ويؤيد ذلك كونها نازلة في اليهود وان
كان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وعليه إجماع المفسرين وبهذا يطل
تثبت المعتزلة والخوارج قال الحسن كل ما وعد الله عليه النار فهو الخطيئة استد
به على أن المعلق على شرطين لا ينبغي بأحدهما (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)
والخوارج في النار هو للكفار والمشركين فيتعين تفسير السيئة والخطيئة في هذه الآية
بالكفر والشرك (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي جعوا بين الإيمان والعمل الصالح
فإن قلت لودل الإيمان على العمل لكان ذكر العمل الصالح بعد الإيمان تكراراً قلت
آمنوا يفيد الماضي وعملوا يفيد المستقبل فكانه قال آمنوا ثم داموا عليه آخر ويدخل
فيه جميع الأعمال الصالحة (وأولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) لا يخرجون منها
ولا يموتون وأتى بالقاف في الشق الأول دون الثاني أيداً ياتسبب الخلود في النار عن الشرك
وعدم تسبب الخلود في الجنة عن الإيمان بل هو بمحض فضل الله تعالى (وإذا أخذنا)
الخطاب مع بني إسرائيل وهم اليهود المعاصرون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بما وقع من
أسلافهم توخيهم بسوء صنيع أسلافهم أي أذكروا إذا أخذنا مناسقهم وقيل الخطاب
لنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين والأول أولى لأن المقام مقام تذكيرهم وهذا
شروع في تعدد بعض آخر من قبائح أسلاف اليهود بما ينادي بعدم إيمان أخلافهم
ليؤذيمهم التأمّل في أحوالهم إلى قطع الطمع في إيمانهم (ميشاق بني إسرائيل) الذين كانوا
في زمن موسى وقد تقدم تفسير المشاق المأخوذ على بني إسرائيل وقال مكي إن المشاق
الذي أخذته الله عليهم هنا هو ما أخذته عليهم في حياتهم على ألسن أنبيائهم وهو قوله
(لا تعبدون إلا الله) خبر بمعنى النهي وهو أبلغ من صريح النهي لما فيه من الاعتناء بشأن
النهي عنه وتأمّل كد طلب امتثاله حتى كأنه امتثل وأخبر عنه وعبادة الله أثبات توحيد
وتصديق رسله والعمل بما أنزل الله في كتبه (وبالوالدين إحساناً) أي معاشرتهم
بالمعروف والتواضع لهم ما واثمال أمرهم ما وسأثمراً وأوجب الله على الولد للوالديه من
الحقوق ومنه البر بهما والرحمة لهما والزول عند أمرهما فيما لا يخالف أمر الله
ويوصل إليهما ما يحتاجان إليه ولا يؤذيمهما وإن كانا كافرين وأن يدعوهم إلى الإيمان

سعيد بن سابق حدثنا عمر بن أبي
قيس عن الزبير بن عدي عن ابن
عمر قال أهبط آدم بالصفا وحواً
بالمروة وقال رجاء بن سلمة أهبط آدم
عليه السلام بدهاء على ركبته
مطاطراً رأسه وأهبط ابليس مشبكاً
بين أصابعه رافعاً رأسه إلى السماء
وقال عبيد الرزاق قال معمر
أخبرني عوف عن قدامة بن زهير عن
أبي موسى قال إن الله حين أهبط آدم
من الجنة إلى الأرض علمه صنعة كل
شيء وزوده من ثمار الجنة فشاركهم
هذه من ثمار الجنة غير أن هذه تتغير
وتلك لا تتغير وقال الزهري عن
عبد الرحمن بن هزاع الأعرج عن أبي
خريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس
يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل
الجنة وفيه أخرج منها رواء مسلم
والنسائي وقال الرازي أعلم أن في
هذه الآية تهديد أعظم من كل
المعاصي من وجوه الأول أن من
تصور ما جرى على آدم بسبب إقدامه
على هذه الزلة الصغيرة كان على وجل
شديد من المعاصي قال الشاعر
يا ناظر أيرنو بعيني راقد
ومشاهد الأمر غير مشاهد

(١٨ ل - فتح البيان) تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي * درج الجنان ونيل فوز العابد أنسيت ربك حين أخرج آدم
منها إلى الدنيا بذنب واحد قال ابن القيم ولكننا سبي العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم قال الرازي عن فتح الموصلي
أنه قال كما قوم من أهل الجنة فسمانا ابليس إلى الدنيا فليس لنا إلا الهمة والحزن حتى نرد إلى الدار التي أخرجنا منها فإن قيل فإذا كانت
جنة آدم التي أخرج منها في السماء كما يقوله الجمهور ومن العلماء فكيف تمكن ابليس من دخول الجنة وقد طرد من هناك طرداً
قدرياً والقدرى لا يخالف ولا يمانع فالجواب أن هذا بعينه استدلال به من يقول إن الجنة التي كان فيها آدم في الأرض لا في السماء
كما بدسطننا هذا في أول كتابنا البداية والنهاية وأجاب الجمهور بأجوبة أحدها أنه منع من دخول الجنة مكرماً فاما على وجهه

السرقوا الا هانة فلا يتنع ولهذا قال بعضهم كما جاء في التوراة انه دخل في فم الحية الى الجنة وقد قال بعضهم يحتمل انه وسوس لهم ما هو خارج باب الجنة وقال بعضهم يحتمل انه وسوس لهم ما هو في الارض وهذا في السماء ذكرها الزنجشري وغيره وقد اورد القرطبي ههنا أحاديث في الحيات وقتلهم وبين حكم ذلك فأجاد وأفاد (فقلني آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) قيل ان هذه الكلمات مفسرة بقوله تعالى قال لا ينظمن أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وروى هذا عن مجاهد وسعيد بن جبيرة وأبي العالية والريبع بن أنس والحسن وقتادة وشهد بن كعب القرظي ومالك بن معمر بن عطاء الخراساني وعبد الرحمن بن زيد (١٣٨) بن أسلم وقال أبو اسحق السبيعي عن رجل من بني تميم قال آتت ابن عباس فسأله

ما الكلمات التي تلى آدم من ربه قال علم شأن الحج وقال سفيان النوري عن عبد العزيز بن رفيع أخبرني من سمع عبيد بن عباس يروى رواية قال أخبرني مجاهد عن عبيد بن عمير أنه قال قال آدم يارب خطيئتي التي أخطأت شيء كذبته على قبل أن تخلقني أو شيء استدعته من قبل نفسي قال بل شيء كذبته عليك قبل أن أخلقك قال فكما كذبته على فأعزني قال فذلك قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وقال السدي عن حماد عن ابن عباس فتلقى آدم من ربه كلمات قال قال آدم عليه السلام يارب ألم تخطئني يدي قبل له بلي ونفقت في من رويك قبل له بلي وعطست فقلت برحمتك الله وسبقت رحمتك غضبك قبل له بلي وكنت على أن أعمل هذا قبل له بلي قال أرايت ان تبذل أنت راجعي الى الجنة قال نعم وهكذا رواد العوفي وسعيد بن جبيرة وسعيد بن معبد عن ابن عباس بنحوه ورواد الحاكم في مستدركه من حديث ابن جبيرة عن ابن عباس وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه

بالرفق واللين وكذا ان كانا ذاتين يأمرهما بالمعروف من غير عنف ولا يقول لهما أف (وذى القربى) أى القرابة عطف على الراديين لأن حقهما تابع لحقهما والاحسان اليهم انما هو بواسطة الوالدين والقربى مصدر كالرحمى والعقبى وهم القرابة والاحسان بهم صلتهم والقيام بما يحتاجون اليه بحسب الطائفة وتدر ما تبلغ اليه القدرة (والنباي) جمع نبيم واليتيم في بني آدم من فقد أبوه وفي سائر الميودانات من فقدت أمه وأصله الانفراد يقال سبي يتيما أى مشرد من أبيه فاذا بلغ الحلم زال عنه اليتيم وتجب رعايته حتى يتيم لثلاثة أشهر وانغمر وتغمر عنه من يتيم بمسكته اذا لم يتدرشوا ان يقتنع بنفسه ولا يتوم بمشوائه (والناسكين) جمع مسكين وعوم من أسكته الحاجة وذلك وهو أشد فقر من الفقير عند أكثر أهل اللغة وكثير من أهل اللغة وروى عن الشافعي أن الفقير أسوأ الناس المسكين وقد كثر عمل العلم لهذا البحث أدلة مستوفاة في مواضعنا (وقولنا للناس حسنا) أى قولنا حسنا حسنا مبالغة وتروى حسنا بنعتين وهى لغة أهل الحجاز وحسن بغير تنوين على انه مصدر كقوله شري والمراد به ما فيه فخلق وارشاده كما لا يخفى قال النحاس وهذا لا يجوز في العربية لا يقال من حسنا أى لا بالان واللام شعر النفس والكبرى والحسنى وهذا قول سيبويه وقرازي بن ثابت وابن مسعود وحسنا قال النحاس حسنا بمعنى واحد مثل الجعل والتجمل والرشو والرشد فيه وصفة منسوبة لا مصدر كما فهم من عبارة النحاس فسمي ما لا يسكر شيئا والظاهر أن هذا القول الذى أمرهم الله به لا يختص بروع معين بل كل ما صدق عليه انه حسن شرعا كان من جملة ما صدق عليه هذا الأمر وقد قيل ان ذلك هو كلمة التوحيد وقيل الصدق وقيل الأمر بالمعروف وقيل هو الثابت في الأول والعشر فوجسنا الحسن والنهي عن المنكر وقيل غير ذلك قيل ان الخطاب للعالمين من الميرودى زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلهذا عدل عن الغيبة الى الخطاب كذا ابن عباس وقيل ان الخطاب به هم الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام وانما عدل من الغيبة الى الخطاب على ما روي في الالتفات وتقدم تفسير قوله (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وهو خطاب لبني اسرائيل فالمراد بالصلاة أى كذا يابلونها والزكاة التى كنزها يخرجونها قال ابن عطية ستر ذكائهم شىء الذى كانوا يكتسبونها فتنزل النار على ما قبل ولا تنزل على ما لا يتقبل والخطاب فى قوله (ثم يقيمون) قيل انما شري

وهكذا فسره السدي وعطية العوفي وقد روى ابن أبي عمير هذا الحديث عن ابن عباس بنحوه حديثا عن ابن عباس عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آدم عليه السلام أرايت يارب ان تبذل هذا الوجه وفيه انقطاع وقال أبو اسحق الرازي عن الريبع بن أنس عن أبي العالية فى قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه قال ان آدم لما أصاب الخطيئة قال أرايت يارب ان تبذل وأصلحت قال الله اذا أخطأنا الجنة فليس الكلمات ومن الكلمات أيضا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقال ابن أبي شيبة عن مجاهد انه كان يقول فى قول الله تعالى فتلقى

آدم من ربه كليات فتاب عليه قال الكلمات اللهم لا اله الا انت سبحانك و بحمدك رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين
 اللهم لا اله الا انت سبحانك و بحمدك رب اني ظلمت نفسي فارحني انك خير الراحين اللهم لا اله الا انت سبحانك و بحمدك رب اني ظلمت
 نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم وقوله تعالى انه هو التواب الرحيم أي انه يتوب على من تاب اليه و اناب كقوله ألم يعلموا
 ان الله يقبل التوبة عن عباده و قوله ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه الآية وقوله ومن تاب وعمل صالحاً و غير ذلك من الآيات الدالة على
 أنه تعالى يغفر الذنوب و يتوب على من يتوب وهذا من لطفه بخلقه و رحمته بعبده لا اله الا هو التواب الرحيم (قلنا اهبطوا منها جميعاً
 فاما يا نيكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (١٣٩) والذين كفروا و كذبوا باياتنا أولئك

أصحاب النار هم فيها خالدون)
 يقول تعالى مخبراً عما أئذ به آدم و زوجته و ابليس حين أهبطهم
 من الجنة و المراد الذرية أنه سينزل
 الكتب و يبعث الانبياء و الرسل
 كما قال أبو العليسة الهدي الانبياء
 و الرسل و البينات و البیان و قال
 مقاتل بن حيان الهدي محمد صلى
 الله عليه وسلم و قال الحسن الهدي
 القرآن و هذان القولان صحيحان
 و قول أي العالسة أعم فمن اتبع
 هداي أي من أقبل على ما أنزلت به
 الكتب و أرسلت به الرسل فلا
 خوف عليهم أي فيما يستقبلونه
 من أمر الآخرة و لا هم يحزنون على
 ما فاتهم من أمور الدنيا كما قال في
 سورة طه قال اهبطوا منها جميعاً
 بعضهم لبعض عدو فاما يا نيككم
 مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل
 و لا يشقى قال ابن عباس فلا يضل
 في الدنيا و لا يشقى في الآخرة و من
 اعرض عن ذكرى فان له معيشة
 ضنكا و فحشره يوم القيامة أعمى
 كما قال ههنا و الذين كفروا و كذبوا
 باياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها
 خالدون أي يخلدون فيها لا يحد

منهم في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم مثل سلفهم في ذلك وفيها التفات من
 الغيبة الى الخطاب أي أعرضتم عن العهد و من قوائد الالتفات تطرية الكلام و صيانة
 السمع عن الخبر و الملل لما جلبت عليه النفوس من حب التقلات و السآمة من
 الاستمرار على منوال واحد كما هو مقر في محله و الاعراض و التولي بمعنى واحد و قيل
 التولي بالجسم و الاعراض بالقلب (الا قليلا منكم) منصوب على الاستثناء و هو من
 أقام اليهودية على وجهها قبل النسخ و من أسلم منهم كعبد الله بن سلام و أصحابه (وأنتم
 معرضون) كما عارض آبائكم أمرهم الله تعالى بهذه التكاليف الثمانية لتكون لهم
 المنزلة عنده بما التزموا به ثم أخبر عنهم أنهم ما وفوا بذلك (وإذا أخذنا منكم) قيل
 هو خطاب لمن كان في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من اليهود و المراد اسلافهم
 المعاصرون لموسى على سنن التد كبريات السابقة و هذا شروع في بيان ما فعلوا بالعهد
 المتعلق بحقوق العباد بعد بيان ما فعلوا بالعهد المتعلق بحقوق الله و ما يجرى مجراها و قيل
 لا بآتهم وفيه تفریع لهم و توبيخ (لا تفسكون) أي لا تزيقون و السيفك الصب و قد
 تقدم (دماءكم) أي لا يفعل ذلك بعضكم ببعض أو لا تفسكوا دماء غيركم فيسفك
 دماءكم فكم سفكتم دماء أنفسكم فهو من باب المجاز بأدنى ملائمة أولانه
 بوجهه قصاصا فهو من باب اطلاق المسبب على السبب (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم)
 أي لا يخرج بعضكم بعضا من داره و قيل لا تفعلاوا شيئا فتخرجوا بسببه من دياركم و الدار
 المنزل الذي فيه أبنية المقام بخلاف منزل الارتحال و قال الخليل كل موضع حله قوم فهو
 دار لهم و ان لم يكن فيه أبنية و قيل سميت دارا لدورها على سكانها كما يسمى الحائط حائطا
 لاحاطته على ما يحويه (ثم أقررتم) من الاقرار أي حصل منكم الاعتراف بهذا الميثاق
 المأخوذ عليكم انه حق (وأنتم تشهدون) يا معشر اليهود الشهادة ههنا بالقلوب و قيل هي
 بمعنى الحضور أي انكم الآن تشهدون على أسلافكم بذلك و على هذا اسنادا لاقرار اليهم
 مجاز و كان الله سبحانه قد أخذ في التوراة على بني اسرائيل ان لا يقتل بعضهم بعضا و لا
 ينفقه و لا يسترقه (ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم و تخرجون فريقا منكم من ديارهم
 تظاهرون عليهم بالانغم و العدوان) أي أنتم هؤلاء الحاضرون المشاهدون تخالفون
 ما أخذ الله عليكم في التوراة و أصل المظاهرة المعاونة مستقمة من الظاهر لأن بعضهم

لهم عنها و لا يحصي و قد أورد ابن جرير ههنا حديثا سابقه من طريقين عن أبي سلمة سعد بن زيد عن أبي نضرة المذنب مالك بن
 بضعة عن أبي سعيد واسمه سعد بن مالك بن سنان الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أهل النار الذين هم أهلها فلا
 يموتون فيها و لا يحيون و لكن أقوام أصابهم النار بنحطايهاهم فأما قتلهم أمانة حتى اذا صاروا خفا أذن في الشفاعة و قد رواه مسلم
 من حديث شعبة عن أبي سلمة و ذكر هذا الاضطراب الثاني لما يتعلق به بعد من المعنى المغاير الاول و زعم بعضهم انه تأكيد و تكرير
 كما يقال قم قم و قال آخرون بل الاضطراب الاول من الجنة الى السماء الدنيا و الثاني من السماء الدنيا الى الارض و الصحيح الاول والله
 أعلم (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم و أوفوا بعهدكم و أياي فارهبون و آمنوا بما أنزلنا مصدقا

لما سمعكم ولا تكفروا أول كفر به ولا تشكروا بآياتي ثم أنقله لاواياي فاتقون) يقول تعالى أحرا بنى إسرائيل بالدخول في الإسلام
ومتابعدت محمد عليه من الله أفضل الصلاة والسلام ومنهجا لهم بذكر أيهم إسرائيل وهو بنى الله يعقوب عليه السلام وتندري بآتي
العبد الصالح المطمع لله كثر زامل أيكم في متابعة الحق كما تقول ابن الكرم أقبل كذا يا ابن النجاشي بارز لا بطل يا ابن العالم
اطلب العلم ونحو ذلك ومن ذلك أيضا قوله تعالى ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا فاسرائيل هو يعقوب بدليل سارواه
أنوداود الطيالى حدثنا عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب قال حدثني عبد الله بن عباس قال حضرت عصابة من اليهود بني
الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم هل تعلمون (١٤٠) ان اسرايل يعقوب قالوا اللهم نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم

يقوى بعضا فيكون له كالظهير ومنه قوله تعالى وكان الكافر على ربه ظهيرا وقوله
والملائكة بعد ذلك ظهير والمعنى تتعاونون عليهم بالمعصية والظلم والاثم في الاصل الذنب
وجعدا ثام ويطلق على الفعل الذي يستحق به صاحبه الذم واللوم وقيل هو ما تنفر منه
النفس ولا يطمئن اليه القلب والآية تحت مل ما ذكرنا وتحت مل ان يتجوز به عما وجب
الاثم اقامة للسبب مقام السبب والعدوان التجاوز في الظلم وهو مصدر كالكفران
والغفران والمشهور ضم فائه وفيه لغة بالكسر (وان يأتوكم) أي الفريق الذي
تخرجونه من داره وقت الحرب حال كونه (أسارى) جمع أسير وهو من يؤخذ تهرأ فصيل
بمعنى منفعول أو جمع أسرى وهو جمع أسير كرجى وجرى وبه قرأ جزء قال أبو حاتم ولا
يجوز أسارى وقال الزجاج يقال أسارى كما يقال سكارى قال ابن فارس يقال في جمع
أسير أسرى وأسارى انتهى فالعجب من أبي حاتم حيث ينكر ما ثبت في التنزيل وقراءة
الجمهور والاسر مشتق من السير وهو القدر الذي يشده النجل فسمى أسيرا لانه يشد وثاقه
ثم سمي كل أخيد أسيرا وان لم يشد (تفادوهم) أي بالمال وهو استنقاذهم بالشراء وقيل
تبادلهم وهو متفاداة الأسير والفداء هو ما يؤخذ من الأسير ليفك به أسره يقال فداء وفاداه
أعطى فداءه وأنقذه (وخو) ضمير الشأن ويسمى ضمير القصص ولا يرجع الاعلى ما بعده
وقائده الدلالة على تعظيم الخبر عنه وتفخيمه (محرم عليكم اخراجهم) قال المفسرون كان
الله سبحانه قد أخذ على بنى إسرائيل في التوراة أربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج
وترك المظاهرة وفداء أسراهم فأعرضوا عن كل ما أمروا به الا الفداء فوجبهم الله على ذلك
بقوله (أقيمون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) أي ان وجدتموهم في يد غيركم
فدعيتوهم وأنتم تقتلونهم بأيديكم فكان ايمانهم الفداء وكفروهم قتل بعضهم بعضا فذمهم
على مناقضة أفعالهم لانهم أتوا ببعض ما وجب عليهم وتركوا البعض وهذا هو مناط
التوبيخ حسب ما يفيد ترتيب النظم الكريم لأن من قضية الايمان ببعضه الايمان بالباقي
لكون الكل من عند الله داخلا في المشاق (فأجرا من يفعل ذلك منكم) يا معشر اليهود
(الآخرة في الحياة الدنيا) الخزي الهوان والعذاب وقد وقع هذا الجزاء الذي وعد الله به
الملاعين اليهود وموفر اقصاروا في خزي عظيم مما ألحق بهم من اذل والمهانة بالاسر والقتل
وضرب الجزية والجلد فكان خزي بنى قريظة القتل والسبي وخزي بنى النضير الاجلاء

اشهد وقال الأعمش عن اسمعيل بن
رجاء عن عمير مولى ابن عباس عن
عبد الله بن عباس ان اسرايل
كقولك عبد الله وقوله تعالى
واذكر وناعمتي التي أنعمت عليكم
قال مجاهد نعمة الله التي أنعم بها
عليهم فيمأسى وفيما سوى ذلك
أن خبر لهم الحجر وأنزل عليهم المن
والسوى ونجاهم من عبودية آل
فرعون وقال أبو العالية نعمته ان
جعل منهم الانبياء والرسل وأنزل
عليهم الكتب قلت وهذا كقول
موسى عليه السلام لهم يا قوم
اذكر وناعمتي التي أنعمت عليكم
اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم
ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحد من
العالمين يعني في زمانهم وقال محمد
ابن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد
عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن
ابن عباس في قوله تعالى اذكروا
نعمتي التي أنعمت عليكم أي بلائي
عندكم وعند آبائكم لما كان
تجاههم به من فرعون وقومه وأوفوا
بعهدي أوف بعهدكم قال يعقوب
الذي أخذت في أعناقكم للنبي
صلى الله عليه وسلم اذا جاءكم أنبئ

لكم ما وعدتكم عليه من تصديقه واتباعه بوضع ما كان عليكم من الاصار والاغلال التي كانت في أعناقكم والتي
بذنو بكم التي كانت من احداثكم وقال الحسن البصري هو قوله تعالى ولقد أخذ الله مشاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر
نقيبا وقال الله اني دعيتكم إلى الصلاة وأنتم الازكاه وأمنتهم برسلي وأقرضت الله قرضا حسنا لا كفرن عنكم سيئاتكم
ولا دخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار الآية وقال اخرون هو الذي أخذ الله عليهم في التوراة انه سيعيث من بنى اسمعيل نيبا
عظيما يطاعه جميع الشعوب والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم فن اتبعه غفر الله له ذنبه وأدخله الجنة وجعل له آخرين وقد أورد
الرازي بشارات كثيرة عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال أبو العالية وأوفوا بعهدي قال عبيد الله

عباده دين الاسلام وان يتبعوه وقال الخصال عن ابن عباس أوف بعهدكم قال أرض عنكم وأدخلكم الجنة وكذا قال السدي والخصال وأبو العالية والريبع بن أنس وقوله تعالى وإياي فارهبون أي فاحشون قاله أبو العالية والسدي والريبع بن أنس وقتادة وقال ابن عباس في قوله تعالى وإياي فارهبون أي أن أنزل بكم ما أنزلت من كان قبلكم من آياتكم من النعمات التي قد عرفتم من المسيح وغيره وهذا انتقال من الترهيب إلى الترهيب فدعاهم إليه بالرغبة والرغبة لعلهم يرجعون إلى الحق واتبع الرسول صلى الله عليه وسلم والاتعاظ بالقرآن وزواجه وامتنال أو امره وتصديق أخباره والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ولهذا قال وآمنوا بما أنزلت. صدق ما معكم يعني به القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله (١٤١)

عليه وسلم النبي الأمي العربي بشيرا ونذيرا وسيرا جامعيا مشتملا على الحق من الله تعالى مصداق لما بين يديه من التوراة والإنجيل قال أبو العالية رحمه الله في قوله تعالى وآمنوا بما أنزلت مصداق ما معكم يقول يا معشر أهل الكتاب آمنوا بما أنزلت مصداق ما معكم يقول لأنهم يجحدون محمدا صلى الله عليه وسلم مكتوبا عنده في التوراة والإنجيل وروى عن مجاهد والريبع بن أنس وقتادة نحوه ذلك وقوله ولا تكونوا أول كافر به قال بعض المعربين أول فريق كافر به أو نحو ذلك قال ابن عباس ولا تكونوا أول كافر به وعندكم فيه من العلم ما ليس عند غيركم قال أبو العالية يقول ولا تكونوا أول من كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم يعني من حنككم أهل الكتاب بعد سماعكم ببعثه وكذا قال الحسن والسدي والريبع بن أنس واختار ابن جرير أن الضمير في قوله به عائد على القرآن الذي تقدم ذكره في قوله بما أنزلت وكلا القولين صحيح لأنهم ماتوا لأن من كفر بالقرآن فقد كفر بمحمد صلى الله

والنبي من منازلهم إلى أريحا وأذرع من أرض الشام (ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب) يعني النار لأنهم جاؤا بذهب شديد ومعصية فظيمة وهذا خبر من الله سبحانه بأن اليهود لا يزالون في عذاب موفر لازم لهم بالجزية والصغار والذلة والمهانة (وما الله بغافل عما تعملون) فيه وعيد وتهديد عظيم (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) بأن آثروها عليها لأن الجمع بين لذات الدنيا والآخرة غير ممكن فمن اشتغل بتحصيل لذات الدنيا فاتته لذات الآخرة قال قتادة استحبوا قليل الدنيا على كثير الآخرة (فلا يخفف عنهم العذاب) أبدا ماداموا (ولاهم نصرون) أي لا يمنعون من عذاب الله لا يوجد لهم ناصر يدفع عنهم ولا يثبت لهم نصر في أنفسهم على عدوهم (ولقد آتينا موسى الكتاب) أي أعطيناه التوراة بجلالة واحدة مفصلة محكمة شروعا في بيان بعض آخر من جناباتهم وتصديره بالجلالة القسمية لإظهار كمال الاعتناء به (وقفينا من بعده بالرسول) أي اتبعنا والتقمة الاتباع والارداق وهو أن يقفوا أثر الآخرة مأخوذ من القفا وهو مؤخر العنق والمراد أن الله سبحانه أرسل على أثره رسلا جعلهم تابعين له وكانت الرسل من بعده موسى إلى زمن عيسى متواترة يظهر بعضهم في أثر بعض والشرعية واحدة وهم أنبياء بنى إسرائيل المبعوثون من بعده كالموسى بن بابل والماس ومنشائل واليسع ويونس وزكريا ويحيى وشعيا وحزقييل وداود وسليمان وأرميا وهو الخضر وعيسى بن مريم فهو لاء الرسل بعثهم الله وأنخبهم من أمة موسى وأخذ عليهم ميثاقا غليظا أن يؤدوا إلى أمتهم صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصفة أمته وكانوا يحكمون بشريعة موسى إلى أن بعث الله عيسى فجاءهم بشريعة جديدة وغير بعض أحكام التوراة فذلك قوله (وآتينا عيسى بن مريم البينات) أي الدلائل الواضحات وهي الأدلة التي ذكرها الله في آل عمران والمائدة وهي الآيات التي وضع على يديه من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وخلقه من الطين كهية الطير وإبراء الأسماء والأخبار بكثير من الغيوب وما ورد عليه من التوراة والإنجيل الذي أحدث الله الله وقيل هي الإنجيل واسم عيسى بالسريانية إيسوع وعيسى بالسريانية بمعنى الخادم ثم سمي به فذلك لم يتصرف وفي لسان العرب هي المرأة التي تكبره مخالطة الرجال قال أبو السعد وهو بالعبرية من النساء كالزير من الرجال ووزنه مفعول إذا لم يثبت ففعل ذكر السيوطي في التفسير أن مدة ما بين موسى وعيسى ألف وتسعمائة

عليه وسلم ومن كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد كفر بالقرآن وأما قوله أول كافر به في معنى به أول من كفر به من بنى إسرائيل لأنه قد تقدم منهم من كفار قريش وغيرهم من العرب بشر كثير وإنما المراد أول من كفر به من بنى إسرائيل مباشرة فان اليهود المدينة أول بنى إسرائيل خوطبوا بالقرآن فكفروا به يستلزم أنهم أول من كفر به من جنسهم وقوله تعالى ولا تشتروا بها نفوسكم يقول لا تعاضوا عن الإيمان بما يأتي وتصديق رسولي بالدنيا وشهواتها فافهم أقليلة فأنه قال عبد الله بن المبارك أنبا ناعبد الرحمن ابن زيد بن جابر عن هرون بن يزيد قال سئل الحسن يعني البصري عن قوله تعالى ولا تشتروا بها نفوسكم يقول لا تعاضوا عن الإيمان بما يأتي وتصديق رسولي بالدنيا وشهواتها فافهم أقليلة فأنه قال عبد الله بن المبارك أنبا ناعبد الرحمن وقال ابن الهيثم حديثه عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قوله تعالى ولا تشتروا بها نفوسكم يقول لا تعاضوا عن الإيمان بما يأتي وتصديق رسولي بالدنيا وشهواتها فافهم أقليلة فأنه قال عبد الله بن المبارك أنبا ناعبد الرحمن

وان الثمن القليل الدنيا وشئونها. وقال السدي ولا تشتروا باي ثمن قليل يقول لا تأخذوا طمعا قليلا ولا تسبقوا اسم الله فذلك
الطمع هو الثمن. وقال أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالمة في قوله تعالى ولا تشتروا باي ثمن قليل يقول لا تأخذوا
عنده أجر قال وهو مكتوب عندهم في الكتاب الاول يا ابن آدم علم مجانا كما علمت مجانا. وقيل معناه لا تعترضوا عن البيان ولا يضاع
ونشر العلم النافع في الناس بالكتمان واللبس لتستروا على رياستكم في الدنيا القليلة الخفية الزائلة عن قريب وفي سنن أبي داود
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من
الدنيا لم يرح راحة الجنة يوم القيامة فأما تعليم (١٤٢) العلم بأجرة فان كان قد تعين عليه فلا يجوز أن يأخذ عليه أجرة

سنة وخمس وعشرون سنة (وأيدناه بروح القدس) التأييد التقوية وروح القدس
من اضافة الصفة الى الموصوف أي الروح المقدسة والقدس الطهارة والمقدس المظهر
قبل هو جبريل قاله ابن مسعود أيد الله به عيسى وسمي جبريل روحا وأضيف الى القدس
لأنه كان يتكلم في الله له من غير ولادة وقيل القدس هو الله عز وجل وروحه جبريل
وقيل المراد بروح القدس الاسم الذي كان يسمي به عيسى المسمى باسم الله الاعظم وقيل
المراد به الانجيل وقيل المراد به الروح المنفوخ فيه أي ما الله به لما فيه من القوة وقد ثبت
في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اللهم أيد حسان روح القدس وكان
جبريل يسير مع عيسى حيث سار فلم يفارقهما حتى صعد به الى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين
سنة (أفكلاما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم) أي بما لا يوافقها ولا يعاها وأصل الهوى
الميل الى الشيء قال الجوهري وسمى الهوى هوى لأنه يهوى بصاحبه الى النار وبجهم
الله سبحانه بهذا الكلام المعنون به مزة التوبيخ (استكبرتم) عن اجابته احتقار الارسل
واستبعاد الرسالة والسين رائدة للمبالغة (فقرىقا كذبتم وفريقا تقتلون) الفاء للتفصيل
ومن الفرق المكذبين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ومن الفرق المقتولين يحيى
وزكريا عليهما الصلاة والسلام وسائر من قتلوه (وقالوا قلوبنا غلف) جمع أغلف المراد به
خبا الذي عليه غشاوة تمنع من وصول الكلام اليه فلا يعي ولا يفقه قال في الكشف هو
سنة حار من الغلف الذي لم يحتج بقوله قلوبنا في آية ما تدعوننا اليه وقيل ان الغلف
جمع غلاف مثل حار وجراي قلوبنا أو عمية للعلم فباله لا تفهم عنك وقد وعينا علما
كثيرا فحين يستغنون بما عندنا عن غير قدر الله عليهم ما قالوه فقال (بل لعنهم الله
بكفرهم) أي طردهم وأبعدهم من كل خير وأصل اللعن في كلام العرب الطرد والابعاد
(فقل لا يؤمنون) وصف ايمانهم بالقلة لانهم الذين قص الله عليهم من عبادهم
ومحرفهم وشدة حاجتهم وبعدهم من اجابة الرسل ما قصه ومن جله ذلك انهم يؤمنون
بعض الكتاب ويكفرون ببعض وقال معبر المعنى لا يؤمنون الا بقليل مما في أيديهم
ويكفرون بأكثره قال الواقدي معناه لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا قال الكسائي
تقول العرب حررنا بأرض فلما تنبت الكراث والبصل أي لا تنبت شيئا وأخرج أحمد
بسند جيد عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القلوب أربعة قلب

ويجوز أن يتناول من بيت المال
ما يقوم به حاله وعياله فان لم يحصل
له منه شيء وقطعه التعليم عن
التكسب فهو كالمتبعين عليه
واذا لم يتبعين عليه فانه يجوز أن
يأخذ عليه أجرة عند مالك
والشافعي وأحمد وجهور العلماء
كما في صحيح البخاري عن أبي سعيد
في قصة اللديغ ان أحق ما أخذتم
عليه أجر اكتاب الله. وقوله في قصة
الخطوبة زوجتها بما علك من
القرآن فاما حديث عبادة بن
الصامت انه علم رجلا من أهل
الصفة شأ من القرآن فأهدى له
قوسا فسأل عنه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ان أحبت أن
تطوق بقوس من نار فأقبله فتركه
رواه أبو داود وروى مثله عن أبي
ابن كعب حرقوا فان صح اسناده
فهو صحيح عند كثير من العلماء
منهم أبو عمر بن عبد البر على انه لما
علمه الله لم يجز بعده هذا ان يعتاض
عن ثواب الله بذلك القوس فأما اذا
كان من أول الامر على التعليم
بالأجرة فانه يصح كما في حديث
الديغ وحديث سهل في الخطوبة

وان الله أعلم وقوله وياي فائقون قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عمرو والدوري حدثنا أبو اسعيل المؤدب عن عاصم
الاحول عن أبي العالمة عن طلق بن حبيب قال التقوى أن تعمل بطاعة الله رجاء رجة الله على نور من الله وأن تترك معصية الله
على نور من الله تخاف عقاب الله ومعنى قوله وياي فائقون انه تعالى يتوعدهم فيما يتعمدون منه من كتمان الحق واطهار خلافه
ومحالفتهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتبوا الحق وأنتم تعلمون وأفهموا الضلالة وأتوا الزكاة
واركعوا مع الزا كعين) يقول تعالى ناديا لليهود عما كانوا يعتدون منه من تلبس الحق بالباطل وتعمون به وكتبانهم الحق واطهارهم
الباطل ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتبوا الحق وأنتم تعلمون فهاهم عن الشينين معا وأمرهم باطهار الحق والتصریح به ولهذا

قال الخليل عن ابن عباس ولا تلبسوا الحق بالباطل ولا تلبسوا الباطل بالحق وقال أبو العالية ولا تلبسوا الحق بالباطل يقول ولا تخلطوا الحق بالباطل وأدوا النصيحة لعباد الله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويروى عن سعيد بن جبيرة والربيع بن أنس نحوه وقال قتادة ولا تلبسوا الحق بالباطل قال ولا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالاسلام وأنتم تعلمون ان دين الله الاسلام وأن اليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله وروى عن الحسن البصري نحوه ذلك وقال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وتكتموا الحق وأنتم تعلمون أي لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي وبعما جاء به وأنتم تجددونه مكتوبا عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم (١٤٣) وروى عن أبي العالية نحوه ذلك وقال

مجاهد والسدي وقاتدة والربيع بن أنس وتكتموا الحق يعني محمد صلى الله عليه وسلم قلت وتكتموا يعني لا يكون مجزوما ويحتمل أن يكون منصوبا أي لا يتجملوا به وهذا هو الذي يقال لأكل السم وتشرى اللبن قال الزخشي وفي مصنف ابن مسعود وتكتمون الحق أي في حال كتمانكم الحق وأنتم تعلمون حال أيضا ومعناه وأنتم تعلمون الحق ويجوز أن يكون المعنى وأنتم تعلمون ما في ذلك من الضرر العظيم على الناس من اضلالهم عن الهدى المفضي بهم الى النار ان سلكوا ما تبدونه لهم من الباطل المشوب بنوع من الحق لترغبوا عليهم والبيان الايضاح وعكسه الكتمان وخلط الحق بالباطل وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين قال مقاتل قوله تعالى لا أهل الكتاب وأقيموا الصلاة أمرهم ان يصلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وآتوا الزكاة أمرهم ان يؤتوا الزكاة أي يدفعوها الى النبي صلى الله عليه وسلم واركعوا مع الراكعين أمرهم

أجر دفيه مثل السراج يزهر وقلب أغلف مر بوط على غلافه وقلب منكوس وقلب مصفح فاما القلب الجرد فقلب المؤمن سراج به نوره واما القلب الاغلف فقلب الكافر واما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر واما القلب المصفح فقلب فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يتدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يدها القيح فأى المادتين غلبت على الاخرى غلبت عليه وقال قتادة لا يؤمن منهم الا قليل لان من آمن من المشركين كان أكثر منهم وقيل فرما ناقله لا يؤمنون فهو على حد قوله آمنوا وجه النهار واكفروا آخره (ولما جاءهم) أي اليهود (كتاب من عند الله) هو القرآن (مصدق لما معهم) من التوراة والانجيل انه يخبرهم بما فيه ما هو بصدقه ولا يخالفه (وكانوا من قبل) مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم (يستحقون) أي يستنصرون به والاستفتاح الاستنصار أي كانوا من قبل يطلبون من الله النصرة على أعدائهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي يجدون صفته عندهم في التوراة وقيل الاستفتاح هنا بمعنى الفتح أي يخبرونهم بانه سيبعث ويعرفونهم بذلك (على الذين كفروا) يعني مشركي العرب وذلك انهم كانوا اذا أخرجهم أمر ودهمهم عدو يقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين قد أظلم زمان نبي يخرج بصدق ما قلنا فنقتلهم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا يعني محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعرفوا انه نبي من غير بني اسرائيل (كفروا به) أي جحدوه وأنكروا به بغيا وحسدا (فلعن الله على الكافرين) أي عليهم وضع اللعنة لظهور موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واستعلت عليهم وشملتهم واللام للعهد أو للجنس ودخلوا فيه دخولا قويا (بئس ما اشتروا به أنفسهم) أي بئس الشيء وقال الفراء بئسما بجملة شيء واحد ركب كجدا أي بئس ما باعوا به حظ أنفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق (أن يكفروا بما أنزل الله) يعني القرآن (بغيا) أي حسدا قال الأصمعي البغي مأخوذ من قولهم قد بغى الجرح اذا فسد وقيل أصله الطلب ولذلك سميت الزانية بغيا وهو عليه لقوله يكفروا قاله القاضي وقال الزخشي هو عليه لقوله اشتروا وقوله الاتي ان ينزل عليه لقوله بغيا أي لان ينزل والمعنى انهم باعوا أنفسهم بهذا الفتن الجنس حسدا ومما فسده (أن ينزل الله من فضله) وليس بواجب عليه (على من يشاء من عباده فباؤا)

ان يركعوا مع الراكعين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يقول كونوا معهم ومنهم وقال علي بن طلحة عن ابن عباس يعني بالزكاة طاعة الله والاخلاص وقال وكيع عن أبي جناب عن عكرمة عن ابن عباس في قوله وآتوا الزكاة قال ما يوجب الزكاة قال ما تان فصاعدا وقال مبارك بن فضالة عن الحسن في قوله تعالى وآتوا الزكاة قال فريضة واجبة لا تنفع الاعمال الا به وبالصلاة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن أبي حيان الميمى عن الحارث العكلي في قوله تعالى وآتوا الزكاة قال صدقة الفطر وقوله تعالى واركعوا مع الراكعين أي وكونوا مع المؤمنين في أحسن أعمالهم ومن أخص ذلك وأكمل الصلاة وقد استدلل كثير من العلماء بهذه الآية على وجوب الجماعة وأبسط ذلك في كتاب الاحكام الكبير ان شاء الله تعالى وقد تكلم القرطبي

على مسائل الجماعة والامامة فاجاد (أتأمررون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) يقول تعالى كيف يليق بك يا معشر أهل الكتاب وأنتم تأمررون الناس بالبر وتنسون أنفسكم فلا تأمررون بما تأمررون الناس به وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب وتعلمون ما فيه على من قصر في أوامر الله أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم فستبهموا من ردتكم وتبسرروا من عمايتكم وهذا كما قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله تعالى أتأمررون الناس بالبر وتنسون أنفسكم قال كان بنو إسرائيل يأمررون الناس بطاعة الله ويتقوا دواب البر ويخالفون فغيرهم الله عز وجل وكذلك قال السدي وقال ابن جرير أأتأمررون الناس بالبر أهل (١٤٤) الكتاب والمنافقون كانوا يأمررون الناس بالصوم والصلاة ويدعون

العمل بما يأمررون به الناس نعيمهم الله بذلك فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة وقال محمد بن اسحق عن محمد بن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وتنسون أنفسكم أي تتركون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون أي تهنون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوة والعهد من التوراة وتتركون أنفسكم أي وأنتم تكفرون بما فيها من عهدي إليكم في تصديقي رسولاً وتنقضون ميثاقاً وتباعدون ما تعلمون من كتابي وقال الضحاك عن ابن عباس في هذه الآية يقول أتأمررون الناس بالدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما أمرتم به من إقام الصلاة وتنسون أنفسكم وقال أبو جعفر ابن جرير حديثي علي بن الحسن حدثنا أسلم الحرابي حدثنا محمد بن الحسين عن أيوب السخستاني عن أبي قلابة في قول الله تعالى أتأمررون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب قال أبو الدرداء رضي الله عنه لا يفقه الرجل كل الفقه

أي فرجعوا وصاروا أحمقاء (بغضب على غضب) قيل الغضب الاول لعبادتهم المجل والناني لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل لكفرهم بعيسى عليه السلام والانجيل ثم لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن وقيل لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم البغي عليه وقيل ابن عباس الاول بتضييعهم التوراة وتبديلها والناني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل غير ذلك والتسكير للتعظيم (وللكافرين عذاب مهين) ذوا هانة مأخوذ من الهوان قيل وهو ما اقتضى الخلود في النار (واذا قيل لهم أنسوا وما أنزل الله وهو القرآن وقيل كل كتاب أي صدقوا بالقرآن أو صدقوا بما أنزل الله من الكتب) قالوا توأم بما أنزل علينا أي التوراة (ويكفرون) الواو للحال (بما وراءه) أي بما سواه من الكتب قاله النخعي وما بعده يعني الانجيل والقرآن قاله أبو عبيدة قال الجوهرى وراء بمعنى خلف وقد يكون بمعنى قدام وامام فهى من الاضداد ومنه قوله تعالى وكان وراءهم ملك أي قدامهم وفي الموازنة للامدى وراء ليست من الاضداد انما هو من المواراة والاستتار كما استتر عنكم فهو وراء خلفا كان أو قداما اذا لم تروه لم تشاهدوه فاما اذا رأيته فلا يكون وراءاً ومنه قوله تعالى وكان وراءهم ملك أي انه كان امامهم وصح ذلك لانهم لم يعاينوه ولم يشاهدوه انتهى قال الخفاجى وهذا لا ينافى قول البيضاوى ولذلك عدم الاضداد لان معناه انه لما أطلق على خلف وقدام وهما ضدان عددا تسمعا على عادة أهل اللغة وان كان موضوعا للمعنى شامل لهما لانه مصدر بمعنى الستر فيهما الكنه قد يستعمل بمعنى الساتر وقد يستعمل بمعنى المستور ولذا قال في القاموس هو من الاضداد أولا وقيل انه مضاف الى الفاعل مطلقا لان الرجل يوارى ما خلقه على من هو قدامه وما قدامه على من هو خلفه انتهى (وهو الحق) يعنى القرآن (مصدق لما معهم) يعنى التوراة (قل) يا محمد (فلم تنقلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتل الانبياء وهذا كذب لهم لان الايمان بالتوراة منافي لقتل اشرف خلقه وهذا الخطاب وان كان مع الحاضرين من اليهود فالمراد به أسلافهم ولكنهم لما كانوا يرضون بافعال سلفهم كانوا مثلهم وفي الآية دليل على ان من رضى بالمعصية فكانه فاعل لها (ولقد جاءكم موسى) هذا داخل تحت الامر السابق أي وقل لهم لقد جاءكم موسى والغرض منه بيان كذبهم هكذا أفاده البيضاوى وكثير من

حتى يفت الناس في ذات الله ثم يرجع الى نفسه فيكون لها أشد مقاما وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المفسرين في هذه الآية هؤلاء اليهود اذا جاء الرجل سألهم عن الشيء ليس فيه حق ولا رشوة أمرهم بالحق فقال الله تعالى أتأمررون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون والغرض ان الله تعالى ذمهم على هذا الصنيع ونههم على خطيئهم في حق أنفسهم حيث كانوا يأمررون بالخير ولا يفعلونه وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له بل على تركهم له فان الامر بالمعروف معروف وهو واجب على العالم ولكن الواجب والاولى بالعالم أن يفعل مع من أمرهم به ولا يتخلف عنهم كما قال شعيب عليه السلام وما أريد أن أخالفكم الى ما أنها كم عنه ان أريد الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أئيب فكل

من الامر بالمعروف وفعله واجب لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قول العلماء من السيف والخلف وذهب بعضهم الى أن ترك تكب المعاصي لا ينهي غيره عنها وهذا ضعيف وأضعف منه تسكهم بهذه الآية فإنه لا حاجة لهم فيها والصحيح أن العالم بأمر بالمعروف وإن لم يفعله ولا ينهي عن المنكر وإن ارتكبه قال مالك عن ربيعة سمعت سعيد بن جبير يقول لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهي عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا ينهي عن منكر قال مالك وصدق من ذا الذي ليس فيه شيء قلت لكنه والحالة هذه مذموم على ترك الطاعة وفعله المعصية لعلها وبها ومخالفتها على بصيرة فإنه ليس من يعلم كمن لا يعلم ولهذا جاءت الأحاديث في الوعيد على ذلك كما قال الامام أبو القاسم الطبراني (١٤٥) في معجمه الكبير حدثنا أحمد بن محمد بن المعلى

الدمشقي والحسن بن علي العمري قالوا حدثنا هشام بن عمار حدثنا علي بن سليمان الكلبي حدثنا الاعمش عن أبي ثيمة الهجيمي عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل العالم الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كمثل السراج يضي للناس ويحرق نفسه هذا حديث غريب من هذا الوجه حديث آخر قال الامام أحمد بن حنبل في مسنده حدثنا وكيع حدثنا جاد بن سلمة عن علي بن زيد هو ابن جندب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاهم بمقاريض من نار قال قلت من هؤلاء قالوا خطباء أمك من أهل الدنيا كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون ورواه عبد ابن حميد في مسنده وتفسيره عن الحسن بن موسى عن جاد بن سلمة به ورواه ابن مردويه في تفسيره من حديث يونس بن محمد المؤدب

المفسرين وفيه نظر أشاره أبو السعود (بالينبات) أي بالدلالات الواضحة والمجيزات الظاهرة والينبات يجوز أن يراد بها التوراة أو التسع الآيات المشار إليها بقوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ويجوز أن يراد بها الجميع (ثم اتخذتم العجل من بعده) أي من بعد النظر في تلك الينبات أو من بعد موسى لما ذهب إلى الميقات ليأتي بالتوراة (وأنتم ظالمون) أي حال كونكم ظالمين بهذه العبادة الصادرة منكم عناداً بعد قيام الحجية عليكم وانما كرهه بكتبة الله وتأكيدا للحجة عليهم (واذا أخذنا منافعكم ورفعننا فوقكم الظور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا) قد تقدم تفسييرا أخذ الميثاق ورفع الظور والامر بالسمع معناه الطاعة والقبول وليس المراد مجرد الادراك بحاسة السمع ومنه قوله سمع الله أن جده أي قبل وأجاب (قالوا سمعنا) أي سمعنا قولك بحاسة السمع (وعصينا) يعني أمرنا بقولنا أي لا نقبل ما نأمرنا به ويجوز أن يكونوا أرادوا بقولهم سمعنا ما هو معهود من تلاعبهم واستعمالهم المغالطة في مخاطبة أعيانهم وذلك بأن يحملوا قوله تعالى اسمعوا على معناه الحقيقي أي السمع بالحاسة ثم أجابوا بقولهم سمعنا أي أدركنا ذلك باسماعنا عملا بموجب ما نأمرنا به ولكنهم لما كانوا يعلمون أن هذا غير مرضي الله عز وجل بل مراده بالأمر بالسمع الامر بالطاعة والقبول لم يقتصر على هذه المغالطة بل ضموا إلى ذلك ما هو الجواب عندهم فقالوا وعصينا (وأشربوا في قلوبهم العجل) أي تدخل حبه في قلوبهم ورسخ فيها صورته لقرط شغفهم به وحرصهم على عبادته كما تدخل الصبغ الثوب والشراب أعماق البدن وفيه تشبيه بديع أي جعلت قلوبهم لتمكن حب العجل منها كأنها تشربه وانما عبر عن حب العجل بالشراب دون الأكل لأن شرب الماء يغفل في الاعضاء حتى يصل إلى باطنها والطعام يتجاوزها ولا يتغلغل فيها قال أبو السعود في قلوبهم بيان لمكان الشراب كما في قوله تعالى انما أنا كالون في بطونهم نارا والجملته حال من ضمير قالوا بتقدير قد انتهى قيل ان موسى أمر أن يبرد العجل ويذرى في النهر وأمرهم أن يشربوا منه فنبي في قلبه شيء من حب العجل ظهر سحالة الذهب على شاربته وما أبعداه والشراب مخالطة المائع للجامد ثم اتسع فيه حتى قيل في الاوان شخو أشرب يياضه حرة (بكفرهم) الباء للسببية أي بسبب كفرهم السابق الموجب لذلك قيل كانوا تبسمة أو حاولية ولم يروا جسما أعجب منه فتمكن في قلوبهم ماسؤل لهم السامري (قل

(١٩ ل - فتح البیان) والحجاج بن منهال كلاهما عن جاد بن سلمة به وكذا رواه يزيد بن هرون عن جاد بن سلمة به ثم قال ابن مردويه حدثنا محمد بن عبد الله بن ابراهيم حدثنا موسى بن هرون حدثنا اسحق بن ابراهيم التستري يبلغ حدثنا مكي بن ابراهيم حدثنا عمر بن قيس عن علي بن زيد عن ثمامة عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مررت ليلة أسري بي على أناس تقرض شفاهم بأسمهم وألسنتهم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء أمك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وأخر جاد بن حبان في صحيحه وابن أبي حاتم وابن مردويه أيضا من حديث هشام الدستوائي عن المغيرة يعني ابن حبيب بن مالك بن ديار عن مالك بن دينار عن ثمامة عن أنس بن مالك قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم

مر يقوم تقرر ضفافهم فقال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الخطايا من أمتك يا حرون الناس بالبر وينسون أنفسهم أفلا يعقلون حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا يعلى بن عيسى حدثنا الاعمش عن أنى وأبى قال قيل لأسماء وأتار ديفه ألا تكلم عثمان فقال انكم ترون أنى لأكله إلا سمعكم أنى لأكله فيما بينى وبينه ما دون أن افتتح أحرى الآخى أن أكون أول من افتتح والله لا أقول لرجل انك خير الناس وإن كان على أمير بعد أن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قالوا وما سمعته يقول قال سمعته يقول يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق به أفتابه فيدور به في النار كيد و الحمار برحاه فيطيف به أهل النار فيقولون يا فلان ما أصابك ألم تكن تأمرنا بالمعروف (١٤٦) ونهانا عن المنكر فيقول كنت أأمركم بالمعروف ولا آتية وأنهم عمر

بئسما يا حمر كم به إيمانكم الذي زعمتم انكم تؤمنون بما أنزل عليكم وتكفرون بما وراءه فان هذا الصنع وهو قولكم سمعنا وعصينا في جواب ما أمرتم به في كتابكم وأخذ عليكم المشاق به مناد عليكم بأبلغ نداء بخلاف ما زعمتم وكذلك ما وقع منكم من عبادة العجل ونزول حبه من قلوبكم منزلة الشراب هو من أعظم ما يدل على انكم كاذبون في قولكم تؤمن بما أنزل علينا لصادقون فان زعمتم ان كتابكم الذي آمنتم به أمركم به ما يهدى فبئس ما يا حمر كم به إيمانكم بكتابكم وفي هذا من التهمك ما لا يخفى (ان كنتم مؤمنين) بزعمكم والمعنى لستم بمؤمنين لأن الإيمان لا يأمر بعبادة العجل والمراد أبائهم أي فكذلك لستم بمؤمنين بالتوراة وقد كذبتم محمدًا والإيمان به إلا بأمر بتكذيبه (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله) أي نعمها لأن الدار الآخرة في الحقيقة هي انقضاء الدنيا وهي للفر يقين وهذا رد عليهم لما ادعوا أنهم يدخلون الجنة ولا يشاركونهم في دخولها غيرهم والزام لهم عتائهم به أنهم كاذبون في تلك الدعوى وأنهم صادرون منهم لا عن برهان (خالصة) مصدر كالعافية والعاقبة وهو بمعنى الخلوص والمراد أنه لا يشاركونهم فيها غيرهم اذا كانت اللام في قوله (من دون الناس) للجنس أو لا يشاركونهم فيها المسلمون ان كانت اللام للعهد وهذا يرجح لقولهم في الآية الأخرى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وهو مؤكده لأن دون تستعمل للاختصاص يقال هذا لى دونك أو من دونك أى لاحق لك فيه وقد أتى في غير هذا الالتئاص في المنزلة أو المكان أو المقدار (فمتموا الموت) أى فاطلبوه واسألوه وانما أمرهم بقى الموت لأن من اعتقد أنه من أهل الجنة كان الموت أحب اليه من الحياة إذ لا سبيل الى دخولها الا بعد الموت ولما كان ذلك منهم مجرد دعوى أجهموا (ان كنتم صادقين) في قولكم ودعواكم ولماذا قال سبحانه (وان يتنموا أبدا) هو ظرف زمان يصدق بالماضى والمستقبل تقول ما فعلت أبدا ذكره السهين وقال عنان وفي الجمعة لا لان لن أبلغ في النفي من لا ودعواهم هنا بالغة قاطعة فناسب ذكر لن فيها ودعواهم في الجمعة قاصرة مر دودة وهى زعمهم أنهم أولياء الله فناسب ذكرها فيها (بما قدمت أيديهم) أى بما قدمت من الذنوب التى يكون فاعلها غير آمن من العذاب بل غير طامع في دخول الجنة فضلا عن كونها خالصة له خاصة به وانما أضاف العمل الى السدان أن أكثر جنائيات الانسان تكون من يده وقيل ان الله سبحانه صرفهم عن التمنى ليجعل ذلك آية

المنكر وآتيه ورواه البخارى ومسلم من حديث سليمان بن مهران الاعمش به نحوه وقال أحمد حدثنا سيار بن حاتم حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعافى الأئمة يوم القيامة ما لا يعافى العلماء وقد ورد في بعض الآثار انه يغفر للجاهل سبعين مرة حتى يغفر للعالم مرة واحدة ليس من يعلم كمن لا يعلم وقال تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الالباب وروى ابن عساکر في ترجمة الوليد ابن عتبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أناسا من أهل الجنة يطلعون على أناس من أهل النار فيقولون بم دخلتم النار فوالله ما دخلنا الجنة الا بما تعلمنا منكم فيقولون انا كنا نقول ولا نفعل ورواه ابن جرير الطبرى عن أحمد ابن يحيى الخباز الرملى عن زهير بن عباد الراسى عن أبى بكر الراهرى عبد الله بن حكيم عن اسمعيل بن أبى خالد عن الشعبي عن الوليد بن عتبة قد ذكره وقال الضمالي عن ابن عباس انه جاءه رجل فقال يا ابن عباس انى أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر قال أبان ذلك قال أرجو انه

قال ان لم تخش أن تفتضح شلث آيات من كتاب الله فافعل قال وما هن قال قوله تعالى أنما مرون الناس بالبر وينسون أنفسهم أن حكمت هذه قال لا قال فالخرف الثانى قال قوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون أحكمت هذه قال لا قال فالخرف الثالث قال قول العبد الصالح شعيب عليه السلام وما أريد أن أخالفكم الى ما أنتمأكم عنه ان أريد الا الإصلاح أحكمت هذه الآية قال لا قال فابعد بفساد رواه من حرويه في تفسيره وقال الطبرانى حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا زيد بن الحارث حدثنا عبد الله بن خراش عن العوام بن حوشب عن المسيب بن رافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من دعا الناس الى قول أو عمل ولم يعمل هو به لم يزل في نفل سخط الله حتى يكف أو يعمل ما قال أو دعا إليه اسناده فيه ضعف وقال ابراهيم النخعي اني لأكره القصص لثلاث آيات قوله تعالى أتاُمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقوله يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون وقوله اخبارا عن شعيب وما أريد أن أخالفكم الى ما أنفأكم عنه ان أريد الاصلاح ما استطعت وما توفقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها الكبيرة الاعلى الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون) يقول تعالى أمر أعيبه فيما يؤملون من خير الدنيا والآخرة بالاستعانة بالصبر والصلاة كما قال مقاتل بن حيان في تفسير هذه الآية (١٤٧) استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على

لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم والمراد بالثني هنا هو التلطف بما يدل عليه لا مجرد خطوره بالتعب وميل النفس اليه فان ذلك لا يراى في مقام المحاجة ومواطن الخصومة ومواقف التحدى وفي تركهم للثني أو صرف فهم عنه محجوز لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانهم قد كانوا يسلكون من التجرف والتجري على الله وعلى أنبيائه بالدعوى الباطلة في غير موطن ما قد حكاه عنهم التنزيل فلم يتركوا عادتهم هنا الا لما قد تقرر عندهم من أنهم اذا فعلوا ذلك التفتي نزل بهم الموت اما لم قد علموه أو للصرفه من الله عز وجل وقديقال قد ثبت النبي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ثني الموت فكيف أمره الله أن يأمرهم بما هو منهى عنه في شريعته ويحاجب بأن المراد هنا الزامهم الحجة واقامة البرهان على بطلان دعواهم عن ابن عباس قال قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان كنتم في مقالكم صادقين فقولوا اللهم أمتنا فوالذي نفسي بيده لا يقولها رجل منكم الا غص بريقه فمات مكانه وعنه لو أن اليهود تمنوا الماتوا لول أو امقاعدهم من النار (والله عليم بالظالمين) فيه تخويف وتهديد لهم وانما خصهم بالظلم لانه أعظم من الكفر لأن كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافرا فلهذا كان أعظم وكانوا أولى به (ولتجدنهم) اللام للقسمة والنون للتأكيد والله لتجدنهم يا محمد وهذا بلغ من قوله وان يقتلوه أبدا (أحرص الناس على حياة) زيادة على عدم ثني الموت والحرص أشد الطلب وتذكير حياة للتحقير أي أنهم أحرص الناس على حقير حياة وأقل لبث في الدنيا فكيف بحياة كثيرة وثبت متناول وقال في الكشف انه أراد بالتذكير حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة وتبعه في ذلك الرازي والخازن في تفسيرهما (ومن الذين أشركوا) عطف على ما قبله بحسب المعنى كانه قيل أحرص من الناس ومن الذين أشركوا ووجه ذكرهم بعد ذكر الناس مع كونهم داخلين فيهم للدلالة على مزيد حرص المشركين من العرب ومن شابههم من غيرهم فمن كان أحرص منهم وهم اليهود كان بالغافي الحرص الى غاية الايقاد قدرها وانما بالغوا في الحرص الى هذا الحد القاضل على حرص المشركين لانهم يعملون بما يحل بهم من العذاب في الآخرة بخلاف المشركين من العرب ونحوهم فانهم لا يفترون بذلك فكان حرصهم على الحياة دون حرص اليهود والاول وان كان فيه سر وج من الكلام في اليهود الى غيرهم من مشركي العرب لكنه أرى حرج عدم استمراره للتكلف ولا ضير في استطراد ذكر

الفرائض والصلاة فأما الصبر فقيل انه الصيام نص عليه مجاهد قال القرطبي وغيره ولهذا يسمى رمضان شهر الصبر كما نطق به الحديث وقال سفيان الثوري عن أبي اسحق عن جري بن كليب عن رجل من بني سليم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصوم نصف الصبر وقيل المراد بالصبر الكف عن المعاصي ولهذا قرنه بأداء العبادات وأعمالها فعل الصلاة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن حنيفة بن اسحق عن حماد بن عيسى عن سليمان عن أبي سنان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الصبر صبران صبر عند المصيبة حسن وأحسن منه الصبر عن محارم الله قال وروى عن الحسن البصري نحو قول عمر وقال ابن المبارك عن ابن لهيعة عن مالك بن دينار عن سعيد بن جبير قال الصبر اعتراف العبد لله بما أصيب فيه واحتسابه عند الله ورجاء ثوابه وقدي يجزع الرجل وهو يتجمل لا يرى منه الا الصبر وقال أبو العالمة في قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة قال على مر ضات

الله واعلموا انهم من طاعة الله وأما قوله والصلاة فان الصلاة على النيات في الامر كما قال تعالى أتأمر ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر الآية وقال الامام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن عكرمة بن عمار عن محمد بن عبد الله الدؤلي قال قال عبد العزيز بن أخو حذيفة قال حذيفة يعني ابن اليمان رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر صلى ورواه أبو داود عن محمد بن عيسى عن يحيى بن زكريا عن عكرمة بن عمار كاسيأتي وقد رواه ابن جري عن محمد بن عمار عن محمد بن أبي عبيد بن أبي قدامة عن عبد العزيز بن اليمان عن حذيفة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة ورواه بعضهم عن

عبد العزيز بن أبي حذيفة ويقال أخى حذيفة مرسلا عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة حدثنا محمد بن عثمان العسكري حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة قال قال عكرمة بن عمار قال محمد بن عبد الله الدؤلي قال عبد العزيز قال حذيفة رجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاحزاب وهو مشتمل في شمله يصلي وكان اذا حزبه أمر صلى حدثنا عبد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا شعبة عن أبي أسحق سمع حارثة بن مضرب سمع عليا رضي الله عنه يقول لتدريا يقينا لا يدبر وما فينا الا نائم غير رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ويدعو حتى أصبح قال ابن جرير وروى عنه عليه الصلاة والسلام انه مر بأبي هريرة وهو منبطح على بطنه فقال له اشكم درد (١٤٨) ومعه انه أبو جعفر بطن قال نعم قال قم فصل فان الصلاة شفاء قال ابن جرير

وقد حدثنا محمد بن الفضل ويعقوب ابن ابراهيم قالوا لحدثنا ابن عيسى حدثنا عيسى بن عبد الرحمن عن أبيه أن ابن عباس نفي اليه أخوه قثم وهو في سفر فاسترجع ثم نفي عن الطريق فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام يشي الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الاعلى الخاشعين وقال سبند عن جراح عن ابن جريح واستعينوا بالصبر والصلاة قال انهما معا عوثان على رجة الله والضمير في قوله وانها لكبيرة عائد الى الصلاة نص عليه مجاهد واختاره ابن جرير ويحتمل أن يكون عائد اعلى ما يدل عليه الكلام وهو الوصية بذلك كقوله تعالى في قصة قارون وقال الذين أوثوا العلم ويليكم ثواب الله خير من آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون وقال تعالى ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم أي وما يليق هذه الوصية الا الذين صبروا

حرص المشركون بعد ذكر حرص اليهود وقال الرازي ان الثاني أخرج ليكون ذلك أبلغ في ابطال دعواهم وفي اظهار كذبهم في قولهم ان الدار الاخرة لنا لا لغيرنا انتهى وبجواب عنه بأن هذا الذي جعله جحافاً فاده قوله تعالى ولتجدنهم أحرص الناس ولا يستلزم استئناف الكلام في المشركون أن لا يكونوا من جملة الناس (يودأحدهم) بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستئناف وهم المجوس أي بقى أحدهم (لويعمر ألف سنة) أي تعمير ألف سنة وانما خص ألف بالذكر لان العرب كانت تذكر ذلك عند ارادة المبالغة ولا نه انتهاء العقود ولا نه تحية المجوس فيما بينهم يقولون زى هزار سال أي عش ألف سنة أو ألف نيزوز أو ألف مهرجان فيختمهم وهذا كناية عن الكثرة فليس المراد خصوص هذا العدد والمعنى أن اليهود أحرص من المجوس الذين يقولون ذلك (وما عو بزخرجه) أي بما عده قيل هو راجع الى أحدهم كما جرى عليه الجلال وعلى هذا يكون قوله أن يعمر فاعلام زخرجه وقيل هو لمبادل عليه يعمر من مصدره أي وما التعمير بزخرجه ويكون قوله أن يعمر بدلائله وحكي الطبري عن فرقة أنها قالت هو عماد وقيل هو ضمير الشأن واليه نحا النار سي تبعا للكوفيين وقيل مائمية وهو مبتدأ خبره بزخرجه على زيادة الباء وقيل ما هي الخازية والضمير اسمها وما بعده خبرها والاول أرجح وكذلك الثاني والثالث ضعيف جدا لأن العماد لا يكون الا بين شيئين ولهذا يسمى ضمير الفصل والرابع فيه أن ضمير الشأن يفسر بجملة سالمة عن حرف جر كما حكاه ابن عطية عن النحاة والزخرجة النخبة يقال زخرجه فترجح أي نخبة فتعني وتباعد (من العذاب) من بمعنى عن أي النار (أن يعمر) أي لو عمر طول عمره لا ينقذه من العذاب (والله بصير بما يعملون) لا يخفى عليه خافية من أحوالهم (قل من كان عدوا لي خيرا) أي بسبب نزوله بالقرآن المشتمل على سبهم وتكذيبهم هذه الآية قد أجمع المفسرون على أنها نزلت في اليهود قال ابن جرير الطبري وأجمع أهل التأويل جميعاً أن هذه الآية نزلت جواباً على اليهود اذ زعموا أن جبريل عدو لهم وأن ميكائيل ولي لهم ثم اختلفوا ما كان سبب قولهم ذلك فقال بعضهم انما كان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أمر نبوته ثم ذكر روايات في ذلك وجبريل اسم ملك وهو أعجمي فلذلك لم ينصرف والقول باشتقاقه من جبروت الله بعيد لأن الاشتقاق لا يكون في الاسماء

وما يلقاها أي بوثاقها ويليهمها الا ذو حظ عظيم وعلى كل تقدير فقوله تعالى وانها لكبيرة أي شقة ثقيلة الاعلى الاعمدة الخاشعين قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس يعني المصدقين بما أنزل الله وقال مجاهد المؤمنين حقاً وقال أبو العالية الاعلى الخاشعين وقال مقاتل بن حيان الاعلى الخاشعين يعني به المتواضعين وقال الضحاك وانها لكبيرة قال انها الثقيلة الاعلى الخاضعين لطاعة الخاشعين سطوته المصدقين بوعده ووعيدوه وهذا يشبه ما جاء في الحديث لقد سألت عن عظيم وأنه ليسير على من يسره الله عليه وقال ابن جرير معنى الآية واستعينوا أيها الاحبار من أهل الكتاب بحبس أنفسكم على طاعة الله وبإقامة الصلاة المسانعة من الفحشاء والمنكر المقربة من رضا الله العظيمة أقامتها الاعلى الخاشعين أي المتواضعين المستكينين لطاعته المتدلين

وما يلقاها أي بوثاقها ويليهمها الا ذو حظ عظيم وعلى كل تقدير فقوله تعالى وانها لكبيرة أي شقة ثقيلة الاعلى الاعمدة الخاشعين قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس يعني المصدقين بما أنزل الله وقال مجاهد المؤمنين حقاً وقال أبو العالية الاعلى الخاشعين وقال مقاتل بن حيان الاعلى الخاشعين يعني به المتواضعين وقال الضحاك وانها لكبيرة قال انها الثقيلة الاعلى الخاضعين لطاعة الخاشعين سطوته المصدقين بوعده ووعيدوه وهذا يشبه ما جاء في الحديث لقد سألت عن عظيم وأنه ليسير على من يسره الله عليه وقال ابن جرير معنى الآية واستعينوا أيها الاحبار من أهل الكتاب بحبس أنفسكم على طاعة الله وبإقامة الصلاة المسانعة من الفحشاء والمنكر المقربة من رضا الله العظيمة أقامتها الاعلى الخاشعين أي المتواضعين المستكينين لطاعته المتدلين

من مخافته هكذا قال والظاهر أن الآية وإن كانت خطبا في سياق انذار بني اسرائيل فانهم لم يقصدوا بها على سبيل التخصيص وانما هي عامة لهم ولغيرهم والله أعلم وقوله تعالى الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون هذا من تمام الكلام الذي قبله أي ان الصلاة أو الوصال للنعمة الأعلى الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم أي يعلمون أنهم محشورون اليه يوم القيامة معروضون عليه وأنهم اليه راجعون أي أمورهم راجعة الى مشيئته يحكم فيها ما يشاء بعدله فلهذا لما أيقنوا بالمعاد والجزاء سهل عليهم فعل الطاعات وترك المسكرات فاما قوله يظنون أنهم ملاقوا ربهم قال ابن جرير رحمه الله العرب قد تسمى اليقين ظنا والشك ظنا نظير تسميتهم الطلبة سدفه والصيا سدفه والمغيث صارخا والمستغيث (١٤٩) صارخا وما أشبه ذلك من الاسماء التي

يسمى بها الشيء وضده كما قال دريد
ابن الصمة

فقلت لهم ظنوا بأني مدح

سراتهم في الفارسي المسرود

يعني بذلك تيقنوا بأني مدح يأتيكم

وقال عمر بن طارق

فان يعبر واقوى وأقعد فيكم

وأجعل مني الظن غيما مرجا

يعني وأجعل مني اليقين غيما مرجا

قال والشواهد من أشعار العرب

وكلامها على أن الظن في معنى

اليقين أكثر من أن تحصر وفيها

ذكرنا لمن وفق لفهمه كفاية ومنه

قول الله تعالى ورأى المجرمون النار

فظنوا أنهم مواقعوها ثم قال ابن جرير

حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو عاصم

حدثنا سفيان عن جابر عن مجاهد

كل ظن في القرآن يقين أي ظننت

وظنوا وحدثني المثنى حدثنا

اسحق حدثنا أبو داود الجبلي عن

سفيان عن ابن أبي شيبة عن مجاهد

قال كل ظن في القرآن فهو علم وهذا

سند صحيح وقال أبو جعفر

الرازي عن الربيع بن أنس عن

أبي العباس في قوله تعالى الذين

يظنون أنهم ملاقوا ربهم قال

الاجمعية وكذا قول من قال انه مركب تركيب الاضافة أو تركيب مزج نحو وحضر موت وفيه ثلاث عشرة لغة أفصحها وأشهرها بنو قنديل والضمير في قوله (فانه) يحتمل وجهين الاول أن يكون لله ويكون الضمير في قوله (نزل) لجبريل أي فان الله سبحانه نزل جبريل (على قلبك) وفيه ضعف كما يفيد قوله مصداقا لما بين يديه الثاني أنه لجبريل والضمير في قوله نزل للقرآن أي فان جبريل نزل القرآن على قلبك وخص القاب بالذكر لانه موضع العقل والعلم وخزانة الحفظ وبيت الرب وقد قيل انه في الدماغ (بأذن الله) أي بعلمه وارادته وتيسيره وتسهيله وقال ابن الخطيب تفسير الاذن هنا بالامر أي بأمر الله أولى من تفسيره بالعلم لانه حقيقة في الامر مجاز في العلم ويجب الحمل على الحقيقة ما أمكن وإذا كان نزوله بأذن الله فلا وجه للعداوة وانما يكون لها وجه لو كان النزول برأيه (مصداقا لما بين يديه) هو التوراة كما سلف أو جميع الكتب المنزلة وفي هذا دليل على شرف جبريل وارتفاع منزلته وانه لا وجه لمعاداة اليهود له حيث كان منه ما ذكر من تنزيل الكتاب على قلبك أو من تنزيل الله له على قلبك وهذا وجه الربط بين الشرط والجواب أي من كان معاديا لجبريل منهم فلا وجه لمعاداته له فانه لم يصدر منه الا ما يوجب المحبة دون العداوة أو من كان معاديا له فان سبب معاداته أنه وقع منه ما يكرهونه من التنزيل وليس ذلك بذنب له وان كرهوه فان هذه الكراهة منهم له بهذا السبب ظلم وعدوان لأن هذا الكتاب الذي نزل به هو مصدق لكتابهم وموافق له (وهدي وبشري للمؤمنين) أي في القرآن هداية للمؤمنين الى الاعمال الصالحة التي يترتب عليها الثواب وبشري لهم بثوابها اذا أتوا بها وعذاب وشدة على الكافرين ثم أتبع سبحانه هذا الكلام بحمله مشددا على شرط وجزاء تضمن الذم لمن عادى جبريل بذلك السبب والوعيد الشديد له فقال (من كان عدا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل) العداوة من العبد هي صدور المعاصي منه لله تعالى والبغض لأوليائه والعداوة من الله للعبد هي تعذبه بذنبه وعدم التجاوز عنه والمغفرة له قال الكرماني قدم الملائكة على الرسل كما قدم الله على الجميع لأن عداوة الرسل بسبب نزول الكتب ونزولها بتنزيل الملائكة وتنزيلهم لها بأمر الله فذكر الله ومن بعده على هذا الترتيب وانما خص جبريل وميكائيل بعد ذكر الملائكة لقصد النشر يفاهما والدلالة على فضلها ما أنهما وان كانا من الملائكة فقد صارا باعتبار

الظن ههنا يقين قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد والسدي والربيع بن أنس وقتادة نحو قول أبي العباس وقال سنيدي عن حجاج عن ابن جرير الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم علموا أنهم ملاقوا ربهم كقوله اني ظننت أني ملاق حساسه يقول علمت وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (قلت) وفي الصحيح ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ألم أزوجك ألم أكرمك ألم أسخر لك الخيل والابل وأدرك ترأس وترنح فيقول بلى فيقول الله تعالى أظننت انك ملاق فيقول لا فيقول الله اليوم أنساك كما نسيتني وسيأتي مبسوطا عند قوله تعالى نسوا الله فنسيهم ان شاء الله تعالى (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأنا في فضلكم على العالمين) يذكرهم تعالى بسالف نعمه على آبائهم وأسلافهم وما كان فضلهم به من ارسال الرسل منهم وانزال الكتب عليهم وعلى

سائر الامم من اهل زمانهم كما قال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقال تعالى واذا قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمتي
 الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا واتاكم ميثاقهم ائخذ من العالمين قال ابو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي
 العالقة في قوله تعالى واى فضلكم على العالمين قال بما أعطوا من الملك والرسول والكتب على عالم من كان في ذلك الزمان فان لكل
 زمان عالما وروى عن مجاهد والربيع بن أنس وقتادة واسماعيل بن أبي خالد نحو ذلك ويجب الحل على هذا لأن هذه الامة افضل
 منهم لقوله تعالى خطابا لهذه الامة كنتم خيرا مة اخرجت للناس تأخرون بالمعروف وتسبقون عن المنكر وتؤمنون بالله ولما
 اهل الكتاب لكان خيرا لهم وفي المسانيد (١٥٠) والسنن عن معاوية بن حيدة القشيري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

انتم توفون سبعين امة انتم خيرها
 وأكرمها على الله والاحاديث في
 هذا كثيرة تذكركم عند قوله تعالى
 كنتم خيرا مة اخرجت للناس وقيل
 المراد تفضل بنوع ما من الفضل
 على سائر الناس ولا يلزم تفضيلهم
 مطلقا حكاه الرازي وفيه نظر
 وقيل انهم فضلوا على سائر الامم
 لاشتمال ائمتهم على الانبياء منهم
 حكاه القرطبي في تفسيره وفيه نظر
 لان العالمين عام يشمل من قبلهم
 ومن بعدهم من الانبياء فابراهيم
 الخليل قبلهم وهو افضل من سائر
 انبيائهم ومحمد بعدهم وهو افضل
 من جميع الخلق وسيد ولد آدم في
 الدنيا والاخرة صلوات الله وسلامه
 عليه (واقتوا يوما لا تجزي نفس
 عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة
 ولا يؤخذ منها عدل ولا هم
 ينصرون) لماذا كرمهم تعالى بنعمه
 أولا وعطف على ذلك التحذير من
 طول نعمتهم يوم القيامة فقال
 واتقوا يوما يعني يوم القيامة
 لا تجزي نفس عن نفس شيئا أى
 لا يغني أحد عن أحد كما قال ولا تزر
 وازرة وزر أخرى وقال لكل امرئ

ما له من المزية بمنزلة جنس آخر أشرف من جنس الملائكة تنزيلا للتغاير الوصفى منزلة
 التغاير الذاتي كما ذكره صاحب الكشف وقدره علماء البيان وفي جبريل ثلاث عشرة لغة
 ذكرها ابن جرير الطبري وغيره وفي ميكائيل ست لغات وهما اسمان أعجميان قبل معناه
 عبد الله لأن جبرئيل بالسريانية هو العبد والاي هو الله والعرب اذا نطق بالعجمي
 تساءلت فيه وقال ابن جني خلطت فيه والاولى ما ذكرناه (فان الله عدو للكافرين) فاما
 عدوهم لله فانهم لا تضره ولا تؤثر وعداوته لهم تؤذيهم الى العذاب الاليم الدائم الذي
 لا ضير أعظم منه (ولقد أنزلنا اليك يا محمد آيات بينات) أى واخبات دالة على معانيها
 وعلى كونها من عند الله مفسلات بالحلال والحرام والحدود والاحكام أو علامات دالة
 على نبوتك (وما يكفر بها) أى ما يجعلهم هذه الآيات (الافاسقون) اى الخارجون عن
 طاعتنا وما أمرنا به والظاهر أن المراد جنس الناس قسما ويحتمل أن يراد اليهود لان الكلام
 معهم والاول أولى لانهم داخلون فيه دخولا أوليا (أو كلما عاهدوا عهدا) استقهم
 انكار (بذوق ريق) أصل البذوق الطرح والاقام ومنه شئ اللقيط منبذوا ومنه شئ
 البذوق وهو الترويض والريب اذا طر حافى الماء وهو حقيقة في الاجرام واستناده الى العهد
 مجاز (منهم) يعنى اليهود (بلا كثرهم لا يؤمنون) يعنى كفر فريق منهم بنقض العهد
 وفريق منهم بالجدل للحق والمعنى على انكار الباقية والمناسبة أى لا ينبغي منهم بهذا العهد
 كلما عقدوه (ولما جاءهم رسول من عند الله) يعنى محمد صلى الله عليه وآله وسلم هذا
 أنسخ عليهم محاقله (مصدق لمعهم) أى بسحبة التوراة وأن التوراة بشرت بنبوته محمد
 صلى الله عليه وآله وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان مجزعا منبذة مصدقا
 للتوراة فانفقت التوراة والقرآن (بذوق ريق من الذين أوتوا الكتاب) أى اليهود (كتاب
 الله) أى التوراة قال السدي لما جاءهم صلى الله عليه وآله وسلم عارضوه بالتوراة
 فانفقت التوراة والفرقان فنبذوا التوراة لموافقة القرآن لها وأخذوا بكتاب آصف
 وسحر شاروت وماروت فلم يوافق القرآن أولاهم لما كفروا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم
 وبما أنزل عليه بعد أن أخذ الله عليهم في التوراة الايمان به وتصديقه واتباعه وبين لهم
 صفة كمال ذلك منهم نبذوا التوراة ونقضوا لها ورفضوا لما فيها ويجوز أن يراد بالكتاب هنا
 القرآن أى لما جاءهم رسول من عند الله مصدق لمعهم من التوراة نبذوا كتاب الله

منهم يومئذ شأن يغضبهم وقال يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده الذي
 شأنه أن يبلغ المقامات ان كلاً من الوالد وولده لا يغني أحدهما عن الآخر شيئا وقوله تعالى ولا يقبل منها شفاعة
 الكافرين كما قال فاستشفعهم شفاعة الشافعين وكما قال عن أهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق خيم وقوله تعالى لا يؤخذ منهم
 عدل أى لا يقبل منها فدا كما قال تعالى ان الذين كفروا وماؤواهم كفار فلن يقبل من أحدكم مالا ذهبوا ولا اقتدى به وقال
 ان الذين كفروا وان لهم ما في الارض جميعا ومثله منعة ليقدموا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم وقال تعا
 وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها وقال فالיום لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا وإنما أكم النار هي مولاكم الآية فأنه

تعالى أنهم ان لم يؤمنوا برسوله ويتابعوه على ما بعثه به ووافوا الله يوم القيامة على ما هم عليه فانه لا ينفعهم قرابة قريب ولا شفاعة
 ذى جاه ولا يقبل منهم فداء ولو بملء الارض ذهباً كما قال تعالى من قبل أن ياتي يوم لا يسبح فيه ولا خلة ولا شفاعة وقال لا يسبح
 فيه ولا خلل قال سنده حدثني حجاج بن حريج قال قال مجاهد قال ابن عباس ولا يؤخذ منها عدل قال بدل والبذل القدية
 وقال السدي اما عدل فمعدلها من العدل يقول لوجه من عمل الارض ذهباً تقضى به ما تقبل منها وكذا قال عبد الرحمن بن زيد
 ابن أسلم وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله ولا يقبل منها عدل يعني فداء قال ابن أبي حاتم وروى
 عن أبي مالك والحسن وسعيد بن جبيرة وقادة والربيع بن أنس نحو ذلك (١٥١) وقال عبد الرزاق أنبأنا الثوري عن

الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه
 عن علي رضى الله عنه في حديث
 طويل قال والصرف والعدل
 التطوع والقرية وكذا قال
 الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبي
 العاتكة عن عمار بن هاني وهذا
 القول غريب ههنا والقول الاول
 أظهر في تفسير هذه الآية وقد ورد
 حديث يقويه وهو ما قال بن جرير
 حدثني فحج بن ابراهيم حدثنا علي
 ابن حكيم حدثنا جريد بن عبد الرحمن
 عن أبيه عن عمرو بن قيس الملائي
 عن رجل من بني أمية من أهل
 الشام أحسن عليه الثناء قال قيل
 يا رسول الله ما العدل قال العدل
 القدية وقوله تعالى ولا هم
 ينصرون أى ولا أحد يغضب لهم
 فينصرهم وينقذهم من عذاب
 الله كما تقدم من أنه لا يعطف عليهم
 ذوقرابة ولا ذوجه ولا يقبل منهم
 فداء هذا كله من جانب التلطف
 ولا لهم ناصر من أنفسهم ولا من
 غيرهم كما قال فالهزم من قوة ولا
 ناصر أى أنه تعالى لا يقبل فيمن
 كفر به فدية ولا شفاعة ولا ينقذ
 أحد من عذابه منقذ ولا يخلص

الذي جاء به هذا الرسول والاول أولى لان النبذ لا يكون الا بعد التسك والقبول ولم
 يتسكوا بالقرآن (وراء ظهورهم) هذا مثل يضرب لمن يستخف بالشيء فلا يعمل به تقول
 العرب اجعل هذا خلف ظهرك وذر أدنك وتحت قدمك أى اتركه وأعرض عنه (كانهم
 لا يعلمون) تشبيه لهم بمن لا يعلم شيأ مع كونهم يعلمون علماء يقيمون التوراة بما يجب عليهم
 من الايمان بهذا النبي ولكنهم لم يعلموا بالعلم بل عملوا على ما لا يعلم من نذ كتاب الله
 وراء ظهورهم كانوا بمنزلة من لا يعلم وهم علماء اليهود تجاهلوا وجههم على ذلك عداوة
 النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا قليلين (واتبعوا) عطف على نذ (ما اتوا الشياطين على
 ملك سليمان) يعنى اليهود والتلاوة القراءة قال الزجاج على عهد سليمان وقيل المعنى في
 زمن ملكه وقيل في قصصه وصفاته وأخباره قال الفراء تصلى على وفى في هذا الموضع
 والاول أظهر وقيل يضمن تلوا معنى تتقول أى تتقول على ملك سليمان وهذا أولى فان
 التجوز في الأفعال أولى من التجوز في الحروف وقد كانوا يظنون أن هذا هو علم سليمان
 وانه يستجيزه ويقول به فرد الله ذلك عليهم وقال (وما كفر سليمان) يعنى بالسحر ولم يعمل
 به وسليمان علم أعجمي فلذلك لم ينصرف وقال أبو البقاء فيه العجمة والتعريف والالف
 والنون وهذا التماثل اذا دخله الاشتقاق والتعريف وقد تقدم أنهم لا يدخلون في
 الاسماء العجمية وفيه تنزيه سليمان عن السحر ولم يتقدم أن أحد انساب سليمان الى
 الكفر ولكن لما نسبته اليه الى السحر صاروا بمنزلة من نسبته الى الكفر لان السحر
 يوجب ذلك وقالوا ان سليمان ملك الناس بالسحر ولهذا أثبت الله سبحانه كفر الشياطين
 فقال (ولكن الشياطين كفروا) أى بتعليمهم قرأ ابن عاصم والكوفيون سوى عاصم ولكن
 بالتخفيف ورفع الشياطين والباقيون بالتشديد والنصب عن ابن عباس قال ان الشياطين
 كانوا يسترقون السمع من السماء فاذا سمع أحد منهم بكلمة حق كذب معها ألف كذبة
 فأشربتها قلوب الناس واتخذوها دواوين فأطلع الله على ذلك سليمان بن داود فأخذها
 فدفعها تحت الكرسي فلما مات سليمان قام شيطان بالطريق فقال ألا ادلكم على كنز
 سليمان الذي لا كنز لا حد مثل كنزه المضع قالوا نعم فخرجوه فاذا هو بحرقنا سحرنا
 الا هم وأمر الله عذر سليمان فيما قالوا من السحر فقال واتبعوا الآية أخرجه الحاكم
 وصححه وأخرج النسائي وابن أبي حاتم عنه قال كان آصف كاتب سليمان وكان يعلم

منه أحد ولا يجير منه أحد كما قال تعالى وهو يبيح ولا يجار عليه وقال فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد وقال مالك
 لا تنصرون بل هم اليوم مستسلمون وقال فلولاً نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم الآية وقال
 الفخالك عن ابن عباس في قوله تعالى مالكم لا تنصرون مالكم اليوم لا تمنعون منها هيأت ليس ذلك لكم اليوم قال ابن جرير
 وتأويل قوله ولا هم ينصرون يعنى أنهم يومئذ لا ينصرون ناصرهم ناصر كما لا ينفع لهم شافع ولا يقبل منهم عدل ولا فدية بطلت هنالك
 المحاباة واضمحلت الرشا والشفاعات وارتفع من القوم الناصر والتماعون وصاروا الخكم الى الجبار العدل الذي لا ينفع لديه الشفعاء
 والنصر فيجزى بالسيئة مثلهن بالحسنه أضاعها وذلك نظير قوله تعالى وقفوههم انهم مسئولون مالكم لا تنصرون بل هم اليوم

مستسلمون (واذنبيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك لعلكم تتقون) يقول تعالى إذ کروا بنی اسرائیل نعمتی علیکم اذینحینا کم من آل فرعون یسومونکم سوء العذاب ائی خلاصکم منهم وآنقذتکم من ایدیهم صیحة موسی علیه السلام وقد کانوا یسومونکم ائی یوردونکم ویدیقونکم و یولونکم سوء العذاب وذلك ان فرعون لعنه الله کان قد سدرأی رؤیا لعلہ رأى ناراً خرجت من بیت المقدس فدخلت بیوت القبط ببلاد مصر الا بیوت بنی اسرائیل مضمونها ان زوال ملکہ یکون علی یدی رجل من بنی اسرائیل ویقال بعد تحدت (١٥٢) سماره عنده بأن بنی اسرائیل یوقعون خروح رجل منهم یکون لیم به دولة

ورفعة وهكذا جاء فی حدیث الثمّنون کما سیأتی فی موضعه فی سورة طه ان شاء الله تعالی فعند ذلك أمر فرعون لعنه الله بقتل کل ذکر یولد بعد ذلك من بنی اسرائیل وان تترك البنات وأمر باستعمال بنی اسرائیل فی مشاق الاعمال وأرد لها وهنسا فسر العذاب بذبح الابناء وفی سورة ابراهیم عطف علیه کما قال یسومونکم سوء العذاب ویدبحون ابناءکم ویستحيون نساءکم کما سیأتی تفسیر ذلك فی أول سورة القصص ان شاء الله تعالی وبه الثقة والمعونة والتأيید ومعنی یسومونکم یولونکم قاله أبو عبدة کما یقال سامه خطه خسف اذا أولاه ایاها قال عمرو بن کنثوم

اذا مالک سام الناس خسفا

أینا أن نقر الخسف فینا وقيل معناه یدبون عذابکم کما یقال ساعة الغنم من ادا متها الرعى نقله القرطبي وانما قال ههنا یذبحون ابناءکم ویستحيون نساءکم لیکون ذلك تفسیر للنعمة علیهم فی قوله یسومونکم سوء

الاسم الاعظم وكان یکتب کل شیء بأمر سلیمان ویدفنه تحت کرسيه فلما مات سلیمان أخرجه الشیاطین فکتبوا بین کل سطرین سحرا وكفرا وقالوا هذا الذی کان سلیمان یعمل به فاکفره جهال الناس وسبوه ووقف علماؤهم فلم یزل جهالهم یسبونہ حتی أنزل الله علی محمد صلی الله علیه وآله وسلم واتبعوا الاية (یلمون الناس السحر) وهو ما یفعله الساحر من الحیل والتخیلات التي یحصل بسببها المصحور ما یحصل من الخواطر الفاسدة الشبهه بما یقع لمن یرى السراب فیظنه ماء وما یظنه راكب السفینه أو الدابة من أن الجبال تسیر وهو مشتق من سحرت الصبی اذا خدعته وقيل أصله الخفاء فان الساحر یفعله خفیة وقيل أصله الصفر لان السحر مصروف عن جهته وقيل أصله الاسماء لان من سحرک استمالک وقال الجوهری السحر الاخذة وکل ما طف مأخذه ودق فهو سحر والساحر العالم وقال الغزالی السحر نوع یستفاد من العلم بخواص الجواهر وبأمر حسابیة فی مطالع النجوم فیخضع من تلك الخواص ھیکل علی صورة الشخص المسحور ویترصد له وقت مخصوص من المطالع وتقرن به کلمات یتلفظ بها من الذکر والفحش المخالف للشرع ویتوصل بسببها الی الاستغاثة بالشیاطین وتحصل من مجموع ذلك بحکم اجراء الله العادة أحوال غریبة فی الشخص المسحور انتهی وقد ذکر أبو السعود أنواعا من السحر فلیرجع الیه وقد اختلف علل لحقیقة أم لا فذهب المعتزلة وأبو حنيفة الی أنه خدع لأصل له ولا حقیقة وذهب من عداهم الی أن له حقیقة مؤثرة وقد صرح أن النبی صلی الله علیه وآله وسلم سحر سحره لیسید بن الاعصم الی وادی حتی کان یخيل الیه أنه یأتی الشیء ولم یکن قد أتاه ثم شفاہ الله سبحانه والکلام فی ذلك یطول وعبد رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم السحر من البکائر وشاء بالشرک کما فی الصحیحین (و) ائی ویعلمون الناس (ما أنزل علی الماکین) فهو معطوف علی السحر والمراد به ما وخذوا العطف لتغاير الاعتبار أو هو نوع أقوى منه أو علی ما تلوا وما بینهما اعتراض ائی واتبعوا ما أنزل الخ قال السیدي هذا سحر آخر خاصه و به فان کلام الملائكة فیما بینهم اذا علمته الانس فصنع وعمل به کان سحرا (بیابل) ائی فی بابل وهو اسم أرض أو بلد فی سواد العراق أو أرض الکوفة قاله ابن مسعود وقيل جبل دماوند وقيل نهاوند وقيل نصیبین وقيل المغرب ومنع الصرف للجمعة والعلمیة أو للتأنيث والعلمیة سمیت بذلك لتبلیل السنة الخلاق بها والبلدة

العذاب ثم فسر بهذا القول ههنا واذ کروا نعمتی التي أنعمت علیکم وأما فی سورة ابراهیم فلما قال وذکرهم بايام التفرقة الله ائی بايامه ونعمه علیهم فناسب ان یقول ههنا یسومونکم سوء العذاب ویدبحون ابناءکم ویستحيون نساءکم فعتطف علیه الذبح لیدل علی تعدد النعم والایادی علی وفرعون علم کل من ملک مصر کافر من العمالیق وغيرهم کما أن قیصر علم علی کل من ملک الروم مع الشام کافرا وکسری لمن ملک الفرس وتسع لمن ملک الین کافرا والنجاشی لمن ملک الحبشة و بطليموس لمن ملک الیند ویقال کان اسم فرعون الذی کان فی زمن موسی علیه السلام الولید بن مصعب بن الزیان وقيل مصعب بن الزیان فکان من سلالة علی بن الاود بن ارم بن سام بن نوح وکنیة أبوه مره وأصله فارسی من اصطخر وأما ما کان فعله لعنه الله وقوله تعالی

وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم قال ابن جرير وفي الذي فعلنا بكم من انجائنا آباءكم كما كنتم فيه من عذاب آل فرعون بلاء لكم من ربكم عظيم أي نعمة عظيمة عليكم في ذلك وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله تعالى بلاء من ربكم عظيم قال نعمة وقال مجاهد بلاء من ربكم عظيم قال نعمة من ربكم عظيمة وكذا قال أبو العالية وأبو مالك والسدي وغيرهم وأصل البلاء الاختبار وقد يكون بالخير والشر كما قال تعالى ونبأكم بالشر والخير فتنة وقال أبو بلوناهم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون قال ابن جرير وأكثر ما يقال في الشر بلوته أو ببلوته بلاء وفي الخير ببلوته بلاء (١٥٣) قال زهير بن أبي سلمى

بحرئ الله بالاحسان ما فعلا بكم
وأبلاهما خيرا بالبلاء الذي يلاو
قال جهم بن المغيرة لأنه أراد فأنعم
الله عليهم ما خيرا نعم التي يختبر بها
عباده وقيل المراد بقوله وفي ذلكم بلاء
إشارة إلى ما كانوا فيه من العذاب
المهين من ذبح الإبناء واستحياء
النساء قال القرطبي وهذا قول
الجمهور ولفظه بعدما حكى القول
الأول ثم قال وقال الجمهور
الإشارة إلى الذبح ونحوه والبلاء
ههنا في الشر والمعنى وفي الذبح
مكروه وامتحان وقوله تعالى
واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم
وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون
معناه وبعد أن أنقذناكم من آل
فرعون وخرجتم مع موسى عليه
السلام خرج فرعون في طلبكم
ففرقنا بكم البحر كما أخبر تعالى عن
ذلك مفصلا كما سيأتي في مواضعه
ومن أبسطها في سورة الشعراء أن
شاء الله فأنجيناكم أي خلاصناكم
منهم وخرجنا بينكم وبينهم
وأغرقناهم وأنتم تنظرون ليكون
ذلك أشقى لصدوركم وأبلغ في أهانة
عدوكم قال عبد الرزاق آباءنا معمر

المتفرقة وقيل إن ما في قوله وما أنزل على الملوك نافذة والواو عاطفة على قوله وما كفر
سليمان وفي الكلام تقديم وتأخير والتقدير وما كفر سليمان وما أنزل على الملوك
ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر يسابل (هاروت وماروت) فهاروت
وमारوت بدل من الشياطين على قراءة التشديد والنصب في قوله ولكن الشياطين كفروا
ذكره هذا ابن جرير وأما على قراءة التخفيف والرفع فهو منصوب على الذم وهو بدل بعض
ومن فسرهما بقبيلتين من الجن يكون عنده بدل كل وقال ابن جرير فإن قال لنا القائل
وكيف وجه تقديم ذلك قيل تقديمه ان يقال واتبعوا ما اتلووا الشياطين على ملك سليمان
وما كفر سليمان وما أنزل الله على الملوك ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر
يسابل هاروت وماروت فيكون معنيا بالملوك جبريل وميكائيل لأن سحر اليهود فيما
ذكر كانت تزعم أن الله أنزل السحر على إسمان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود
فأكذبهم الله بذلك وأخبر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر
وبرأ سليمان مما نالوه من السحر وأخبرهم أن السحر من عمل الشياطين وإنما تعلم الناس
ذلك يسابل وأن الذي يعلمونهم ذلك رجلان أحدهما هاروت والآخر ماروت فيكون
هاروت وماروت على هذا التأويل ترجعة عن الناس وردا عليهم انتهى يعني أنه بدل من
الناس أي يعلمان الناس خصوصاً هاروت وماروت وقال القرطبي في تفسيره بعد أن
حكى معنى هذا الكلام ورجح أن هاروت وماروت بدل من الشياطين ما لفظه هذا أولى
ما حلت عليه الآية وأصح ما قيل فيها ولا يلتفت إلى سواه فالسحر من استخراج الشياطين
للطاقة بجوهرهم ودقة أفهامهم وأكثر ما يعاطاه من الأنس النساء وخاصة في حال طمأنينة
قال الله ومن شر النفاثات في العقد ثم قال إن قيل كيف يكون إثبات بدل من جمع والبدل
انما يكون على حد المبدل منه ثم أجاب عن ذلك بأن الاثنين قد يطلق عليهما الجمع أو انهما
خصا بالذكور دون غيرهما لمرادهم ما يؤيد هذا أنه قرأ ابن عباس والخنساء والحسن
الملكين بكسر اللام ولعل وجه الخزم بهذا التأويل مع بعده وظهور تكلفه تنزيه الله
سبحانه أن ينزل السحر إلى أرضه فتنة لعباده على ألسن ملائكته وعندى أنه لا موجب
لهذا التعسف الخالف لما هو الظاهر فإن الله سبحانه أن يمتحن عباده بما شاء كما امتحن
بنهر طموت ولهذا يقول الملوك انما نحن فتنة ويؤيده ما قال أبو السعود أن مقام وصف

(٢٠ ل - فتح البيان) عن أبي اسحق الهمداني عن عمرو بن ميمون الأودي في قوله تعالى واذا فرقنا بكم البحر إلى قوله وأنتم
تنظرون قال لما خرج موسى بنى إسرائيل بلغ ذلك فرعون فقال لا تتبعوهم حتى تصيح الديكة قال فوالله ما صاح لي لتشد يدك حتى
أصبحوا قد عابسا فذبحت ثم قال لأفرغ من كبدها حتى يجمع إلى ستمائة ألف من القبط فلم يفرغ من كبدها حتى اجتمع إليه
ستمائة ألف من القبط فلما أتى موسى البحر قال له رجل من أصحابه يقال له يوشع بن نون أين أمر ربك قال أما ما يشير إلى البحر
فأقيم يوشع فرسه في البحر حتى بلغ الغمر فذهب به الغمر ثم رجع فقال أين أمر ربك يا موسى فوالله ما كذبت ولا كذبت فعل

ذلك ثلاث مرات ثم أوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فصار كل فرق كالطود العظيم يقول مثل الجبل ثم صار موسى ومن معه واتبعهم فرعون في طريقهم حتى اذا استأوا فيه أضيقه الله عليهم فلذلك قال وتغرق آل فرعون وأنت تتظرون وكذلك قال غير واحد من السلف كما ساقى بيانه في موضعه وقد ورد أن هذا اليوم كان يوم عاشوراء كما قال الامام أحمد حدثنا عثمان حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن عبد الله بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود يصومون يوم عاشوراء (١٥٤) فقال ما هذا اليوم الذي تصومون قالوا هذا يوم صالح خذنا يوم

الشياطين بالكفر واضل الله الناس مما لا تلاحق وصف رؤسائهم بعد ذكر من النهي عن الكفر مع ما فيه من الاخلال بنظام الكلام فان لا بد من الاية في حكم تسمية المبدل منه وقال عاروت وماروت عطف بيان للمسكين عليهما وقري برفع على عشاروت وماروت انتهى المراد منه قال ابن جرير روى عن كثير من السلف انهم كانوا يملكون من الجاهل وأنهم ما أنزلوا الى الارض فكان من أمرهم ما كان وكان عبد الرحمن بن أبي ربيعة يقرأها وما أنزل على الملكين داود وسليمان وقال النخعي عدا عدا عن أهل يافا وماروت وماروت اسمان أعجميان لا يعرفان وعدا اسم يافا ويجمعان على عواريت ومواريت وعوارية وموارية وليس من رعيه اشتقاقا من العير والموت وهو الكسر يصيب لعدم انصرافهما وكما استفتين كما ذكرنا تصرفا يخرج اليه في شعب الايمان من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشرقت الملائكة على الدنيا فرأت بنى آدم يعصون فقلت يا رب ما أجعل هؤلاء وما أفعل هؤلاء فبعثت ملكا فقال الله لو كنتم في سلاخيه لعصيتوني قالوا كيف يكون هذا ونحن نسمع بحديثه ونقدس له قال فاختاروا منكم من كان فيهم من عدا روت وماروت ثم أخذوا الى الارض وركبت فيه عمارات بنى آدم ومثلت ليهما امرأة عاصدا حتى واقعا فقصصه فقال الله اختار عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة فنظر أحدهما صاحبه قال ما تقول قال أقول ان عذاب الدنيا منقطع وان عذاب الآخرة لا ينقطع فاختار عذاب الدنيا فبسطا اللذان ذكرته في حديثه وما أنزل على الملكين الآية وقد روي هذه القصة عن ابن عمر بانها روي بعثها الله بروي ذلك ابن عمر عن كعب بن الجراح أنه أخرجه جماعة من أهل الأثر وأخرج البخاري وصححه عن علي بن أبي طالب ان هذه المرأة قد سمى العرب الزهرة والجمهم أنا حيد قال ابن كثير وهذا الاسناد وجلة ثقات وشيوخه جدا وعن ابن عباس الزهرة امرأة وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سخط في بلدته وكانت من أجل انساها فنهضت كوكبا وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وأخاكم وصححه ونهت في الشعب عنه فذكر قصة طويلة وفيها انتصر بين المشركين شربا الخمر وزينا المرأة وتلاها وعن ابن مسعود قال انهم أنزلت اليه رزقا في صورة

نحي الله عز وجل فيه بنى اسرائيل من عذوبهم قصاصه موسى عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أحق بموسى منكم قصاصه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بصومه وروى هذا الحديث البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه من طرق عن أيوب السجستاني به شحوا ما تقدم وقال أبو يعلى الموصلي حدثنا أبو الزريع حدثنا سلام يعني بن سليم عن زيد العمى عن يزيد الرقاشي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فلق الله البحر لبنى اسرائيل يوم عاشوراء وهذا ضعف من هذا الوجه فان زيدا العمى فيه ضعف وشيخ يزيد الرقاشي أضعف منه (واذوا عدا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ثم عقونا عنكم من بعد ذلك لعلمكم تشكرون واذا آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلمكم تهتدون) يقول تعالى واذا كررنا نعمتي عليكم في عقرى عنكم لما عبدتم العجل بعد ذهاب موسى لميقات ربه عند انقضاء أمسه المواعيد وكانت

أربعين يوما وحى المذكرة في الاعراف في قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتينا بها عشرين قيل لهم ذوالقعدة امرأة بكاء وعشر من ذى الحجة وكان ذلك بعد سلامهم من فرعون وانجائهم من البحر وقوله تعالى واذا آتينا موسى الكتاب والفرقان وهو ما يفرق بين الحق والباطل والهدى والضلالة لعلمكم تهتدون وكذلك أيضا بعد سخر وجههم من البحر كما دل عليه سياق الكلام في سورة الاعراف ولتروا تعالوا ولقد آتينا موسى الكتاب والفرقان الا انهم انزلوا بصائرهم وهدى ورجة عليهم يذكرون وقيل انوا زائدة والمعنى ولتروا تعالوا ولقد آتينا موسى الكتاب والفرقان وهذا غريب وقيل عطف عليهم وان

كان المعنى واحدا كما في قول الشاعر وقد تمت الادب لرافشه ، فالتى قولها كذا وبينا وقال الآخر
 ألا حبذا هند وأرض بها هند ، وهند أتى من دونها التأى والبعد فالكذب هو المين والتأى هو البعد وقال عنتره
 حيث من طلل تقادم عهد * أقوى وأقوى بعد أم الهشم فغطف الاقنار على الاقواء وهو هو (واذ قال موسى لقومه يا قوم
 انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقبلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه عوالتوب
 الرحيم) هذه صفة توبته تعالى على بن اسرائيل من عبادة العجل قال الحسن (100) البصري رحمه الله في قوله تعالى واذ

قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم
 أنفسكم باتخاذكم العجل فقال
 ذلك حين وقع في قلوبهم من شأن
 عبادتهم العجل ما وقع حتى قال الله
 تعالى ولماسقط في أيديهم ورأوا
 انهم قد ضلوا قالوا اللهم ان برجنارنا
 ويغفر لنا الآية قال فذلك حين
 يقول موسى يا قوم انكم ظلمتم
 أنفسكم باتخاذكم العجل وقال
 أبو العالمة وسعيد بن جبيرة والربيع
 ابن أنس فتوبوا الى بارئكم أى الى
 خالقكم قلت وفي قوله ههنا الى
 بارئكم تنبيه على عظم جرمهم أى
 فتوبوا الى الذى خلقكم وقد
 عيذتم معه غيره وقد روى النسائي
 وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث
 يزيد بن هرون عن الاصمعي بن زيد
 الوراق عن القاسم بن أبي أيوب عن
 سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال
 فقال الله تعالى ان توبتهم أن يقتل
 كل واحد منهم من لقي من والدو له
 فبقتله بالسيف ولا يالى من قتل في
 ذلك الموطن فتاب أولئك الذين
 كانوا اخي على موسى وهرون
 ما طلع الله على ذنوبهم فاعترفوا
 بها وفعلا ما أمروا به فغفر الله

أمرأة وانهم ما وقعوا في الخطيئة وقد روى في هذا الباب قصص طويلة وروايات مختلفة
 استوفاهما السيوطي في الدر المنثور وذكر ابن كثير في تفسيره بعضها ثم قال وقد روى في
 قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة
 وأبي العالمة وغيرهم وقصصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين وحاصلها راجع
 في تفصيلها الى أخبار بنى اسرائيل اذ ليس فيه حديث مرفوع متصل الاسناد الى
 الصادق المصدوق المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى وظاهر سياق القرآن اجمال القصة
 من غير بسط ولا اطباق فيها فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراد الله تعالى والله
 تعالى أعلم انتهى وقال أبو السعدي ما معدبان يبايل قيل معلقان بشعورهم ما قيل
 منكوسان يضربان بسيطا الحديد الى قيام الساعة وهذا مما لا تعويل عليه لما أن مداره
 رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لدلالة العقل والنقل انتهى ومثله في الخازن وشحوة في
 المظهرى وهذا القول يقتضى ان هذه القصة غير صحيحة وانما ثبت بنقل معتبر وتبع
 أبو السعدي ذلك البضاوى التابع في ذلك للفخر الرازى والسعد التفتازانى وغيرهما
 ممن أطلال في ردها لكن قال الشيخ زكريا الانصارى الحق ما أفاده شيخنا حافظ عصره
 الشهاب ابن حجران لها طرافة تفيد العلم بصحتها فقد رواها هريرة فوعة الامام أحمد وابن حبان
 والبيهقي وغيرهم وموقوفة على علي وابن مسعود وابن عباس وغيرهم بأسانيد صحيحة قال
 الخفافى قال المحدثون وجميع رجاله غير موثق بهم لكن قال خاتمة الحفاظ الشهاب ابن
 حجران له طرقا كثيرة جعته في جزء مفرد يكاد الواقف عليها يقطع بصحتها اكثرها وقوة
 تخارجها وقال بعضهم بلغت طريقه ثيفا وعشرين انتهى قلت والبضاوى لما استبعد
 هذا المنقول ولم يطلع عليه قال انه يحكى عن اليهود ولعله من رموز الاولين ذكره الخطيب
 وكذا أصل الكلام طعنوا في هذه القصة وعدوها من المحالات لمسخ الانسان كوكبا كما
 بينوه في كتبهم وحاول البضاوى التوفيق بانها انتميات كقصص ابسال وسلامان وحرير
 مقطان وغير ذلك مما وضعه المتقدمون والمتأخرون اشارة الى أن القوى لوركت
 في تلك العصا وأسماء الله وما جاته تلحق السفلى بالعلوى ونحوه هذا وقد أطنب الشيخ ابن
 حجر المكي في جواب الرازى واستبعاده لهذه القصة في كتابه الزاوج بما لا مزيد عليه
 وقال القرطبي بعد سياق بعض تلك قلنا هذا كله ضعيف بعيد عن ابن عمر وغيره لا يصح

للقائل والمتقول وهذا قطع من حديث الفتون وسائر في سورة طه بكلامه ان شاء الله وقال ابن جرير حدثني عبد الكريم بن الهشم
 حدثنا ابراهيم بن بشار حدثنا سفيان بن عيينة قال قال أبو سعيد عن عكرمة عن ابن عباس قال قال موسى لقومه توبوا الى بارئكم
 فاقبلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه عوالتوب الرحيم قال أمر موسى قومه عن أمر ربه عز وجل أن
 يقبلوا أنفسهم قال وأخبر الذين عبدوا العجل فجلسوا وقام الذين لم يعكفوا على العجل فأخذوا الخناجر بأيديهم وأصابهم ظلمة
 شديدة جعل يقتل بعضهم بعضا فانجحت الظلمة عنهم وقد جلاوا عن سبعين ألف قتيل كل من قتل منهم كانت له توبة وكل من بقي كانت له

قوة وقال ابن جرير أخبرني القاسم بن أبي برة أنه سمع سعيد بن جبيرة ومجاهدا يقولان في قوله تعالى فاقتلوا أنفسكم قال أقام بعضهم إلى بعض بالخناجر يقتل بعضهم بعضا لا يختار رجل على قريب ولا بعيد حتى ألقى موسى شوبه فطرحوا ما بأيديهم فكشف عن سبعين ألف قتيل وإن الله أوحى إلى موسى أن حسي فقد اكتنفت فذلك حين ألقى موسى شوبه وروى عن علي رضي الله عنه نحو ذلك وقال قتادة أمر القوم بشديد من الأمر فقاموا يتساحرون بالشفار يقتل بعضهم بعضا حتى بلغ الله فيهم نقمته فسقطت الشفار من أيديهم فامسك عنهم القتل (١٥٦) فجعل لهم توبة ولم يقتل شهادة وقال الحسن البصري أصابهم طمة

منه شيء فاقبل قوله تدفعه الأصول في الملائكة الذين هم أمناء الله على وحيه وسفر أروء إلى رساله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ثم ذكر ما معناه أن العقل يجوز وقوع ذلك منهم لكن وقوع هذا البخار لا يدرك إلا بالسمع ولم يصح انتهى وأقول هذا مجرد استبعاد وقد ورد الكتاب العزيز في هذا الموضع بما تراه ولا وجه لآخر أجده عن ظاهرهم هذه التفسيرات وما ذكره من أن الأصول تدفع ذلك فعلى فرض وجود هذه الأصول فيبي محصية بما وقع في هذه القصة ولا وجه لمنح التخصيص وقد كان إبليس بتلك المنزلة العظيمة وصار أشد البرية وأكفر العالمين (وما يعلمان من أحد) أي هاروت وماروت أو الرجالان والاول أولى قال الزجاج تعليم أنار من السحر لا تعليم دعاء اليه قال وهو الذي علمه أكثر أهل اللغة والظن ومعناه أنهم يعلمان على التمام فيقولون لهم لا تتعلموا كذا وقد قيل أن قوله يعلمان من الأعلام لا من التعليم وقد جاء في كلام العرب تعليم بمعنى أعلم كحكاية ابن الأباري وابن الأعرابي وهو كثير في أشعارهم (حتى يقولوا) أي الآن ينسخها أولا أو أن يقولوا (انما نحن قسمة) هو على ظاهره أي ابتلاء واختبار من الله لعباده ومحنة وقيل أنه استمراء منهم ما لأنهم انما يقولونه لمن قد تحقق ضلاله والاول أولى والمعنى انما نحن ابتلاء فمن عمل بما تعلم منا واعتد حقيقته كفر ومن توقي عن العمل به واتخذ ذريعة للاقتناء عن الاعتزاز بمشله بقي على الايمان فلا تكفر باعتقاد حقيقته وجواز العمل به قاله أبو السعود قال الخفاجي فيه إشارة إلى أن الاجتناب واجب احتياطا وكلا لا يحرم الفلسفة المنصوب للذب عن الدين برد الشبهة وإن كان أغلب أحواله التحريم كذلك تعلم السحر إن فرض فشود في صقع وأر يدبين فساد له سم ليرجعوا إلى الحق وهو لا ينافي إطلاق القول بالتحريم فأعرفه انتهى قلت أخرج البزار بإسناد صحيح والحاكم وصححه عن ابن مسعود عن أبي كاهن أو سحر أو صدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد وأخرج البزار عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تطير أو نظير أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له ومن عقد عقدة أو من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد وأخرج عبد الرزاق عن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تعلم شيئا من السحر قليلا أو كثيرا كان آخر عهده من الله وفي قوله ما (فلا تكفر) أبلغ أنذار وأعظم تحذير أي إن هذا ذنب يكون من فعله كافر فلا تكفروا فيه

حندس فسقط بعضهم بعضا ثم انكشف عنهم فجعل توبتهم في ذلك وقال السدي في قوله فاقتلوا أنفسكم قال فاجتلد الذين عبدوه والذين لم يعبدوه بالسيوف فكان من قتل من الفريقين شهيدا حتى كثر القتل حتى كادوا أن يهلكوا حتى قتل منهم سبعون ألفا وحتى دعا موسى وهرون ربنا أهلك بني إسرائيل ربنا البقية البقية فأمرهم أن يلقوا السلاح وتاب عليهم فكان من قتل منهم من الفريقين شهيدا ومن بقي مكفرا عنه فذلك قوله فتأب عليهم أنه هو التواب الرحيم وقال الزمخشري لما أمرت بنو إسرائيل بقتل أنفسهم أبرزوا ومعهم موسى فاضطربوا بالسيوف وتطاعنوا بالخناجر وموسى رافع يديه حتى إذا فتر بعضهم قالوا يا بني الله ادع الله لنا وأخذوا بعضديه يسندون يديه فلم يرل أمرهم على ذلك حتى إذا قبل الله توبتهم قبض أيديهم بعضهم عن بعض فألقوا السلاح وحزن موسى وبنو إسرائيل للذي كان من القتل فيهم فأوحى الله جل

شأؤ إلى موسى ما يختار لك أمان قتل منهم فحي عندى برزقون وأمان بقي فقد قبلت توبته فمفسر بذلك دليل موسى وبنو إسرائيل رواه ابن جرير بإسناد جيد عنه وقال ابن اسحق لما رجع موسى إلى قومه وأحرق العجل وذراد في اليوم خرج إلى ربه بمن اختار من قومه فأخذتهم الصاعقة ثم بعثوا فسأل موسى ربه التوبة لبني إسرائيل من عبادة العجل فقال لا الآن يقتلوا أنفسهم قال فبلغني أنهم قالوا لموسى نصبر لآمر الله فأمر موسى من لم يكن عبدا للعجل أن يقتل من عبده جلسوا باللائية وأصلت عليهم القوم السيوف فجعلوا يقتلونهم فيش موسى فبكى إليه النساء والصبيان يطلبون العفو عنهم فتأب الله عليهم وعفا

عنهم وأمر موسى أن ترفع عنهم السيوف وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لما رجع موسى إلى قومه وكانوا سبعين رجلاً قد اعتزلوا مع هرون العجل لم يعبدوا فقال لهم موسى انطلقوا إلى موعدكم فقالوا يا موسى ما من نوبة قال بلى اقلوا أنفسكم ذاكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم الآية فاختططوا السيوف والخزرة والخناجر والسكاكين قال وبعث عليهم ضباباً قال فجعلوا يتلأمسون بالأيدي ويقتل بعضهم بعضاً قال ويلقى الرجل أمه أو أخاه فيقتله وهو لا يدري قال ويتنادون فيه إرحم الله عبداً صبر نفسه حتى يبلغ الله رضاه قال فقتلهم شهداء وتيب على أحيائهم (١٥٧) ثم قرأ فتاب عليكم أنه هو التواب الرحيم

(واذ قلتم يا موسى ان تؤمن لك

حتى نرى الله جوهرة فأخذتكم

الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم

من اعلموا تكلم اعلکم تشکرون)

يقول تعالى واذكر وانعمتي عليكم

في بعضي لكم بعد الصعق اذ سألتم

رؤی جہرۃ انا مالاً استطاع

لَكُمْ وَلَا لِمَنْ أَتَاكُمْ كَمَا قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ

قال ابن عباس في هذه الآية واذا

قَلَّمَ اٰمُوْسٰى اِنْ تَوَّعَدُكَ حَتٰى نَرٰى

الله جهره قال علانية وكذا

قال ابراهيم بن طهمان عن عماد

ابن اسحق عن أبي الحورث عن

انزعما، انه قال في قول الله تعالى

لَوْ نَشَاءُ لَمَكُنْ لَكَ حَيَاتٌ نَبْزِي اللَّهَ حَقًّا

أَيُّ عِلَالَةٍ أَيُّ حَتَمَ نَزَى اللَّهُ وَقَالَ

قتادة و إلى سعيد بن أنس حقه بنو

الآن قد أتى زماننا وقال أبو حنيفة

عبدالرحمن بن عبدالمطلب

عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أحب أن يحسن عيشه فليختر لنفسه امرأة واحدة.

الدين احسان - م شوي و سارو

معهم قال فسمعوا قال ما فهموا

لَنْ يَكُونَ لَكَ حِجَابٌ فِي يَوْمِ ذِکْرِكَ يَوْمَ تَكُونُ الْأَشْيَاءُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ

قال فسمعوا صوتا فصعقوا يقولون

ما يروا وقال مروان بن الحكم فم

خطابه على منبر مكة الصاعه

صِيحَةٌ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ السَّيِّدُ

بعضهم وبعض ينظرون ثم بعث هؤلاء

بماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم

والله الى موسى ان هؤلاء السبعين هم

ون قال فذلك قوله تعالى ثم بعثنا

بعد الموت ليستوفوا آجالهم وكذا

دليل على ان تعلم السحر كفر وظاهره عدم الفرق بين المعتقد وغير المعتقد وبين من تعلمه ليكون ساحرا ومن تعلمه لا يقدر على دفعه وبه قال أجد (فيتعلمون منهما) يعني من المالكين (ما يفرقون به بين المرء وزوجه) أى سحر اى يكون سببا فى التفريق بينهما كالتوبة والتخييل والنفس فى العقود ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الغشاء والنشور والخلاف بين الزوجين ابتلاء من الله تعالى وفى اسناد التفریق الى السحرة وجعل السحر سببا لذلك دليل على أن السحر تأثير فى القلوب بالحُب والبغض والجمع والفرقة والقرب والبعد وقد ذهب طائفة من العلماء الى أن الساحر لا يقدر على أكثر مما أخبر الله به من التفرقة لان الله ذكر ذلك فى معرض الذم للسحر وبين ما هو الغاية فى تعليمه فالوكان يقدر على أكثر من ذلك لذكره وقالت طائفة أخرى ان ذلك خرج مخرج الاغلب وان الساحر يقدر على غير ذلك المنصوص عليه وقيل ليس للسحر تأثير فى نفسه أصلا لقوله تعالى (وما هم بضارين به من أحد الا بأذن الله) والحق انه لا تنافى بين القولين المذكورين فان الاستفادة من جميع ذلك ان السحر تأثير فى نفسه وحقيقة ثابتة ولم يخالف فى ذلك الا المعتزلة وأبو حنيفة كما تقدم وهذا استثناء مفرغ من أهم الاحوال (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) يعنى السحر لانهم يقصدون به العمل أولان العلم بحجرات العمل غالبا وفيه تصريح بان السحر لا يعود على صاحبه بفائدة ولا يجب اليه منفعة بل هو ضرر محض وخسران صرف وشر بيت قال أبو السعد ودفنه ان الاجتناب عما لا تؤمن غواثا لخبركم علم الفلسفة التى لا يؤمن ان تسحر الى الغواية وان قال من قال

عرفت الشر لا الشر . ولكن لتوقه

ومن لا يعرف الشر * من الناس يقع فيه

انتهى (ولقد علموا) يعنى اليهود (لمن اشتراه) أى اختار السحر والمراد بالشراء هنا

الاستبدال أى من استبدل ما يتلو الشياطين (ماله فى الآخرة من خلاق) أى من نصيب

كما عند أهل اللغة كذا قال الزجاج (وليدس ما شروا به أنفسهم) أي باعوا ما قد أثبت لهم

العالم في قوله واما علماء اونها عنهم في قوله (لو كانوا يعلمون) واختلفوا في توجيه ذلك

فقال قطرب والاختفئ ان المراد بقوله ولقد علموا الشياطين والمراد بقوله لو كانوا يعلمون

الانس وقال الزجاج ان الاول للملئيين وان كان بصيغته الجمع فهو مثل قولهم الزيدان

قوله فاخذتكم الصاعقة الصاعقة نار وقال عروة بن رويم في قوله وانتم تنظرون قال صعد

وَصَعِقَ هَوْلًا وَقَالَ السَّيِّدُ فَأَخَذْتُكُمْ الصَّاعِقَةَ فَأَتَوْا أَفْئَامَ مُوسَى يَبْكِي وَيَدْعُو اللَّهَ وَيَقُولُ

وقد اهلك خبارهم لو شئت اهلكتهم من قبل وياي آثم لك بما فعل البس فها نحنا فاول

المجدوا العجل ثم ان الله احياهم فقاموا وعاشوا رجل رجل يتظر بعضهم الى بعض ليعرفوا

من بعد موتهم لعلهم يستذكرون وقال الربيع بن اسفان مؤلفهم عدو بهائم فعموا من

قال قتادة وقال ابن جرير حدثنا محمد بن حميد حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق قال لما رجع موسى الى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل وقال لا خيرة ولا سامري ما قال وحرق العجل وذرا في اليم اختار موسى منهم سبعين رجلا اخيرا فالخير وقال انطلقوا الى الله فوبوا الى الله مما صنعتم واسألوه التوبة على من تركتم ورائكم من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا واثابكم فخرج بهم الى طور سيناء فبات وقت له ربه وكان لا ياتيه الا باذن منه وعلم فقال له السبعون فيما ذكر حين صنعوا ما امر واياه وخرجوا لبقاء الله قالوا يا موسى اطلب لنا الى ربك نسبح (١٥٨) كلام ربنا فقال افعل فلما ذنا موسى من اجل وقع عليه الغمام

حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان موسى اذا كلمه الله وقع على جبهته فوساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر اليه فضرب دونه بالجاب ودنا القوم حتى اذا دخلوا في الغمام وقعوا سجودا فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه افعل ولا تفعل فلما فرغ اليه من أمره انكشف عن موسى الغمام فأقبل اليهم فقالوا موسى ان تؤمن لك حتى نرى الله جهرة تأخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فأتوا جميعا وقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب اليه ويقول رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي قد سفهوا أفهلك من ورائي من بني اسرائيل بما يفعل السفهاء منا أي ان هذا لهم دلائل واخترت منهم سبعين رجلا اخيرا فالخير أرجح اليهم وليس معي منهم رجل واحد فاما الذي يصدقوني بهو يا منوني عليه بعد هذا انا دنا اليك فلم يزل موسى يناشد ربه عز وجل ويطلب اليه حتى ردا اليهم أرواحهم وطلب اليه التوبة لبني اسرائيل من عبادة العجل فقال لا

قاموا والناسي المراد به علماء اليهود وانما قال لو كانوا يعلمون لانهم تركوا العمل بعلمهم (ولو انهم آمنوا) أي اليه وبنبي صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء به من القرآن (واتقوا) ما وقعوا فيه من السحر والكفر (لثوبة من عند الله) أي لكان ثواب الله اياهم (خير) ايهم يعني هذا الثواب والثوبة وزنها مفعولة قاله الواحدى أو مفعلة كمشورة وسترية وكان من حقها الاعلال فيقال مثابة كقالة الا انهم صححوها قاله السمين (لو كانوا يعلمون) ذلك هو اما للدلالة على انه لا علم لهم أو لتزيل عنهم مع عدم العمل منزلة العدم (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) أي راقبنا واحفظنا ويجوز أن يكون من راعنا سمعك أي فرغه لكلامنا ووجه النهي عن ذلك ان هذا اللفظ كان بلسان اليهود سببا قيل انه في لغتهم بمعنى اسمع لاسمعت وقبل غير ذلك فلما سمعوا المسلمين يقولون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم راعنا طلبا منه أن يراعيهم من المراجعة واعتوا الفرصة وكانوا يقولون النبي صلى الله عليه وآله وسلم كذلك ظهير بن انهم يريدون المعنى العربي مبطلين انهم يقصدون السب الذي هو معنى هذا اللفظ في لغتهم وفي ذلك دليل على انه ينبغي تجنب الانطاف المحذرة للسب والنقص وان لم يقصد المتكلم بها هذا المعنى المفيد للشمس سدا للذريعة ودفع الوسيلة وقطع المادة المفسدة والتطرق اليه ثم أمرهم الله بان يخاطبوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما لا يحتمل النقص ولا يصلح التعريض فقال (وقولوا انظرونا) أي أقبل علينا وانظر لنا وهو من باب الحذف والايصال وقيل معناه انظروا وتأن بنا وقرأ الاعشى انظرونا بمعنى آخرنا وامهنا حتى نفهم عندهم وأمرهم بعد هذا النهي والامر بما أمره وهو قوله (واسمعوا) أي اسمعوا ما أمرتم به وفيهم عنه معناه اطيعوا الله في ترك خطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك اللفظ وخاطبوه بما أمرتم به ولا تخاطبوه بما يسر اليه واذل تخبروا الخطابة صلى الله عليه وآله وسلم من الانطاف حسنهما ومن المعاني أدقها ويحتمل ان يكون معناه اسمعوا ما يخاطبكم به الرسول من الشرع حتى يحصل لكم المطلوب بدون طلب للمراجعة قال ابن جرير والصواب من القول عندنا في ذلك أن الله نهى المؤمنين ان يقولوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم راعنا لانها كلمة كرهها الله أن يقولوها النبي صلى الله عليه وآله وسلم نظير الذي ذكر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا تقولوا للغيب الكرم ولكن قولوا الحيلة ولا تقولوا

الآن يقولوا أنفسهم هذا سياق محمد بن اسحق وقال اسمعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير لما نابت بنو اسرائيل من عبادة العجل وتاب الله عليهم بقتل بعضهم بعض كما أمرهم الله به أمر الله موسى أن يأتى في كل أناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل ووعدهم موسى فاخترهم موسى سبعين رجلا على عينه ثم ذهب بهم ليعتذروا واساق البقية وهذا السياق يقتضى أن الخطاب توجه الى بني اسرائيل في قوله واذقتم يا موسى ان تؤمن لك حتى نرى الله جهرة والمراد السبعون المختارون منهم ولم يحك كثير من المفسرين سواد وقد أغرب الرازي في تفسيره حين حكى في قصة هؤلاء السبعين انهم بعد احياهم قالوا يا موسى

انك لا تطلب من الله شيئا الا اعطاك فادعه ان يجعل لنا آتيا فقد عابدك فاجاب الله دعوه وهذا غريب جدا ادلا يعرف في زمان موسى نبي سوى هرون ثم يوشع بن نون وقد غلط اهل الكتاب ابضا في دعواهم ان هؤلاء راوا الله عز وجل فان موسى الكليم عليه السلام قد سأل ذلك ففزع منه فكيف ياله هؤلاء السبعون القول الثاني في الآية قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في تفسير هذه الآية قال لهم موسى لما رجع من عند ربه الا لوح قد كتب فيها التوراة فوجدهم يعبدون الجبل فأمرهم بقتل أنفسهم ففعلوا فتاب الله عليهم فقال ان هذه الا لوح فيها كتاب الله فيه أمركم الذي أمركم به (١٥٩) ونهيكم الذي نهاكم عنه فقالوا ومن يأخذه بقولك أنت لا والله حتى نرى الله جهرة حتى يطلع الله علينا فقول هذا كافي فخذه ففاته لا يكلمنا كما يكلمك أنت يا موسى وقرأ قول الله ان تؤمن لك حتى نرى الله جهرة قال بغاغت غضبه من الله فخاءتهم صاعقة بعد التوبة فصعقتهم فماتوا أجعون قال ثم أحياهم الله من بعد موتهم وقرأ قول الله ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون فقال لهم موسى خذوا كتاب الله فقالوا لا نقبال أي شيء أصابكم فقالوا أصابنا انامتنا ثم أحيينا قال خذوا كتاب الله قالوا لا فبعث الله ملائكة فنسقت الجبل فوقهم وهذا السياق يدل على أنهم كفوا بعد ما أحياهم وقد حكي المأثور في ذلك قولين أحدهما انه سقط التكليف عنهم لمعانيتهم الامر جهرة حتى صاروا مضطرين الى التصديق والثاني انهم مكلفون الا لا يسخروا قلوبهم من تكليف قال التبرطي وهذا هو الصحيح لان معانيتهم للامور القطعية لا تنفع تكليفهم لان بني اسرائيل قد شاهدوا أمورا عظيما من خوارق

عبدى ولكن قولوا فتاى وما أشبه ذلك ثم توعد اليهود بقوله (والكافرين عذاب أليم) ويحتمل ان يكون وعيد شامل بالجنس الكفورة (ما يؤذون الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم) فيه بيان شدة عداوة الكفار للمسلمين حيث لا يودون انزال الخير عليهم من الله سبحانه وقد قيل بأن الخير الوحي وقيل غير ذلك والظاهر أنهم لا يودون أن ينزل على المسلمين أى خير كان فهو لا يختص بنوع معين كما يفيد وقوع هذه النكرة في سياق التوقيف كمد العموم بدخول من المزيعة عليها وان كان بعض أنواع الخير أعظم من بعض فذلك لا يوجب التخصيص (والله يختص برحمته) أى يميز (من يشاء) تميزه والرحمة قيل هي القرآن والاسلام وقيل النبوة وقيل جنس الرحمة من غير تعيين كما يفيد ذلك الاضافة الى تميزه تعالى (والله ذو الفضل العظيم) فكيف لا يودون ان يختص برحمته من يشاء من عباده وكل خير ناله عباده في دينهم ودنياهم فانه منه ابتداء وتفضلا عليهم من غير استحقاق أحد منهم لذلك بل له الفضل والمنة على خلقه (ما ننسخ من آية) كلام مستأنف قاله أبو السعود وقال الهندي لم يعطف لشدته ارتباطه بما قبله والنسخ في كلام العرب على وجهين أحدهما النقل كقول كلب من آخر وعلى هذا يكون القرآن كله منسوخا عنى من اللوح المحفوظ ولا مدخل لهذا المعنى في هذه الآية ومنه انا كنا ننسخ ما كنتم تعملون أى نأمر بنسخه الثاني الابطال والازالة وهو المقصود هنا وهذا القسم الثاني ينقسم الى قسمين عند أهل اللغة أحدهما ابطال الشيء وزواله واقامة آخر مقامه ومنه نسخ الشمس الظل اذا أذهبته وحلت محله وهو معنى قوله ما ننسخ من آية وفى صحيح مسلم لم تكن نبوة قط الا تنسخت أى تحوالت من حال الى حال والثاني ازالة الشيء دون ان يقوم مقامه آخر كقولهم نسخت الريح الاثر ومن هذا المعنى في نسخ الله ما يليق الشيطان أى يزيده وروى عن أبي عبيد ان هذا قد كان يقع في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكانت تنزل عليه السورة فترفع فلا تتلى ولا تكتب ومنه ما روى عن أبي وعائشة ان سورة الاحزاب كانت تعدل سورة البقرة في الطول قال ابن فارس النسخ نسخ الكتاب والنسخ ان يزيل أمر اكل من قبل يعمل به ثم ينسخه بحداد غيره كالأية تنزل بأمر ثم تنسخ بأمرى وكل شيء خلف شيئا فقد انتسخه يقال نسخ الشيب الشباب وتنسخ الورثة ان تموت ورثة بعد ورثة وأصل الميراث قائم

العبادات وهم في ذلك مكلفون وهذا واضح والله أعلم (وظلنا عليكم الغمام وأرسلنا عليكم الميا والساوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلموا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) لما ذكر تعالى ما دفعه عنهم من النقم شرع يذكروهم أيضا بما أسبغ عليهم من النعم فقال وظلنا عليكم الغمام وهو جمع غمامة سمي بذلك لانه يغيم السماء أى يوارىها ويسترها وهو السحاب الايض ظلاله في السيلية هم حر الشمس كما رواه النسائي وغيره عن ابن عباس في حديث القمون قال ثم ظلل عليهم في السيل بالغمام قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن عمر والربيع بن أنس وأبي مجلز والبخاري والسدي بنحو قول ابن عباس وقال الحسن وقتادة وظلنا عليهم الغمام كان هذا في

البرية ظلل عليهم الغمام من الشمس وقال ابن جرير قال آخر وهو غمام أبر من هذا وأطيب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي
حدثنا أبو حذيفة حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وظلنا عليهم الغمام قال ليس بالسحاب هو الغمام الذي يأتي الله فيه يوم
القيامة ولم يكن الإلهم وهكذا رواه ابن جرير عن المثني بن إبراهيم عن أبي حذيفة وكذا رواه الثوري وغيره عن ابن أبي نجيح عن
مجاهد وكان يريد والله أعلم أنه ليس من رى هذا السحاب بل أحسن منه وأطيب وأجسى منظرا كما قال سند في تفسيره عن حجاج
ابن محمد عن ابن جرير قال قال ابن عباس وظلنا (١٦٠) عليهم الغمام قال غمام أبر من هذا وأطيب وهو الذي يأتي الله

فيه في قوله هل ينظرون الآن
يأتيهم الله في ظلل من الغمام
والملائكة وهو الذي جاءت فيه
الملائكة يوم بدر قال ابن عباس
وكان معهم في التيسه وقوله تعالى
وأنزلنا عليكم المن اختلفت
عبارات المفسرين في المن ماهو
فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس
كان المن ينزل عليهم على الأشجار
فيغدون اليه فيأكلون منه ماشاءوا
وقال مجاهد المن صبغة وقال
عكرمة المن شيء أنزله الله عليهم مثل
الطل شبهه الرب الغليظ وقال
السدي قالوا يا موسى كيف لنا بما
ههنا أين الطعام فانزل الله عليهم
المن فكان يسقط على شجرة
الزبيبييل وقال قتادة كان المن
ينزل عليهم في محلهم سقوط النبل أشد
بياضا من اللبن واحلى من العسل
يسقط عليهم من طلوع الفجر الى
طلوع الشمس يأخذ الرجل منهم
قدر ما يكفيه يومه ذلك فاذا تعدى
ذلك فسد ولم يبق حتى اذا كان يوم
سادسه يوم جمعه أخذ ما يكفيه
ليوم سادسه ويوم سابعه لانه كان
يوم عيد لا يشخص فيه لامر

وكذا تناسخ الأزمنة والقرون وقال ابن جرير معنى ما تنسخ ما تنقل من حكم آية الى غيره
قنبله وتغيره وذلك ان يحول الحلال حراما والحرام حلالا والمباح محظورا والمحظور
مباحا ولا يكون ذلك الا في الامر والنهي والحظر والاطلاق والمنع والاباحة فاما الاخبار
فلا يكون فيها نسخ ولا منسوخ وأصل النسخ من نسخ الكتاب وهو نقله من نسخة الى
أخرى فكذلك معنى نسخ الحكم اني غيره انما هو تحويله الى غيره وسواء نسخ حكمها
أو خطها اذ هي في كاتى حالتها منسوخة انتهت وقد جعل علماء الاصول مباحث النسخ
من جملة مقاصد ذلك الفن فلان طول بذكره بل يحصل من أراد الاستيفاء عليه على كل ما
حصول المأمول من علم الاصول فليرجع اليه وقد اتفق أهل الاسلام على ثبوت سلفا
وخلفا وهو جائز عقلا وواقع سمعا ولم يخالف في ذلك أحد الا من لا يعتد بخلافه ولا يؤبه
بقوله وقد اشتهر عن اليهود أن أقامهم الله انكاره وهم محجوبون بما في التوراة فان الله قال
لنوح عليه السلام عند خروجه من السفينة اني قد جعلت كل دابة مأكلا لك ولذريتك
واطلعت ذلك لكم كنبات العشب ما خلا الدم فلا تأكلوه ثم قد حرم على موسى وعلى بني
اسرائيل كثيرا من الحيوان وثبت في التوراة ان آدم كان يزوج الاخ من الاخت
وقد حرم الله ذلك على موسى عليه السلام وعلى غيره وثبت فيها ان ابراهيم عليه السلام
أمر بنوح ابنه ثم قال الله لا تذبحه وان موسى عليه السلام أمر بني اسرائيل ان يقتلوا
من عبد منهم العجل ثم أمرهم برفع السيف عنهم وحرم عليهم العمل يوم السبت ولم يحرمه
على من كان قبلهم ونحو هذا كثير في التوراة الموقودة بأيديهم والقرآن الكريم نسخ جميع
الشرائع والكتب القديمة كالتوراة والاخيل وغيره ما ونسخ الآية بيان انهاء التعبد
بقراءتها أو بالحكم المستفاد منها أو بهما جميعا وانساؤها اذها من القلوب (أو نساها)
بفتح النون والسين والهمزة ومعنى هذه القراءة تؤخرها عن النسخ من قولهم نساها هذا
الامر اذا أخرته قال ابن فارس ويقولون نساها الله في أجلك وأنساها الله أجلك وقد نسا
القوم اذا أخره أو تبعده أو نساها أنا أي أخرتها وقيل معناها تؤخر نسخ لفظها أي تتركها
في ام الكتاب فلا يكون وقيل نساها عنكم لا تقرأ ولا تذكروا قري نساها بضم النون من
النسب ان الذي بمعنى الترك أي تتركها فلا تبدلها ولا تنسخها ومنه قوله تعالى نسوا الله
فنسواهم أي تركوا عبادته فتركهم في العذاب وحكي الاخرى ان معناه نساها بتركها يقال

معيشته ولا يطلبه لشيء وهذا كله في البرية وقال الربيع بن انس المن شراب كان ينزل عليهم مثل العسل فيزجونه بالماء أنسيته
ثم يشربونه وقال وهب بن منبه وسئل عن المن فقال خبز رقاق مثل الذرة أو مثل النقي وقال أبو جعفر بن جرير حدثني محمد بن
اسحق حدثنا أبو أحمد حدثنا اسرائيل عن جابر عن عامر وهو الشعبي قال عسلكم هذا جزؤ من سبعين جزأ من المن وكذا قال
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم انه العسل ووقع في شعرامية بن أبي الصلت حيث قال فرأى الله انهم يضيع * لا بدى مزرع ولا مشورا
فسناها عليهم غاديات * ويرى منهنم خلايا وخورا عسلانا طفوا ماء فراتا * وحليب اذ بهجة من مورا

فالتأطف هو السائل والحليب المزمور الصافي منه والقرص أن عبارات المفسرين متقاربة في شرح المن فيهم من فسر بالطعام ومنهم من فسر بالشراب والظاهر والله أعلم أنه كل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب وغير ذلك مما ليس لهم فيه عمل ولا كد فالمن المشهور أن كل وحده كان طعاما وحلاوة وان خرج مع الماء صار شرابا طيبا وان ركب مع غيره صار نوعا آخر ولكن ليس هو المراد من الآية وحده والدليل على ذلك قول البخاري حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير بن حريث عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الكفاة من المن (١٦١) وماؤها شفاء للعين وهذا الحديث رواه

الامام أحمد عن سفيان بن عيينة عن عبد الملك وهو ابن عمير به وآخرجه الجماعة في كتبهم الأباود من طرق عن عبد الملك وهو ابن عمير به وقال الترمذي حسن صحيح ورواه البخاري ومسلم من رواية الحكم عن الحسن العنزي عن عمرو ابن حريث به وقال الترمذي حدثنا أبو عبيدة بن أبي السفر ومجود بن غيلان قال حدثنا سعد بن عامر عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم والكفاة من المن وماؤها شفاء للعين تنرد باخرجه الترمذي ثم قال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث محمد بن محمد بن عمرو والامن حديث سعيد بن عامر عنه وفي الباب عن سعيد بن زيد وأبي سعيد وجابر كذا قال وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في نفسه يروى من طريق آخر عن أبي هريرة فقال حدثنا أحمد بن الحسن ابن أحمد البصري حدثنا أسلم بن سهل حدثنا القاسم بن عيسى حدثنا

أنس بن مالك أي أمرته بتركه ونسيته تركته وقال الزجاج ان القراءة بضم النون لا يتوجه فيها معنى الترك لا يقال أنسى بمعنى ترك قال وماروى عن ابن عباس أو نسيها أي نتركها لا نبدلها فلا يصح والذي عليه أكثر أهل اللغة والنظر أن معنى أو نسيها نبي لكم تركها من نسي إذا ترك ثم تعديده وقد ثبت في البخاري وغيره عن أنس ان الله أنزل في الذين قتلوا في بئر معونة ان بلغوا قومنا ان قد لقينار بنافرضي عنا وأرضانا ثم نسخ وهكذا ثبت في مسلم وغيره عن أبي موسى قال كنا نقرأ سورة نسيها في الطول والشدة يبرأه فأنسيتها غيراني حفظت منها لو كان لابن آدم واديان من مال لا تبغى واديانا لنا ولا عيلا جوفه إلا التراب وكنا نقرأ سورة نسيها بناحدى السجحات أولها سبح لله ما في السموات فأنسيتها غيراني حفظت منها يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألوا عنها يوم القيامة وقد روى مثل هذا من طريق جماعة من الصحابة ومنه آية الرحمن كما رواه عبد الرزاق وأحمد وابن حبان عن عمر (نأت بخير منها أو مثلها) أي نأت بما هو أنفع للناس منها في العاجل والآجل أو في أحدهما أو بما هو مماثل لها من غير زيادة ومراجع ذلك الى اعمال النظر في المنسوخ والناسخ فقد يدركون الناسخ أخف فيكون أنفع لهم في العاجل وقد يكون أنقل وثوابه أكثر فيكون أنفع في الآجل وقد يستويان فتحصل المماثلة وقال الشافعي الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة وتابعه على ذلك طائفة واستدل بهذه الآية وليس بصحيح والحق جواز نسخ الكتاب بالسنة والكلام في هذا معروف في أصول الفقه (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) هذه الآية تفيد أن النسخ من مقدوراته وان انكاره انكار لقدرة الالهية والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد هو وأمنه وفيه دليل على جواز النسخ والاستغناء للتقرير وهكذا قوله (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض) أي له التصرف فيها بما لا يتبادر الى الاختراع ونفوذ الامر في جميع مخلوقاته فهو أعلم بمصالح عبادهم وما فيه النفع لهم من أحكامه التي تعبدتهم بها وشرعها لهم وقد يختلف ذلك باختلاف الاحوال والازمنة والاشخاص وهذا وان كان خطا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لكنه فيه تكذيب لليهود المنكرين للنسخ (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) بينهم ما عوم وخصوص من وجه فان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون أجنبيا عن المنصور وفيه إشارة الى تعالى الخطابين السابقين

(٢١ ل - فتح البيان) طلحة بن عبد الرحمن عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكفاة من المن وماؤها شفاء للعين وهذا حديث غريب من هذا الوجه وطلحة بن عبد الرحمن هذا السلي الواسطي يكنى بأبي محمد رقبيل أبو سليمان المؤدب قال فيه الحافظ أبو أحمد بن عدي روى عن قتادة أشياء لا يتابع عليها ثم قال الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة أن ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا الكفاة تجدرى الارض فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم الكفاة من المن وماؤها شفاء للعين

والعجوة من الجنة وهي شفاء من السم وهذا الحديث قد رواه النسائي عن محمد بن بشار به وعنه عن غندر عن شعبة عن أبي بشر
جعفر بن إياس عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة عن محمد بن بشار عن عبد الأعلى عن خالد الخزاز عن شهر بن حوشب بقصة
الكفاة فقط وروى النسائي أيضا وابن ماجه من حديث محمد بن بشار عن أبي عبد الصمد بن عبد العزيز بن عبد الصمد عن مطر
الوراق عن شهر بن حوشب بقصة العجوة عند النسائي وبالقصتين عند ابن ماجه وهذه الطريق ممتطعة بين شهر بن حوشب وأبي هريرة فأن لم
يسمع منه بدليل ما رواه النسائي في الولاية (١٦٢) من سننه عن علي بن الحسين النخعي عن عبد الأعلى عن سعيد بن أبي

عروبة عن قتادة عن شهر بن
حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن
أبي هريرة قال خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم يذكرون
الكفاة وبعضهم يقول جسدري
الارض فقال الكفاة من المن وماؤها
شفاء للعين وروى عن شهر بن
حوشب عن أبي سعيد وجابر كما قال
الامام أحمد حدثنا سباط بن محمد
حدثنا الاعمش عن جعفر بن إياس
عن شهر بن حوشب عن جابر بن
عبد الله وأبي سعيد الخدري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الكفاة من المن وماؤها شفاء للعين
والعجوة من الجنة وهي شفاء من
السم وقال النسائي في الولاية أيضا
حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن
جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر
جعفر بن إياس عن شهر بن حوشب
عن أبي سعيد وجابر رضي الله
عنهما ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الكفاة من المن وماؤها شفاء
للعين ثم رواه أيضا وابن ماجه من
طريق عن الاعمش عن أبي بشر عن
شهر عنهم به وقد روي أيضا عن النسائي

بالامة أيضا وهذا صنع من لا ولي لهم غيره ولا نصير سواء فعلهم ان يتلقوه بالقبول
والامتنان والتعظيم والاحلال وقد ذهب جمهور أهل الاصول الى جواز نسخ القرآن
بالسنة المتواترة وخالف في ذلك الشافعي وتابعه على ذلك طائفة واختلاف المانعون فيهم
من منعه عقلا كالحرث المحاسبي وعبد الله بن سعيد القلانسي وهو رواية عن أحمد بن
حنبل ومنهم من منعه سمعا كالشيخ أبي حامد الأسفراخي احتج الجمهور بان التكليف
بمتواتر السنة كالتكليف بالآية القرآنية وبان ذلك قد وقع في هذه الشريعة المطهرة واحتج
الآخرون بقوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ونقرر بالدلالة من
وجهين أحدهما ان ما ينسخ به القرآن يجب أن يكون خيرا أو مثلا أو السنة ليست كذلك
ثانيهما انه قال نأت والضمير لله سبحانه فيجب ان لا ينسخ الا بما يأتي به الله وهو القرآن
وأجاب الاولون عن ذلك بان المراد بقوله نأت بخير منها أو مثلها أي بحكم خير منها أو مثلها
في حق المكلف باعتبار الثواب وهذا صحيح ولا يخالفه الضمير في قوله نأت فان القرآن
والسنة جميعا من عند الله سبحانه قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي بوحي
والكلام في المسئلة طويل وهو مدقون في الاصول بما لا يتسع المقام لسطه فالحق
الجواز وما نسخ الكتاب بما نسخ من آحاد السنة فقد منعه الجمهور لان الآحاد لا يفتقد
القطع والكتاب مقطوع به وذهب جماعة من متأخري الحنفية الى جواز نسخ القرآن
بالخبر المشهور وقال في جمع الجوامع ان نسخ القرآن بالآحاد جائز غير راقع وقال أبو بكر
الباقلاني والغزالي وأبو عبد الله البصري انه جائز في عصره صلى الله عليه وآله وسلم
لابعده وذهب جمع من النظار الى جوازه ووقوعه وأقول ان النزاع ان كان في قطعة
المتن فلا شأن بالقرآن كذلك وما صح من آحاد السنة ليس بقطع وان كان النزاع في
الدلالة فان كان القرآن المنسوخ عموما أو محتملا فدلالته ظنية كدلالة ما صح من الآحاد
والذي يصلح ان يكون محل للنزاع هنا هو الثاني لا الاول على انه قد وقع نسخ القطعي بالظني
فان استقبل بيت المقدس ثبت ثبوتنا قطعي ما تواتر ان أهل قباء استداروا الى الكعبة
وهم في الصلاة بخبر واحد ولم يترك عليهم ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك
ثبت نسخ الوصية للوالدين والاقربى بقوله صلى الله عليه وآله وسلم لا وصية لوارث
وكذلك نسخ قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد بقوله عائشة رضي الله تعالى عنها ما توفي

من حديث جرير وابن ماجه من حديث سعيد بن أبي سلمة كلاهما عن الاعمش عن جعفر بن إياس عن أبي نضرة عن رسول
أبي سعيد رواه النسائي وحديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الكفاة من المن وماؤها شفاء للعين ورواه ابن مردويه عن
أحمد بن عثمان عن عباس الدوري عن لاحق بن صواب عن عمار بن رزيق عن الاعمش كابن ماجه وقال ابن مردويه أيضا حدثنا
أحمد بن عثمان حدثنا عباس الدوري حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الاخوص عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد
الرحمن بن أبي ليلى عن أبي سعيد الخدري قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كفاة فقال الكفاة من المن وماؤها

الكفاة من المن وماؤها شفاء للعين
والهجوة من البخنة وفيها شفاء من
السم وهذا الحديث محفوظ أصله
من رواية جاد بن سلمة وقدر روى
لترمذى والنسائى من طريقه شيئاً
من هذا والله أعلم وروى عن شهر
عن ابن عباس كما رواه النسائى أيضاً
فى الوليمة عن أبى بكر أحمد بن على
ابن سعيد عن عبد الله بن عون
الخراسانى عن أبى عبيدة الحذاء عن
عبد الحليم بن عطية عن عبد الله
ابن عباس عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال الكفاة من المن وماؤها
شفاء للعين فقد اختلف كما ترى فيه
على شهر بن حوشب ويحتمل عندى
انه حفظه ورواه من هذه الطرق
كلها وقد سمعته من بعض الصحابة
وبلغته عن بعضهم فان الاسانيد
اليه جيدة وهو لا يعتمد الكذب
وأصل الحديث محفوظ عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم
من رواية سعيد بن زيد رضى الله
عنه وأما السلوى فقال على بن أبى
طلحة عن ابن عباس السلوى طائر
يشبه السماني كانوا يأكلون

منه وقال السدي في خبره ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن السولي طائر يشبه السمانى وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا خالد عن جهم عن ابن عباس قال السولى هو السمانى وكذا قال مجاهد والشعبي والخدش نس رجهم الله تعالى وعن عكرمة اما السولى فطير كطير يكون بالجنة أ كبر من العصفور أ طير الى الجرة تحشرها عليهم الریح الجنوب وكان الرجل يذبح منها قدر ما يكفيه يومه ذلك فاذا

يوم سادسة ليوم جعته أخذ ما يكفيه ليوم سادسة ويوم سابعة لانه كان يوم عبادة لا يشخص فيه شئ ولا يطلبه وقال وهب بن منبه
 السلاوى طير من مثل الحمامة كان يأتهم فيأخذون منه من سبت الى سبت وفي رواية عن وهب قال سألت بنو اسرائيل موسى عليه
 السلام لحاق فقال الله لا طعمهم من أقل لحم يعلم في الارض فأرسل عليهم ريحا فاذرت عندهم السلاوى وهو السماني مثل
 ميل في ميل قيد رمح في السماء فخبوا والغدقت اللحم وخزن الخبز وقال السدي لما دخل بنو اسرائيل التيه قالوا لموسى عليه السلام
 كيف لنا بما ههنا أين الطعام فأرسل (١٦٤) الله عليهم المن فكان ينزل على الشجر الزمخيم والسلاوى وهو طائر يسمى

السماني أكبر منه فكان يأتي
 احدهم فينظر الى الطير فان كان
 سمينا ذبحه والا أرسله فاذا سمى أتاه
 فقالوا هذا الطعام فأين الشراب
 فأمر موسى فضرب بعصاه الحجر
 فانفجرت منه اثني عشرة عينا
 فشرب كل سبط من عين فقالوا هذا
 الشراب فأين الظل فظلل عليهم
 الغمام فقالوا هذا الظل فأين اللباس
 فكانت ثيابهم تطول معهم كما
 تطول الصبيان ولا يتخرق لهم ثوب
 فذلك قوله تعالى وظللنا عليهم
 الغمام وأرسلنا عليهم المن والسلاوى
 وقوله واذا استسقى موسى لقومه
 فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت
 منه اثنا عشرة عينا قد علم كل
 أناس مشربهم كلوا واشربوا من
 رزق الله ولا تعثوا في الارض
 مفسدين وروى عن وهب بن منبه
 وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم نحو
 ما قاله السدي وقال سنيدي عن ججاج
 عن ابن جريج قال قال ابن عباس
 خلق لهم في التيه ثياب لا تتخرق
 ولا تدرن قال ابن جريج فكان
 الرجل اذا أخذ من المن والسلاوى

والتشكيت عليهم في دينهم (لو) مصدرية (يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من
 عند أنفسهم) يحتمل أن يتعلق بقوله ودأى وقد واذل من عند أنفسهم ويحتمل أن يتعلق
 بقوله حسد أي حسدا ناشئا من عند أنفسهم وهو قوله لقوله ود الحسد تنزيلا لنعمة
 الانسان (من بعد ما تبين لهم الحق) يعني في التوراة ان قول محمد صلى الله عليه وآله وسلم
 ودنيته حق لا يشكون فيه فكفروا به بغيا وحسدا (فأعفوا واصفحوا) والعفو ترك
 المؤاخاة بالاذب والصفح ازالة أثره من القس صفحت عن فلان اذا أعرضت عن ذنبه
 وقد ضربت عنه صفحا اذا أعرضت عنه وقيل همامة مقاربان والعطف على هذا التاكيد
 وحسنه تغاير اللفظين وفيه الترغيب في ذلك والارشاد اليه وقد نسخ ذلك بالامر بالقتال
 قاله أبو عبيدة (حتى يأتي الله بأمره) أي افعلا وذلك الى أن يأتي الحكم الامر من الله
 سبحانه في شأنهم بما يختاره ويشاؤه وما قد قضى به في سابق علمه وهو قتل من قتل منهم
 واجلاء من أجل وضرب الجزية على من ضربت عليه والسلام على من أسلم (ان الله على
 كل شئ قدير) فيه وعيد وتهديد ليهزم عظيم (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا
 لانفسكم من خير) حث من الله سبحانه لهم على الاشتغال بما ينفعهم ويعود عليهم
 بالمصلحة من اقامة الصلاة وآتاء الزكاة وتقديم الخير الذي يتأبون عليه حتى يمكن الله لهم
 وينصرهم على المخالفين لهم (تجدوه عند الله) يعني ثوابه وأجره حتى القرة والقيمة مثل
 أحد (ان الله بما تعملون بصير) لا يخفى عليه شئ من قليل الاعمال وكثيرها وفيه ترغيب
 في الطاعات واعمال البروزجر عن المعاصي (وقالوا) أي أهل الكتاب من اليهود
 والنصارى (ان يدخل الجنة الامن كان هودا أو نصارى) قال الفراء يجوز أن يكون هودا
 بمعنى يهوديا وأن يكون جمع هائد والنصاري جمع نصران أو نصري والمرادهم والمدينة
 ونصاري شجران وقدمت اليهود على النصارى لفظا لتقدمهم زمانا فبطل في هذا الكلام
 حذف وأصله وقالت اليهود ان يدخل الجنة الامن كان يهوديا وقالت النصارى ان يدخل
 الجنة الامن كان نصريا هكذا قال كثير من المفسرين وسببهم الى ذلك بعض السلف
 وظاهر النظم القرآني ان طائفتي اليهود والنصارى وقع منهم هذا القول وانهم يحتجون
 بذلك دون غيرهم ووجه القول بأن في الكلام حذف ما هو معلوم من ان كل طائفة من
 هاتين الطائفتين تضلل الاخرى وتنفى عنها انما اعلى شئ من الدين فضلا عن دخول الجنة

فوق طعام يوم فسد الا أنهم كانوا يأخذون في يوم الجمعة طعام يوم السبت فلا يصح فاسدا قال ابن عطية السلاوى
 طير باجاع المفسرين وقد غلط الهذلي في قوله انه العسل وأنشد في ذلك مستشهدا

وقاسمها بالله جهدا انتم * أأذن السلاوى اذا ما أثورها
 لان المؤرخ أحد علماء اللغة والتفسير قال انه العسل واستدل بيت الهذلي هذا وذكر انه كذلك في لغة كانه لانه يسيل به ومنه عز
 سلوان وقال الجوهرى السلاوى العسل واستشهد بيت الهذلي أيضا والسلاوة بالضم جرره كانوا يقولون اذا صب عليها ماء المطر

فشربها العاشق سلى قال الشاعر شربت على سلاوة ما عذرة * فلا وجد يد العيش يا حى ما أسألو واسم ذلك الماء السلوان وقال بعضهم السلوان دواء يشفى الحزين فيسألو الأطباء يسمونه مقرح قالوا والسلوان جمع بلغة الواحد أيضا كما يقال سماني للمفرد والجمع وويلي كذلك وقال الخليل واحدة وأنشد واني لتعرفني لذكر الكهنة * كما انقض السلوانة من بلل القطر وقال الكسائي السلوان واحدة وجمعه سلاوى نقله كله القرطبي وقوله تعالى كما وامن طيبات ما رزقناكم أمر ابا حنة وارشاد وامتنان وقوله تعالى وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون أى أمرناهم (١٦٥) بالا كل عمار رزقناهم وان يعبدوا كما

قال كما وامن رزق ربكم واشكروا لله تعالى فواو كفووا فظلموا أنفسهم هذا مع ما شاهدوه من الآيات البينات والمعجزات القاطعات وخوارق العادات ومن ههنا تبين فضيلة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورزى عنهم على سائر أصحاب الانبياء في صبرهم وثباتهم وعدم تعنتهم مع ما كانوا معه في اسقامه وغزواته منها عام تبوك في ذلك التيف والحرا الشديد والجهد لم يسألوا خرق عادة ولا إيجاد أمر مع ان ذلك كان سهلا على النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لما أجهدهم الجوع سألوه في تكثير طعامهم فجمعوا ما معهم فجاء قدر مبرك الشاة فدعا الله فيه وأمرهم فلقوا كل وعاء معهم وكذا ما احتاجوا الى الماء سأل الله تعالى فجاءتهم سخابة فامطرهم فشربو اوسقوا الابل وملؤا أسقيتهم ثم نظروا فإذا هم لم يتجاوزوا العسكر فهذا هو الاكمل في اتباع الشيء مع قدر الله مع متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم (واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا

كما في هذا الموضع فإنه قد حكى الله عن اليهود أنهم قالت ليست النصراني على شيء وقالت النصراني ليست اليهود على شيء (تلك أمانيتهم) أى شهوراتهم الباطلة التي تمنوها على الله بغر حن والاماني جمع أمانة قد تقدم تفسيرها والاشارة بقوله تلك الى ما تقدم لهم من الاماني التي آخرها انه لا يدخل الجنة غيرهم وقيل ان الاشارة الى هذه الامنية الاخرة والتقدير مثال تلك الامنية أمانيتهم على حذف المضاف ليطلق أمانيتهم (قل هاؤوا) يقال للمفرد المذكر هات وللمؤنث هاتي وهو اسم فعل بمعنى احضر وقيل اسم صوت بمعنى ها التي بمعنى احضر وقيل فعل أمر وهذا هو الصحيح (برهانكم) أى جنتكم على دعواكم ان الجنة لا يدخلها الا من كان يهوديا ونصرانيا دون غيرهم والبرهان الدليل الذي يحصل عنده اليقين قال ابن جرير طلب الدليل هنا يقتضى اثبات النظر ويرد على من ينفيه والبرهان مشتق من البره وهو القطع ومنه برهته من الزمان أى القطعة منه وقيل ثوبه أصلية لشبهته في برهن يبرهن برهنة والبرهنة البيان ووزنه فعال لا فعلا (ان كنتم صادقين) أى في تلك الاماني المجردة والدعوى الباطلة قال الرازي دلت الآية على ان المدعى سواء ادعى نفيًا وإثباتًا فلا بد له من الدليل والبرهان وذلك من أصدق الدلائل على بطلان القول بالتقليد انتهى ثم رد عليهم فقال (بلى) وهو إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة أى ليس كما تقولون بل يدخلها (من أسلم وجهه لله) أى استسلم وقيل أخلص وخص الوجه بالذكور لكونه أشرف ما يرى من الانسان ولانه موضع السجود وجميع الحواس والمشاعر الظاهرة وفيه ينظر والعز والذل وقيل ان العرب تخبر بالوجه عن جملة الشيء وان المعنى هنا الوجه وغيره وقيل المراد بالوجه هنا المقصد أى من أخلص مقصده ومجموع الشرط والجزاء رد على أهل الكتاب وابطل تلك الدعوى (وهو محسن) موحده أى متبع في عمله لله (قله أحر دعند ربك) أى ثواب عمله وهو الجنة (ولا خوف عليهم) أى في الآخرة ما في الدنيا فالمؤمنون أشد خوفًا وحزنًا من غيرهم لاجل خوفهم من العقابة (ولاهم يحزنون) على ما فاتهم من الدنيا واللموت (وقالت اليهود ليست النصراني على شيء) قاله رافع بن حرملة (وقالت النصراني ليست اليهود على شيء) بيان لتضليل كل فريق صاحبه بخصوصه اثر بيان تضليله كل من عداه على وجه العموم قبل نزول في يهود المدينة ونصارى نجران تماظر واعند النبي صلى الله عليه وآله وسلم وارتفعت أصواتهم

منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة تغفر لكم خطاياكم وسيزيد المحسنين قبل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا حزنًا من السماء بما كانوا يفسقون يقول تعالى لا تأثمهم على نكولهم عن الجهاد ودخولهم الارض المقدسة لما قدموا من بلاد مصر حجة موسى عليه السلام فأمره بالدخول الارض المقدسة التي هي ميراث لهم عن آبائهم اسرائيل وقتال من فيها من العماليق الكفرة فنكحوا عن قتالهم وضعفوا واستحسروا فرماهم الله في التبعة عقوبة لهم كما ذكره تعالى في سورة المائدة ولهذا كان أصح القولين ان هذه البلدة هي بيت المقدس كما نص على ذلك السيدي والريسي بن أنس وقادة وأبو

مسلم الاصله: اني وغير واحد قد قال الله في حاكيا عن موسى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا تردوا الايات
ورتل تترن من ارضهم ويحكى عن ابن عباس ر عبد الرحمن بن زيد وهذا بعيد لانها ليست على طريقتهم وهم قاصدون بيت المقدس
لا ارضهم وان بعد من ذلك قول من ذهب الى انهم اهدى مسلك الرأى في تفسيره والحق الاول انها بيت المقدس وهذا كما
نرجوا من النبي بعد اربعين سنة مع يوشع بن نون عليه السلام وفقها الله عليهم عشية جمعة وقد حست اهلهم الشمس برشد قليل
في امكن الفتح ولما فتحوا امروا (١٦٦) ان يدخلوا الباب باب البلد مسجد اى شكر الله تعالى على ما اذنهم به عليهم من

فتح والندى ورد بلدهم عليهم
رائداهم من ابيه والصلال قال
اعوفى في تفسيره عن ابن عباس
انه كان يقول في قوله تعالى وادخلوا
الباب سجدا اى ركعا وقال ابن
جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا
أبو أحمد الزبيرى حدثنا سفيان عن
الاعمش عن المنهال بن عمرو عن
سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله
وادخلوا الباب سجدا قال ركعا من
باب صغير واه الحاكم من حديث
سفيان به ورواه ابن أبي حاتم من
حديث سفيان وهو الثوري به
وزاد فدخلوا من قبل استأثرتهم
وقال الحسن البصرى أمروا ان
يسجدوا على وجوههم حال
دخولهم واستبعده الرأى وحكى
عن بعضهم ان المراد ههنا بالسجود
الخشوع لتعذر جله على حقيقته
وقال خفيف قال عكرمة قال ابن
عباس كان الباب قبل القبلة وقال
ابن عباس ومجاهد السدى وقتادة
واخفاك هو باب الحطة من باب
الماء بيت المقدس وحكى الرأى
عن بعضهم انه عنى بالباب جهة من

وقاواخذ القول وفيه أن كل طائفة بنى الخير عن الاخرى ويتضمن ذلك اشبارا بنسبها
تتبع الرحمة الله سبحانه قال في الكشاف ان الشيء هو الذى يصح وبعده قال وحده
مبالغة عجيبة لان المحال والمعدوم يقع عليهم اسم الشيء واذا انى اطلاق اسم الشيء عليه
قد بولغ في ترك الاعتماد به الى ما ليس بعد. وهكذا قولهم أقل من لاشئ (رعيه يملون
الكتاب) أى التوراة والانجيل وليس فيها هذا الاختلاف فكان حتى كل منهم أن
يعترف بحقيقة دين صاحبه حسبا ينطق به كتابه فان كتب الله تعالى متصادقة وقيل المراد
جنس الكتاب وفي هذا أعظم توبيخ وأشد تفرع لان الوقوع في الدعوى الباطلة والتكلم
بما ليس عليه برهان هو وان كان قبيحا على الاطلاق لكنه من أهل العلم والدراسة كتب
الله أشد قبيحا وأقطع جرما وأعظم ذنبا (كذلك) أى مثل ذلك الذى سمعت به بعينه لا قولا
مغاير له (قال الذين لا يعلمون مثل قولهم) المراد بهم كفار العرب الذين لا كتاب لهم قالوا
مثل مقالة اليهود اقتداء بهم لانهم جهلة لا يتقنون على غير التقليد بل يعتقدون انه من
أهل العلم وقيل المراد بهم طائفة من اليهود والنصارى وهم الذين لا علم عندهم وقال عطاء
هم أمم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قريش وحمير وبنو نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا في
أنبيائهم انهم ليسوا على شئ (فالله يحكم بينهم يوم القيامة) أى بين الحق والمبطل (فبما
كاوا فيه يحتشون) من أمر الدين أخبر سبحانه بأن هو المتولى لفصل هذه الخصومة التي
وقع فيها الخلاف عند الرجوع اليه فيعذب من يستحق التعذيب وينجي من يستحق النجاة
قال الرازى واعلم ان هذه الواقعة بعينها وقعت في امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فان
كل طائفة تكفر الاخرى مع اتفاقهم على تلاوة القرآن انتهى (ومن أظلم ممن منع مساجد
الله أن يذكر فيها اسمه) هذا الاستفهام فيه أبلغ دلالة على ان هذا الظلم غير متناه وانما بمنزلة
لا ينبغي أن يلحقه سائر أنواع الظلم أى لا أحد أظلم ممن يمنع مساجد الله أى من يأتي اليها
للصلاة والتلاوة والذكر وتعليمه (وسعى في خرابها) قال أبو البقاء الخراب اسم مصدر بمعنى
التخريب وقال غيره هو مصدر خرب المكان يخرب خرابا وهو خرب السعى في هدمها ورفع
بنيانها ويجوز أن يراد بالخراب تعطيلها عن الطاعات التي وضعت لها فيكرن اعم من قوله
ان يذكر فيها اسمه فيشمل جميع ما يمنع من الامور التي بنيت لها المساجد لتعلم العباد وتعلم
والتعوذ للاعتكاف وانتظار الصلاة ويجوز أن يراد ما هو اعم من الامرين من باب عموم

جهات القبلة وقال خفيف قال عكرمة قال ابن عباس فدخلوا على شق وقال السدى عن أبي سعيد الرازى عن أبي الجاز
الكنود عن عبد الله بن مسعود قيل لهم ادخلوا الباب سجدا فدخلوا مقنعي رؤسهم أى رافعي رؤسهم خلافا لما أمر به وقوله
تعالى وقولوا حطة قال الثوري عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وقولوا حطة قال مغيرة استغفروا وروى
عن عطاء الحسن وقتادة والريبع بن أنس نحوه وقال النخاع عن ابن عباس وقولوا حطة قال قولوا هذا الامر حتى كما قيل لكم
وقال عكرمة قولوا لا اله الا الله وقال الازمعي كتب ابن عباس الى رجل قد سماه فسأله عن قوله تعالى وقولوا حطة فكتب

الله أن آمر وأبازنوب وقال الحسن وقادة أي احطط عنا خطايانا تغفر لكم خطايانا كم وسزيد المحسنين وقال هذا جواب الامر أي اذا فعلتم ما أمرناكم غفرنا لكم الخطيئات وضاعفنا لكم الحسنات وحاصل الامر أنهم أمروا أن يخضعوا لله تعالى عند الفتح بالفعل والقول وان يترفوا بنزولهم ويستغفروا منها والشكر على النعمة عندها والمبادرة الى ذلك من المحبوب عند الله تعالى كما قال تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فسر بعض الصحابة بكثرة الذكروا الاستغفار عند الفتح والنصر وفسره ابن عباس بأنه نهي الى (١٦٧) رسول الله صلى الله عليه وسلم أجله

فيما وأقره على ذلك عمر رضي الله عنه ولا منافاة بين ان يكون قد أمر بذلك عند ذلك ونهي اليه روح الكريمة أيضا ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يظهر عليه الخضوع عند النصر كما روى انه كان يوم الفتح فتح مكة داخلها من الثنية العليا وانه خاضع لربه حتى ان عشوته ليمس مورث رحله شكر الله على ذلك ثم لما دخل البلد اغتسل وصلى ثمانى ركعات وذلك فحى فقال بعضهم هذه صلاة الضحى وقال آخر ونبل هي صلاة الفتح فاستحبوا للامام وللا مير اذا فتح بلدا أن يصلى فيه ثمانى ركعات عند أول دخوله كما فعل سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه لما دخل ايوان كسرى صلى فيه ثمانى ركعات والصحيح انه يفصل بين كل ركعتين بتسليم وقيل يصليها كلها بتسليم واحد والله أعلم وقوله تعالى فبذل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم قال البخارى حدثني محمد حدثنا عبد الرحمن بن مدهدى عن ابن المبارك عن معمر عن همام بن منبه عن

المجاز كما قيل في قوله تعالى انما يعبد الله (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين) هذا استثناء مفرغ من أهم الاحوال أي ما كان ينبغي للمؤمنين دخولها في جميع الاحوال الا حال خوفهم وخشوعهم وذلك أن بيت المقدس موضع حج النصارى وزيارتهم قال ابن عباس لم يدخلها بعد عمارتها روى أو نصراني الا خائفان علم به قتل وقيل أخفوا بالجزية والقتل فالجزية على الذم والقتل على الحرب وقيل خوفهم هو فتح مدائنهم الثلاث قسطنطينية ورومية وعورية والاول أولى وفيه ارشاد للعباد من الله عز وجل انه ينبغي لهم ان يعنوا مساجد الله من أهل الكفر من غير فرق بين مسجد ومسجد وبين كافر وكافر كما يفهمه عموم اللفظ ولا ينافيه حصول السبب الخاص وان يجعلوهم بحالة اذا أرادوا الدخول كانوا على وجل وخوف من ان يعطى لهم أحد من المسلمين فينزلون بهم ما يوجب الاهانة والاذلال وليس فيه الاذن لنا بتكليفهم من ذلك حال خوفهم بل هو كناية عن المنع لهم منا من دخول مساجدنا وقيل معناه ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يعنواهم منها أو ما كان لهم في علم الله وقضائه فيكون وعد المؤمنين بالنصر واستخلاص المساجد منهم وقد أنجز وعده (لهم في الدنيا خزي) يعنى الصغار والذلل والقتل والسبي وقيل هو ضرب الجزية عليهم واذلا لهم وقيل غير ذلك وقد تقدم تفسيره (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) يعنى النار قال ابن عباس ان قريشا منعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام يعنى في ابتداء الاسلام فأمر الله من أعظم الآية تنزلت في خراب بيت المقدس على يد فلطيوس الرومى ولم يزل خرابا حتى بناء المسلمون في عهد عمر رضي الله تعالى عنه وقال السدي هم الروم كانوا ظاهرا وبجتنصر على خراب بيت المقدس وليس في الارض رومى يدخله اليوم الا وهو خائف ان يضرب عنقه وقد أخيف باداء الجزية فهو يؤديها وأما خزيهم في الدنيا فانه اذا قام المهدي وفتح القسطنطينية قتلهم فذلك الخزي وعن قتادة أنهم الروم وعن كعب أنهم النصارى لما ظهروا على بيت المقدس حرقوه وفيه انه لا خلاف بين أهل العلم بالسيرة ان عهد بجنتنصر كان قبل مولد المسيح بدهر طويل والنصارى كانوا بعد المسيح فكيف يكونون مع بجنتنصر في تحريب بيت المقدس وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال هم المشركون حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وآله

أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فدخلوا يزحفون على أستاههم فبدلوا وقالوا حطة حبة في شعرة ورواه النسائي عن محمد بن اسمعيل بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن موهب قافون عن محمد بن عبيد بن محمد عن ابن المبارك ببعضه مستندا في قوله تعالى حطة قال فبدلوا وقالوا حبة وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن همام بن منبه انه سمع أباه هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة تغفر لكم خطايانا كم فبدلوا ودخلوا الباب يزحفون على أستاههم فقالوا حبة في شعرة وهذا حديث صحيح رواه البخارى عن اسحق بن نصر ومسلم

عن محمد بن رافع والترمذي عن عبد الرحمن بن محمد كلهم عن عبد الرزاق به وقال الترمذي حسن صحيح وقال محمد بن اسحق كان
تدبيرهم كما حدثني صالح بن كيسان عن صالح مولى التوامنة عن أبي هريرة وعن لا آتهم عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال دخلوا الباب الذي أمروا ان يدخلوا فيه مسجد ابرحقون على استأصاهم وهم يقولون حنطة في شعيرة وقال أبو داود وحديثنا
أحمد بن صالح وحديثنا سليمان بن داود وحديثنا عبد الله بن وهب حديثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله (١٦٨) عليه وسلم قال الله لي اسرائيل ادخلوا الباب مسجد اوقولوا حطة نغفر لكم

وسلم عن البيت يوم الحديبية قال أبو صالح ليس للمشركين ان يدخلوا المسجد الا حائنين
عن قتادة قال يعطون الجزية عن يدهم صاغرون وقال مساجد الله وانما وقع المنع
والتهريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس أو المسجد الحرام لان الحكم عام وان كان
السبب خاصا وريح الطبري القول الاول وقال ان النصارى هم الذين سعووا في خراب بيت
المقدس بدليل ان مشركي العرب لم يسعوا في خراب المسجد الحرام وان كانوا قد سعوا
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض الاوقات من الصلاة فيه وأيضا الآية التي قبل
هذه والتي بعدها في ذم أهل الكتاب ولم يجز لمشركي مكة ذكر ولا للمسجد الحرام فحين ان
يكون المراد بهذه بيت المقدس وريح غيره القول الثاني بدليل ان النصارى يعظمون بيت
المقدس أكثر من اليهود فكيف يسعون في خرابه وهو موضع حجهم قال الرازي وعندى
فيه وجه خامس وهو أقرب الى رعاية النظم وهو انه لما حوت القبلة الى الكعبة شق ذلك
على اليهود فكانوا يمنعون الناس عن الصلاة الى الكعبة ولعلمهم سعووا أيضا في تخريب
الكعبة وفي تخريب مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهذا التأويل أولى بما قبله
انتهى وفي أحكام القرآن انه كل مسجد قال وهو الصحيح لان اللفظ عام ورد بصيغة الجمع
فتخصيصه ببعض المساجد أو ببعض الأزمنة محال قلت وهذا هو الصواب فان الاعتبار
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ويدخل فيه السبب الخاص دخولا أوليا (ولله المشرق
والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) المشرق موضع الشروق والمغرب موضع الغروب وهما
اسماء مكان وقيل اسماء صدر أى الاشراف والاغراب أى هماما لله وما بينهما من الجهات
والمخوقات فيشمل الارض كلها أى أى جهة تستقبلونها فهناك وجه الله أى المكان
الذى يرتضى لكم استقباله وذلك يكون عند التماس جهة القبلة الى أمر بانا توجه
اليها بقوله سبحانه فول وجهك شطر المسجد الحرام رحيما كنتم فولوا وجوهكم شطره قال
في الكشف والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا الى المسجد الحرام أو في بيت المقدس فقد
جعلت لكم الارض مسجدا فصولا في أى بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان
التولية ممكنة في كل مكان لا يختص أما كنتم فى مسجد دون مسجد ولا فى مكان دون مكان
انتهى وهذا التخصيص لا وجه له فان اللفظ أوسع منه وان كان المقصود به بيان السبب
فلا بأس وأين هنا اسم شرط وهى ظرف مكان وتكون اسم استفهام أى اضافى مشترك

خطاياكم ثم قال أبو داود وحديثنا
أحمد بن مسافر حديثنا بن أبي فديك
عن هشام بمثله هكذا رواه منفردا
به في كتاب الحروف مختصرا وقال
ابن مردويه حديثنا عبد الله بن
جعفر حديثنا ابراهيم بن مهدي
حديثنا أحمد بن محمد بن المنذر القزاز
حديثنا محمد بن اسمعيل بن أبي فديك
عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم
عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد
الخدري قال سرتنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من
آخر الليل أجزنا في ثنية يقال لها ذات
الحظيل فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما مثل هذه الثنية الليلة
الا كمثل الباب الذى قال الله لي
اسرائيل ادخلوا الباب سجدا
وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم
وقال سفيان الثوري عن أبي اسحق
عن البراءة يقول السفهاء من الناس
قال اليهود قيل لهم ادخلوا الباب
سجدا قال ركعوا وقولوا حطة أى
دغفروا فدخلوا على استأصاهم وجعلوا
يقولون حنطة جرافها شعيرة فذلك
قول الله تعالى فبدل الذين ظلموا

قولا غير الذى قيل لهم وقال الثوري عن السدي عن أبي السكوني عن ابن مسعود وقولوا
حنطة فقالوا حنطة حبة جرافها شعيرة فأنزل الله فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم وقال أسباط عن السدي عن مرة عن
ابن مسعود انه قال انهم قالوا حط اسمعنا ثأر به من باقى بالعربية حبة حنطة جرافها شعيرة سوداء فذلك قوله تعالى
فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم وقال الثوري عن الاعمش عن المنهال عن سعيد عن ابن عباس في قوله تعالى ادخلوا الباب
سجدا قال ركعوا من باب صغير فدخلوا من قبل استأصاهم وقالوا حنطة فذلك قوله تعالى فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم وهكذا

روى عن عطاء ومجاهد وعكرمة والفخالة والحسن وقتادة والريبع بن أنس ويحيى بن رافع وحاصل ما ذكره المفسرون وما دل عليه السياق أنهم بدلو أمر الله لهم من الخوض بالقول والفعل فامروا أن يدخلوا مسجدافدخلوا بن حنون على أساتهم من قبل أساتهم رافعي رؤسهم وأمر وأن يقولوا حطة أى احطط عنا ذنوبنا وخطايانا فاستهزؤا فقالوا حطة في شعيرة وهذا في غاية ما يكون من المخالفة والمعاندة ولهذا أنزل الله بهم بأسه وعذابه بفسقهم وهو خروجه عن طاعته ولهذا قال فأنزلنا على الذين ظلموا رجلا من السماء بما كانوا يفسقون وقال الفخالة عن ابن عباس (١٦٩) كل شئ في كتاب الله من الرجز يعنى به

العذاب وهكذا روى عن مجاهد العذاب وأبى مالك والسدى والحسن وقتادة أنه العذاب وقال أبو العالية الرجز الغضب وقال الشعبي الرجز ما الطاعون واما البرد وقال سعيد بن جبير هو الطاعون وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن إبراهيم بن سعد يعنى ابن أبى وقاص عن سعد ابن مالك واسامة بن زيد وخرجه ابن ثابت رضى الله عنهم قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون رجز عذاب عذب به من كان قبلكم وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان الثوري به وأصل الحديث في الصحيحين من حديث حبيب بن أبى ثابت إذا سمعتم الطاعون بارض فلا تدخلوها الحديث قال ابن جرير أخبرني يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن يونس عن الزهري وأخبرني عامر بن سعد بن أبى وقاص عن اسامة بن زيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا الوجع والسقم رجز عذب به بعض الامم

بينهم ما وثم اسم اشارة لكان البعيد خاصة مثل هنا وقال أبو البقاء نائب عن هناك وليس بشئ (ان الله واسع عليم) فيه ارشاد الى سعة رحمة وأنه يوسع على عباده في دينهم ولا يكلفهم ما ليس في وسعهم وقيل واسع يعنى أنه يسع عليه كل شئ كما قال وسع كل شئ علما وقال القراء الواسع الجواد الذي يسع عطاؤه كل شئ عن ابن عباس قال أول ما نسخ من القرآن فيما ذكرنا والله أعلم شأن القبلة قال الله تعالى والله المشرق والمغرب الآية فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصلى نحو بيت المقدس وترك البيت العتيق ثم صرفه الله الى البيت العتيق ونسخها فقال ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وأخرج ابن أبى شيبة وعبد بن حميد ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم عن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلى على راحلته تطوعا أيما توجهت به ثم قرأ ابن عمر هذه الآية أيما توجهت وجهه الله وقال في هذا أنزلت هذه الآية وأخرج نحوه عنه ابن جرير والدارقطني والحاكم وصححه وقد ثبت في صحيح البخارى من حديث جابر وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يصلى على راحلته قبل المشرق فإذا أراد أن يصلى المكتوبة نزل واستقبل القبلة وصلى وأخرج عبد بن حميد والترمذي وضعفوه وابن ماجه وابن جرير وغيرهم عن عامر بن ربيعة قال كأم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ليلة سوداء من ليلة فقلنا منزل لا تجعل الرجل يأخذ الا بخار فيعمل مسجدا فيصلى فيه فلما ان أصبحنا اذا نحن قد صلينا على غير القبلة فقلنا يا رسول الله لقد صلينا ليلتنا هذه لغير القبلة فأنزل الله والله المشرق والمغرب الآية فقال مضت صلاتكم عن ابن عباس قال قبله الله أيما توجهت شرقا أو غربا وعن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ما بين المشرق والمغرب قبلة أخرجه ابن أبى شيبة والترمذي وصححه وابن ماجه (وقالوا اتخذ الله ولدا) القائل هم اليهود والنصارى فالله يود قالوا عزيزا بن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله وقيل هم كفار العرب قالوا الملائكة بنات الله أخرجه البخارى عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال قال الله تعالى كذبت ابن آدم وشقني فاما تكذيبه اياي فزعم أنى لا أقدر أعبد كذا كان وأما شقته اياي فقوله لى ولد فسبحاني ان اتخذ صاحبة أو ولدا وأخرج نحوه أيضا من حديث أبى هريرة وفي الباب أحاديث والمراد بقوله (سبحانه) تنزيهه الله تعالى عما نسبوا اليه من اتخاذ الولد وفيه رد على

(٢٢ ل - فتح البیان) قبلكم وهذا الحديث أصله مخرج في الصحيحين من حديث الزهري ومن حديث مالك عن محمد بن المنكدر وسالم بن أبى النضر عن عامر بن سعد بن خنوه (وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم) كلاوا شرابا من رزق الله ولا تعنوا في الارض مفسدين يقول تعالى واذكر وانعمي عليكم في اجابتي لنيكم موسى عليه السلام حين استسقاني لكم وتيسري لكم الماء واخر اجد لكم من حجر يمدل معكم وتغيري الماء لكم منه من ثقتي عشرة عينا لك سبط من أسباطكم عن قد عرفو هاف كلاوا من المن والسلوى وشرابا من هذا الماء الذي

أتبعته لكم بلا سعي منكم ولا كد واعبدوا الذي سخر لكم ذلك ولا تعشوا في الأرض مفسدين ولا تقابلوا النعم بالعصيان فتسلبوها وقد بسطه المفسرون في كلامهم كما قال ابن عباس رضي الله عنه وجعل بين ظهرانيهم حجر مربع وأمر موسى عليه السلام فضر به بعضاهم فأنفجرت منه اثنا عشرة عينا في كل ناحية منه ثلاث عيون وأعلم كل سبط عينتهم بشربون منها لا يرتكبون من منقلة الأوجد وذلك معهم بالمكان الذي كان منهم بالمزلة الأول وهذا قطعة من الحديث الذي رواه التستائي وابن جرير وابن أبي حاتم وهو حديث القنوت الطويل وقال (١٧٠) عطية العوفي وجعل لهم حجرا مثل رأس النور يحمل على نور فإذا

نزلوا من الزلا وضعوه فضر به موسى عليه السلام بعضاهم فأنفجرت منه اثنا عشرة عينا فإذا ساروا واجلوه على نور فاستمسك الماء وقال عثمان ابن عطاء الخراساني عن أبيه كان لبني إسرائيل حجر فكان يضعه هرون ويضر به موسى بالعصا وقال قتادة كان حجرا طوريا من الطور يحملونه معهم حتى إذا نزلوا ضر به موسى بعضاهم وقال الزمخشري وقيل كان من رخام وكان ذراعاً في ذراع وقيل مثل رأس الإنسان وقيل كان من الجنة طوله عشرة أذرع على طول موسى وله شعبتان يتقدان في الظلمة وكان يحمل على جبار قال وقيل أشبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع إلى شعيب فدفعه إليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اعتسل فقال له جبريل ارفع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته قال الزمخشري ويحتمل أن تكون اللام الجنس للعهد أي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يأمره ان يضرب حجرا

القائلين بأنه اتخذ ولداً لان اتخاذ الولد لبقاء النوع والله منزّه عن القضاء والزوال (بل له ما في السموات والأرض) أي بل هو مالك ما فيهما فكيف ينسب إليه الولد وهؤلاء القائلون داخلون تحت ملكه والولد من جنسهم لا من جنسه ولا يكون الولد إلا من جنس الوالد (كل له قاتون) أي مطيعون ومقررون له بالعبودية والقات المطيع الخاضع أي كل من في السموات والأرض كائن ما كان من أولى العلم وغيرهم مطيعون له خاضعون لعظمته خاشعون لجلاله لا يستعصى شيء منهم على تكويته وتقديره ومشيئته والقنوت في أصل اللغة القيام قال الزجاج فخلق قاسون أي قائمون بالعبودية اما اقرارا واما ان يكونوا على خلاف ذلك فآثر الصنعة بين عليهم وقيل أصله الطاعة ومنه والقائنين والقائسات وقيل السكوت ومنه قوموا لله قاتنين ولهذا قال زبدين أرقم كاتكم في الصلاة حتى نزلت وقوموا لله الآية فآمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وقيل القنوت الصلاة والأولى ان القنوت لفظ مشترك بين معان كثيرة قيل هي ثلاثة عشر معنى وهي مبينة وقد انظمها بعض أهل العلم واختلف في حكم الآية فقيل هو خاص وقيل عام لان لفظة كل تقتضي الشمول والاحاطة (بديع السموات والأرض) أبدع الشيء أنشأه لا عن مثال وكل من أنشأ ما لم يسبق إليه قيل له مبدع والاصل بديع سمواته أي بدعت لمحيثها على شكل فائق حسن غريب (وادقضى أمراً) أي أحكمه وأتقنه قال الأزهري قضى في اللغة على وجوه من جمعها إلى انقطاع الشيء وتماحه قيل هو مشترك بين معان يقال قضى بمعنى خلق ومنه فقضاء من سبع سموات وبمعنى أعلم ومنه وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب وبمعنى أمر ومنه وقضى ربك ان لا تعبدوا الاياه وبمعنى أزم ومنه قضى عليه القاضي وبمعنى أوفاه ومنه فلما قضى موسى الاجل وبمعنى أراد ومنه فاذا قضى أمر أو التقدير اذا قضى أمر أي يكون ويحصل فلفظ يكون المقدر هو العامل في اذا أو الامر واحد الامور وقد ورد في القرآن على أربعة عشر معنى الأول الدين ومنه حتى جاء الحق وظهر أمر الله الثاني بمعنى القول ومنه فاذا جاء أمرنا الثالث العذاب ومنه فلما قضى الامر الرابع عيسى ومنه فاذا قضى أمراً أي أوجده عيسى عليه السلام الخامس القتل ومنه فاذا جاء أمر الله السادس فتح مكة فتربصوا حتى يأتي الله بأمره السابع قل بني قريظة وجلاء النصير ومنه فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره والثامن

القيامة بعينه قال وهذا أظهر في المعجزة وأبين في القدرة فكان يضرب الحجر بعصاه فينفجر ثم يضرب به فيبين فقالوا ان فقد موسى هذا الحجر عطشنا فأوحى الله اليه أن يكلم الحجاره فتنفجر ولا يسم بالعباءة العلمهم يقولون والله أعلم وقال يحيى بن النضر قلت لجوير كيف علم كل أناس مشربهم قال كان موسى يضع الحجر ويقوم من كل سبط رجل ويضرب موسى الحجر فينفجر منه اثنا عشرة عينا فيتضح من كل عين على رجل فيدعو ذلك الرجل بسطه إلى ذلك العين وقال الضحاك قال ابن عباس لما كان بنو إسرائيل في التيه شرب لهم من الحجر أنهارا وقال الثوري عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس قال ذلك في التيه ضرب لهم

موسى الحجر فصار منه اثنتا عشرة عينا من ماء لكل سبط منهم عين يشربون منها وقال مجاهد نحو قول ابن عباس وهذه القصة شبيهة بالقصة التي في سورة الاعراف ولكن تلك مكينة فلذلك كان الاخبار عنهم بضمير الغائب لان الله تعالى يقص على رسوله صلى الله عليه وسلم ما فعل بهم وأما في هذه السورة وهي البقرة فهي مدينة فلهذا كان الخطاب فيها متوجها اليهم وأخبر هناك بقوله فأنجست منه اثنتا عشرة عينا وهو أول الانفجار وأخبر ههنا بآل اليه الحال آخر وهو الانفجار فناسب ذكر الانفجار ههنا وذلك هناك والله أعلم وبين السياقين تباين من عشرة أوجه لفظية (١٧١) ومعنوية قد سأل عنهما الزمخشري في تفسيره

وأجاب عنها بما عنده والامر في ذلك قريب والله أعلم (واذ قلتم يا موسى أن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من يقلها وقناها وفومها وعدسها وبصلها قال أنستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خيرا اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم) يقول تعالى واذكروا نعمتي عليكم في انزالي عليكم المن والسلوى طعاما طيبا نافعا هنيئا سهلا واذكروا دبركم وخبركم بمما رزقناكم وسؤالكم موسى استبدال ذلك بالطعمة الدنيئة من البقول ونحوها مما سألتهم قال الحسن البصري فبطر واذلك فلم يصبروا عليه وذكروا عيشهم الذي كانوا فيه وكانوا قوم أهل اعداس وبصل وبقل وفوم فقلوا يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من يقلها وقناها وفومها وعدسها وبصلها وانما قالوا على طعام واحد وهم يأكلون المن والسلوى لانه لا يتبدل ولا يتغير كل يوم فهو ما كل واحد فالبقول والقش والعس والبصل كلها معروفة

القيامة ومنه أتى أمر الله التاسع القضاء ومنه يدبر الامر العاشر الوحي ومنه ينزل الامر بينهم والحادى عشر أمر الخلائق ومنه ألى الله تصير الامور والثاني عشر النصر ومنه هل لنا من الامر من شيء والثالث عشر الذنب ومنه فذاقت وبال أمرها والرابع عشر الشأن ومنه وما أمر فرعون برشد هكذا ورد هذه المعاني باطول من هذا بعض المفسرين وليس تحت ذلك كثير فائدة فاطلاقه على الامور المختلفة لصدق اسم الامر عليها (فانما يقول له كن فيكون) الظاهر في هذا المعنى الحقيقي وانه يقول سبحانه هذا اللفظ وليس في ذلك مانع ولا جاء ما يوجب تأويله ومنه قوله تعالى انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وقال تعالى انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون وقال وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر وقد قيل ان ذلك مجاز وانه لا قول وانما هو قضاء يقتضيه فغيره بالقول وقال البضاوى ليس المراد حقيقة أمر وامتنال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلامهله بطاعة المأمور المطيع بلا توقف انتهى وهذا من أنفاسه الفلسفية وكلم له من أشباه ذلك وأمثاله (وقال الذين لا يعلمون) قيل هم اليهود وقيل النصارى ووجه ابن جرير لانهم المذكورون في الآية وقيل مشركو العرب وعليه أكثر المفسرين (لولا) حرف تخفيض أى هلا (يكلمنا الله) مشافهة من غير واسطة بنبوته محمد صلى الله عليه وآله وسلم فعلم انه نبي أو بواسطة الوحي النبلى اليك وهذا منهم استعجاب وتعبت (أو تأتينا) لذلك (آية) أى علامة على نبوته وهذا منهم بخود (كذلك) أى مثل ذلك القول الشنيع الصادر عن العناد والفساد (قال الذين من قبلهم) قيل هم اليهود والنصارى في قول من جعل الذين لا يعلمون كفار العرب أو الامم السالفة في قول من جعل الذين لا يعلمون اليهود والنصارى أو اليهود في قول من جعل الذين لا يعلمون النصارى (مثل قولهم) وذلك ان اليهود سألوا موسى ان يرسم الله جهرة وان يرسمهم كلام الله وسألوه من الايات ما ليس لهم مسئلته (تشابهت قلوبهم) أى في التعت والعمى والعناد والاقتراح وقال القرأى في اتفاقهم على الكفر والالما تشابهت أقاويلهم الباطلة (قد بينا الايات) أى زلمانا بينة بان جعلناها كذلك في أنفسها كما في قولهم سبحانه من صغر البعوض وكبر الفيل لا تأينها بعد ان لم تكن بينة (لقوم يوقنون) أى يعترفون بالحق وينصفون في القول ويدعون لوامر الله سبحانه لكونهم مصدقين له سبحانه

وأما القوم فقد اختلف السلف في معناه فوقع في قراءة ابن مسعود وثوبها بالناء وكذا افسره مجاهد في رواية تليث بن أبي سليم عنه بالثوم وكذا الر يسع بن أنس وسعيد بن جبيرة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن رافع حدثنا أبو عماره يعقوب بن اسحق البصري عن يونس عن الحسن في قوله وفومها قال قال ابن عباس الثوم قال وفي اللغة القديمة قوموا للتابعي اخترنا قال ابن جرير فان كان ذلك صحيحا فانه من الحروف المبجلة كقولهم وقعوا في عاثر وشرو عافور وشروا ثا في وماغاير ومغاير وأشباه ذلك مما تقلب القاء والناء فالتقارب مخرجهما والله أعلم وقال آخرون القوم الخطة وهو البر الذي يعمل منه الخبز قال ابن أبي

حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى قراءة أنبأنا ابن وهب قراءة حدثني نافع بن أبي نعيم أن ابن عباس سئل عن قول الله وقومها ما قومهم قال الحنطة قال ابن عباس أما سمعت قول أحبيبة بن الجلاح وهو يقول قد كنت أغنى الناس شخصا واحدا * ورد المدينة عن زراعة قوم وقال ابن جرير حدثنا علي بن الحسن حدثنا مسلم بن الحنفية حدثنا عيسى بن يونس عن رشيد بن كريب عن أبيه عن ابن عباس في قول الله تعالى وقومها قال القوم الحنطة بلسان بني حاتم وكذا قال علي بن أبي طلحة والفتح عن ابن عباس وعكرمة عن ابن عباس أن القوم الحنطة وقال سفيان الثوري

مؤمنين بآياته متبعين لما شرعه لهم (أنا أرسلناك بالحق) أي بالصدق وقال ابن عباس بالقرآن وقيل بالاسلام وقيل بمعناه لم يرسلك عبدا بل أرسلناك بالحق (بشيرا) أي مبشرا الاولياء وأهل طاعتني بالثواب العظيم (ونذيرا) أي منذرا ومحذرا لا عدائي وأهل معصيتي بالعذاب الاليم (ولا تستل عن اصحاب الخيم) قرأ الجمهور بالرفع مبنيا للجهول أي حال كونك غير مسئول وقرئ بالرفع مبنيا للمعلوم قال الاخفش ويكون في موضع الحال عطف على بشيرا ونذيرا أي حال كونك غير سائل عنهم لان علم الله بكفرهم بعد انذارهم يغني عن سؤاله عنهم وقرأ نافع ولا تسأل بالجزم والمعنى ولا يصدر منك السؤال عن هؤلاء عن مات منهم على كفره ومعصيته تعظيما لحاله وتغليظا لشأنه أي ان هذا أمر فظيع وخطب شنيع يتعاضم المنكمان ان يجري على لسانه ويتعاضم السامعان يسمعه وفي القاموس الخيم النار الشديدة التاج وكل نار بعضها فوق بعض والخييم ما عظم من النار قاله أبو مالك والمعنى لا تسأل عن حالهم التي تكون لهم في القيامة فانه اشنع ولا يمكنك في هذه الدار الاطلاع عليها وهذا فيه تخويف لهم وتسليته صلى الله عليه وآله وسلم وقد أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن محمد بن كعب القرظي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليت شعري ما فعل أولي قتل هذه الآية فاذكرها حتى توفاه الله قال السيوطي هذا من ضعف الاسناد ثم رواه من طريق ابن جرير عن داود بن أبي عاصم مرفوعا وقال هو معضل الاسناد لا تقوم به ولا بالذي قبله حجة (ولن ترضى عندك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) أي ليس غرضهم ومبلغ الرضا منهم ما يقتضونه عليك من الآيات ويوردونه من التعينات فانك لو جئتهم بكل ما يقتضون وأجبتهم عن كل نعت لم يرضوا عنك حتى تدخل في دينهم وتتبع ملتهم والملة اسم لما شرعه الله لعباده في كتبه على ألسن أنبيائه وهكذا الشريعة وقال ابن عباس هذا في أمر القبله أي سوامنه ان يوافقهم عليها والرضا ضد الغضب وخومن ذوات الواو لقولهم الرضوان (قل ان هدى الله) أي الاسلام (هو الهدى) الحقيقي لا ما أنت عليه من الشريعة المنسوخة والكتب المحرفة ثم أتبع ذلك بوعيد شديد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال (ولئن) هذه تسمى اللام الموطئة للقسم وعلامتها ان تقع قبل أدوات الشرط أو كثر مجيئها مع ان وقد تأتي مع غير هاتين لولا ان يتكلم من

عن ابن جرير عن مجاهد وعطاء وقومها قالوا خبرنا وقال هشيم عن يونس عن الحسن وحسين عن أبي مالك وقومها قال الحنطة وهو قول عكرمة والسدي والحسن البصري وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم فأنه أعلم وقال الجوهرى القوم الحنطة وقال ابن دريد القوم السنبلة وحكى القرطبي عن عطاء وقتادة أن القوم كل حب يختبز قال وقال بعضهم هو الحص لغة شامية ومنه يقال لبائعه فاقى مغير عن قومي قال البخاري وقال بعضهم الحبوب التي تؤكل كلها قوم * وقوله تعالى قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير فيه تقرير لهم وتوبيخ على ما سألوهم من هذه الاطعمة الدنية مع ما هم فيه من العيش الرغيد والطعام الهنيء الطيب النافع * وقوله تعالى اهبطوا مصرا هكذا هم منون مصروف مكتوب بالالف في المصاحف الائمة العثمانية وهو قراءة الجمهور بالصرف قال ابن جرير ولا أستخبر القراءة بغير ذلك لاجماع المصاحف على ذلك

وقال ابن عباس اهبطوا مصرا قال مصر أمم الامصار رواه ابن حاتم من حديث أبي سعيد البقال سعيد بن المرزبان عن عكرمة عنه قال وروى عن السدي وقتادة والريبع بن أنس نحو ذلك وقال ابن جرير وقع في قراءة أبي بن كعب وابن مسعود اهبطوا مصرا من غير اجراء يعنى من غير صرف ثم روى عن أبي العالية والريبع بن أنس انه ما فسر اذلك بمصر فرعون وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبي العالية والريبع وعن الاعشى أيضا قال ابن جرير ويحتمل أن يكون المراد مصر فرعون على قراءة الاجراء أيضا ويكون ذلك من باب الاتباع لكاتبه المحقق كما في قوله تعالى قوارير اقواريرا ثم توقف في المراد ما هو أمصر

فرعون أم مصر من الأمصار وهذا الذي قاله فيه نظروا الحق أن المراد مضر من الأمصار كما روى عن ابن عباس وغيره والمعنى على ذلك لأن موسى عليه السلام يقول لهم هذا الذي سألتكم ليس بأمر عزيز بل هو كثير في أي بلد دخلتموها ووجدتموه فليس يساوي مع ذنابه وكثيرته في الأمصار أن أسأل الله فيه . ولهذا قال أن تستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصر فإن لكم ما سألتم أي ما طلبتم ولما كان سؤالهم هذا من باب البطر والاشر ولا ضرورة فيه لم يجابوا اليه والله أعلم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق (١٧٣) ذلك جماعصوا وكافوا يعبدون يقول تعالى

كتاب لمن تبعك منهم (اتبعك أهواءهم) أي أهواء اليهود والنصارى (بعد الذي جاءك من العلم) أي البيان بان دين الله هو الاسلام وان القبلة هي قبلة ابراهيم وهي الكعبة ويحتمل ان يكون تعريضا لامتة وتحذير الهم ان يوافقوا شيئا من ذلك أو يدخلوا في أهواء أهل المال ويطلبوا رضا أهل البدع أخرج الثعلبي عن ابن عباس قال ان يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلي النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى قبلةهم فلما صرف الله القبلة إلى الكعبة شق ذلك عليهم وأيسوا منه أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله هذه الآية وجواب القسم قوله (مآل من الله من ولى) بلى أمرك ويقوم بك (ولانصير) ينصرك ويمنعك من عقابه وفي هذه الآية من الوعيد الشديد الذي ترجفه القلوب وتتصدع منه الأفئدة ما يوجب على أهل العلم الحاملين للحجج الله سبحانه والقائمين ببيان شرائعه ترك الدهان لاهل البدع المتذهبين بهذا السوء التاركين للعمل بالكتاب والسنة المؤثرين لمحض الرأي عليهم ما فان غالب هؤلاء وان أظهر قبولاً وأبان من أخلاقه لينا لا يرضيه الا اتباع بدعته والدخول في مداخله والوقوع في حباله فان فعل العالم ذلك بعد ان علمه الله من العلم ما يستفيد به ان هدى الله هو مافي كتابه وسنة رسوله لا ما هم عليه من تلك البدع التي هي ضلالة محضة وجهالة بينة ورأي سهار و تقليد على شفا جرف هار فهو اذا ذلك ماله من الله من ولى ولانصير ومن كان كذلك فهو لا محالة مخذول وهالك بلا شك وشبهة (الذين آتيناهم الكتاب) هم اليهود والنصارى قاله قتادة وقيل هم المسلمون والكتاب هو القرآن وقيل من أسلم من أهل الكتاب وقال ابن عباس نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب وكانوا أربعين رجلا غائبين من رهبان الشام منهم بحري الراهب والباقي من الحبشة وقيل هم المؤمنون عامة (يتلونه حتى تلاوته) أي يقرؤنه كما أنزل لا يغيرونه ولا يحرفونه ولا يبدلون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل المراد بالتلاوة أنهم يعملون بما فيه فيحلون حلاله ويحرمون حرامه فيكون من تلاه تلاه اذا اتبعه أي يتبعونه حتى اتباعه ومنه قوله تعالى والقمرا اذا تلاها أي اتبعها قاله ابن عباس وقال عمر بن الخطاب يعني اذا امر بذكر الجنة يسأل الجنة واذا امر بذكر النار تعوذ من النار وقال زيد بن أسلم يتكلمون به كما أنزل ولا يتكلمون عنه قنادة قال هم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعن الحسن قال يعملون بحكمه

من الله يقول استوجبوا سخطا وقال ابن جرير يعني بقوله واثوا بغضب من الله انصرفوا ورجعوا ولا يقال بقاء الاموصولا اما بخير
واما بشرى يقال منه باء فلان بذنبه يوبه يوبوا ووبوا ومنه قوله تعالى الى اريد ان تبوء باثمي وانك يعني تنصرف متحملا وما ترجع بهما
قد صار اعليناك دوني فعني الكلام اذا رجعوا منصرفين متحملين غضب الله قد صار عليهم من الله غضب ووجب عليهم من الله سخط
وقوله تعالى ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق يقول تعالى هذا الذي جازيناهم من الذلة والمسكنة
واحلال الغضب بهم من الذلة بسبب استكبارهم عن اتباع الحق وكفرهم بآيات الله واهانتهم حلة الشرع وهم الانبياء واتباعهم

فانتصوهم الى أن أفضى بهم الحال الى أن قتلوهم فلا كفر أعظم من هذا انهم كفر وابات الله وقتلوا أنبياء الله بغير الحق ولهذا جاء في الحديث المنفق على صحته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكبر بطر الحق وغمط الناس وقال الامام أحمد رحمه الله حدثنا اسبعيل عن ابن عون عن عمرو بن سعيد عن جدين عبد الرحمن قال قال ابن مسعود كنت لأعجب عن النجوى ولا عن كذا ولا عن كذا فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده مالك بن مرارة الراوى فذكرته من آخر حديثه وهو يقول يا رسول الله قد قسم لي من الجبال ما ترى فأحب أن أحدا (١٧٤) من الناس فضلني بشرا كين فافوقهم ما أليس ذلك هو البغي فقال

و يؤمنون بمتشابهه ويكون ما أشكل عليهم الى عالمه وقيل يسدبرونه حتى تدبره ويتفكرون في معانيه وحقائقه وأسراره (أولئك يؤمنون به) أى يصدقون به فان كانت الآية في أهل الكتاب فالمعنى ان المؤمن بالتوراة الذى يتلوها حتى تلاوتها هو المؤمن بحمد صلى الله عليه وآله وسلم لان في التوراة نعمته وصفته وان كانت في المؤمنين عامة فالمعنى ظاهر (ومن يكفر به) أى يحجج مدافعه من فرائض الله ونبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (فأولئك هم الخاسرون) أى خسروا أنفسهم حيث استبدلوا الكفر بالايان (يا بني اسرائيل اذكر وانعمت على أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين واتقوا يوا ما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) قدم مثل هذا في صدر السورة وقد تقدم تفسيره وهذا من العام الذى يراد به الخاص كقوله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له ومعنى الآية ولا تنفعها شفاعة اذا وجب عليها العذاب ولم تستحق سواه وقيل انه رد على اليهود في قولهم ان آباءنا يشفعون لنا ووجه التكرار الحث على اتباع الرسول النبي الامي ذكر معناه ابن كثير في تفسيره وقيل للتوكيد وتذكير النعم وفيه عظة لليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال الباقى في تفسيره انه لما طال المدى في استقصاء تذكيرهم بالنعم ثم في بيان عوارضهم وهتك أستارهم وختم ذلك بالترهيب لتضييع أديانهم بأعمالهم وأحوالهم وأقوالهم أعاد ما صدر به قصتهم من التذكير بالنعم والتذكير من حلول النقم يوم يجمع الامم ويدوم فيه الندم لمن زلت به القدم ليعلم أن ذلك فذلك القصة والمقصود بالذات الحث على انتهاز الفرصة انتهى وأقول ليس هذا بشئ فإنه لو كان سبب التكرار ما ذكره من طول المدى وأنه أعاد ما صدر به قصتهم لذلك كان الاولى بالتكرار واللاحق بإعادة الذكر هو قوله سبحانه يا بني اسرائيل اذكر وانعمت على أنعمت عليكم وأوفوا بعهدهم وأوفى بعهدهم وأبى فارهبون فان هذه الآية مع كونها أول الكلام معهم والخطاب لهم في هذه السورة هي أيضا أولى بان تعاد وتكرر لما فيها من الاصر بتذكيرهم بالنعم والوفاء بالعهود والرهبة لله سبحانه وبهذا تعرف صحة ما قدمناه لك عند أن شرع الله سبحانه في خطاب بني اسرائيل من هذه السورة فراجع ثم حكى الباقى بعد كلامه السابق عن الخبر انه قال كرهه تعالى اظهارا لمقصود التمام آخر الخطاب باوله ليتخذ هذا الافصاح والتعليم أصلا لما يمكن بان يرد من

لا ليس ذلك من البغي ولكن البغي من بطن أو قال سنفه الحق وغمط الناس يعنى رد الحق واتقص الناس والازدراء بهم والتعظيم عليهم ولهذا لما ارتكب بنو اسرائيل ما ارتكبه من الكفر بآيات الله وقتلهم أنبياءه أحل الله بهم بأسه الذى لا يردوك ساهم ذلا في الدنيا موصولا بذل الآخرة جزاء وفاقا قال أبو داود الطيالسى حدثنا شعبة عن الأعشى عن ابراهيم عن أبي معمر عن عبد الله ابن مسعود قال كانت بنو اسرائيل في اليوم تقتل ثلاثمائة ثم يقيمون سوق بقلهم من آخر النهار وقد قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا أبان حدثنا عاصم عن أبي وائل عن عبد الله يعنى ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتل نبي أو قتل نبي أو امام ضلالة وممثل من المشركين وقوله تعالى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون وهذه عدة أخرى في مجازاتهم بما جاوزوا به انهم كانوا يعصون ويعتدون فالعصيان فعل

المنه والاعتداء المجاوزة في حد المأذون فيه والمأمور به والله أعلم (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) لما بين تعالى حال من خالف أو امره وارتكب زواجره وتعدى في فعل ما لا اذن فيه وانتكح الحارم وما أحل بهم من النكال به تعالى على أن من أحسن من الامم السالفة واطاع فان له جزاء الحسن وكذلك الاخر الى قيام الساعة كل من اتبع الرسول النبي الامي فله السعادة الابدية ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه ولا هم يحزنون على ما يمر كونه ويخلفونه كما قال تعالى ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم

يخزئون كما تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار في قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون قال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا عن أي عمر العدي حشد شاسعان عن ابن أبي شحيب عن مجاهد قال قال سلمان رضي الله عنه سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن أهل دين كنت معهم فذكرت من صلاتهم وعبادتهم فنزلت ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر الى آخر الآية وقال السدي ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر (١٧٥) الاخر وعمل صالحا الآية نزلت في أصحاب

سلمان الفارسي بينما هو يحدث النبي صلى الله عليه وسلم اذ ذكر أصحابه فآخبره خبرهم فقال كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون بك ويشهدون أنك ستبعث نبيا فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم قال له نبى الله صلى الله عليه وسلم يا سلمان هم من أهل النار فاشتد ذلك على سلمان فانزل الله هذه الآية فكان

نحوه في سائر القرآن حتى كان الخطاب اذا انتهى الى غاية خاتمة يجب ان يلحق القلب بداية تلك الغاية فيتلوها ليكون في تلاوته جامع للطرفين الثناء وفي تفهيمه جامع للمعاني طرق المعنى انتهى وأقول لو كان هذا سبب التكرار كان الاولى به ما عرفناك واما قوله وليتخذ ذلك أصلا لما يرد من التكرار في سائر القرآن فعلوم ان حصول هذا الامر في الاذهان وتقرره في الافهام لا يختص بتكرار آية معينة يكون اقتراح هذا المقصود بها فلم يتم حينئذ التمكن في تكريرها تبيين الايتين بخصوصهما والله الحكمة البالغة التي لا تبلغها الافهام ولا تدركها العقول فليس في تكلف هذه المناسبات المتعسفة الا ما عرفناك به هنالك فتذكر (واذا تبلى ابراهيم ربه بكلمات) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أولي

اسرائيل والايتلاء الاخبار والامتحان أي ابتلاء عما أمر به وهو استعارة تعبها واقعة على طريق التمثيل أي فعل معه فعلا مثل فعل المختبر والغرض من هذا التذكير بفتح أهل المال المتخالفين وذلك لان ابراهيم يعترف بفعله جميع الطوائف قديما وحديثا فحكى الله عن ابراهيم أمورا توجب على المسلمين والهود والنصارى قبول قول محمد صلى الله عليه وآله وسلم لان ما أوجبه الله على ابراهيم جاء به محمد وفي ذلك حجة عليهم و* ابراهيم اسم أعجمي معناه في السريانية أب رحيم كذا قال الماوردي قال ابن عطية ومعناه في العربية ذلك قال السهيلي وكثيرا ما يقع الاتفاق بين السرياني والعربي وفيه لغات وكان مولد ابراهيم بالسوس من أرض الاحواز وقيل بابل وقيل بكوني وهي قرية من سواد الكوفة وقيل بجزان ولا يمكن أباده نقله الى أرض بابل وهي أرض غمر وذالجبار وقد أورد صاحب الكشف حنا سؤالا في رجوع الفهر الى ابراهيم مع كون رتبته التأخير وأجاب عنه بأنه قد تقدم لفظا فرجع اليه والامر في هذا أوضح من ان يشغل بذكره وأورد في مثل الاستدلال أو بسؤد وجه القرطاس بايضاحه وقد اختلف العلماء في تعيين الكلمات فقل هي شرائع الاسلام وقيل ذبح ابنه وقيل أداء الرسالة وقيل حتى خصال الفطرة وقيل قوله اني جاع لك للناس اماما وقيل الطهارة قال الزجاج وهذه الاقوال ليست بمتناقضة لان هذا كله مما ابتلى به ابراهيم انتهى وظاهر النظم القرآني أن الكلمات هي قوله اني جاع لك وما بعده ويكون ذلك بيانا للكلمات وجاء عن بعض السلف ما وافق ذلك وعن آخرين ما يخالفه والحق أنه اذ لم يصح شيء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا جاءنا من طريق تقوم

إيمان اليهود (١) أنه من تمسك بالتوراة وسنة موسى عليه السلام حتى جاء عيسى فلما جاء عيسى كان من تمسك بالتوراة وأخذ بسنة موسى فلم يدعها ولم يتبع عيسى كان هالكا وإيمان النصارى ان من تمسك بالانجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمنا مقبولا منهم حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم فلم يتبع محمدا صلى الله عليه وسلم منهم ويدع ما كان عليه من سنة عيسى والانجيل كان هالكا قال ابن أبي حاتم وروى عن سعيد بن جبير نحو هذا قلت وهذا لا ينافي ما روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم

الآخر الآية (٢) فانزل الله بعد ذلك ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين فان هذا الذي قاله ابن عباس اخبار عن أنه لا يقبل من أحد طريقتا ولا عملا الا ما كان وافقا لشريعته صلى الله عليه وسلم بعد أن بعثه بما بعثه به فاما قبل ذلك فكل من اتبع الرسول في زمانه فهو على هدى وسبيل ونجاة قاله يهودا تابع موسى عليه السلام الذين كانوا يتبعوا الى التوراة في زمانهم * واليهود من اليهودية المودة والتهود هي التوبة كقول موسى عليه السلام انا هدانا الملك أي تبنا فكأنهم سموا بذلك في الاصل لتوبتهم ومودتهم في بعضهم لبعض وقيل لسميتهم الى يهودا كبر اولاد يعقوب وقال أبو عمرو بن

العلاء لانهم يتحدون أي يهتكون عند قراءة التوراة فلما بعث عيسى صلى الله عليه وسلم وجب على بني اسرائيل اتباعه والالتحاق به
فاجتنبه وأهل دينه هم النصارى وسجوا بذلك لتناصرهم فيما بينهم وقد يقال لهم أنصاراً أيضاً كما قال عيسى عليه السلام من أنصاري
إلى الله قال الخواريون نحن أنصار الله وقيل انهم انما سوا بذلك من أجل انهم نزلوا أرضاً يقال لها ناصرة قاله قتادة وابن جرير
وروى عن ابن عباس أيضاً والله أعلم والنصارى جمع نصران كمنشأوى جمع نشوان وسكاري جمع سكران ويقال للمرأة نصرانة
قال الشاعر نصرانة لم تحف فلما بعث الله (١٧٦) محمد صلى الله عليه وسلم خاتماً للنبيين ورسولاً إلى بني آدم على الإطلاق

بها الحجة في تعيين تلك الكلمات لم يبق لنا إلا أن نقول انهم ما ذكره الله سبحانه في كتابه قال
إني جاعلك للناس إماماً ويكون ذلك بيانا للكلمات أو السكوت وحالة العلم في ذلك على
الله سبحانه وإماماً روى عن ابن عباس ونحوه من الصحابة ومن بعدهم في تعيينها فهو
أولاً أقوال الصحابة ولا تقوم بها الحجة فضلاً عن أقوال من بعدهم وعلى تقدير أنه لا مجال
للإجتهاد في ذلك وإن له حكم الرفق فقد اختلفوا في التعيين اختلافاً يمنع معه العمل
ببعض ما روى عنهم دون البعض الآخر بل اختلفت الروايات عن الواحد منهم كما روى
عن ابن عباس فكيف يجوز العمل بذلك وبه إذ تعرف ضعف قول من قال أنه يصار إلى
العموم ويقال تلك الكلمات هي جميع ما ذكرهنا فإن هذا يستلزم تفسير كلام الله
بالضعيف والمتناقض وما لا تقوم به الحجة وعلى هذا فيكون قوله إني جاعلك مستأنفاً كونه
قيل ماذا قال له وقال ابن جرير ما حاصله أنه يجوز أن يكون المراد بالكلمات جميع ذلك
وجاء أن يكون بعض ذلك ولا يجوز الجزم بشيء منها أنه المراد على التعيين الإجماع
أو إجماع ولم يصح في ذلك خبر ينقل الواحد ولا ينقل الجماعة الذي يجب التسليم له ثم قال
إن الذي قاله مجاهد وأبو صالح والربيع بن أنس أولى بالصواب يعني أن الكلمات هي قوله
إني جاعلك للناس إماماً وقوله وعهدنا إلى إبراهيم وما بعده ورجح ابن كثير أنها تشمل جميع
ما ذكره وفيه بعد (فأتمن) أي قام بهن أتم قياماً ومثل أكل امتثال واختلاف هل كان
هذا ابتلاء قبل النبوة أو بعده فاقبل بالاول بدليل السياق فإنه يدل على أن قيامه عليه
السلام بهن كالسبب لأن يجعله الله إماماً والسبب يتقدم على المسبب وقيل بالثاني لأن
التكليف لا يعلم إلا من جهة الوحي الإلهي وذلك بعد النبوة وقيل إن قسر الابتلاء
بالكوكب والقمر والشمس كان ذلك قبل النبوة وإن قسر بما وجب عليه من شرائع
الدين كان ذلك بعد النبوة (قال إني جاعلك للناس) أي لاجلهم (إماماً) يقتدى بذلك
وهديك وستنتك والامام هو الذي يؤتم به ومنه قيل للطريق إمام وللبناء إمام لأنه يؤتم بذلك
أي يهتدى به السالك والامام لما كان هو المقصد للناس لكونهم يأتمون به ويهتدون
بهديه أطلق عليه هذا اللفظ إذ لم يبعث بعده نبي إلا كان من ذريته مأموراً باتباعه في
الجملة وإبراهيم يعترف بفضل جميع الطوائف قديماً وحديثاً فاللهود والنصارى فانهم
مقرون بفضلهم ويتشرفون بالنسبة إليه وانهم من أولاده وأما العرب في الجاهلية فانهم

وجب عليهم تصديقه فيما أخبر
وطاعته فيما أمر والانتكاف
عما عندهم من حولاءهم
المؤمنون حقاً وسميت أمة محمد
صلى الله عليه وسلم مؤمنين لكثرة
إيمانهم وشدة إيمانهم ولأنهم
يؤمنون بجميع الأنبياء الماضية
والغيبوبة الآتية وأما الصابئون
فقد اختلف فيهم فقال سفيان
الثوري عن ليث بن أبي سليم عن
مجاهد قال الصابئون قوم بين
المجوس واليهود والنصارى ليس
لهم دين وكذا رواه ابن أبي شيبة عنه
وروى عن عطاء وسعيد بن جبير
نحو ذلك وقال أبو العالية والربيع
ابن أنس والسدي وأبو الشعثاء
جابر بن زيد والضحك واسحق بن
راهويه الصابئون فرقة من أهل
الكتاب يقرؤون الزبور ولهذا قال
أبو خنيفة واسحق لأبأس بنبأهم
ومنا تختمهم وقال هشيم عن مطرف
كأعند الحكم بن عتبة فخذته رجل
من أهل البصرة عن الحسن أنه
كان يقول في الصابئين انهم
كالمجوس فقال الحكم ألم أخبركم
بذلك وقال عبد الرحمن بن مهدي

عن معاوية بن عبد الكريم سمعت الحسن ذكر الصابئين فقال هم قوم يعبدون الملائكة وقال ابن جرير
حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن الحسن قال أخبرني زيدان الصابئين يصلون إلى القبلة ويصلون
الحسن قال فأراد أن يضع عنهم الجزية قال خبر بعد أنهم يعبدون الملائكة وقال أبو جعفر الرازي بلغني أن الصابئين قوم يعبدون
الملائكة ويقرؤون الزبور ويصلون للقبلة وكذا قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى
أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن أبي الزناد عن أبيه قال الصابئون قوم مما نزل العراق وهم يكتونهم يؤمنون بالنبيين كاهم ويصومون

من كل سنة ثلاثين يوما ويصلون الى الميمن كل يوم خمس صلوات وسئل وهب بن منبه عن الصادق عليه السلام اني اعرف الله رسده
ولست له شريعة يعمل بها ولم يحدث كفرا وقال عبد الله بن وهب قال عبد الرحمن بن زيد الصائغون دين من الاديان كانوا يجزيه
الموصل يقولون لا اله الا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي الا قول لا اله الا الله قال ولم يؤمنوا برسول فمن أجل ذلك كان
المشركون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه هؤلاء الصائغون يشبهونهم بهم يعني في قول لا اله الا الله وقال الخليل هم قوم
يشبه دينهم دين النصارى الآن قبلتهم فتقوم بهب الجنوب يزعمون أنهم (١٧٧) على دين نوح عليه السلام وحكي القرطبي عن

مجاهد والحسن وابن أبي نجيح أنهم
قوم ترك دينهم بين اليهود
والمجوس ولا تؤكل ذبائحهم
ولا تنكح نسائهم قال القرطبي
والذي يحصل من مذهبهم فيما
ذكره بعض العلماء أنهم موحدون
ويعتقدون تأثير النجوم وانها
فاعلة ولهذا أفق ابوسعيد
الاصطخري بكفرهم للقادر بالله
حين سأله عنهم واختار الرازي ان
الصائغين قوم يعبدون الكواكب
يعني ان الله جعلها قبله للعبادة
والدعاء أو يعني ان الله فوض تدبير
أمر هذا العالم اليها قال وهذا
القول هو المنسوب الى الكشرايين
الذين جاءهم ابراهيم عليه السلام
راد عليهم ومبطلا لقولهم وأظهر
الاقوال والله أعلم قول مجاهد
ومتابعيه ووهب بن منبه أنهم قوم
ليسوا على دين اليهود والنصارى
ولا المجوس ولا المشركين وانما هم
قوم باقون على فطرتهم ولادين
مقرر لهم يتبعونه ويعتقونه ولهذا
كان المشركون ينسبون من أسلم
بالصائغ أي انه قد خرج عن سائر
أديان أهل الارض اذ ذاك وقال

أيضا يعرفون بفضلهم ويشرفون على غيرهم به لأنهم من أولاده ومن ساكني حرمة
وخدام بيته ولما جاء الاسلام زاده الله شرفا وفضلا حتى الله عن ابراهيم امورا توجب
على المشركين والنصارى واليهود قبول قول محمد صلى الله عليه وآله وسلم والاعتراف
بدينه والالتحاق بشريعته لان ما أوجبه الله على ابراهيم هو من خصائص دين محمد صلى الله
عليه وآله وسلم وفي ذلك حجة على اليهود والنصارى ومشركي العرب في وجوب الانقياد
لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والايان به وتصديقه (قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي
الظالمين) يحتمل أن يكون ذلك دعاء من ابراهيم أي واجعل من بعض ذريتي أئمة ويحتمل
أن يكون هذا من ابراهيم لقصد الاستقهام وان لم يكن بصيغته أي ومن ذريتي ماذا
يكون يارب فاخبره أن فيهم عصاة وظلمة وانهم لا يصلحون لذلك ولا يقومون به ولا ينالهم
عهد الله سبحانه وتخصيص البعض بذلك لبداية استحالة امامة النكل وان كانوا على الحق
عن قتادة قال هذا عند الله يوم القيامة لا ينال عهده ظالما فاما في الدنيا فقد نالوا عهده
فوارثوه المسلمين وغادوهم ونكحهم فلما كان يوم القيامة قصر الله عهده وكرامته على
أوليائه وعن مجاهد قال لا تجعل اماما ظالما يقتدي به وعن ابن عباس قال يخبره انه ان
كان في ذرية ظالما لا ينال عهده ولا ينبغي له أن يولي شيئا من أمره والنيل الادراك وهو
العتاء والذرية مأخوذة من الذر لان الله أخرج الخلق من ظهر آدم عليه السلام حين
أشبههم على أنفسهم كالذر وقيل مأخوذة من ذرأ الله الخلق يذرؤهم اذ خلقهم وفي
الكتاب العزيز فاصبح هشيا تذرؤه الرياح وقال الخليل انما هو ذرية لان الله تعالى ذرأها
على الارض كما ذرأ الزرع البذر قال ابن فارس يؤخذ من هذا الباب السعي في منافع
الذرية والقربة وسؤال من يده ذلك واختلف في المراتب اليه فقيل الامامة وقيل النبوة
وقيل عهد الله أمره وقيل الامان من عذاب الآخرة ورجحه الزجاج والاول أظهر كما يفيد
السياق وقد استدل بهذه الآية جماعة من أهل العلم على أن الامام لا بد أن يكون من أهل
العدل والعمل بالشرع كما ورد لانه اذا راغ عن ذلك كان ظالما ويمكن أن ينظر الى ما يصدق
عليه اسم العهد وما يفيد الاضافة من العموم فيشمل جميع ذلك اعتبارا بعموم اللفظ
من غير نظر الى السبب ولا الى السياق فيستدل به على اشتراط السلامة من وصف الظلم
في كل من تعلق بالامور الدينية وقد اختار ابن جرير ان هذه الآية وان كانت ظاهرة في

(٢٣ ل - فتح انسان) بعض العلماء الصائغون الذين لم تبلغهم دعوة نبي الله أعلم (واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم
الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلو افضل الله عليكم ورجته لكنتم من
الخاسرين) يقول تعالى مذكر اني اسراييل ما أخذ عليهم من العهود والمواثيق بالايان به وحده لا شريك له واتباع رسوله وأخبر
تعالى انه لما أخذ عليهم الميثاق رفع الجبل فوق رؤسهم ليعروا عهوده وعليه وما أخذوه بقوة وجزم وامتثال كما قال تعالى واذ
تقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون فالطور هو الجبل كما فسر به

في الاعراف ونص على ذلك ابن عباس ومجاهد وعطاء وعكرمة والحسن والفضالة والربيع بن أنس وغير واحد وهذا ظاهر وفي رواية عن ابن عباس التوراة ما ثبت من الجبال وما لم يثبت فليس بطور وفي حديث التتو عن ابن عباس انهم لما استنوعوا في الطاعة رفع عليهم الجبل ليستعوا وقال السدي فلما أرى أن يسجدوا أمر الله الجبل أن يقع عليهم فظنوا اليه وقد غشهم فشقوا جسدا فسجدوا على شق ونظروا بالشق الآخر فرجعهم الله فكشف عنهم فقاروا الله ما سجدوا أحب إلى الله من سجدة كشف بها العذاب عنهم فيهم يسجدون كذلك (١٧٨) وذلك قول الله تعالى وروعنافوقكم الطور وقال الحسن في قوله

الخبر انه لا يزال عهد الله بالامامة طالما فيها اعداء من الله لا براهم اخليل انه سيوجد من ذرية من هو ظالم لنفسه انتهى ولا يخفى ان الله لا جدوى له كلامه هذا فالاولى ان يقال ان هذا الخبر في معنى الامر لعباده أن لا يولوا أمور الشرع ظالما وانما ظالمنا في معنى الامر لان اخباره تعالى لا يجوز أن يتخلف وقد علمنا انه قد نال عهد من الامامة وغيره كثير من الظالمين (واذ جعلنا البيت مثابة للناس) أي لاجلهم أو لاجل مناسكهم والبيت هو الكعبة غلب عليه كجلب النجم على الثريا ويدخل فيه جميع الحرم بوصفه بكونه أمنا كما ساقى ومثابة مصدر من ثاب ثوبا مثابة أي مر جعابرجع احتجاج اليه بعد تفرقهم عنه وقيل المثابة من الثواب أي يثابون هنالك وقال مجاهد المراد انهم لا يقصون منه أوطارهم قال الاخفش ودخلت الياء لكثرة من ثوب اليه فيسمى كعلامة ونسابة وقال غيره هي للتأنيث وليست للمبالغة وهو مصدر أو اسم مكان قولان (وأما) هو اسم مكان أي موضع آمن وهو أطير من جعله اسم الفاعل على سبيل التجاز كقوله حرما آمنافان الآمن هو الساكن والمليجي والاول لا يجازيه وقد استدل بذلك جماعة من أهل العلم على أنه لا يقام اخذ على من جأ اليه ويريد ذلك قوله تعالى ومن دخله كان آمنا وقيل ان ذلك منسوخ وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بجمرة الله الى يوم القيامة وانه لم يحل القتال فيه لاحد قبلي ولم يحل لي الاساعه من نهاري فحرم بجمرة الله الى يوم القيامة لا يعرضدشوكه ولا يقرصده ولا يلقط لقطته الا من عرفيا ولا يخفى خلاه فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيهم ويوتهم فقال الا الاذخر أخرجه البخاري ومسلم وكان الناس يامنون فيه من أذى المشركين فانهم كانوا لا يعرضون لاحل مكة ويقولون هم أهل الله وقال ابن عباس في الآية معاذوا مسلما (واخذوا من مقام ابراهيم صلى) قرئ على انه فعل ماض أي واتخذوه مصلى وقرئ على صيغة الامر ويجوز أن يكون تقديره وظلنا اتخذوا والمقام في اللغة موضع القيام قال النحاس هو من قام يقرم يكون مصدرا واسما للموضع ومقام من أقام ومن التبعض وهذا هو الظاهر وقيل بمعنى في وقيل زائدة على قول الاخفش وليس بشئ اختلف في تعيين المقام على أقوال أصحها أنه الحجر الذي يعرفه الناس ويصلون عنده ركعتي الطواف وقيل

خذوا ما آتيناكم بقوة يعني التوراة وقال أبو العالية والربيع ابن أنس بقوة أي بطاعة وقال مجاهد بقوة يعمل بها فيه وقال قتادة خذوا ما آتيناكم بقوة القوة الجدا والاذقة عليكم قال فافرو بذلك أنهم يأخذون ما أتوا بقوة ومعنى قوله والاذقة عليكم أي اسقطه عليكم يعني الجبل وقال أبو العالية والربيع وأذكروا ما فيه يقول أقر وأما في التوراة واعلموا به وقوله تعالى ثم توليتهم من بعد ذلك فلولا فضل الله يقول تعالى ثم بعد هذا المشاق المؤكدة العظيم توليت عنه وان شئتم وتقصتوه فلولا فضل الله عليكم ورحمته أي بتوحيته عليكم وارساله النبيين والمرسلين اليكم لكنكم من الخاسرين بتقصكم ذلك المشاق في الدنيا والاخرة (ولقد علم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناهم قردة لئلا يبين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين) يقول تعالى ولقد علمت بما معشر اليهود ما أحل من لباس بأهل القرية التي عصت أمر الله

وخالفوا وعهدوا بميثاقه فيما أخذوا عليهم من تعظيم السبت والقيام بأمره اذا كان مشروعا عليهم فتحملوا على اصطفايا الحيات في يوم السبت بمأوضوعوا منها من النصوص والحيات والبركة قبل يوم السبت فلما جئت يوم السبت على عاتقها في الكثرة نسبت تلك الحيات والحبل فلم تخلص منها يومها ذلك فلما كان الليل أخذوا بها بعد انضاء السبت فلما فعلوا ذلك سخطهم الله الى صورة القردة وهي أشبه بشئ بالاناس في الشكل اظاهر وليست بإنسان حقيقة فكذلك أعمال هؤلاء وحياتهم لما كانت مشابهة للحق في الظاهر ومخالفة له في الباطن كان جزاؤهم من جنس عملهم وهذه القصة مبسطة في سورة الاعراف حيث يقول

تعالى واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ اتهمتهم حينئذ يوم سبهم شرعاً ويوم لا يسبقون لأتائهم
 كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون القصة بكلها وقال السدي أهل هذه القرية هم أهل آيلة وكذا قال قتادة وسنورد أقوال المفسرين
 هناك مبسطة إن شاء الله وبه الثقة وقوله تعالى فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو حذيفة
 حدثنا شبل عن ابن أبي شيبة عن مجاهد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين قال مسخت قلوبهم ولم يحسبوا قردة وإنما هو مثل ضرب به الله
 كمثل الجار يحمل أسفارا ورواه ابن جرير عن المثني عن أبي حذيفة وعن (١٧٩) محمد بن عمر الباهلي وعن أبي عاصم عن

المقام الحرم كله روى ذلك عن عطاء ومجاهد وقيل عرفة والمزدلفة وقال الشعبي الحرم كله
 مقام والمعنى اتخذوا مصلى كأنشاء عند مقام إبراهيم والعنصرية تصدق بمجهااته الأربع
 والتخصيص بمصلى المصلى خلقه إنما استفيد من فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 والصحابة بعده أخرجه البخاري وغيره من حديث أنس عن عمر بن الخطاب قال وافقت ربي
 في ثلاث ووافقتني ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فزلت
 هذه الآية وقالت يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتني أن يمتحن
 فزلت آية الحجاب واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نساؤه في الغيرة فقلت
 لهن عسى ربه أن طلقكن إن يبدل أزواجهن مما تركنن كنن فزلت كذلك وأخرجه مسلم وغيره
 مختصراً من حديث ابن عمر عنه وأخرجه مسلم وغيره من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم رمل ثلاثة أشواط ومشى أربعاً حتى إذا فرغ عدلى مقام إبراهيم فصلى خلقه
 ركعتين ثم قرأوا اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وفي مقام إبراهيم عليه السلام أحاديث
 كثيرة مستوفاة في الأمهات وغيرها والأحاديث الصحيحة تدل على أن مقام إبراهيم هو
 الحجر الذي كان يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع الجدار أنه اسم عجل به ليقوم فوقه كما
 في البخاري من حديث ابن عباس وهو الذي كان ملصقاً بجدار الكعبة وأول من نقله عمر
 ابن الخطاب كما أخرجه عبد الرزاق والبيهقي بإسناد صحيح وابن أبي حاتم وابن مردويه من
 طرق مختلفة وأخرجه ابن أبي حاتم من حديث جابر في وصف حج النبي صلى الله عليه وآله
 وسلم قال لما طاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له عمر هذا مقام إبراهيم قال نعم
 وأخرج نحوه ابن مردويه قبل كان أثر أصابع رجل إبراهيم فيه فاندست بكثرة المسح
 بالأيدي وإنما أمره بالصلاة عنده ولم يؤمر بالصلاة وتقبله وقد روى البخاري في بدء قصته
 المقام أثر طويلاً عن ابن عباس وقد روى حديث الترمذي أن الركن والمقام ياقوتتان
 من ياقوت الجنة طمس الله نورهما واختلفوا في قوله مصلى فمن فسر المقام بمشهد الحج
 ومشاعره قال مصلى مدعى من الصلاة التي هي الدعاء ومن فسر المقام بالحجر قال معناه
 واتخذوا من مقامه قبله أمره بالصلاة عنده وهذا هو الصحيح لأن لفظ الصلاة إذا أطلق
 لا يعقل منه إلا الصلاة المعهودة ذات الركوع والسجود ولأن مصلى الرجل هو الموضع
 الذي يصلي فيه (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن تطهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع

عيسى عن ابن أبي شيبة عن مجاهد
 به وهذا سند جيد عن مجاهد وقول
 غريب خلاف الظاهر من السياق
 في هذا المقام وفي غيره قال الله تعالى
 قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة
 عند الله من لعنه الله وغضب عليه
 وجعل منهم القردة والخنازير وعبد
 الطاغوت الآية وقال العوفي في
 تفسيره عن ابن عباس فقلنا لهم
 كونوا قردة خاسئين فجعل الله منهم
 القردة والخنازير فزعهم عن شباب
 القوم صاروا قردة وإن الشبهة
 صاروا خنازير وقال شيبان
 النخعي عن قتادة فقلنا لهم كونوا
 قردة خاسئين فصار القوم قردة
 تعاروا لها أذنان بعد ما كانوا
 رجالاً ونساء وقال عطاء الخراساني
 نودوا يا أهل القرية كونوا قردة
 خاسئين فجعل الذين نهوهم
 يدخلون عليهم فيقولون يا فلان
 ألم ننهمكم فيقولون برؤسهم
 أي بلى وقال ابن أبي حاتم حدثنا
 علي بن الحسن حدثنا عبد الله بن
 محمد بن ربيعة بالمصيصية حدثنا
 محمد بن مسلم يعني الطائفي عن ابن
 أبي شيبة عن مجاهد عن ابن عباس
 قال إنما كان الذين اعتدوا في السبت فجعلوا قردة فواقامهم هكذا وما كان للمسخ نسل وقال الضحاك عن ابن عباس فسحقهم الله
 قردة بمعصيتهم يقولون إذا يحيون في الأرض الاثلاثة أيام قال ولم يعش مسخ فظف فوق ثلاثة أيام ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل وقد
 خلق الله القردة والخنازير وسائر الخلق في الستة الأيام التي ذكرها الله في كتابه فسحق هؤلاء القوم في صورة القردة وكذلك يفعل
 بمن يشاء كما يشاء يحوله كما يشاء وقال أبو جعفر عن الربيع عن أبي العباس في قوله كونوا قردة خاسئين قال يعني أدلة صاغرين
 وروى عن مجاهد وقاتة والربيع وأبي مالك نحوه وقال محمد بن إسحق عن داود بن أبي الحصين عن عكرمة قال قال ابن عباس إن

الله انما افترض على بني اسرائيل اليوم الذي افترض عليكم في عيدكم يوم الجمعة فثالثوا الى السبت ففعلوه وتركوها امر وابه
فاما ابناؤا الازوم السبت ابتلاهم الله فيه فخرم عليهم ما أحل لهم في غيره وكانوا في قرية بين أيلة والطور يقال لها مدين فخرم الله
عليهم في السبت الحيتان فسدوا وأكلها وكانوا اذا كان يوم السبت أقبلت اليهم شرعاً على ساحل بحرهم حتى اذا ذهب السبت
ذهب فلم يروا حونا صغيراً ولا كبيراً حتى اذا كان يوم السبت أتيت شرعاً حتى اذا ذهب السبت ذهب فكانوا كذلك حتى طال عليهم
الامد وقرموا الى الحيتان عمد رجل منهم (١٨٠) فأخذ حوتاً من يوم السبت فخرمه بخيط ثم أرسله في الماء وأوتله وتدفى

الساحل فأوثقه ثم تركه حتى اذا
كان الغد جاء فأخذه أي الى لم أخذه
في يوم السبت فانطلق به كله حتى
اذا كان يوم السبت الآخر عاد
لمثل ذلك ووجد الناس ريح
الحيتان فقال أهل القرية والله
لقد وجدنا ريح الحيتان ثم عثروا
على صنيع ذلك الرجل قال ففعلوا
كما فعل وصنعوا سراراً ما طويلاً
لم يجعل الله عليهم العقوبة حتى
صادوها علية وباعوها بالاسواق
فقات طائفة منهم من أهل البقية
ويحكم اتقوا الله ونهروهم عما
كانوا يصنعون فقات طائفة
أخرى لم تأكل الحيتان ولم تنه
القوم عما صنعوا لم تعظون قوماً الله
مهلكهم أو معدنهم عذاباً شديداً
قالوا معدرة الى ربكم بسخطنا
اعمالهم ولعالمهم يتقون قال ابن
عباس فبيناهم على ذلك أصبحت
تلك البقية في أنديتهم ومساجدهم
فقدوا الناس فلم يروهم قال فقال
بعضهم لبعض ان للناس شأناً
فانظروا ما هو فذهبوا ينظرون
في دورهم فوجدوها مغلقة عليهم
قد دخلوها لئلا تغلقوها على

السجود) معنى عندها نأمرنا وأوحينا وقيل ألزمتنا وأوجبتنا ومن أغرب ما نقل في
تسمية اسم عيل أن ابراهيم كان يدعو الله أن يرزقه ولداً ويقول في دعائه اسمع يا إيل وإيل
باسم السر يا نبيته هو الله فلما رزق الولد سماه وقيل هو اسم العجمي وفيه لعنة اللام
والنون ويجمع على سماعل وسماعيل وأساميع والمراد بالتطهير قيل من الأوثان قال ابن
عباس وقيل من الآفات والرب وقول الزور والرجس قاله مجاهد وسعيد بن جبير
وقادة وقيل من الكفار وقيل من النجاسات وطواف الجنب والحنث وكل خبيث
والظاهر انه لا يختص بنوع من هذه الأنواع وأن كلما يصدق عليه مسمى التطهير فهو
يتناولها ما تناولوا شوي أو بدلياً أو اضافته في قوله بيتي للتشريف والتكريم والمراد بالبيت
الكعبة والطائف الذي يطوف به أي الدائر حوله وقيل الغرب الطارئ على مكة
والعكاف المقيم وأصل العكوف في اللغة اللزوم واللبث والاقبال على الشيء وقيل هو
المجاور دون المقيم من أهلها والمراد بقوله الركع السجود المصلون وخص هذين الركعتين
بالذكر لانهما أشرف أركان الصلاة عن ابن عباس قال اذا كان قائماً فهو من الطائفتين
واذا كان جالساً فهو من العاكفين واذا كان مصلياً فهو من الركع السجود وعن عمر بن
الخطاب انه سئل عن الذين ينامون في المسجد فقال هم العاكفون وفي الآية مشروعية
طهارة المكان للطواف والصلاة قال الرازي واليكاهرسي وفيها دلالة على أن الطواف
للغربة أفضل والصلاة للمقيم أمثل قلت ولم يظهر لي وجه ذلك قالوا وفيها دلالة على جواز
الصلاة في نفس الكعبة حيث قال بيتي خلافاً لما لك قلت وفيه أن الطواف لا يكون في
نفس الكعبة قال الرازي وفيها دلالة على أن الطواف قبل الصلاة قلت وقد سبقه بذلك ابن
عباس وفيها دلالة على جواز المجاورة بمكة لان قوله والعاكفين يحمله والسجود جمع ساجد
شعوراً فاعدود وهو مناسب لما قبله وقيل انه مصدر نحو الدخول والقعود والمعنى ذوى
السجود ذكره أبو البقاء الاول وأولى ولتقارب الآخرين ذاتاً وزماناً ترك العاطف بينهما
وجمع صفتين جمع سلامة وآخر بين جمع تكسیر لاجل المقابلة وهو نوع من الفصاحة واذا
قال ابراهيم رب اجعل هذا أي مكة وقيل الحرم (بلداً آمناً) والمراد الدعاء لاهله من ذريته
وغيرهم كقوله عيشة راضية أي راض صاحبها أو الاسناد الى المكان بجاز كما في ليل نائم
أي نائم فيه قاله السعداء اقتاراني وعلى هذا المراد أن المتحجب اليه فاسند اليه مبالغة وقد

أنفسهم كما يغلق الناس على أنفسهم فاصبحوا فيها قردة وانهم ليعرفون الرجل بعينه وانه لقرد والمرأة
بعينها وانها القردة والصبي بعينه وانه لقرد قال قال ابن عباس فلولا ما ذكر الله انني الذين نهوا عن سوء القداء هلك الله الجميع منهم
قال وهي القرية التي قال جل ثناؤه لمحمد صلى الله عليه وسلم واسئلكم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الآية وروى الضحاك عن
ابن عباس نحو ما من هذا وقال السدي في قوله تعالى ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين قال هم
أهل أيلة وهي القرية التي كانت حاضرة البحر فكانت الحيتان اذا كان يوم السبت وقد حرم الله على اليهود أن يعملوا في السبت

شيا لم يبق في الجرحوت الا خرج حتى يخرج من اطمين من الماء فاذا كان يوم الاحد من سفل البحر فلم يرمهن شي حتى يكون يوم السبت فذلك قوله تعالى واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتهم حينئذ يوم سبتهم شرعا وتوم لا يستون لتأتهم فاشتمى بعضهم السم فجعل الرجل يحفر الحفيرة ويجعل لها نهر الى البحر فاذا كان يوم السبت فتح النهر فاقبل الموج بالحيات يضربها حتى يلقها في الحفيرة فيريد الحوت أن يخرج فلا يطيق من أجل قلة ماء النهر فيكث فيها فاذا كان يوم الاحد جاء فآخذ فجعل الرجل يشوى السمك فيجد جاره ورائحه فيسأله (١٨١) فيخبره فيصنع مثل ما صنع جاره حتى

فشا فيهم أكل السمك فقال لهم علماءهم ويحكم اغتاصطادون يوم السبت وهو لا يحل لكم فقالوا انما صعدناه يوم الاحد حين أخذنا فقال الفتها لا ولكم كنكم صعدتموه يوم فتحتم له الماء قد دخل قال وغلبوا أن ينهوا فقال بعض الذين نهوهم لبعض لم تعظون قوما لله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا يقول لم تعظوهم وقد وعظتوهم فلم يطعوك فقال بعضهم معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون فلما أبوا قال المسلمون والله لانسا كنكم في قرية واحدة فقسما القرية بجدار ففتح المسلمون بابا والمعتدون في السبت بابا ولعنهم داود عليه السلام فجعل المسلمون يخرجون من بابهم والكفار من بابهم فخرج المسلمون ذات يوم ولم يفتح الكفار بابهم فلما أبطوا عليهم تسور المسلمون عليهم الحائط فاذا هم قردة يشب بعضهم على بعض ففتحوا عنهم فذهبوا في الارض فذلك قول الله تعالى فلما عتوا عمارهم واعنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين وذلك حين يقول لعن الذين كفروا من بني

ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ان ابراهيم حرم مكة واني حرمت المدينة ما بين لاتبها فلا يصاد صيدها ولا يقطع عضاها كما أخرجه أحمد ومسلم والنسائي وغيرهم من حديث جابر وقد روى هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من طريق جماعة من الصحابة وثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وهي حرام الى يوم القيامة أخرجه البخاري وأهل السنن من حديث أنى هريرة تعليقا وابن ماجه من حديث صفية بنت شيبة وفي الباب أحاديث غير ما ذكرنا ولا تعارض بين هذه الأحاديث فان ابراهيم عليه السلام لما بلغ الناس أن الله حرمها وانهم لم تزل حرما آمنا سب اليه أنه حرمها أي أظهر للناس حكم الله فيها والى هذا الجمع ذهب ابن عطية وابن كثير وقال ابن جرير انها كانت حرما ولم يعبد الله الخلق بذلك حتى سأله ابراهيم فخرمها وتعبدهم بذلك انتهى وكلا الجمعين حسن (وارزق أهل من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر) انما سأل ابراهيم ذلك لان مكة لم يكن بها زرع ولا ثمرة فاستجاب الله له وجعل مكة حرما آمنا تجبي اليه ثمرات كل شيء عن محمد بن مسلم الطائفي قال بلغني انه لما دعا ابراهيم للعرم نقل الله الطائف من فلسطين ومن للتبعية أي بعض الثمرات ولم يقبل من الحبوب لما في تحصيله من الدل الحاصل بالحرث وغيره فاقصره على الثمرات لتشريفهم وقيل من البسان وليس بشيء اذ لم يقدم مبهمين بها والمراد بالامن المذكور في قوله مشابه للناس وأمناء هو الامن من الاعداء والخسف والمسخ والمراد ههنا من الامن هو الامن من القحط ولهذا قال وارزق أهل من الثمرات ذكره الكرخي والمعنى وارزق من آمن من أهل يدون من كفر وسبب هذا التخصيص ان ابراهيم لما سأل ربه أن يجعل النبوة والامامة في ذريته فأجاب الله بقوله لا ينال عهدى الظالمين وصار ذلك تأديا لله في المسئلة فلا جرم خص ههنا بدعائه المؤمنين دون الكافرين ثم أعلمه أن الرزق في الدنيا يستوى فيه المؤمن والكافر بقوله (قال ومن كفر فامتهعه) أي سأرزق الكافر أيضا (قليل) أي في الدنيا مائة حباته وعن محمد بن كعب القرظي قال دعا ابراهيم للمؤمنين وترك الكفار ولم يدع لهم شي فقال تعالى ومن كفر فامتهعه الآية وعن ابن عباس قال كان ابراهيم احتجرا على المؤمنين دون الناس فأنزله الله ومن كفر فانا أرزقهم أيضا كما أرزق المؤمنين أخلق خلقا لا أرزقهم ثم قرأ ابن عباس

اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم الآية فهم القردة (قلت) والغرض من هذا السياق عن هؤلاء الأئمة بيان خلاف ما ذهب اليه مجاهد رحمه الله من أن مسجنهم انما كان معنوا بالاصور يابل الصحيح انه معنوى صوري والله تعالى أعلم وقوله تعالى فجعلناهم نكالا قال بعضهم الضمير في جعلناهم عاقد على القردة وقيل على الحيات وقيل على العقوبة وقيل على القرية حكاه ابن جرير والصحيح أن الضمير عائد على القرية أي فجعل الله هذه القرية والمراد أهلها بسبب اعتدا بهم في سبتهم نكالا أي عاقبناهم عقوبة فجعلناهم عبرة كما قال الله عن فرعون فأخذناه نكالا الآخرة والاولى وقوله تعالى لما بين يديه ما يؤم خلفها أي من القرى

قال ابن عباس يعني جعلنا اهلها من العقوبة عبرة لغيرها من القرى كما قال تعالى ولقد ارسلنا نوحا اليه من قبله
 وصرنا الايات لعلهم يرجعون ومنه قوله تعالى اولم ير وانانا ناتي الارض ننقصها من اطرافها الاية على أحد الأقوال فالمراد
 لما بين يديها وما خلفها في المكان كما قال سعيد بن جبير لما بين يديها وما خلفها قال من يحضرهم من الناس يومئذ وروى عن اسمعيل بن أبي
 خلفها من القرى وكذا قال سعيد بن جبير لما بين يديها وما خلفها قال من يحضرهم من الناس يومئذ وروى عن اسمعيل بن أبي
 خالد وقتادة وعطية العوفي جعلنا اهلها كاللما (١٨٢) بين يديها قال ما قبلها من الماضين في شأن السبت وقال أبو العالية

كلامه هو لا وهو لاء الاية فالظاهر ان هذا من كلام الله سبحانه ردا على ابراهيم حيث
 طلب الرزق للمؤمنين دون غيرهم ويحتمل أن يكون كلاما مستقلا بنا بالخال من كفر
 ويكون في حكم الاخبار عن حال الكافرين بهذه الجملة الشرطية أي من كفر فاني أمتعه
 في هذه الدنيا بما يحتاجه من الرزق الى منتهى أجله وذلك قليل لانه ينقطع (ثم اضطره) أي
 الزهر المضطر لكفره بعد هذا التمتع (الى عذاب النار) أخبر سبحانه انه لا ينال الكفرة من
 الخير الا تمتعهم في هذه الدنيا وليس لهم بعد ذلك الا ما هو شر محض وأما على قراءة من قرأ
 فامتعه واضطره بصيغة الامر فهي سببية على ان ذلك من جملة كلام ابراهيم وانه لما فرغ
 من الدعاء للمؤمنين دعا للكافرين بالامتناع قليلا ثم دعا عليهم بان يضطرهم الله الى عذاب
 النار وحاصل معنى اضطره ألزمه حتى أصيره مضطرا لذلك لا يجده عنه مخلصا ولا منه
 متحولا (وبئس المصير) أي المرجع هي والواو فيه ليست للعطف والازم عطف الانشاء
 على الاخبار بل للاستئناف كما قال في المغني في قوله واتقوا الله ويعلمكم الله (واذرفع
 ابراهيم القواعد من البيت واسمعي) حكاية حال ماضية استحضار الصورة العجيبة
 والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس قاله أبو عبيدة والفراء وهي صفة غالبية من القعود
 بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعودك الله وقال الكسائي هي الجدر
 والمراد برفعها رفع ما هو مبني فوقها لرفعها في نفسها فانهم لم ترفع لكن لما كانت متصلة
 بالبناء المرتفع فوقها صارت كأنها مرفوعة بارتفاعه أو المراد بها اسافات البناء فان كل ساق
 قاعدة لما بين يديه مرفوعة بناؤها أو المراد رفع مكاتبه ودعاء الناس الى حجه وفي ايهام
 القواعد وتبينها ثانيا بقوله من البيت تفخيم لشأنها (ربنا) أي قائلين ربنا وقرأ أبي وابن
 مسعود يقولان ربنا (تقبل منا) أي طاعتنا اياك وعبادتنا لك (انك أنت السميع)
 ادعائنا (العليم) بنيتا وقد أكثر المفسرون في تفسير هذه الاية من نقل أقوال السلف في
 كيفية بناء البيت ومن أي أشجار الارض بنى وفي أي زمان عرف ومن حجه وما ورد فيه من
 الأدلة الدالة على فضله أو فضل بعضه كالبحر الأسود وفي الدر المنثور من ذلك ما لم يكن في
 غيره فليرجع اليه وفي تفسير ابن كثير بعض من ذلك ولما لم يكن ما ذكره متعلقا بالتفسير
 نذكره وفي القسط لاني على البخاري بنيت الكعبة عشرة مرات الاول بناء الملائكة
 الثاني بناء آدم الثالث بناء ابنه شيث بالطين والحجارة وغرق في الطوفان الرابع بناء ابراهيم

والزبيع وعطية وما خلفها لما
 أتى بعدهم من الناس من بنى
 اسرائيل أن يعملوا مثل عملهم
 وكان هؤلاء يقولون المراد لما بين
 يديها وما خلفها في الزمان وهذا
 مستقيم بالنسبة الى من يأتي بعدهم
 من الناس أن تكون أهل تلك
 القرية عبرة لهم وأما بالنسبة الى
 من سلف قبلهم من الناس فكيف
 يصح هذا الكلام أن تفسر الاية
 به وهو أن يكون عبرة لمن سبقتهم
 وهذا لعل أحد من الناس لا يقوله
 بعد تصوره فتعين أن المراد بما بين
 يديها وما خلفها في المكان وهو
 ما حولها من القرى كما قاله ابن
 عباس وسعيد بن جبير والله أعلم
 وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع
 ابن أنس عن أبي العالية جعلنا اهلها
 نكال لما بين يديها وما خلفها أي
 عقوبة لما خلا من ذنوبهم وقال
 ابن أبي حاتم وروى عن عكرمة
 ومجاهد والسدي والفراء وابن
 عطية لما بين يديها من ذنوب القوم
 وما خلفها لمن يعمل بعدها مثل
 تلك الذنوب وحكي الرازي ثلاثة
 أقوال أحدها ان المراد بما بين

يديها وما خلفها من تقدمها من القرى بما عندهم من العلم بخبرها بالكتب المتقدمة ومن بعدها هو الثاني
 المراد بذلك من يحضرهم من القرى والاهم والثالث انه تعالى جعلها عقوبة لجميع ما ارتكبه من قبل هذا الفعل وما بعده وهو
 قول الحسن (قلت) وأرجح الأقوال المراد بما بين يديها وما خلفها من يحضرهم من القرى يبلغهم خبرها وما حل بها كما قال تعالى
 ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى الاية وقال تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بها مصيба فأتوا قارعة الاية وقال تعالى أفلا يرون
 انانا ناتي الارض ننقصها من اطرافها فجعلهم عبرة ونكال لمن في زمانهم وموعظة لمن يأتي بعدهم بالخبر المتواتر عنهم ولهذا قال

وموعظة للمتقين وقوله تعالى وموعظة للمتقين قال محمد بن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس وموعظة للمتقين الذين من بعدهم الى يوم القيامة وقال الحسن وقتادة وموعظة للمتقين بعدهم فيتعقون نعمة الله ويحذرونها وقال السدي وعطية العوفي وموعظة للمتقين قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم (قلت) المراد بالموعظة شهنا الزجر اى جعلنا ما أحللناه هؤلاء من البأس والنعكال فى مقابلة ما ارتكبوهم من محارم الله وما تحيلوا به من الخيل فليحذر المتقون صنيعهم لئلا يصيبهم ما أصابهم كما قال الامام أبو عبد الله بن بطة حدثنا أحمد بن محمد بن مسلم حدثنا الحسن بن (١٨٣) محمد بن الصباح الزعفرانى حشدنا يزيد بن

هرون حدثنا محمد بن عمر عن أبي
 سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال لا تتركبوا
 ما رآه نبيت اليهود فستحلوا
 محارم الله بآذي الحيل وهذا السناد
 جيد وأحمد بن محمد بن مسلم هذا
 وثقه الحافظ أبو بكر الخطيب
 البغدادى وباقي رجاله مشهورون
على شرط الصحيح والله أعلم (وإذا قال
موسى لقومه ان الله امركم أن
تذبحوا بقرة قالوا أنتخذنا هزوا قال
أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين)
 يقول تعالى واذكروا يا بني
 اسرائيل نعمتى عليكم فى خرق
 العادة لكم فى شان البقرة وبيان
 القتال من هو بسببها واحياء الله
 المتول ونصه على من قتله منهم
 (ذكر بسط القصة) قال ابن أبى
 حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن
 الصباح حدثنا يزيد بن هرون أن أبانا
 هشام بن حسان عن محمد بن سيرين
 عن عبيدة السلماني قال كان رجل
 من بني اسرائيل عقيما لا يولد له
 وكان له مال كثير وكان ابن أخيه
 وارثه فقتله ثم احتمله لئلا يفرغ منه

الخامس بناء العمالقلة السادس بناء جرحهم والذي بناه منهم هو الحارث بن مضاض الاصغر
السابع بناء قصي خامس جد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الثامن بناء قريش التاسع
بناء عبد الله بن الزبير في أوائل سنة أربع وستين العاشر بناء الحجاج انتهت حاصله قال
سليمان الجلي وهو هذا بحسب ما اطالع عليه والافتد بناه بعد ذلك بعض الملوك سنة ألف
وتسع وثلاثين كما نقله بعض المؤرخين قال الرازي فيه ان بناء المسجد قربة وفيه استجاب
الدعاء بقبول الاعمال (ربنا واجعلنا مسلمين لك) أي ثابتين عليه وأوردنا منه قيل المراد
بالاسلام هنا مجموع الايمان والاعمال (ومن ذرينا أمة مسلمة لك) من التبعية أو للتبيين
قال ابن جرير انه أراد بالذرية العرب خاصة وكذا قال السهيلي قال ابن عطية وهذا ضعيف
لان دعوته ظهرت في العرب وغيرهم من الذين آمنوا به والامة الجماعة في هذا الموضع وقد
تطلق على الواحد ومنه قوله تعالى ان ابراهيم كان أمة فأتاه الله وقطق على الدين ومنه انا
وجدهنا آباءنا على أمة وتطلق على الزمان ومنه واذا كر بعد أمة قيل أراد بالامة أمة محمد
صلى الله عليه وآله وسلم بدليل قوله وابعث فيهم رسولا منهم (وأرنا مناسكا) هي من الرؤية
البصرية والمناسك جمع نسك وأصله في اللغة الغسل يقال نسك ثوبه اذا غسله وهو في
الشرع اسم للعبادة وقيل واحد هامنسك والمراد هنا مناسك الحج وقيل مواضع الذبح
وقيل جميع التعبدات قال على لما فرغ ابراهيم من بناء البيت قال قد فعلت اي رب فأرنا
مناسكا ابراهيم قال نعم فبعث الله جبريل فحج به وفي الباب آثار كثيرة عن السلف من
العبادة ومن بعدهم يتفق ان جبريل أرى ابراهيم المناسك وفي أكثرها ان الشيطان
تعرض له (وتب علينا) أي تجاوز عنا والمراد بالتوبة التثبيت لانهم جامع صومان لأذنب
لهم ما وقيل المراد وتب على التلمذة (انك أنت التواب) أي المتجاوز عن عباده (الرحيم)
بهم (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) ثم يعرفهم راجع الى الامة المسلمة المذكورة سابقا
وقرأ أي في آخرهم ويحتمل ان يكون الضمير راجعا الى الذرية وهم العرب من ولد اسمعيل
وقد أجاب الله لابراهيم عليه السلام هذه الدعوة فبعث في ذريته رسولا منهم وهو محمد
صلى الله عليه وآله وسلم وقد أخبر عن نفسه انه دعوة ابراهيم كما أخرجه أحمد من حديث
العباس بن سارية وغيره وهو اده هذه الدعوة وقد أجمع على ذلك المفسرون لان ابراهيم
انما دعا ذريته وهو بمكة ولم يبعث من ذريته بمكة غير محمد صلى الله عليه وآله وسلم فدل

على باب رجل منهم ثم أتبع يدعيه عليهم حتى تسلوا وركب بعضهم على بعض فقال ذو الرأى منهم والنهي على من يتل بعضكم بعضا وهذا رسول الله فيكم فأتوا موسى عليه السلام فذكروا ذلك له فقال إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا لا اتخذنا هذا وقال أعوذ بالله إن أكون من الجاهلين قال فلولم يعترضوا لاجترأت عنهم أذنى بقرة ولكنهم شددوا فسدد عليهم حتى انتهوا إلى البقرة التي أمروا بذبحها فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيره فاقبالوا لله لأنه منهم من مل بجلدها ذبا فاختدوها على ما مل بجلدها ذبا فذبحوها فبعضهم من مال ميتا فلم يعط من ماله شيئا فلم يورث قال بعدون وادابن فذبحوها فبعضهم من مال ميتا فلم يعط من ماله شيئا فلم يورث قال بعدون وادابن

بحر من حديث أيوب عن محمد بن سيرين عن عبيدة بن جهم عن ذلك والله أعلم ورواه عبد بن جهم في تفسيره أنباء يزيد بن هرون
 به ورواه آدم بن أبي إياس في تفسيره عن أبي جعفر هو الرأزي عن هشام بن حسان به وقال آدم بن أبي إياس في تفسيره أنباء أبي جعفر
 الرأزي عن الربيع عن أبي العباس في قول الله تعالى إن الله يأمركم أن تنبؤوا بقرة قال كنت رجلاً من بني إسرائيل وكان غنياً ولم
 يكن له ولد وكان إيمانياً وكان ورثته فقراً له ثم ألقاه على مجمع الطريق وأتى موسى عليه السلام فقال له إن قريبي قتل وأتى إلى
 أمر عظيم وإلى لا أجد أحداً يبين لي من (١٨٤) قد غريرك يا بني الله قال فتأدى موسى في الناس فقال أنشد الله من كان

عنده من هذا علم إلا بينه لنا فلم يكن
 عندهم علم فأقبل القائل على موسى
 عليه السلام فقال له أنت نبى الله
 فسل لنا ربك أن سنسأل ربه
 فأوحى الله أن الله يأمركم أن تنبؤوا
 بقرة فتنبؤوا من ذلك فقالوا أنتخذنا
 هزواً وقال أعوذ بالله أن أكون من
 الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
 ما نحن قال أنه يقول أنها بقرة
 لا فارض يعني لا حرمة ولا بكر يعني
 ولا صغيرة عوان بين ذلك أى نصف
 بين البكر والهرمة قالوا ادع لنا
 ربك يبين لنا ما لو أنها قال أنه يقول أنها
 بقرة صفراء فاقع لونها أى صاف
 لونها تأسر الناظرين أى تعجب
 الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
 ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن
 شاء الله لمهتدون قال أنه يقول أنها
 بقرة لا ذلول أى لم يذلها العمل تأسر
 الأرض ولا تسمى الحرث يعني
 وليست بذلول شراً للأرض ولا تسمى
 الحرث يعني ولا تعمل في الحرث
 مسلمة يعني مسلمة من العيوب لأشبه
 فيها يقول لا يابض فيها قالوا الآن
 جئت بالحق فنبؤوها وما كادوا
 يفعلون قال ولو أن القوم حين

على أن المراد به محمد صلى الله عليه وآله وسلم والرسول هو المرسل قال ابن المنبر
 يشبه أن يكون أصله فاقعة مرسل ومرسل إذا كانت سهلة السير ماضية أمام أنوف
 ويقال جاء القوم أرسلاً أى بعضهم فى أثر بعض (يتلو عليهم آياتك) وهو القرآن (ويعلمهم
 الكتاب) أى معاني الكتاب من دلائل التوحيد والنبوة والأحكام الشرعية والكتاب
 هو القرآن (والحكمة) أى ويعلمهم الحكمة وحى الأصابة فى القول والعمل ووضع كل
 شىء موضعه والمراد بالحكمة هنا المعرفة بالدين والنسبة فى التأويل والتفهم للشرعية
 وقال قتادة شىء السنة وقيل شىء النصيب بين الحق والباطل وقال ابن قتيبة شىء العلم
 والعمل ولا يكون الرجل حكيماً حتى يجمعهما وقال ابن دريد كل فقه وعظمت أودعته
 إلى مكرمة أو نهته عن قبيح فبى حكمة وقيل أن المراد بالآيات ظواهر الألفاظ والكتاب
 معانيها والحكمة الحكم وهو مراد الله بالخطاب وقيل غير ذلك (ويذكرهم) التذكير
 التمييز من الشرك وسائر المعاصي (إن أنت العزيز الحكيم) أى الذى لا يعجزه شىء
 قال ابن كيسان وقال الكسائى العزيز الغالب والحكيم العالم (ومن يرغب عن ملة
 إبراهيم إلا من سفه نفسه) الاستعظام للإعجاز قال الزجاج وابن جنى سفه بمعنى جيل أى
 جيل أمر نفسه فلم يفكر فيها أنها مخلوقة لله فيجب عليه عبادته وقال أبو عبيدة المعنى
 أدرك نفسه وقال الأخفش أى فعل به ما من الله ما عاربه سقيها وقال الزجاج شىء
 أمرتها واستخف بها عن أبي العباس قال رغبت اليهود والنصارى عن ملته واتخذوا
 اليهودية والنصرانية عديلة من الله وتركوا ملة إبراهيم الأعلام وبذلك بعث الله
 نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعن قتادة من غنى عن الآية أن بهذا الرسول الذى
 حودودة إبراهيم فقد رغبت عن ملة إبراهيم فيه إشارة إلى لزوم اتباع ملته فيما لم يثبت تحريمه
 (ولقد اصطفتنا فى الدنيا) تعليل للحصر قبله واللام جواب قسم محذوف والغرض من
 الحجة والبيان لقوله ومن يرغب والاصطفاء الاختيار أى اختارناه فى الدنيا بأمرنا والحرمة
 كما شاهدوه وتقبله جيل بعد جيل (وإنه فى الآخرة لمن الصالحين) أمر مرغوب فاحتاج
 الأخبار به إلى فضل تأكيده مع الآية على إخباتهم الذين لهم الدرجات العلى فكيف
 يرغب عن ملته راغب (أذ قال له ربه أسلم) يحتل أن يكون متعلقاً بقوله اصطفتنا أى
 اختارناه وقت أمره بالأسلام ويحتل أن يتعلق بمحذوف هو أذكر قال فى الكشف

أمر وايدج بقرة استعرضوا بقرة من البقر فنبؤوها كانت يا حزن كن شددوا على أنفسهم فتداته عليهم قيل
 ولولا أن القوم استنوا فقالوا وإنا إن شاء الله لمهتدون لم يهدوا الله أبداً فبلغنا أنهم لم يجدوا البقرة التى نعت لهم إلا عنب عجز
 وعند حاجتنا وحى القيمة عليهم فلم أعلم أنه لا يزكو لهم غيرها أضعفت عليهم الشئ فأوحى موسى فأخبروه أنهم لم يجدوا أخذ النعت
 الاعتدال فأنه وإنها سألت أضعافاً منها فقال موسى إن الله قد خفف عليكم فتدتم على أنفسكم فأعطوها رضاها وحكمها ففعلوا
 واشتروها فنبؤوها فامرهم موسى عليه السلام أن يأخذوا عظمها منها فيضربوا به القليل ففعلوا فرجع إليهم وحدهم حتى لهم

بالديه فقالوا له يا رسول الله ادع لناربك حتى بين لنا من صاحبه فيؤخذ صاحب القضية فوالله ان ديتهم علينا الهينة ولكن نسقي
أن نغير به فذلك حين يقول تعالى واذا قلتم نفسا فادار آثم فيها والله يخرج ما كنتم تكتمون فقال لهم موسى ان الله يا صر كم أن
تذبحوا بقرة قالوا نسألك عن القليل وعن قلبه وتقول ادبحوا بقرة أنهم رأنا قال أعود بالله أن أكون من الجاهلين قال ابن عباس
فلما عترضوا بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم ولكن شددوا وتغشوا على موسى فشد الله عليهم فقالوا ادع لناربك بين لنا ما هي قال
انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكرعوان (١٨٦) بين ذلك والفارض الهرمة التي لا تولد والبكر التي لم تلد الا ولدا واحدا

والتوبيخ والخطاب لليهود والنصارى الذين ينسبون الى ابراهيم والى بنيه انهم على
اليهودية والنصرانية فزال ذلك عليهم وقال لهم أشهدتم يعقوب وعلم ما أوصى به بنيه
فتدعون ذلك عن علم أم لم تشهدوا بل أنتم مفترون والشهادة جمع شاهد ولم ينصرف لان
فيه ألف التأنيث التي لتأنيث الجماعة والمراد بحضور الموت حضور مقدماته وسمي
يعقوب لانه هو وأخوه العيص كانوا قامين في بطن واحد فقط دم العيص وقت الولادة في
الخروج مسابقة ليعقوب فتأخر يعقوب عنه ونزل على اثره وعقبه في الخروج (اذ قال
لبنيه) يعني لاولاده الاثنى عشر (ما تعبدون) أى أى شئ تعبدون وانما جاء بما دون من
لان المعبودات من دون الله عالمها جادات كالآوثان والنار والشمس والكواكب
(من بعدى) أى من بعد موتى (قالوا نعبد الهك واله آياتك ابراهيم واسماعيل واسحق)
واسماعيل وان كان عمالي يعقوب فان العرب تسمى العم أبوا والخالة أماً وعم الرجل صرأبيه
وقرى آبيك فقل أراد ابراهيم وحده ويكون اسمعيل واسحق عطفاء على آبيك وان كان
هو أباه حقيقة وابراهيم جده ولكن لابراهيم مزيد خصوصية وقيل آبيك جمع كاري عن
سيويه ان آبين جمع سلامة ومثله أبون وقدم اسمعيل على اسحق لانه أسبق منه في الولادة
باربع عشرة سنة وانه جدينا صلى الله عليه وآله وسلم (الها واحد او نحن له مسلمون)
أى مخلصون التوحيد والعبودية (تلك أمة قد دخلت لها ما كسبت ولكم ما كسبت) تلك
اشارة الى ابراهيم وبنيه ويعقوب وبنيه وما بعده بيان لحال تلك الامم وحال المخاطبين
بان لكل من الفريقين كسبه لا ينفعه كسب غيره ولا يناله منه بشئ ولا يضره ذنب غيره
وفيه الرد على من يتكلم على عمل سلفه ويرقح نفسه بالاماني الباطلة ومنه ما ورد في
الحديث من أن طاب عمه لم يسرع به نسبته والمراد انكم لا تتفقون بحسناتهم
ولا تأخذون بسيئاتهم وفيه ابطال مذهب من يجيز تعذيب أولاد المشركين تبعالا بأنهم
قال ابن فارس وفيه اثبات الكسب للعبد (ولا تستأثنون عما كانوا يعملون) أى عن
أعمالهم كالأستأثون عن أعمالكم ومثله ولا تزر وازرة وزر أخرى وان ليس للانسان
الاماسعى (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهمدوا) وهذا فن آخر من فنون كفرهم
واضلالهم لغيرهم اثر بيان ضلالهم في أنفسهم قال ابن عباس نزلت في رؤساء اليهود
كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وهب بن هودا وفي نصارى نجران السيد والعاقب

والعوان النصف التي بين ذلك التي
قد ولدت وولد ولدها فافعلوا
ما تؤمرون قالوا ادع لناربك بين
لنا ما لوها قال انه يقول انها بقرة
صفراء فافعل لوها قال نقي لوها تسر
الناظرين قال تعجب الناظرين
قالوا ادع لناربك بين لنا ما هي ان
البقرة تنسبه علينا وانا ان شاء الله
لمتدون قال انه يقول انها بقرة
لاذلول تثير الارض ولا تنقى الحرت
مسلمة لاشية فيها من بياض ولا
سواد ولا حرة قالوا الا نجئت
بالحق فطلبوها فلم يقدر واعياها
وكان رجل في بني اسرائيل من
أبر الناس بأبيه وان رجلا مر به
معده لؤلؤ يبيعه وكان أبوه نائما
تحت رأسه المفتاح فقال له الرجل
تشتري مني هذا اللؤلؤ بسبعين ألفا
فقال له الفتى كما أنت حتى يستيقظ
أى فأخذه منك بثمانين ألفا قال
الآخر أيقظ أباه وهو لك بستين ألفا
فجعل التاجر يحط له حتى بلغ ثلاثين
ألف وزاد الآخر على ان ينتظر
أباه حتى يستيقظ حتى بلغ مائة ألف
فلما أكره عليه قال والله لأشتريه
منك بشئ أبدا وأبى أن يوقف أباه

فعوضه الله من ذلك اللؤلؤ ان جعل له تلك البقرة فترت به بنو اسرائيل يطلبون البقرة وآبصر والبقرة عنده فسالوه واحكامهم ما
أن يبيعهم اياها ببقرة ببقرة فأبى فاعطوه ثنتين فأبى فزادوه حتى بلغوا عشرة فقالوا والله لا نتركك حتى تأخذها منك فانطلقوا به الى
موسى عليه السلام فقالوا يا بني الله انا وجدناها عند هذا وأبى أن يعطيناها وقد أعطيناه ثمانا فقال له موسى أعطهم بقرتك فقال
يا رسول الله أنا حق بما لي فقال صدقت وقال للقوم أرضوا صاحبكم فاعطوه وزنها فباعها فأبى فاضعفوه له حتى أعطوه وزنها عشر
مرات ذهباً فباعهم اياها وأخذ ثمنها فذبحوها قال اضر بوه ببعضها فضر بوه بالبضعة التي بين الكفتين فعاش فسالوه من قتلك

فقال لهم ابن أخي قال أقتله فأخذماله وأنكح ابنته فأخذوا الغلام فقتلوه وقال سبند حدثنا حجاج هو ابن محمد عن ابن جريج عن مجاهد وحجاج عن أنس معشر عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس دخل حديث بعضهم في حديث بعض قالوا ان سبطا من بني اسرائيل لما رأوا كثرة شرور الناس بنو امية فاعتزلوا شرور الناس فكانوا اذا أمسوا لم يتركوا أحدا منهم خارجا إلا أدخلوه وإذا أصبحوا قام رئيسهم فنظروا وأشرفوا فاذالم يرشيا فتح المدينة فكانوا مع الناس حتى يمسيوا قال وكان رجل من بني اسرائيل له مال كثير ولم يكن له وارث غير أخيه فطال عليه حياته فقتله ليرثه ثم جله (١٨٧) فوضعه على باب المدينة ثم كن في مكان هو

وأصحابه قال فأشرف رئيس المدينة على باب المدينة فنظر فلم ير شيئا ففتح الباب فلما رأى القتل ردد الباب فناداه أخو المقتول وأصحابه هيات قتلهم ثم تردون الباب وكان موسى لما رأى القتل كثيرا في بني اسرائيل كان اذا رأى القتل بين ظهراني القوم أخذهم فكاد يكون بين أخي المقتول وبين أهل المدينة قتال حتى لبس الفريقان السلاح ثم كف بعضهم عن بعض فألوا موسى فذكروا له شأنهم قالوا يا موسى ان هؤلاء قتلوا قتيلا ثم ردوا الباب قال أهل المدينة يا رسول الله قد عرفت اعتزلنا الشرور وبنينا مدينة كما رأيت نعتزل شرور الناس والله ما قتلنا ولا علمنا قاتلا فأوحى الله تعالى اليه أن يذبحوا بقرة فقال لهم موسى أن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة وهذه السياقات عن عبدة وأبي العالية والسدي وغيرهم فيها اختلاف ما والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني اسرائيل وهي مما يجوز نقلها ولكن لا تصدق ولا تكذب فلهذا لا يعتمد عليها الا ما وافق الحق عندنا

وأصحابه ما خاصهم المؤمنون في الدين فكل فريق منهم يزعم انه أحق بدين الله (قل بل ملأ ابراهيم حنيفا) أي قل يا محمد في رد عليهم هذه المقالة بل الهدي ملأ ابراهيم والحنيف المائل عن الاديان الباطلة الى دين الحق وهو في أصل اللغة الذي عمل قدماء كل واحدة الى آخرها أي تتبع ملأ ابراهيم حال كونه حنيفا وقال قوم الحنف الاستقامة فسمي دين ابراهيم حنيفا لاستقامته ويسمى معوج الرجلين أحنف تغاؤلا بالاستقامة كما قيل للديع سليم وللمهلكة مفازة وقال مجاهد حنيفا متبعا وقال ابن عباس حاجا وعن خصيف قال الحنيف الخالص وقال أبو قلابة الحنيف الذي يؤمن بالرسول كلهم من أولهم الى آخرهم وأخرج أحمد عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعثت بالحنيفية السمحة وأخرج أحمد والبخاري في الادب المفرد وابن المنذر عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله أي الاديان أحب الى الله قال الحنيفية السمحة ونصب ملأ على الاغراء قاله أبو عبيدة أي الزموها (وما كان) أي ابراهيم (من المشركين) وفي ثني كونه من المشركين تعريض باليهود لقولهم عزير ابن الله وبالنصارى لقولهم المسيح ابن الله أي ان ابراهيم ما كان على هذه الحالة التي أنتم عليها من الشرك بل باليه فكيف تدعون عليه انه كان على اليهودية أو النصرانية وتدعون أنكم على ملته (قولوا أما بالله وما أرنس المنان) أي القرآن (وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط) أي العجف وهذا خطاب للمسلمين وأمر لهم بأن يقولوا لهم هذه المقالة وقيل انه خطاب للكفار بأن يقولوا ذلك حتى يكونوا على الحق والاول أولى وأعاد الموصول لتلايتهم من اسقاطه اتحاد المنزل مع أنه ليس كذلك وذرا سميع وما بعده لكونهم مروجين اليها متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت أحكامها ومقررين لما أنزل على ابراهيم فكانه منزل عليهم أيضا والافليسوا منزلا عليهم في الحقيقة والاسباط أولاد يعقوب وهم اثنا عشر ولدا لكل واحد من الاولاد جماعة والسبط في بني اسرائيل بمنزلة القبيلة في العرب وسموا الاسباط من السبط وهو التتابع فهم جماعة متتابعون وقيل أصله من السبط بالتحريك وهو الشجر أي هم في الكثرة بمنزلة الشجر وقيل الاسباط حفدة يعقوب أي أولاد أولاده لأولاده لان الكثرة دائما كانت فيهم دون أولاد يعقوب في نفسه فهم أفراد لا اسباط (وما أوتى موسى) من التوراة وعبر بالايستادون الانزال فرار من التكرار الصوري الموجب

والله أعلم (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا غرض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا واننا ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث مسالة لا شبه فيها قالوا الا ان جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون) أخبر تعالى عن تعنت بني اسرائيل وكثرة سؤالهم لرسولهم ولهذا الماضيقوا على أنفسهم ضيق الله عليهم ولو انهم ذبحوا أي بقرة كانت لو وقعت الموقع عنهم كما قال ابن عباس وعبدة وغير واحد ولكنهم شددوا فشد عليهم فقالوا ادع لنا ربك

بين لنا ما هي أي ما هذه البقرة وأي شيء صنعها قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا هشام بن علي عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لو أخذوا أدنى بقرة لا كفوا بها ولكنهم شددوا فشدوا عليهم اسناد صحيح وقدروا وغير واحد عن ابن عباس وكذا قال عبيدة والسدي ومجاهد وعكرمة وأبو العالية وغير واحد وقال ابن جرير قال لي عطاء لو أخذوا أدنى بقرة لكنتهم قال ابن جرير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أحر وأبأدنى بقرة ولكنهم لما شددوا شدد الله عليهم وإيم الله لو أنهم لم يسهتموا لما بينت لهم آخر الأبد قال ابنه (١٨٨) يقول إنما بقرة لا فارض ولا بكر أي لا كبيرة هزومة ولا صغيرة لم يلقيها

للتفصيل في العبارة (وعيسى) من الانجيل ولم يقل وما أوتى عيسى إشارة الى اتحاد المنزل
عليه مع المنزل على موسى فان الانجيل مقرر للتوراة ولم يخالفها الا في قدر يسير فيه
تسهيل كما قال ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم (وما أوتى النبيون) المذكورون
وغيرهم (من ربهم) يعنى والكتب التي أوتى جميع الانبياء وذلك كله حق وهدى ونور
وان الجميع من عند الله وان جميع ما ذكر الله من أنبيائه كانوا على هدى وحق (لا تفرق)
في الايمان (بين أحد منهم) بل تؤمن بكل الانبياء قال الفراء معناه لانؤمن بعضهم ونكفر
ببعض كما فعلت اليهود والنصارى قال في الكشف أحمد في معنى الجماعة واذلك صح
دخول بين عليه وليس كونه في معنى الجماعة من جهة كونه نكرة في سياق النفي كما سبق
الى كثير من الاذهان وقال القرافي ان أحد الذي لا يستعمل الا في النفي معناه انسان
باجماع أهل اللغة وأحد الذي يستعمل في الاثبات معناه الفرد من العدد اذا كان مسمى
أحد اللفظين غير مسمى الآخر في اللغة وضابط الاشتقاق أن تجد بين اللفظين مناسبة في
اللفظ والمعنى ولا يكفي أحدهما تغاير في الاشتقاق فان وجدت المقصود به انسان فأنه
ليست منقلبة عن واو وان وجدت المقصود به نصف الاثنين من العدد فهو الصالح
للاثبات والنفي وألفه منقلبة عن واو وانتهى وقد حقق المقام الخفاجي في العناية فليرجع
اليه (ونحن له مسلمون) أى ونحن لله تعالى خاضعون بالطاعة مدعونون له بالعبودية
وأخرج أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم يقرأ في ركعتي الفجر في الاولى منهما الآية التي في البقرة قولنا آمن بالله
كلها وفي الآخرة آمن بالله واشهد باناسمكون وأخرج البخاري من حديث أى شريعة كان
أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوا قولهم وقولوا آمنا
بالله الآية (فان آمنوا بجل ما أنتم به فقد اهتموا) هذا خطاب للمسلمين أيضاً أى فان
آمن أهل الكتاب وغيرهم بجل ما أنتم به من جميع كتب الله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد
منهم فقد اهتموا وعلى هذا تغل زائدة كقولك ليس كمثل شيء وقيل ان المماثلة وقعت بين
الايمانين أى فان آمنوا بجل ما أنتم به في الكشف انه من باب التبكيت لان دين
الحق واحد لا مثل له وهو دين الاسلام أى فان حصلوا ديننا آخر مثل دينكم مساوياً له في

الفعل كما قاله أبو العالية والسدي
ومجاهد وعكرمة وعطية العوفي
وعطاء الخراساني ووشب بن منبه
والفخا والحسن وقتادة وقاله ابن
عباس أيضا وقال الفخا عن ابن
عباس عن ابن عباس يقول نصف
بين الكبيرة والصغيرة وهي
أقوى ما يكون من الدواب والبقرة
وأحسن ما تكون وروى عن
عكرمة ومجاهد وأبي العالية
والريبع بن أنس وعطاء الخراساني
والفخا نحو ذلك وقال السدي
العوان النصف التي بين ذلك التي
قد وادت وولودها وقال هشيم
عن جوير عن كثير بن زياد عن
الحسن في البقرة كانت بقرة
وحشية وقال ابن جرير عن عطاء
عن ابن عباس عن نبلس نعلاصفراء
لم ينزل في سرور ما دام لابسها وذلك
قوله تعالى تسر الناظرين وكذا قال
مجاهد ووشب بن منبه كانت
صفراء وعن ابن عمر كانت صفراء
الظلف وعن سعيده بن جبيرة كانت
صفراء القرن والظلف وقال ابن
أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نصر بن
علي حدثنا سفيان عن قيس أن أبا أنس

وجاء عن الحسن في قوله تعالى بقرة صفراء فاقع لونها قال سودا شديدة السواد وخدا غريب والصحيح الاول الصحة
ولهذا كد صفرتها بانه فاتح لونها وقال عطية العوفي فاتح لونها تكاد تسود من صفرتها وقال سعيد بن جبير فاقع لونها قال صافية
اللون وروى عن أبي العالية والرياح بن أنس والسدي والحسن وقنادة فهو وقال شريك عن معمر عن ابن عمر فاقع لونها قال
صاف وقال العوفي في تفسيره عن ابن عباس فاقع لونها شديدة الصفرة تكاد من صفرتها تبيض وقال السدي تسر الناظرين
أي تعجب الناظرين وكذا قال أبو العالية وقنادة والرياح بن أنس وقال وهب بن منبه إذا نظرت إلى جلدها تخيلت أن شعاع

الشمس يخرج من جلد ها وفي التوراة انها كانت حراء فاعل هذا خطافي التعريب أو كما قال الاول انها كانت شديدة الصفرة تضرب الى جرة وسواد والله أعلم وقوله تعالى ان البقر تشابه علينا أي لكثرتهما فينا هذه البقرة وصفها وحملها لنا وان شاء الله اذا ينتمى الناهتدون اليها وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن يحيى الاودى الصوفي حدثنا أبو سعيد أحمد بن داود الحداد حدثنا سرور ابن المغيرة الواسطي ابن أخي منصور بن زاذان عن عباد بن منصور عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان بنى اسرائيل قالوا وان شاء الله لمهتدون لما أعطوا (١٨٩) وله كن استنوا ورواه الحافظ أبو بكر بن

مردويه في تفسيره من وجه آخر عن سرور بن المغيرة عن زاذان عن عباد بن منصور عن الحسن عن حديث أبي رافع عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان بنى اسرائيل قالوا وان شاء الله لمهتدون ما أعطوا أبدا ولوانهم اعترضوا بقره من البقر فذبحوها لاجزأت عنهم ولكن شددوا فشد الله عليهم وهذا حديث غريب من هذا الوجه وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة كما تقدم مثله عن السدي والله أعلم قال انه يقول انها بقره لاذلول تشير الارض ولا تسقى الحث أي انها ليست مذللة بالحرارة ولا معدة للسقى في السانية بل هي مكرمة حسنة صبيحة مسلمة صحيحة لا عيب فيها لاشية فيها أي ليس فيها لون غير لونها وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة مسلمة يقول لا عيب فيها وكذا قال أبو العباس والريبع وقال مجاهد مسلمة من الشمية وقال عطاء الخراساني مسلمة القوائم والخلق لاشمية فيها قال مجاهد لا يباض

الحية والسداد فقد اختلفوا وقيل ان الباء زائدة مؤكدة وقيل انها الاستعانة (وان تولوا فانما هم في شقاق) أصله من الشق وهو الجانب كان كل واحد من الفريقين في جانب غير الجانب الذي فيه الآخر وقيل انه مأخوذ من فعل ما يشق ويصعب فكل واحد من الفريقين يحصر على فعل ما يشق على صاحبه ويصعب جعل الآية على كل واحد من المعنيين قال أبو العباس في شقاق أي فراق وقيل في خلاف ومنازعة وقيل في عداوة ومحاربة وقيل في ضلال (فسيكفيكمهم الله) أي من شر اليهود والنصارى والكفاية وعدوهم من الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم أنه سيكفيهم من عانده وخالفه من المتولين وقد أنجز له وعد بما أنزله من بآسة بقر يظن والنصارى بنى قينقاع وفيه معجزة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو اخبار بغيث (وهو السميع) لا قوا لهم (العليم) بأحوالهم يسمع جميع ما ينطقون به ويعلم جميع ما يضمرون من الحسد والغل وهو مجازيهم ومعاقبهم (صبغة الله) الخطاب للمسلمين أي قولوا للنصارى هذه المقالة والمعنى صبغة الله بالايان قال الاخفش وغيره أي دين الله وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يظهر النفوس انتهى وقال ابن عباس دين الله وقال مجاهد فطرة الله التي فطر الناس عليها وأخرج ابن مردويه والضا في المختارة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان بنى اسرائيل قالوا يا موسى هل يصبغ ربك فقال اتقوا الله فناداه به يا موسى سألوكم هل يصبغ ربك فقل نعم أنا أصبغ الألوان الاحمر والابيض والاسود والالوان كلها في صبغتي وأنزل الله على نبيه صبغة الله الآية وعنه صبغة الله البياض وقد ذكر المفسرون ان أصل ذلك أن النصارى كانوا يصبغون أولادهم في الماء وهو الذي يسمونه المعمودية ويجعلون ذلك تطهير لهم فاذا فعلوا ذلك قالوا الآن صار نصرانيا حقا فرد الله عليهم بقوله صبغة الله أي الاسلام ولا صبغة أحسن من صبغة الاسلام ولا أظهر وهو دين الله الذي بعث به نوحا ومن كان بعده من الانبياء وسماه صبغة استعارة قال البغوي اطلاق مادة لفظ الصبغ على التطهير مجاز تشبيهي وتقرير المشاكلة هنا مبسوط في التلخيص وشرحه للسعد وقيل الصبغة الاعتسال لمن أراد الدخول في الاسلام بدلا من معمودية النصارى ذكره الماوردي وقيل الصبغة الاختان لانه يصبغ المختن بالدم وقيل الصبغة سنة

ولاسود وقال أبو العباس والريبع والحسن وقاتة ليس فيها يباض وقال عطاء الخراساني لاشية فيها قال لونها واحدهم وروى عن عطية العوفي وهب بن منبه واسماعيل بن أبي خالد نحو ذلك وقال السدي لاشية فيها من يباض ولاسود ولا جرة وكل هذه الاقوال متقاربة في المعنى وقد زعم بعضهم أن المعنى في ذلك قوله تعالى انها بقره لاذلول ليست بمذللة بالعمل ثم استأنف فقال تشير الارض أي يعمل عليها بالحرارة لا تسقى الحث وهذا ضعيف لانه يفسر الذلول الذي لم تذال بالعمل بانها لا تشير الارض ولا تسقى الحث كذا قرره القرطبي وغيره قالوا الا الآن جئت بالحق قال قتادة الا الآن ينبت لنا وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقيل ذلك والله

جاءهم الحق فذبحوها وما كادوا يفعلون فان الضحاة عن ابن عباس كادوا أن لا يفعلوا ولم يكن ذلك الذي ارادوا الا انهم ارادوا ان لا يذبحوها يعني انهم مع هذا البيان وهذه الاسئلة والاجوبة والايضاح ما ذبحوها الا بعد الجهد في هذا ثم وذكنت انه لم يكن غرضهم الا التعتق فلهذا ما كادوا يذبحونها وقال محمد بن كعب ومحمد بن قيس فذبحوها وما كادوا يفعلون لكثرة ثمنها وفي هذا انظر لان كثرة الثمن لم يثبت الا من نقل في اسرائيل كما تقدم من حكاية أبي العلية والسدي ورواه العوفي عن ابن عباس وقيل عبيدة ومجاهد وروى بن منبه وأبو العلية (١٩٠) وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم انهم اشتروها بجل كثير وفيه اختلاف ثم

قد قيل في ثمنها غير ذلك وقال عبد الرزاق أنا نا ابن عبيدة أخبرني محمد بن سروق عن عكرمة قال ما كان ثمنها الا ثلاثة دنانير وهذا اسناد جيد عن عكرمة والظاهر انه نقله عن أهل الكتاب أيضا وقال ابن جرير وقال آخرون لم يكادوا أن يفعلوا ذلك خوف الفضيحة ان اطلع الله على قاتل القاتل انزى اختصموا فيه ولم يسند عن أحد ثم اختار ان الصواب في ذلك انهم لم يكادوا يفعلوا ذلك لعلاء ثمنها والفضيحة وفي هذا انظر بل الصواب والله أعلم ما تقدم من رواية الضحاة عن ابن عباس على ما وجهناه وبالله التوفيق (مسئلة) استدلل بهذه الآية في حصر صفات هذه البقرة حتى تعينت أو تم تقيدها بعد الاطلاق على صحة السلم في الحيوان كاهو مذهب مالك والوزاعي والشافعي والسافعي وأحمد وجمهور العلماء سلفنا وخلفنا يدلل ما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تنفع المرأة المرأة تزوجها كأنها ينظر إليها وكما وصف النبي

الله (ومن أحسن من الله صبغة) أي دينا وقيل تطهير الله يطهر من أوساخ الكفر (ومن أحبهم الله) أي مطيعون (قل أتجادونني الله) أي قل يا محمد لله ودون الصاري الذين قالوا ان دينهم خير من دينكم أتجادونني الله الذي أمره أن تتدين بهوا أقرب منه واخطوة عنده وذلك كقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه واحتاجة التجاذلة لا تطهار الحجة (وهو ربنا وربكم) أي نشرنا نحن وأنتم في ربنا بينة لنا وعبدنا له فكيف تدعون أنكم أو في به منا وتجادونني ذلك ولأن يصطفي من عباده من يشاء (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) فليست بأولي الله منا وهو مثل قوله تعالى فضل لي عني ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بري مما تعملون (ومن أحسن) أي نحن أهل الاخلاص للعبادة دونكم وهو المعيار الذي يكون به التقاض والخصلة التي يكون صاحبها أولي بالله سبحانه من غيره فكيف تدعون أنكم ما نحن أولي بعبادكم وأحق بالجل الثلاث حوال وفي الآية توبيخ ليه وقطع لما جأوا به من الجذلة والمناظرة قيل وهذه الآية منسوخة بآية السيف (أم تقولون) أم هنما عبادلة لله عز وجل قوله أتجادونني أي أم تقولون ان هؤلاء لا يبيد على دينكم وعلى قرآنهم يقولون بل يبيدوا تكون أم متفوعة أي بل يقولون وفيه تقريب ونوبخ (ان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا حودا وأنصاري) يعني أتزعمون أن ابراهيم ونيه كانوا على دينكم وملتكم وأنما حدثت اليهودية والنصرانية بعدهم فثبت كذبكم عليهم (قل أنتم عم أم الله) أي الله أعلم بذلك وقد أخبرنا بانهم لم يكونوا حودا ولا نصاري وأنتم تدعون أنهم كانوا كذلك فيل أنتم أعلم أم الله سبحانه والتفضيل على سبيل الاستمراء أو على تقدير أن يرضيهم علم في الجلال والافلامشاركة (ومن أظلم منكم) أي أخفى (شهددة عند من الله) استدلل ما أنكر أي لا أحد أظلم يحتمل ان يراد بذلك انهم لا دخل للكتاب بأنهم يعلمون أن هؤلاء الالياه ما كانوا حودا ولا نصاري بل كانوا على الملة الاسلاميه فقلوا أنفسهم بكنيتهم لينة الشهادة بل بادعائهم لما هو مخالف لما هو أشدق من أن يصر على مجرد لكم الذي لا أحد أظلم منه ويحتمل أن المراد أن المسلمين لو كانوا هذه الشهادة لم يكن أحد أظلم منهم ويكون المراد بذلك التعريض بأهل الكتاب وقيل المراد هنا ما كتبه من صفته محمد صلى الله عليه وسلم (وما الله بغافل عما تعملون) فيه وعيد شديد وتهديد ليس عليه مزيد

صلى الله عليه وسلم بل الآية في قدر الخطا وشبه الصلابة بالصفات المذكورة بالحديث وقال أبو حنيفة وأعلام الثوري والكوفيون لا يصح السلم في الحيوان لانه لا تضبط أحواله وحكي مثله عن ابن مسعود وحديثه من البيان وعبد الرحمن ابن حنبل وغيرهم (واذ قلتم نفسا فادار آثم قيمه والله يخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويربكم إياه لعلمكم تقولون) قال البخاري فادار آثم قيمه اختلفتم وهكذا قال مجاهد في رواية ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي حنيفة عن شبل عن ابن أبي نعيم عن مجاهد انه قال في جردنا على واذ قلتم نفسا فادار آثم قيمه اختلفتم وقال عطاء الخراساني والضحاة

اختصم فيها وقال ابن جريج واذا قتلتم أنفسا فادارأتم فيها قال قال بعضهم أنتم قتلتموه وقال آخرون بل انتم قتلتموه وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم والله مخرج ما كنتم تكتمون قال مجاهد ما نغيبون وقال ابن أبي حاتم حدثنا عروة بن أسلم البصري حدثنا محمد بن الطفيل العبدى حدثنا صدقة بن رستم سمعت المسيب بن رافع يقول ما عمل رجل حسنة في سبعة أرباب إلا أظهرها الله وما عمل رجل سيئة في سبعة أرباب إلا أظهرها الله وتصديق ذلك في كلام الله والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضر بوه ببعضها هذا البعض أى شئ كان. نأعضاء هذه البقرة فالمعجزة حاصلته به وخرق (١٩١) العامة به كائن وقد كان معينا في نفس الامر

فلو كان في تعيينه لنافذة تعود علينا في أمر الدين او الدنيا لينه الله تعالى لنا ولكنه أبهم ولم ينج من طريق صحيح عن معصوم بيانه فنحن نهمه كما أبهم الله ولهذا قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عفان بن مسلم حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ان أصحاب بقره بنى اسرائيل طلبوها أربعين سنة حتى وجدوها عند رجل في بقره وكانت بقره تعجبه قال فجعلوا يعطونه بها فيأبى حتى أعطوه ملء مسكها دنانير فذبحوها فضر بوه يعنى القليل بعوض منها فقام تشخب أوداجه دما فقالوا له من قتلنا قال قتلنى فلان وكذا قال الحسن وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم انه ضرب ببعضها وفي رواية عن ابن عباس انه ضرب بالعظم الذى يلي الغضروف وقال عبد الرزاق أنبانا معمر قال قال أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة ضربوا القليل ببعض لحما قال معمر قال قتادة اضر بوه بلحم فذبحها فعاش فقال قتلنى

واعلام بان الله سبحانه لا يترك أمرهم سدى ولا يترك عقوبتهم على هذا الظلم القبيح والذنب الفظيع والغافل الذى لا يقطن للامور اهما لانه مأخوذ من الارض الغفل وهى التى لا علم بها ولا أثر عماره وقال الكسائى أرض غفل لم تمطر وكر قوله سبحانه (ثلاث أمة قد خلت لهما ما كسبت ولكم ما كسبت ولا تسئلون عما كانوا يعملون) لتضمنها معنى التهديد والتخويف الذى هو المقصود في هذا المقام وتلك الاشارة الى ابراهيم واسماعيل ويعقوب والاسباط وقيل لانه اذا اختلف مواطن الجحاج والمجادلة حسن تكريره للتذكير به وتأكيده وقيل انما كره تنبيه اليهودى على فضل الابرار وشرفهم أى لا تتكلموا على فضل الابرار على كل يؤخذ بعمله وكل انسان يستل يوم القيامة عن كسبه لانه كسب غيره وفيه وعظ وزجر وهذا كالاول (سيقول السفهاء من الناس) هذا اخبار من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين بأن السفهاء من اليهود والمشركين والمنافقين سيقولون هذه المقالة قبل ان سيقول بمعنى قال وانما عبر عن الماضى بلفظ المستقبل للدلالة على استدامته والاستمرار عليه وقيل ان الاخبار بهذا الخبر كان قبل التحول الى الكعبة وان فائدة ذلك أن الاخبار بالمكره اذا وقع قبل وقوعه كان فيه تهوينا لصدمته وتحفيفا لوعته وكسر السورته والسفهاء جمع سفهه وهو الكذاب البهات المتعمد خلاف ما يعلم كذا قال بعض أهل اللغة وقال فى الكشف هم خفاف الاحلام ومثله فى القاموس وقد تقدم فى تفسير قوله الامن سفه نفسه ما ينبغى الرجوع اليه قبل نزول هذه الآية فى اليهود وذلك أنهم طعنوا فى تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة لانهم لا يرون النسخ وقيل نزلت فى مشركى مكة وذلك أنهم قالوا قد تردد على محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمره واشتاق مولده وقد توجه نحو بلدكم فلم يرجع الى دينكم وقيل نزلت فى المنافقين وانما قالوا ذلك استهزاء بالاسلام وقيل يحتمل أن لفظ السفهاء للعموم فدخل فيه جميع الكفار والمنافقين واليهود ويحتمل وقوع هذا الكلام من كلهم اذ لفائدة فى التخصيص ولان الاعداء يبالغون فى الطعن والقدح فاذا وجدوا مقالا قالوا ومجالا قالوا والاتيان بالسين الدالة على الاستقبال من الاخبار بالغيب وعليه أكثر المفسرين وحكمته أنهم كما قالوا ذلك فى الماضى منهم أيضا من يقول فى المستقبل كما قال البضاوى تبع الكشاف (ما ولاهم) أى ما صرفهم (عن

فلان وقال وكيع بن الجراح فى تفسيره حدثنا النضر بن عري عن عكرمة فقلنا اضر بوه ببعضها فضر بوه فقام تشخب فلان قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد وقتادة وعكرمة فخر ذلك وقال السدى فضر بوه بالضعة التى بين الكتفين فعاش فسالوه فقال قتلنى ابن أخى وقال أبو العالية أمرهم موسى عليه السلام أن يأخذوا عظما من عظامها فضر بوايه القليل ففعلوا فرجع اليه روحه فسمى لهم قاتله ثم عاد ميتا كما كان وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فضر بوه ببعض اربابها وقيل بلسانها وقيل بجيب ذنبها وقوله تعالى كذلك يحيى الله الموتى أى فضر بوه فحي ونبيه تعالى على قدرته واحيائه الموتى بما شاءه وهدوه من أسس

القبيل جعل تبارك وتعالى ذلك الصنيع حجة عليهم على المعاد وفاصلا ما كان بينهم من الخصومة والعناد والله تعالى قد ذكر في هذه السورة مما خلقه من احياء الموتى في خمسة مواضع ثم بعثناكم من بعد موتكم وهذه القصة وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم اهل الوفاء حذر الموت وقصة الذي مضى على قرية وهي خاوية على عروشها وقصة ابراهيم عليه السلام والطيور الاربعة ونسبته تعالى باحياء الارض بعد موتها على اعادة الاجسام بعد صيرورتهم رميا كما قال ابو داود الطيالسي حدثنا شعبه اخبرني يعلى بن عطاء قال سمعت وكيع بن عدس يحدث عن ابي رزين العقيلي رضى الله عنه (١٩٢) قال قلت يا رسول الله كيف يحيى الله الموتى قال اما امرت

قبلتهم) وهي بيت المقدس (التي كانوا عليها) أي ثابتن مسقرين على التوجه اليها ومراعاتها واعتقاد حقيقتها والقبلة هي الجهة التي يستقبلها الانسان وانما سميت قبلة لان المصلي يقابلها وتقبله ولما قال السفيها ذلك رد الله عليهم بقوله (قل لله المشرق والمغرب) فله ان يأمر بالتوجه الى أي جهة شاء لا يختص به مكان دون مكان لخاصة ذواته تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بتاتمام امره أي امتثاله لا بخصوص المكان وتخصيص هاتين الجهتين بالذكر لمزيد ظهورهما حيث كان أخذهما مطالع الانوار والاصباح والآخر مغربهما اول كثرة توجه الناس اليهما لتحقيق الاوقات لتخصيل المقاصد والمهمات ذكره الكرخي (يهدي من يشاء) من عباده اشعار بان تحويل القبلة الى الكعبة من الهداية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا هل ملته (الى صراط مستقيم) يعني الى جهة الكعبة وهي قبلة ابراهيم عليه السلام وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن البراء ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان اول منازل المدينة تنزل على أخواله من الانصار وانه صلى الى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان يحجه أن تكون قبلته قبل البيت وان اول صلاة صلاها العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فرعى أهل المسجد وهم راكعون فقال أشهد بالله لقد صليت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل الكعبة فداروا قبل البيت كما هم وكانت اليهود قد أعجبهم اذ كان يصلي قبل بيت المقدس وأهل الكتاب فلما ولي وجهه قبل البيت أنكروا ذلك وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجالا وقتلوا فلم يندر ما نقول فيهم فأنزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم الآية وله طرق آخر وألفاظ متقاربة وعن ابن عباس قال ان أول ما نسخ في القرآن القبلة وعنه ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه وبعد ما تحول الى المدينة ستة عشر شهرا ثم صرفه الله الى الكعبة وفي الباب أحاديث كثيرة بعضهم ما تقدم وكذا وردت أحاديث في الوقت الذي نزل فيه استقبال القبلة وفي كيفية استدارة المصلين لما بعثهم ذلك وقد كانوا في الصلاة فلا تطول بذكرها فيه الرد على من أنكروا النسخ ودلالة على جواز نسخ السنة بالقرآن لان استقبال بيت المقدس كان ثابتا بالسنة الفعلية لا بالقرآن (وكذلك) أي كما أن الكعبة وسط الارض كذلك (جعلناكم أمة وسطا) أي عدوا لآخرين والوسط

بوادئ محل ثم مررت به خضرا قال بلى قال كذلك التشور أو قال كذلك يحيى الله الموتى وشاهد هذا قوله تعالى وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها احبا قنفصة يا كلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب ونخرجنا فيها من العيون ليا كلوا من ثمره وما علمته أيديهم أفلا يشكرون* (مسئلة)* استدلل المذهب الامام مالك في كون قول الجريح فلان قتلني لو ثابته القصة لان القبيل لما حي سئل عن قتله فقال فلان قتلني فكان ذلك مقبولا منه لانه لا يخبر حينئذ الابالحق ولا يتهم والحالة هذه ورجحوا ذلك الحديث أنس أن يهوديا قتل جارية على أوصاح لها فرفض رأسها بين حجرين فقبل من فعل بك هذا أفلان أفلان حتى ذكروا اليهودي فأرموا برأسها فأخذ اليهودي فلم يرل به حتى اعترف فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرص رأسه بين حجرين وعند مالك اذا كان لو ثا حلف أولياء القبيل قسامة وخالف الجمهور في ذلك ولم يجمعوا قول

القبيل في ذلك لو ثا (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجار قلوبا يتفجر منه الانهار وان منها لما يشفق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون) يقول تعالى في بيان بني اسرائيل وتقرع اهلهم على ما شاهدوه من آيات الله تعالى واحياءه الموتى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك كله فهي كالحجارة التي لا تلبس أبد اولها هذا هي الله المؤمنين عن مثل حالهم فقال ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون قال العوفي في تفسيره عن ابن عباس لما ضرب المقتول

بعض البقرة جلس أحيا ما كان قط فقتل لمن قتل قال بنو أخى قتلوا ثم قبض فقال بنو أخيه حين تمسده الله والله ما قتلناه فكذبوا بالحق بعد أن رأوه فقال الله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك يعنى أبناء أخى الشيخ فهى كالجارة أو أشد قسوة فصارت قلوب بنى إسرائيل مع طول الأمد قاسية بعيدة عن الموعدة بعد ما شاهدوا من الآيات والمعجزات فهى فى قسوتها كالجارة التى لا علاج لئنها أو أشد قسوة من الجارة فان من الجارة ما يتفجر منها العيون بالنهار الجارية ومنها ما يشقى فيخرج منه الماء وان لم يكن جاريا ومنها ما يهبط من رأس الجبل من خشية الله وفيه ادراك لذلك بحسبه (١٩٣) كما قال تسبح له السموات السبع والارض

ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا وقال ابن أبى شيخ عن مجاهد انه كان يقول كل حجر يتفجر منه الماء أو يشقى عن ماء أو يتردى من رأس جبل لمن خشية الله نزل بذلك القرآن وقال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو سـعـيد بن جبير عن ابن عباس وان من الجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقى فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله أى وان من الجارة لأين من قلوبكم عما تدعون اليه من الحق وما الله بغافل عما تعملون وقال أبو على الجبائي فى تفسيره وان منها لما يهبط من خشية الله هو سقوط البرد من السحاب قال القاضى الباقلانى وهذا تاويل بعيد وتبعه فى استبعاده الرازى وهو كما قال فان هذا خروج عن اللفظ بلا دليل والله أعلم وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حنيفة عن هشام بن عمار حدثنا الحكم بن هشام الثقفى حدثني يحيى ابن أبى طالب يعنى ويحيى بن

الخيار والعدل والآية صالحة للأمرين وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تفسير الوسط هنا بالعدل رواه أحمد والترمذى وصححه والنسائى وغيرهم عن أبى سعيد مر فوعا فوجب الرجوع الى ذلك ولما كان الوسط مجازا للغلو والتقصير كان محموداى هذه الامة لم تغل غلوا النصرارى فى عيسى ولا قصروا وتقصر اليهود فى أنبيائهم ويقال فلان أو وسط قومه وواسطتهم ووسطهم أى خيارهم والآية دلت على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لاثبت به عدالتهم أى اخبات قاله الكرخى وفيه دلالة على تفضيل هذه الامة على سائر الامم (لتكونوا) الامم لأم كى تفيد العلية أو هى لام الصيرورة (شهداء على الناس) يعنى يوم القيامة أى تشهدون للانبيا على أنهم انهم قد بلغوهم ما أمرهم الله بتبليغهم اليهم وقالت طائفة معنى الآية يشهد بعضكم على بعض بعد الموت وقيل المراد لتكونوا شهداء على الناس فى الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدل (ويكون الرسول عليكم شهيدا) أى على أمتهم بانهم قد فعلوا ما أمر بتبليغهم اليهم ومثله قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئناك على هؤلاء شهيدا وقيل عليكم بمعنى لكم أى يشهد لكم بالايمان وقيل معناه يشهد عليكم بالتبليغ لكم قال فى الكشف لما كان الشهيد كالرقيب والمهين على المشهود له جى بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى والله على كل شئ شهيد وكنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد انتهى وانما أخر لفظ على فى شهادة الامم على الناس وقدمها فى شهادة الرسول عليهم لان الغرض كما قال صاحب الكشف فى الاول اثبات شهادتهم على الامم وفى الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وقيل ان شهيدا أشبه بالقواصل والمقاطع من عليكم فكان قوله شهيدا تمام الجلة ومقطعها دون عليكم وهذا الوجه يرتدى على الرخصى مذهب من أن تقديم المفعول يشعر بالاختصاص وأخرج أحمد والبخارى والترمذى والنسائى وغيرهم عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعى نوح يوم القيامة فيقال له هل باغت فيقول نعم فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد فيقال لنوح من يشهدك فيقول محمد وآمنه فذلك قوله يعنى هذه الآية فتشهدون له بالبلاغ وأشهد عليكم وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه عن جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال أنا وأمتي يوم القيامة على كور مشرفين على الخلائق ما من

(٢٥ ل - فتح البيان) يعقوب فى قوله تعالى وان من الجارة لما يتفجر منه الانهار قال كثرة البكاء وان منها لما يشقى فيخرج منها الماء قال قليل البكاء وان منها لما يهبط من خشية الله قال بكاء القلب من غيرة موع العين وقد زعم بعضهم ان هذا من باب الجواز وهو اسناد الخشوع الى الجارة كما أسندت الآرادة الى الجدار فى قوله يريد أن ينقض قال الرازى والقرطبي وغيرهما من الأئمة ولا حاجة الى هذا فان الله تعالى يخلق فيها هذه الصفة كفى قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وقال تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن الآية وقال والنجم والشجر

يسجدان أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء إلا طأله الآية قالتا أيننا طائعين لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية وقالوا بل لو ذهبهم لم يشهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الآية وفي الصحيح هذا جبل يحبنا ونحبه وكثير الجذع المتواتر خبره وفي صحيح مسلم أني لأعرف جبرائيل على قبل أن أبعث أني لأعرفه الآن وفي نسخة الجبر الاسود انه يشهد لمن استلم بحق يوم القيامة وغير ذلك مما في معناه وحكي القرطبي قولهم الاختير أي مثلهذا وهذا وهذا مثل جالس الحسن أو ابن سيرين وكذا أحكام الرازي في تفسيره وزاد قولاً آخرهم اللابهم بالنبية إلى (١٩٤) مخاطب كقول القائل أكلت خبزاً أو تراوه ويعلم أيهم أكل وقال آخراً

بمعنى قول القائل كل حلوا أو حاضاً أي لا يخرج عن واحد منهم ما أي وقلوبكم صارت كالخجارة أو أشد قسوة منها لا يخرج عن واحد من هذين الشيئين والله أعلم (تبيينه) اختلاف علماء العربية في معنى قوله تعالى فهي كالحجارة أو أشد قسوة بعد الإجماع على استحالة كونها للشك فقال بعضهم أو ههنا بمعنى الواو تقديره فهي كالحجارة أو أشد قسوة كقوله تعالى ولا تطع منهم أتماً أو كندوراً عدواً أو سراً وكما قال النابغة الذبياني

قالت ألبتة ما هذا الخمام لما

إلى جماعة متناً ونصفه فقد تريد ونصفه قاله ابن جرير وقال جرير بن عطية نال الخلافة أو كانت له قدراً

كما أنى ربه موسى على قدر قال ابن جرير يعني نال الخلافة وكانت له قدراً وقال آخرون أو ههنا بمعنى بل فتقديره فهي كالحجارة بل أشد قسوة وكقوله إذا فریق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فكان قاب قوسين

أو أدنى وقال آخرون معنى ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة عندكم حكاه ابن جرير وقال آخرون المراد

بذلك الإبهام على مخاطب كما قال أبو الاسود أحب محمد أحب أشدida * وعباساً وحزرة الوصيا

فان يك حبهم رشد أصبه . وليس بخطي أن كان غيباً قال ابن جرير قالوا ولا شك أن أبا الاسود لم يكن شاكفاً أن حب من سمي رشد ولكنه أيهم على من طبعه قال وقد ذكر عن أبي الاسود انه لما قال هذه الآية قيل له شككت فقال كلا والله ثم انتزع يقول الله تعالى وأنا أوأياكم لعل هدى أو في ضلال مبين فقال أو كان شاكفاً من أخبر به من الهادي منهم ومن الضال وقال

الناس أحد الأوثان من بني كذبه قومه الا ونحس فنهده انه بلغ رسالة ربه وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس قال مررنا بمنزلة فائتي عليهما خيراً فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجبت ثلاثاً ووجبت ثلاثاً ووجبت ثلاثاً فائتي عليهما خيراً فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجبت ثلاثاً فقلت من أين سمعتم عليه خيراً ووجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض ثلاثاً زاد الحكيم الترمذي ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية وفي الباب أحاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة عند أهل الصحاح والسنن وغيرهم (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها) المراد بهذه القبلة هي بيت المقدس وبؤياً هذا قوله كنت عليها إذ كان نزول هذه الآية بعد صرف القبلة إلى الكعبة وقيل المراد الكعبة أي القبلة التي أتت عليها الآن بعد أن كانت إلى بيت المقدس ويكون كنت بمعنى الحال وقيل المراد بذلك القبلة التي كان عليها قبل استقبال بيت المقدس فإنه كان يستقبل في مكة الكعبة ثم لما هاجر توجه إلى بيت المقدس تألفنا لليهود ثم صرف إلى الكعبة وفيه أعاريب خمسة أحسنهم ما ذكرناه (الأنعم) استثناء مفرغ من أعم العلل (من يتبع الرسول) في التوجه إلى ما أمر به من القبلة أو الدين والالتفات إلى الغيبة مع إرادته صلى الله عليه وآله وسلم بعنوان الرسالة للشعار بعله الاتباع (من يتقلب على عقبيه) أي يرجع إلى الكفر وقد ارتد لذلك جماعة والمعنى ما جعلناهم إلا لنبتليهم يعني من يسلم لأمره ممن يرجع إلى ما كان عليه من الكفر فيترد قال ابن عباس لغير أهل اليقين من أهل الشك قيل المراد بالعلم هذا الرؤية وقيل لم يعلم النبي وقيل المراد لنعلم ذلك موجوداً حاصلًا وهكذا ما ورد معناه لا بد أن يأول بمنزل هذا كقوله ولعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء (وإن كانت الكعبة) أي ما كانت إلا كعبية كما قاله الفراء والضمير في كانت راجع إلى ما يدل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من التحويل والتولية أو جعله أو الرد ذكره معنى ذلك الاختش ولا مانع من أن يرجع الضمير إلى القبلة المذكورة أي وإن كانت القبلة المتصفة بذلك كنت عليها الكعبة أي يتحول بها على أهل الشرك والريب قاله ابن عباس (الاعلى الدين خدى الله) أي هداهم للإيمان فأنشروا صدورهم لتصديقك وقبلت ما جئت به عقولهم وهذا الاستثناء مفرغ لأن ما قبله في قوة النفي أي أنهم لا تختف ولا تسهل الأعلى أهل الهدى

وقيل

وإن معه من المؤمنين يؤيهم منهم آتطهعون أن يؤمنوا الكرم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله وليس قوله سمعوا التوراة
كأنهم قد سمعوا أولئك هم الذين سالوا موسى رؤيته ربهم فأخذتهم الصاعقة فيها وقال محمد بن اسحق فيما حدثني بعض أهل العلم
أنهم قالوا لموسى يا موسى قد حبل بيننا وبين رؤيته ربنا تعالى فاسمعنا كلامه حين يكلمك فطلب ذلك موسى إلى ربه تعالى فقال نعم
مرهم فليطهروا وليطهروا وليطهروا وليطهروا فخرج بهم حتى أتوا الطور فلما غشيم الغمام أمرهم موسى أن يسجدوا
فوقعوا سجودا وكلهم ربه فسمعوا كلامه (١٩٦) يأمرهم وينهاهم حتى عقولهم ما سمعوا ثم انصرف بهم إلى بني إسرائيل

منزل شطير وشطير إليه أي أقبل قال الراغب والشاطر أيضا من تباعد من الحق
ولا خلاف أن المراد بشطير المسجد هنا الكعبة وقد حكى القرطبي الإجماع على أن
استقبال عين الكعبة فرض على المعين وعلى أن غير المعين يستقبل الناحية ويستدل
على ذلك بما يمكنه الاستدلال به وعن البراء شطر المسجد قبله وعن ابن عباس قال نحوه
وقال أبو العالية تلقاه وقال ابن عباس البيت كنه قبله وقبله البيت الباب وأخرج
البيهقي عنه من فوجا إلى البيت قبله لاهل المسجد والمسجد قبله لاهل الحرم والحرم قبله
لاهل الأرض مشارقتها ومغارها من أمي وقد أخرج ابن ماجه عن البراء قال صلينا
مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نحو بيت المقدس ثمانية عشر شهرا وصرفت
القبلة إلى الكعبة بعد دخوله إلى المدينة بشهرين وكان رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم إذا صلى إلى بيت المقدس أكثر تقيب وجهه في السماء وعلم الله من قلب نبيه أنه
يهوى الكعبة فصعد جبريل فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتبعه بصرد
وغير يصعد بين السماء والأرض ينظر ما يأتيه به فأرسل الله هذه الآية فقال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم يا جبريل كيف حالنا في صلاتنا إلى بيت المقدس فأرسل الله يعني
الآية التي قبل هذه واختلف في وقت تحويل القبلة فقيل كان في يوم الاثنين بعد الزوال
للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم المدينة وعليه الأكثر وقيل كان يوم الثلاثاء لثمانية عشر شهرا وقيل كان لثلاثة عشر
شهرا وقيل لثلاثة عشر شهرا وقيل في جمادى وقيل في نصف شعبان وقيل نزلت ورسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر
فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال
فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين ووصل الخبر إلى أهل قباء في صلاة الصبح وأخرج
البخاري ومسلم عن أبي عمر قال بينما الناس بقباء في صلاة الصبح أذ جاءهم آت فقال إن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أذن عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل القبلة
فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستدأروا إلى الكعبة وظاهر حديث البراء في
البخاري أنها كانت صلاة العصر ووقع عند النساء من رواية أبي سعيد بن المعلى أنها
الظهر (وحيث ما كنتم) أي من برأوى بحر مشرق أو مغرب وهذا خطاب للامة (فولوا)

فلما جؤهم حرف فريق منهم
ما أمرهم به وقالوا حين قال موسى
لبنى إسرائيل أن الله قد أمركم
بكذا وكذا قال ذلك الفريق الذين
ذكرهم الله أنما قال كذا وكذا خلافا
لما قال الله عز وجل لهم فهم الذين
عنى الله لرسوله صلى الله عليه وسلم
وقال السدي وقد كان فريق منهم
يسمعون كلام الله ثم يحرفونه قال
هي التوراة حرفوها وهذا الذي
ذكره السدي أعظم ما ذكره ابن عباس
وابن اسحق وإن كان قد اختاره
ابن جرير نظاها السياق فإنه ليس
يلزم من سماع كلام الله أن يكون منه
كما سمعوا الكليم موسى بن عمران عليه
الصلاة والسلام وقد قال الله تعالى
وإن أحد من المشركين استجارك
فأجره حتى يسمع كلام الله أي سبأها
إليه وللهذا قال قتادة في قوله ثم
يحرفونه من بعد ما عقولهم وحسب
يعلمون قال هم اليهود كانوا يسمعون
كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقولهم
ووعوه وقال مجاهد الذين يحرفونه
والذين يكذبونه هم العلماء منهم وقال
أبو العالية عدوا إلى ما أنزل الله في
كتابهم من نعت محمد صلى الله عليه

وسلم خرفوه عن مواضعه وقال السدي وهم يعلمون أي أنهم أذنبوا وقال ابن وهب قال ابن زيد في قوله يسمعون وجوهكم
كلام الله ثم يحرفونه قال التوراة التي أنزلها الله عليهم يحرفونها يجمعون الحلال في حرام والحرام في حلال والباطل
والباطل فيها حقا إذا جاءهم الحق برشوة أخرجه الله الكتاب الله وإذا جاءهم المبطل برشوة أخرجه الله ذلك الكتاب فهو فيه محقق وإذا
جاءهم أحاديثهم شيئا ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء أمرهم وبالحق فقال الله لهم تأمروا الناس بالبر وتسنوا أنفسكم وأنتم
تتلون الكتاب أفلا تعقلون وقوله تعالى وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض الآية قال محمد بن اسحق

حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس واذ قالوا الذين آمنوا قالوا آمنا أي ان صاحبكم رسول الله
ولكنه اليكم خاصة واذ اذ خلا بعضهم الى بعض قالوا لا نتحدوا العرب بهذا فانكم قد كنتم تستفتحون به عليهم فكان منهم فازل
الله واذ قالوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذ خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أي تقرون
بانه نبي وقد علمتم انه قد أخذ له المشاق عليكم بآساعه وهو يخبرهم انه النبي الذي كانت تظن وتجد في كتابنا اخذوه ولا تقروا به يقول
الله تعالى أولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون وقال الضحاك (١٩٧) عن ابن عباس يعني المنافقين من اليهود كانوا

اذ قالوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا آمنا وقال السدي هؤلاء
ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا وكذا قال الربيع بن أنس وقتادة
 وغير واحد من السلف والخلاف حتى قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم
 فيما رواه ابن وهب عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
 قال لا يدخلن علينا قصبة المدينة الا مؤمن فقال رؤسائهم من أهل
 الكفر والنفاق اذهبوا فقولوا آمنوا وكفروا اذ ارجعتم اليها
 فكلوا يا أولي المدينة بالبحر ويرجعون اليهم بعد العصر وقرأ
 قول الله تعالى وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على
 الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون وكانوا يقولون
 اذا دخلوا المدينة نحن مسلمون ليعلموا خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فاذ ارجعوا رجعوا الى الكفر فلما أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم
 قطع ذلك عنهم فلم يكونوا يدخلون وكان المؤمنون يظنون انهم مؤمنون فيقولون
 أليس قد قال الله لكم كذا وكذا

وجوهكم شطره) أي نحو البيت وتلقاه وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 قال ما بين المشرق والمغرب قبله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قيل أراد
 بالشرق مشرق الشتاء في أقصر يوم من السنة والمغرب مغرب الصيف في أطول يوم
 من السنة فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت عن يمينه ومشرق الشتاء عن يساره كان
 مستقبلا للقبلة وهذا في حق أهل المشرق لان المشرق الشترى جنوبي متباعد عن خط
 الاستواء عقدا رالميل والمغرب الصفي شمالي متباعد عن خط الاستواء والذي بينهما
 فقوسهما مكة والغرض من بمكة في القبلة اصابة عين الكعبة ولين بعد من مكة اصابة
 الجهة ويعرف ذلك بدلائل القبلة وليس هذا موضع ذكرها وهذا أحد الاصول الدالة
 على تجوز الاجتماع وفيه ايجاب استقبال الكعبة في كل صلاة فرضا كانت أو نافلة في
 كل مكان حضر أو سافر وهو مخصوص بالآية المتقدمة في نافله السفر على الراحة
 وبالآية الآتية في حال المسابقة (وان الذين آمنوا الكتاب) قال السدي هم اليهود خاصة
 والكتاب التوراة وقال غيره أحبار اليهود وعلماء النصارى لعموم اللفظ والكتاب التوراة
 والانجيل (ليعلمون أنه الحق من ربهم) الضمير في انه راجع الى ما يدل عليه الكلام من
 التحول الى جهة الكعبة وعلم أهل الكتاب بذلك اما لكونه قد بلغهم عن انبيائهم
 أو وجدوا في كتب الله المنزلة عليهم أن هذا النبي مستقبل الكعبة أولا نهم قد علموا من
 كتبهم وأنبيائهم ان النسخ سيكون في هذه الشريعة فيكون ذلك موجبا عليهم الدخول
 في الاسلام ومتابعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل راجع الى الشطر وقيل الى النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم ويكون على هذا التنازع من خطابه بقوله فلنولينك الى الغيبة
 والاول أولى (وما الله بغافل عما يعملون) قال السدي أنزل ذلك في اليهود والمعنى
 ما اناباه عما يفعل هؤلاء اليهود فأنابهم عليه في الدنيا والآخرة (ولئن) لام قسم
 وان شرطية (آيت الذين آمنوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى (بكل آية) أي بكل معجزة
 وبكل حجة وبرهان (ما تبعوا قبلك) أي الكعبة عندا وفي هذه الآية مبالغه عظيمة وهي
 متضمنة للتسليم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وترويح خاطره بان هؤلاء لا يؤثرونهم
 كل آية ولا يرجعون الى الحق وان جاءهم بكل برهان فضلا عن برهان واحد وذلك لانهم
 لم يتركوا اتباع الحق لدليل عندهم أو لشبهة طرأت عليهم حتى يوازنوا بين ما عندهم وما جاء

فيقولون بلى فاذا رجعوا الى قومهم يعني الرؤساء فقالوا اتحدونهم بما فتح الله عليكم الآية وقال أبو العباس اتحدونهم بما فتح
 الله عليكم يعني بما أنزل عليكم في كتابكم من بعث محمد صلى الله عليه وسلم وقال عبد الرزاق عن معمر بن قتادة اتحدونهم بما
 فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم قال كانوا يقولون سيكون نبي فخلا بعضهم ببعض فقالوا اتحدونهم بما فتح الله عليكم قول
 آخر المراد بالفتح قال ابن جرير حديث القاسم بن أبي برزة عن مجاهد في قوله تعالى اتحدونهم بما فتح الله عليكم قال قام
 النبي صلى الله عليه وسلم ليوم قريظة تحت حصونهم فقال يا اخوان القردة والخنازير يا عبدة الطاغوت فقالوا من أخبر بهذا

الامر محمد ما خرج هذا القول الامسكهم اتحدونهم بما فتح الله عليكم بما حكم الله للفتح ليكون لهم حجة عليكم قال ابن جريج عن
جاهد هذا حين ارسل اليهم عليا فاذوا محمد اصابى الله عليه وسلم وقال السدي اتحدونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليجاجوكم
ببندركم هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا فكانوا يحدون المؤمنين من العرب بما عذبوا به فقال بعضهم لبعض اتحدونهم
بما فتح الله عليكم من العذاب ليقولوا نحن احب الى الله منكم وأكرم على الله منكم وقال عطاء الخراساني اتحدونهم بما فتح الله
عليكم يعني بما قضى لكم وعليكم وقال (١٩٨) الحسن البصري هؤلاء اليهود كانوا اذا القوا الذين آمنوا قالوا آمنا وادنا

به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقبلوا عن غوريتهم عند وضوح الحق بل كان
تركهم للحق عمدا وعنادا مع علمهم بأنهم ليسوا على شيء ومن كان هكذا فهو لا ينفع
بابرهان أبدا ولا اخبار في قوله (وما أنت بتابع) يكن أن يكون بمعنى النهي من الله
سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم أى لا تتبع يا محمد (قبلةهم) ويكون أن يكون على
ظاهره دفعا لاطماع أهل الكتاب وقطعا لما يرجونه من رجوعه صلى الله عليه وآله وسلم
الى القبلة التي كان عليها وهذه الجملية أبلغ في النفي من قوله ما تبعوا قبلك من وجوه منها
كونها اسمية تكررها في الاسم مؤكدا انهم ابالاء (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) فيه
اخبار بان اليهود والنصارى مع حرصهم على متابعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لما
عندهم هم مختلفون في دينهم حتى في هذا الحكم الخاص الذي قصه الله سبحانه على
رسوله فان بعضهم لا يتابع الاخر في استقبال قبلة قال في الكشف وذلك ان اليهود
تستقبل بيت المقدس والنصارى تستقبل مطاع الشمس انتهى قال الشهاب ان كون
قبلة النصارى مطاع الشمس صرحا به لكن وقع في بعض كتب القصة ان قبلة عيسى
كانت بيت المقدس وقال الحافظ ابن القيم في بدائع الفوائد قبلة أهل الكتاب ليست
بوحى وتوقيف من الله بل بمشورة واجتهاد منهم أما النصارى فلا ريب أن الله لم يأمرهم
في الانجيل ولا في غيره باستقبال المشرق وهم يرون بان قبلة المسيح قبلة بني اسرائيل
وهي الصخرة وانما وضع لهم أشياخهم هذه القبلة فهم مع اليهود متفقون على ان الله لم
يشرع استقبال بيت المقدس على رسوله أبدا والمسلمون شاهدون عليهم بذلك الامر وأما
اليهود فليس في التوراة الامر باستقبال الصخرة البتة وانما كانوا ينصبون النابون
ويصلون اليه من حيث خرجوا فاذا قدموا نصبوه على الصخرة وصلوا اليه فلما رفع صلوا
الى موضعه وهو الصخرة (ولئن اتبعتم أهواءهم) يعنى مرادهم ورضاهم لرجعت
الى قبلتهم (من بعد ما جئتكم من العلم) في أمر القبلة أو بانهم مقيمون على باطل وعناد
(النادمين الطامنين) فيه من التهديد العظيم والرجز البليغ ما تنصع له الجلود وترجف
منه الافئدة واذا كان الميل الى آشوية المخالفين لهذه الشريعة الغراء والملة الشريفة
من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو سيد ولد آدم بوجوب الطم عليه وحاشاه
ان يكون من الطامنين فاطمأن بغيره من أمته وقد صان الله هذه الفرقة لاسلامية بعد

خلا بعضهم الى بعض قال بعضهم
لا اتحدوا أصحاب محمد بما فتح الله
عليكم بما في كتابكم ليجاجوكم به
عند ربكم فيخصمهم وكم وقوله
تعالى أولا يعلمون ان الله يعلم
ما يسرون وما يعلنون قال أبو
العالية يعنى ما أسروا من كفرهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم
به وهم يحذونه مكتوبا عندهم وكذا
قال قتادة وقال الحسن ان الله
يعلم ما يسرون قال كان
ما أسروا منهم كانوا اذا تولوا عن
أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
وخلاب بعضهم الى بعض تناهوا ان
يخبر أحد منهم أصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم بما فتح الله عليهم بما في
كتابهم خشية ان يجاجهم أصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم بما في كتابهم
عند ربهم وما يعلنون يعنى حين
قولوا لأصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم آمنا وكذا قال أبو العالمة
والريبع وقدة (ومنهم أميون
لا يعلمون الكتاب الا أماني وانهم
الافلون فويل للذين يكتبون
الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من
عند الله ليشتروا به ثمنا فليأفويل

لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) يقول تعالى ومنهم أميون أى ومن أهل الكتاب قاله مجاهد ثبوت
والأميون جمع نحى وهو الرجل الذى لا يحسن السدب قاله أبو العالمة والريبع وقاتدة وابراخيم النخعي وغير واحد وهو ظاهر في
قوله تعالى لا يعلمون الكتاب أى لا يدرون ما فيه ولهذا في صنات النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يحسن الكتابة كما قال
تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لا رتاب المبطلون وقال عليه الصلاة والسلام انا امة لا نكتب
ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا الحديث أى لا نفقه في عبادتنا ومواقفنا الى كتاب ولا حساب وقال تبارك وتعالى هو الذى

بعث في الاميين رسولا منهم وقال ابن جرير نسبت العرب من لا يكتب ولا يخط من الرجال الى ائمة في جهل بالكتاب دون أبيه قال
وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قول خلاف هذا وهو ما حدثنا به أبو بكر يربحدثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمار عن
أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى ومنهم أमीون قال الاميون قوم لم يصدقوا رسولا أرسل الله ولا كتابا أنزل الله
فكتبوا الكتاب بأيديهم ثم قالوا القوم سفلة جهال هذا من عند الله وقال قد أخبرناهم يكتبون بأيديهم ثم ساءهم أमीين بلخودهم كتب
الله ورسله ثم قال ابن جرير وهذا التأويل تأويل على خلاف ما يعرف من كلام (١٩٩). العرب المستفيض بينهم وذلك ان الاى

عند العرب الذي لا يكتب قلت ثم
في صحة هذا عن ابن عباس به هذا
الاستناد نظر والله أعلم وقوله تعالى
الأماني قال ابن أبي طلحة عن ابن
عباس الأماني الاحاديث وقال
الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى
الأماني يقول الاقولا يقولون
بافواههم كذبا وقال مجاهد الا كذا
وقال سفيان عن جابر عن ابن
جرير عن مجاهد ومنهم أमीون
لا يعاون الكتاب الأماني قال أناس
من اليهود لم يكونوا يعاونون من
الكتاب شيئا وكانوا يكلمون بالظن
بغير ما في كتاب الله ويقولون هو من
الكتاب أماني يمتنونه عن الحسن
البصري نحوه وقال أبو العباس
والربيع وتمتددة الأماني يمتنون
على الله ما ليس لهم وقال عبد
الرحمن بن زيد بن أسلم الأماني قال
تمنوا فقلوا نحن من أهل الكتاب
وليسوا منهم قال ابن جرير والاشبه
بالواب قول الضحاك عن ابن
عباس وقال مجاهد ان الاميين
الذين وصفهم الله تعالى أنهم
لا يثقون من الكتاب الذي أنزل
الله تعالى على موسى شيئا ولكنهم

ثبوت قدم الاسلام وارتفاع منار عن أن يميلوا الى شيء من هوى أهل الكتاب ولم يبق
الادسية شيطانية ووسيلة طاغوتية وهى ميل بعض من تحمل جميع الله الى هوى بعض
طوائف المبتدعة لما يرجوه من الخطام العاجل من أيديهم أو الجاهل لديهم ان كان لهم في
الناس دلة أو كانوا من ذوي الصولة وهذا الميل ليس بدون ذلك الميل بل اتباع أهوية
المبتدعة يشبه اتباع أهوية أهل الكتاب كما يشبه الماء الماء والبيضة البيضة والقرقرة
وقد تكون مفردة اتباع أهوية المبتدعة أشد على هذه الملة من مفردة اتباع أهوية
أهل المال لان المبتدعة يفتنون الى الاسلام ويظهرون للناس أنهم ينصرون الدين
ويتبعون أحسنه وهم على العكس من ذلك والاضد لما هالك ولا يزالون يتقانون من يميل
الى أهويتهم من بدعة الى بدعة ويدفعونه من شذعة الى شذعة حتى يسلكوه من الدين
ويخرجوه منه وهو يظن أنه منه في الصميم وان الصراط الذي هو عليه هو الصراط
المستقيم هذا ان كان في عداد المقصرين ومن جملة الجاهلين وان كان من أهل العلم والنهم
المميزين بين الحق والباطل كان في اتباعه لأهويةهم عن أضل الله على علم وختم على قلبه
وصارفة على عبادته وصحبة صبا الله على المقصرين لانهم يعتقدون انه في علمه وفهمه
لا يميل الى الحق ولا يتبع الا الصواب فيضلون بضلالة فيكون عليه اثم واثم من اقتدى
به الى يوم القيامة نسأل الله اللطف والسلامة والهداية والكرامة (الذين آتيناهم
الكتاب) يعني علماء اليهود والنصارى وقيل اراد به مؤمنى أهل الكتاب كعبد الله بن سلام
وأصحابه (يعرفون) الذين لم يصل الله عليه وآله وسلم وان لم يسبق له ذكر لدلالة الكلام
عليه وعدم اللبس ذكره القاضى ويقال عليه بل سبق ذكره بل نظر الرسول مرتين أى
يعرفون بوثرة روى ذلك عن مجاهد وقتادة وطائفة من أهل العلم وقيل يعرفون بتحويل
القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة بالطريق التي قدمنا ذكرها وبه قال جماعة من
المفسرين ويرجع صاحب الكشاف الاول وعندى ان الراجح الاخر كما يدل عليه السياق
الذي سبق له هذه الايات (كما يعرفون أبناءهم) أنهم منهم لا يشكون فيه ولا يشبهه عليهم
كما لا يشبه عليهم أبناءهم من أبناء غيرهم يعني يعرفون ان القبلة التي صرفت اليها حتى
قبله إبراهيم وقبله الانبياء قبله كما يعرفون أولادهم قال ابن سلام لقد عرفته حين رأيته
كما أعرف ابني ومعرفتي بعمد أشد وخص الانباء دون البنات أو الاولاد لان الذكور

يتخرون الكذب ويتخرون الباطل كدبا وزورا والتمنى في هذا الموضع هو تخلق الكذب وتخترعه ومنه ان الخبر المروى عن
عثمان بن عفان رضي الله عنه ما تغيت ولا تنيت يعني ما اخترعت الباطل ولا اخترقت الكذب وقيل المراد بقوله الا أماني
بالشديد والتخفيف أيضا أى الاتلاوة فعلى هذا يكون استثناء منقطع واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى الا اذا أتى أى تلاءم
الشيطان في أمنيه الآية وقال كعب بن مالك الشاعر غنى كتاب الله أول ليلة * وآخره لاقى حمام المقادر وقال آخر
غنى كتاب الله آخر ليلة * غنى داود الكتاب على رسل وقال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أبو سعيد بن جبير

عن ابن عباس لا يلمون الكتاب الا ما في وان هم الا يظنون أي ولا يدرون ما فيه وهم يجدون نبوتك بالظن وقال مجاهد وان هم
الا يظنون يكذبون وقال قتادة وأبو العاصية والربيع يظنون بالله الظنون بغير الحق وقوله تعالى فويل للذين يكتبون
الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثم قليلا الآية هؤلاء صنف آخر من اليهود وهم الدعاة الى الضلال
بالزور والكذب على الله وكل أموال الناس بالباطل والويل الهلاك والدمار وهي كتبت مشهورة في اللغة وقال سفيان
الثوري عن زياد بن فياض سمعت أبا عبد الله (٢٠٠) يقول ويل صديقي أصل جهنم وقال عطاء بن يسار الويل وادني

جهنم لو سيرت فيه الجبال لماعت
وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس
ابن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب
أخبرني عمرو بن الحرث عن دراج عن
أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ويل وادني جهنم هم وى فيه
الكافرا أربعين خريفا قبل ان
يلغ قعره ورواه الترمذي عن
عبد الرحمن بن حميد عن الحسن
ابن موسى عن ابن لهيعة عن دراج
به وقال هذا حديث غريب
لا نعرفه الا من حديث ابن لهيعة
قلت لم يتفرده ابن لهيعة كما ترى
ولكن الآفة من بعده وهذا
الحديث بهذا الاسناد مر فوجا
منكر والله أعلم وقال ابن جرير
حدثنا المنفي حدثنا ابراهيم بن عبد
السلام حدثنا صالح القشيري
حدثنا علي بن جرير عن حماد بن سلمة
عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة
العدوي عن عثمان بن عفان رضي
الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فويل لهم مما كتبت
أيديهم وويل لهم مما يكسبون قال
الويل جبل في النار رهر الذي

أعرف وأشهر وهم أصحابه الآباء أكرم وبقولهم المصق والالتفات عن الخطاب الى الغيبة
للايذان بان المراد ليس معرفتهم له صلى الله عليه وآله وسلم من حيث ذاته ونسبه بل من
حيث كونه مسطورا في الكتاب متعونا بالانعوت التي من جملتها انه صلى الله عليه وآله
وسلم يصلى الى القبلة كنه قيل الذين آتاهم الكتاب يعرفون من وصفناه فيه وبهذا
تظهر جزالة النظم الكريم ذكره الكرخي (وان فريقامهم) أي من علماء أهل الكتاب
(ليكنون الحق) يعني أمر القبلة أو صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكتم الحق هو عند
أهل القول الاول نبوته صلى الله عليه وآله وسلم وعند أهل القول الثاني استقبال
الكعبة (وهم يعلمون) ان كتمان الحق معصية (الحق) يحتمل أن يكون المراد به الحق الاول
ويحتمل أن يراد به جنس الحق على انه خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ وخبره قوله (من ربك)
أي الحق هو الذي من ربك لا من غيره (فلا تكون من الممتريين) خطاب للنبي صلى الله
عليه وآله وسلم والامراء الشك في الله سبحانه عن الشك في كون الحق من ربه أوفى
كون كتمانهم الحق مع علمهم وعلى الاول هو تعريض للامة أي لا يكن أحد من أمتيه
من الممتريين لانه صلى الله عليه وآله وسلم لا يشك في كون ذلك هو الحق من الله سبحانه
وفيه كناية وهي أبلغ من التصريح (ولكل وجهة) أي لكل دين وجهة ولكل أهل ملة
قبلة والوجهة فعله من المواجهة وفي معناها الجهة والوجه وهي اسم للمكان المتوجه اليه
كالكعبة أو مصدر والمراد القبلة أي انهم لا يتبعون قبلة وأنت لا تتبع قبلة ولكل
وجهة اما بحق واما باطل والضمير في (هو موليا) راجع الى لفظ كل والهاء هي المفعول
الاول والثاني محذوف أي موليا وجهه في صلاته والمعنى ان لكل صاحب ملة قبلة
صاحب القبلة موليا وجهه فقبلة المسلمين الكعبة وقبلة اليهود بيت المقدس وقبلة
النصارى مطلع الشمس أو لكل منكم أمة محمد قبلة يصلى اليها من شرق أو غرب
أو جنوب أو شمال اذا كان الخطاب للمسلمين ويحتمل أن يكون الضمير لله سبحانه وان لم
يجرله ذكر كانه معلوم ان الله فاعل ذلك والمعنى ان لكل صاحب ملة قبلة الله موليا اليه
وقيل لكل واحد من الناس قبلة وقرئ موليا هاء والضمير لواحد والمعنى الواحد موليا أي
محول ومصرف اليها (فاستبقوا الخيرات) أي فبادروا الى ما أمركم الله به من استقبال
البيت الحرام كما يفيد السياق وان كان ظاهره الامر بالاستباق الى كل ما يصدق عليه انه

أنزل في اليهود لانهم سرقوا التوراة زادوا فيها ما أحبوا ومحو منها ما يكرهون ومحو اسم محمد صلى الله عليه وسلم خير
من التوراة ولذلك غضب الله عليهم فرفع بعض التوراة فقال تعالى فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون وهذا
غريب أيضا جدا وعن ابن عباس الويل المشقة من العذاب وقال الخليل بن أسجد الويل شدة الشر وقال سيبويه وويل لمن وقع
في الهلكة وويل لمن أشرف عليها وقال الاصمعي الويل تفجع والويل ترحم وقال غيره الويل الحزن وقال الخليل وفي معنى وويل
ويح وويش ووييه وويلك وويي ومنهم من فرق بينها وقال بعض النحاة انما جازا الابتداء بها وهي نكرة لان فيها معنى الدعاء

ومنهم من جوز نصيبها بمعنى ألزهمهم ويلا قلت لكن لم يقرأ بذلك أحد وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما فويل
للذين يكتبون الكتاب بأيديهم قال هم أحبار اليهود وكذا قال سعيد عن قتادة هم اليهود وقال سفيان الثوري عن عبد الرحمن
ابن علقمة سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم قال نزلت في المشركين وأهل
الكتاب وقال السدي كان ناس من اليهود كتبوا كتابا من عندهم يبيعونه من العرب ويحدثونهم انه من عند الله فيأخذوا به ثمنا
قليل وقال الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس انه قال (٢٠١) يامعشر المسلمين كيف تألون أهل

الكتاب عن شيء وكتاب الله الذي
أنزل على نبيه أحدث أخبارا لله
تقرؤنه غضا لم يشب وقد حدثكم
الله تعالى ان أهل الكتاب قد بدلوا
كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم
الكتاب وقالوا هو من عند الله
ليشتروا به ثمنا قليلا أفلا ينهكهم
ما جاءكم من العلم عن مسألتهم
ولا والله ما رأيت منهم أحدا قاط
سألكم عن الذي أنزل عليكم
رواه البخاري من طرق عن
الزهري وقال الحسن بن أبي
الحسن البصري الثمن القليل الدنيا
بجدافرها وقوله تعالى فويل لهم مما
كتبت أيديهم وويل لهم مما
يكسبون أي فويل لهم مما كتبوا
بأيديهم من الكذب والبهتان
والافتراء وويل لهم مما كوا به
من السحت كما قال الضحاك عن
ابن عباس رضي الله عنهما فويل
لهم يقول فالعذاب عليهم من الذي
كتبوا بأيديهم من ذلك الكذب
وويل لهم مما يكسبون يقول مما
يأكلون به الناس السفلة وغيرهم
(وقالوا ان تمسنا النار الا انما
معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا

خير كما يفيد العموم المستفاد من تعريف الخيرات قال ابن زيد يعني الاعمال الصالحة
والمراد من الاستباق الى الاستقبال الاستباق الى الصلاة في أول وقتها فان الصلاة فيه
أفضل لان ظاهرا الامر للوجوب فاذا لم يتحقق الوجوب فلا أقل من الندب والآية دليل
لذهب الشافعي في أفضلية الصلاة في أول الوقت والسبق الوصول الى الشيء أولا وأصله
التقدم في السير ثم تجوز به في كل ما تقدم والخيرات واحدا خيرة بوزن فيعله أو زنة ففعلة
بجفنة وعلى كلا التقديرين فليست بالتفصيل (أيما تكونوا) أي في أي جهة من الجهات
المختلفة تكونوا (يأت بكم الله) الجزاء يوم القيامة فهو وعد لاهل الطاعة بالثواب ووعد
لاهل المعصية بالعقاب ويجمعكم (جميعا) ويجعل صلاتكم في الجهات المختلفة كأنها
الى جهة واحدة (ان الله على كل شيء قدير) ومنه الاعادة بعد الموت والاثابة لاهل الطاعة
والعقاب المستحق العقوبة (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام)
الظاهر أن من هنا بدأ الآية والا قرب أن تكون بمعنى في أي مكان سافرت
(وانه) أي التولي (لليق من ربك وما الله بغافل عما تعملون) بالباء والتاء وتقدم مثله
(ومن حيث خرجت) أي من أي مكان خرجت للسفر (فول وجهك شطر المسجد الحرام)
وحينما كنتم فولوا وجوهكم شطره) كرر سبحانه هذا تأكيذا لاهل الامر استقبال الكعبة
وللاهتمام به لان موقع التحويل كان معتنى به في نفوسهم وقيل وجهه التكرير أن النسخ
من مظان الفسنة ومواطن الشبهة فاذا سمعوه مرة بعد أخرى ثبتوا وان دفع ما يحتلج في
صدورهم وقيل انه كرر هذا الحكم لتعدد علة فانه سبحانه ذكر التحويل ثلاث عالى الاولى
ابتغاء مرضاته والثانية جري العادة الالهية أن يولي أهل كل مله وصاحب دعوة جهته
يستقبل بها والثالثة دفع حجة المخالفين فقرن بكل علة معاوها وقيل أراد بالاول ول
وجهك شطر الكعبة اذا صليت لقاءها ثم قال وحينما كنتم معاشر المسلمين في سائر
المساجد بالمدينة وغيرها فولوا وجوهكم شطره ثم قال ومن حيث خرجت يعنى وجوب
الاستقبال في الاسفار فكان هذا امر بالوجه الى الكعبة في جميع المواطن من نواحي
الارض (لئلا) الام لا مكي وان هي المصدرية ولا نافية (يكون للناس عليكم حجة) قيل
أراد بالناس أهل الكتاب وقيل هو على العموم وقيل هم قريش واليهود والمعنى لاجبة
لا حد عليكم في التولي الى غيره أي لنتقي مجادلتهم لكم من قول اليهودي محمد ديننا ويتبع

(٢٦ ل - فتح البيان) قلن يخلف الله عهدهم أم تقولون على الله ما لا تعلمون يقول تعالى اخبارا عن اليهود فيما نقلوه
واعدة ولا نفسهم من أنهم لم تمسهم النار الا اياما معدودة ثم ينبون منها فرد الله عليهم ذلك بقوله تعالى قل اتخذتم عند الله عهدا أي
بذلك فان قد وقع عهد فهو لا يخلف عهده ولكن هذا ما جرى ولا كان ولهذا أتى بأمر التي بمعنى بل أي بل تقولون على الله
ما لا تعلمون من الكذب والافتراء عليه قال محمد بن اسحق عن سيف بن سليمان عن مجاهد عن ابن عباس ان اليهود كانوا يقولون
ان هذه الدنيا سبعة آلاف سنة وانما عذب بكل ألف سنة يوم ما في النار وانما هي سبعة أيام معدودة فأنزل الله تعالى وقالوا لن تمسنا

النار الايام معدودة الى قوله خالدون ثم رواد عن محمد بن سعد عن سفيان عن ابن عباس بنحوه وقال العوفي عن ابن عباس وقالوا ان تمسنا النار الايام معدودة اليهود قالوا ان تمسنا النار الايام معدودة حتى زاد غيره وهي مدة عبادتهم العجل وحكاها القرطبي عن ابن عباس وقتادة وقال الضحاك قال ابن عباس زعمت اليهود انهم وجدوا في التوراة مكتوبا ان ما بين طرفي جهنم مسيرة اربعين سنة الى ان ينتهوا الى شجرة الزقوم التي هي ثابتة في اصل الجحيم وقال أعداء الله انما عذب حتى انتهت الى شجرة الزقوم فتذهب جهنم وتملك فذلك قوله (٢٠٢) تعالى وقالوا ان تمسنا النار الايام معدودة وقال عبد الرزاق عن

معمر عن قتادة وقالوا ان تمسنا النار الايام معدودة يعني الايام التي عبدنا فيها العجل وقال عكرمة خاضت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان ندخل النار الا اربعين ليلة وسخلفنا فيها قوم آخرون يعنون محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل انتم خالدون تخلدون لا يخلفكم فيها أحد فأنزل الله عز وجل وقالوا ان تمسنا النار الايام معدودة الآية وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه رحمه الله حدثنا عبد الرحمن بن جعفر حدثنا محمد بن محمد بن جعفر حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ حدثنا ثابت بن سعد حدثني سعيد بن أبي هريرة قال لما فتح خيبر أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيم اسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا لي من كان من اليهود ههنا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اوتوكم قالوا فسلان قال كذبتم بل اوتوكم فلان فقالوا صدقت

قيلنا وقول المشركين يدعى مله ابراهيم ويخالف قبلته (الا الذين ظلموا منهم) يعني المعادين من أهل الكتاب القائلين ماترل قبلتنا الى الكعبة الاميلا الى دين قومهم وقيل هم مشركو العرب وجنهم قولهم راجعت قبلتنا وقيل معناه لئلا يقولوا لكم قد أمرتم باستقبال الكعبة ولستم ترونها وقال أبو عبيدة الازهني ما يعني الواو وأبطل الزجاج هذا القول وقال انه استثناء منقطع أي لكن الذين ظلموا منهم فانهم يحجون ومعناه الامن ظلم باحتجاجه فيما قد وضع له كأن تقول مالك على حجة الا أن تظلم أي مالك على حجة ولكنك تظلمني وسمي ظلمه حجة لان المحتج بها اسمها حجة وان كانت داحضة وروح ابن جرير الطبري أن الاستثناء متصل وقال نفي الله أن تكون لاحد حجة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في استقبالهم الكعبة والمعنى لاحد حجة لا احد عليكم الا الحجة الداحضة حدث قالوا ما ولاهم وقالوا ان محمد انحر في دينه وما توجه الى قبلتنا الا أنا أهدى منه وغير ذلك من الاقوال التي لم تنبعث الا من عبدوثن أو من يهودي أو منافق قال والحجة بمعنى الحاجة التي هي الخاصة والمجادلة وسميها داحضة وحكم بفسادها حيث كانت من ظالم وروح ابن عطية أن الاستثناء منقطع كما قال الزجاج قال القرطبي وهذا على أن يكون المراد بالناس اليهود ثم استثنى كفار العرب كأنه قال لكن الذين ظلموا في قواهم رجع محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى قبلتنا وسيرجع الى ديننا كله (فلا تخشوهم) أي لا تخافوا جسد الهم في التولي اليها ومطاعهم فانها داحضة باطلة لا تضركم (واخشوني) أي احذروا عقابي ان أنتم عدائهم عما أنزمتكم به وفرضه عليكم (ولا تخشعوا عليكم) أي مهدي اياكم الى قبلته ابراهيم لستم لكم الملة الخسفية وقيل تمام النعمة الموت على الاسلام ثم دخول الجنة ثم رؤية الله تعالى (ولعلمكم تهتدون) أي لكي تهتدوا من الضلالة ولعل وعسى من الله واجب (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) التشبيه واقع على أن النعمة في القبلة كالنعمة في الرسالة وقيل معنى الكلام على التقديم والتأخير أي فاذا ذكرني كما أرسلنا فانه الزجاج وقيل غير ذلك والتعبير بصيغة التكلم الدالة على العظمة بعد التعبير بالصيغة التي لا دلالة لها عليهم من قبيل التقنن وجر ياعلى سبئ الكبراء وفيكم خطاب لاهل مكة والعرب وكذا قوله منكم وفي إرساله رسولا منهم نعمة عظيمة عليهم لما فيه من الشرف لهم ولان

وبررت ثم قال لهم هل أنتم صادقي عن شيء ان سألتكم عنه قالوا نعم يا أبا القاسم وان كذبنا لعرفت كذبنا المعروف كما عرفت في أيينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل النار فقالوا نكون فيم ايسر ان تخلفونا فيها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اجسؤا والله لا يخلفكم فيها أبدا ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أنتم صادقي عن شيء ان سألتكم عنه قالوا نعم يا أبا القاسم قال هل جعلتم في هذه الشاة سميا فقالوا نعم قال فما جعلكم على ذلك فقالوا أردنا ان كنت كاذبا ان نستخرج منك وان كنت نبيا لم يضرك ورواه الامام أحمد والبخاري والنسائي من حديث الليث بن سعد بنحوه (بلى من كسب سيئة وأحاطت

به خطيئته فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) يقول تعالى ليس الامر كما تظنون ولا كما تشتمون بل الامر انهم من عمل سيئة وأحاطت به خطيئته وهو من واني يوم القيامة وليست له حسنة بل جميع أعماله سيئات فهذا من أشل النار والذين آمنوا وعملوا الصالحات أي آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات من العمل الموافق للشرعة فهو من أهل الجنة وهذا المقام شبيه بتهوله تعالى ليس بامانيكم ولا ماني أشل المكذب من يعدل سواء يميز به ولا يجده من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعدل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو (٢٠٣) مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نصيرا

قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس بلى من كسب سيئة أي عمل مثل أعمالكم وكسب مثل ما كفرتم به حتى يحيط به كفره فما له من حسنة وفي رواية عن ابن عباس قال الشريك قال ابن أبي حاتم وروى عن أبي وائل وأبي العالية ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والربيع بن أنس نحوه وقال الحسن أيضا والسدي السيئة الكبيرة من الكبائر وقال ابن جريج عن مجاهد وأحاطت به خطيئته قال بقلبه وقال أبو هريرة وأبو وائل وعطاء والحسن وأحاطت به خطيئته قالوا أحاط به شركه وقال الاعمش عن أي رزين عن الربيع بن خيثم وأحاطت به خطيئته قال الذي يموت على خطاياه من قبل أن يتوب وعن السدي وأبي رزين نحوه وقال أبو العالية ومجاهد والحسن في رواية عنهم وقتادة والربيع بن أنس وأحاطت به خطيئته الموجبة الكبيرة وكل هذه الأقوال متقاربة في المعنى والله أعلم

المعروف من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير فكان بعثة الرسول منهم وفيهم أقرب الى قبول قوله والانقياد له والرسول هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم والآيات القرآن وذلك من أعظم النعم لانه مجزة باقية على الدهر والتركبة التطهير من دنس الشرك والذنوب وقيل بحسن الاعمال ومكارم الافعال والحكمة هي السنة المطهرة والفقه في الدين (ويعلمكم) من أخبار الامم الماضية والقرون الخالية وقصص الانبياء والخبر عن الحوادث المستقبلية (ما لم تكونوا تعلمون) ذلك قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وثمة يقولون بعلمه بعقولكم (فاذكروني أذكركم) أمر وجوابه وفيه معنى المجازة قاله سعيد بن جبير والمعنى اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب والمغفرة حكاه عنه القرطبي وروى نحوه مرة قواعا وقيل الذي يكون باللسان وهو التسليم والتحميد ونحو ذلك من الاذكار المأثورة ويكون بالقلب وهو التفكير في الدلائل الدالة على وحدانيته وبدائع خلقه ويكون بالجوارح وهو الاستغراق في الاعمال التي أمروا بها مثل الصلاة وسائر الطاعات التي للجوارح فيها فعل وقيل غير ذلك وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه اذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملاذ كرتي في ملاخير منتهى وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعانا وان اتاني عشي أتيت به هرولة أخرجه البخاري ومسلم وأخر جاعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله عز وجل أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه وأخر جاعن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره كمثل الحي والميت وفي الباب أحاديث كثيرة (واشكروا لي) يعني بالطاعة ما أنعمت به عليكم قال الفراء شكرك وشكرتك واحد قال ابن عطية ولي أفصح وأشهر مع الشكر والشكر معرفة الاحسان والتحدث به وأصل في اللغة الظهور وقد تقدم الكلام فيه وقد ورد في فضل ذكر الله على الاطلاق وفضل الشكر أحاديث كثيرة كما أشرنا اليه (ولا تكفرون) أي يجمع النعم وعصيان الامر والكفر هنا ستر النعمة لا التكذيب فنأطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفر وقد تقدم الكلام فيه (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة) لما فرغ سبحانه من ارشاد عباده الى

ويذكر ههنا الحديث الذي رواه الامام أحمد حيث قال حدثنا سليمان بن داود حدثنا عمرو بن قتادة عن عبد الله بن عيسى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أيكم ومحقرات الذنوب فانهم يجتمعون على الرجل حتى يهلكوه وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهم مثلا كمثل قوم نزلوا بأرض فلاة فخصر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيبي بالعود والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا سوادا وأججوا ناراً فنجحوا ما قد فوqا فيها وقال محمد بن اسحق حدثني محمد بن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون أي من آمن بما كفرتم وعمل بما تركتم

من دينه فليهم الجنة الذين فيهم يحبهم ان الثواب بالخير والشر مقيم على اهل ابد الانقطاع له (واذا حذنا مشاق بني اسرائيل
لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا واقبلوا الصلاة واتوا الزكاة ثم توليهم
الاقليل منهم وانتم معرضون) يذكركم ربك وتعالى بني اسرائيل بما أمرهم به من الاوامر وأخذهم مشاقهم على ذلك وانهم تولوا
عن ذلك كله وأعرضوا قصد اوعداهم يعرفونه ويذكرونه فأمرهم تعالى ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وبهذا أمر جميع خلقه
وان ذلك خلقهم كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك (٢٠٤) من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون وقال تعالى ولقد

ذكرهم وشكرهم عقب ذلك بارشادهم الى الاستعانة بالصبر عن المعاصي وحفظ النفس
وبالصلاة التي هي عماد الدين ومعراج المؤمنين فان من جمع بين ذكر الله وشكره
واستعان بالصبر والصلاة على تأدية ما أمر الله به ودفع ما يرد عليه من المحن فقد هدى الى
الصواب ووفق للخير ومن الناس من حل الصبر على الصوم وقصر به ومنهم من حل على
الجهاد ولا وجه لتخصيص نوع دون نوع والصبر حبس النفس على احتمال المكافاة في
ذات الله وتوطينها على تحمل المشاق في العبادات وسائر الطاعات وتجنب الخزع
واخطورات والمعنى استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض وبالصلوات الخمس
على تخصيص الذنوب وخصها بالاذكر تكررها وعظيما لانها أم العبادات ومنها جادب
الكائنات (ان الله مع الصبرين) أي بالعون والمصر واجابة الدعوة وهذه المعية التي
أوصى الله فيها أعظم ترغيب لعباده سبحانه الى لزوم الصبر على ما ينوب من الخطوب
فمن كان الله معه لم يخش من الاحوال وان كانت كالجبال وهذه المعية خاصة بالمتقين
والمحسنين والصبرين وأما المعية بالعلم والقدرة فهي عامة في حق كل أحد وبالجملة تعليل
لما قبلها من الاستعانة بالصبر خاصة كما قال أبو السعود بالصبر والصلاة كما قال الكرخي
(ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء) قيل نزلت فيمن قتل يدر من المسلمين
وكانوا أربعة عشر رجلا ستمة من المهاجرين وشعانية من الانصار وسماهم في الخازن
باسمائهم وكان الناس يقولون فيهم مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا وذا انها فأرسل الله هذه
الآية وقيل ان الكفار قالوا ان الناس يقتلون أنفسهم ظلم المرضاة محمد صلى الله عليه
 وآله وسلم من غير فائدة ففزلت هذه الآية وأخبر الله أن من قتل في سبيله فانه حي وانما
خص الشهداء لانهم فضلوا على غيرهم عز يد النعم وهو أنهم يرزقون من مطاعم الجنة
وما كلفها وغيرهم نعمون بما دون ذلك (ولكن لا تشعرون) بهذه الحياة عند مشاهدتهم
لا بدانهم بعد سلب ارواحهم لانكم تحكمون عليهم بالموت في ظاهرا الامر بحسب
ما يلغ اليه علمكم الذي هو بالنسبة الى علم الله كما ياخذ الطائر في منقاره من ماء البحر
وليسوا كذلك في الواقع بل هم أحياء في البرزخ تصل ارواحهم الى الجنان فهم أحياء
من هذه الجهة وان كانوا أمواتا من جهة خروج الروح من أجسادهم وفي الآية دليل
على ثبوت عذاب القبر للعصاة وأن المطيعين لله يصل اليهم ثوابهم وهم في قبورهم في البرزخ

بعنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا
الله واجتنبوا الطاغوت وهذا هو
أعلى الحقوق وأعظمها وهو حق
الله تبارك وتعالى أن يعبد وحده
لا شريك له ثم بعد ذلك حق الخلقين
وأكد شهم وأولاهم بذلك حق
الوالدين ولي هذا يقرن تبارك
وتعالى بين حقه وحق الوالدين كما
قال تعالى أن اشكركم ولو اليك
الى المصير وقال تبارك وتعالى
وقضى ربك ان لا تعبدوا الاياه
وبالوالدين احسانا الى أن قال وآت
ذا القربى حقه والمساكين وابن
السييل وفي الصحيحين عن ابن
مسعود قلت يا رسول الله أي العمل
أفضل قال الصلاة على وقتها قلت
ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي
قال الجهاد في سبيل الله ولهذا
جاء في الحديث الصحيح أن رجلا
قال يا رسول الله من أبر قال أمك
قال ثم من قال أمك قال ثم من قال
أباك ثم أدناك ثم أدناك وتوله تعالى
لا تعبدون الا الله قال الزمخشري
خبر بمعنى الطلب وهو أكد وقبل
كان أصلا أن لا تعبدوا الا الله كما
قرأنا من قرأها من السلف فقد

ان فارفع وحكي عن أبي وابن مسعود انه ما قرأه لا تعبدوا الا الله ونقل هذا التوجيه القرطبي في تفسيره ولا اعتداد
عن سيويه قال واختاره الكسائي والقراء قال واليتامى وهم الصغار الذين لا كاسب لهم من الآباء والمساكين الذين لا يجدون
ما ينفقون على أنفسهم وأهليهم وسيأتي الكلام على هذه الاصناف في عذابة النساء التي أمرنا الله تعالى بها بصريحا في قوله
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا الآية وقوله تعالى وقولوا للناس حسنا أي كنوهم طيبا وليسوا لهم جالبا
وبدخل في ذلك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعروف كما قال الحسن البصري في قوله تعالى وقولوا للناس حسنا فالحسن

من القول يا امر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحلم ويعفو ويصفح ويقول للناس حسنا كما قال الله وهو كل خلق حسنت رضيه الله وقال الامام أحمد حدثنا روح حدثنا أبو عامر الخراز عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تحقرن من المعروف شيئا وان لم تجد فالحق أحوال بوجه منطلق وأخرج مسلم في صحيحه والترمذي وصححه من حديث أبي عامر الخراز واسمه صالح بن رستم به وناسب ان يأمرهم بأن يقولوا للناس حسنا بعد ما أمرهم بالاحسان اليهم بالعدل فجمع بين طرفي الاحسان الفعلي (٢٠٥) والقولي ثم كذا الامر بعبادته والاحسان

الى الناس بالمعنيين من ذلك وهو الصلاة والزكاة فقال وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأخبرناهم قولوا عن ذلك كله أى تركوه وراء ظهورهم وأعرضوا عنه على عمد بعد العلم به الا القليل منهم وقد أمر الله هذه الامة بتطير ذلك في سورة النساء بقوله وأعبدا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا فقامت هذه الامة من ذلك بهيكل يقوم به أمة من الامم قبلها والله الجد والمنة ومن النقول الغريبة ههنا ما ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره حدثنا أبي حدثنا محمد بن خلف العسقلاني حدثنا عبد الله بن يوسف يعني التميمي حدثنا خالد بن صبيح عن حميد بن عتبة عن أسد بن وداعة انه كان يخرج من منزله فلا يلتقي يهوديا ولا نصرانيا الا سلم عليه فقبل له ماشا نك تسلم على اليهودي والنصراني فقال ان الله تعالى

ولا اعتداد بخلاف من خالف في ذلك فقد تواترت به الاحاديث الصحيحة ودلت عليه الآيات القرآنية ومثل هذه الآية قوله تعالى ولا تحسن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون وقد وردت أحاديث في أن أرواح الشهداء في أجواف طيور خضرتا كل من ثمار الجنة فمنها عن كعب بن مالك مرفوعا عند أحمد والترمذي وصححه النسائي وابن ماجه وروى ان أرواح الشهداء على صور طيور يرض كما أخرجه عبد الرزاق عن قتادة قال بلغنا فاذ كذلك وروى أنها على صور طيور خضرتا أخرجه ابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الايمان عن أبي العالمة والآية تنزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر وفيها دلالة على أن الأرواح جواهر قائمة بأنفسها مغايرة لما يحس من البدن تبقى بعد الموت دراية وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطق الآيات والسنة وعلى هذا تخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله تعالى وحزب البهجة والكرامة (ولنبأونكم بشي من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات) أى لختبرنكم والامام جواب القسم أى والله لنبأونكم بأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم والبلاء أصله المحنة أى فتحنكم لختبرنكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء أم لا ولينظر الطائع من العاصي والتكبر للتقليل أى بشي قليل من هذه الامور فان ما وقاهم عنه أكثر بالنسبة الى ما أصابهم بألف مرة فكذلك ما يصيبهم بمعاندتهم وانما أخبر به قبل الوقوع ليوطئوا عليه نفوسهم ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم له حسيبا أخبر به وليعلموا أنه شئ يسير له عاقبة محمودة والمراد بالخوف ما يحصل لمن يخشى من نزول ضرره من عدو أو غيره أو غيره وبالجموع الجماعة التي تحصل عند الجذب والقشط ونقص الاموال ما يحدث فيها بسبب الجوائح وما أوجبته الله فيها من الزكاة ونحوها عن رجا من حيوة قال يأتي على الناس زمان لا تحمل الخلقة فيه الاعرقة بنقص الانفس الموت والقتل في الجهاد ونقص الثمرات ما يصيبهم من الآفات وهو من عطف الخاص على العام لشمول الاموال للثمرات وغيرها وقال الشافعي في تفسير هذه الآية الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان ونقص الاموال اخراج الزكاة والصدقات ونقص الانفس بالامراض ونقص الثمرات موت الاولاد لان الوالدعة القلب وفي الحديث اذا مات ولد العبد قال الله ملائكة أقبضتم ولد عبدي قالوا نعم قال أقبضتم عمرة فؤاده قالوا

يقول وقولوا للناس حسنا وهو السلام قال وروى عن عطاء الخراساني نحوه (قلت) وقد ثبت في السنة أنهم لا يبدئون بالسلام والله أعلم (واذا أخذنا مناشا قكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقر رتم وأنتم تشهدون ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون من دياركم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان ياتوكم أسارى تفادوهم وهو حرم عليهم آخر اجمعهم أفقتون من بعض الكتاب وتكفرون بعض فاجراء من يفعل ذلك منكم الاخرى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون)

يقول تبارك وتعالى منكر اعلی اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وما كانوا يعاونونه من القتال مع الاوس والخزرج وذلك ان الاوس والخزرج وهم الانصار كانوا في الجاهلية عباداً لصنم وكانت بينهم حروب كثيرة وكانت يهود المدينة ثلاث قبائل بنو قينقاع وبنو النضير وحلفاء الخزرج وبنو قريظة حلفاء الاوس فكانت الحرب اذا نشبت بينهم قاتل كل فريق مع حلفائه فيقتل اليهودي أعداءه وقد يقتل اليهودي الآخر من الفريق الآخر وذلك حرام عليهم في دينهم ونص كتابهم ويخرجونهم من بيوتهم وينتقمون ما فيهم من (٢٠٦) الاثاث والامتنعة والاموال ثم اذا وضعت الحرب اوزارها استقوا

نعم قال فماذا قال قالوا الحمد واسترجع قال ابناؤا له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد أخرجه الترمذي عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً وقال حديث حسن ولكن اللفظ القرآني أوسع مما قال وأعم منه فلا يخص بشيء دون غيره (وبشر الصابرين) أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول كل من يقدر على التبشير وقد تقدم معنى البشارة والصابر أصله الحبس والجللة عطف على وليلونكم عطف المضمون على المضمون أي الابتلاء حاصل لكم وكذا البشارة لكن ابن صبر قاله سعد التفتازاني (الذين اذا أصابهم مصيبة) المصيبة واحدة المصائب وهي النكبة التي يتأذى بها الانسان وان صغرت (قالوا) أي باللسان والقاب لا باللسان فقط فان التلفظ بذلك مع الجزع قبيل وسخط للقضاء وذلك ان تصور ما خلق لاجله وانه يرجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليري أن ما أتى الله عليه أضعاف ما استرده منه فيؤمن عليه ويستسلم (ان الله وانا اليه راجعون) في الآخرة فيجازيها وصفهم بأنهم المسترجعون عند المصيبة لان ذلك تسليم ورضا وفيه بيان أن هذه الكلمات ملجأ للصائين وعصمة للممتحنين فانها جامعة بين الاقرار بالعبودية لله والاعتراف بالبعث والنشور والرجوع والتفويض الى الله والرضا بكل ما نزل به من المصائب وفي الحديث من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبتيه وأحسن عقابه وجعل له خلفاً صالحاً راضاه وأخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطيت أمتي شيئاً لم يعطه أحد من الامم أن يقولوا عند المصيبة ان الله وانا اليه راجعون ألا تسمع الى قول يعقوب عند فقد يوسف يا أسفا على يوسف وقد ورد في فضل الاسترجاع عند المصيبة أحاديث كثيرة (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) الصلاة هنا المغفرة قاله ابن عباس أو الثناء الحسن قاله الزجاج وعلى هذا فذكر الرجة لقصد التأكد وقال في الكشف الصلاة الرجة والتعطف فوضعت موضع الرافة ورجع بينها وبين الرجة كقوله رافة ورجة روف رحيم والمعنى عليهم رافة بعد رافة ورجة بعد رجة انتهى وعبر عن المغفرة بلفظ الجمع للتبني على كثرتها وتنوعها قاله البضاوي وأبو السعود وقيل المراد بالرجة كشف الكربة وقضاء الحاجة وانما وصفوا هنا بذلك لكونهم فعلاً ما فيه الوصول الى طريق الصواب من الاسترجاع والتسليم (وأولئك هم المهتدون) يعني الى الاسترجاع وقيل الى الجنة وقيل الى الحق والصواب وقال عمر بن الخطاب نعم

الاسارى من الفريق المغلوب عملاً بحكم التوراة ولهذا قال تعالى أقتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ولهذا قال تعالى واذا أخذنا منكم ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم أي لا يقتل بعضكم بعضاً ولا يخرجهم من منزله ولا يظاھر عليه كما قال تعالى فتوبوا الى ربكم فاقبلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند ربكم وذلك أن أهل الملة الواحدة بمنزلة النفس الواحدة كما قال عليه الصلاة والسلام مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصليهم بمنزلة الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسبح والسم و قوله تعالى ثم أقررتم وأنتم تشهدون أي ثم أقررتم بمعرفته هذا الميثاق وصحته وأنتم تشهدون به ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم الآية قال محمد بن اسحق بن يسار حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبيرة وعكرمة عن ابن عباس ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون

العدلان

فريقاً منكم من ديارهم الآية قال أنباهم الله بذلك من فعلهم وقد حرم عليهم في التوراة سفك دماهم واقترض عليهم فيها فداء أسراهم فكانوا فريقين طائفة منهم بنو قينقاع وهم حلفاء الخزرج والنضير وقريظة وهم حلفاء الاوس فكانوا اذا كانت بين الاوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج والنضير وقريظة مع الاوس يظاھر كل واحد من الفريقين حلفاءه على اخوانه حتى تسافكوا دماءهم بينهم وبايديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم والافس والخزرج أهل شر لم يعبدوا الاوثان ولا يعرفون الجنة ولا ناراً ولا بعثاً ولا قيامة ولا كتاباً ولا خلا ولا حراماً فاذا وضعت

امن أسرا هم قیادی

كانت قريظة حلفاء الاوس وكانت

قرينة وحلفاءها ويغلبونهم فيخربون

رجل من الفريقين كلاهما

العرب بذلك و يقولون كيف

ان نفديهم وحرّم علينا قتالهم قالوا

تَسْمَلُ حُلُمًا وَنَافِلًا حِينَ عَرِشِهِم

انتم هؤلاء اتقوا انفسكم

الآية وقال أسباط عن السدي

قیس بن الخطیم اسماء ہولاء

منهم من ديارهم الى به وفان
الى الامم والاعمال

قال عرو وناصح
الاهل والناس

التي هي في الحقيقة منهن ما بها

عَلَيْهِ قَالُوا ادْنِ مِنْهُ فَوَدَّ أَنْ يَنْتَحِبَهُ أَفِي

وَقَالَ آدَمُ يَا آدَمُ اأَمْسِكْ عَلَيْكَ زِينَةَكَ وَكُلْ وَشَرِّبْ وَاسْكُنْ أَهْلَكَ الْجَنَّةَ وَلَا تَخْرُجْ مِنْهَا وَلَا تَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ

وَاللّٰهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۚ لَا يُدْرِكُ الْبَصَرُ شَيْئًا وَلَا يَحِيطُ بِشَيْءٍ مِّنْ حَيْثُ يَنْزِلُ السَّمَاءُ سَاقِطًا ۚ ذَٰلِكُمْ مَّا تُفَاهَتُونَ ۚ

قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَادْعُ اللَّهَ وَأَجِبْ لَهُ
قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَادْعُ اللَّهَ وَأَجِبْ لَهُ

قَالَ أَنْتَ عَبْدُ اللَّهِ: سَلَا قَالَ: قَالُوا: فَأَبَا دَاوُدَ أَلَا فَاخَذَ عَبْدُ اللَّهِ أَلْفَ: وَرَدَّ عَلَيْهِ أَلْفَ

يحدثنا أبو جعفر يعنى الرازى حدثنا الربيع بن أنس أخبرنا أبو العالبة أن عبد الله بن سلام مر على رأس الحائض بالكوفة وهو
يزادى من النساء لم يقع عليه العرب ولا يهادى من وقع عليه العرب فقال عبد الله أما إنه مكتوب عندك في كتابك أن تفاديهن
كلهن والذي أريدت إليه الآية الكريمة وهذا السباق ذم أي هو في قيامهم بأمر التوراة التي يعترفون بحتمها ومخالفتهم شرعها مع
معرفتهم بذلك وشهادتهم بها بالحق فلهذا الإيؤتمنون على ما فيها ولا على نقلها ولا يصدقون فيما كتبه من صفته رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونفعه ومبعثه وخبرجه ومباجره (٢٠٨) وغير ذلك من شؤبه التي أخبر بها الانبياء قبل عليهم الصلاة والسلام

الطاعة كانوا يعبدونها وكان من أهلها يخرج أن يطوف بالصفا والمروة في الجاهلية
 نازل الله أن الصفا والمروة الآية قالت عائشة ثم قد بين رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم الطواف بهما فليس لاحد أن يدع الطواف بهما وأخرج مسلم وغيره عنها أنها
 قالت لعمرى ما أتم الله حج من لم يسع بين الصفا والمروة ولا عمرته لان الله قال ان الصفا
 والمروة من شعائر الله وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال سئل رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم فقال ان الله كتب عليكم السعي فاسعوا وأخرج أحمد في مسنده
 والشافعي وابن سعد وابن المنذر وابن قانع والبيهقي عن حبيبة بنت أبي تيمزة قالت
 رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يطوف بين الصفا والمروة والناس بين يديه
 وخوفاً هم يسعي حتى أرى ركبتيه من شدة السعي يدور بهما ازاره وهو يقول اسعرا
 فان الله عز وجل كتب عليكم السعي ويؤيد ذلك حديث خذوا عني مناسككم
 واختار الشوكاني في جميع مؤلفاته الوجوب وهو الراجح (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من

اليمنات واليهدي من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون
فيه اخبار بأن الذي يكتم ذلك ملعون وفيه دليل على جواز لعن الكافر بعد موته خلافا
لمن قال انه لا فائدة له واختلفوا من المراد بذلك فقيل أحبار اليهود ورجل النصارى
الذين كتموا أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد روى عن جماعة من السلف ان
الآية نزلت في أشهل الكتاب لكتهم نبوة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وآية الرجم
وغيرها من الاحكام التي كانت في التوراة وقيل كل من كتم الحق وترك بيان
ما أوجب الله بانه هو الراسخ لان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما تقرر في
الاصول فعلى فرض أن سبب النزول ما وقع من اليهود والنصارى من الكتم فلا ينافي ذلك
تناول هذه الآية لكل من كتم الحق وفي هذه الآية من الوعيد الشديد ما لا يتقدر قدره
فان من لعنه الله ولعنه كل من يأتي منه اللعن من عباده قد بلغ من الشقاوة والخسران
الى الغاية التي لا تلحق ولا يدركها وفي قوله من اليمنات واليهدي دليل على أنه يجوز
كتم غير ذلك كما قال أبو هريرة حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وعاين أماً أحدهما قبضته وما الآخر فلا يثبت قطع هذا البلعوم أخرجه البخاري
والصغير في بيناه راجع الى ما أثرنا في الكتاب اسم جنس وتعرفه يفيد شموله لجميع الكتب

واليهود عليهم لعائن الله يتكاثرون
بينهم ولهذا آذال تعالى فاجراء من
يفعل ذلك منكم الاخرى في الحياة
الدنيا أى بسبب مخالفتهم شرع الله
وأمره ويوم القيامة يردون الى
أشد العذاب جزاء على مخالفتهم
كتاب الله الذى بأيديهم وما الله
بغافل عما يعملون أولئك الذين
اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة أى
استحبوها على الآخرة واختاروها
فلا يخفف عنهم العذاب أى لا يفتر
عنهم ساعة واحدة ولا هم ينصرون
أى وليس لهم ناصر ينقذهم مما هم
فيه من العذاب الدائم السرمى
ولا ينجيهم منه (ولقد آتينا موسى
الكتاب وقضينا من بعده بالرسول
وآتينا عيسى بن مريم البينات
وايدنا بروح القدس أفكلمنا جاءكم
رسول بما لا تهوى أنفسكم
استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا
تقتلون) ينعت تبارك وتعالى بنى
اسرائيل بالعنوة والعناد والمخالفة
والاستكبار على الانبياء وانهم انما
يتبعون أهواءهم فذكر تعالى انه
آتى موسى الكتاب وهو التوراة
فخرفوا وابدلوا ما واصلوا وأمرها

وأولها وأرسل الرسل والنبيين من بعده الذين يحكمون بشريعته كما قال تعالى أنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها وقيل
النبيون الذين أسماهم الذين هادوا والربانيون والاحبار بما استمضوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء الآية ولهذا قال تعالى وقضينا
من بعده بالرسول قال السدي عن أبي مالك أشبعنا وقال غيره أردفنا والكل قريب كما قال تعالى ثم أرسلنا رسلا تترى حتى ختم أنبياء
بنى إسرائيل بعيسى بن مريم فجاء بمخالفه التوراة في بعض الأحكام ولهذا أعطاه الله من بينات وهى المعجزات قال ابن عباس
من أحياء الموتى وخلقهم من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرا بإذن الله وأبراء الاسقام وأخباره بالغيوب وتأييده بروح

القدس وهو جبريل عليه السلام ما يدهم على صدقه فيما جاءهم به فاشتد تكذيب بني اسرائيل له وحسددهم وعنادهم لمخالفة التوراة في البعض كما قال تعالى اخبارا عن عيسى ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم وحثكم بآية من ربكم الآية فكانت بنو اسرائيل تعامل الانبياء أسوأ المعاملة ففريقا يكذبونه وفريقا يقتلون وما ذاك الا لانهم ياتونهم بالامور المخالفة لاهوائهم وآرائهم وبالالزام باحكام التوراة التي قد تصرفوا في مخالفتها فلماذا كان ذلك يشق عليهم فكذبوهم وربعوا قتلوا بعضهم ولهذا قال تعالى أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم (٢٠٩). وفريقا يقتلون والدليل على ان

روح القدس هو جبريل كما نص عليه ابن مسعود في تفسير هذه الآية وتابعه على ذلك ابن عباس ومحمد بن كعب واسماعيل بن خالد والسدي والربيع بن أنس وعطية العوفي وقنادة مع قوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين ما قال البخاري وقال ابن أبي الزناد عن أبيه عن أي هريرة عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع لسان ابن ثابت منه برافى المسجد فكان ينافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أيد حسان بروح القدس كما نافع عن نبيك فهذا من البخاري تعليقا وقد رواه أبو داود في سننه عن ابن سيرين والترمذي عن علي بن حجر واسماعيل بن موسى الزاري ثلاثتهم عن أبي عبد الرحمن ابن أبي الزناد عن أبيه وهشام بن عروة كلاهما عن عروة عن عائشة به قال الترمذي حسن صحيح وهو حديث أبي الزناد وفي الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن

وقيل المراد به التوراة واللحن الابعاد والطرود والمراد بقوله اللاعنون الملائكة والمؤمنون قاله الزجاج وغيره ووجه ابن عطية وقيل كل من يتأق منه اللعن فيدخل في ذلك الجن والانس وقال ابن عباس جميع الخلائق الا الجن والانس وقيل هم الانس والجن وقيل ما تلاعن اثنان من المسايين الاربعين الى اليهود والنصارى الذين كتموا صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأحكام التوراة والانجيل وقيل هم الحشرات والبهائم ويؤيد ذلك ما أخرجه ابن ماجه وابن المنذر وابن أبي حاتم عن البراء بن عازب قال كنا في جنازة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان الكافر يضرب ضربة بين عينيه فسمعه كل دابة غير النقلين فتلعنه كل دابة سمعت صوته فذلك قول الله تعالى ويلعنهم اللاعنون يعنى دواب الارض وعن مجاهد اذا أجذبت البهائم رعت على جفاري بن آدم وعنه ان دواب الارض والعقارب والخنافس يقولون انما نلعننا القطر بذنوبهم فيلعنونه وعن أبي جعفر فيلعنهم كل شئ حتى الخنفساء وقد وردت أحاديث كثيرة في النهي عن كتم العلم والوعيد لقتله وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال لو لا ايمان أنزلها الله في كتابه ما حدثت شيئا أبدا ان الذين يكتمون الآية وقوله واذا أخذ الله مشاق الذين أتوا الكتاب ليعيننه للناس ولا تكتمونه الى آخرها وهل اظهرها علوم الدين فرض كفاية أو فرض عين فيه خلاف والاصح انه اذا أظهرها للبعض بحيث يتمكن كل واحد من الوصول اليه لم يبق مكتوما وقيل متى سئل العالم عن شئ يعلمه من أمر الدين يجب عليه اظهاره والا فلا وفي الآية دليل على وجوب قبول قول الواحد لانه لا يجب عليه البيان الا وقد وجب قبول قوله (الا الذين تابوا وأصلحو وينوا) فيه استثناء التائبين الى ارجع من الكفر الى الاسلام والمصلحين لما قد من أعمالهم والمبينين للناس ما بينه الله في كتبه وعلى ألسن رساله قال قتادة أصلحو ما بينهم وبين الله وبينوا الذي جاءهم من الله ولم يكتموه ولم يحجده (فالولئك أتوب عليهم) يعنى اجتباوز عنهم وأقبل توبتهم قاله سعيد بن جبير (وأنا التواب) أى المتجاوز عن عبادى الرجاء بقولهم المنصرفه عنى الى (الرحيم) بهم بعد اقبالهم على والجملة اعتراض تذييل محقق لمضمون ما قبله والافتات الى التكلم للفتن في النظم الكريم مع ما فيه من التلوخ والرمز الى ما مر من اختلاف المبدأ في فعلية تعالى السابق وهو اللعن واللاحق وهو الرحمة

(٢٧ ل - فتح البيان) أبي هريرة أن عمر بن الخطاب مر بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد فحفظ اليه فقال قد كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك ثم التفت الى أبي هريرة فقال أنشدك الله أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أجب عنى اللهم أيده بروح القدس فقال اللهم نعم وفي بعض الروايات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان اهجهم أو هاجهم وجبريل معك وفي شعر حسان قوله وجبريل رسول الله فينا * وروح القدس ليس به خفاء وقال محمد بن اسحق حدثني عبد الرحمن بن أبي حسين المكي عن شهر بن حوشب الاشعري ان نقر من اليهود سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أخبرنا عن الروح فقال

أنشدكم بالله وبأيمه عندى إسرائيل هل تعلمون انه جبرائيل وهو الذى يأتىنى قالوا نعم وفى صحيح ابن حبان عن ابن مسعود
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان روح القدس نفث فى روعى انه ان تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها فأتقوا الله
وأجملوا فى الطلب * أقوال آخر قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا من جابر بن الحرث حدثنا بشر عن أنس بن روق عن النخعي عن
ابن عباس وأيدنا بروح القدس قال هو الاسم الأعظم الذى كان عيسى يحيى به الموقى وقال ابن جرير حدثت عن المنجاب فذكر
وقال ابن أبي حاتم وروى عن سعيد بن جبير (٢١٠) نحو ذلك ونقله القرطبي عن عبيد بن عمير أيضاً قال وهو الاسم الأعظم

وقال ابن أنس في صحيح الروح هو حافظة
على الملائكة وقال أبو جعفر
الرازى عن الربيع بن أنس القدس
هو الرب تبارك وتعالى وهو قول
كعب وحكى القرطبي عن مجاهد
والحسن البصرى أنهم ما قالوا
القدس هو الله تعالى وروحه
جبريل فعلى هذا يكون القول
الأول وقال السدي القدس
البركة وقال العوفي عن ابن عباس
القدس الطهر وقال ابن جرير
حدثنا يونس بن عبد الأعلى أن
ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله
تعالى وأيدناه بروح القدس قال
أيد الله عيسى بالانجيل روحاً كما
جعل القرآن روحاً كلاهما روح
من الله كما قال تعالى وكذلك أوحينا
إليك روحاً من أمرنا ثم قال ابن
جرير وأولى التأويلات فى ذلك
بالصواب قول من قال الروح فى
هذا الموضع جبرائيل فان الله تعالى
أخبر أنه أيد عيسى به كما أخبر فى
قوله تعالى اذ قال الله يا عيسى بن
مريم اذكر نعمتى عليك وعلى
والدك اذ أيدتك بروح القدس
تكلم الناس فى المهدوكهلا واذ

(ان الذين كفروا) بالكفر وغيره (وما تآوواهم كفاراً) بجله حالته واثبات الواو فيها
أفصح خلافاً لمن جعل حذفها شاذاً وهو الزنجشري تبعاً للفرأ وقد استدل بذلك على
انه لا يجوز لعن كافر معين لان حاله عند الوفا لا يعلم ولا ينافى ذلك ما ثبت عند صلى الله
عليه وآله وسلم من اعنه لقوم من الكفار باعيا منهم لانه يعلم بالروحى ما لا يعلم وقيل يجوز
لعنه عملاً بظاهر الحال كما يجوز قتاله واستدل بقوله (أولئك عليهم لعنة الله والملائكة)
على جواز لعن الكفار على العموم قال القرطبي ولا خلاف فى ذلك قال وليس لعن
الكافر بطريق الزجر له عن الكفر بل هو جزاء على الكفر واطهار فنج كفرة سواء كان
الكافر عاقلاً أو مجنوناً وقال قوم من السلف لا فائدة فى لعن من جن أو مات منهم
لا بطريق الجزاء ولا بطريق الزجر قال ويدل على هذا القول ان الآية دالة على الاخبار
عن الله والملائكة والناس بلعنهم لا على الامر به قال ابن العربي ان لعن العاصي
المعين لا يجوز باتفاق لما روى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتى بشارب خمر مراً فقال
بعض من حضر لعنه الله ما أكثر ما يشربه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تكونوا
عونا للشيطان على أخيكم والحديث فى الصحيحين (والناس أجمعين) قبل هذا يوم
القيامة وأما فى الدنيا فى الناس المسلم والكافر ومن يعلم بالعاصى ومعصيته ومن
لا يعلم فلا يتأتى اللعن له من جميع الناس وقيل فى الدنيا والمراد انه يلعنه غالب الناس
أو كل من علم بمعصيته منهم عن أبي العباس قال ان الكافر يوقف يوم القيامة فيأعنه
الله ثم يلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس أجمعون وقال قتادة يعنى بالناس أجمعين المؤمنين
(خالد بن فيما) أى فى النار وقيل فى اللعنة وانما أضمرت لعنهم شأنها (لا تحق عنهم
العذاب ولا هم يتظرون) فيعتذرون قاله أبو العباس وقال ابن عباس لا يؤخرون
والانظار الامهال وقيل معناه لا يتظر الله اليهم فهو من النظر وقيل هو من الانتظار
أى لا ينتظرون ليعتذروا (واللهكم الله واحد) أى لا شريك له فى الألوهية ولا نظيره فى
الربوبية والتوحيد هو فى الشريك والقسم والشبه فالتعالى واحد فى أفعاله
لا شريك له يشاركه فى مصنوعاته وواحد فى ذاته لا قسم له وواحد فى صفاته لا شبهة شئ
من خلقه (لا اله الا هو) تقرير للوحدانية بقى غيره من الألوهية واثباته (الرحمن
الرحيم) وقد تقدم تفسيرهما وقبه الارشاد الى التوحيد وقطع العلائق والاشارة الى ان

علمت الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل الآية فقد كراهه أيد به فلو كان الروح اسى أيد به عموماً لانجيل لكان قوله
واذ أيدتك بروح القدس واذ علمت الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل تكرير قول لا معنى له والله سبحانه وتعالى أعز وأجل ان
يخطب عباده بما لا يمدحهم به (قلت) ومن الدليل على انه جبرائيل ما تقدم من أول السياق والله الحمد وقال الزنجشري بروح
القدس بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجودور رجل صدق ووصفها بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب
تكرمة وقيل لأنه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوائف وقيل بجبريل وقيل بالانجيل كما قال فى القرآن روحاً من أمرنا وقيل باسم

الله الاعظم الذي كان يحيى الموتى بذكره فممن كلامه قولوا احرزوا ان المراتد روح عيسى نفسه المهدسة المنظيرة وقال الزنجبيري في قوله تعالى ففريقا كذبتهم وفريقا تقاتلون انهم لم يقاتلوا لانهم اراد بذلك وصفهم في المستقبل أيضا لانهم حاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم بالسلم والسحر وقد قال عليه السلام في مرض موته ما زالت أكلة خمر تعادني فهذا أو انقطاع أبهرى قلت وهذا الحديث في صحيح البخاري وغيره (وقالوا قلوا بناعف بل لعنهم الله بكفرهم فقتلوا ما يؤمنون) قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد عن ابن عباس (وقالوا قلوا بناعف) (٢١١) غلف أي في أكمة وقال علي بن أبي طلحة

عن ابن عباس وقالوا قلبونا غلاف
أى لاتفقه وقال العوفى عن ابن
عباس وقالوا قلبونا غلاف هب
لقلوب المطبوع عليها وقال مجاهد
وقالوا قلبونا غلاف اغشاة وقال
عكرمة عليها طابع وقال أبو
العالبة أى لاتفقه وقال السدى
يقولون عليها غلاف وهو الغطاء
وقال عبد الرزاق عن معمر عن
قتادة فالتعوى لاتفقه قال مجاهد
وقتادة وقرأ أن عباس غلف بضم
اللام وهو جمع غلاف أى قلبونا
أوعية لكل علم فلا تحتاج الى علمك
قاله ابن عباس وعطاء بل لعنهم الله
بكفرهم أى طردهم الله وأبعدهم
من كل خير فقله لا يؤمنون قال
قتادة معناه لا يؤمن منهم الا القليل
وقالوا قلبونا غلاف هو كقوله وقالوا
قلبونا فى أكنة مما تدعونا اليه
وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم
فى قوله غلاف قال تقول قلبى فى
غلاف فلا يخلص اليه مما تقول
شئ وقرأوا وقالوا قلبونا فى أكنة مما
تدعونا اليه وهذا الذى رجع به ابن
جرير واستشهد به ما روى من
حديث عمرو بن مرة الجلى عن أبى

أول ما يجب بانه هو بحر كتمانته هو أمر التوحيد وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد والدارمي وأبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه عن أسماء بنت يزيد بن السكن عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين والهك الم واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم والم الله لا اله الا هو الحي القيوم وأخرج الديلمي عن أنس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ليس شيء أشد على حرمة الجن من هؤلاء الآيات التي في سورة البقرة والهك الم واحد الآيتين (ان في خلق السموات والارض) لما ذكر سبحانه التوحيد بقوله والهك الم واحد عقب ذلك بالدليل الدال عليه وهو هذه الامور الثمانية التي هي من أعظم صنعة الصانع الحكيم مع علم كل عاقل بانه لا يتهيأ من أحد من الآلة التي أثبتها الكفار ان يأتي بشيء منها أو يقتدر عليه أو على بعضه وهي خلق السموات وتعاقب الليل والنهار وجرى الفلك في البحر وانزال المطر من السماء وحياء الارض به وبث الدواب فيها بسببه وتصريف الرياح وتسخير السحاب فان من آمن نظره وأعمل فكره في واحد منها انبر له وضاق ذهنه عن تصور حقيقته وتحتم عليه التصديق بان صانعه هو الله سبحانه واتماجم السموات لانها أجناس مختلفة كل سماء من جنس غير جنس الاخرى ووحدة الارض لانها كلها من جنس واحد وهو التراب والآية في السماء سمكها وارتفاعها غير معد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والآية في الارض مددها وبسطها على الماء وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والخواهر والانهار والاشجار والثمار والنبات (واختلاف الليل والنهار) تعاقبهما باقبال احدهما وادبار الآخر واطلاق الاثر وقيل في الطول والقصر والزيادة والنقصان قال ابن الخطيب وعندى فيه وجه ثالث هو انهما كما يختلفان في الزمة فهما يختلفان في الامكنة فان من يقول ان الارض كرة فكل ساعة عينها فتلك الساعة في موضع من الارض صبح وفي موضع آخر ظهر وفي آخر عصر وفي آخر غروب وفي آخر عشاء وهم جرا هذا اذا اعتبرنا البلاد المختلفة في الطول أما البلاد المختلفة في العرض فكل بلد يكون عرضه للشمس أكثر كانت أيامه الصيفية أطول وأيامه الشتوية بالصد من ذلك فهذه الاحوال المختلفة في الايام والليالي بحسب اختلاف اطوال البلاد وعروضها أمر عجيب قاله الكرخي وانما قدم الليل على النهار لان الظلمة أقدم قال

البحري عن حذيفة قال القلوب أربعة فذكر منها وقلب أغلف مغضوب عليه وذالك قلب الكافر وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الرحمن العزمي أن أبا أيوب عن جدي عن قتادة عن الحسن في قوله قلب أغلف قال لم تحتث وهذه القول يرجع معناه إلى ما تقدم من عدم طهارة قلوبهم وإنما بعيدة من الخير * قول آخر قال الضحالة عن ابن عباس وقالوا قلب أغلف قال يقولون قلب أغلف مملوء لا تحتاج إلى علم محمد ولا غيره وقال عطية العوفي عن ابن عباس وقالوا قلب أغلف أي أوعية للعلم وعلى هذا المعنى جاءت قراءة بعض الأنصار فيها حكاه ابن جرير وقالوا قلب أغلف بضم اللام نقلها الزحشري أي جمع غلاف أي أوعية بمعنى

انهم ادعوا ان قلوبهم مملوءة بعلم لا يحتاجون معه الى علم آخر كما كانوا يقولون بعلم التوراة وله هذا قال تعالى بل لعنهم الله بكفرهم فقل لا ما يؤمنون أى ليس الامر كما ادعوا بل قلوبهم مملوءة مطبوع عليها كما قال في سورة النساء وقولهم قلوبنا غفل بل طبوع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وقد اختلفوا في معنى قوله فقل لا ما يؤمنون وقوله فلا يؤمنون الا قليلا فقال بعضهم فقليل من يؤمن منهم وقيل فقليل ايمانهم بمعنى انهم يؤمنون بما جاءهم به موسى من امر المعاد والثواب والعقاب ولكنهم ايمان فقليل من يؤمن منهم وقيل فقليل ايمانهم بمعنى انهم يؤمنون بما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم انما كانوا غير مؤمنين بشئ لا ينفعهم لانه مغمور بما كفروا به من الذي (٢١٢)

تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار وهذا أصبح القولين وقيل النور سابق الظلمة ويبنى على هذا الخلاف فائدة وهي ان الليلة هل هي تابعة لليوم قبلها أو لليوم بعدها فعلى القول الصحيح تكون الليلة لليوم بعد ما فيكون اليوم تابعاً لها وعلى القول الثاني تكون لليوم قبلها فتكون الليلة تابعة ليوم عرفة على القول الاول مستثنى من الاصل فانه تابع لليلة بعده وعلى الثاني جاء على الاصل والآية فيهما أن انتظام أحوال العباد بسبب طلب الكسب والمعيشة يكون في النهار وطلب النوم والراحة يكون بالليل فاختلافهما انما هو لتخصيل مصالح العباد والنهار ما بين طلوع الفجر الى غروب الشمس وقال النضر بن شميل أول النهار طلوع الشمس ولا يعتد ما قبل ذلك من النهار وكذا قال ثعلب والزجاج وقسم ابن الانباري الزمان الى ثلاثة أقسام قسم ما جعله الله ليلاً لا محضا وهو من غروب الشمس الى طلوع الفجر وقسم ما جعله نهاراً محضاً وهو من طلوع الشمس الى غروبها وقسم ما جعله مشتركاً بين النهار والليل وهو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس لمتابا لظلمة الليل ومبادئ ضوء النهار وهذا باعتبار مصطلح أهل اللغة وأما في الشرع فالكلام في ذلك معروف (والفلك التي تجرى في البحر) وهي السفن وافراده وجعه بلفظ واحد وهو هذا يذكر ويؤث قال تعالى في الفلك المشحون والفلك التي تجرى في البحر وقال حتى اذا كنتم في الفلك وجرى بينهم وقيل واحدة فلك بالبحر يك مثل أسد وأسند والآية في الفلك تسخيرها وجرى بينهم على وجه الماء وهي موقرة بالاثقال والرجال فلا ترسب وجرى بينهم بالريح مقبلة ومدمرة وتسخير البحر لجل الفلك مع قوة سلطان الماء وهيجان البحر فلا ينبغي منه الا الله تعالى (بما يفتح الناس) يعني ركوبها والجل عليها في التجارات لطلب الارباح والآية في ذلك ان الله لو لم يقو قلب من يركب هذه السفن لماتت الغرض في منافعهم وأيضاً فان الله خص كل قطر من اقطار العالم بشئ معين وأخرج الكل الى الكل فصار ذلك سبباً يدعوهم الى اقتحام الاخطار في الاسفار من ركوب السفن وخوف البحر وغير ذلك فالعامل ينتفع لانه يرجع والمحمول اليه ينتفع بما حمل اليه (وما أنزل الله من السماء من ماء) أى المطر الذي به حياة العالم واخراج النبات والارزاق (فأحيى به الارض) أى اظهر نضارتها وحسنها (بعد موتها) أى بعد يئسها وجذبها سمها موتها تجازوا والآية في هذين ان الله جعل له سبباً لحياء الجميع من حيوان ونبات ونزوله

وانما قال فقل لا ما يؤمنون وهم بالجميع كفرون كما تقول العرب قلما رأيت مثلاً هذا فقط تريد ما رأيت مثل هذا فقط وقال الكسائي تقول العرب من زنى بارض فلما ثبتت أى لا ثبتت شيئاً حكاه ابن جرير رحمه الله والله أعلم (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) يقول تعالى ولما جاءهم يعني اليهود كتاب من عند الله وهو القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم مصدق لما معهم يعني من التوراة وقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا أى وقد كانوا من قبل محبي هذا الرسول بهذا الكتاب يستنصرون بحجته على أعدائهم من المشركين اذا قاتلوههم يقولون انه سبيعت نبى في آخر الزمان نفتلكم معه قتل عاد وارم كما قال محمد بن اسحق عن عاصم بن عمرو بن قتادة الانصارى عن أشياخ منهم قال فينا والله وفيهم يعني في الانصار وفي اليهود الذين كانوا جيرانهم من زلات

هذه القصة يعني ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم هذه القصة كفروا به قالوا كما قد علمنا انهم قهرادهم في الجاهلية ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب وهم يقولون ان نبيا سبيعت الآن تتبعه قد أظلم زمانه فقتلكم معه قتل عاد وارم فلما بعث الله رسوله من قريش واتبعناه كفروا به يقول الله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وقال الخليل عن ابن عباس في قوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا قال يستنصرون يقولون نحن نعين محمد اعلمهم وليسوا كذلك بل يكذبون وقال محمد بن اسحق أخبرني محمد بن أبي محمد أخبرني بكرمة

أوسعيد بن جبير عن ابن عباس انهم ود كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداد بن سلمة معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل شرك وتجبروننا بأنه مبعوث وتصفونه بصفة فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير ما جاءني بشي نعرفه وما هو بالذي كان ذلك من قولهم ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم الآية وقال العوفي عن ابن عباس (٢١٣) وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا

يقول يستنصرون بخروج محمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب يعني بذلك أهل الكتاب فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم ورأوه من غيرهم كفروا به وحسدوه وقال أبو العالسة كانت اليهود تستنصر بمحمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب يقولون اللهم ابعث هذا النبي الذي ننبهه مكتوبا عندنا حتى نعذب المشركين ونقتلهم فلما بعث الله محمد صلى الله عليه وسلم ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسدوا العرب وهم يعلمون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وقال قتادة وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا قالوا كانوا يقولون انه سيأتي نبي فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال مجاهد فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين قال هم اليهود (بئسما اشتروا به أنفسهم ان يكفروا بما أنزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فبأوبغضب على غضب

عذوق الحاجة اليه بمقدار المنفعة وعند الاستسقاء والدعاء وانزاله بمكان دون مكان (وبث فيها) أي في الأرض (من كل دابة) قال ابن عباس يريد كل ما دب على وجه الأرض من جميع الخلق من الناس وغيرهم والآية في ذلك ان جنس الانسان يرجع الى أصل واحد وهو آدم مع ما فيهم من الاختلاف في الصور والاشكال والالوان والالسننة والطباع والاخلاق والاصناف الى غير ذلك ثم يقاس على بني آدم سائر الحيوان والنبات والنشر والظاهر ان قوله بئس معطوف على قوله فاحيا لانهما أمران متسببان عن انزال المطر وقال في الكشف ان الظاهر عطفه على أنزل وقال أبو حيان لا يصح عطفه على أنزل ولا على أحيا والصواب أنه على حذف الموصول أي وما بئس وفيه زيادة فائدة وهو جعله آية مستقلة وحذف الموصول شائع في كلام العرب انتهى (وتصريف الرياح) أي ارسالها عقيما وملقحة وصرافا ونصارا وحلا كالجارية وباردة ولينة وعاصفة وقيل تصريفها في مهاجها جنوبا وشمالا ودورا وقبولا وصبابا ونكباء وهي التي تأتي بين مهجين وقيل تصريفها أن تأتي السفن الكبار بقدر ما تحملها والصغار كذلك ولا مانع من حمل التصريف على جميع ما ذكر وعن أبي بن كعب كل شيء في القرآن من الرياح فهي رحمة وكل شيء من الريح فهي عذاب وقد ورد في النهي عن سب الريح وأوصافها أحاديث كثيرة لا تعلق لها بالآية والآية في الريح انه جسم لطيف لا يمسك ولا يرى وهو مع ذلك في غاية القوة بحيث يقطع الشجر والصخر ويحرب البنيان العظيم وهو مع ذلك حياة الوجود فلو امكن طرفه عين لما كان كل ذي روح وأنتن ما على وجه الأرض (والسحاب المسخر بين السماء والأرض) أي الغيم المذلل سمي سحابا لان سحابه في الهواء وسحب ذين سحبا وتسحب فلان على فلان اجترأ والمسخر المذلل وسخره بعثته من مكان الى آخر وقيل تسخيره بثبوته بين السماء والأرض من غير عمد ولا علائق والاول اظهر والآية في ذلك أن السحاب مع ما فيه من الماء العظيمة التي تسيل منها الاودية العظيمة يتي معلقا بين السماء والأرض بالعلاقة تمسكه ولا دعامة تسيده وفيه آيات أخر لا تحصى في هذه الأنواع الثمانية دلالة عظيمة على وجود الصانع القادر المختار وانه الواحد في ملكه فلا شريك له ولا نظير وهو المراد بقوله والهيكم الله الواحد لا اله الا هو (آيات لقوم يعقلون) أي دلالات على وحدانيته سبحانه لمن ينظر بصره ويتفكر بعقله وانما جمع آيات لان في كل واحد

وللكافرين عذاب مهين) قال مجاهد بئسما اشتروا به أنفسهم يهود وشركاء بالباطل وكنان ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بان يبينوه وقال السدي بئسما اشتروا به أنفسهم يقول باعوا به أنفسهم يقول بئسما اعتاضوا لانفسهم فرضوا به وعدلوا اليه من الكفر بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم عن تصديقه وموازرتة ونصرته وانما جعلهم على ذلك البغي والحسد والكراهية لان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ولا حسد أعظم من هذا قال ابن اسحق عن محمد بن عكرمة وأوسعيد عن ابن عباس بئسما اشتروا به أنفسهم ان يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده أي ان الله جعله من غيرهم فبأوب

بغضب على غضب قال ابن عباس في الغضب على الغضب فغضب عليهم فيما كانوا ضيعوا من التوراة وهي معهم وغضب بكفرهم بهذا النبي الذي بعث الله اليهم (قلت) ومعنى ياوا الاستوجبوا واستحقوا واستقر واغضب على غضب وقال أبو العباس غضب الله عليهم بكفرهم بالأنجيل وعيسى ثم غضب الله عليهم بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وعن عكرمة وقتادة مثله قال السدي أما الغضب الأول فهو حين غضب عليهم في الجبل وأما الغضب الثاني فغضب عليهم حين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس (٢١٤) مثله وقوله تعالى وللكافرين عذاب مهين لما كان كفرهم سببه البغي

والخسدة ومنشأ ذلك التكبر قوبلوا بالاهانة والصغار في الدنيا والآخرة ثم قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين أي صاغرين حقيرين ذليلين راغبين وقد قال الامام أحمد حدثنا يحيى حدثنا ابن عجلان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس يعلمونهم كل شيء من الصغار حتى يدخلوا سجننا في جهنم يقال له بولس تعلمون نار الانيار يسبقون من طينة الخبال عصارة أهل النار (واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون) يقول تعالى واذا قيل لهم أي اليهود وأمثالهم من أهل الكتاب آمنوا بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوه واتبعوه قالوا نؤمن بما أنزل علينا أي

مما ذكر من هذه الانواع آيات كثيرة تدل على ان لها خالقاً مدبراً مختاراً (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) اظهار الاسم الجليل في مقام الانحصار لترتبة المهابة وتفخيم المضاف وابانة كمال قبح ما ارتكبوه ولما فرغ سبحانه من الدليل على وحدانيته أخبر أن مع هذا الدليل الظاهر المفسد لعظيم سلطانه وجليل قدرته وتفرده بالخلق قد وجد في الناس من يتخذ معه سبحانه نداً يعبدونه من الاصنام كذا قيل وقد تقدم تفسير الانداد مع ان هؤلاء الكفار لم يقتصروا على مجرد عبادة الانداد بل أحبوا حاجباً عنليماً وأفرطوا في ذلك افراطاً بالغ حتى صار حبهم لهذه الاوثان ونحوها ممتة كفا في صدورهم كتمسك حب المؤمنين لله سبحانه ويجوز ان يكون المراد كحبهم لله أي عبادة الاوثان قاله الزجاج وابن كيسان ويجوز ان يكون مبنياً للمفعول ومعناه كما يحب الله ويعظمه والاول أولى لقوله (والذين آمنوا أشد حبا لله) فانه استدرأ لما يفيد التشبيه من التساوي أي ان حب المؤمنين لله أشد من حب الكفار للانداد لان المؤمنين يخصون الله سبحانه بالعبادة والدعاء والكفار لا يخصون أصنامهم بذلك بل يشركون الله معهم ويعتفون بأنهم انما يعبدون أصنامهم ليقربوهم الى الله ويمكن ان يجعل هذه الجملة دليلاً على الثاني لان المؤمنين اذا كانوا أشد حبا لله لم يكن حب الكفار للانداد كحب المؤمنين لله وقيل المراد بالانداد هنا الرؤساء والكبراء أي يطيعونهم في معاصي الله ويقوى هذا الضمير في قوله يحبونهم فانه لمن يعقل ويقويه أيضاً قوله سبحانه عقب ذلك اذ تبرا الذين اتبعوا الآية والحب نقيض البغض والمحبة الارادة وقيل في معنى الآية غير ذلك واينار اظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتفخيم الحب والاشعار بعظمة (ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب) قرأ أهل مكة بالباء وأهل الشام بالفوقية والمعنى على الاولى لو يرى الذين ظلموا في الدنيا عذاب الاخرة تعلموا حين يرونه (أن القوة لله جمعا) قاله أبو عبيدة قال النحاس وهذا القول هو الذي عليه أهل التفسير انتهى وعلى هذا فالروية هي البصرية لا القلبية وروى عن محمد بن يزيد المبرد قال هذا التفسير الذي جاء به أبو عبيدة بعيد وليست عبارته فيه بالجيدة لانه يقدروا لو يرى الذين ظلموا العذاب فكأنه يجعله مشكوكا فيه وقد أوجب الله تعالى ولكن التقدير وهو الاحسن ولو يرى الذين ظلموا أن القوة لله ويرى بمعنى يعلم أي لو يعلمون حقيقة قوة الله وشدة عذابه قال

وجواب يكفينا الايمان بما أنزل علينا من التوراة والآنجيل ولا نقر الا بذلك ويكفرون بما وراءه يعني بما بعده وهو الحق ومصداق لما معهم أي وهم يعلمون أن ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم الحق مصداق لما معهم منصوباً على الحال أي في حال تصديقه لما معهم من التوراة والآنجيل فالجدة قائمة عليهم بذلك كما قال تعالى الذين آمنوا هم كايكفرون أنباءهم ثم قال تعالى فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين أي ان كنتم صادقين في دعواكم الايمان بما أنزل اليكم فلم تقتلوا الانبياء الذين جاءكم بتصديق التوراة التي بأيديكم والحكم بها وعدم نسخها وأنتم تعلمون صدقهم قتلوهم بغيا وعنادا واستكبارا على رسل الله

فلمستم تتبعون الا مجرد الاهواء والآراء والتشبهى كما قال تعالى أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففرقا كذبتم
وفريقا تقتلون وقال السدي في هذه الآية بعيرهم الله تبارك وتعالى قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مومنين وقال أبو
جعفر بن جرير قل يا محمد ليهود بني اسرائيل اذا قالت لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا تؤمن بما أنزل الله علينا لم تقتلون ان كنتم مومنين بما
أنزل الله أنبياء الله يا معشر اليهود وقد حرم الله في الكتاب الذى أنزل عليكم قتلهم بل أمركم باتباعهم وطاعتهم وتصديقهم وذلك من
الله تكذيب لهم في قولهم تؤمن بما أنزل علينا وتعيير لهم * ولقد جاءكم (٢١٥) موسى بالبينات أى بالآيات الواضحات

والدلائل القاطعات على انه رسول

الله والله لا اله الا الله والآيات البينات
هى الطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم والعصا واليد
وفرق البحر وظللمهم بالغمام والمن
والسلوى والخروج وغير ذلك من
الآيات التى شاهدوها ثم اتخذتم
العجل أى معبودا من دون الله فى
زمان موسى وأيامه وقوله من
بعده أى من بعد ما ذهب عنكم
الى الطور لما جاء الله عز وجل كما
قال تعالى واتخذ قوم موسى من بعده

من حلهم عجلا جسدا خوار

وأنتم ظالمون أى وأنتم ظالمون فى

هذا الصنيع الذى صنعوه من

عبادتكم العجل وأنتم تعلمون انه

لا اله الا الله كما قال تعالى ولما سقط

فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا

لئن لم يرجعنا ربنا يغفر لنا لكوننا

من الخاسرين (واذا أخذنا ميثاقكم

ورفعنا فوقكم الطور أخذوا

ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا

وعصينا وأشرىوا فى قلوبهم العجل

بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم

ان كنتم مومنين) بعد سجده وتعالى

عليهم خطأهم وخالفتم للميثاق

وعتوهم واعراضهم عنه حتى رفع الطور عليهم حتى قبضوه ثم خالفوه ولهذا قالوا سمعنا وعصينا وقد تقدم تفسير ذلك وأشرىوا فى

قلوبهم العجل بكفرهم قال عبد الرزاق عن قتادة وأشرىوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قال اشربوا حبه حتى خلص ذلك الى

قلوبهم وكذا قال أبو العالية والربيع بن أنس وقال الامام أحمد حدثنا عصام بن خالد حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني

عن خالد بن محمد الثقفي عن بلال بن أبي الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حبل الشئ يعصى ويصم ورواه

أبو داود عن حيوة بن شريح عن ببيعة عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم وقال السدي أخذ موسى عليه السلام العجل فذبحه

وجواب لو محذوف أى لتبينوا ضرر اتخاذهم الآلهة كما حذف فى قوله ولو ترى اذ وقفوا
على النار ولو ترى اذ وقفوا على ربهم ومن قرأ باله فوقية فالتقدير ولو ترى يا محمد صلى الله
عليه وآله وسلم الذين ظلموا فى حال رؤيتهم العذاب وفزعهم منه لعلمت أن القوة لله جميعا
وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم علم ذلك ولكن خوطب بهذا الخطاب والمراد به
أمته وقيل ان فى موضع نصب مفعول لاجله أى لان القوة لله ودخلت اذ وهى لما مضى
فى اثبات هذه المستقبليات تقريرا للامر وتصحى الوقوع وهو مما يتكرر فى القرآن كثيرا
وجميع فى الاصل فعمل من الجمع وكأنه اسم جمع فلذلك يتبع تارة بالمفرد قال تعالى نحن
جميع مستنصر وتارة بالجمع قال تعالى جميع ليدنا محضرون وينصب حالا ويؤكد كدبى
كل ويدل على الشمول كدلالة كل ولا دلالة له على الاجتماع فى الزمان (وان الله شديد
العذاب) عطف على ما قبله وفائدة تهويل الخطاب وتفظيع الامر فان اختصاص القوة
به تعالى لا يوجب شدة العذاب لجواز تركه عفوا مع القدرة عليه (اذتبرأ الذين اتبعوا من
الذين اتبعوا ورأوا العذاب) أى تنزهه وتباعده عن ان السادة والرؤساء من مشركي
الانس تبرؤا ممن اتبعهم على الكفر ورأوا معنى التابعين والمتبوعين العذاب قيل عند
المعاينة فى الدنيا وقيل عند العرض والمساءلة فى الآخرة ويمكن أن يقال فيها جميعا
اذلا مانع من ذلك وقيل هم الشياطين يتبرؤن من الانس وبه قال قتادة والقول هو
الاول وقد احتج جمع من أهل العلم بهذه الآية على ذم التقليد وهو مذكور فى موطئه
(وتقطعت بهم) أى عنهم (الاسباب) بسبب كفرهم جمع سبب وأصله فى اللغة الحبل الذى
يشده الشئ ويجذب به ثم جعل كل ما جرى شيا سببا فى مجازها والمراد به الوصل التى
كانوا يواصلون بها فى الدين من الرحمة وغيرها وقيل هى الاعمال وقال ابن عباس هى
المنازل وقال أبى صاهى الارحام وقال المودة وقيل اليهود والحلف (وقال الذين اتبعوا
لو أن لنا كرة) أى رجعة الى الدنيا الكرة الرجعة والعودة الى حال قد كانت ولو هنا بمعنى
التبني كانه قيل ليت لنا كرة ولهذا وقعت الغاء فى الجواب والمعنى ان الاتباع قالوا لوردنا
الى الدنيا حتى نعمل صالحا (فتبترأ منهم) أى المتبوعين (كما تبرؤا منا) اليوم وهو جواب
التبني (كذلك) أى كما أراهم الله العذاب (يربهم الله أعمالهم) السيئة وهذه الرؤية ان
كانت البصرية فقوله (حسرات عليهم) منتصب على الحال وان كانت القلبية فهو

وعتوهم واعراضهم عنه حتى رفع الطور عليهم حتى قبضوه ثم خالفوه ولهذا قالوا سمعنا وعصينا وقد تقدم تفسير ذلك وأشرىوا فى

قلوبهم العجل بكفرهم قال عبد الرزاق عن قتادة وأشرىوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قال اشربوا حبه حتى خلص ذلك الى

قلوبهم وكذا قال أبو العالية والربيع بن أنس وقال الامام أحمد حدثنا عصام بن خالد حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني

عن خالد بن محمد الثقفي عن بلال بن أبي الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حبل الشئ يعصى ويصم ورواه

أبو داود عن حيوة بن شريح عن ببيعة عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم وقال السدي أخذ موسى عليه السلام العجل فذبحه

بالمرد ثم ذرأه في البحر ثم لم يبق بحر يجري يومئذ الا وقع فيه شيء ثم قال لهم موسى اشر بواضع فشر بواضع كان يصبه مخرج على شارب به
الذهب فذلك حين يقول الله تعالى واشر بواضع في قلوبهم العجل وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابي حاتم عن ابي حاتم عن ابي حاتم عن ابي حاتم عن ابي حاتم
عن ابي اسحق عن عمار بن عبد الرحمن السلمي عن علي بن ابي عبد الرحمن السلمي عن علي بن ابي عبد الرحمن السلمي عن علي بن ابي عبد الرحمن السلمي عن علي بن ابي عبد الرحمن السلمي
بها وهو على شاطئ نهر فاشرب أحد من ذلك الماء ممن كان بعد العجل الا اصفر وجهه مثل الذهب وقال سعيد بن جبير واشر بواضع
في قلوبهم العجل قال لما أحرق العجل برد (٢١٦) ثم نسف ففسوا الماء حتى عادت وجوههم كالزعفران وحكي القرطبي

عن كتاب التفسير انه ما شرب أحد
من عبد العجل الا جن ثم قال
القرطبي وهذا شيء غير ما ههنا لان
المقصود من هذا السياق انه ظهر
على شفاههم ووجوههم والمذكور
ههنا انهم اشر بواضع في قلوبهم العجل
يعني في حال عبادتهم له ثم اشد قول
الناطقة في زوجته عمة

تغلغل حب عمة في فؤادي
فباديه مع الخافي يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب
ولا حزن ولم يبلغ سرور
أكا اذا ذكرت العهد منها

أطير لو أن انسا نايطير
وقوله قل بئس ما يامركم به ايمانكم
ان كنتم مومنين أي بئس ما تعة دونه
في قديم الدهر وحديثه من كفركم
بآيات الله ومحالفتكم الانبياء ثم
اعتمادكم في كفركم بمحمد صلى الله
عليه وسلم وهذا أكبر ذنوبكم وأشد
الامور عليكم اذ كفرتم بحاتم الرسل
وسيد الانبياء والمرسلين المبعوث
الى الناس أجعين فكيف تدعون
لانفسكم الايمان وقد فعلتم هذه
الافاعيل القبيحة من نقصكم
المواثيق وكفركم بآيات الله

المفعول الثالث والمعنى ان أعمالهم الفاسدة يريهم الله اياها فمكون عليهم حسرات
وتدائمات ويرىهم الله الاعمال الصالحة التي أوجبها عليهم فتركوها فيكون ذلك حسرة
عليهم والحسرة الغم على ما فاته وشدة الندم عليه كانه انحسر عنه الجهل الذي حمله على
ما ارتكبه (وما هم بخارجين من النار) فيه دليل على خلود الكفار في النار وظاهر هذا
التركيب يفيد الاختصاص وجعله الزمخشري للتعقوب لغرض له يرجع الى المذهب
والبحث في هذا يطول عن ثابت بن معبد قال ما زال أهل النار يأملون الخروج منها
حتى نزلت هذه الآية (يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا) قيل انها نزلت في
نقيف وخراعة وعامر بن صعصعة وبن مديج فيما خرموه على أنفسهم من الحرث
والانعام حكاه القرطبي في تفسيره وهذا هو المشهور بخلاف ما جرى عليه القاضي من
أنها نزلت في قوم خرموا على أنفسهم رفيع الاطعمة والملابس فانه مرجوح فانه
الكرخي ولكن الاعتبار بعوم اللفظ لا بخصوص السبب وسمى الحلال حلالا
لا لتحلال عقدة الحظر عنه والطيب هنا هو المستند كما قاله الشافعي وغيره وقال مالك
وغيره هو الحلال فيكون تأكد القوله حلالا ومن في مما التبعيض للقطع بان في الارض
ما هو حرام كالخمار لا يؤكل أصلا وليس كل ما يؤكل يجوز كانه فذلك قال حلالا
والامر مستعمل في كل من الوجوب والنسب والاباحة الاول اذا كان لقيام البنية
والثاني كالاكل مع الضيف والثالث كغير ما ذكر وقيل معنى حلالا ما دون ما فيه شرعا
والطيب الحلال وان لم يستند كالدوية وفي هذه الآية دليل على ان كل ما لم يرد فيه
نص أو ظاهر من الايمان الموجودة في الارض فاصلا الحل حتى يرد دليل يقتضي تحريمه
وأوضح دلالته على ذلك من هذه الآية قوله تعالى وهو الذي خلق انكم ما في الارض جميعا
(ولا تتبعوا خطوات الشيطان) جمع خطوة بالفتح والضم وهي بالفتح المزة بالضمه لما بين
القدمين وقيل انهم ما لغتان وقرئ خطوات بضم الخاء والطاء والهمزة على الواو قال
الاخفش وذهبوا به هذه القراءة الى أنها جمع خطيئة من الخطا لا من الخطو والمعنى على
قراءة الجهور لا تقتفوا أثر الشيطان وطرقه وترتبه وعمله وكل ما لم يرد به الشرع فهو
منسوب الى الشيطان وقيل هي الذنوب في المعاصي وقيل المحقرات من الذنوب والاولى
التعميم وعدم التخصيص بفرادى أنواع قال ابن عباس ما خالف القرآن فهو من خطوات

الشیطان
وعبادتكم العجل من دون الله (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين ولن تمنوا أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) ولتجنبنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم
لو يعمر ألف سنة وما هو بمنزلة من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون قال محمد بن اسحق عن محمد بن ابي محمد عن عكرمة
أوسعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه يقول الله تعالى لتبذبنهم على قتلهم ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله
خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين أي ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب فأبوا ذلك على رسول الله صلى الله

عليه وسلم ولن يتموه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين أي يعلمهم بما عندهم من العلم بل والكفر بذلك ولو تموه يوم قال لهم ذلك ما بقي على الأرض يهودي إلا مات وقال الضحالك عن ابن عباس فتمنوا الموت فسلوا الموت وقال عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم الجزري عن عكرمة قوله فتمنوا الموت أن كنتم صادقين قال قال ابن عباس لو تمنى يهود الموت لماوا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا عنام سمعت الأعمش قال لا أظنه إلا عن المنهال عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقة وهذه أسانيد صحيحة (٢١٧) إلى ابن عباس وقال ابن جرير في تفسيره

و بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو أن اليهود تمنوا الموت لماوا ولرأوا مقام أعدهم من النار ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم لم رجعو إلا يجردون أهلا ولا مالا حدثنا بذلك أبو كرييب حدثنا زكريا بن عدي حدثنا عبد الله بن عمرو عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه الامام أحمد عن اسمعيل ابن يزيد الرقي حدثنا فترات عن عبد الكريم به وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن أحمد حدثنا ابراهيم بن عبد الله بن بشار حدثنا سرور بن المغيرة عن عباد بن منصور عن الحسن قال قول الله ما كانوا ليتموه بما قدمت أيديهم قلت أرايت لو أنهم أحبوا الموت حين قيل لهم تمنوا الموت أترأهم كانوا مسنين قال لا والله ما كانوا ليعتقوا ولو تمنوا الموت وما كانوا ليتمونه وقد قال الله ما سمعت ولن يتموه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين وهذا غريب عن الحسن ثم هذا الذي فسر به ابن عباس

الشیطان وقال عكرمة هي نزغات الشيطان وعن سعيد بن جبيرة قال هي تزيين الشيطان وقال قتادة كل معصية لله فهي من خطواته وعن ابن عباس ما كان من بين أو تدر في غضب فهو من الخطوات وكفارته كفارة يمين (أنه لكم عدو) تعليل للنهي عن الاتباع (مين) أي ظاهر العدو ومثله قوله تعالى أنه عدو مبطل وبين وقوله أن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وقد أظهر الله عداوته بآية السجود لا دم ثم بين عداوته ما هي فقال (أنما يأتمرتم) قيل استعير الأمر لزيينته وبعثه لهم على الشر ففهمها لرأيهم وتحقير الشائهم قاله البيضاوي وقيل لا حاجة إلى صرف الأمر عن ظاهره لأن حقيقة طلب الفعل ولا ريب أن الشيطان يطلب السوء والفحشاء ممن يريد اغواؤه (بالسوء) سعى السوء وألأنه يسوء صاحبه بسوء عاقبته وهو مصد رساء يسوءه سوءا ومساء إذا أضرته (والفحشاء) أصل سوء المنظر ثم استعمل فيما يقع من المعاني وقيل السوء القبيح والفحشاء التجاوز للحد في القبح وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما فيه الحد قاله ابن عباس وقيل الفحشاء الزنا وقيل هو البخل وقيل إن كل ما نهت عنه الشريعة فهو من الفحشاء (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) أي بان تقولوا قال ابن جرير الطبري يريد ما حرموا من الخير والسائبة ونحوه مما جعلوه شرعا وقيل هو قولهم هذا حلال وهذا حرام بغير علم والظاهر أنه يصدق على كل ما قيل في الشرع بغير علم فيتناول ذلك جميع المذاهب الفاسدة التي لم يأذن فيها الله ولم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمر الشيطان ووسوسته عبارة عن هذه الخواطر التي يجدها الإنسان في قلبه وفاعل هذه الخواطر هو الله تعالى وأنما الشيطان كالعرض وقد صرح عنه صلى الله عليه وآله وسلم أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما آلتينا عليه آباءنا) الضمير في لهم راجع إلى الناس في قوله يا أيها الناس لأن الكفار منهم وهم المقتصدون هنا فعدل عن المخاطبة إلى الغيبة على طريق الالتفات مبالغة في بيان ضلالهم كأنه يقول للعقلاء انظروا إلى هؤلاء الحق ما ذا يقولون وقيل مشركو العرب خاصة وقد سبق ذكرهم في قوله من يتخذ من دون الله أندادا ولغظ أبي السعد نزلت في المشركين أحرأب اتباع القرآن وسائر ما أنزل الله من الحجج الظاهرة والبيانات الباهرة فيخصوا للتقليد انتهى وقيل نزلت في اليهود وعلى

(٢٨ ل - فتح البيان) الآية هو المتعين وهو الدعاء على أي الثوريين أ كذب منهم أو من المسلمين على وجه المباهلة ونقله ابن جرير عن قتادة وأبي العالية والربيع بن أنس رجعهم الله تعالى ونظر هذه الآية قوله تعالى في سورة الجمعة قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت أن كنتم صادقين ولا يتمونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون فهم عليهم لعائن الله تعالى لما زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى دعوا إلى المباهلة والدعاء على كذب الطائفتين منهم

أومن المسلمين فلما تكلموا عن ذلك علم كل أحد أنهم ظالمون لأنهم لو كانوا جازمين بما هم فيه لكانوا أقدم على ذلك فلما تأخروا علم كذبهم وهذا كما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد فخران من النصارى بعد قيام الحج عليهم في المناظرة وعترضهم وعنادهم إلى المباحلة فقال تعالى في حجة فيه من بعد ما جاء من العلم فقل تعالى ادع أبناءكم وأبناءكم ونساء نساءكم وأبنائكم وأبنائكم ثم فتهمل فجعل لعنة الله على الكاذبين فلما رأوا ذلك قال بعض القوم لبعض والله لئن يأخذه هذا النبي لا يبتغي منكم عير تطرف فغند ذلك جنحوه إلى السلم وبذلوا (٢١٨) اجزية عن يدوهم ضاغرون فصرخ عليهم وبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح

هذا قال الآية مستأنفة وألينا معناه وجدنا وفي هذه الآية من الذم للمقلدين والثناء بجهلهم الفاحش واعتقادهم الفاسد ما لا يقادر قدره حيث عارضوا الدلالة بالتقليد ومثل هذه الآية قوله تعالى وإذا قلنا لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا الآية يعني من التحريم والتحليل وفي ذلك دليل على قبح التقليد والمنع منه والبحث في ذلك يطول قال الرازي في هذه الآية تقريره هذا الجواب من وجود أحدها أنه يقال للذة المدخل تعترف بأن شرط جواز تقليد الإنسان أن يعلم كونه محققاً لا فإن اعترفت بذلك لم تعلم جواز تقليده إلا بعد أن تعرف كونه محققاً فكيف عرفت أنه محقق وإن عرفت به بتقليد آخر لم تسلسل وإن عرفت به العقل فذلك كلف فلا حاجة إلى التقليد وإن قلت ليس من شرط جواز تقليده أن يعلم كونه محققاً فإذا جازت تقليده وإن كان سبباً فإذا أنت على تقليدك لا تعلم أنك محقق أو مبطل وثانيه ما أن ذلك المتقدم كان عالماً بهذا الشيء إلا أن لا قدرنا أن ذلك المتقدم ما كان عالماً بذلك الشيء قط وما اختار فيه البتة مذمياً فأت ماذا كنت تعمل فعلى تقدير أن لا يوجد ذلك المتقدم ولا مذهبه كان لابد من العذول إلى النظر فكذا هو ثانياً أنك إذا قلدت من قبلك فذلك المتقدم كيف عرفته أعرفته بتقليد أم لا بتقليد فإن عرفته بتقليد لم أجد دوراً ما التسلسل وإن عرفته لا بتقليد بل بدليل فإذا أوجب تقليد ذلك المتقدم وجب أن تطلب العلم بالدليل لا بالتقليد لأنك لو طلبت التقليد لا بالدليل مع أن ذلك المتقدم طلبه بالدليل لا بالتقليد كنت محالاً فقلت إن القول بالتقليد يقضى بثبوته إلى نفيه فيكون باطلاً وإنما ذكر تعالى هذه الآية عقيب الزجر عن اتباع خطرات الشيطان تنبيهاً على أنه لا فرق بين متابعة وساوس الشيطان وبين متابعة التقليد وفيه أقوى دليل على وجوب النظر والاستدلال وترك التعويل على ما يقع في الخاطر من غير دليل أو على ما يقوله الغير من غير دليل انتهى كلامه وكلم من آية ينهى وأثر جلي ندل على ذم التقليد والمقلدين ولكن مناسد الجهل والتعصب كثيرة لا يأتي عليها الحصر وقد أفرد الشوكاني بمؤلف مستقل سماه القول المنقيد في حكم التقليد واستوفى الكلام فيه في أدب الطلب ومنتهى الأرب وألف الحافظ الواحد المتكلم بن القيم في ذلك كتاباً خفياً سماه أعلام الموقعين عن رب العالمين * قال ابن عباس دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اليهود إلى الإسلام

أمننا ومثل هذا المعنى أو قريب منه قول الله تعالى لنبيه أن يقول للمشركين قل من كان في الضلالة فلماذا الرجى مداً أي من كان في الضلالة منا ومنكم فزاده الله مما هو فيه ومثله واستدرجه كإسائتي تقريره في موضعه أن شاء الله تعالى وأما من فسر الآية على معنى أن كنتم صادقين أي في دعواكم فتمنوا إلا أن الموت ولم يتعرض هؤلاء للمساهلة كما قرره طائفة من المتكلمين وغيرهم ومال إليه ابن جرير بعد ما قارب القول الأول فانه قال القول في تأويل قوله تعالى قل إن كانت لكم الآخرة عند الله خالصة من دون الناس الآية فهذه الآية مما احتج الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم على اليهود الذين كانوا يبين ظهوراني مهاجرة وفضح بها أخبارهم وعلماءهم وذلك أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم إلى قضية (٣) عادلة فيما كل بينه وبينهم من الخلاف كما أمره أن يدعو القريب الأخر من النصارى إذا خالفوه في عيسى بن مريم عليه السلام

وإذا لوه فيه إلى فاصلة بينه وبينهم من المباحلة فقال لفرقي اليهود أن كنتم محققين فتمنوا الموت فإن ذلك غير ضاركم ورضيهم ان كنتم محققين فيما تدعون من الإيمان وقرب المنزلة من الله لكم لكي يعطىكم آمن منكم من الموت إذا كنتم فأنتم نصيرون إلى الراحة من تعب الدنيا ونصها وكدر عيشها والقور بجوار الله في جناته أن كان الأمر كما تدعون من أن الدار الآخرة لكم خاصة دوننا وإن لم تعطوها علم الناس انكم المبطلون ونحن المحقون في دعوا وأنا كشف أمرنا وأمركم فامتعت اليهود من الاجابة إلى (٣) قوله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم إلى قضية الخ شكك في الأصل ولعل فيه سقطاً من النسخ والأصل والله أعلم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعو القريب الأول من اليهود إلى قضية الخ ويدل على ذلك بقية الكلام فتأمل وحرر الله معجزة

ذلك لعلمهم ان من تمت الموت هلكت فذهبت دنياها وصارت الى اخرى الا في آخرتها كما امتنع فريق النصارى فهذا الكلام منه أوله حسن وآخره فيه نظر وذلك انه لا تطير الحجة عليهم على هذا التأويل اذ يقال انه لا يلزم من كونهم يعتقدون انهم صادقون في دعواهم انهم يمتنون الموت فانه لا ملازمة بين وجود الصلاح وتنى الموت وكم من صالح لا يتمنى الموت بل يود أن يعبر ليزاد خيرا وترتفع درجته في الجنة كما جاء في الحديث خيركم من طال عمره وحسن عمله ولهم مع ذلك ان يقولوا عني هذا انها انتم تعتقدون أيها المسلمون انكم أصحاب الجنة وأنتم لا تمتنون في حال الصحة الموت فكيف تلتزمون تأيلا لا يلزمكم وهذا كلامنا من تفسير الآية على هذا المعنى فالما على تفسير ابن عباس فلا يلزم عليه شيء من ذلك بل قيل (٢١٩) لهم كلام نصف ان كنتم تعتقدون

انكم أولياء الله من دون الناس وانكم أبناء الله واحباؤه وانكم من أهل الجنة ومن عداكم من أهل النار فبايعوا على ذلك وادعوا على الكاذبين منكم أو من غيركم واعلموا أن المباشلة تستاصل الكاذب للمحالة فلما يتقنوا ذلك وعرفوا صدقه نكلوا عن المباشلة لما يعلمون من كذبهم وافترائهم وكتائبهم الحق من صفة الرسول صلى الله عليه وسلم ونعته وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ويتحققونه فعلم كل أحد باطلهم وخزيهم وضلالهم وعنادهم عليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة وسميت هذه المباشلة تمثيلا لان كل محق يود أن يهلك الله المبطل المناظر له ولا سيما اذا كان في ذلك حجة له في بيان حقه وظهوره وكانت المباشلة بالموت لان الحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء ما لهم بعد الموت ولهذا قال تعالى ولن يتموه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ولتجذبهم أحرص الناس على حياة أي على طول العمر لما يعلمون من ما لهم السوء

ورغبهم فيه وحذرهم عذاب الله ونقمته فقال له رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل تتبع يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا أعلم وخير امناءنا فأنزل الله في ذلك هذه الآية (أولو كان آباؤهم) الهمزة للانكار والواو اما للحال أو للعطف وجواب لو محذوف قاله أبو البقاء وتقديره لا تبعوهم والذي جرى عليه أبو السعود ان لو في مثل هذا التركيب لا يحتاج الى جواب لان المقصد منها تعميم الاحوال (لا يعقلون) أي لا يعلمون (شيئا) من أمر الدين وهذا اللفظ عام ومعناه خاص لانهم كانوا يعقلون كثيرا من أمور الدنيا فهذا يدل على جواز ذكر العام مع ان المراد به خاص (ولا يمتدون) الى الصواب وكيفية كتمانهم قال البيضاوي وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد ثم ضرب لهم مثلا فقال (ومثل الذين كفروا) في اتباعهم آباءهم وتقليد هم لهم وفي ذلك نهاية الزجر والردع لمن يسمعه عن ان يسلك مثل طريقهم في التقليد (كمثل الذي ينطق بما لا يسمع) فيه تشبيه واعظ الكافرين وداعيمهم وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرأي الذي ينطق بالغنى أو الابل فلا تسمع (الادعاء ونداء) ولا تفهم ما يقول هكذا فسر الزجاج والفراء وسيبويه وبه قال جماعة من السلف قال سيبويه لم يشبهوا بالناعق انما شبهوا بالمنعوق به والمعنى مثلك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به من الهائم التي لا تفهم حذفي دلالة المعنى عليه وقال قطرب المعنى مثل الذين كفروا في دعائهم ما لا يفهم يعنى الاصنام كمثل الراعى اذا نطق بغنمه وهو لا يدري أين هي وبه قال ابن جرير الطبري وقال ابن زيد المعنى مثل الذين كفروا في دعائهم الا كلمة الجماد كمثل الصائح في جوف الليل فيجيبه الصدى فهو يصيح بما لا يسمع ويحبه ما لا حقيقة فيه فهذه أربعة أقوال وقال البيضاوي المعنى ان الكفرة لانهم ما كهم في التقليد لا يلقون آذانهم الى ما يتلى عليهم فهم في ذلك كالهائم التي ينطق عليهم فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقد اختلف الناس في هذه الآية اختلافا كثيرا واضطربوا اضطرابا شديدا والذي لخصناه أقوال مذهب لكل قول منها تقدير ذكره السمين والنبي زجر الغنى والصباح بها والعرب تضرب المثل براعى الغنم في الجهل ويقولون أجهل من راعي ضان قال ابن عباس مثل الذين كفروا مثل البقر والجار والساة ان قلت لبعضها كلاما لم يعلم

وعاقبتهم عند الله الخاسرة لان الدنيا بحسن المؤمن وجنة الكافر فهم يودون لو تأخروا عن مقام الآخرة بكل ما أمكنهم وما يحاذرون منه واقع بهم للمحالة حتى وهم أحرص من المشركين الذين لا كآب لهم وهذا من باب عطف الخاص على العام قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ومن الذين أشركوا قال الاعاجم وكذا رواه الحاكم في مستدركه من حديث الثوري وقال صحيح على شرطهما ولم يخرجاه قال وقد اتفق على سندة تفسير الصحابي وقال الحسن البصري ولتجذبهم أحرص الناس على حياة أي على حياة قال المناقب أحرص الناس وأحرص من

المشرك على حياة يودأ أحدهم أي يودأ أحد اليهود كما يدل عليه نظم السياق وقال أبو العالية يودأ أحدهم أي أحد المجوس وهو يرجع إلى الأول لويوم ألف سنة قال الأعشى عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس يودأ أحدهم لويوم ألف سنة قال هو كقول النابسي ده هزار سال يقول عشرة آلاف سنة وكذا روى عن سعيد بن جبير نفسه أيضا وقال ابن جرير حدثنا محمد حدثنا علي بن الحسن بن شقيق سمعت أبي يقول حدثنا أبو جزة عن الأعشى عن مجاهد عن ابن عباس في قوله يودأ أحدهم لويوم ألف سنة قال هو قول الأعاجم هزار سال نوروز وهرجان وقال مجاهد يودأ أحدهم لويوم ألف سنة قال حببت إليهم الخطيئة طول العذر وقال محمد بن اسحق عن (٢٢٠) محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس وما هو بمنزلة

من العذاب أن يعمر أي وما هو بمنزلة العذاب وذلك أن المشرك لا يرجو بعثا بعد الموت فهو يحب طول الحياة وأن اليهودي قد عرف ما له في الآخرة من الخزي بما ضيع ما عنده من العلم وقال العوفي عن ابن عباس وما هو بمنزلة من العذاب أن يعمر قال هم الذين عادوا جبرائيل قال أبو العالية وابن عمر فاذك بغيته من العذاب ولا منجيه منه وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم في هذه الآية يهود أحرص على الحياة من هؤلاء وقد وده هؤلاء لويوم ألف سنة وليس ذلك بمنزلة من العذاب لو عمر كما عمر إبليس لم ينفعه إذ كان كافرا والله بصير بما يعملون أي خبير بصير بما يعمل عباده من خير وشر وسيجازي كل عامل بعمله (قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بأذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين) قال الامام أبو جعفر بن جرير الطبري رحمه الله أجمع أهل العلم

ما تقول غير أنه يسمع صوتك وكذلك الكافران أمرته بخير أو نهيته عن شر أو وعظته لم يعقل ما تقول غير أنه يسمع صوتك ونحوه قال مجاهد والدعاء والدعاء بمعنى واحد وسوغ العطف اختصارا لفظ (صم بكم عي) هذا نتيجة ما قبله ورفع على الذم أي هم صم عن سماع الحق ودعاء الرسول بكم عن النطق بالحق عي عن طريق الهدى (فهم لا يعقلون) أي بالعقل للاخلال بالنظر نتيجة للنتيجة قيل المراد به العقل الكسبي لأن العقل الطبيعي كان حاصلا فيهم قال عطاء هم اليهود الذين أنزل الله فيهم أن الذين يكتبون ما أنزل الله من الكتاب إلى قوله فما أصبرهم على النار (يأيها الذين آمنوا كوا من طيبات ما رزقناكم) هذا تأكيد لا مرأى له في قوله يأيها الناس كوا من طيبات ما رزقناكم طيبا وانما يخص المؤمنين هنا لكونهم أفضل أنواع الناس قيل والمراد بالكل الانتفاع وقيل المراد به الاكل المعتاد وهو الطاهر وقيل ان الامر في كوا أقدي يكون للوجوب كالاكل لحفظ النفس ودفع الضر عنها وقد يكون للندب كالاكل مع الضيف وقد يكون للإباحة اذا خلل من هذه العوارض وعن عمر بن عبد العزيز ان المراد بها في الآية طيب الكسب لا طيب الطعام وقال الضحاك انها حلال الرزق وأخرج أحمد ومسلم والترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يأيها الرسل كوا من الطيبات واعملوا صالحا فاني سمعكم ما علمون عليم وقال يأيها الذين آمنوا كوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فاني استجاب له وقيل الطيب المستلذ من الطعام فعمل قوماته هو اعن أكل المستلذ من الطعام فباح الله لهم ذلك (وأشكروا لله) على ما رزقكم من نعمه وأحل لكم وفيه النفقات من ضمير المتكلم إلى الغيبة اذ لو جرى على الاسلوب الاول لقال وأشكرونا والامر فيه للوجوب فقط (ان كنتم اياه تعبدون) أي تخصونه بالعبادة وتقرون بانه الهكم لا غيره كما يفهمه تقديم المفعول وقيل ان كنتم عارفين بالله وبنعمة فاشكروا عليه والاول أولى (اعلموا انكم المية والدم ولحم الخنزير) لما أمرنا الله تعالى في الآية التي تقدمت باكل الطيبات التي هي الحلالات بين في هذه الآية أنواعا من المحرمات فقال انما هو في كل

بالتأويل جميعا ان هذه الآية نزلت جوابا لليهود من بني اسرائيل اذ زعموا أن جبريل عدو لهم وان ميكائيل موضوعة وفي لهم ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك فقال بعضهم انما كان سبب قتلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر نبوته (ذكر من قال ذلك) حدثنا أبو كريب حدثنا ثونس بن بكير عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن عباس انه قال حضرت عصابة من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمن الا اني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ساوا عباستهم ولكن اجعلوا لي ذمة وما أخذني يعقوب على بني ملث

أنا حدثكم عن شيء فغيرتموه ولتباغني على الإسلام فقالوا ذلك لا
 عن أربع خصال نألفنا عن أخبنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة وأخبرنا كيف ماء المرأة
 وماء الرجل وكيف يكون الذكركم والآن وأخبرنا بهذا النبي الذي في التوراة ومن وليه من الملائكة فقال النبي صلى الله عليه
 وسلم عليكم عهد الله أن أنأبأكم لتباغني فاعطوه وما شاء الله من عهد وميثاق فقال لشركم بالذي أنزل التوراة على موسى
 هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب مرض مرضاً شديداً فقال اسقمه منه (٢٢١) فذره الله نذراً لأن عاقداً لله من مرضه

موضوعه للصبر ثبت متناوله الخطاب وتنفي ما عساه وقد حشرت ههنا التحريم في
 الامور المذكورة بعد ما أي ما حرم عليكم الا المية وهي كل ما فارقه الروح من غير ذكاة
 وقد خص هذا اليوم بمثل حديث أحسن لنا ميتان وديمان فاما الميتان فالجوارد
 والحوت وأما الدمان فالطحال والكبد أخرجه أحد رواين ماجد والدارقطني والحاكم
 وابن مردويه عن ابن عمر ومثل حديث جابر في العنبر الثابت في الصحيحين مع قوله تعالى
 احل لكم صيد البحر فالمراد بالمية خماسية البرلامية البحر وقد ذهب أكثر أهل العلم
 الى جوارأ كل جميع حيوانات البحر حريم او ميتها وقال بعض أهل العلم انه يحرم من
 حيوانات البحر ما يحرم شبهه في البر وتوقف ابن حبيب في خنزير الماء قال ابن القاسم
 أنا أتقيعه ولا أراه حراما والدم هو الحار السائل وكانت العرب تجعل الدم في المصارين
 ثم تشويهه وتأكله حرمه الله تعالى وقد اتفق العلماء على أن الدم حرام وفي الآية الاخرى
 أو دما مسفوحا فيحمل المطلق على المقيد لان ما خط بالعلم غير محرم قال القرطبي
 بالاجماع وقد روت عائشة أنها كانت تطبخ اللحم فتعول الصفرة على البرسة من الدم
 فيأكل ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا ينكره وأما لحم الخنزير فظاهر هذه الآية
 والآية الاخرى أعني قوله تعالى قل لأجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن
 يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير أن المحرم انما هو اللحم فقط وقد أجمعت الامة
 على تحريم شحمه كما حكاه القرطبي في تفسيره وقد ذكرت جماعة من أهل العلم أن اللحم
 يدخل تحته الشحم وحكي القرطبي الاجماع أيضا على أن جملته الخنزير محرمة الا الشعر
 فإنه تجوز الخرازة به وقيل أراد بلحمه جميع اجزائه وانما خص اللحم بالذكركلانه المقصود
 لذاته بالاكل او اختلافوا في نجاسته فقال الجمهور انه نجس وقال مالك انه طاهر وكذا اكل
 حيوان عنده لان علة الطهارة هي الحياة وللشافعي قولان في ولو غ الخنزير الحديده أنه
 كالكلب والقديم يكفي فيه غسله واحدة والآية قصر قلب الرد على من استحل هذه
 الاربعة وحرم الحلال غيرها كالسوائب ومنع ذلك هو نسي أي ما حرم عليكم الا هذه
 الاربعة لا غيرها من البحرية وما بعد في الآية وان كان حرم غيرها من الامور المذكورة
 في أول المسألة (وما أهل به لغير الله) يعني ما ذبح للاصنام والطواغيت وصيغ في ذبحه
 لغير الله وأصل الاهلال رفع الصوت يقال أهل بكذا أي صرخ ورفع صوته ومنه اهلال

ايحرم أحب الطعام والشراب
 اليه وكان أحب الطعام اليه لحوم
 الابل وأحب الشراب اليه ألبانها
 فقالوا اللهم نعم فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد
 عليهم وأنشدكم بالله الذي لا اله الا هو الذي أنزل التوراة على
 موسى هل تعلمون ان ماء الرجل
 غليظ أبيض وان ماء المرأة رقيق
 أصفر فاهما على اكله الولد والشبه
 باذن الله عز وجل واذا علا ماء الرجل
 ماء المرأة كان الولد ذكرا باذن الله
 واذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان
 الولد أنثى باذن الله عز وجل قالوا
 اللهم نعم قال اللهم اشهد وأنشدكم
 بالله الذي أنزل التوراة على موسى
 هل تعلمون ان هذا النبي الذي أتانا
 عينا ولا ينم قلبه قالوا اللهم نعم
 قال اللهم اشهد قالوا أنت الآن
 فحدثنا من وليك من الملائكة
 فعندها شجاعك أو تفارقك قال
 فان وليي جبريل ولم يبعث الله نبيا قط
 الا وهو وليه قالوا فعندها تفارقك
 ولو كان وليك سواه من الملائكة
 تابعناك وصدقناك قال فاصنعكم
 ان تصدقوه قالوا انه عدونا فأنزل

الله عز وجل قل من كان عدوا لخيريل فإنه نزل على قلبك باذن الله مصداقا لما بين يديه الى قوله لو كانوا يعلمون فعندها باءا وبغضب
 على غضب وقدرناه الامام أحمد في مسنده عن أبي النضر هاشم بن القاسم وعبد الرحمن بن جهم في تفسيره عن أحمد بن يونس
 كلاهما عن عبد الحميد بن بهرام به ورواه أحمد أيضا عن الحسين بن محمد المروزي عن عبد الحميد بنحوه وقدرناه محمد بن اسحق بن
 يسار حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن شهر بن حوشب فذكره مرسلوا زاد فيه قالوا فأخبرنا عن الروح قال
 فأنشدكم بالله وبأياه عند بني إسرائيل هل تعلمون انه جبريل وهو الذي يأتي قالوا اللهم نعم ولكنه عدو لنا وهو ملك انما يأتي

بالشدة وسنك الدماء فاولا ذلك اتبعك انزل الله تعالى فيهم قل من كان عدوا لجبريل الى قوله لا يعلمون وقال الامام أحمد
 حدثنا أبو أحمد حدثنا عبد الله بن الوليد العجلي عن بكير بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أقبلت يهود على رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم أخبرنا عن خمسة أشياء فان أبا تابيهن عرفنا أنك نبي واتبعناك فأخذ عليهم مأخذ إسرائيل
 على بنه اذ قال والله على ما نقول وكيل قال حاقوا قالوا فأخبرنا عن علامة النبي قال تنام عيناه ولا ينام قلبه قالوا أخبرنا كيف تؤت
 المرأة وكيف تذكر قال يلتقي المآتان (٢٢٢) فإذا علماء الرجل ماء المرأة ذكرت وإذا علماء المرأة ماء الرجل أنثت قالوا

أخبرنا ما حرم إسرائيل على نفسه
 قال كان يشكي عرق النسا فلم يجد
 شيئا يلاغسه الا البان كذا
 قال أحمد قال بعضهم يعنى الابل
 فحرم لحومها قالوا صدقت قالوا
 أخبرنا ما هذا الرعد قال ملك من
 ملائكة الله عز وجل موكل
 بالسحاب بيديه أوفى يديه مخراق
 من نار يزجر به السحاب يسوقه
 حيث أمره الله تعالى قالوا فما هذا
 الصوت الذي نسمع قال صوته قالوا
 صدقت قالوا انما بقيت واحدة
 وهي التي تتابعك ان أخبرتنا بها انه
 ليس من نبي الاولة ملك يأبى بالخبر
 فأخبرنا من صاحبك قال جبريل
 عليه السلام قالوا جبريل ذلك
 الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب
 عدونا لو قلت ميكائيل الذي ينزل
 بالرحمة والقطر والنبات لكان
 فأمر الله تعالى قل من كان عدوا
 لجبريل فانه نزل على قلبك باذن الله
 الى آخر الآية ورواه الترمذي
 والنسائي من حديث عبد الله بن
 الوليد بن وهب وقال الترمذي حسن
 غريب وقال سنيد في تفسيره
 عن حجاج بن محمد عن ابن جريج

الصبي واستلاله وهو صياحه عند ولادته ومنه الهلال لانه يصرخ عند رؤيته والمراد
 هنا ما ذكر عليه اسم غير الله تعالى كاللات والعزى اذا كان الذابح وثنيا والنار اذا كان
 الذابح مجوسيا ولا خلاف في تحريم هذا وأمثاله ومثله ما يتبع من المعتقدين للاموات
 من الذبح على قبورهم فانه مما أهل به لغير الله ولا فرق بينه وبين الذابح للوثن قال
 مجاهد يعنى ما ذبح لغير الله أخرجه ابن أبي حاتم وفي تفسير النيسابوري للنظام قال
 العلماء لو أن مسلما ذبح ذبيحة وقصد بدبجها التقرب الى غير الله صار مرتدا وذبيحته
 ذبيحة صر تداينتهى وقال صاحب الروض ان المسلم اذا ذبح للنبي صلى الله عليه وآله
 وسلم كثر انتهي وهذا القائل من الشافعية قال الشوكاني واذا كان الذبح لسيد
 الرسل صلى الله عليه وآله وسلم كثر اعنده فكيف بالذبح لسايرا لاسوات انتهى وقيل
 ان المراد بذلك ذبايح عبدة الاوثان التي كانوا يذبحونها الاصنام منهم كما تقدم وأجازوا
 ذبيحة النصارى اذا سمي عليها باسم المسيح وهو مذهب عطاء ومكحول والحسن والشعبي
 وسعيد بن المسيب لعموم قوله تعالى وطعام الذين أتوا الكتاب حل لكم وقال مالك
 والشافعي وأبو حنيفة لا يحل ذلك والحجة فيه أنهم اذا ذبحوا على اسم المسيح فقد أهلاوه
 لغير الله فوجب أن يحرم وروى عن علي أنه قال اذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون
 لغير الله فلا تأكلوا واذا لم تسمعوهم فكلوا فان الله قد أحل ذبايحهم وهو يعلم ما يقولون
 (فن اضطر) الى شيء من هذه المحرمات والمضطر هو المكلف بالشيء المباح اليه المكروه عليه
 والمراد هنا من خاف التلف والمضطر اما بأكراه فيبيع ذلك الذي زوال الاكراه أو يبيع
 في محصة فان كانت دأمة فلا خلاف في جواز الشبع منها وان كانت نادرة فقال الشافعي
 يا كل ما يسد به الرمق وبه قال أبو حنيفة وأويا كل قدر الشبع وبه قال مالك فاكل
 (غير باغ) بالاستئثار على مضطر آخر أو على الوالى وأصل البغي الفساد (ولاعاد) اسم
 فاعل أصله من العدوان وهو الظلم ومجاوزة الحد والمراد بالبغى من يأكل فوق حاجته
 والعادى من يأكل هذه المحرمات وهو يجدها مندوحة وبلغه وقال ابن عباس باغى
 الميتة وعادى الاكل وقيل غير باغ على المسلمين ولا يعتد عليهم فيدخل في الباغى
 والعادى قاطع السيل والخارج على السلطان والمفارق للجماعة والأئمة والمفسد في
 الارض وقاطع الرحم وقيل المراد غير باغ على مضطر آخر ولا عا دلسد الجوعه قاله سعيد

ابن
 أخبرني القاسم بن أبي بزة ان يهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن صاحبه الذي ينزل عليه بالوحى قال جبرائيل
 قالوا فانه عدونا ولا يأتي الا بالحرب والشدة والقتال فترلت قل من كان عدوا لجبريل الآية قال ابن جريج قال مجاهد قالت يهود
 يا محمد ما نزل جبريل الا بشدة وحرب وقتال فانه لنا عدو فنزل قل من كان عدوا لجبريل الآية قال البخاري قوله تعالى من كان عدوا
 لجبريل قال عكرمة جبر وميك واسراف عبد ايل الله حدثنا عبد الله بن غير سمع عبد الله بن بكير حدثنا حميد عن أنس بن مالك
 قال سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أرض يحترف فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انى سألوك

عن ثلاث لا يملهن الانبي ما أول اشراط الساعة وما أول طعام أهل الجنة وما ينزع الولد الى أبيه او الى أمه قال أخبرني به هذه جبرائيل آتينا قال جبريل قال نعم قال ذلك عند واليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية من كان عدوا لجبريل فانه نزل على قلبك وأما أول اشراط الساعة فانه تحشر الناس من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزبادة كبدة الخوت واذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزعت قال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله يا رسول الله ان اليهود يقوم بهت وان هم ان يعلموا باسلامي قبل ان تسألهم بهتوني فجاءت اليهود فقال لهم (٢٢٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم أي رجل

عبد الله بن سلام فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال أرايتم أن أسلم قالوا أعاذة الله من ذلك فخرج عبد الله فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا هو شرنا وابن شرنا واتقوه فقال هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله انظر دبه البخاري من هذا الوجه وقد أخرجه من وجه آخر عن أنس بن مالك وفي صحيح مسلم عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريب من هذا السياق كما سألتني في موضعه ان شاء الله تعالى وحكاية البخاري كما تقدم عن عكرمة هو المشهور ان ايل هو الله وقد رواه سفيان الثوري عن خفيف عن عكرمة ورواه عبد بن حميد عن ابراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة ورواه ابن جرير عن الحسين بن يزيد الطحان عن اسحق بن منصور عن قيس بن عاصم عن عكرمة انه قال ان جبريل اسمه عبد الله وميكائيل اسمه عبد الله ايل الله ورواه يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس مثله سواء وكذا قال غير واحد من السلف كما

ابن جبير (فلا اسم عليه) في تناوله ولا حرج ومن أكله وهو غير مضطر فهدى واعمدى (ان الله غفور) لمن أكل من الحرام (رحيم) به اذا حله الحرام في الاضطرار (ان الذين يكتفون ما أنزل الله من الكتاب) المراد به هذه الآية علماء اليهود لانهم كتموا ما أنزل الله في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونعته ووقت نبوته هذا قول المفسرين وقال المتكلمون بل كانوا يكتفون التاويل والمعنى يكتفون معاني ما أنزل الله من الكتاب والاول أولى (ويسترون به) أي بالسكتان أو بما أنزل الله من الكتاب والاول أظهر والاشترأ هنا الاستبدال وقد تقدم تحقيقه (ثم قليلا) سماه قليلا لانقطاع مدته وسوء عاقبته وهذا السبب وان كان خاصا فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وهو يشمل كل من كتم ما شرعه الله وأخذ عليه الرشا (أولئك ما يأكلون في بطونهم) ذكر البطون دلالة وتأكيد على أن هذا الأكل حقيقة اذ قد يستعمل مجازا في مثل أكل دنانير أرضي ونحوه وقال في الكشف معناه ملء بطونهم ظرف متعلق بما قبله لا حال مقدرة كما قال الكواشي (الانار) استثناء مفرغ أي أنه لو جب عليهم عذاب النار فسمى ما أكلوه نارا لانه يؤكل بها هكذا قال أكثر المفسرين وهو من مجاز الكلام وقيل انهم يعاقبون على كتمانهم بأكل النار في جهنم حقيقة ومنه قوله سبحانه ان الذين يأكلون أموال اليناى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) أي كلام رجسة وما يسرهم بل يكلمهم بالتوبيخ وعدم تكليم الله اياهم كناية عن حلول غضب الله عليهم وعدم الرضا عنهم يقال فلان لا يكلم فلانا اذا غضب عليه وقال ابن جرير الطبري المعنى ولا يكلمهم بما يحبونه ولا بما يكرهونه كقوله تعالى اخسوا فيها ولا تكلمون وانما كان عدم تكليمهم في معرض التهديد لان يوم القيامة هو اليوم الذي يكلم الله فيه كل الخلق بلا واسطة فيظهر عند كلامه السرور في أوليائه وضده في أعدائه (ولا يكلمهم) لا يثنى عليهم خيرا قاله الزجاج وقيل معناه لا يصلح أعمالهم الخبيثة فيظهرهم أولا ينزلهم منازل الاذكاء وقيل لا يظهرهم من دنس الذنوب (ولهم عذاب أليم) أي وجيع يصل ألمه الى قلوبهم وهو النار (أو لئلك) أي الموصوفون بالصفات الستة من قوله ان الذين يكتفون الى هنا وهذا بيان لحالهم في الدنيا بعد أن بين حالهم في الآخرة (الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالغفرة) أي اختاروا الضلالة على الهدى

سيأتى قريبا من الناس من يقول ايل عبارة عن عبد والكلمة الاخرى هي اسم الله لان كلمة ايل لا تتغير في الجميع فوازته عبد الله عبد الرحمن عبد الملك عبد القدوس عبد السلام عبد الكافي عبد الجليل فبعد موجود في هذا كله واختلفت الاسماء المضاف اليها وكذلك جبرائيل وميكائيل وعزرائيل واسرافيل ونحو ذلك وفي كلام غير العرب يقدمون المضاف اليه على المضاف والله أعلم ثم قال ابن جرير وقال آخرون بل كان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم وبين عربين الخطاب في أمر النبي صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حديثي محمد بن المثنى حديثي ربي بن علية عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال نزل عمر الروحاء

فراى رجالا يتدرون اجارا يصلون اليها فقال ما بال هؤلاء قالوا يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ههنا قال فذكر ذلك وقال ايعارسول الله صلى الله عليه وسلم أدركته الصلاة بواصلا هاهنا ثم ارتحل فتركه ثم أنشأ يحدّثهم فقال كنت أشهد اليهود يوم مدارسهم فأعجب من التوراة كيف تصدق القرآن ومن القرآن كيف يصدق التوراة فبينما أنا عندهم ذات يوم قالوا يا ابن الخطاب ما من أصحابك أحد أحب إلينا منك قلت ولم ذلك قالوا لانك تغشانا وتأتينا فقلت ائى آيتكم فأعجب من القرآن كيف يصدق التوراة ومن التوراة كيف تصدق (٢٢٤) القرآن قالوا وعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابن الخطاب ذلك

صاحبكم فالحق به قال فقلت لهم عند ذلك نشدتكم بالله الذى لا اله الا هو وما استرعاكم من حقه وما استودعكم من كتابه هل تعلمون انه رسول الله قال فسكتوا فقال لهم عالمهم وكبيرهم انه قد غلط عليكم فأجيبوه قالوا فانت عالمنا وكبيرنا فأجيبه أنت قال أما اذا نشدتنا بما نشدتنا فانا نعلم انه رسول الله قلت ويحكم اذا هلكتم قالوا انالم نهلك قلت كيف ذلك وأنتم تعلمون انه رسول الله ولا تتبعونه ولا تصدقونه قالوا ان لنا عدوا من الملائكة وسلمنا من الملائكة وانه قرن بنبوته عدونا من الملائكة قلت ومن عدوكم ومن سلمكم قالوا عدونا جبريل وسلمنا ميكائيل قالوا ان جبرائيل ملك القنطرة والغلطة والاعسار والتشديد والعذاب ونحو هذا وان ميكائيل ملك الرحمة والرفقة والتخفيف ونحو هذا قال قلت وما منزلتهم من ربهم ما عز وجل قالوا أحدهما عن يمينه والاخر عن يساره قال فقلت فوالذى لا اله الا هو انهم ما والذى بينهما لعدوان عا داهما وسلم لمن سالهما وما ينبغي

واختار والعذاب على المغفرة لانهم كانوا عالمين بالحق ولكن كتموه وأخفوه وكان فى اطهار الهدى والمغفرة وفى كتمان الضلالة والعذاب (فما أصبرهم على النار) حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل قد تقدم تحقيق معناه وذهب الجمهور ومنهم الحسن ومجاهد الى أن معناه التعجب والمراد تعجب المخلقين من حال هؤلاء الذين باثروا الاسباب الموجبة لعذاب النار فكأنهم بهذه المباشرة للاسباب صبروا على العقوبة فى نار جهنم وحكى الزجاج أن المعنى ما أبقاهم على النار من قولهم ما أصبر فلانا على الحبس أى ما أبقاها فيه وقيل المعنى ما أقل جرعه من النار فجعل قلبه الجزع صبرا وقال الكسائى رقطرب أى ما أدومهم على عمل أهل النار وقيل ما استغفاهية ومعناه التوبخ أى شئ صبرهم على عمل أهل النار وهذا من مجاز الكلام وبه قال ابن عباس والسهدي وعطاء وأبو عبيدة (ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق) أى ذلك الامر وهو العذاب قاله الزجاج وقال الاخفش ان خبر اسم الاشارة محذوف والتقدير ذلك معانهم والمراد بالكتاب هنا القرآن أو التوراة والحق الصدق وقيل الحجة (وان الدين اختلفوا فى الكتاب) يعنى فى معانيه وتأويله فخرّفوه وبطلوه وقيل آمنوا ببعض وكفروا ببعض والمراد بالكتاب قيل التوراة فادعى النصارى ان فيها صفة عيسى وأنكرهم اليهود وقيل خالفوا ما فى التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم واختلفوا فيها وقيل المراد القرآن والمختلفون هم كفار قريش يقول بعضهم هو سحر وكهانة وبعضهم يقول هو أساطير الاولين وبعضهم يقول غير ذلك وقيل المختلفون هم اليهود والنصارى (اننى شقاق) أى خلاف ومنازعة (بعيد) عن الحق وقد تقدم معنى الشقاق (ليس البر أن تولدوا ووجهكم قبل المشرق والمغرب) قيل ان هذه الآية نزلت للرد على اليهود والنصارى لما أكثروا الكلام فى شأن القبلة عند تحويل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الايمان فلهذه الآية حتى فرغ منها ثم سأله أيضا فلهذه الآية فقال واذا علمت بسنة أبغضها قبلك أخرجه ابن أبى حاتم وصححه عن أبى ذر قيل أشار سبحانه بذكر المشرق الى قبلة النصارى لانهم يستقبلون مطلع الشمس وأشار بذكر المغرب الى قبلة اليهود لانهم يستقبلون بيت المقدس وهو فى جهة

الجبرائيل ان يسالم عدو ميكائيل وما ينبغي لميكائيل ان يسالم عدو جبرائيل قال ثم قلت فأتعت النبي صلى الله الغرب عليه وسلم فلحقته وهو خارج من خوخة لبنى فلان فقال يا ابن الخطاب ألا قرأت آيات نزلت قبل فقرأ على من كان عدو الجبريل فانه نزل على قلبك باذن الله حتى قرأ الآيات قال قلت يا بنى وأمى يا رسول الله والذى بعثك بالحق لقد جئت وأنا أريد أن أخبرك وأنا أسمع اللطيف الخبير قد سبقنى اليك بالخبر وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو اسامة عن مجالد أبا ناعما قال انطلق عمر بن الخطاب الى اليهود فقال أنشدكم بالذى أنزل التوراة على موسى هل تجدون محمدا فى كتبكم قالوا نعم قال فما يمنعكم ان

تبعوه قالوا ان الله لم يعث رسولا الا جعل له من الملائكة كفلا وان جبرائيل كفل محمد وهو الذي ياتيه وهو عدونا من الملائكة وميكائيل سلمنا لو كان ميكائيل الذي ياتيه سلمنا قال فاني انشدهم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ما نزلتم ما عند الله تعالى قالوا جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن شماله قال عمرواني أشهد ما نزلان الا باذن الله وما كان ميكائيل ليسالم عدو جبرائيل وما كان جبرائيل ليسالم عدو ميكائيل فبينما هو عندهم اذ هم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا صاحبك يا ابن الخطاب فقام اليه عمر فاته وقد أنزل الله عز وجل من كان عدوا لله وملائكته ورسله (٢٢٥) وجبريل وميكائيل فان الله عدو للكافرين

وهذان الاسنادان يدلان على ان الشعبي حدث به عن عمرو ولكن فيه انقطاع بينه وبين عمر فانه لم يذكر زمانه والله أعلم وقال ابن جرير حدثنا بشير حدثنا ابن زيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان عمر بن الخطاب انطلق ذات يوم الى اليهود فلما انصرف رحبوا به فقال لهم عمر أما والله ما جئتمكم لحبكم ولا لرغبة فيكم ولكن جئت لاسمع منكم فسالهم وسألوه فقالوا من صاحب صاحبكم فقال لهم جبرائيل فقالوا ذلك عدونا من أهل السماء يطلع محمد على سرنا واذا جاء جاء بالحرب والسنة ولكن صاحب صاحبنا ميكائيل وكان اذا جاء جاء بالخصب والسلم فقال لهم عمر هل تعرفون جبرائيل وتكفرون محمد ا صلى الله عليه وسلم ففارقهم عمر عند ذلك وتوجه نحو النبي صلى الله عليه وسلم ليحدثه حديثهم فوجدته قد أنزلت عليه هذه الآية قل من كان عدوا لجبريل فانه نزل على قلبك باذن الله الآيات ثم قال حدثني المشني حدثنا آدم حدثنا أبو جعفر حدثنا

الغريب منهم اذ ذلك وزعم كل طائفة منهم ان البر في ذلك فأخبر الله تعالى ان البر ليس فيما زعوا ولكنه فيما بينه في هذه الآية وقيل مخاطب هم المسلمون وقيل هو عام لهم ولاهل الكتابين أي ليس البر مقصورا على أمر القبلة والبر اسم جامع لكل طاعة وعمل الخير ويجوز أن يكون بمعنى البار ويطلق المصدر على اسم الفاعل كثير ومنه في التنزيل ان أصبح مأوكم غورا أي غائرا وهذا اختيار أبي عبيدة والمشرق جهة شروق الشمس والمغرب جهة غروبها وهذا مشكل بما تقدم من أن قبلة اليهود انما هي بيت المقدس وهو بالنسبة الى المدينة شمال لا مغرب لان من استقبل بيت المقدس يكون فيها ظهره مقابلا لميزاب الكعبة ووجهه مقابلا لبيت المقدس الذي هو من جهة الشام وكذا بالنسبة لمكة فلم يظهر المراد من هذه الآية وقد تنبه أبو السعد لهذا وأجاب عنه بما لا يجدي شيئا فليست أملي فاني لم أر من حقق المقام والله أعلم (ولكن البر) أي لكن ذا البر وقرئ البار أوبر (من آمن بالله) والاخيرا وفق وأحسن والبر اسم جامع لكل طاعة واعمال الخير مما لا يختلف باختلاف الشرائع وما يختل باختلافها والمراد بالبر هنا الايمان والتقوى واليوم الآخر ذكر ذلك لان عبدة الاوثان كانوا يسكرون البعث بعد الموت (والملائكة) أي الايمان بهم كلهم لان اليهود قالوا ان جبريل عدونا (والكتاب) قيل أراد به القرآن وقيل جميع الكتب المنزلة لسياق ما بعده وهو قوله (والنبيين) يعني أجمع وانما خص الايمان بهذه الامور الخمسة لانه يدخل تحت كل واحد منها أشياء كثيرة مما يلزم المؤمن أن يصدق بها (وأتى المال على حبه) شهر حبه راجع الى المال وقيل الى الايتاء المدلول عليه بقوله وأتى المال وقيل انه راجع الى الله سبحانه أي على حب الله والمعنى على الاول انه أعطى المال وهو يحبه ويشعبه ومنه قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وعلى الثاني انه يجب ايتاء المال وطيب به نفسه وعلى الثالث انه أعطى من تضمنته الآية في حب الله عز وجل لا لغرض آخر وهو مثل قوله ويطعمون الطعام على حبه عن ابن مسعود قال يعطى وهو صحيح صحيح يا بمل العيش ويخاف الفقر وأخرج الحاكم عنه مرفوعا مثله وعن أبي هريرة قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله أي الصدقة أعظم قال ان تصدق وأنت صحيح صحيح تخشى الفقر وتأمل الغنا ولا تهمل حتى اذا بلغت الخلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان أخرجه

(٢٩ ل - فتح البیان) قتادة قال بلغنا ان عمر أتى الى اليهود وما فذكر نحوه وهذا في تفسير آدم وهو أيضا منقطع وكذلك رواه أسباط عن السدي عن عمر مثل هذا أو نحوه وهو منقطع أيضا وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار حدثنا عبد الرحمن يعني الدسوقي حدثنا أبو جعفر عن حصين بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ان يهوديا قال لعمر بن الخطاب فقال ان جبرائيل الذي يذكر صاحبكم عدونا فقال عمر من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فان الله عدو للكافرين قال فنزلت على لسان عمر رضي الله عنه ورواه عبد بن حميد عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن أبي جعفر هو الرازي وقال ابن جرير حدثني يعقوب

ابن ابراهيم حدثني هشيم اخبرنا حسين بن عبد الرحمن عن ابن ابي ليلى في قوله تعالى من كان عدوا لجبريل فان قال اليهود
للمسلمين لو ان ميكائيل كان هو الذي ينزل عليكم اتبعناكم فانه ينزل بالرحمة والغيث وان جبرائيل ينزل بالعذاب والنقمة فانه عدو
لنا قال فنزلت هذه الآية جَدُّنَا يَعْقُوبُ أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ عَنْ عَطَاءِ بْنِ مَعْلُومٍ عَنْ قَتَادَةَ
فِي قَوْلِهِ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ قَالَ قَالَتِ الْيَهُودُ أَنَّ جِبْرِائِيلَ عَدُوٌّ لَنَا لِأَنَّهُ نَزَّلَ بِالْشَّدَةِ وَالسِّنَةِ وَأَنَّ مِيكَائِيلَ نَزَّلَ بِالرَّحْمَةِ
وَالْعَافِيَةِ وَالْحَصْبُ جِبْرِائِيلَ عَدُوٌّ لَنَا فقال الله (٢٦٦) تعالى من كان عدوا لجبريل الآية وأما تفسير الآية فقوله

تعالى قل من كان عدوا لجبريل
فانه نزله على قلبك باذن الله أى من
عادى جبرائيل فليعلم انه الروح
الامين الذى نزل بالذكرا الحكيم
على قلبك من الله باذنه فى ذلك
فيهو رسول من رسل الله ملكي
ومن عادى رسولا فعداى جميع
الرسل كما أن من آمن برسول فانه
يلزمه الايمان بجميع الرسل وكما
أن من كفر برسول فانه يلزمه
الكفر بجميع الرسل كما قال
تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسوله
ويريدون ان يفسدوا بين الله
ورسوله ويقولون نؤمن ببعض
ونكفر ببعض الآيتين فحكم
عليهم بالكفر المحقق اذا آمنوا
ببعض الرسل وكفروا ببعضهم
وكذلك من عادى جبرائيل فانه
عدو لله لان جبرائيل لا ينزل بالامر
من تلقاء نفسه وانما ينزل بأمر ربه
كما قال وما تنزل الا بأمر ربك
الآية وقال تعالى وانه لتنزيل رب
العالمين نزل به الروح الامين على
قلبك لتكون من المندرين وقد
روى البخارى فى صحيحه عن أبى
هريرة قال قال رسول الله صلى الله

الشيخان (ذوى القربى) يعنى أهل قرابة المعطى وقد سلم ذوى القربى لكون دفع المال
اليهم صدقة وصلة اذا كانوا فقراء وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال
الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم ثنتان صدقة وصلة أخرجه ابن ابي شيبة
وأحمد والترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه والحاكم والبيهقى فى سننه من حديث
سلمان بن عامر الضبي وفى الصحيحين وغيرهما من حديث زينب امرأة ابن مسعود انها
سالت رسول الله هل تجزئ عنهما من الصدقة الفسقة على زوجها وأيتام فى حجره فقال
للكأجران أجر الصدقة وأجر القرابة وأخرج الطبرانى والحاكم وصححه والبيهقى فى سننه
من حديث أم كاثوم بنت عقبة انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول
أفضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح (واليتامى) أى وهكذا يتامى المحاويج الفقراء
أولى بالصدقة من الفقراء الذين ليسوا يتامى لعدم قدرتهم على الكسب واليتيم هو الذى
لا أب له مع الصغر (والمساكين) جمع مسكين والمسكين الساكن الى ما فى أيدي الناس
لكونه لا يجد شيئا (وابن السبل) المسافر المنقطع وجعل ابن السبل ملازمة له وهو اسم
جنس أو واحد أى يده بالجمع (والسائلين) يعنى الطالبين للاخوان المستطعمين ولو كانوا
أغنياء عن على بن أبى طالب أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال للسائل حق
ولو جاء على فرس أخرجه أحمد وأبو داود وعن زيد بن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم قال أعطوا السائل ولو جاء على فرس أخرجه مالك فى الموطأ وعن أم نجيد
قالت قلت يا رسول الله المسكين ليقوم على باي فلم أجده شيئا أعطيه اياه قال ان لم تجد
الاظلاف فاحرقها فادفعه اليه فى يده أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث صحيح وفى
رواية مالك فى الموطأ عنها ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ردوا المسكين
ولو بظلف محرق (وفى الرقاب) يعنى المسكين وقيل خوفك النسيمة وعنى الرقبة وفداء
الاسارى أى دفعه فى فكى أى لاجله وبسببه (وأقام الصلاة وأتى الزكاة) المفروضة
فيه دليل على ان الايتام المتقدم هو صدقة التطوع لاصدقة الفريضة (والموقوفون بعهدكم
اذ اعاهدوا) الله والناس قيل المراد بالعهد ان قيام بحجود الله والعمل بطاعته وقيل النذر
ونحوه وقيل الوفاء بالمواعد والبر فى الخلف وأداء الامانات (والصابرين فى الباساء) الشدة
والفقر (والضراء) المرض والزمانة والبأساء والضراء اسمان يتبعان على فعلا ولا فعل لهما

عليه وسلم من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب ولهذا غضب الله لجبرائيل على من عاداه فقال تعالى من
كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدا لما بين يديه أى من الكتب المتقدمة وهدى وبشرى للمؤمنين أى هدى
لقلوبهم وبشرى لهم بالجنة وليس ذلك الا للمؤمنين كما قال تعالى قل هو الذى آمنوا هدى وشفاء الآية وقال تعالى وتنزل من
القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين الآية ثم قال تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فان الله عدو
للكافرين يقول تعالى من عادى وى وملائكته ورسله تشمل رسله من الملائكة والبشر كما قال تعالى الله يصطفى من الملائكة

رسلا ومن الناس وجبريل وميكال وهذا من باب عطف الخاص على العام فانهم اذ خلا في الملائكة في عموم الرسل ثم خصصا بالذكر لان السياق في الانتصار لجبرائيل وهو السفير بين الله وأنبيائه وقرن معه ميكائيل في اللفظ لان اليهود زعموا ان جبرائيل عدوهم وميكائيل وليهم فاعلمهم الله تعالى ان من عادى واحدا منهما فقد عادى الآخر وعادى الله أيضا ولانه أيضا ينزل على أنبياء الله بعض الاحيان كما قرن برسول الله صلى الله عليه وسلم في ابتداء الامر ولكن جبرائيل أكثر وهي وظيفته وميكائيل موكل بالنبات والقطر هداك بالهدى وهذا بالرزق كما ان اسرافيل موكل بالنفخ (٢٢٧) في الصور للبعث يوم القيامة ولهذا جاء

في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يقول اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم وقد تقدم ما حكاها البخاري ورواه ابن جرير عن عكرمة وغيره أنه قال جبر وميك واسراف عبيد وايل الله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن الاعشى عن اسمعيل بن أبي رجا عن عمير مولى ابن عباس عن ابن عباس قال انما كان قوله جبرائيل كقوله عبد الله وعبد الرحمن وقيل جبر عبد وايل الله وقال محمد بن اسحق عن الزهري عن علي بن الحسين قال ان تدرن ما اسم جبرائيل من اسمائكم قلنا لا قال اسمه عبد الله وكل اسم مرجعه الى ايل فهو الى الله عز وجل قال ابن أبي حاتم وروى عن عكرمة ومجاهد

لانهم ما اسمان وليس باسمنت ونصب والصابر بن علي المدح وقيل على الاختصاص ولم يعطف على ما قبله لمزيد شرف الصبر وفضيلته قال أبو علي اذا ذكرت صفات للمدح أو الذم وخواف الاعراب في بعضها فذلك تفنن ويسمى قطعاً لان تغير المألوف يدل على زيادة ترغيب في استماع الذكور ومن يداهتة لم يشانه قال الراغب ولما كان الصبر من وجه مبدأ للفضائل ومن وجه جامع للفضائل اذ لفضيلة الاول الصبر فيها أثر بليغ غير اعراجه تنبيها على هذا المقصد وهذا كلام حسن فالأية جامعة لجميع الكمالات الانسانية وهي صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس (وحير الباس) أي وقت الحرب وشدة القتال في سبيل الله وسمى الحرب باسمها فيه من الشدة (أو تلك الذين صدقوا) وصفهم بالصدق في أمورهم والوفاء بها وانهم كانوا جادين في الدين وتباعد الحق وتحري البر حيث لم تغيرهم الاحوال ولم تزلزلهم الاحوال قال ربيع صدقوا أي تكلموا بكلام الايمان فكانت حقيقة عمله قال وكان الحسن يقول هذا كلام الايمان وحقيقته العمل فان لم يكن مع القول عمل فلا شيء (وأولئك هم المتقون) عن الكفر وسائر الرذائل وتكرير الاشارة لزيادة تنويه شانهم وتوسيط التضمير للاشارة الى انحصار التقوى فيهم قال الواحدى ان الواو ات في هذه الاوصاف تدل على ان من شرائط البراستكمالها وجمعها فمن قام بها احدها لا يستحق الوصف بالبر وقيل هذه خاصة الانبياء لان غيرهم لا تجتمع فيه تلك الصفات وقيل هي عامة في جميع المؤمنين وهو الاولى اذ لا دليل على التخصيص وتكرير الاشارة لزيادة تنويه شانهم وتوسيط التضمير للاشارة الى انحصار التقوى فيهم (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى) كتب معناه فرض وأثبت وهذا اخبار من الله سبحانه لعباده بأنه شرع لهم ذلك وقيل ان كتب معنا اشارة الى ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ والخطاب للقائنين وولاية الامور والقصاص أصله قص الاثر أي اتباعه ومنه القاص لانه يتبع الآثار وقص الشعر اتباع أثره فكان القاتل يسلك طريقا من القتل يقص أثره فيها ومنه قوله تعالى فارتد اعني آثارهما قصصا وقيل ان القصاص ما خوذ من القص وهو القطع يقال قصصت ما بينهم ما أي قطعته قيل نزلت في حين من احياء العرب اقتتلوا في الجاهلية بسبب قيسل فكانت بينهم قتلى وجر اجاحات كثيرة ولم يأخذ بعضهم من بعض حتى جاء الاسلام وقيل نزلت في الاوس والخزرج وكان

والضحاك ويعني بن يعمر نحو ذلك ثم قال حدثني أبي حدثنا أحمد بن أبي الخوارى حدثني عبد العزيز بن عمير قال اسم جبرائيل في الملائكة خادم الله قال حدثت به ابا سليمان الداراني فانتفض وقال لهذا الحديث أحب الى من كل شيء في دفتر كان بين يديه وفي جبرائيل وميكال لغات وقرأت تذكر في كتب اللغة والقرأت ولم نطوّل كتابنا هذا بسر ذلك الا أن يدور فهم المعنى عليه أو يرجع الحكم في ذلك اليه وبالله الثقة وهو المستعان وقوله تعالى فان الله عدو للكافرين فيه اي قاع المظهر مكان المظهر حيث لم يقل فانه عدو بل قال فان الله عدو للكافرين كما قال الشاعر لا أرى الموت يسبق الموت شيء * سبق الموت ذا الغنا والفقير

وقال الآخر ليت الغراب غداً يعبد دائماً * كن الغراب منقطع الاوداج وانما الظير الله هذا الاسم خيماً
لتقرير هذا المعنى وانما هار وواعلامهم ان من عادي ولي الله فقد عادي الله ومن عادي الله فان الله عدوه ومن كان الله عدوه فقد
خسر الدنيا والاخرة كما تقدم الحديث من عادي لي ولياً فقد آذنته بالبحارية وفي الحديث الآخر اني لا تأكل ولاولسائي كما يثار اليك
الحرب وفي الحديث الصريح من كنت خصمه خصمه (ولقد أنزلنا اليك آيات عتات وما يكفر بها الا الفاسقون أو كذا شاهدوا
عهداً بذهابهم منكم بل أكثرهم لا يؤمنون (٢٢٨) ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما سمعهم يبذرون من الذين

أوتوا الكتاب كتاب الله وراة
ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتعزوا
ماتوا الشياطين على مثل سليمان
وما كفر سليمان ولكن الشياطين
كفروا ويعلمون الناس السجود وما
أنزل على الملكين ببابل هاروت
وماروت وما يعلمان من أحد حتى
يقولا انما نحن فتنه فلا تكفر
فتعلمون منهم ما يفرقون بين
المرور وجه وما هم بضارين به من
أحد الا باذن الله ويتعلمون
ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علوا
لمن اشتراهم الى الاخرة من خلاق
وليسما شروا به أنفسهم لو كانوا
يعلمون ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة
من عند الله خير لو كانوا يعلمون
قال الامام أبو جعفر بن جريفي
قوله تعالى ولقد أنزلنا اليك آيات
بينات الآية أي أنزلنا اليك يا محمد
علامات واضحات دالات على نبوتك
وتلك الآيات هي ما حواه كتاب
الله من خفايا علوم اليهود
ومكنونات سرائر أخبارهم
وأخباراً وأثلهم من بني اسرائيل
والنبا عما تضمنته كتبهم التي لم
يكن يعلمها الا أخبارهم وعلومهم

لا أحد الحيين طول على الآخر في الكثرة والشرف وقيل نزلت لازالة الاحكام التي كانت
قبل بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم من وجوب القتل بلا عفو ووجوب العفو
بلا قتل والقتل تارة وأخذ الدية تارة والقصاص فرض على القاتل المولى لا على الزلي
والقصاص المساواة والمماثلة في القتل والدية والجراح فيقتل القاتل بمثل الذي قتل به
وهو قول مالك والشافعي وقيل يقتل بالسيف وهو قول أبي حنيفة ورواية عن أحمد
والكلام في فروع هذه المسئلة يطول وفي القتل للسبب كقوله صلى الله عليه وآله وسلم
ان امرأ أدخلت النار في حرأى بسببها وفعلت بطرد جعاف قيل بمعنى مفعول (آخر
بالحر والعبد بالعبد والاني بالاني) وقد استدل بهذه الآية القائلون بان الحر لا يقتل
بالعبد وهم الجمهور وذهب أبو حنيفة وأصحابه والثوري وابن أبي ليلى وداود الى انه يقتل
به اذا كان غير سيده وأما سنده فلا يقتل به اجزاء الا ما روى عن النخعي فليس مذهب أبي
حنيفة ومن معه على الاطلاق ذكره الشوكاني في شرح المفتي قال القرطبي وروى
ذلك عن علي وابن مسعود وبه قال سعيد بن المسيب وابراهيم الخفي وقادة والحكم بن
عتبة واستدلوا بقوله تعالى وكنتنا عليهم فيها ان النفس بالنفس وأجاب الاولون عن هذا
الاستدلال بان قوله الحر بالحر والعبد بالعبد مفسر لقوله تعالى النفس بالنفس وقولوا
أيضا ان قوله وكنتنا عليهم فيها يفيد ان ذلك حكاية عما شرعه الله لبني اسرائيل في التوراة
ومن جملة ما استدل به الآخرون قوله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين تتكادأ دماؤهم
ويحجب عنه انه يحمل والآية مبينة ولكنه يقال ان قوله تعالى الحر بالحر والعبد بالعبد
انما أفاد بمنطوقه ان الحر يقتل بالحر والعبد يقتل بالعبد وليس فيه ما يدل على ان الحر
لا يقتل بالعبد الا باعتبار المنة يوم من أخذت جعل هذا المفهوم لرمه القول به منا ومن لم
ياخذت جعل هذا المفهوم لم يلزمه القول به منا والبحث في هذا مخررفي علم الاصول وقد
استدل بهذه الآية القائلون بان المسلم يقتل بالكافر وهم الكوفيون والثوري لان الحر
يتناول الكافر كما يتناول المسلم وكذا العبد والاني يتناول الكافر كما يتناول المسلم
واستدلوا أيضا بقوله تعالى ان النفس بالنفس لان النفس تصدق على النفس الكافرة
كما تصدق على النفس المسلمة وذهب الجمهور الى انه لا يقتل المسلم بالكافر واستدلوا
بما روي من السنة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا يقتل مسلم بكافر وهو مبين

وما حرفة أو أثلهم وأراخهم وبدلوه من أحكامهم التي كانت في التوراة فاصح الله في كتابه الذي أنزله على نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم فكان في ذلك من أمره الآيات بينات لمن أنصف من نفسه ولم يدعها الى حلا كنها الحسد والبغى اذ كنت في
فطرة كل ذي فطرة صحيحة تصديق من أتى بمثل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات بينات التي وصف من غير تعلم تعليمه
من بشر ولا أخذ شأمنه عن آدمي كما قال الفخامك عن ابن عباس ولقد أنزلنا اليك آيات بينات يقول فانت تعلمو عليهم وتجبرهم
به غدوة وعشبة وبين ذلك وانت عندهم أي لم تقرأ كتاباً وأنت تجبرهم على أيديهم على وجهه يقول الله تعالى لهم في ذنب عبرة

وبيان وعليهم حجة لا كذا يعلمون وقال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال قال
ابن صوريا القنطوي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ما جئتكم بشئ أعرفه وما أنزل الله عليكم من آية بينة فثبتت عند فازل الله في
ذلك من قوله ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما تكفر بها إلا الفاسقون وقال مالك بن النيف حين بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم وذكرهم ما أخذ عليهم من المشاق وما عهد إليهم في محمد صلى الله عليه وسلم والله ما عهد إليكم من غير ما أخذ علينا من آفا
فازل الله تعالى أو كلما عهدوا عهدا هذه فريق منهم وقال الحسن البصري (٢٢٩) في قوله بل أكثرهم لا يؤمنون قال

نعم ليس في الأرض عهد يعاهدون
عليه إلا نقضوه وينذوه يعاهدون
اليوم وينقضون غدا وقال
السدي لا يؤمنون بما جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم وقال قتادة
نبتة فريق منهم أي نقضه فريق
منهم وقال ابن جرير أصل النبذ
الشرح واللقاء ومنه سمي اللقطة
منبذاً ومنه سمي النبذ وهو التمر
والزبيب إذا طرحت في الماء قال
أبو الأسود الدبلي
نظرت إلى عنوانه فنبتته

لم يرد في الآيتين وهذه الآية مع الأحاديث الواردة في ذلك حجة على أصحاب الرأي
والبحث في هذا يطول واستدل بهذه الآية القائلون بأن الذكرا لا يقتل بالانثى وقرروا
الدلالة على ذلك بمثل ما سبق إذا سلم أولياء المرأة الزيادة على دية من دية الرجل وبه قال
مالك والشافعي وأحمد واسحق والثوري وأبو ثور وذهب الجمهور إلى أنه يقتل الرجل
بالمراة ولا زيادة وهو الحق وقد بسط الشوكاني البحث في نيل الاوطار فليرجع إليه
(فمن عني له من أخيه شئ فاتباع المعروف وأداء اليمين باحسان) من هنا عبارة عن القاتل
أو الجاني والمراد بالآخ المقتول أو الولي والشئ عبارة عن الدم والمعنى إن القاتل والجاني
إذا عني له من جهة الجاني عليه أو الولي دم أصابه منه على أن يأخذ منه شيئا من الدية
أو الارش فليتبع الجاني عليه أو الولي من عليه الدم فيما يأخذ منه من ذلك اتباعا بالمعروف
وليؤد الجاني ما لزمه من الدية أو الارش إلى الجاني عليه أو الولي أداء باحسان وقيل
أن من عبارة عن الولي والآخ مراد به القاتل والشئ الدية والمعنى إن الولي إذا جئ إلى العفو
عن القصاص إلى مقابل الدية فإن القاتل مخير بين أن يعطيها أو يسلم نفسه للقصاص
كما روي عن مالك أنه ثبت الخيار للقاتل في ذلك وذهب من عده إلى أنه لا يخير بل إذا
رضى الأولياء بالدية فلا خيار للقاتل بل يلزمه تسليمها وقيل معنى عني بذل أي من بذل له
شئ من الدية فليقبل وليتبع بالمعروف وقيل إن المراد بذلك أن من فضل له من الطائفتين
على الأخرى شئ من الديات فيكون عني بمعنى فضل وعلى جميع التقادير فتسكير شئ
للتقليل فيتناول العفو من الشئ اليسير من الدية والعفو الصادر عن فرد من أفراد الورثة
وفي الآية دليل على أن القاتل لا يصير كافرا وإن الفاسق مؤمن لأن الله تعالى خاطبه بعد
القتل بالإيمان وسماه مؤمنا حال ما وجب عليه من القصاص وقتل العمد والعدوان من
الكافر بالإجماع فدل على أن صاحب الكبيرة مؤمن وأنه تعالى أثبت الأخوة بين القاتل
وولي الدم وأراد بها الأخوة الإيمان فلولا أن الإيمان باق على القاتل لم ثبت له الأخوة وأيضا
نذب إلى العفو عن القاتل والعفو لا يليق إلا بمن مؤمن لا عن الكافر (ذلك تخفيف من
ربكم ورحمة) إشارة إلى العفو والدية أي إن الله شرع لهذه الأمة العفو من غير عوض
أو بعوض ولم يضيق عليهم كما ضيق على اليهود فإنه أوجب عليهم القصاص ولا عفو وكما
ضيق على النصارى فإنه أوجب عليهم العفو ولا دية وفيه تضيق على كل من الوارث

كنبتة نعلنا إنا خلقنا من نعالنا
قلت فالقوم ذمهم الله بنبتهم
العهود التي تقدم الله اليهم في
التمسك بها والقمام بحقوقها ولهذا
أعقبهم ذلك التكذيب بالرسول
المبعوث اليهم وإلى الناس كافة
الذي في كتبهم نعتهم وصفتهم
وأخبارهم وقد أمر وأفيا باتباعه
وموارزته ونصرتة كما قال تعالى الذين
يتبعون الرسول النبي الأمي الذي
يجدونهم مكتوبا عندهم في التوراة
والإنجيل الآية وقال ههنا ولما
جاءهم رسول من عند الله مصدق
لما معهم الآية أي طرح طائفة
منهم كتاب الله الذي بأيديهم مما فيه

البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وراظه ورهم أي تركوها كأنهم لا يعلمون ما هم أو أقبلوا على تعلم السحر واتباعه ولهذا
أرادوا كيداً برسول الله صلى الله عليه وسلم وسحروه في شطو ومشاقة وجف طلع مذكر تحت راعوفة يبرأ روان وكان الذي تولى
ذلك منهم رجل يقال له ليس بن الأعصم لعنه الله وقبحه فاطاع الله على ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم وشفاه منه وأفتقه كما ثبت
ذلك مبسوطاً في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها كما سألني بيانه قال السدي ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق
لما معهم قال لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتوراة فخاصمهم فيها فاتفقت التوراة والقرآن فنبذوا التوراة وأخذوا

بكتاب آصف وتحراروت وماروت فلم يوافق القرآن فذلك قوله كانوا يعلمون وقال قتادة في قوله كانوا يعلمون قال ان
القرم كانوا يعلمون ولكنهم سبوا واعلمهم وكتمود وحمدوا به وقال العوفي في تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالى واتبعوا ما تلو
الشياطين الاية وكان حين ذهب ملك سليمان ارتد فقام من الجن والانس واتبعوا الشبهوات فلما أرجع الله الى سليمان ملكه وقام
الناس على الدين كما كان وان سليمان ظهر على كتبهم فدفن تحت كرسه ودفن سليمان عليه السلام حداث ذلك فظهر الانس
والجن على الكتب بعد وفاة سليمان (٢٣٠) وقالوا هذا كتاب من الله نزل على سليمان فاخفاه عنا فاخذوا به فجعلوه

والقاتل فهذا تحقيق مما كتب على من كان قبلهم (فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب
اليم) اي بعد التخفيف نحو ان ياخذ الدية ثم يقتل القاتل أو يعفو ثم يستقص وقد
اختلف أهل العلم فمن قتل القاتل بعد أخذ الدية فقال جماعة منهم مالك والشافعي انه
كمن قتل ابتداء ان شاء الولي قتله وان شاء عفا عنه وقال قتادة وعكرمة والسدي وغيرهم
عذابه ان يقتل البتة ولا يمكن الحاكم الولي من العفو وقال الحسن عذابه ان يراد الدية
فقط ويبقى ثمنه الى عذاب الآخرة وقال عمر بن عبد العزيز أمره الى الامام بصنع فيه
ما رأى وأخرج عبد الرزاق وابن أبي شيبة وأحمد وابن أبي حاتم والبيهقي عن أبي شريح
الخزاعي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من أصيب بقتل أو خبل فإنه يختار احدي
ثلاث اما ان يقتص واما ان يعفو واما ان ياخذ الدية فان أراد الرابعة فخذوا على يديه ومن
اعتدى بعد ذلك فله نار جهنم خالدا فيها أبدا وعن قتادة قال ذكر لنا ان رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم قال لا أعاقى رجلا قتل بعد أخذ الدية أخرجه ابن جرير وابن المنذر
وأخرج سمويه في فوائده عن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذ كرملة
والعذاب الليم قيل هو عذاب الآخرة وقيل هو ان يقتل قصاصا ولا تقبل منه دية ولا يعفى
عنه والاول أظهر وأولى ويدل له الحديث المتقدم (ولكم في القصاص حياة) خطاب
لمريدي القتل ظلما وقال أبو السعود بيان للحكم المذكور على وجه بدعي لا تامل
غايته حيث جعل الشيء وهو القصاص محلا لضده وهو الحياة ونكر الحياة ليدل على
ان في هذا الجنس نوعان الحياة عظيم لا يبلغه الوصف وذلك لانهم كانوا يقتلون الجماعة
بالواحد فتشر القسمة بينهم في شرع القصاص سلامة من هذا كله والمعنى ولكم في هذا
الحكم الذي شرعه الله بقاء وحياة لان الرجل اذا علم ان يقتل قصاصا اذا قتل آخر كف
عن القتل وانزجر عن التسرع اليه والوقوع فيه فيكون ذلك بمنزلة الحياة للنفس
الانسانية وهذا نوع من البلاغة بليغ وجنس من الفصاحة رفيع فإنه جعل القصاص
الذي هو موت حياة باعتبار ما يؤل اليه من ارتداد الناس عن قتل بعضهم بعضا بقاء على
أنفسهم واستدامة حياتهم وقيل ان الحياة سلامة من القصاص في الآخرة فإنه اذا
اقتص في الدنيا لم يقتص عنه في الآخرة والاول أولى وقال الخازن هذا الحكم غير
مختص بالقصاص الذي هو القتل بل يدخل فيه جميع الجروح والشجاج وغير ذلك وقرأ

دينا فانزل الله تعالى ولما جاءهم
رسول من عند الله مصدق لما
معهم الاية واتبعوا الشهوات
التي كانت تتلو الشياطين وهي
المعازف واللعب وكل شيء يصد عن
ذكر الله وقال ابن أبي حاتم حدثنا
أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة
عن الأعمش عن المنهال عن سعيد
ابن جبيرة عن ابن عباس قال كان
آصف كاتب سليمان وكان يعلم
الاسم الاعظم وكان يكتب كل شيء
ياهر سليمان ويدفنه تحت كرسه
فلما مات سليمان أخرجه الشياطين
فكتبوا بين كل سطرين سمرا
وكفروا وقالوا هذا الذي كان سليمان
يعمل بها قال فأكفر جهال
الناس وسبوه ووقف علماء الناس
فلم يرزل جهال الناس يسبون حتى
أنزل الله على محمد صلى الله عليه
وسلم واتبعوا ما تلو الشياطين على
ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن
الشياطين كفروا وقال ابن جرير
حدثني أبو السائب سلمة بن جندة
السوائي حدثنا أبو يعقوب عن
الأعمش عن المنهال عن سعيد بن
جبيرة عن ابن عباس قال كان

سليمان عليه السلام اذا أراد ان يدخل الخلاء أو يأتي شيئا من نسائه أعطى الجرادة وهي امرأته خاتمه فلما أراد
الله ان يتلى سليمان عليه السلام بالذي ابتلاه به أعطى الجرادة ذات يوم خاتمه فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال هاتي خاتمي
فاخذه ولبسه فلما لبسه دانت له الشياطين والجن والانس قال فجاءه سليمان فقال لها هاتي خاتمي فقالت كذبت لست سليمان
قال فعرف سليمان انه ابتلاه بتلى به قال فانطلقت الشياطين فكتب في تلك الايام كتابا فيها سحر وكفر فدفنوها تحت كرسى
سليمان ثم أخرجهوا وقرؤها على الناس وقالوا انما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب قال فبرئ الناس من سليمان وكفروه

حتى يثبت الله محمد صلى الله عليه وسلم قائل عليه وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ثم قال ابن جرير حدثنا ابن جهم
حدثنا جرير عن حصين بن عبد الرحمن عن عمران وهو ابن الحرث قال بينما نحن عند ابن عباس رضي الله عنهما اذ جاء رجل فقال له
من أين جئت قال من العراق قال من أيه قال من الكوفة قال فما الخبر قال تركتهم يتحدثون أن عليا خارج اليهم فنفزع ثم قال
ما نقول لأبائك لو شعرنا ما كنا نساء ولا قسمنا ميراثه أما اني سأحدثكم عن ذلك انه كانت الشياطين يسترقون السمع من
السماء فيجيء أحدهم بكلمة حتى قد سمعها فاذا جرت منه وصدق كذب (٢٣١) معها سبعين كذبة قال فتشربها

قلوب الناس قال فاطلع الله عليها

سليمان عليه السلام فدفنها تحت

كرسيه فلما توفي سليمان عليه السلام

قام شيطان الطريق فقال هل

أدلكم على كنز الممنوع الذي لا كنز

له مثله تحت الكرسي فانجروه

فقال هذا بحر فتناسخها الامم حتى

بقاياها ما يتحدث به أهل العراق

فانزل الله عز وجل واتبعوا ما اتوا

الشياطين على ملك سليمان وما

كفر سليمان ولكن الشياطين

كفروا الآية وروى الحاكم في

مستدركه عن أبي زكريا العنبري

عن محمد بن عبد السلام عن اسحق

ابن ابراهيم عن جريره وقال

السدي في قوله تعالى واتبعوا

ما اتوا الشياطين على ملك سليمان

أي على عهد سليمان قال كانت

الشياطين تصعد الى السماء فتتعد

منها مقام عدا للسمع فيستعون من

كلام الملائكة مما يكون في الارض

من موت أو غيب أو أمر فيأتون

الكهنة فيخبرونهم فتحدث الكهنة

الناس فيحدثونه كما قالوا لما آمنتمهم

الكهنة كذبوا اللهم وأدخلوا فيه

غيره فزادوا مع كل كلمة سبعين كلمة

أبو الجوزاء ولكم في القصص حياة أي فيما قص عليكم من حكم القتل حياة أو في كتاب
الله حياة أي نجاته وقيل أراد حياة القلوب وقيل هو مصدر بمعنى القصاص والكل ضعيف
والقراءة منه منكرة (يا أولى الألباب) أي ذوى العقول الكاملة جعل هذا الخطاب موجها
الى أولى الألباب وناداهم للتأمل في حكمه القصاص من استبقاء الارواح وحفظ
النفوس لانهم هم الذين ينظرون في العواقب ويتحامون ما فيه الضرر الاجل وأما من
كان مصابيا بالحق والطيش والخفة فإنه لا ينظر عند سورة غضبه وغليان مر اجل طيشه
الى عاقبة ولا يفكر في أمر مستقبله والألباب جمع لب وهو العقل الخالي من الهوى سمي
بذلك لحدوجهين اما البناؤه من لب بالمكان أقام به وامان اللباب وهو الخالص ثم علل
سجانه هذا الحكم الذي شرعه لعباده بقوله (لعلكم تتقون) أي تعملون عمل أهل
النفوس ويتحامون القتل بالمحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له فيكون ذلك
سببا للتقوى (كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت) قد تقدم معنى كتب قريبا وحضور
الموت حضورا سببا وأماراته وظهور علاماته من العلل والامراض المخوفة وليس المراد
منه معاينة الموت لانه في ذلك الوقت يجز عن الايضاء وانما لم يؤث الفعل المسند الى
الوصية وهو كتب لوجود الفاصل بينهما وقيل لانها بمعنى الايضاء وقدرى جواز اسناد
مالا تأنيث فيه الى المؤنث مع عدم الفصل وقد حكى سيبويه قام امرأه وهو خلاف
ما أطبق عليه أئمة العربية (ان ترك خيرا) شرط سجانه ما كتبه من الوصية بان يترك
الموصى خيرا أي مالا قال الزهري هو يطلق على القليل والكثير فيجب الوصية في الكل
وقيل لا يطلق الا على المال الكثير وهو قول الاكثرين واختلاف أهل العلم في مقدار
الخير قليل ما زاد على سبعة مائة دينار وقيل ألف دينار وقيل ما زاد على خمسة مائة دينار
وقيل ستون دينار فاوقفها وقيل من خمسة مائة الى ألف وقيل انه المال الكثير الفاضل
عن العيال والخير هنا المال ويقع في القرآن على وجوه وبه تسميته خيرا على ان الوصية
تستحب في مال طيب (الوصية) أي الايضاء والوصية في الاصل عبارة عن الامر بالشئ
والعهد به في الحياة وبعد الموت وهي هنا عبارة عن الامر بالشئ بعد الموت وقد ائق أهل
العلم على وجوب الوصية على من عليه دين أو عنده وديعة أو نحوها وأما من لم يكن كذلك
فذهب أكثرهم الى انها غير واجبة عليه سواء كان فقيرا أو غنيا وقالت طائفة انها واجبة

فا كتب الناس ذلك الحديث في الكتب وفشا ذلك في بني اسرائيل ان الجن تعلم الغيب فبعث سليمان في الناس لجمع ذلك

الكتب فجعلها في صندوق ثم دفنها تحت كرسيه ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع ان يدنو من الكرسي الاحترق وقال

لا أسمع أحدا يذكر ان الشياطين يعلمون الغيب الا ضربت عنقه فلما مات سليمان وذهبت العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان

وخلف من بعده ذلك خلف تمثل الشيطان في صورة انسان ثم أتى نمر من بني اسرائيل فقال لهم هل أدلكم على كنز لا تأكلوه أبدا

قالوا نعم قال فاحفروا تحت الكرسي فذهب معهم وأراههم المكان وقام ناحيته فقالوا له فادن فقال لا وليكني ههنا في أيديكم

فان لم يتجددوا فاقتلوني خفروا فوجدوا تلك الكتب فلما أخرجوها قال الشيطان ان سليمان انما كان يضبط الانس والشیاطین والطیر بهذا السحر ثم طار وذهب وفشا في الناس ان سليمان كان ساحرا واتخذت بنو اسرائيل تلك الكتب فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم خاصموه بها فذلك حين يقول الله تعالى وما كفر سليمان ولكن الشیاطین کفروا وقال الربیع بن أنس ان اليهود سألوا محمدا صلى الله عليه وسلم زمانا عن أمور من التوراة لا يسألونه عن شيء من ذلك الا أنزل الله سبحانه وتعالى ما سألوه عنه فيخصمهم فلما رأوا ذلك قالوا هذا اعلم (٢٣٢)

(لوالدين والاقربين) لم يبين الله سبحانه ههنا القدر الذي كتب الوصية له لوالدين والاقربين فقبل الخمس وقيل الربع وقيل الثلث وقد اختلف أهل العلم في هذه الآية هل هي محكمة أو منسوخة فذهب جماعة الى انها محكمة وقالوا هي وان كانت عامة فمعناها الخصوص والمراد بها من الوالدين من لا يرث كالابوين الكافرين ومن هو في الرق ومن الاقربين من عدا الورثة منهم قال ابن المنذر أجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم على ان الوصية للوالدين اللذين لا يرثان والاقرباء الذين لا يرثون جائزة وقال كثير من أهل العلم انها منسوخة بآية المواريث مع قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا وصية لوارث وهو حديث صحيح بعض أهل الحديث وروى من غير وجه وللشيخ سعد التتمت رائي فيه مناقشة وقال بعض أهل العلم انه نسخ الوجوب وبقي النذير روى ذلك عن الشعبي والنخعي ومالك (بالمعروف) أي بالعدل لا وكس فيه ولا شطط وقد أذن الله للميت بالثلث دون ما زاد عليه فلا يزيد على الثلث ولا يوصي للغني ويدع الفقير وعن علي لأن أوصى بالثلث أحب الي من أن أوصى بالربع ولأن أوصى بالربع أحب الي من أن أوصى بالثلث فمن أوصى بالثلث فلم يترك وقيل يوصى بالسدس أو بالخمس أو بالربع (حقا) مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله معناه الثبوت والوجوب وقيل ثبوت يذب لا ثبوت فرض ووجوب (على المتقين) أي على الذين يتقون الشرك (فن بدله بعدما سمعته فانما سمعته على الذين يدلونه) هذه التمهيد عائد الى الايصاء المفهوم من الوصية وكذلك التمهيد في قوله سمعته والتبديل التغير والتمهيد في اعمه راجع الى التبديل المفهوم من قوله بدله وهذا وعيد لمن غير الوصية المطابقة للحق التي لا حيف فيها ولا مضاربة وانتهى بالاثم وايدى على الموصي من ذلك شيء فقد تخلص مما كان عليه بالوصية به قال القرطبي ولا خلاف انه اذا أوصى بما لا يجوز لمثل ان يوصي بخمر أو خنزير أو شيء من المعاصي انه يجوز تبديله ولا يجوز اضاؤه كما لا يجوز اضاؤه ما زاد على الثلث قاله أبو عمرو انتهى والمبدلون اما الاوصياء بان ينكروا الوصية أو يغيروها ما في الكتابة أو في قسمة الحقوق أو الشهود بان يكتوا الشهادة أو يغيروها والمعنى فمن بدل قول الميت أو ما أوصى به وقيل التمهيد في بدله يعود على الوصية لانها بمعنى الايصاء وقيل على نفس الايصاء وقيل على الامر والفرض الذي أمر به الله وفرضه أو على الكتب أو الحق والمعروف فهذه ستة أقوال أو لاها ما ذكرنا ولكن

واتبعوا ما تبوأ الشیاطین على ملک سليمان وما كفر سليمان ولكن الشیاطین کفروا يعلمون الناس السحر وان الشیاطین عدوا الى کتاب فکتبوا فيه السحر والکھانة وما شاء الله من ذلك فدفعوه تحت کرسی مجلس سليمان وكان عليه السلام لا يعلم الغیب فلما فرق سليمان الدنيا استخرجوا ذلك السحر وخذعوا الناس وقالوا هذا علم كان سليمان يكتبه ويحسنه الناس عليه فاخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث فرفضوه ومن عنده وقد خرجوا وقد أذحض الله حجهم وقال مجاهد في قوله تعالى واتبعوا ما تبوأ الشیاطین على ملک سليمان قال كانت الشیاطین تستمع الوحي فاسمعوا من كلمة زادوا فيها ما تبين مثلها فارسل سليمان عليه السلام الى ما كتبوا من ذلك فلما تولى سليمان وجدته الشیاطین وعلمته الناس وهو السحر وقال سعيد بن جبیر كان سليمان يتتبع ما یدى الشیاطین من السحر فيأخذه منهم فيدفنه تحت کرسیه في بیت خزانته فلم تقدر

الشیاطین ان يصلوا اليه فدفنت انى الانس فقالوا لهم أنذرون ما العلم الذي كان سليمان يسخر به الشیاطین والرياح وغير ذلك قالوا نعم قالوا فانه في بیت خزانته ويحت کرسیه فاستنار به الانس واستخرجوه وعلموا بها فقال أهل الخجاز كان سليمان يعمل بهذا وهذا السحر فانزل الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم براءة سليمان عليه السلام فقال تعالى واتبعوا ما تبوأ الشیاطین على ملک سليمان وما كفر سليمان ولكن الشیاطین کفروا وقال محمد بن اسحق بن يسار عدت الشیاطین حين عرفت موت سليمان بن داود عليه السلام فكشفه اصناف السحر من كان يحب ان بلغ كذا وكذا فليفعل كذا وكذا حتى اذا صنفوا

أصناف السحر جعلوه في كتاب ثم ختموه بخاتم على نقش خاتم سليمان وكتبوا في عنوانه هذا ما كتب آصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم ثم دفنوه تحت كرسيه واستخرجته بعد ذلك بقايا بني اسرائيل حتى أخذوا ما أخذوا فلما عثروا عليه قالوا والله ما كان ملك سليمان الا بهذا فافشوا السحر في الناس ففعلوه وعلوه فليس هو في أحد أكثر منه في اليهود لعنهم الله فلما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نزل عليه من الله سليمان بن داود وعده فيمن عد من المرسلين قال من كان بالمدينة من اليهود ألا تعجبون من محمد بن زعيم ان ابن داود كان نبيا والله ما كان الاساحرا (٢٣٣) وأنزل الله في ذلك من قولهم واتبعوا ماتلو

الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا الآية وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا حسين بن حجاج عن أبي بكر عن شهر بن حوشب قال لما سلب سليمان ملكه كانت الشياطين تكتب السحر في غيبة سليمان فكتبت من أرا دأني كذا وكذا فليس تقبل الشمس وليقل كذا وكذا ومن أراد أن يفعل كذا وكذا فليس تدبر الشمس وليقل كذا وكذا فكتبت وجعلت عنوانه هذا ما كتب آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود عليه السلام من ذخائر كنوز العلم ثم دفنته تحت كرسيه فلما مات سليمان عليه السلام قام ابليس لعنه الله خطيبا فقال يا أيها الناس ان سليمان لم يكن نبيا انما كان ساحرا فالتسوا سحره في متاعه وبيوته ثم دلهم على المكان الذي دفن فيه فقالوا والله لقد كان سليمان ساحرا هذا سحره بهذا تعبدنا وبهذا أقهرنا فقال المؤمنون بل كان نبيا مؤمنا فلما بعث الله النبي محمد صلى الله عليه

هذا وقفة من حيث ان الكلام السابق انما هو في الوصية المنسوخة التي هي للوالدين والاقربين وقوله فن بدله الى آخر الآية انما هو في الوصية التي استقر عليها الشرع ويعمل بها الى الآن وعلى هذا فكيف يعود الضمير من الحكمة على المنسوخة قال سليمان الجبل فليأتني فاني لم أرم من به على هذا انتهى قلت انما يرده هذا على قول من قال بنسخ الوصية المذكورة وقد تقدم أن جماعة من أهل العلم ذهبوا الى أنها محكمة فلا تامل ولا تبسيسة والله أعلم (ان الله سمع) لما أوصى به الموصى وقوله (عليه) بتبديل المبدل وفعل الوصى فيجازى عليه الاول بالخير والثاني بالشر (فن خاف) أي علم وهو مجاز والعلاقة بينهما ان الانسان لا يخاف شيئا حتى يعلم انه بما يخاف منه فهو من باب التعبير عن السبب بالمسبب ومنه قوله تعالى الآن يخافا أن لا يقيم احدا الله أي يعلم (من موص جنفا وأثما) الجنف المجاوزة من جنف يجنف اذا جاوز قاله النحاس وقيل الجنف الميل قاله في الصحاح والكشاف والاثم الظلم وقيل الجنف الخطأ في الوصية والاثم العمد (فأصلح بينهم) أي أصلح ما وقع بين الورثة من الشقاق والاضطراب بسبب الوصية بابطال ما فيه ضرر ومخالفة لما شرعه الله وأثبت ما هو حق كالوصية في قرابة غير وارث والضمير في بينهم راجع الى الورثة وان لم تقدم لهم مذكر لانه قد عرف أنهم المرادون من السياق وقيل راجع الى الموصى لهم وهم الابوان والقرابة (فلا اثم عليه) أي لا حرج عليه في الصلح وان كان فيه تبديل لانه خير بخلاف الاول فانه ضير (ان الله غفور رحيم) لمن أصلح وصيته بعد الجنف والميل عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الرجل يعمل والمرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فحبب لهما النار الحديث أخرجه أبو داود والترمذي ومعنى المضارة في الوصية ان لا تضي أو ينقص بعضها أو يوصى لغير أهلها أو يخيف في الوصية ويخونها (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) قد تقدم معنى كتب ولا خلاف بين المسلمين أجمعين أن صوم رمضان فريضة افترضها الله سبحانه على هذه الامة والصيام أصل في اللغة الامساك وترك التنقل من حال الى حال ويقال للصمت صوم لانه امساك عن الكلام ومنه اني نذرت للرجل صوما أي امساكا عن الكلام وهو في الشرع الامساك عن المقطرات مع اقتران النيته من طلوع الفجر الى غروب الشمس وفي الآية توكيد للحكم وترغيب في التسعل وتطبيب

(٣٠ ل - فتح البيان) وسلم ذكر داود سليمان فقالا اليهود انظروا الى محمد ريحنا الحق بالباطل يذكرك سليمان مع الانبياء انما كان ساحرا يركب الريح فانزل الله تعالى واتبعوا ماتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان الآية وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الاعلى الصنعاني حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت عمران بن جرير عن أبي مجلز قال أخذ سليمان عليه السلام من كل دابة عهد فاذا أصيب رجل فسأل بذلك العهد خلى عنه فزاد الناس السجود والسحر فقالوا هذا يعمل به سليمان بن داود عليه السلام فقال الله تعالى وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ويعلمون ان الناس السحر وقال ابن أبي

حاتم حدثنا اعصاب بن رواد حدثنا آدم حدثنا المسعودي عن زياد مولى بن مصعب عن الحسن واتبعوا ماتوا الشياطين قال ثلث
الشعر وثلث السحر وثلث الكهانة وقال حدثنا الحسن بن أحمد حدثنا ابراهيم بن عبد الله بن بشار الواسطي حدثني سرور بن المغيرة
عن عباد بن منصور عن الحسن واتبعوا ماتوا الشياطين على ملك سليمان وتبعته اليهود على ملكه وكان السحر قبل ذلك في الارض
لم يزلهم اولا لكنه اتبع على ملك سليمان فهذه تبذة من أقوال أئمة السلف في هذا المقام ولا يخفى ملخص القصة والجمع بين أطرافها
وأنة لا تعارض بين السماعات على اللبيب (٢٣٤) الفهم والله الهادي وقوله تعالى واتبعوا ماتوا الشياطين على ملك سليمان

النفس (كما كتب على الذين من قبلكم) من الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم والمعنى
أن الصوم عبادة قديمة ما أخل الله أمة من اقتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدهم
واختلف المفسرون في وجه التشبيه ما هو فقيل هو قدر الصوم ووقته فان الله كتب على
اليهود والنصارى صوم رمضان فعبروا وقيل هو الوجوب فان الله أوجب على الامم
الصيام وقيل هو الصفة أي ترك الأكل والشرب وشبهه ما في وقت فعله الأول معناه
ان الله كتب على هذه الامة صوم رمضان كما كتبه على الذين من قبلهم وعلى الثاني ان
الله أوجب على هذه الامة الصيام كما أوجب على الذين من قبلهم وعلى الثالث ان الله
سبحانه أوجب على هذه الامة الامساك عن المفطرات كما أوجب على الذين من قبلهم
(لعلكم تتقون) المراد بالتقوى المحافظة عليها وقيل تتقون المعاصي بسبب هذه العبادة
لانها تكسر الشهوة وتضعف دواعي المعاصي كما ورد في الحديث أنه جنة وأنه وجاء
(أيام معدودات) أي معينات بعدد معلوم ومقدرات ويحتمل أن يكون في هذا الجمع
لكونه من جوع القلة إشارة الى تقليل الايام أي قليلات يعنى أقل من أربعين وقيل
انه كان في ابتداء الاسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر واجبا وصوم عاشوراء ثم نسخ
ذلك بفريضة صوم شهر رمضان قال ابن عباس أول ما نسخ بعد الهجرة أمر القبلية ثم
الصوم وقيل ان المراد أيام شهر رمضان وعلى هذا فتكون الآية غير منسوخة وأخرج
البخاري في تاريخه والطبراني عن دغفل بن حنظلة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
قال كان على النصارى صوم شهر رمضان ففرض ملكهم فقالوا لئن شفاء الله ليزيدن
عشر اثم كان آخرها كل لحافا وجمع فوه فقال لئن شفاء الله ليزيدن سبعة ثم كان عليهم ذلك
آخر فقال ما ندع من هذه الثلاثة الايام شيئا نتمها ونجعل صومنا في الربيع ففعل فصارت
خمسين يوما وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة قالت كان عاشوراء يصام فلما أنزل
رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر (فن كان) حين حضوره ووجود الشخص فيه
(منكم مريضا) ولو في أثناء اليوم بخلاف السفر فلا يبيح له الفطر اذا طرأ في أثناء اليوم
وهذا سر التعبير بعلى في السفر دون المرض قيل للأمريض حالتان ان كان لا يطيق الصوم
كان الافطار عزيمة وان كان يطيقه مع تضرر ومشقة كان رخصة وهذا قال الجمهور
(أو على سفر) أي مستعيا على السفر ومتكاثرا بان كان متلبسا به وقت طلوع الفجر

أى واتبعت اليهود الذين أوفوا
الكاتب من بعد اعراضهم عن
كتاب الله الذي بأيديهم ومخالفتهم
لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم
ماتوا الشياطين أى مات ربه
وتجبر به وتحدثه الشياطين على
ملك سليمان وعصاه بعلى لانه
تضمن تلوث كذب وقال ابن
جرير على ههنا معنى في أى تلوث
ملك سليمان ونقله عن ابن جرير
وابن اسحق قلت والتضمن أحسن
وأولى والله أعلم وقول الحسن
البصري رحمه الله وكان السحر قبل
زمان سليمان بن داود صحيح لاشئ فيه
لان السحرة كانوا في زمان موسى
عليه السلام وسليمان بن داود بعده
كما قال تعالى ألم تر الى الملا من بني
اسرائيل من بعد موسى الآية ثم
ذكر القصة بعدها وفيها وقتل داود
جالوت وآناه الله الملك والحكمة
وقال قوم صالح وشم قبل ابراهيم
الخليل عليه السلام لنبيهم صالح انما
أنت من المسحورين أى المسحورين
على المشهور وقوله تعالى وما أنزل
على الملكين يابل هاروت وماروت
وما يعلمان من أحد حتى يقولا

انما نحن فتنة فلا تكفر فيعلمون منهم ما يفرقون به بين المرء وزوجه اختلف الناس في هذا المقام فذهب
بعضهم الى أن ما نافية أعنى التي في قوله وما أنزل على الملكين قال القرطبي ما نافية ومعطوف على قوله وما كفر سليمان ثم قال
ولكن الشياطين كفر ويعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين وذلك ان اليهود كانوا يزعمون انه نزل به جبريل وميكائيل
فاكذبهم الله وجعل قوله هاروت وماروت بدلا من الشياطين قال وصح ذلك اما لان الجمع بطلق على الاثنين كافي وقوله تعالى فان كان
له اخوة أول كونهما اتباع أو ذكر من بينهم لتمردهما تقدير (٣) الكلام عنده يعلمون الناس السحر يابل هاروت وماروت ثم

(٣) قوله تقدير الكلام الخ كذا في النسخ التي بأيدينا ولا يخفى انه لا يتم التقدير الابد كالمبدل منه على اعرابه وهو قوله ولكن
الشياطين وانه سقط من الناس خير اه محصه

قال وهذا أولى ما حلت عليه الآية وأصح ولا يلتفت إلى ما سواه وروى ابن جرير بإسناده عن طريق العوفي عن ابن عباس في قوله وما أنزل على الملكين ببابل الآية يقول لم ينزل الله السحر وبإسناده عن الربيع بن أنس في قوله وما أنزل على الملكين قال ما أنزل الله عليهم السحر قال ابن جرير فتأويل الآية على هذا واتباعها تأويل الشياطين على ملك سليمان من السحر وما كفر سليمان ولا أنزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت فيكون قوله ببابل هاروت وماروت من المؤخر الذي معناه المقدم قال فان قال لنا قائل كيف (٢٣٥) وجهه تقديم ذلك قيل وجهه تقديمه ان يقال

واستعوا ما تلوا الشياطين على ملك سليمان من السحر وما كفر سليمان وما أنزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت فيكون معناه بالملكين جبريل وميكائيل عليهم السلام لان سيرة اليهود فيما ذكر كانت تزعم ان الله أنزل السحر على اسنان جبريل وميكائيل الى سليمان بن داود فاكذبهم الله بذلك وأخبرني به محمد اصيل الله عليه وسلم ان جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر وبرأ سليمان عليه السلام مما ضلوه من السحر وأخبرهم ان السحر من عمل الشياطين وانها تعلم الناس ذلك ببابل وان الذين يعلمونهم ذلك رجال ان اسم احدهما هاروت واسم الآخر ماروت فيكون هاروت وماروت على هذا التأويل ترجحة عن الناس وردا عليهم هذا الفقه بحروفه وقد قال ابن أبي حاتم حدثت عن عبيد الله ابن موسى اخبرنا فضيل بن مرزوق عن عطية وما أنزل على الملكين قال ما أنزل الله على جبريل وميكائيل السحر قال ابن أبي

واختلف أهل العلم في السفر المبيح للأفطار فقيل مسافة قصر الصلاة والخلاف في قدرها معروف وبه قال الجمهور وقال غيرهم بمقادير لا دليل عليها والحق ان ما صدق عليه مسمى السفر فهو الذي يباح عنده الفطر وهكذا ما صدق عليه مسمى المرض فهو الذي يباح عنده الفطر وقد وقع الاجماع على الفطر في سفر الطاعة واختلفوا في الأسفار المباحة والحق ان الزخعة ثابته فيه وكذا اختلفوا في سفر المعصية (فعدة من أيام أخر) أي فعله عدة ما أفطر من أيام أخر يصوم مهابله وأخر جمع أخرى تأنيث آخر ينفتح الخاء او جمع أخرى بمعنى آخره تأنيث آخر بكسر الخاء وفيه الوصف والعدل واختلف النحاة في كيفية العدل فيه على أقوال والعدة فعلة من العدد وهو بمعنى المعدود أي فعله عدة أو فالحكم عدة أو قالوا يجب عدة من غير أيام مرضه وسفره واليه ذهب الظاهرية وبه قال أبو هريرة وليس في الآية ما يدل على وجوب التتابع في القضاء (وعلى الذين لا يطيقونه) لكبر أو مرض لا يرجي برؤه وقد اختلف أهل العلم في هذه الآية هل هي محكمة أو منسوخة فقيل انها منسوخة وانما كانت رخصة عند ابتداء فرض الصيام لانه شق عليهم وكان من أطم كل يوم مسكينا ترك الصوم وهو يطيقه ثم نسخ ذلك وهو قول الجمهور وروى عن بعض أهل العلم أنهم لم تنسخ وأنها رخصة للشيوخ والعجائز خاصة اذا كانوا لا يطيقون الصيام الاجمعة وهذا يناسب قراءة التشديد وهو يطوقونه أي يكادونه والناسخ لهذه الآية عند الجمهور وقوله تعالى فن شهد منكم الشهر فليصمه (فدية طعام مسكين) وقرئ مساكين والفدية الجزاء وهو القدر الذي يبذله الانسان بقى به نفسه من تقصير وقع منه في عبادة وشعورها وقد اختلفوا في مقدار الفدية فقيل كل يوم صاع من غير البر ونصف صاع منه وقبل مدقة أي من غالب قوت البلد وقال ابن عباس يعطى كل مسكين عشاء وسجود أي قدر ما يأكله في يومه وروى ان أنس ابن مالك ضعف عن الصوم عما قبل موته فصنع جفنة من ثريد ودعائلين مسكينا فأطعمهم عن ابن عباس بسند صحيح أنه قال لا تم ولله حامل أو مرضعة أنت بمنزلة الذين لا يطيقون الصوم عليك الطعام لا قضاء عليك عن ابن عمر ان احدي بناته أرسلت تسأله عن صوم رمضان وهي حامل قال تغطروا وتطم كل يوم مسكينا وقد روى نحو هذا عن جماعة من التابعين (فن تطوع خيرا فهو خير له) قال ابن شهاب معناه من أراد الاطعام مع

حاتم واخبرنا الفضل بن شاذان اخبرنا محمد بن عيسى اخبرنا يعلى يعني ابن اسد اخبرنا بكر يعني ابن مصعب اخبرنا الحسن بن أبي جعفر أن عبد الرحمن بن أبزي كان يقرؤها وما أنزل على الملكين داود وسليمان وقال أبو العالمة لم ينزل عليهم السحر يقول علما الايمان والكفر فالسحر من الكفر فهما يتهيآن عنه أشد التهني رواد ابن أبي حاتم ثم شرع ابن جرير في رد هذا القول وان ما بمعنى الذي وأطال القول في ذلك وادعى ان هاروت وماروت ملكان أنزلهم الله الى الارض وأذن لهما في تعليم السحر اختبارا لعباده واتحانا بعد أن بين لعباده ان ذلك مما ينهى عنه على السنة الرسل وادعى ان هاروت وماروت مطيعان في تعليم ذلك لانهما

امثلا ما أمر به وهذا الذي سلكه عزيز جدا وأغرب نفسه قول من زعم ان هاروت وماروت قبيلان من الجن كما زعم ابن حزم وروى ابن أبي حاتم بإسناده عن الضحاك بن حماد أنه كان يقرأها وما أنزل على المسكين ويقول هما عجلان من أهل بابل ووجه أحبب هذا القول الأنزال بمعنى الخلق لا بمعنى الإيحاء في قوله تعالى وما أنزل على المسكين كما قال تعالى وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد وينزل لكم من السماء رزقا وفي الحديث ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء وكما يقال أنزل الله الخير والشر وحكى القرطبي عن ابن عباس (٢٣٦) وابن أبي عمير والحسن البصري أنهم قرؤوا وما أنزل على المسكين بكسر

الصوم وقال مجاهد معناه من زاد في الإطعام على المد وقيل من أظم مع المسكين مسكينا آخر (وأن تصوموا) أي أن صيامكم (خير لكم) أيها المطيقون من الإفطار مع الفدية وكان هذا قبل النسخ وقيل معناه وأن تصوموا في السفر والمرض وغير الشاق وقيل هو خطاب مع الكافة لأن اللفظ عام فرجوعه إلى الكل أولى وهو الأصح وقد ورد في فضل الصوم أحاديث كثيرة جدا (أن كنتم تعلمون) أن الصوم خير لكم وقيل المعنى إذا صمت علمتم ما في الصوم من المعاني المورثة للخير والتقوى ولا رخصة لأحد من المكافئين في إفطار رمضان بغير عذر والاعذار المبيحة للفطر ثلاثة أحدها السفر والمرض والحيض والنفاس وأهلها إذا أفطروا فعليهم القضاء دون الفدية والثاني الحامل والمرضع إذا خافتا على ولديهما أفطرتا وعليهما القضاء والفدية وبه قال الشافعي وذهب أهل الرأي إلى أنه لا فدية عليهما الثالث الشيخ الكبير والعجز والكبرية والمرضى الذي لا يرجى برؤه فعليهم الفدية دون القضاء (شهر) أي ذلكم شهر أو كتب عليكم الصيام صيام شهر وقرئ بالنصب أي صوموا شهر ولا دلالة للغة فيه قولان أشهرهما أنه اسم لمدة الزمان الذي يكون مبدؤه الهلال ظاهرا إلى أن يستتر سمي بذلك أشهرية في حاجته الناس إليه من المعاملات والثاني ما قاله الزجاج أنه اسم للهلال نفسه و(رمضان) علم لهذا الشهر الخصوص وهو علم جنس مركب تركيبا إضافيا وكذا باقي أسماء الشهور وهو ممنوع من الصرف للعلمية والزيادة وهو ما خوذ من رمضان الصائم يرمض إذا احترق جوفه من شدة العطش والرمضاء ممدودة أشد الحر ومنه الحديث الثابت في الصحيح صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال أي أحرقت الرمضاء أجوافها قال الجوهرى وشهر رمضان يجمع على رمضانات ورمضاء يقال أنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالزمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام الحرف سمي بذلك، وقيل انما سمي رمضان لأنه يرمض الذنوب أي يمحرقها بالأعمال الصالحة وقال الماوردي أن اسمه في الجاهلية نائق وانما سموه بذلك لأنه كان ينتقم لشدة حره عليهم وقد حققنا ذلك في كتابنا القلعة العجلان مما تنس إلى معرفته حاجة الإنسان فليرجع إليه وقد أخرج أبو حاتم وأبو الشيخ وابن عسدي والبيهقي في سننه عن أبي هريرة مرفوعا وموقوفا لا تقولوا رمضان فان رمضان اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال من صام رمضان

اللام قال ابن أبي عمير وهما داود وسليمان قال القرطبي فعلى هذا تكون مانافية أيضا وذهب آخرون إلى الوقت على قوله يعلمون الناس السحر ومانافية قال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنا الليث عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد وسأله رجل عن قول الله يعلمون الناس السحر وما أنزل على المسكين بيابيل هاروت وماروت فقال الرجلان يعلمان الناس ما أنزل عليهم ما ويعلمان الناس ما لم ينزل عليهم خاف قال القاسم ما أبالي أيتهما كانت ثم روى عن يونس عن أنس بن عياض عن بعض أصحابه أن القاسم قال في هذه القصة لا أبالي أي ذلك كان أني آمنت به وذهب كثير من السلف إلى أنهم ما كانوا يسمون المسكين من السماء وأنهم ما أنزلوا إلى الأرض فكان من أمرهما ما كان وقد ورد في ذلك حديث مرفوع رواه الامام أحمد في مسنده رجه الله كما سنورده ان شاء الله وعلى هذا فيكون الجمع بين هذا وبين ما ورد من الدلائل على عصمة الملائكة ان هذين سبق في

علم الله لها هذا فيكون تخصصها لها فلا تعارض حينئذ كما سبق في علمه من أمر إبليس ما سبق وفي قول إيماناً انه كان من الملائكة لقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك مع ان شأن هاروت وماروت على ما ذكر أخف مما وقع من إبليس لعنه الله تعالى وقد حكاه القرطبي عن علي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وكعب الأحماد والستدي والكلبي* (ذكر الحديث الوارد في ذلك ان صححه سندته ورفعته وبيان الكلام عليه)* قال الامام أحمد بن حنبل رجه الله تعالى في مسنده أخبرنا يحيى بن بكير حدثنا زهير بن محمد عن موسى بن جبير عن نافع عن عبد الله بن

عمر رضي الله عنهما انه سمع نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول ان آدم عليه السلام لما أهبطه الله الى الارض قالت الملائكة أي رب
 أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون قالوا ربنا نحن أطوع لك من بني
 آدم قال الله تعالى للملائكة ها املكن من الملائكة حتى نهبطهما الى الارض فنتظر كيف يعملان قالوا ربنا هاروت وماروت
 فاهبطا الى الارض ومثلتهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاءتهما فاسالاها فانسها فقالت لا والله حتى تكلما بهذه الكلمة
 من الاشرار فقالوا والله لا نشرك بالله شيأ أبدا فذهبت عنهما ثم رجعت بصبي (٢٣٧) • تحمله فسالها فانسها فقالت لا والله
 حتى تقتلا هذا الصبي فقالا لا والله

حتى تقتلا هذا الصبي فقالا لا والله
 لا تقتله أبدا فذهبت ثم رجعت
 بقدر خمر تحمله فسالها فانسها
 فقالت لا والله حتى تشربا هذا الخمر
 فشربا فسكرافوقعا عليها وقتلا
 الصبي فلما أفا قالت المرأة والله
 ما تركتما شيأ أبيتما على الاقد
 فعلمتا حين سكرتما فخرابا
 عذاب الدنيا وعذاب الآخرة
 فاختارا عذاب الدنيا وهكذا رواه
 أبو حاتم بن حبان في صحيحه عن
 الحسن بن سفيان عن أبي بكر بن
 أبي شيبة عن يحيى بن بكير به وهذا
 حديث غريب من هذا الوجه
 ورجاله كلهم ثقات من رجال
 الصحيحين الاموسى بن جبير وهذا
 وهو الاصحارى السلي مولاهم
 المديني الحذاء وروى عن ابن عباس
 وأبي امامة بن سهل بن حنيف ونافع
 وعبد الله بن كعب بن مالك
 وروى عنه ابنه عبد السلام وبكر
 ابن مضر وزهير بن محمد وسعيد بن
 سلمة وعبد الله بن لهيعة وعرو بن
 الحرث ويحيى بن أيوب وروى له
 أبو داود وابن ماجه وذكره ابن أبي
 حاتم في كتاب الجرح والتعديل ولم

ايما ناوا احتسابا غفرله ما تقدم من ذنبه وثبت عنه انه قال من قام رمضان ايمانا واحتسابا
 غفرله ما تقدم من ذنبه وثبت عنه انه قال شهر اعيد لا ينقصان رمضان وذو الحجة وقال
 اذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وهذا كله في الصحيح وثبت عنه في أحاديث كثيرة
 غير هذه أنه كان يقول رمضان بدون ذكر الشهر وقد ورد في فضل رمضان أحاديث كثيرة
 (الذي أنزل فيه القرآن) أي احدى فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر قيل أنزل فيه من
 اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ثم كان ينزل به جبريل فجما فجما الى الارض وقيل أنزل في
 شأنه القرآن وهذه الآية أعظم من قوله تعالى انا أنزلناه في ليلة القدر وقوله انا أنزلناه في
 ليلة مباركة يعني ليلة القدر والقرآن اسم لكلام الله تعالى علم لما بين الدفتين وهو بمعنى
 المقروء كالمشروب يسمى شرابا والمكتوب يسمى كتابا وقيل هو مصدر قرأ يقرأ ومنه قوله
 تعالى وقرآن العجراى قراءة العجرو عن الشافعى أنه قال القرآن اسم وليس بمهموز وليس
 هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والانجيل فعلى هذا انه ليس مشتق
 وذهب الاكثر الى أنه مشتق من القرء وهو الجمع فسمى قرآنا لانه يجمع السور
 والآيات بعضها الى بعض ويجمع الاحكام والقصاص والامثال والآيات الدالة على
 وحدانية الله تعالى وقيل في معنى الآية الذى نزل بفرض صيامه القرآن كما تقول نزات
 هذه الآية في الصلاة والزكاة ونحو ذلك روى هذا عن مجاهد والضحك وهو اختيار
 الحسن بن الفضل وأخرج أحمد وابن جرير ومحمد بن نصر وابن أبي حاتم والطبرانى
 والبيهقى في الشعب عن واثله بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أنزلت
 صحف ابراهيم في أول ليلة من رمضان وأنزل الزبور لثماني عشرة خلت من رمضان وأنزل
 الله القرآن لاربعة وعشرين خلت من رمضان وأخرج أبو يعلى وابن مردويه عن
 جابر بن عبد الله لكنه قال وأنزل الزبور لاثني عشر وزاد وأنزل التوراة لست خلون من
 رمضان وأنزل الانجيل لثماني عشرة خلت من رمضان وعن ابن عباس قال انه أنزل
 في ليلة القدر وفي رمضان وفي ليلة مباءة جلية واحدة ثم أنزل بعد ذلك على مواقع النجوم
 رسلا في الشهور والايام وعنه قال نزل القرآن جلة لاربعة وعشرين من رمضان
 فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل على رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم ترتيبا وعنه انه قال ليلة القدر هي الليلة المباركة وهي في رمضان أنزل القرآن

يحل فيه شيامن هذا ولا هذا فهو مستور الحال وقد تقدم عن نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه
 وسلم وروى له متابع من وجه آخر عن نافع كما قال ابن مردويه حدثنا علي بن أحمد حدثنا هشام بن علي بن هشام حدثنا عبد الله
 ابن رباح حدثنا سعيد بن سلمة حدثنا موسى بن سرجس عن نافع عن ابن عمر سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول فذكره بطوله
 وقال أبو جعفر بن جرير رحمه الله حدثنا القاسم أخبرنا الحسين وهو سيد بن داود صاحب النفسير أخبرنا الفرج بن فضالة عن
 معاوية بن صالح عن نافع قال سافرت مع ابن عمر فلما كان من آخر الليل قال يا نافع انظر طلعت الجراء قلت لا امرتين أو ثلاثا ثم قلت

قد طلعت قال لا مرجأها ولا تأخر قلت سبحان الله خيم مسخر سامع مطيع قال ما قلت لك إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الملائكة قالت يا رب كيف صبرك على بني آدم في الخطايا والتفويط قال اني ابتليتهم وعافيتكم قالوا فكيف كانهم ما عصيناك قال فاختاروا ملكين يسكنهم قال فلم يأوا جسد أن يختاروا وقد اختاروا شارورا ومأورا وهذا أن يبصر بيان جدا وأقرب ما يكون في هذا النفس رواية عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار لا عن النبي صلى الله عليه وسلم كما قال عبد الرزاق في تفسيره (٤٣٨) عن الثوري عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر عن كعب الأحبار قال

ذكرت الملائكة أعمال بني آدم وما ياتون من التزويب فقبل ليسم اختاروا منكم اثنين فاختاروا حاروت وماروت فقال لهما اني ارسل الي بني ادم رسلا وليس بيني وبينكم رسول انزلا لانتشر كل شيئا ولا تزيوا ولا تشربا النحر قال كعب فوالله ما امسيا من يومها الذي اخطب فيه حتى استكه لاجميع ما نهيا عنه ورواه ابن جرير من طريقين عن عبد الرزاق به ورواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن عاصم عن مؤمن عن سفيان الثوري به ورواه ابن جرير أيضا حدثني المنفي أخبرنا المعلى وهو ابن أسد أخبرنا عبد العزيز بن المختار عن موسى بن عقبة حدثني سالم أنه سمع عبد الله يحدث عن كعب الأجبار فذكره فيها أصح وأثبت إلى عبد الله بن عمر من الأسنادين المتقدمين وسألت أبا ثابت في أبيه من مولاه فاقع فدار الحديث ورجع إلى نقل كعب الأجبار عن كعب بن أسراييل والله أعلم به (ذكر الأثار الواردة في ذلك) وعن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين قال ابن جرير حدثني

جلد واحد من الله كرا الى البيت المعمور ثم نزل به جبريل فجعل ما في ثلاث وعشرين سنة
 (خدي للنام) أي خاديا اليهم من الضلال بالبحار (و يقات من الهدي) من عطف
 انخاص على انعام اظفار الشرف العطف بالاراد بالذ كرا لان القرآن يشمل محكمه
 ومتشابهه واليقات تختص بالمحكم منه قيل الهدي الاول في الاحكام الاعتقادية
 والهدي الثاني في الشرعية فيسما تغايران (والفرقان) هو ما فرق بين الحق والباطل أي
 فصل (نحن شهد منكم الشهر) هذا من أنواع انجاز الغوى وهو اطلاق اسم الكفر على
 الجزأ طلق الشهر وهو اسم للكن وأراد جزأ منه وقد فسره على زابن عمران من شهد اقول
 الشهر (فليصمه) جميعه والمعنى ومن حضر ولم يكن في سفر بل كان مقيم فليصمه فيه قال
 جماعة من السلف واختلف ان من أدر ك شهر رمضان مقيم غير مسافر لزم صيامه سفر
 بعد ذلك أرا قام واستدلوا بهذه الآية وقال الجيوران انه اذا سافر فطر لان معنى الآية
 انه حضر الشهر من أوله الى آخره لا اذا حضر بعضه وسافر فانه لا يصم عليه الا صوم
 ما حضر وهذا اخر الحق وعليه دلت الأدلة الصحيحة من السنة وقد كان يخرج على الله
 عليه وآله وسلم في رمضان فيفطر وقيل هو رؤية الهلال ولما قال النبي صلى الله
 عليه وآله وسلم صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته أخرجه الشيخان ولا خلاف أنه يصوم
 رمضان من رأى الهلال ومن أخرجه ثم قيل يجوز فيه خبر الواحد قاله أبو ثور وقيل خبر
 الجمع قال مالك (ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر) قد تقدم تفسيره وانما
 كرهه لان الله تعالى ذكر في الآية الأولى تخيير المريض والمسافر والمقيم للصحيح ثم استثنى
 بقوله عن شهد منكم الشهر فليصمه فلما اقتصر على هذا الاحتمال ان يشمل النسخ الخبيص
 فاعاد بعد ذكر النسخ الرخصة للمريض والمسافر يعلم أن الحكم فيه سابق على ما كان
 عليه وقد أطال بعضهم في بيان مسائل المرض والسفر في تفسير هذه الآية والامر ظاهر
 (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) فلذلك أباح التطر للسفر والمرض وفيه ان
 هذا مقصد من مقاصد الرب سبحانه ومراهم من مراد الله في جميع شؤرا الدين ومشره قوله
 تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا وحرفي الصحيح واليسر السهل الذي لا عسر
 فيه عن ابن عباس قال اليسر الانظار في السفر والعسر الصوم في السفر (وانك كنوا)

[illegible]

أبو بكر بن مردويه في تفسيره بسنده عن مغيب عن مولا جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي مرفوعا وهذا لا يثبت من هذا الوجه ثم رواد من طريقين آخرين عن جابر عن أبي الطفيل عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الزهرة فأنها هي التي فتنت المسلمين هاروت وماروت وهذا أيضا لا يصح وهو منكر جده والله أعلم وقال ابن جرير حدثني المثنى بن إبراهيم أخبرنا الخياط بن منهال حدثنا جاد عن علي بن زيد عن أبي عثمان النهدي عن ابن مسعود وابن عباس أنهما قالَا جميعا لما كثر بنو آدم وعصوا دعت الملائكة عليهم والارض والجبال (٢٣٩) بنينا لأهلهم فأوحى الله إلى الملائكة أني

أزلت الشهوة والشيطان من قلوبكم وأنزلت الشهوة والشيطان في قلوبهم ولو زاتم لفعلتم أيضا قال فخذوا أنفسكم إن لو استلوا اعتصموا فأوحى الله إليهم أن اختاروا ملكين من أفضلكم فاختاروا هاروت وماروت فأهبطا إلى الارض وأنزلت الزهرة إليهما في صورة امرأة من أهل فارس يسهو بها يندخت قال فوقعا بالخطيئة فكانت الملائكة يستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فلما وقعا بالخطيئة استغفروا لمن في الارض ألا أن الله هو العفو الرحيم فخبرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا عبد الله بن جعفر الرقي أخبرنا عبد الله يعني ابن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو ويونس بن خباب عن مجاهد قال كنت نازلا على عبد الله بن عمر في سفر فلما كان ذات ليلة قال لعلامة انظر هل طلعت الجمر إلا من حجابها ولا أهلا ولا حياها الله هي صاحبة الملكين

العدة قال في الكشف علة للأمر بإعادة العدة عن الربيع قال عدة رمضان وقال الضحاك عدة ما أفطر المريض في السفر وقد صرح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فان غم عليكم فاكلوا العدة ثلاثين يوما (ولتسكروا الله) علة لما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر والمراد بالتسكير هنا هو قول القائل الله أكبر قال الجهور ومعهما الحظ على التكبير في آخر رمضان وقد وقع الخلاف في وقته فروى عن بعض السلف أنهم كانوا يكبرون ليلة الفطر وقيل إذا رآوا أهلال شوال كبروا إلى انقضاء الخطبة وقيل إلى خروج الامام وقيل هو التكبير يوم الفطر قال مالك هومن حين يخرج من داره إلى أن يخرج الامام وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة يكبر في الاضحية ولا يكبر في الفطر عن ابن مسعود أنه كان يكبر الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر الله أكبر والله الحمد وعن ابن عباس أنه كان يكبر الله أكبر كبير الله أكبر كبير الله أكبر وأجل والله الحمد الله أكبر على ما هدانا وعنه قال حق على الصائمين اذا نظروا إلى شهر شوال أن يكبروا لله حتى يفرغوا من عيدهم لان الله تعالى يقول ولتسكروا الله (على ما هدانا كم) أي أرشدكم إلى طاعته وإلى ما يرضى به عنكم قيل على هذا على بابهم من الاستعلاء كأنه قيل ولتسكروا الله حامدين على ما هدانا كم قاله الزمخشري الثاني انه بمعنى لام العلة والاول أولى لان الجواز في الحرف ضعيف وما في ما هدانا كم مصدريه أي على هدايته اياكم أو موصولة بمعنى الذي وفيه بعد (ولعلمكم تشكرون) الله على نعمه وقد تقدم تفسيره وهو علة الترخيص والتيسير قاله في الكشف وهذا نوع من اللفظ لطيف المسالك لا يكاد يمتد إلى تبيينه الا لانتقاد من علماء البیان (وإذا سألك عبادي عنى) يحتمل أن يكون السؤال عن القرب والبعد كما يدل عليه قوله (فأني قريب) ويحتمل أن يكون السؤال عن إجابة الدعاء كما يدل على ذلك قوله اجيب دعوة الداع ويحتمل ان السؤال عما هو أهم من ذلك وهذا هو الظاهر مع قطع النظر عن السبب الذي أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه من طريق الصلت بن حكيم عن رجل من الانصار عن أبيه عن جده قال جابر جمل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله أقرئ بر بنا فتناجي به أم بعيد فتناديه فسكت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فترت هذه الآية واخرج عبد الرزاق وابن جرير عن الحسن

قالت الملائكة يا رب كيف تدع عصاة بني آدم وهم يسفكون الدم ويتهكمون بحارمك ويفسدون في الارض قال اني ابتليهم فافعل ان ابتليتكم بمثل الذي ابتليتهم به فعلتم كالذي يفعلون قالوا لا قال فاختاروا من خياركم اثنين فاختارا هاروت وماروت فقال لهما اني مهبطكم إلى الارض وعاهد السكبان لا تشركا ولا تزنبا ولا تخونا فأهبطا إلى الارض وألقى عليهما الشهوة وأهبط لهما الزهرة في أحسن صورة امرأة فتعرضت لهما فإوداهما عن أنفسهما فقالت اني على دين لا يصلح لأحد ان يأتيي الا من كان على مثله قالوا ما دينك قالت المجوسية قالوا الشرك هذا شي لا نقر به فكثت عنهما ما شاء الله تعالى ثم تعرضت لهما

فراوداها عن نفسها فقلت ما شئت ما غير أن لي زوجا وأنا أكره أن يطلع علي هذا مني فاقضه فان أقررت إلى ديني وشرطت إلى أن
تصعد إلى السماء نعلت فأقرت إليا دينها وأتياها فميربان ثم صعدا بها إلى السماء فلما انتهيا بها إلى السماء اختطفت منهما
وقطعت أجنحتهم ما فوقهما فأتين ناديين يكرهان في الأرض نبي يدعو بين الجمعتين فإذا كان يوم الجمعة أوجب فقالوا لربنا فإنا
فسألناه فطلب لنا التوبة فأتياه فقال ربكم الله كيف يطلب التوبة أدخل الأرض لاهل السماء قالوا فإنا قد ابتلينا قال أتياني يوم
الجمعة فأتياه فقال سأ أجبت فيكم بشئ (٢٤٠) أتياني في الجمعة الثانية فأتياه فقال اختار ا فقد خيرت ما أن اخترت ما معافاة

قال سأل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أين ربنا فأنزل الله هذه الآية وأخرج
ابن مردويه عن انس انه قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أين ربنا فأنزلت
وعن ابن عباس قال قال محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف يسمع ربنا
دعاءنا وانت ترعهم أن ينسأوا بين السماء وخمس مائة عام وان غلط كل سماء مثل ذلك فترأت
هذه الآية وقيل انهم سألوه في أي ساعة تدعور ربنا فأنزلت والقرب قيل بالاجابة وقيل
بالعلم وقيل بالانعام وقال في الكشف انه تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة
انجابته حاجته من سألته عن قرب مكانه فاذا دعى اسرعت تليته قيل والقرب استعارة بعبية
تمثيلية والافه ومتمتع عن القرب الحسي لتعاليه عن المكان ونظيره ونحن اقرب اليه من
جبل الوريد قاله الكرخي والحق ان القرب من الصفات تؤمن به وغره على ما جاء
ولا تؤول ولا تعطى وعن ابي موسى الاشعري قال لما غر رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم خيبر أو قال توجه الى خيبر أشرف الناس على واد فرعوا أصواتهم بالكبير الله
اكبر لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ايها الناس اربعوا على
انفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غايبا انكم تدعون سمعا بصيرا قريبا وهو معكم
اخرجه البخاري ومسلم ومعنى اربعوا ارفعوا بها وقيل أمسكوا عن الجهر فانه قريب
يسمع دعاءكم (اجيب دعوة الداع اذا دعان) معنى الاجابة هو معنى ما في قوله تعالى ادعوني
استجب لكم وقيل معناه اقبل عبادة من عبدني بالدعاء لما ثبت عنه صلى الله عليه وآله
وسلم من ان الدعاء هو العبادة كما اخرجه ابوداود وغيره من حديث النعمان بن بشير
والطاهر ان الاجابة هنا هي باقية على معناها اللغوي وكون الدعاء من العبادة لا يستلزم ان
الاجابة هي القبول للدعاء أي جعله عبادة متقبلة فالاجابة احر آخر غير قبول هذه العبادة
والمراد أن الله سبحانه يحب ما شاء وكيف شاء فقد يحصل المطلوب قريبا وقد يحصل
بعيدا وتؤدى دفع عن الداعي من البلاء كما لا يعلم بسبب دعائه وهذا مقيد بعدم اعتدائه
الداعي في دعائه كافي قوله سبحانه ادعوا ربكم تضرع وخفية انه لا يحب المعتدين ومن
الاعتداء أن يطلب ما لا يستحقه ولا يصلح له كمن يطلب منزلة في الجنة مساوية لمنزلة الانبياء
أو فوقها وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
قال ما من مسلم يدعوا الله بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه الله بها إحدى ثلاث

الدنيا وعذاب الآخرة وان أحببتا
فعذاب الدنيا وأتم يوم القيامة
على حكم الله فقال أحدهما ان الدنيا
لم ينض منها الا القليل وقال
الآخر ويحك اني قد أطلعك في
الامر الاول فاطعني الآن ان عذابا
يفنى ليس كعذاب يبقى فقال اتنا
يوم القيامة على حكم الله فأخاف
ان يعذبنا قال لا اني أرجو ان علم
الله أنا قد اخترت عذاب الدنيا مخافة
عذاب الآخرة ان لا يجتمعها
علينا قال فاختار عذاب الدنيا
لخفة الا في بركات من خلد في قلب
مملوءة من نار عالمها سافلهم وهذا
اسناد جيد الى عبد الله بن عمر
وقد تقدم في رواية ابن جرير من
حديث معاوية بن صالح عن نافع
عنه رفعه وهذا أثبت وأصح اسنادا
ثم هو والله أعلم من رواية ابن عمر
عن كعب كما تقدم بيانه من رواية
سالم عن أبيه وقوله ان الزهرة
نزلت في صورة امرأة حسناء وكذا
في الماروي عن علي فيه غرابة جدا
وأقرب ما ورد في ذلك ما قال ابن
أبي حاتم أخبرنا عاصم بن رواد
أخبرنا آدم أخبرنا أبو جعفر حدثنا

الربيع بن أنس عن قيس بن عباد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما وقع الناس من بعد آدم عليه السلام
فيما وقعوا فيه من المعاصي والكفر بالله قالت الملائكة في السماء يارب هذا العالم الذي اعمأ خلقته لمعبادتك وطاعتك قد وقعوا
قيما وقعوا فيه وركبوا الكفر وقتل النفس وأكل المال الحرام والزنا والسرقة وشرب الخمر فبعوا يده عن عليهم ولا يعذرونهم
فقيل انهم في غيب فلم يعذروهم فقيل لهم اختاروا من أفضلكم ملكين أمرهما وأنهاهما فاختارا وهاروت وهامروت فاهبطا
إلى الأرض وجعل لهما شهوات بنى آدم وأمرهما الله ان يعبداه ولا يشركا به شيئا ونهاى عن قتل النفس الحرام وأكل المال الحرام

وعن الزنا والسرقة وشرب الخمر فلبث في الأرض زمانا يحكم بين الناس بالحق وذلك في زمن ادريس عليه السلام وفي ذلك الزمان امرأة حسنها في النساء كحسن الزهرة في سائر الكواكب وانهما أتيا عليهما لخفضها في القول وأرادا علي نفسها فأبى إلا أن يكونا على أمرها وعلى دينها فأمرها عن دينها فأخرجت لهما صخفا قالت هذا أعمده فقالا لا حاجة لنا في عبادة هذا فذمبا فعبرا ما شاء الله ثم أتيا عليهما فأرادا علي نفسها ففعلت مثل ذلك فذمبا ثم أتيا عليهما فأرادا علي نفسها فلما رأتا أنهما قد أبيا أن يعبداه الصنم قالت لهما اختاراهما أحد الخلال الثلاث أمان أن تعبداه هذا الصنم (٢٤١) وأما أن تقتلانه هذه النفس وأما أن تشرباهما هذا

الخمر فقالا كل هذا لا ينبغي وأخرون هذا شرب الخمر فشربا بالخمر فأخذت

فيهما فواقعا المرأة فخشيا أن يخبر الإنسان عنهما فماتتاه فلما ذهب

عنهما السكر وعلما ما وقعاهما من الخطيئة أراد أن يصعدا إلى السماء

فلم يستطيعا وحيل بينهما ما وبين ذلك وكشف الغطاء فيما بينهما

وبين أهل السماء فنظرت الملائكة إلى ما وقعاهما فحجبوا كل العجب

وعرفوا الله من كان في غيب فهو أقل خشية ففعلوا بعد ذلك يستغفرون

لمن في الأرض فنزل في ذلك والملائكة يسبحون بحمدهم

ويستغفرون لمن في الأرض فقبل لهما اختارا عذاب الدنيا وعذاب

الآخرة فقالا أما عذاب الدنيا فإنه ينقطع ويذهب وأما عذاب

الآخرة فلا انقطاع له فاختارا عذاب الدنيا فجعلوا يابل فهما

يعذبان وقد رواه الحارثي في مسنده عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فترأت هذه الآية إلى قوله من

الفجر ففرحوا بها فرحاشديدا والرفث كناية عن الجماع وعن ابن عباس قال الدخول

والتغشى والافضاء والمباشرة والرفث واللمس والمس وهذا الجماع غير أن الله حتى كريم

يكفي بما شاء عما شاء قال الزجاج الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من امرأته

وكذا قال الأزهرى وقيل الرفث أصله قول الفحش رفث وأرفث اذا تكلم بالقبيح وليس هو المراد هنا وعدى الرفث بالي لتضمنه معنى الافضاء (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن)

تعملن لما قبله وجعل النساء لباسا للرجال والرجال لباسا لهن لا متزاج كل واحد منهما

بالآخر عند الجماع كالامتزاج الذي يكون بين الثوب واللبسه قال أبو عبيدة وغيره

(٣١ ل - فتح البيان) ولم يخرجاه فهذا أقرب ما روى في شأن الزهرة والله أعلم وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أي أخبرنا مسلم أخبرنا

القاسم بن الفضل الحذائي أخبرنا يزيد بن القارسي عن ابن عباس أن أهل السماء الدنيا أشرفوا على أهل الأرض فرأوهم

يعملون بالمعاصي فقالوا يا رب أهل الأرض كانوا يعملون بالمعاصي فقال الله أنتم معي وهم في غيب عني فقبل لهما سم اختارا وامنكم

ثلاثة فاختاروا منهم ثلاثة على أن يهبطوا إلى الأرض على أن يحكموا بين أهل الأرض وجعل فيهم شهوة لا دميمين فامروا

أن لا يشربوا خمر ولا يقتلوا نفسا ولا ينزوا ولا يسجدوا للوثن فاستقال منهم واحد فأقبل فأهبطا ثلثان إلى الأرض فأتتهما امرأته من

خصال أمان أن يجعل له دعوة وأما أن يدخر له في الآخرة وأما أن يصرف عنه من سوء مثلها وثبت في الصحيح أيضا من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يستجاب لأحدكم ما لم يجعل يقول دعوت فلم يستجب لي (فليس تجيبوا لي) أي كما أحببتهم إذا دعوني فليس تجيبوا لي فيما دعوتهم اليه من الإيمان والطاعات وقيل معناه أنهم يطلبون أجابة الله سبحانه لدعائهم باستجابتهم له أي القيام بما أمرهم به وترك ما نهاهم عنه وقال مجاهد أي فليطيعوني والاجابة في اللغة الطاعة من العبد والابانة والعطاء من الله (وليؤمنوا لي) اللام فيه لامر كما فيما قبله أي وليدوموا على الإيمان (لعلهم يرشدون) أي يهتدون قاله الربيع بن أنس والرشد خلاف الغي قال الهروي الرشد والرشد والرشد الهدى والاستقامة ومنه هذه الآية وقد ورد في فضل الدعاء وآدابه أحاديث كثيرة ذكرها أهل التفسير وهي في الصحاح والسنتن لا تطول بذكرها (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) فيه دلالة على أن هذا الذي أحله الله كان حراما عليهم وهم وهكذا كان كما يفيد السبب لنزول الآية فقد أخرج البخاري وأبو داود والنسائي وغيرهم عن البراء بن عازب قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان الرجل صائما ففطر افطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلة ولا يومه حتى يمسي وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائما فكان يومه ذلك يعمل في أرضه فلما حضر الافطار أتى امرأته فقال هل عندكم طعام قالت لا ولكن انطلق فأطلب ذلك فغابته عنه فنام وجاءت امرأته فلما رآته نائما قالت خيبة لك أئمت فلما انصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت هذه الآية إلى قوله من الفجر ففرحوا بها فرحاشديدا والرفث كناية عن الجماع وعن ابن عباس قال الدخول والتغشى والافضاء والمباشرة والرفث واللمس والمس وهذا الجماع غير أن الله حتى كريم يكفي بما شاء عما شاء قال الزجاج الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من امرأته وكذا قال الأزهرى وقيل الرفث أصله قول الفحش رفث وأرفث اذا تكلم بالقبيح وليس هو المراد هنا وعدى الرفث بالي لتضمنه معنى الافضاء (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) تعملن لما قبله وجعل النساء لباسا للرجال والرجال لباسا لهن لا متزاج كل واحد منهما بالآخر عند الجماع كالامتزاج الذي يكون بين الثوب واللبسه قال أبو عبيدة وغيره

(٣١ ل - فتح البيان) ولم يخرجاه فهذا أقرب ما روى في شأن الزهرة والله أعلم وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أي أخبرنا مسلم أخبرنا

القاسم بن الفضل الحذائي أخبرنا يزيد بن القارسي عن ابن عباس أن أهل السماء الدنيا أشرفوا على أهل الأرض فرأوهم

يعملون بالمعاصي فقالوا يا رب أهل الأرض كانوا يعملون بالمعاصي فقال الله أنتم معي وهم في غيب عني فقبل لهما سم اختارا وامنكم

ثلاثة فاختاروا منهم ثلاثة على أن يهبطوا إلى الأرض على أن يحكموا بين أهل الأرض وجعل فيهم شهوة لا دميمين فامروا

أن لا يشربوا خمر ولا يقتلوا نفسا ولا ينزوا ولا يسجدوا للوثن فاستقال منهم واحد فأقبل فأهبطا ثلثان إلى الأرض فأتتهما امرأته من

أين لا يشربوا خمر ولا يقتلوا نفسا ولا ينزوا ولا يسجدوا للوثن فاستقال منهم واحد فأقبل فأهبطا ثلثان إلى الأرض فأتتهما امرأته من

التي قتلت هاروت وماروت فلما كان الليل أراد ان يصعدا فلم يطيقا فعرفا الهلكة فغيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة
فاختارا عذاب الدنيا فعلقا بابل وجعلوا يكلمان الناس كلامهما وهو السحر وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد ما شأن هاروت
وماروت فان الملائكة عجبته من ظم بني آدم وقد جاءتهم الرسل والكتب والبيئات فقال لهم ربهم تعالوا فاختاروا ومنكم ملكين
أنزلهما يحكمان في الأرض فاختروا فلم يألوا هاروت وماروت فقال لهما حين أنزلهما أعجبتم من بني آدم من ظلمهم ومعصيتهم وانما
نأتىهم الرسل والكتب من وراء رءوا وانكم ليس ببني وينسبكم رسول فافعلوا (٢٤٣) كذا وكذا وكذا وكذا وكذا فامرهما

الفجر أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن سهل بن سعد قال كان رجال اذا أرادوا الصوم
ربطوا أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود فليرزأ كل ويشرب حتى يتبين
لدرؤيتهما فأنزل الله من الفجر فعملوا أنه يعني الليل من النهار وفي الصحيحين وغيرهما
عن عدي بن حاتم أنه جعل تحت وسادته خيطين أبيض وأسود جعل ينظر إليهما فلا يتبين
له الأبيض من الأسود فغدا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره فقال ان
وسادك أدن لعريض انما ذلك بياض النهار من سواد الليل وفي رواية في البخاري وغيره
انه قال له انك لعريض العقل وفي رواية عند ابن جرير وابن أبي حاتم انه فتح منه قبل من
الاولى لابتداء الغاية والثانية للبيان قاله السيوطي وقال الزخشري وغيره الثانية
للتبعض أي حال كون الخيط الأبيض بعضا من الفجر وفي تجويز المباشرة الى الصبح
دلالة على جواز تأخير الغسل اليه وصحة صوم من أصبح جنباً (ثم أعادوا الصيام الى الليل)
أمر وهو للوجوب وهو يتناول كل الصيام عند أبي حنيفة وقال الشافعية انما ورد
هذا في بيان أحكام صوم الفرض ويدل على إباحة الفطر من النفل حديث عائشة في
مسلم وفيه أنه ذى لحاحيس قال أريته فلقد أصبحت صائماً فأكل وقيل للوجوب في صوم
الفرض وللندب في صوم النفل وقيل للوجوب فيهما وفي الآية التصريح بأن للصوم
غاية هي الليل فعند إقبال الليل من المشرق وادبار النهار من المغرب يقطر الصائم ويحمله
الاكل والشرب وغيرهما (ولا تأشروهن) قيل المراد بالمباشرة هنا الجماع وقيل يشمل
التقبيل واللمس اذا كانا بشهوة لا اذا كانا بغير شهوة فهما جائزان كما قاله عطاء والشافعي
وابن المنذر وغيرهم وعلى هذا يحمل ما حكاه ابن عبد البر من الإجماع على أن المعتكف
لا يباشر ولا يقبل فتكون هذه الحكاية للإجماع مقيدة بأن يكون بشهوة (وأنتم
عاكفون في المساجد) الاعتكاف في اللغة الملازمة يقال عكف على الشيء اذا لازمه
ولما كان المعتكف يلزم المسجد قيل له ما كف في المسجد ومعتكف فيه لانه يجلس
نفسه لهذه العبادة في المسجد والاعتكاف في الشرع ملازمة طاعة مخصوصة على شرط
مخصوص وقد وقع الإجماع على أنه ليس بواجب وعلى أنه لا يكون الا في المسجد بين
سبحانه في هذه الآية أن الجماع يحرم على المعتكف في النهار والليل حتى يخرج من
اعتكافه ولا اعتكاف أحكام مستوفاة في كتب الفقه وشروح الحديث وأقول ان قوله

بأمر وهما هما ثم نزلنا على ذلك
ليس أحد أطوع لله منهما حكما
فعندنا فكانا يحكمان في النهار بين
بني آدم فاذا أمسى عرجا فكانا مع
الملائكة وينزلان حين يصبحان
فيحكمان فيعدلان حتى أنزلت
عليهما الزهرة في أحسن صورة
امرأة تخاصم فقضيا عليها فلما
قامت وجد كل واحد منهما في نفسه
فقال أحدهما لصاحبه وجدت
مثل الذي وجدت قال نعم فبعثنا
إليها ان اثمتا ناقض لك فلما رجعت
قالا وقضيا لها فاقتم ما فكتشنا لها
عن عورتيهما وانما كانت سواتهما
في أنفسهما ولم يكونا كبني آدم
في شهوة النساء ولداتها فلما بلغا
ذلك واستحالا افتتنا فطارت الزهرة
فرجعت حيث كانت فلما أمسيا
عرجا فزجرا فلم يؤذن لهما ولم
تحملاهما أجنحتهما فاستغاثا
برجل من بني آدم فأتياه فقال ادع
لنار بك فقال كف يشنع أهل
الأرض لأهل السماء قال اسمعنا
ربك يذكرك بخير في السماء
فوعدهما يوما وغدا يدعوا لهما
فدعا لهما فاستجاب لهن فغيرا بين

عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فنظر أحدهما الى صاحبه فقال ألا تعلم ان أفواج عذاب الله في الآخرة كذا وكذا في الخلد وفي
الدنيا تسع مرات مثلها فأمر أن ينزل بابل فثم عذابهم ما وزعم انهم معلقان في الحديد مطويان يصفقان باجنحتهما وقد روى
في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كجاهد والسدّي والحسن البصري وقادة وأبي العالية والزهري والريعي بن أنس
ومقاتل بن حيان وغيرهم وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين وحاصلها راجع في تفصيلها الى أخبار بني
اسرائيل اذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الاسناد الى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى وظاهر سياق

القرآن اجمال القصة من غير بسط ولا اطباب فيها فنؤمن بما ورد في القرآن على ما اراده الله تعالى والله اعلم بحقيقته الجلال
وقد ورد في ذلك اثر غريب وسياق عجيب في ذلك احيينا أن ننبه عليه قال الامام ابو جعفر بن جرير رحمه الله تعالى اخبرنا الربيع
ابن سليمان اخبرنا ابن وهب اخبرني ابن ابي الزناد حدثني هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
انها قالت قدمت على امرأتهم من اهل دومة الجندل جاءت تبغي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته حداثه ذلك تسأل عن
نساء دخلت فيه من امر السحر (٢٤٤) ولم تعمل به وقالت عائشة رضي الله عنها لعروة يا ابن أخي فرائتها سكي حين

لم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسفيها فكانت تكي حتى أتى لارجها وتقول اني أخاف ان أكون قد هلكت كان لي زوج فغاب عني فدخلت على عموز فسكرت ذلك اليها فقالت ان فعلت ما أمرك به فأجعله يأتيك فلما كان الليل جاءني بكلمين أسودين فركبت أحدهما وركبت الآخر فلم يكن شيء حتى وقفنا بابل وإذا برجلين معلقين بارجلهما فقالا ما جاء بك قلت تعلم السحر فقالا انما نحن قسنة فلا تكفري فأرجعي فأبيت وقلت لا قالوا فاذهي الى ذلك النور فبول فيسه فذهبت ففرغت ولم أفعل فرجعت اليهما فقالا أفعلت فقلت نعم فقالا لاهل رأيت شيئا فقلت لم أر شيئا فقالا لم تفعل ارجعي الى بلادك ولا تكفري فأريت وأبيت فقالا اذهي الى ذلك النور فبول فيسه فذهبت فأقشعرت وخفت ثم رجعت اليهما وقلت قد فعلت فقالا ان رأيت فقلت لم أر شيئا فقالا كذبت لم تفعل ارجعي الى بلادك ولا تكفري فانك على رأس أمرك فأريت وأبيت فقالا

تعالى ولا يتأشرون عن وأنتم عا كفون في المساجد جملة انشائية نهية مسوقة لتحرير
مباشرة النساء في حال الاعتكاف في المساجد فقوله في المساجد متعلق بقوله عا كفون
وليست لبيان النهي عن مباشرة النساء في المساجد من غير فرق بين المعتكف وغيره
ولو كان كذلك لم تكن لقوله وأنتم عا كفون فائدة ثم هذا الاعتكاف المذكور في الآية
قد ينه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لامتة باعتكافه غير مرة خور ووجاهه
وأصحابه بمحضرة فكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد الاعتكاف أمر بخيائه
فضرب في المسجد كما ثبت في الصحيحين وغيرهما ثم أقام فيه لا يخرج منه إلا الحاجة
الإنسان ويعود مسرعاً لا يعود مرصوا ولا يشغل بشئ كما ثبت في دواوين الإسلام فهذا
هو الاعتكاف الشرعي الذي علمنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن زعم أن
المراد به مطلق البت ولو في غير المسجد نظر إلى أصل معناه اللغوي فقد قدم الحقيقة
اللغوية على الحقيقة الشرعية وهو خلاف ما تقرر في الأصول بل خلاف ما عليه أهل
العلم سلفاً وخلفاً ولو كان الاعتكاف المشروع هو مجرد البت ولو في غير المسجد لكان
اللاذيت في داره وفي سوقه وفي المصاطب ونحوها معتكفاً إذا حصلت منه النية وحده
خلاف ما في القرآن الكريم وخلاف ما ثبت تواتراً في السنة المطهرة وخلاف ما فهمه
المسلمون من هذه العبادة بل خلاف ما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم من قوله كما
سنن سعيد بن منصور ومن حديث ابن مسعود قال لقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم قال لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة أو قال إلا في مسجد جاعة وأما ما فهمه
بعض الناس من جواز الوطء للمعتكف في غير المسجد فبرده ما رواه أبو داود عن عائشة
رضي الله تعالى عنها قالت السنة على المعتكف أن لا يعود مرصوا ولا يشهد جنازة ولا يعبر
أمرأة ولا يباشرها ولا يخرج لحاجة إلا لما لا بد منه ولا اعتكاف إلا بصوم ولا اعتكاف
إلا في مسجد جامع وقد تقرر أن قول الصحابي من السنة أو السنة له حكم الرفع وهذا
الحديث كما يدل على تحريم الوطء على المعتكف يدل على أنه لا اعتكاف إلا في مسجد
جامع فهو يرد عليه من جهتين وقد ذكر الشوكاني الكلام على هذا الحديث في شرح
على المستقي فليرجع اليه تلك حدود الله فلا تقربوها أي هذه الأحكام حدود الله وأما
الحد المنع ومنه سمي البواب والسيحان حداً أو سميت الأوامر والنواهي حدود الله لا

واس امرت فاريت وايت فقال
 اذحي الى ذلك التنور فيولى فيه فذهبت اليه فبكت فيه فرايت فارسا مقبعا بجديد خرج مني فذهب في السماء
 وعاينته ما اراه فبكت ما فقلت قد فعلت فقال لا فارايت قلت رايت فارسا مقبعا خرج مني فذهب في السماء حتى ما اراه
 صدقت ذلك ايمانك خرج منك اذحي فقلت للمرأة والله ما اعلم شيئا وما قال لي شيئا فقالت بلى لم تريد شيئا الا كان خذي
 القمح فايدري فبذرت وقلت اطلعي فاطلع وقلت احفلي فاحفلت ثم قلت افركي فافركت ثم قلت ايسبي فاييسبت ثم قلت ا
 فاطحن ثم قلت اخبري فاخبرت فلما رايت اني لا اريد شيئا الا كان سقط في يدي وندمت والله يا اُم المؤمنين ما فعلت شيئا ولا افع

ورواه ابن ابي حاتم عن الربيع بن سليمان به مطولا كما تقدم وزاد بعد قولها ولا افعله ابدا فسالت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حد الله وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يومئذ متوافرون فادروا ما يقولون لها واكلهم هاب وخاف ان يقتلها بما لا يعلمه الا انه قد قال لها ابن عباس أو بعض من كان عنده لو كان ابو الوكيل حيين او احدهما قال هشام فلو جاءتنا فقتلناها بالضممان قال ابن ابي الزناد وكان هشام يقول انهم كانوا من اهل الورع والخشعة من الله ثم يقول هشام لو جاءتنا مثلها اليوم لوجدت نوكي اهل حق وتكاف بغير علم فهذا السناد جيد الى عائشة رضي الله عنها وقد استدل (٢٤٥) بهذا الاثر من ذهب الى ان الساحر

لقد تمكن في قلب الاعيان لان هذه المرأة بذرت واسمعت في الحال وقال آخرون بل ليس له قدرة الاعلى التخيل كما قال تعالى سيجروا عين الناس واسترهبوهم وجأوا بسحر عظيم وقال تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى واستدل به على ان بابل المذكورة في القرآن هي بابل العراق لا بابل ديناوند كما قاله السدي وغيره ثم الدليل على انها بابل العراق ما قال ابن ابي حاتم اخبرنا علي بن الحسين اخبرنا احمد بن صالح حدثني ابن وهب حدثني ابن لهيعة ويحيى بن أزهر عن عمار بن سعد المرادي عن أبي صالح الغفاري ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه مر ببابل وهو يسير فساء المؤذن يؤذنه بصلاة العصر فلما برز منها أمر المؤذن فأقام الصلاة فلما فرغ قال ان حبيبي صلى الله عليه وسلم نهاني ان أصلي بأرض المقبرة ونهاني ان أصلي ببابل فانها ملعونة وقال ابو داود اخبرنا سليمان بن داود اخبرنا ابن وهب ويحيى بن أزهر عن عمار بن سعد المرادي عن أبي صالح الغفاري ان

تمنع أن يدخل فيها ما ليس منها وأن يخرج عنها ما هو منها ومن ذلك سميت الحدود حدودا لانها تمتع اصحابها من العود ومعنى النهي عن قربانها النهي عن تعديها بالخالفه لها وقيل ان حدود الله هي محاربه فقط ومنها المباشرة من المعتكف والافطار في رمضان لغير عذر وغير ذلك مما سبق النهي عنه ومعنى النهي عن قربانها على هذا واضح وقيل حدود الله فرائض الله وقيل المقادير التي قدرها ومنع من مخالفتها (كذلك بين الله آياته للناس لعلهم يتقون) أي كايين لكم هذه الحدود بين لكم معالم دينه وأحكام شريعته والعلامات الهادية الى الحق (ولانا كوا أموالكم بينكم بالباطل) هذا يعبر جميع الامة بجميع الاموال لا يخرج عن ذلك الا ما ورد دليل الشرع بانه يجوز أخذه فانه مأخوذ بالحق لا بالباطل وما كقول بالحل لا بالاثم وان كان صاحبه كارها كقضاء الدين اذا امتنع منه من هو عليه وتسلم ما وجبه الله من الزكاة ونحوها ونفقة من أوجب الشرع نفقته والحاصل أن ما لم يبح الشرع أخذه من مال الكفة فهو ما كول بالباطل وان طابت به نفس مال الكة ككبر البغي وحلوان الكاهن وثمن النحر والملاهي وأجرة المغنى والتمار والرشوة في الحكم وشهادة الزور والخيانة في الوديعة والامانة والا كل بطريق التعدي والنهب والغصب والباطل في اللغة الذهاب الرائل والمعنى بالسبب الباطل أو مبطلين أو متلبسين بالباطل عن ابن عباس قال هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه بينة فيجحد المال ويخاصم الى الحكم وهو يعرف أن الحق عليه وقال مجاهد معناها لا تخصم وأنت تعلم أنك ظالم (وتدلوهم الى الحكم) مجزوم عطف على تأكلوا فهو من جملة المنهي عنه أي لا تلقوا أمور تلك الاموال التي فيها الحكومة الى الحكم يقال أدلى الرجل بحجته أو بالامر الذي يرجو النجاح به تشبيها بالذي يرسل الدلو في البئر يقال أدلى دلوه أرسلها والمعنى أنكم لا تجمعوا بين كل الاموال بالباطل وبين الادلاء بها الى الحكم بالالحج الباطلة والمعنى لا تسرعوا بالخصومة في الاموال الى الحكم ليعينوكم على ابطال حق أو تحقيق باطل وأما الاسراع بها لتحقيق الحق فليس مذموما وفي هذه الآية دليل أن حكم الحاكم لا يخلل الحرام ولا يجرم الحلال من غير فرق بين الاموال والفروع فمن حكم له القاضي بشئ غسسته في حكمه الى شهادة زور أو بين فاجرة فلا يحل له أكله فان ذلك من أكل أموال الناس بالباطل وهكذا اذا أرتى الحاكم حكمه بغير الحق فانه من أكل أموال

عليها مر ببابل وهو يسير فساء المؤذن يؤذنه بصلاة العصر فلما برز منها أمر المؤذن فأقام الصلاة فلما فرغ قال ان حبيبي صلى الله عليه وسلم نهاني ان أصلي بأرض المقبرة ونهاني ان أصلي ببابل فانها ملعونة حديثنا ابن وهب اخبرني يحيى بن أزهر وابن لهيعة عن حجاج بن شداد عن أبي صالح الغفاري عن علي بن عيسى حديث سليمان بن داود قال فلما خرج منها برز وهذا الحديث حسن عند الامام ابي داود لانه رواه وسكت عليه فقيه من النقة كراهية الصلاة بأرض بابل كما تكبره بديار ثمود الذين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدخول الى منازلهم الا ان يكونوا باكين قال اصحاب الهيئة وبعد ما بين بابل وهي من اقليم

العراق عن البحر المحيط الغربي ويقال له اوقناوس سبعون درجة ويسمون هذا طولا واما عرضها وشويعها ما بين وسط الارض من ناحية الجنوب وهو المسامت خط الاستواء اثنان وثلاثون درجة والله اعلم وقوله تعالى وما يعلم من احسن من قولنا انما نحن فتنة فلا تكفر قال ابو جعفر الرازي عن الربيع بن انس عن قيس بن عباد عن ابن عباس قال فاذا انا هدا الا في بريد البحر نهياه اشد النهي وقال له انما نحن فتنة فلا تكفر وذلك انهم باعوا الخير والشر والكفر والايمان فعدوا ان السحرون الكفر قال فاذا اني عليه امر انا ياتي (٢٤٦) مكان كذا وكذا فاذا انا هدا عين الشيطان فقله فاذا تعلمه خرج منه

النور فنظر اليه ساطعا في السماء فيقول يا حسرتا ما ياولده ماذا صنع وعن الحسن البصري انه قال في تفسير هذه الآية نعم ازل الملكات بالسحر ليعلم الناس البلاء الذي اراد الله ان يتلى به الناس فاخذ عليهم المشاق ان لا يعلم احدا حتى يقولوا انما نحن فتنة فلا تكفر رواد ابن ابي حاتم وقال قتادة كان اخذ عليهم ان لا يعلم احدا حتى يقولوا انما نحن فتنة أي بلاء ابتلنا به فلا تكفر وقال السدي اذا اتاخذ انسان بريد السحر وعظه وقال له لا تكفر انما نحن فتنة فاذا أي قال له انت هذا الرماة فقل عليه فاذا بال عليه خرج منه نور فسطح حتى يدخل السماء وذلك الايمان واقبل شي أسود كهيئة الدخان حتى يدخل في سامعه وكل شي وذب غصب الله فاذا اخبر عما بذلك علمه السحر فذلك قول الله تعالى وما يعلم من احدا حتى يقولوا انما نحن فتنة فلا تكفر الآية وقال سديد عن ججاج عن ابن جريج في هذه الآية لا يجترئ على السحر الا كافر وأما الفتنة فيمى الخسة

الناس بالباطل ولا خلاف بين أهل العلم ان حكم الحاكم لا يحل الا حرام ولا يحرم الا حلال وقد روي عن أبي حنيفة ما يوافق ذلك وهو مردود بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كافي حديث أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انكم تختصمون الي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحججه من بعض فاقضى له على نحو ما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شي فلا يأخذه فانما اقطع له قطعة من النار وروى الصحيحين وغيرهما وقيل معناه لا تكونوا المال بالباطل وتنسبوه الى الحكم والاول أولى وكان شرح القاضى يقول انى لا قضى لك وانى لا تظلم ظالم ولكن لا يسعني الا ان أقضى بما يحضرني من اليمة وان قضائي لا يحل لك حراما (لما كوا فترقان أموال الناس بالاثم) أي قطعة أو جزأ أو طائفة فغير بالفرق عن ذلك وأصل الطريق انقطع عن الغنم تشد عن معظمها وقيل في الكلام تقديم وتأخير والتقدير لما كوا أموال فرق من الناس بالاثم وسمى الظلم والعسوان اشبا باعتبار تعلقه بقاعده قال ابن عباس أي باليمين الكاذبة وقيل بشهادة الزور (وأنتم تعلمون) أي حال كونكم عالمين بكم على الباطل أو أن ذلك باطل ليس من الحق في شي وهذا أشد لعقابهم وأعظم بحرهم (بشأنهم عن الآخرة) أي عن فائدة اختلافها لان السؤال عن ذاتها غير مفيد وقد أخرج ابن عساکر بسند ضعيف عن ابن عباس قال نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن عتبة وعمار جنان من الانصار قال يا رسول الله ما بال اليك يذو ويطلع دقا مثل الخيط ثم يذم حتى يعظم ويستوى ثم لا يزال ينقص وينق حتى يعود كما كان لا يكون على حال واحد فزلت شي موافق للناس في حل دينهم وأصومهم ونظروهم وأوقات حجهم وأجارتهم وأوقات الحيض وعدد نسائهم والشروط التي الى أجل وليسذا خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة على حالة واحدة والاعلام جمع حلال وجعها باعتبار حلال كل شهر أو كل ليلة تترى لا اختلاف الاوقات سترلة اختلاف الذوات واليه لال اسم لما يذو في أول الشهر وفي آخره قال الاصمعي هو حلال حتى يستدير وقيل هو حلال حتى يبر ضوء السماء وذلك ليلة السابع واثنا قبل له حلال لان الناس يرفعون أصواتهم بالأخبار عنه عند رؤيته ومنه استهل الصبي اذا صاح واستهل وحينئذ يهل اذا طير فيه السرور والليل في الحقيقة واحد وجعها باعتبار أوقاته واختلاف في ذاته واختلاف أهل اللغة في متى يسمي حلالا

والاختبار ومنه قول الشاعر وقد قن الناس في دينهم * وخلا ابن عقان شرطه ولا وكذا قوله تعالى فقال اخبار عن موسى عليه السلام حيث قال ان شي الا فتنة أي ابتلاؤك واختبارك وامتحانك تصل بهم من تشاء وتهدى من تشاء وقد استدلل بعضهم بهذه الآية على تكفير من تعلم السحر واستشهد به بالحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البراق حدثنا محمد بن المنقر أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن ابراهيم عن همام عن عبد الله قال من أتى كاهنا أو ساحرا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهذا اسناد صحيح وله شاهد آخر وقوله تعالى فيستعلمون منهم ما يفرقون به بين المرء وزوجه

أى فيتعلم الناس من هاروت وماروت من علم السحر ما يتصرفون به فيما يتصرفون فيه من الأفاعيل المذمومة مما انهم ليصرفون به بين الزوجين مع ما بينهما من الخلطة والائتلاف وهذا من صنيع الشياطين كما رواه مسلم في صحيحه من حديث الأعمش عن أبي سفيان عن طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الشيطان ليضع عرشه على الماء فيبعث سراياه في الناس فاقربهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتسبيح أحدهم فيقول ما زلت بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا فيقول إبليس لا والله ما صنعت شيئا وبجي أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه (٢٤٧) . وبين أهله قال فيقر به ويدينه ويلتزمه

ويقول نعم أنت وسبب التفريق

بين الزوجين بالسحر ما يخيل إلى

الرجل أو المرأة من الآخر من سوء

منظر أو خلق أو نحو ذلك أو عقد أو

نغصة أو نحو ذلك من الأسباب

المقتضية للفرقة والمرع عبارة عن

الرجل وتأتيه امرأة ويثنى كل منهما

ولا يجتمعان والله أعلم وقوله تعالى

وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله

قال سفيان الثوري إلا بقضاء الله

وقال محمد بن اسحق لا بختلية الله

بينه وبين ما أراد وقال الحسن

البصري وما هم بضارين به من أحد

الإبازن الله قال نعم من شاء الله

سلطهم عليه ومن لم يشأ الله لم يسلط

ولا يستطيعون من أحد إلا بإذن الله

كما قال الله تعالى وفي رواية عن الحسن

أنه قال لا يضر هذا السحر إلا من

دخل فيه وقوله تعالى وينعلمون

ما يضرهم ولا ينفعهم أى يضرهم في

دينهم وليس له نفع يورى ضرره ولقد

علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من

خلاق أى واقده علم اليهود الذين

استبدلوا بالسحر عن متابعة الرسول

صلى الله عليه وسلم لمن فعل فعلهم

ذلك أنه ماله في الآخرة من خلاق

فقال الجمهور لليتين وقيل ثلاث ثم يكون قرا وقال أبو الهيثم لليتين من أول الشهر ولليتين من آخره وما بينهما مقر (قل هي مواقيت) الذي قرره أبو السعود والغازن اب الجواب مطابق للسؤال وفي الآية بيان وجه الحكمة في زيادة الهلال ونقصانه وان ذلك لأجل بيان المواقيت التي بوقت الناس عباداتهم ومعاملاتهم كالصوم والقطر والحج ومدة الحمل والعدة والاجارات والايمان وغير ذلك ومثله قوله تعالى ولتعلوا عدد السنين والحساب وقيل هو جواب بغير ما سأله عنه تنبيها على أن الأولى لهم أن يسألوا عن هذا الجواب لأن سبب الاختلاف فهو من قبيل الغيبات التي لا عرض للمكلف في معرفتها ولا يليق أن تبين له والمواقيت جمع الميعات وهو الوقت والفرق بين الوقت وبين المدة والزمان أن المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها إلى منتهاها والزمان مدة منقسمة إلى الماضي والحال والمستقبل والوقت الزمان المقروض لآخر وكل ما جاء في القرآن من السؤال أجيب عنه بقل بلافاء إلا في طه ويستأثرونك عن الجبال فقل لان الجواب في الجميع كان بعد وقوع السؤال وفي طه كان قبله اذ تقديره ان سئلت عن الجبال فقل (للناس) أى لا غرضهم الديني والديني كما أشار لذلك بتعداد الامثلة اذ الالهة ليست مواقيت لذوات الناس (والحج) عطف على الناس أى يعلم بها وقته فلوا استمرت على حاله لم يعرف ذلك قال سيدي به الحج بالفتح كالزوال والشدو بالكسر كاذر مصدران بمعنى وقيل بالفتح مصدر وبالكسر الاسم وانما أفرد سبحانه الحج بالذكر لانه مما يحتاج فيه الى معرفة الوقت ولا يجوز فيه النس عن وقته ولعظم المشقة على من التبس عليه وقت مناسكه أو أخطأ وقتها أو وقت بعضها وقد جعل بعض علماء المعاني هذا الجواب أعنى قوله قل هي مواقيت الخ من الاسلوب الحكيم كما تقدم وهو تلقى المخاطب بغير ما يترب تنبيها على أنه الأولى بالقصد ووجه ذلك انهم سألوا عن أجرام الالهة باعتبار زيادتها ونقصانها فاجيبوا بالحكمة التي كانت تلك الزيادة والنقصان لاجلها الكون ذلك أولى بان يقصده السائل وأحق بان يتطلع لعلمه (وليس البر بان تأق البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأق البيوت من أبوابها) توجه اتصال هذا السؤال عن الالهة والجواب بأنها مواقيت للناس والحج أن الانصار كانوا اذا حجوا الايدخلون من أبواب بيوتهم اذ ارجع أحدهم الى بيته بعد اصرامه قبل عام حجه لانهم يعتقدون أن الحرم لا يجوز أن يحول بينه

قال ابن عباس ومجاهد والسدي من نصيب وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة ماله في الآخرة من جهة عند الله وقال عبد الرزاق

وقال الحسن ليس له دين وقال سعد عن قتادة ماله في الآخرة من خلاق قال ولقد علم أهل الكتاب فيما عهد الله اليهم ان الساحر

لا خلاق له في الآخرة وقوله تعالى ولبئس ما شرابها بنفسهم لو كانوا يعلمون ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا

يعلمون يقول تعالى ولبئس البديل ما استبدلوا به من السحر عوضا عن الايمان ومتابعة الرسول لو كان لهم علم بما وعظوا به ولو أنهم

آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير أى ولو أنهم آمنوا بالله ورسوله واتقوا المحارم لكان مثوبة الله على ذلك خير لهم مما استخاروا لانفسهم

ورضوا به كما قال تعالى وقال الذين آمنوا العلم ويلكم ثواب الله خير من آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون وقد استدبل بقوله رلوانهم آمنوا واتقوا من ذهب الى تكفير الساحر كما هو رواية عن الامام احمد بن حنبل وطائفة من السلف وقيل بل لا يكفر ولكن حده ضرب عنقه لما رواه الشافعي واحمد بن حنبل والاخبار ناسفان هو ابن عيينة عن عمرو بن دينار انه سمع بجالة بن عبدة يقول كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان اقتلوا كل ساحر وساحرة قال فقتلنا ثلاث سواحر وقد اخرج به البخاري في صحيحه ايضا وهكذا صح ان حفصة ام المؤمنين (٢٤٨) سحرتم اجارية لها فامرت بها فقتلت قال الامام احمد بن حنبل صح عن ثلاثة

من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قتل الساحر وروى الترمذي من حديث اسمعيل بن مسلم عن الحسن بن جندب الازدي انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حده الساحر ضربه بالسيف ثم قال لا تعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه واسمعيل بن مسلم يضعف في الحديث والصحيح عن الحسن بن جندب موقوفا قلت قد رواه الطبراني من وجه آخر عن الحسن بن جندب مرفوعا والله اعلم وقد روى من طرق متعددة ان الوليد بن عقبة كان عنده ساحر يلعب بين يديه فكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيرد اليه رأسه فقال الناس سبحان الله يسبي الموتى وراه رجل من صالحى المهاجرين فلما كان الغد جاء مشتملا على سيفه وذهب يلعب لعبه ذلك فاخذت رجل سيفه فضرب عنق الساحر وقال ان كان صادقا فليجي نفسه وتلا قوله تعالى انا انزل السحر وأنتم تبصرون فغضب الوليد اذ لم يستأذنه في ذلك فسجنه ثم أطلقه والله اعلم وقال الامام

وبين السماء حائل فكانوا يتسمون ظهور بيوتهم وقد ورد هذا المعنى عن جماعة من الصحابة والتابعين وقال أبو عبدة ان هذا من ضرب المثل والمعنى ليس البر أن تسألوا الجهال ولكن البر التقوى وأسألوا العلماء كما تقول آتيت الامر من بابيه وقيل هو مثل في جماع النساء وانهم أمر واباتيناهن في القبل لافي الدبر وقيل غير ذلك والبيوت جمع بيت وقرئ بضم الباء وكسرها (واتقوا الله لعلكم تفلحون) قد تقدم تفسير التقوى والفلاح (وقاتلوا في سبيل الله) لا خلاف بين أهل العلم ان القتال كان ممنوعا قبل الهجرة لقوله فاعف عنهم واصفح وقوله واهجرهم هجر اجيالا وقوله لست عليهم بمسيطر وقوله اذفع بالتي هي أحسن ونحو ذلك مما نزل بحكمه فلما هاجر الى المدينة أمره الله سبحانه بالقتال ونزلت هذه الآية قال أبو العالية انها أول آية نزلت في القتال بالمدينة فلما نزلت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقاتل من قاتله ويكف عن كفه عنه حتى نزلت سورة براءة وقيل أول ما نزل قوله تعالى أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وحتى نزل قوله تعالى اقتتلوا المشركين وقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة قيل انه نسخ بها سبعون آية والمعنى قاتلوا في طاعة الله وطلب رضوانه عن موسى الاشعري قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاقل حمية ويقاقل رياء أى ذلك في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (الذين يقاتلونكم) قال جماعة من السلف المراد بهن من عبد النساء والصبيان والشيوخ والرمي والرهبان والمجانين والمكافيف ونحوهم وجعلوا هذه الآية محكمة غير منسوخة (ولا تعتدوا) المراد بالاعتداء أهل القول الاول هو مقالة من لم يقاتل من الطوائف الكفرية والمراد به على القول الثاني مجاوزة قتل من يستحق القتل الى قتل من لا يستحقه ممن تقدم ذكره قال ابن عباس أى لا تقتلوا النساء والصبيان والشيوخ الكبار ولا من أتى السلم وكف يده فان فعلتم فقد اعتديتم وقال عمر بن عبد العزيز ان هذه الآية في النساء والذرية (ان الله لا يحب المعتدين) أى لا يريدهم الخير عن بريده قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا أمر أميرا على جيش أو سرية أو صاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا بالله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغلوا ولا تقتلوا ولا تعذبوا ولا تغلوا ولا تقتلوا (واقتلواهم

ابو بكر الخلال اخبرنا عبد الله بن احمد بن حنبل حدثني ابي اخبرنا يحيى بن سعيد حدثني ابو اسحق عن حارثة قال كان حيث عند بعض الاحرار رجل يلعب بجاء جندب مشتملا على سيفه فقتله قال آراه كان ساحر او جعل الشافعي رحمه الله قصة عمرو وحفصة على سحر يكون شركا والله اعلم * (فصل) بحكى ابو عبد الله الرازي في تفسيره عن المعتزلة انهم انكروا وجود السحر قال وربما كفروا من اعتقد وجوده قال وأما أهل السنة فقد جوزوا ان يقدر الساحر ان يطير في الهواء ويقبض الانسان جارا او الجار انسانا الا انهم قالوا ان الله يخلق الاشياء عند ما يقول الساحر تلك الرقى والكلمات المعينة فأما ان يكون المؤثر في ذلك هو الشياطين والنجوم فلا

خلافا للفلاسفة والمخمين والصائبة ثم استدلل على وقوع السحر وأنه بخلاق الله تعالى بقوله تعالى وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ومن الاخبار بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر وان السحر عمل فيه وبقصة تلك المرأة مع عائشة رضي الله عنها وما ذكرت تلك المرأة من آياتها بابل وتعلمها السحر قال وبما يذكر في هذا الباب من الحكايات الكثيرة ثم قال بعد هذا المسئلة الخامسة في أن العلم بالسحر ليس بقبیح ولا محظور اتفق المحققون على ذلك لان العلم الذي شريف وأيضا المسموم قوله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ولان السحر لم يعلم لما أمكن (٢٤٩) الفرق بينه وبين المعجزة والعلم بكون المعجزة

حيث ثقته وهم) يقال ثقف ثقفا ورجل ثقيف اذا كان محكما لما يتواراه من الامور قال في الكشف والثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لا قرانه انتهى قال أبو السعود أصل الثقف الخذف في ادراك الشيء علما أو عملا وفيه معنى الغلبة قال ابن حجر الخطيب للمهاجرين والضمير لكفار قريش انتهى والمعنى واقتلوهم حيث وجدتموهم وأدركتموهم في الحل والحرم وأن لم يبتدؤكم وتحقق القول فيه أن الله تعالى أمر بالجهاد في الآية الأولى بشرط اقدم الكفار على القتال وفي هذه الآية أمرهم بالجهاد معهم سواء قاتلوا أو لم يقاتلوا واستثنى منه المقاتلة عند المسجد الحرام (وأخرجهم من حيث أخرجكم) أي أخرجهم من مكة وقد امتثل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر ربه فأخرج من مكة من لم يسلم عند أن فتحها الله عليه (والفتنة أشد من القتل) أي الفتنة التي أرادوا أن يفتنواكم بها وهي رجوعكم إلى الكفر أشد من القتل وقيل المراد بالفتنة المحنة التي تنزل بالإنسان في نفسه أو أهله أو ماله أو عرضه وقيل المراد بالفتنة الشرك الذي عليه المشركون لانهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم فأخبرهم الله أن الشرك الذي هم عليه أشد مما يستعظمونه وقيل المراد بفتنتهم أياكم بصدكم عن المسجد الحرام أشد من قتالكم أياهم في الحرم أو من قتلهم أياكم أن قتلواكم والظاهر أن المراد بالفتنة في الدين بأي سبب كان وعلى أي صورة اتفق فإنها أشد من القتل لانه يؤدي إلى الخلود في النار والقتل ليس كذلك ولذا جعل أشد منه (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلواكم فيه) اختلف أهل العلم في ذلك فذهبت طائفة إلى أنها محكمة وأنه لا يجوز القتال في الحرم إلا بعد أن يتعدى متعدي القتال فيه فانه يجوز دفعه بالمقاتلة له وهذا هو الحق وقالت طائفة ان هذه الآية منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ويجب عن هذا الاستدلال بان الجمع ممكن هنا ببناء العام على الخاص فيقتل المشرك حيث وجد الا بالحرم وبما يؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم انها لم تحل لاحد قبله وانها أحلت لي ساعة من نهار وهو في الصحيح وقد احتج القائلون بالنسخ بقتله صلى الله عليه وآله وسلم لابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة وبجواب عنه بانه وقع في تلك الساعة التي أحل الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم (فان قاتلواكم) أي في المسجد الحرام هذا مفهوم الغاية (فاقتلواهم) أي فقاتلواهم (كذلك) أي

معجزا واجب وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب فهذا يقتضي أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجبا وما يكون واجبا فكيف يكون حراما وقيحا هذا اللفظ مجروفه في هذه المسئلة وهذا الكلام فيه نظر من وجوه أحدها قوله العلم بالسحر ليس بقبیح ان عني به ليس بقبیح عقلا فخالقوه من المعتزلة ينعون هذا وان عني انه ليس بقبیح شرعا ففي هذه الآية الكريمة تبشيع تعلم السحر وفي الصحيح من أتى عرفا أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد وفي السنن من عقد عقدة وثنت فيها فقد سحر وقوله ولا محظور اتفق المحققون على ذلك كيف لا يكون محظورا مع ما ذكرناه من الآية والحديث واتفاق المحققين يقتضي أن يكون قد نص على هذه المسئلة أئمة العلماء أو أكثرهم وأين نصوصهم على ذلك ثم ادخاله علم السحر في عموم قوله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فيه نظر لان هذه الآية انحالت على مدح العالمين العلم الشرعي ولم قلت

(٣٢ - فتح البيان ل) ان هذا منه ثم ترقيه الى وجوب تعلمه بانه لا يحصل العلم بالمعجز الا به ضعيف بل فاسد لان أعظم معجزات رسولنا عليه الصلاة والسلام هي القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ثم ان العلم بأنه معجز لا يتوقف على علم السحر أصلا ثم من المعلوم بالضرورة أن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وعامةهم كانوا يعلمون المعجز وي فرقون بينه وبين غيره ولم يكونوا يعلمون السحر ولا تعلموه ولا علموه والله أعلم ثم قد ذكر أبو عبد الله الرازي أنواع السحر ثمانية الاول سحر الكذابين والكشدين الذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة المتحركة وعجم السارة وكانوا يعتقدون انها

مدبرة العالم وانها تاتي بالخبر والشروع الذين بعث الله اليهم ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم مبطلا لمقاتلتهم وراذا لمذهبهم وقد استقصى في كتاب السر المكشوم في مخاطبة الشمس والنجوم المنسوب اليه كاذ كره القاضي ابن خلكان وغيره ويقال انه تاب منه وقبل بل صنفه على وجه اظهر الفضيلة لاعلى سبيل الاعتقاد وهذا هو المظنون به الا انه ذكر فيه طريقته في مخاطبة كل من هذه الكواكب السبعة وكيفية ما يفعلون وما يلبسون وما يتسكون به قال والنوع الثاني سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية ثم استدلل على أن الزهم له تأثير بآثار الانبان (٢٥٠) يمكنه أن يمشي على الجسر الموضوع على وجه الارض ولا يمكنه

المشي عليه اذا كان ممدودا على نهر أو نحوه قال وكما أجمعت الاطباء على نهى المعروف عن النظر الى الاشياء الحرة والمصروع الى الاشياء القوية للمعان أو الدوران وما ذاك الا لان النفوس خلقت منطبعة للاوهام قال وقد اتفق العقلاء على أن الاصابة بالعين حق وله أن يستدل على ذلك بما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين قال فاذا عرفت هذا فانه قول النفس التي تفعل هذه الافاعيل قد تكون قوية جدا فتستغنى في هذه الافاعيل عن الاستعانة بالالات والادوات وقد تكون ضعيفة فتحتاج الى الاستعانة بهذه الات وتتحقيقه ان النفس اذا كانت مشغلة عن البدن شديدة الانجذاب الى عالم السموات صارت كانهاروح من الارواح السماوية فكانت قوية على التأثير في مواد هذا العالم واذا كانت ضعيفة شديدة التعلق بهذه الذات البدنية فحينئذ لا يكون لها تأثير البتة الا في هذا البدن

القتل والاحراج (جزء الكافرين) مطلقا بان يفعل بهم مثل ما فعلوا بغيرهم فنبت بهذا تحريم القتال في الحرم الا آن يقاوا فاقا تلواو يكون دفعالهم (فان انتهوا) عن قتالكم وعن الكفر ودخولوا في الاسلام (فان الله عفو رحيم) لم يعاجلهم بالعقوبة (وقا تلواهم) فيه الامر بمقاتلة المشركين ولو في الحرم وان لم يتدرك بالقتال فيه وهذا هو الذي استقر عليه الحكم الا أن (حتى) أي الى غاية هي ان (لا تكون فتنة) يكون الدين لله وهو الدخول في الاسلام والخروج عن سائر الاديان المخالفة فن دخل في الاسلام وأطلع عن الشرك لم يحل قتاله قيل المراد بالفتنة هنا الشرك والظاهر انها الفتنة في الدين على عمومها كما سلف (فان انتهوا) يعني عن القتال وقيل عن الشرك والكفر (فلا عدوان الا على الظالمين) أي لا تظلموا الا الظالمين أي لا تعتدوا الا على من ظلم وهو من لم ينته عن الفتنة ولم يدخل في الاسلام وانما سمي جزء الظالمين عدوا واما مشاكلة كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه وسعى الكافر ظالما لوضعه العبادة في غير موضعها والتي هنا بمعنى النهي لئلا يلزم اخلاف في خبره تعالى والعرب اذا بالغت في النهي عن الشيء أبرزته في صورة التي الحض اشارة الى أنه ينبغي ان لا يوجد البتة قد لواعلى هذا المعنى بما ذكرنا لك وعكسه في الاثبات اذا بالغوا في الامر بالشيء أبرزوه في صورة الخبر نحو والواردات يرضعن وسياق (الشهر الحرام) هو ذو القعدة من السنة السابعة (بالشهر الحرام) هو ذو القعدة من السنة السادسة وهذا في المعنى تعليل لقوله واقتلوهم حيث ثقفوهم أخرجه ابن جرير عن ابن عباس قال لما سار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معمر في سنة ست من الهجرة وحجبه المشركون عن الدخول والوصول الى البيت وصدوه عن معه من المسلمين في ذي القعدة وهو شهر حرام فاضاهم على الدخول من قابل فدخلها في السنة الاتية وهو ومن كان معه من المسلمين وأقصه الله منهم نزات في ذلك هذه الآية وروى نحوه عن أبي العالية ومجاهد وقتادة وابن جرير والمعنى اذا قاتلوكم في الشهر الحرام وهتكوا حرمة قاتلوهم في الشهر الحرام مكافأة لهم ومجازاة على فعلهم وهذا صريح في أنه قد وقع منهم مقاتلة في عام الحديبية وهو كذلك فقد وقع قتال خفيف بالرعي بالسهام والحجارة (والحرمان) جمع حرمة كالظلمات جمع ظلمة وانما جاع الحرمان لانه أراد الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة

ثم أُرشد الى مداواة هذا الداء بتقليل الغذاء والانقطاع عن الناس والرياء (قلت) وهذا الذي يشير الاحرام اليه هو التصرف بالحال وهو على قسمين تارة تكون حال الصحة شرعية يتصرف بها فيما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وينزل ما نهى الله تعالى عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم فهذه الاحوال مواهب من الله تعالى وكرامات للصالحين من هذه الامة ولا يسمى هذا سحرا في الشرع وتارة تكون الحال فاسدة لا يمثل صاحبها أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا يتصرف بها في ذلك فهذه حال الاشقياء المخالفين للشرعية ولا يدل اعطاء الله اياهم هذه الاحوال على محبة لهم كما أن الدجال له من الخوارق للعبادات

مادات عليه الاحاديث الكثيرة مع انه مذموم شرعاً لعنه الله وكذلك من شابهه من مخالفى الشريعة المحمدية على صاحبها افضل الصلاة والسلام وبسط هذا يطول جداً وليس هذا موضعه قال والنوع الثالث من السحر الاستعانة بالارواح الارضية وهم الجن خلافاً للفلاسفة والمعتزلة وهم على قسمين مؤمنون وكفار وهم الشياطين قال واتصال النفوس الناطقة بها سهل من اتصالها بالارواح السماوية لما بينهما من المناسبة والقرب ثم ان أصحاب الصنعة وآرباب التجربة شاهدوا أن الاتصال بهذه الارواح الارضية يحصل باعمال سهلة قليلة من الرقى والدخن والتجريد (٢٥١) وهذا النوع هو المسمى السحر بالعزائم

وعمل التسخير النوع الرابع من من السحر التخيلات والاخذ بالعيون والشعبة ومبناه على أن البصر قد يخطئ ويشغل بالشئ المعين دون غيره ألا ترى ذا الشعبة الخاذق يظهر على شئ يذهل أذهان الناظرين به يأخذ عيونهم اليه حتى اذا استفرغهم الشغل بذلك الشئ بالتخديق وفخوه عمل شأ آخر عملاً بسرعة شديدة وحينئذ يظهر لهم شئ آخر غير ما انتظروه فيتعجبون منه جداً ولو انه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر الى ضد ما يريد أن يعمل له ولم تحرك النفوس والاوهام الى غير ما يريد اخرجه لظن الناظرون لكل قال وكلما كانت الاحوال تقيد حسن البصر نوعاً من أنواع الخلل أشد كان العمل أحسن مثل أن يحبس المشعبد في موضع مضى جداً أو مظلم فلا تقف القوة الناطقة على أحوالها والحالة هذه (قلت) وقد قال بعض المفسرين ان سحر السحرة بين يدي فرعون انما كان من باب الشعبة ولهذا قال تعالى فلما ألقوا سحروا

الاحرام والحرمة ما منع الشرع انتهاكه (قصاص) أى المساواة والمماثلة والمعنى ان كل حرمة يجزى فيها القصاص فمن هتك حرمة عليكم فلكم ان تهتكوا حرمة عليه قصاصاً ولا تالوا به قيل وهذا كان في أول الاسلام ثم نسخ بالقتال وقيل انه ثابت بين أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم ينسخ فيجوز لمن تعدى عليه في مال أو بدن أن يتعدى بمثل ما تعدى عليه وبهذا قال الشافعي وغيره وقال آخرون ان أمور القصاص مقصورة على الاحكام وهكذا الاموال لقوله صلى الله عليه وآله وسلم اذا لامته الى من اتفمك ولا تفن من خانك أخرجه الدارقطني وغيره وبه قال أبو حنيفة وجهه والمال كية وعطاء الخراساني والقول الاول أرجح وبه قال ابن المنذر واختاره ابن العربي والقرطبي وحكاها الداودي عن مالك ويؤيده اذنه صلى الله عليه وآله وسلم لامرأة أبي سفيان ان تأخذ من ماله ما يكفيها وولدها وهو في الصحيح ولا يصرح وأوضح من قوله تعالى في هذه الآية (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) وهذه الجملة في حكم التأكيد للجملة الاولى أعنى قوله والحرمت قصاص وانما سمي المكافآت اعتداءً شاكاً كما تقدم وعن ابن عباس في هذه الآية وفي قوله وجزء سيئة الآية وقوله ولمن اتهم بعد ظلمه الآية وقوله وان عاقبت الآية قال هذا وفخوه نزل بمكة والمسلمون يومئذ قليل ليس لهم سلطان يتهر المشركين فكان المشركون يتعاطونهم بالشتم والاذى فأمر الله المسلمين من يتجارأ منهم أن يتجارأ بمثل ما أوفى اليه أو يصبراً ويعفو فلما جبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة وأعز الله سلطانه أمر المسلمين ان ينتهوا في مظالمهم الى سلطانهم ولا يعدو بعضهم على بعض كأهل الجاهلية فقال ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً الآية يقول ينصره السلطان حتى ينصفه على من ظلمه ومن اتهم لنفسه دون السلطان فهو عاص مسرف قد عمل بجمية الجاهلية ولم يرض بحكم الله انتهى وأقول هذه الآية التي جعلها ابن عباس ناصحة مؤيدة لما تدل عليه الآيات التي جعلها منسوخة ومؤكدة له فان الظاهر من قوله فقد جعلنا لوليه سلطاناً أنه جعل السلطان له أى جعل له تسلطاً يتسلط به على القاتل ولهذا قال فلا يسرف في القتل ثم لو سلمنا ان معنى الآية كما قاله لكان ذلك مخصوصاً للقتل من عموم الآيات المذكورة لا بما خالفه فانه لم ينص في هذه الآية الاعلى القتل وحده وتلك الآيات شاملة له وغيره وهذا معلوم من لغة العرب التي هي

أعنى الناس واسترهبوهم وجأؤا بسحر عظيم وقال تعالى يخيل اليه من سحرهم أنهم اتبعوا ولم تكن تسعى في نفس الامر والله أعلم النوع الخامس من السحر الاعمال الخبيثة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة من النسب الهندسية كقارس على فرس في يده بوق كلما مضت ساعة من النهار ضرب بالبوق من غير أن يمسه أحد ومنها الصور التي تصورها الروم والهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الانسان حتى يصورونهم باحكمة وبأكسية الى أن قال فهذه الوجوه من لطيف أمور التخيل قال وكان سحر سحرة فرعون من هذا القبيل (قلت) يعنى ما قاله بعض المفسرين انهم عمدوا الى تلك الحبال والعصى فحشوها بزبقا

فصارت تتلوى بسبب ما فيها من ذلك الرطب فيخيل الى الراي انها تسبح باختيارها قال الرازي ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات ويندرج في هذا الباب علم جراحة الثقال بالآلات الخفيفة قال وهذا في الحقيقة لا ينبغي أن يعد من باب السحر لان لها اسبابا معلومة يقينية من اطاع عليها اقدر عليها (قلت) ومن هذا القليل جيل النصارى على عامتهم بما رويهم اياه من الانوار كقصة قيامة الكنيسة التي لهم يلد المقدس وما يحتلون به من ادخال النار خفية الى الكنيسة واشعال ذلك القنديل بصنعة لطيفة تروج على الطغام منهم وأما الخواص فيهم (٢٥٢) معترفون بذلك ولكن يتأولون أنهم يجمعون شمل أصحابهم على دينهم

فرون ذلك ساءت أفعالهم وفيهم شبهة للجهالة الاغبياء من متعبدى الكرامية الذين يرون جواز وضع الاحاديث في التريغ والترهب فيدخلون في عداد من قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وقوله حدثوا عني ولا تكذبوا على فإنه من يكذب على يلج النار ثم ذكر ههنا حكاية عن بعض الرهبان وهو أنه سمع صوت طائر حنين الصوت ضعيف الحركة فاذا سمعته الطيور ترقله فتذهب فتاتي في وكره من عمر الزيتون امتلغ به فعمد هذا الراهب الى صنعة طائر على شكله وتوصل الى أن جعله أجوف فاذا دخلته الريح يسمع منه صوت كصوت ذلك الطائر وانقطع في صومعة ابتناها وزعم انها على قبر بعض صالحين وعلق ذلك الطائر في مكان منها فاذا كان زمان الزيتون فتح بابا من ناحيته فدخل الريح الى داخل هذه الصورة فسمع صوتها كل طائر في شكله أيضا فتاتي الطيور فتحمل من الزيتون شيئا كثيرا فلا

المرجع في تفسير كلام الله سبحانه ولما أباح لهم الاقتصاص بالمثل وشأن النفس حب المبالغة في الانتقام من العدو وحذرهم من ذلك فقال (واتقوا الله) أي في حال كونكم مستصرين لانفسكم ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم (واعلموا ان الله مع المتقين) بالنصر والعون (واتقوا في سبيل الله) في هذه الآية الامر بالاتفاق في سبيل الله وخو الجهاد بالمال واللفظ يتناول غيره مما يصدق عليه أنه من سبيل الله والاتفاق هو صرف المال في وجوه المصالح الدينية كالاتفاق في الحج والعمرة وصدقة الرحم والصدقة وتجهيز الغزاة وعلى النفس والعيال وغير ذلك مما فيه قربة لله تعالى لان كل ذلك يصدق عليه أنه في سبيل الله ولكن اطلاق هذا اللفظ ينصرف الى الجهاد عن خزيم بن فانك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أتفق نفقة في سبيل الله كتب الله له سبعة عاثة ضعف أخرجه الترمذي والنسائي (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) الباء زائدة ومثله لم يعلم بأن الله يرى وقال المبرد أي بانفسكم تعبير بالبعض عن الكل كقوله بما كسبت أيديكم وقيل هذا مثل مضروب يقال فلان ألقى بيده في أمر كذا اذا استسلم لان المستسلم في القتال يلقي سلاحه بيده فكذلك فعل كل عاجز في أي فعل كان وقال قوم التقدير ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم وعبر بالأيدي عن الانفس لان بها البطش والحركة والتهلكة مصدر من ذلك هلاك كاهلكا وتهلكة أي لا تأخذوا فتيما يلحكم قال الزبيدي التهلكة من نوادر المصادر ليست مما يجري على القياس وللسلف في معنى الآية أقوال قال حذيفة تزلت في النفقة أي تركها في سبيل الله مخافة العيلة وروى نحوه عن ابن عباس وعكرمة والحسن وقال الحسن هو الخيل وقال زيد بن أسلم هو ان يهلك رجل من الجوع والعطش ومن المشي في البعث وقال أبو أيوب كانت التهلكة الاقامة في الاموال واصلاحها وترك الغزو وقال البراء بن عازب هو الرجل يذنب الذنب فيلقى بيده فيقول لا يغفر الله لي أبدا وروى عن النعمان بن بشير نحوه وقيل انه القنوط وقيل عذاب الله وقيل غير ذلك والحق ان الاعتبار بعوم اللفظ لا بخصوص السبب فكما يصدق عليه أنه تهلكة في الدين أو الدنيا فهو داخل في هذا وبه قال ابن جرير الطبري ومن جملة ما يدخل تحت الآية ان يفتح الرجل في الحرب فيحمل على الجيش مع عدم قدرته على التخلص وعدم تأثيره لاثرتفع المجاهدون ولا يمنع من دخول هذا تحت

ترى النصارى الا ذلك الزيتون في هذه الصومعة ولا يدرون ما سببه ففتنهم بذلك وأوهم ان هذا من كرامات الاله صاحب هذا القبر عليهم لعاش الله المتابعة الى يوم القيامة قال الرازي النوع السادس من السحر الاستعانة بخواص الادوية يعني في الاطعمة والادوات قال واعلم انه لا سبيل الى انكار الخواص فان تأثير المغناطيس مشاهد (قلت) يدخل في هذا القليل كثير من يدعى الفقر ويتحمل على جهالة الناس بهذه الخواص مدعيانها أحوالهم من مخالطة النيران وسمك الحيات الى غير ذلك من المحالات قال النوع السابع من السحر التعليق للقلب وهو أن يدعى الساحر أنه عرف الاسم الاعظم وان الجن يطيعونه

وينقادون له في أكثر الامور فاذا اتفق ان يكون السامع لذلك ضعيف القلب قليل التمييز اعتقد انه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل في نفسه نوع من الرهب والخافة فاذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة فحينئذ يتمكن الساحر ان يفعل ما يشاء (قلت) هذا الخط يقال له التنبه وانما يرجع على الضعفاء العقول من بني آدم وفي علم الفراسة ما يرشد الى معرفة كامل العقل من ناقصه فاذا كان النبيل حاذقا في علم الفراسة عرف من يتقاده من الناس من غيره قال النوع الثامن من السحر السعي بالنميمة والتقريب من وجوده خفيفة لطيفة وذلك شائع في الناس (قلت) النميمة على قسمين تارة (٢٥٣) تكون على وجه التحريش بين الناس

وتفريق قلوب المؤمنين فهذا حرام متفق عليه فاما ان كانت على وجه الاصلاح بين الناس وائتلاف كلمة المسلمين كما جاء في الحديث ليس بالكذاب من يرمي خيرا أو يكون على وجه التخذيذ والتفريق بين جوع الكفرة فهذا أمر مطلوب كما جاء في الحديث الحرب خدعة وكما فعل نعيم بن مسعود في تفريقه بين كلمة الاحزاب وبين قريظة وجاء الى هؤلاء فنبى اليهم عن هؤلاء كلاما ونقل من هؤلاء الى أولئك شيئا آخر ثم لأم بين ذلك فتناكرت النفوس وافترقت وانما يحذر وعلى مثل هذا الذكاء والبصيرة النافذة وبالله المستعان ثم قال الرازي فهذه جملة الكلام في أقسام السحر وشرح أنواعه وأصنافه (قلت) وانما أدخل كثيرا من هذه الأنواع المذكورة في فن السحر للطائفة مداركها لان السحر في اللغة عبارة عما لطف وخفى سببه ولهذا جاء في الحديث ان من البيان لسحرا وسمى السحور لكونه يقع خفيا آخر الليل والسحر الرثة وهي محل

الآية انه كما روى الذين رووا السبب فانهم ظنوا ان الآية لا تجاوز سببها وهو ظن تدفعه لغة العرب (وأحسوا) أي في الانفاق في الطاعة أو الظن بالله في اخلافه عليكم وقال رجل من الصحابة معناه أدوا الفرائض وقيل لا تقتروا ولا تسرفوا (ان الله يحب المحسنين) المنفقين في سبيله الظانين به حسنا (وأتموا الحج والعمرة لله) اختلف العلماء في المعنى المراد بانتمام الحج والعمرة ف قيل أدأوهما أو الاتيان بهما من دون أن يشوبهما شيء مما هو محظور ولا يحل بشرط ولا فرض كقوله تعالى فاتهن وقوله ثم أتموا الصيام الى الليل وقال سفيان الثوري اتمامهما ان يخرج لهما لا لغيرهما وقيل اتمامهما ان يفرد كل واحد منهما من غير تمتع ولا قران وبه قال ابن حبيب وقال مقاتل اتمامهما ان لا يستحلوا فيها ما لا ينبغي لهم وقيل اتمامهما ان يحرم لهما من دورته أهله وقيل ان يتفق في سفرهما الحلال الطيب وقد أخرج ابن أبي حاتم وأبو نعيم في الدلائل وابن عبد البر في التمهيد عن يعلى بن أمية قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو بالجرانة وعليه جبة وعليه أثر خلوق فقال كيف تأمرني يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان أصنع في عمري فأترنل الله وأتموا الحج والعمرة لله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أين السائل عن العمرة فقال هاتذا قال اخلع الجبة واغسل عنك أثر الخلوق ثم ما كنت صانعا في جحك فاصنع في عمرتك وقد أخرج الشيخان وغيرهما من حديثه ولكن فيها ما انه أنزل عليه بعد السؤال ولم يذكرا ما الذي أنزل عليه وقال ابن عباس تمام الحج يوم النحر اذا رمي جرة العقبة وزار البيت فقد حل وتمام العمرة اذا طاف بالبيت وبالصفاء وبالمروة فقد حل وقد ورد في فضل الحج والعمرة أحاديث كثيرة ليس هذا موطن ذكرها وقد اتفقت الامة على وجوب الحج على من استطاع اليه سبيلا واستدل بهذه الآية على وجوب العمرة لان الامر باتمامها أمر بها وبذلك قال علي وابن عمر وابن عباس وعطاء وطاوس ومجاهد والحسن وابن سيرين والشعبي وسعيد بن جبيرة ومسروق وعبد الله بن شداد والشافعي وأحمد ومحق وأبو عبيد وابن الجهم من المالكية وقال مالك والنخعي وأصحاب الرأي كما حكاه ابن المنذر عنهم انها سنة وحكى عن أبي حنيفة انه يقول بالوجوب ومن القائلين بانها سنة ابن مسعود وجابر بن عبد الله ومن جملة ما استدلل به الاولون ما ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الصحيح انه قال لا صحابة من كان معه هدى فليهل بجمع

الغذاء وسميت بذلك لخفاؤها ولطف مجاريها الى أجزاء البدن وغضونه كما قال أبو جهل يوم بدر لعتبة اتفخ سحره أي انتفخت رثته من الخوف وقالت عائشة رضي الله عنها في رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري وسحري وقال تعالى سحر وأعين الناس أي أخفوا عنهم علمهم والله أعلم وقال أبو عبد الله القرطبي وعمدنا ان السحر حق وله حقيقة يتخلق الله عنده ما يشاء خيرا لا للمعتزلة وأبي إسحق الاسفراحي من الشافعية حيث قالوا انه قومه وتخييل قال ومن السحر ما يكون بخفة اليد كالشعوذة والشعوذ البريدي بخفة سيرة قال ابن فارس وليست هذه الكلمة من كلام أهل البادية قال القرطبي ومنه ما يكون كلاما يحنظ

ورق من اسماء الله تعالى وقد يكون من عبود الشياطين ويكون أدوية وأدخنة وغير ذلك قال وقوله عليه السلام ان من البيان له صرايحته ان يكون مدحا كما نقوله طائفة ويسمى ان يكون ذمالا بلاغة قال وهذا أصح قال لانها تصوب الباطل حتى توهم السامع انه حق كما قال عليه الصلاة والسلام فلعن بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فاقضى له الحديث * (فصل) * وقد ذكر الوزير أبو المطهر يحيى بن محمد بن هبيرة رحمه الله في كتابه الاشراف على مذاهب الاشراف بابا في السحر فقال أجوعوا على ان السحر له حقيقة الا بأحقيقة فانه قال (٢٥٤) لا حقيقة له عنده واختلفوا في تعلم السحر ويستعمله فقال أبو حنيفة

ومالك وأحمد يكفر بذلك ومن أصحاب أبي حنيفة من قال ان تعلمه ليعتقه أو ليجتنبه فلا يكفر ومن تعلمه معتقدا جوارزه أو انه ينفعه كفر وكذا من اعتقد ان الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر وقال الشافعي رحمه الله اذا تعلم السحر قلناه صف لنا سحره فان وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل نابل من التقرب الى الكواكب السبعة وانما تفعل ما يلبس منها فهو كافر وان كان لا يوجب الكفر فان اعتقد باحاطته فهو كافر قال ابن هبيرة وهل يقتل بمجرد فعله واستعماله فقال مالك وأحمد نعم وقال الشافعي وأبو حنيفة لا فأما ان قتل بسحره انسا فانه يقتل عند مالك والشافعي وأحمد وقال أبو حنيفة لا يقتل حتى يسكر منه ذلك او يقر بذلك في حق شخص معين واذا قتل فانه يقتل حدا عندهم الا الشافعي فانه قال يقتل والحالة هذه قصاصا قال وهل اذا تاب الساحر تقبل توبته فقال مالك وأبو حنيفة وأحمد في المشهور عنهم لا تقبل وقال الشافعي وأحمد في الرواية

وعمرة وثبت عنه أيضا في الصحيح انه قال دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة وأخرج الدارقطني والحاكم من حديث زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الحج والعمرة فريضة تان لا يضر لك بايها بدأت واستدل الآخرون بما أخرجه الشافعي في الام وعبد الرزاق وابن أبي شبة وعبد بن حميد عن أبي صالح الحنفي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحج جهاد والعمرة تطوع وأخرج ابن ماجه عن طلحة بن عبيد الله مرفوعا مثله وأخرج ابن أبي شبة وعبد بن حميد والترمذي وصححه عن جابر أن رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن العمرة أو اجبة هي قال لا وأن تعمروا خير لكم وأجابوا عن الآية والا حديث المصريح بانهم فريضة يجمل ذلك على انه قد وقع الدخول فيها وهي بعد الشروع فيها واجبة بلا خلاف وهذا وان كان فيه بعد لكنه يجب المصير اليه جعلا بين الأدلة ولا سيما بعد تصريحه صلى الله عليه وآله وسلم بما تقدم في حديث جابر من عدم الوجوب وعلى هذا يحمل ما ورد مما فيه دلالة على وجوبها كما أخرجه الشافعي في الام ان في الكتاب الذي كتبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعمر بن حزم ان العمرة هي الحج الاصغر وكحديث ابن عمر عند البيهقي في الشعب قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال أوصني فقال تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم شهر رمضان وتحج وتعمروا وتسمع وتطيع وعليك بالعناية وإياك والسرو وهكذا ينبغي حمل ما ورد من الأحاديث التي قرن فيها بين الحج والعمرة في أنهم ما من أفضل الاعمال وانهما كفارة لما بينهما وانهما ميهما ما كان قبلهما وشهود ذلك وأركان الحج خمسة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعي والحلق أو التقصير وأركان العمرة أربعة الاحرام والطواف والسعي والحلق والتقصير وبهذه الأركان تمام الحج والعمرة (فان أحصرتم) أصل الحصر في اللغة الحبس والتصيق قال أبو عبيدة والكسائي والخليل انه يقال أحصر بالمرض وحصر بالعدو وفي المجمل لابن فارس العكس ورجح الاول ابن العربي قال وهو رأي أكثر أهل اللغة وقال الزجاج انه كذلك عند جميع أهل اللغة وقال القراء هم بمعنى واحد في المرض والعدو وتوافق على ذلك أبو عمرو والسيباني فقال حصرني الشيء وأحصرني أي حبسني وبسبب هذا الاختلاف بين أهل اللغة اختلف أئمة الفقه في معنى الآية فقالت الحنفية المحصر من يصير ممنوعا من مكة بعد الاحرام عرض

الاخرى تقبل وأما ساحر أهل الكتاب فعند أبي حنيفة انه يقتل كما يقتل الساحر المسلم وقال مالك وأحمد والشافعي لا يقتل يعني لقصة لسيد بن الأعشى واختلفوا في المسئلة الساحرة فعند أبي حنيفة انها لا تقتل ولكن تحبس وقال الثلاثة حكمها حكم الرجل والله أعلم وقال أبو بكر الخلال أخبرنا أبو بكر المروزي قال قرأ على أبي عبد الله يعني أحمد بن حنبل عمر بن هرون أخبرنا يونس عن الزهري قال يقتل ساحر المسلمين ولا يقتل ساحر المشركين لان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحرته امرأة من اليهود فلم يقتلها وقد نقل القرطبي عن مالك رحمه الله انه قال في الذي يقتل ان قتل سحره وحكى ابن خوير منداد عن مالك

روایتی فی الذی اذا سحر احدهما انه يستتاب فان أسلم والأقل و...
کفر عند الأئمة الاربعة وغيرهم لقوله تعالى وما يعلم ان من أحدث حتى يقول انما نحن قننة فلا تكفر لکن قال مالک اذا ظهر عليه
لم تقبل بوجهه لانه كان زنديقاً فان تاب قبل أن يظهر عليه وجبنا تائباً قبلناه فان قتل سحره قتل قال الشافعی فان قال لم تعد القتل
فيوخطى تجب عليه الدية (مسئلة) وهل يسأل الساحر حلالاً لسحره فأجازہ سعيد بن المسيب فيما نقله عنه البخاری وقال عامر
الشعبي لا بأس بالثمة وكره ذلك الحسن البصري وفي الصحيح عن عائشة (٢٥٥) أنها قالت يا رسول الله هلا تنشرت

فقال أما الله فقد شفاني وخشيت
أن أفتح على الناس شراً وحكي
القرطبي عن وهب أنه قال يؤخذ
سبع ورقات من سدر فتدق بين
حجرين ثم تضرب بالماء ويقرأ عليها
آية الكرسي ويشرب منها المسحور
ثلاث حسوات ثم يغتسل بياقيه
فانه يذهب ما به وهو جيد للرجل
الذي يؤخذ عن امرأته (قلت)
أنفع ما يستعمل لاذهب السحر
ما أنزل الله على رسوله في اذهاب
ذلك رهما المعوذتان وفي الحديث
لم ينعوذ المتعوذ بمنلهما وكذلك
قراءة آية الكرسي فانها مطردة
للسمطان (يا أيها الذين آمنوا
لاتقولوا راعنا وقولوا انظرونا

أوعدوا وغيره وقالت الشافعية وأهل المدينة المراد بالآية حصر العدو وقد ذهب
جمهور العلماء إلى أن المحصر بعدد يتحل حيث أحصر ويغفر هديته ان كان ثم هدى ويحلق
رأسه كما فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو وأصحابه في المدينة (فما استيسر من
الهدى) أي ان أحصر ثم دون تمام الحج والعمرة فحلت فلو اجب أو فعملكم أو فافتحروا
أو فاهدوا ما تيسر يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب وليس السنين
للطلب والهدى والهدى لغتان وهما جمع هدية وهي ما يهدي إلى البيت من بدنة أو غيرها
ويقال في جمع الهدى أهداء واختلف أهل العلم في المراد بقوله فما استيسر فذهب الجمهور
إلى أنه شاة وقال ابن عمر وعائشة وابن الزبير رجل أو بقرة وقال الحسن أعلى الهدى
بدنة أو وسطه بقرة وأدنا مشاة وهذا الدم دم ترتيب وتعديل كما أشار له ابن المقرئ (ولا تحلقوا
رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله) هو خطاب لجميع الأمة من غير فرق بين محصر وغير محصر
واليه ذهب جمع من أهل العلم وذهبت طائفة إلى أنه خطاب للمحصرين خاصة أي لا تحلقوا
من الأحرار حتى تعلموا أن الهدى الذي بعثتموه إلى الحرم قد بلغ محله وهو الموضع الذي
يحل فيه ذبحه واختلفوا في تعيينه فقال مالک والشافعي هو موضع الحصر اقتداء برسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث أحصر في عام المدينة وقال أبو حنيفة هو الحرم لقوله
تعالى ثم محلها إلى البيت العتيق وأجيب عن ذلك بأن المخاطب به هو الأيمن الذي يمكنه
الوصول إلى البيت وأجاب الحنفية عن سحره صلى الله عليه وآله وسلم بالحديبية بأن طرف
الحديبية الذي إلى أسفل مكة هو من الحرم ورد بأن المكان الذي وقع فيه التحريم هو

من الحرم (فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك)
المراد بالمرض هنا ما يصدق عليه مسمى المرض لغة والمراد بالآية من الرأس ما فيه من
قل أو صداع أو جراح أو نحو ذلك فمن حلق فعليه فدية وقد بينت السنة ما أطلق هناك من
الصيام والصدقة والنسك فثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى
كعب بن عجرة وهو محرم وقوله يتساقط على وجهه فقال أيؤذيك أوام رأسك قال نعم فأمره
أن يحلق ويطعم ستة مساكين أو يهدي شاة أو يصوم ثلاثة أيام وقد ذكر ابن عبد البر أنه
لا خلاف بين العلماء أن النسك هنا هو شاة وحكي عن الجمهور أن الصوم هنا ثلاثة أيام
والإطعام ستة مساكين وروى عن الحسن وعكرمة ونافع أنهم قالوا الصوم في فدية

لعائن الله فإذا أرادوا أن يقولوا اسمع لنا يقولوا راعنا ويورون بالرعوة كما قال تعالى من الذين هادوا يجرؤون الكلم عن مواضعه
ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً
لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلاً وكذلك جاءت الأحاديث بالآخبار عنهم بأنهم كانوا إذا سلموا انما يقولون
السام عليكم والسام هو الموت ولهذا أمرنا أن نرد عليهم بوعليكم وانما يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا والغرض ان الله
تعالى نهى المؤمنين عن مشابهة الكافرين قولاً وفعلًا فقال يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا واسمعوا والاكافرين

سذاب لهم وذلك الامام احمد أخبرنا ابو النضر أخبرنا عبد الرحمن أخبرنا ثابت أخبرنا احسان بن عيسى عن ابي مسيب الجعفي عن ابن عمر بن رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت بين يدي ساعة لا يبق فيها عبد الله وحده الا شرب له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الجنة والجنة على من خالف امرى ومن تشبه بقوم فهو منهم وروى ابو داود عن عثمان بن ابي شيبة عن ابي النضر هاشم أخبرنا ابن القاسم يضمن تشبه بقوم فهو منهم فبيده لعل النهي الشديد والتمديد والوعيد على التشبه بالكفار في اقوالهم وافعالهم (٢٥٦) ولباسهم واعبادهم وعبادتهم وغير ذلك من امورهم التي لم تشرع

لنا ولم تشرع عليها وقال ابن ابي شيبة أخبرنا ابي النضر هاشم بن جندب أخبرنا عبد الله بن المبارك أخبرنا مسعر عن ابن معن وعن ابي عبد الله ابن مسعود فقال اعهد الى قتال اذا سمعت الله يقول يا ايها الذين آمنوا ارفعوا عنكم ما كان من دم فمكة وما كان من طعام او صيام فحث شاء وبه قال اصحاب الرأي وقال طاوس والشافعي الاطعام والدم لا يصح كونان الا بمكة والصوم حيث شاء وقال مالك ومجاهد حدثنا في الجميع وهو الحق لعدم الدليل على تعيين المكان وهذه الهم دم تخيير وتقدير (فاذا اتممت) أي برئتم من المرض وقيل من خوفكم من العدو وعلى الخلاف السابق ولكن الامن من العدو وظهور من استعمال امنهم في ذهاب المرض فيكون مقويا للقول من قال ان قوله فان احصرتم المراد به الاحصار من العدو وكان قوله فمن كان منكم مريضاً يتقوى قول من قال بذلك لافراد عذر المرض بالذكر وقد وقع الخلاف هل المخاطب به ذاهم المحصورون خاصة أم جميع الامة على حسب ما سلف (فمن تنفع بالعمرة الى الحج) يعني ان يحرم الرجل بعمرة ثم يقيم حلالاً بمكة الى ان يحرم بالحج فنسب استباح بذلك ما لا يحل للمعمر استباحته وهو معنى تنفع واستمتع ولا خلاف بين أهل العلم في جواز التمتع بل هو افضل أنواع الحج عند أهل التحقيق (فما استيسر من الهدى) وهو شاذ يذهبها يوم النحر فالوجه قبله بعد ما أحرم بالحج أجزأه عند الشافعي ولا يجوز ذبحه عند أي خيفة قبل يوم النحر وهذا الدم ترين وتقدير كذا ذكره ابن المقرئ وقد اشتملت هذه الآيات على ثلاثة أنواع من أنواع الدم الواجب في النسك وبقي الرابع يذكر في المائدة في قوله لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم الآية وهو دم تخيير وتقدير ويجب في شئين صيد وشجر (فمن لم يجد الهدى) اما لعدم المبال أو لعدم الحيوان (فصيام ثلاثة أيام في) أيام (الحج) وهي من عند مشروعي الاحرام الى يوم النحر ومع ذلك يجوز ذبحه قبل الاحرامه على التساعدة من أن كل حق مالي تعلق بسببين جاز تقديته على ثانيهما وقيل يصوم قبل

لنا ولم تشرع عليها وقال ابن ابي شيبة أخبرنا ابي النضر هاشم بن جندب أخبرنا عبد الله بن المبارك أخبرنا مسعر عن ابن معن وعن ابي عبد الله ابن مسعود فقال اعهد الى قتال اذا سمعت الله يقول يا ايها الذين آمنوا ارفعوا عنكم ما كان من دم فمكة وما كان من طعام او صيام فحث شاء وبه قال اصحاب الرأي وقال طاوس والشافعي الاطعام والدم لا يصح كونان الا بمكة والصوم حيث شاء وبه قال اصحاب الرأي وقال مالك ومجاهد حدثنا في الجميع وهو الحق لعدم الدليل على تعيين المكان وهذه الهم دم تخيير وتقدير (فاذا اتممت) أي برئتم من المرض وقيل من خوفكم من العدو وعلى الخلاف السابق ولكن الامن من العدو وظهور من استعمال امنهم في ذهاب المرض فيكون مقويا للقول من قال ان قوله فان احصرتم المراد به الاحصار من العدو وكان قوله فمن كان منكم مريضاً يتقوى قول من قال بذلك لافراد عذر المرض بالذكر وقد وقع الخلاف هل المخاطب به ذاهم المحصورون خاصة أم جميع الامة على حسب ما سلف (فمن تنفع بالعمرة الى الحج) يعني ان يحرم الرجل بعمرة ثم يقيم حلالاً بمكة الى ان يحرم بالحج فنسب استباح بذلك ما لا يحل للمعمر استباحته وهو معنى تنفع واستمتع ولا خلاف بين أهل العلم في جواز التمتع بل هو افضل أنواع الحج عند أهل التحقيق (فما استيسر من الهدى) وهو شاذ يذهبها يوم النحر فالوجه قبله بعد ما أحرم بالحج أجزأه عند الشافعي ولا يجوز ذبحه عند أي خيفة قبل يوم النحر وهذا الدم ترين وتقدير كذا ذكره ابن المقرئ وقد اشتملت هذه الآيات على ثلاثة أنواع من أنواع الدم الواجب في النسك وبقي الرابع يذكر في المائدة في قوله لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم الآية وهو دم تخيير وتقدير ويجب في شئين صيد وشجر (فمن لم يجد الهدى) اما لعدم المبال أو لعدم الحيوان (فصيام ثلاثة أيام في) أيام (الحج) وهي من عند مشروعي الاحرام الى يوم النحر ومع ذلك يجوز ذبحه قبل الاحرامه على التساعدة من أن كل حق مالي تعلق بسببين جاز تقديته على ثانيهما وقيل يصوم قبل

اغدة تقواها الانصار فنهى الله عنها وقال الحسن لا تقولوا راعنا قال الراعي من القول السخري منه ما هم الله ان يسخرها يوم من قول محمد صلى الله عليه وسلم وما يدعوهم اليه من الاسلام وكذا روى عن ابن جريجه انه قال مثله وقال ابو حنيفة لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اذبر ناداه من كانت له حاجة من المؤمنين فيقول راعنا معك فاعظم الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقال ذلك له وقال السدي كان رجل من اليهود من بني قينقاع يدعى رفاعه بن زيد يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فاذا التفت فكلمه قال ارعني معك واسمع غير سميع وكان المسلمون يحسبون ان الانبياء كانت تغفم بهذا فكان ناس منهم

يقولون اسمع غير سمع غير صاغروهي كالتي في سورة النساء فتقدم الله الى المؤمنين أن لا يقولوا راعنا وكذا قال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم يخون هذا قال ابن جرير والصاب من القول في ذلك عندنا ان الله نهى المؤمنين أن يقولوا النبي صلى الله عليه وسلم راعنا لانها كلمة كرهها الله تعالى ان يقولوها النبي صلى الله عليه وسلم نظير الذي ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقولوا للعنب الكرم ولكن قولوا الحبة ولا تقولوا عبدي ولكن قولوا فتاى وما أشبه ذلك وقوله تعالى ما يرد الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم يبين بذلك (٢٥٧) تعالى شدة عداوة الكافرين من أهل الكتاب والمشركين الذين حذر الله تعالى

من مشابهتهم لاهل المؤمنين ليقطع
المودة بينهم وبينهم وربه تعالى على
ما أنعم به على المؤمنين من الشرع
التام الكامل الذي شرعه لنبيه
محمد صلى الله عليه وسلم حيث
يقول تعالى والله يتخصص برحمته

من يشاء والله ذو الفضل العظيم
(ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير
منها أو مماثلها ألم تعلم أن الله على كل
شيء قدير ألم تعلم أن الله له ملك
السموات والأرض وما لكم من

دون الله من ولي ولا نصير) قال ابن
أبي طحمة عن ابن عباس رضي الله
عنه ما ننسخ من آية ما تبدل من
آية وقال ابن جرير عن مجاهد
ما ننسخ من آية أي ما نمحو من آية

وقال ابن أبي شيبة عن مجاهد ما نسخ من آية قال ثبت خطها وبطل حكمها حدث به عن أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم وقال ابن أبي حاتم وروى عن أبي

ذلك وقال الفخام ما ننسخ من آية ما ننسك وقال عطاء ما ما ننسخ مما ننسك من القرآن وقال ابن أبي ربي ما ننسخ من آية ننسخها قضاها

يوم التروية يوم ما يؤم التروية ويوم عرفة وقيل ما بين أن يحرم بالحج إلى يوم عرفة وقيل يصومهم من أول عشر ذي الحجة وقيل ما دام بمكة وقيل أنه يجوز أن يصوم الثلاث قبل أن يحرم وقد جوز بعض أهل العلم صيام أيام التشريق لمن لم يجد الهدى ومنعه آخرون وبه قال الشافعي (وسبعة أذارجعتم) أي إلى الأوطان والأهل قال أحمد واسحق يجوزنه الصوم في الطريق ولا يتضيّق عليه الوجوب إذا وصل وطنه وبه قال الشافعي وقتادة والربيع ومجاهد وعطاء وعكرمة والحسن وغيرهم وقال مالك إذا رجع من منى فلا بأس أن يصوم والاول أخرج وقد ثبت في الصحيح من حديث ابن عمر انه قال صلى الله عليه وآله وسلم من لم يجد فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله فمن صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجوع المذكور في الآية هو الرجوع إلى الأهل وثبت أيضا في الصحيح من حديث ابن عباس بلفظ وسبعة إذا رجعتم إلى أمصاركم وقيل إذا فرغتم من أعمال الحج وبه قال أبو حنيفة والاول أولى وفيه التفات عن الغيبة وإنما قال سبحانه (تلك عشرة كاملة) مع كل أحد يعلم أن الثلاثة والسبعة عشرة لدفع أن يتوهم متوهم التخيير بين الثلاثة الأيام في الحج والسبعة إذا رجع قاله الزجاج وقال المبرد كذلك ليدل على إقضاء العدد لئلا يتوهم متوهم أنه قد بقي منه شيء بعد ذكر السبعة وقيل هو تركيد كما تقول كتبت بيدي وقد كانت العرب تأتي بمثل هذه الفذلكة فيما دون هذا العدد وقوله كاملة تركيد آخر بعد الفذلكة لزيادة التوضيح بصيائها وأن لا ينقص من عددها والمعنى كاملة يعني في الثواب والاجر يعني أن ثواب صيام العشرة كثواب الذبح لا ينقص عنه شيئا وقيل كاملة في قيامها مقام الهدى (ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) الإشارة قبل هي راجعة إلى التمتع فيدل على أنه لا تمتع لحاضري المسجد الحرام كما يقوله أبو حنيفة وأصحابه قالوا ومن تمتع منهم كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه وقيل إنها راجعة إلى الحكم وهو وجوب الهدى أو الصيام على من تمتع فلا يجب ذلك على من كان من حاضري المسجد الحرام كما يقوله الشافعي ومن وافقه والمراد من لم يكن ساكن في الحرم أو من لم يكن ساكن في المواقيت فمادونها على الخلاف في ذلك بين الأئمة قال مالك هم أهل مكة وقال طائوس هم أهل الحرم وقال ابن جرير هم أهل عرفة والربيع وضجنان وشحلة وقال الشافعي من كان وطنه من

(٣٣ - فتح البيان ل) حاتم يعني ترك فلم ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم وقال السدي ما نسخ من آية نسخها قبضها قال ابن أبي حاتم يعني قبضها رفعها مثل قوله الشيخ والشيخة إذا زيا فارجوهما البتة وقوله لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا لبغى لهما نالسا وقال ابن جرير ما نسخ من آية ما نقل من حكم آية الى غيره فبطله ونعيره وذلك ان نقول الحلال حراما والحرام حلالا والمباح محظورا والمحظور مباحا ولا يكون ذلك الا في الامر والنهي والحظر والاطلاق والمنع والاباحة فاما الاخبار فلا يكون فيها نسخ ولا منسوخ وأصل النسخ من نسخ الكتاب وهو نقله من نسخة اخرى الى غيرهما فكذلك معنى نسخ الحكم الى غيره

انما هو نحو يله ونقل عبارة الى غير ما وسواه نسخ حكمها أو خطها الذي في كتابها انما منسوخة واما علمه الاصول فاختلقت عباراتهم في حد النسخ والامر في ذلك قريب لان معنى النسخ الشريعي معلوم عند العلماء ولحظ بعضهم انه رفع الحكم بدليل شرعي متأخر فادرج في ذلك نسخ الاختلاف بالنقل وعكسه والنسخ لا الى بدله واما تفاصيل أحكام النسخ وذكرياته ومروياته فبسوطة في أصول الفقه وقال الطبراني أخبرنا أبو سنبل عبيد الله بن عبد الرحمن بن راقه أخبرنا أي أخبرنا العباس بن الفضل عن سليمان بن أرقم عن الزهري عن سالم عن (٢٥٨) أبيه قال قرأ رجلان سورة أقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم

فكان يقرآن بها فقاما ذات ليلة يصليان فلم يقدر انهما على حرف فأعسهما غاديين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما مما نسخ وأنسى فالهوا عنها فكان الزهري يقرؤها ما نسخ من آية أو نساها بضم النون الخفيفة سليمان بن الأرقم ضعيف وقد روى أبو بكر بن الانباري عن أبيه عن نصر بن داود عن أبي عبيد الله عن عبد الله بن صالح عن الليث عن يونس وعقيل عن ابن شهاب عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف مثله من فروع عاذ كره القرطبي وقوله تعالى أو نساها فقرئ على وجهين نساها ونساها فاما من قرأها بفتح النون والهجرة بعد السين فعنائه تؤخرها قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ما نسخ من آية أو نساها يقول ما بسدل من آية أو نثر كها لا تبدلها وقال مجاهد عن أصحاب ابن مسعود أو نساها ثبت خطها وبديل حكمها وقال عبد بن عمر ومجاهد وعطاء أو نساها تؤخرها ونرجها وقال عطية العوفي

مكة على أقل من مسافة القصر وقال أبو حنيفة هم أهل الميقات والمواقيت ذوالالحنة والخفة وقرن ويالم وذات عرق وقيل من تلزمه الجمعة قال السيوطي والاهل كناية عن النفس أي نفس المحرم أي ذلك المحرم لم يكن هو نفسه حاضر المسجد الحرام وهذا معنى نسخ والاولى ما قاله غيره وحكي الرمي عن الطبري ان المراد بالاهل الزوجة والاولاد الذين تحت حجره دون الآباء والاخوة (وأتقوا الله) أي فيما فرض عليكم في هذه الاحكام وقيل هو أمر بالتقوى على العموم وتحذير من شدة عقاب الله سبحانه (واعلموا أن الله) اظهار في موضع الاضمار لترتبة المهابة في روع السامع (شديد العقاب) لمن خالف أمره وتهاون بحمد ودود وارتكب مناهمه وهو من باب اضافة الصفة المشبهة الى مرفوعها (الحج أشهر معلومات) أي وقت الحج أشهر أي وقت عمل الحج وقيل التقدير الحج في أشهر وقيل غير ذلك وقد اختلف في الأشهر المعلومات فقال ابن مسعود وابن عمر وعطاء والربيع ومجاهد والزهري هي شوال وذوالقعدة وذوالحجة كله وبه قال مالك وقال ابن عباس والسدي والشعبي والنخعي هي شوال وذوالقعدة وعشر من ذي الحجة وبه قال أبو حنيفة والشافعي وأحمد وغيرهم وقد روى أيضا عن مالك وتظهر فائدة الخلاف فيما وقع من أعمال الحج بعد يوم النحر فن قال ان ذوالحجة كله من الوقت قال لم يلزمه دم التأخير ومن قال ليس الا عشر منه قال يلزمه دم التأخير وقد استدل بهذا الآية من قال انه لا يجوز الاحرام بالحج قبل أشهر الحج وهو عطاء وطاوس ومجاهد والاوزاعي والشافعي وأبو ثور قالوا فن أحرم بالحج قبلها أحل بالعمرة ولا يجزئه عن احرام الحج كن دخل في صلاة قبل وقتها فلا تجزئه وقال أحمد وأبو حنيفة انه مكره فقط وروى نحوه عن مالك والمشهور عنه جواز الاحرام بالحج في جميع السنة من غير كراهة وروى مثله عن أبي حنيفة وعلى هذا القول ينبغي أن ينظر في فائدة توقيت الحج بالأشهر المذكورة في الآية وقد قيل ان النص عليها الزيادة فضلها وقد روى القول بجواز الاحرام في جميع السنة عن اسحق بن راهويه وابراهيم النخعي والثوري والليث بن سعد واحتج لهم بقوله تعالى يسألونك عن الاهل قل هي مواقيت للناس والحج يجعل الاهل كلها مواقيت للحج ولم يخص الثلاثة الأشهر ويحاج بان هذه الآية عامة وتلك خاصة والخاص مقدم على العام ومن جملة ما احتجوا به القياس للحج على العمرة فكما يجوز الاحرام للعمرة في جميع السنة

أو نساها تؤخرها فلا تنسخها وقال السدي مثله أيضا وكذا الربيع بن أنس وقال الخليل ما نسخ من آية أو نساها يعني النسخ من المنسوخ وقال أبو العالية ما نسخ من آية أو نساها تؤخرها عندنا وقال ابن أبي حاتم أخبرنا عبيد الله بن اسمعيل البغدادي أخبرنا خلف أخبرنا الخفاف عن اسمعيل يعني بن أسلم عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خطبنا عمر رضي الله عنه فقال يقول الله عز وجل ما نسخ من آية أو نساها أي تؤخرها واما على قراءة أو نساها فقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله ما نسخ من آية أو نساها قال كان الله عز وجل ينسئ نبيه صلى الله عليه وسلم ما يشاء

وينسخ ما يشاء. وقال ابن جرير أخبهرنا سواد بن عبد الله أخبهرنا خالد بن الحرث أخبهرنا عوف عن الحسن أنه قال في قوله أو نسها قال أن نبيكم صلى الله عليه وسلم قرأ قرآنًا ثم نسيه. وقال ابن أبي حاتم أخبهرنا أبي أخبهرنا ابن نفيل أخبهرنا محمد بن الزبير الحراني عن الجلابج يعنى الجزري عن عكرمة عن ابن عباس قال كان مما ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي بالليل وينسأ بالنهار فانزل الله عز وجل ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها. قال ابن أبي حاتم قال لى أبو جهم مفر بن نفيل ليس هو الجلابج بن أرواة هوشج لنا جرزي وقال عبيد بن عمر أو نسها ترفعها من عندكم وقال (٢٥٩) ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم

أخبرنا هاشم عن يعلى بن عطاء عن
القاسم بن ربيعة قال سمعت سعد
ابن أبي وقاص يقول يقرأ ما نسخ من
آية أو نساها قال قلت له فان سعد
بن المسيب يقرأ أو نساها قال فقال
سعد ان القرآن لم ينزل على المسيب
ولا على آل المسيب قال قال الله
جل ثناؤه سمعوا منكم فلا تنسى واذا ذكر
ربك اذ انسيت وكذا رواه عبد
الرزاق عن هاشم وأخبره الحاكم
في مسنده عن حديث أبي حاتم
الرازي عن آدم عن شعبة عن يعلى
ابن عطاء قال قال علي بن أبي حمزة
والم يحدّثنا قال ابن أبي حاتم
وروى عن محمد بن كعب وقتادة
وعكرمة بن حرقول سعد بن عبد
الامام أحمد أخبرنا يحيى أخبرنا
سفيان الثوري عن حبيب بن أبي
ثابت عن سعيد بن جبيرة عن ابن
عباس قال قال عمر بن عبد العزيز
وأبي آقصر ونا وانا لنسمع من
قول أبي وذلك ان أبا يعلى يقول ما أَدع
شيأ سمعته من رسول الله صلى الله
عليه وسلم والله يقول ما نسخ
من آية أو نساها نأت بخبر منها

كذلك يجوز للحج ولا يخفى ان هذا القياس مصادم للنص القرآني وهو باطل والحق
ما ذهب اليه الاولون ان كانت الاشهر المذكورة في قوله الحج أشهر مختصة بالثلاثة
المذكورة بنص أو اجماع فان لم يكن كذلك فالأشهر يرجع شهر وهو من جموع القلة يتردّد
ما بين الثلاثة الى العشرة والثلاثة هي المتيقنة فيجب الوقوف عندها ومعنى معلومات
ان الحج في السنة مرة واحدة في أشهر معلومات من شهورها ليس كالعمرة أو المراد
معلومات ببيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو معلومات عند المخاطبين لا يجوز
التقدم عليها ولا التأخر عنها (فن فرض) على نفسه (فهو الحج) أي أوجبه عليها وألزمه
أيادها أصل الفرض في اللغة الحز والقطع ومنه فرضة القوس والنهر والحبل فقرضية
الحج لازمة للعبد الحركي ورم الحز للقوس وقيل معنى فرض أبان وهو أيضا يرجع الى
القطع لان من قطع شيئا فقد أبانه عن غيره وقال ابن مسعود الفرض الاحرام وقال
ابن الزبير الاحلال وروى نحوه ذلك عن جماعة من التابعين والمعنى في الآية فن ألزم
نفسه وأوجب عليها فن الحج بالشروع فيه بالنية قصد اباطنا وبالاحرام فعلا ظاهرا
وبالتلبية نطقا مسموعا وقال أبو حنيفة ان الزامة بنفسه يكون بالتلبية أو بتقليد الهدى
وسوقه وقال الشافعي تكفي النية في الاحرام بالحج (فلارفت) قال ابن عباس وابن
جبير والسدي وقتادة والحسن وعكرمة والزحري ومجاهد ومالك هو الجماع وفي رواية
عن ابن عباس هو غشيان النساء والتقبيل والغمز وقال ابن عمر وطاوس وعطاء وغيرهم
الرفث الاخفاش بالكلام والحناء والقول القبيح وعلى هذا التلظيه في غيبة النساء
يكون رفثا وقال أبو عبيدة الرفث اللغمان الكلام (ولافسوق) أصله الخروج عن
حدود الشرع وعن الطاعة وقيل هو الذبح للاصنام وقيل التنازع باللقاب وقيل
السباب وقال ابن عمر هو ما نهى عنه المحرم في حال الاحرام من قتل الصيد وتقليم
الانفار وأخذ الشعر وما أشبه ذلك والظاهر انه لا يختص بمعصية معينة وانما خصه
من خصه بما ذكر باعتبار أنه قد أطلق على ذلك الفرد اسم الفسوق كما قال سبحانه في
الذبح للاصنام أرفسقا أهل لغير الله يد وقال في التنازع بشئ الاسم الفسوق وقال
صلى الله عليه وآله وسلم سباب المسلم فسوق ولا يخفى على عارف ان إطلاق اسم
الفسوق على فرد من أفراد المعاصي لا يوجب اختصاصه به (ولاجدال) يشتق من الجدال

أومثلها قال البخاري أخبرنا يحيى أخبرنا زهير عن حميد بن عيسى عن سفيان بن عيينة عن ابن عباس قال قال عمر أقرؤا أبي وأقضانا على وإنالندع من قول أبي وذلك أن أبايتقول لأدع شياً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال الله ما ننسخ من آية أو ننسها وقوله نأت بخير منها أومثلها أي في الحكم بالسببة إلى متلحة المكلفين كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس نأت بخير منها يقول خير لكم في المنفعة وأرفق بكم وقال أبو العباس ما ننسخ من آية فلا نعمل بها أومنسها أي نرجعها عندنا نأت بها أومنظيرها وقال السدي نأت بخير منها أومثلها يقول نأت بخير من الذي نسختناه أومثل الذي تركناه وقال قتادة نأت بخير منها أومثلها

يقول آية فيها تخفيف فيها رخصة فيها امر فيها نهى وقوله ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يرشد عباده تعالى بهذا إلى أنه المتصرف في خلقه بما يشاء فله الخلق والأمر وهو المتصرف في خلقهم كما يشاء ويسعد من يشاء ويشقى من يشاء ويصنع ويرضى من يشاء ويوفق من يشاء ويخذل من يشاء كذلك يحكم في عباده بما يشاء فيجعل ما يشاء ويحرم ما يشاء ويبيح ما يشاء ويحضر ما يشاء وهو الذي يحكم ما يريد لا معقب لحكمه ولا يستل عما يفعل وهم يسئلون ويختار عباده وطاعتهم (٢٦٠) الرسالة بالنسخ فيما مر بالشئ لما فيه من المصلحة التي يعملها تعالى ثم ينهى

عنه لما يعلمه تعالى فالطاعة كل الطاعة في امتثال أمره وأستأمر رساله في تصديق ما أخبر وأوامر استأمر ملأهروا وترك ما عنه زجر واوفي هذا المقام رد عظيم وبيان بليغ لكفر اليهود وتزييف شبهتهم لعنهم الله في دعوى استحالة النسخ اما عقلا كما زعمه بعضهم جهلا وكفرا واما نقلا كما تحصره آخرون منهم افتراء وافكا قال الامام أبو جعفر ابن جرير رحمه الله فتأويل الآية ألم تعلم يا محمد ان لي ملك السموات والأرض وسلطانهم ما دون غيري أحكم فيهما وفيما فيهما بما أشاء وأمر فيهما وفيما فيهما بما أشاء وأنهى عما أشاء وأنسخ وأبدل وأغير من أحكامي التي أحكم بها في عبادي بما أشاء إذا شاء وأقر فيهما ما أشاء ثم قال وهذا الخبر وان كان خطابا من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم على وجه الخبر عن عظمته فإنه فيه تكذيب لليهود الذين أنكروا أنسخ أحكام التوراة ووجدوا نبوة عيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام لحديثهما بما جاء به من عند الله بتغير ما غير الله من

وهو القتل والمراد به هنا المنارة وقيل السباب وقيل الفخر بالآباء والظاهر الأول ومعنى النفي لهذا الأمر النهي عنها وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرث التعريض للنساء بالجماع والفسوق المعاصي كلها والجدال جدال الرجل صاحبه وروى نحوه هذا عن جماعة من التابعين بعبارة مختلفة قال ابن عباس الجدال هو المراء قيل هو قول الرجل الحج اليوم ويقول آخر الحج غدا وقيل هو ما كان عليه أهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم يجز دافعة وبعضهم يمشي في ذى القعدة وبعضهم في ذى الحجة وكل يقول الصواب فيما فعلته فأخبر الله أن أمر الحج قد استقر على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا خلاف فيه بعده (في الحج) أي في أيامه ونسكته الاظهار لكل الاعتناء بشأنه والاشعار بعلة الحكم فان زيارة البيت المعظم والتقرب بها من موجبات ترك الأمور المذكورة وإتيان النفي للمبالغة في النهي والدلالة على أن ذلك حقيق بأن لا يقع فان كان منكرا مستقبحا في نفسه ففي خلال الحج أقبح كلبس الحرير في الصلاة لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة إلى محض العبادة ظاهر الآية في الثلاثة خبر ومعناه نهى وانما نهى عن ذلك وان كان اجتنابها في كل الأحوال والأزمان واجبا لانها في الحج أسمى وأقطع منه في غيره وقيل ومعناه ولا شك في الحج أنه في ذى الحجة فابطل النسب وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه أخرجه البخاري ومسلم (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) حدث على الخبر بعد ذكر الشر وعلى الطاعة بعد ذكر المعصية وهو أن يستعملوا مكان الرث الكلام الحسن ويمكن الفسوق البر والتقوى ويمكن الجدال الوفاق والاختلاف الجيلة وفيه ان كل ما يفعلونه من ذلك فهو معلوم عند الله لا يفوت منه شيء (وتزودوا) ما يغلبكم لئلا تسفركم (فان خير الزاد التقوى) أي ما يتقي به سؤال الناس وغيره فيه الأمر بالتخاذل الزاد ان بعض العرب كانوا يقولون كيف نتج بيت ربنا ولا يطعم منا فكانوا ينجون بالزاد ويقولون نحن متوكلون على الله سبحانه ثم يقدمون فيسألون الناس ويكونون كالأغنام فأمر الله هذه الآية أخرجه عبد بن حميد والبخاري وأبو داود والنسائي وغيرهم عن ابن عباس وقد روى عن جماعة من التابعين مثل ذلك قال ابن الجوزي قد لبس ابليس على

قوم حكم التوراة فاخبرهم الله ان له ملك السموات والأرض وسلطانهم ما وان الخلق أهل ملكته وطاعته وعليهم السمع والطاعة لاهر وهنبيه وان له أمرهم بما يشاء ونسخ ما يشاء وافرار ما يشاء وأنشاء ما يشاء من اقراره وأمره وهنبيه (قلت) الذي يحمل اليهود على البحث في مسئلة النسخ انما هو الكفر والعناد فانه ليس في العقل ما يدل على امتناع النسخ في أحكام الله تعالى لانه يحكم ما يشاء كما انه يفعل ما يريد مع انه قد وقع ذلك في كتبه المتقدمة وشرائعه الماضية كما أحل لا دم تزويج بناته من نبيه ثم حرم ذلك وكما أباح لنوح بعد خروجه من السفينة أكل جميع الحيوانات ثم نسخ حل بعضها وكان

نكاح الاختين مباحا لاسرائيل وبنه وقد حرم ذلك في شريعة التوراة وما بعدها وأمر ابراهيم عليه السلام بذبح ولده ثم نسحه
 قبل الفعل وأمر جمهور بني اسرائيل بقتل من عبد الجبل منهم ثم رفع عنهم القتل كيلا يستأصلهم القتل وأشياء كثيرة يطول
 ذكرها وهم يعترفون بذلك ويصدقون عنه وما يجاب به عن هذه الادلة باجوبة لفظية فلا يصرف الدلالة في المعنى اذ هو المقصود
 وكفى كتبهم مشهورا من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم والاخر باتباعه فانه يفيد وجوب متابعتة عليه السلام وانه لا يقبل عمل
 الا على شريعته وسواء قيل ان شرائع المتقدمه مغيية الى بعثته عليه (٢٦١) السلام فلا يسمى ذلك نسخا لقوله ثم آتوا

الصيام الى الليل وقيل انها مطلقة
 وان شريعة محمد صلى الله عليه
 وسلم نسختها فعلى كل تقدير
 فوجوب متابعتة متعين لانه جاء
 بكتاب هو آخر الكتب
 عهدا بالله تبارك وتعالى في هذا
 المقام بين تعالى جواز النسخ ردا
 على اليهود عليهم لعنة الله حيث
 قال تعالى ألم تعلم أن الله على كل
 شيء قدير ألم تعلم أن الله له ملك
 السموات والارض الآية فكأن
 له الملك بالامنازع فكذلك له
 الحكم بما يشاء لاله الخلق والاخر
 وقرئ في سورة آل عمران التي نزل
 صدرها خاطبا مع أهل الكتاب
 وقوع النسخ في قوله تعالى كل
 الطعام كان حلالا لبني اسرائيل
 الا ما حرم اسرائيل على نفسه
 الآية كما سأتى تفسيره والمسلمون
 كلهم متفقون على جواز النسخ
 في أحكام الله تعالى لماله في ذلك من
 الحكمة البالغة وكلهم قال بوقوعه
 وقال أبو مسلم الاصبهاني المفسر
 لم يقع شيء من ذلك في القرآن وقوله
 ضعف مردود مردول وقد تعسف
 في الاجوبة عما وقع من النسخ في

قوم يدعون التوكل فخرجوا بلا زاد وظنوا ان هذا هو التوكل وهم على غاية من الخطا
 وقيل المعنى تزودوا بالمعادكم من الاعمال الصالحة فان خير الزاد التقوى والاول ارجح كما دل
 عليه سبب نزول الآية وفيه اخبار بان خير الزاد اتقاء المنيات فكأنه قال اتقوا الله في
 اتيان ما أمركم به من الخروج بالزاد فان خيره التقوى وقيل المعنى فان خير الزاد ما اتقى به
 المسافر من التهلكة والحاجة الى السؤال والتسكف (واتقون) أي وخافوا عقابي وقيل
 اشتغلوا بتقواي وفيه تنبيه على كمال عظمة الله جل جلاله (يا أولى الالباب) فيه التخصيص
 لاولى الالباب بالخطاب بعد حدث جميع العباد على التقوى لان ارباب الالباب والعقول
 هم القابلون لاوامر الله الناهضون بها ولرب كل شيء خالصة (ليس عليكم جناح أن تنبغوا
 فضلا من ربكم) فيه الترخيص لمن حج في التجارة ونحوها من الاعمال التي يحصل بها شيء
 من الرزق وهو المراد بالفضل هنا ومنه قوله تعالى فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل
 الله أي لا اثم عليكم في ان تنبغوا في مواسم الحج رزقا ونفسا وهو الربح في التجارة مع
 سفركم لتأدية ما افترضه عليكم من الحج نزل رد الكراهتهم ذلك والحق ان الاذن في هذه
 التجارة جار مجرى الرخص وتركها أولى لقوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له
 الدين والاخلاص هو أن لا يكون له حامل على الفعل سوى كونه عبادة (فاذا أفضتم من
 عرفات) يقال فاض الاناء اذا امتلأ ماء حتى ينصب من فواحيه ورجل ففاض أي مندفعة
 يديه بالعطاء ومعناه أفضتم أنفسكم فتركوا كمال المفعول كما ترك في قولهم دفعوا من موضع
 كذا وعرفات اسم لتلك البقعة كأذرع أي موضع الوقوف وعرفة اسم اليوم وسميت
 عرفات لان الناس يتعارفون فيها وقيل لأن آدم التقي هو وحواء فيها فتعارفا وقيل غير
 ذلك قال ابن عطية والطاهر أنه اسم مرتجل كسائر أسماء البقاع الاعلى القول بان أصله
 جمع واستدل بالآية على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعدد ولا يتم
 الحج الا به ووقت الافاضة من عرفات بعد غروب الشمس فاذا غربت دفع منها وآخر
 صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء بمزدلفة (فأذروا الله) المراد بذكركم الله هنا
 دعاؤه ومنه التلبية والتكبير أي اذكروه لذاته من غير ملا حظة نعمة لانه تعالى يستحق
 الحمد من حيث ذاته ومن حيث انعامه على خلقه فحصلت المغايرة بين هذا وقوله واذكروه
 كما هذاكم وقيل المراد بالذكركم صلاة المغرب والعشاء بالمزدلفة جمعا وقد أجمع أهل العلم

ذلك قضية العدة باربعة أشهر وعشر بعد الحول لم يجب عن ذلك بكلام مقبول وقضية تحويل القبلة الى الكعبة عن بيت المقدس
 لم يجب بشيء ومن ذلك نسخ مصابرة المسلم بعشرة من الكفرة الى مصابرة الاثنين ومن ذلك نسخ وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول
 صلى الله عليه وسلم وغير ذلك والله أعلم (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سأل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمن فقد ضل
 سواء السبيل) نهى الله تعالى المؤمنين في هذه الآية الكريمة عن كثرة سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن الاشياء قبل كونها كما
 قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسوكم وان تسألوا عنها حتى ينزل القرآن تبدلكم أي وان تسألوا عن

تفصيلها بعد نزولها بين لكم ولا تسألوا عن الشيء قبل كونه فلعلم ان يحرم من أجل تلك المسئلة وليداجا في الصحيح ان أعظم المسابن جرمان سأل عن شيء لم يحرم خرم من أجل مسئلته ولم يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجتمع امرأته ورجل فان تكلم تكلم بامر عظيم وان سكت سكت على مثل ذلك فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها ثم أنزل الله حكم الملاعة ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن قبيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال وفي صحيح مسلم دروني (٢٦٢) ما ترككم فاعلموا ان من كان قبلكم بكثره سؤالهم واختلافهم على

علي ان السنة ان يجمع الحاج بينهما فيها (عند المشعر الحرام) سعى مشعرا من الشعير وهو العلامة والدعاء عنده من شعائر الحج ووصف بالحرام حرمة من التحريم وهو المنع فهو ممنوع من ان يفعل فيه ما لم يؤذن فيه وفي الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم وقف به ذكر الله ويذعو حتى أسفر جحدا رواد مسلم أي دخل في السفر بفحيتين وهو بياض النهار قاله الشوبري والمشعر هو جبل قزح الذي يقف عليه الامام وقيل هو ما بين جبلي المزدلفة من مأزج عرفة الى وادي محسر (وآذ كروه) ذكر احسانا كما هذا (كم) هداية حسنة وكرال امر بالذ كرتا كيدا وقيل الاول امر بالذ كرتا عند المشعر الحرام والثاني امر بالذ كرتا على حكم الاخلاص وقيل المراد بالثاني تعديد النعمة عليهم والكاف للتعليل (وان كنتم من قبله من الصالحين) الضمير في قبله عائدا الى اليتيم وقيل الى القرآن وقيل الى الرسول والصالحين الجاهل بالايان والطاعة ذاله الخطيب وقيل جاهلين لا يعرفون كيف تذكروه وتعدونه (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) فيه انطاب الحس من قريش لانهم كانوا لا يقفون مع الناس بعرفات بل كانوا يقفون بالمزدلفة وهي من الحرم فامر وبذلك وقد ورد في هذا المعنى روايات عن الصحابة والتابعين عند البخاري ومسلم وغيرهما وعلى هذا يكون ثم لعطف جملة على جملة بمعنى الواو لا للترتيب وقيل الخطاب لجميع الامة والمراد بالناس ابراهيم أي أفيضوا من حيث أفاض ابراهيم فيحصل ان يكون امر الله بالافاضة من عرفة ويحصل ان تكون افاضة أخرى وهي التي من مزدلفة وعلى هذا يكون ثم على بابها للترتيب في الذكرا في الزمان الواقع فيه الاعمال وقد رجع هذا الاحتمال الاخبار بن جرير الطبري وهو الذي يقتضيه ظاهر القرآن (واستغفروا الله) أي من مخالفتكم في الموقف لجميع ذنوبكم وانما أمروا بالاستغفار لانهم في مساقط الرحمة ومواطن القبول ومظنات الاجابة وقيل ان المعنى استغفروا للذي كن مخالفا لسنة ابراهيم وهو وقفكم بالمزدلفة دون عرفة وقد وردت احاديث كثيرة في المغفرة لاهل عرفة وزول الرحمة عنهم واجابة دعائهم (ان الله غفور رحيم) أي سائر ذنوب عبادته برحمته وفيه دليل على أنه يقبل التوبة من عباده التائبين ويغفر لهم (فاذا قضيت مناسككم) المراد بالمناسك أعمال الحج ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم خذوا عني مناسككم أي فاذ غرتم من أعمال الحج وقيل المراد بها الذبائح

أبينا لهم فاذا أمر تكلم بامر فانوا منه ما استطعتم وان نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وهذا انما قاله بعد ما أخبرهم ان الله كتب عليهم الحج فقال رجل كل عام يا رسول الله فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا ثم قال عليه السلام لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم ثم قال دروني ما ترككم الحديث ولهذا قال أنس بن مالك نهينا ان نسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فكلان يجيبنا ان يأتي الرجل من أهل البادية فيسأله ونحن نسمع وقال الخافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده أخبرنا أبو كريب أخبرنا اسحق بن سليمان عن أبي سنان عن أبي اسحق عن البراء بن عازب قال ان كان ليأتي على السنة أريد أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشيء فأتيت منه وان كالتقي الاعراب وقال البرار أخبرنا محمد بن المنثني أخبرنا بن فضيل عن عطاء بن السائب عن سعد بن جبسر عن ابن عباس قال ما رأيت قوما خيرا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما سألوا الا عن ثني عشرة

مسئلة كلها في القرآن يسألونك عن الخمر والميسر ويسألونك عن الشهر الحرام ويسألونك عن النسيء يعني وذلك هذا وأشباهه وقوله تعالى أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سأل موسى من قبل أي بل تريدون أو هي على بابها في الاستدحام وهو انكارى وهو يعلم المؤمنين والكافرين فانه عليه السلام رسول الله الى الجميع كما قال تعالى يسألنا أهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أؤنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد عن ابن عباس قال قال رافع بن خزيمة وذهب بن زيدا محمد ائتسا بكتاب تنزلنا عليه من السماء نقرؤه

وغير لنا أنهارا تتبعك ونصدقك فانزل الله من قولهم أم تريدون أن تسالوا رسولكم كما سأل موسى من قبل قال قال رجل يا رسول الله لو كانت كفارتنا ككفارات بني اسرائيل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا نبغيها الاثنا ما أعطاكم الله خير مما أعطى بني اسرائيل كانت كفارتنا ككفارات بني اسرائيل اذا أصاب أحدهم الخطيئة وجدها مكتوبة على بابها وكفارتها فان كفرها كانت له خزيافي الدنيا وان لم يكفرها (٢٦٣) كانت له خزيافي الآخرة فاعطاكم الله

خير مما أعطى بني اسرائيل قال ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال الصلوات الخمس من الجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهن وقال من هم بسنة فلم يعملها لم يكتب عليه وان عملها كتبت سنة واحدة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وان عملها كتبت له عشر أمثالها ولا يهلك على الله الا هالك فانزل الله أم تريدون ان تسالوا رسولكم كما سأل موسى من قبل وقال مجاهد أم تريدون أن تسالوا رسولكم كما سأل موسى من قبل أن يريهم الله جهرة قال سألت قريش محمدا صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهابا قال نعم وهو لکم كما سألته لبني اسرائيل فابو ارجعوا وعن السدي وقتادة نحو هذا والله أعلم والمراد ان الله ذم من سال الرسول صلى الله عليه وسلم عن شيء على وجه التعنت والاقتراح كما سألت بنو اسرائيل موسى عليه السلام تعنتا وتكذيبا وعندما قال الله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايان أي ومن يشتر

وذلك بعد رمي جرة العقبة والاستقرار يعني (فاذكروا الله كذاكم آباءكم أو أشد ذكرا) انما قال سبحانه ذلك لان العرب كانوا اذا فرغوا من حجهم بقفون عند الجرة وقيل عند البيت فيذكرون مفاخر آباءهم ومناقب أسلافهم بالمنشور والمنظوم من الكلام القصيغ وغرضهم بذلك الشهرة والسمعة والرفعة فلما آمن الله عليهم بالاسلام أمرهم بذلك مكان ذلك الذكروا ويحذرونه ذكر أمهات ذكروهم لا بآبائهم أو أشد من ذكرهم لا بآبائهم والذكروا بالتحميد والتحميد هو التهليل والتسبيح والتكبير والثناء عليه وقيل أو بمعنى الواو أي وأكثر واذا ذكر الله تعالى من ذكركم لا بآبائهم لأنه هو المنعم عليكم وعلى آباءكم فهو المستحق للذكر والحمد مطلقا (فمن الناس من يقول ربنا آتانا في الدنيا وما لفي الآخرة من خلاق) لما أُرشد سبحانه عباده الى ذكره وكان الدعاء نوعا من أنواع الذكر جعل من يدعو ومنقسم الى قسمين أحدهما يطلب حظ الدنيا ولا يلتفت الى حظ الآخرة والقسم الآخر يطلب الامرين جميعا والخلاق التصيب أي مالهذا الداعي في الآخرة من نصيب لأن همه مقصور على الدنيا لا يريد غيرها ولا يطلب سواها وفي هذا الخبر معنى النهي عن الاقتصار على طلب الدنيا والذم لمن جعلها غاية رغبته ومعظم مقصوده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال قال نفع عبد الدنيا وعبد الدرهم وعبد الخيصة أن أعطى رضى وان لم يعط سخط تعس واتكس واذا شئت فلا تنقش أخرجه البخاري وهذا دعاء عليه بالهلال وفي الباب أحاديث كثيرة وانما كان سؤال المشرى للدنيا ولم يطلبوا التوبة والمغفرة ونعم الآخرة لانهم كانوا يسكرون البعث (ومنهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقمنا عذاب النار) قد اختلف في تفسير الحسنتين المذكورتين في الآية ففيل هسا ما يطلبه الصالحون في الدنيا من العافية وما لا بد منه من الرزق وما يطلبونه في الآخرة من نعيم الجنة والرضا وقيل المراد بحسنة الدنيا الزوجة الحسنة وبحسنة الآخرة الخور العين وقيل حسنة الدنيا العلم والعبادة وحسنة الآخرة الجنة وقيل الاولى العدل الصالح والثانية المغفرة والثواب وقيل من آتاه الله الاسلام والقرآن وأهداهل وما لا نقدر في فيه ما حسنة وقيل غير ذلك مما لا فائدة في ذكره قال القرطبي والذي عليه أكثر أهل العلم ان المراد بالحسنتين نعيم الدنيا والآخرة قال وهذا هو الصحيح فان اللفظ يقتضي هذا كله فان حسنة نكرة في سياق الدعاء فهو محتمل لكل

الكفر بالايان فقد ضل سواء السبيل أي فقد خرج عن الطريق المستقيم الى الجهل والضلال وهكذا حال الذين عدلوا عن تصديق الانبياء واتباعهم والانقياد لهم الى مخالفتهم وتكذيبهم والاقتراح عليهم بالاسئلة التي لا يحتاجون اليها على وجه التعنت والكفر كما قال تعالى ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار وقال أبو العالسة يتبدل الشدة بالرخاء (ودكثر من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفار احسد من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ان الله على كل شيء قدير وأقيموا الصلاة واتوا الزكاة وما تقدموا لانفسكم من خير

يخبروه عند الله ان الله بما تعملون بصير) يحذر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طريق الكفار من اهل الكتاب ويعلمهم بعد اوتاهم
 لهم في الباطن والظاهر وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم ويا امر عباده المؤمنين بالصفح
 والعفو والاحتمال حتى ياتي امر الله من النصر والفتح ويا امرهم باقامة الصلاة واية الزكاة ويحثهم على ذلك ويرغبهم فيه كما قال
 محمد بن اسحق حدثني محمد بن ابي اسحق عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال كان حي بن اخطب وأبو ياسر بن
 اخطب من أشد مدحهم للعرب حسدا (٢٦٤) ادخضهم الله برسوله صلى الله عليه وسلم وكانا جاهدين في رد

الناس عن الاسلام ما استطاعا
 فانزل الله فيهم يساودة كثير من اهل
 الكتاب لو يردونكم الآية وقال
 عبد الرزاق عن معمر عن الزهري
 في قوله تعالى ود كثير من اهل
 الكتاب قال هو كعب بن الاشرف
 وقال ابن ابي حاتم اخبرنا ابي اخبرنا
 ابو اليان اخبرنا شبيب عن
 الزهري اخبرني عبد الرحمن بن
 عبد الله بن كعب بن مالك عن ابيه
 ان كعب بن الاشرف اليهودي
 كان شاعرا وكان يهجو النبي صلى
 الله عليه وسلم وفيه أنزل الله ود
 كثير من اهل الكتاب لو يردونكم
 الى قوله فاعفوا واصفحوا وقال
 الصالح عن ابن عباس ان رسولا
 آميا يخبرهم بما في أيديهم من
 الكتب والرسول والآيات ثم يصدق
 بذلك كله مثل تصديقهم ولكنهم
 يجحدوا ذلك كفرا وحسدا وبغيا
 وكذلك قال الله تعالى **كفارا**
 حسدا من عند أنفسهم من بعد
 ما تبين لهم الحق يقول من بعد
 ما أمضاهم الحق لم يجبهوا منه شيئا
 ولكن الحسد دخلهم على الجحود
 فعبيرهم ووجنهم ولا مهم أشد

حسنة من الحسنات على البذل وحسنة الآخرة الجنة باجماع انتهى (أو لئلا) إشارة الى
 الفريق الثاني فقط (لهم نصيب مما) أي من جنس ما (كسبوا) من الاعمال أي من ثوابها
 ومن جلة أعمالهم الدعاء أعطاهم الله بسببه من الخير فهو ما كسبوا وقيل معناه من
 أجل ما كسبوا وهو بعيد وقيل قوله أو لئلا إشارة الى الفريقين جميعا أي للاولين نصيب
 من الدنيا ولانصيب لهم في الآخرة وللاخرين نصيب مما كسبوا في الدنيا والآخرة
 (والله سريع الحساب) الحساب مصدر كالحاسبة وأصله العدد والمراد هنا المحسوب سمي
 حسابا تسمية للمفعول بالمصدر والمعنى أن حسابه لعباده في يوم القيامة سريع مجيئه
 فيادر واذلك بأعمال الخير وأنه وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم
 وأعمالهم ليبدل بذلك على كمال قدرته لانه تعالى لا يشغله شأن عن شأن ولا يحتاج الى آلة
 ولا اماره ولا مساعدة فيحاسبهم في حالة واحدة كما قال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم
 الا كنفس واحدة وقال السيوطي يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف من نهار من أيام
 الدنيا لحديث بذلك انتهى وهذا تمثيل للسرعة لاتعيين المقدار من الحساب وقيل
 معناه ان الله يعلم العباد ما لهم وعليهم وهذا أبعد وقيل الحاسبة المجازاة ويدل عليه قوله
 فحاسبناها حسبا شديدا وقيل معناه انه سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم وقيل
 معنى الآية ان اتيان القيامة قريب لاحتمال وفيه إشارة الى المبادرة بالتوبة والذكرو سائر
 الطاعات وطلب الآخرة (واذكروا الله) يعني بالتوحيده والتعظيم والتكبير في أديار
 الصلوات وعند رمي الجرات فقد ورد في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كبر
 مع كل حصاة والخطاب للحاج وغيره كما ذهب اليه الجمهور وقيل هو خاص بالحاج
 (في أيام معدودات) قال القرطبي لا خلاف بين العلماء ان الايام المعدودات في هذه الآية
 هي أيام منى وهي أيام التشريق الثلاثة وهي أيام رمي الجمار أولها اليوم الحادي عشر من
 ذي الحجة وهو مذهب الشافعي وبه قال ابن عمر وابن عباس والحسن وعطاء ومجاهد
 وقتادة وقال ابراهيم الايام المعدودات ايام العشر والايام المعلومات أيام النحر وكذا
 روى عن مكى والمهدوي قال القرطبي ولا يصح لما ذكرناه من الاجماع على ما نقله أبو عمر
 ابن عبد البر وغيره وعن أبي يوسف الايام المعلومات أيام النحر قال لقوله تعالى
 ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام وقال محمد بن الحسن هي

الملائمة وشرع لنبيه صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ما هم عليه من التصديق والايان والاقرار بما أنزل
 الله عليهم وما أنزل من قبلهم بكرامته واثوابه الجزيل ودعوته لهم وقال الربيع بن أنس من عند أنفسهم من قبل أنفسهم وقال
 أبو العالية من بعد ما تبين لهم الحق من بعد ما تبين ان محمد رسول الله يجحدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل فكفروا به حسدا
 وبغيا اذ كان من غيرهم وكذا قال قتادة والربيع بن أنس وقوله فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بامرهم مثل قوله تعالى ولتسمعن
 من الذين آتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا الآية قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله فاعفوا واصفحوا

حتى يأتي الله بامرهم والسدى وقوله فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بامرهم نسخ ذلك قوله واقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى قوله وهم صاغرون فنسخ هذا عقوده عن المشركين وكذا قال أبو العباس الرازي بن أنس وقتادة والسدى انهم امنسوخا بآية السيف ويرشد الى ذلك أيضا قوله تعالى حتى يأتي الله بامرهم وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا أبو العباس أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد أخبره قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعنون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم (٢٦٥) الله ويصبرون على الأذى قال الله فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله

بامرهم ان الله على كل شيء قدير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأول من العدو وأمره الله به حتى أذن الله فيهم بالقتل فقتل الله به من قتل من صناديد قريش وهذا السناد صحيح ولم أر في شيء من الكتب الستة ولكن له أصل في الصحيحين عن أسامة بن زيد وقوله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله يثمنهم تعالى على الاشتغال بما ينفعهم وتعود عليهم عاقبته يوم القيامة من أقام الصلاة وآتاه الزكاة حتى يمكن لهم الله النصر في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ولهذا قال تعالى ان الله بما تعملون بصير يعني انه تعالى لا يغفل عن عمل عامل ولا يضيع لديه سواء كان خيرا أو شرا فإنه سبحانه يجازي كل عامل بعمله وقال أبو جعفر بن جرير في قوله تعالى ان الله بما تعملون بصير هذا الخبر من الله للسدين خاطبهم بهذه

أيام النحر الثلاثة يوم الأضحي ويومان بعده وهو قول علي وروى عن ابن عمر وهو مذهب أبي حنيفة قال السدي الطبري فعلى قول أبي يوسف ومحمد لا فرق بين المعلومات والمعدودات لان المعدودات المذكورة في القرآن أيام التشريق بلا خلاف وروى عن مالك أن الأيام المعدودات والأيام المعلومات يجمعها أربعة أيام يوم النحر وثلاثة أيام بعده فيوم النحر معلوم غير معدود واليومان بعده معلومان معدودان واليوم الرابع معدود لا معلوم وهو مروي عن ابن عمر وقال ابن زيد الأيام المعلومات عشر ذى الحجة وأيام التشريق وأجمع العلماء على ان المراد به ذاهو التكبير عند مدى الجرات مع كل حصة يرى بها في جميع أيام التشريق وهو سنة بالاتفاق وعن نبيشة الهذلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله تعالى رواه مسلم ومن الذكري في هذه الأيام التكبير وروى البخاري عن ابن عمر أنه كان يكبر في تلك الأيام وخلاف الصلوات وعلى فراشه وفي فسطاطه وفي مجلسه وفي مشاه في تلك الأيام جمعا وقد اختلف أهل العلم في وقته فقبل من صلاة الصبح يوم عرفة الى العصر من آخر أيام التشريق فيكون التكبير على هذا في ثلاث وعشرين صلاة وهو قول علي بن أبي طالب ومكحول وبه قال أبو يوسف ومحمد وقيل من غداة عرفة الى صلاة العصر من آخر النحر وبه قال أبو حنيفة وابن مسعود وعلى هذا يكون التكبير في ثمان صلوات وقيل من صلاة الظهر يوم النحر الى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق وبه قال مالك والشافعي فيكون التكبير على هذا في خمس عشرة صلاة وهو قول ابن عباس وابن عمر وللفظ التكبير عند الشافعي الله أكبر ثلاثا ناسقا وعند أهل العراق مرتين (فن تجعل في يومين فلا ثم عليه ومن تأخر فلا ثم عليه) اليومان هما يوم نائي النحر ويوم ثالثه من أيام التشريق قال ابن عباس والحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة والخفي من رمي في اليوم الثاني من الأيام المعدودات فلا حرج ومن تأخر الى الثالث فلا حرج فعني الآية كل ذلك مباح وعبر عنه بهذا التقسيم اهتاما وما توكيد الان من العرب من كان يذم التجمل ومنهم من كان يذم التأخر فنزلت الآية رافعة الجناح في كل ذلك وقال علي وابن مسعود معنى الآية من تجمل فقد عفر له ومن تأخر فقد عفر له والآية قد دلت على ان التجمل والتأخر مباحان ولا بد من ارتكاب مجاز في قوله يومين من حيث انه جعل الواقع في

(٣٤ ل - فتح البيان) الآيات من المؤمنين انهم هم ما فعلوا من خيرا وشرا وعلا نية فهو به بصير لا يخفى عليه منه شيء فيجزئهم بالاحسان خيرا وبالاساءة مثلها وهذا الكلام وان كان قد خرج مخرج الخبر فان فيه وعدا وعيدا وأمر او نهي او ذلك انه أعلم القوم انه بصير بجميع أعمالهم ليجتدوا في طاعته اذ كان ذلك مذخورا لهم عنده حتى يثيبهم عليه كما قال تعالى وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله وليحذروا معه صيته قال وأما قوله بصير فانه مبصر صرف الى بصير كما صرف مبدع الى بديع وموئل الى أليم والله أعلم وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبو زرعة أخبرنا ابن بكير حدثني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي

الخبر عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية سمع بصير يقول بكل شيء بصير (و قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانتهم قل ها ابرهائيم ان كنتم صادقين بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربّه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم ينادون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم قال الله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) بين تعالى اعتبار اليهود والنصارى بما هم فيه حيث ادعت كل (٢٦٦) طائفة من اليهود والنصارى انه لن يدخل الجنة الا من كان على ملتها كما اخبر الله

أحدهما واقع افهم ما كقولنا نسبنا حوتهم ما يخرج منهم ما اللؤلؤ والمرجان وجعلنا له شركاء فيما آتاهما والناسي أحدهما وكذلك المخرج منه والجاعل له أحدهما أو من حيث حذف المضاف أي في ثاني يومين والاول أولى (لمن اتقى) أي ان ذلك التحخير ورفع الاثم ثابت لمن اتقى لان صاحب التقوى يحترز عن كل ما يريه فكان أحق بتخصيصه بهذا الحكم قال الاخفش التقدير بذلك لمن اتقى وقيل لمن اتقى بعد انصرفه من الحج عن جميع المعاصي وقيل لمن اتقى قتل الصيد وقيل بمعناه السلامة لمن اتقى وقيل أي الذكركل اتقى في جملة لانه الحاج في الحقيقة (واتقوا الله) أي في المستقبل (واعلموا انكم اليه محشرون) فيجازيكم باعمالكم وفيه بحث على التقوى وهو عبارة عن فعل الواجبات وترك المحظورات (ومن الناس من يعجبك قولنا في الحياة الدنيا) أي يروك وتستحسنه ويعظم في قلبك حلالة كلامه بما يتعلق بامر الدنيا والاعجاب استحسان الشيء والميل اليه والتعظيم له وقال الراغب العجب حيرة تعرض للانسان بسبب الشيء وليس هو شيئا له في ذاته حالة حقيقية بل هو بحسب الاضافات الى من يعرف السبب ومن لا يعرفه وحقيقة أعجبني كذا ظهر لي ظهورا لم أعرف سببه انتهى لما ذكر سبحانه طائفتي المسلمين بقوله ومن الناس من يقول عقب ذلك بكذا طائفة المنافقين وهم الذين يظهرون الايمان ويطنون الكفر وقيل انها زلات في قوم من المنافقين وقيل انها زلات في كل من أضمر كفرا أو نفاقا أو كذبا وأظهر بلسانه خلافه (ويشهد الله على ما في قلبه) أي أنه يحلف على ذلك فيقول اني بك مؤمن ولك محب أو يقول الله يعلم اني أقول حقا وانى صادق في قولي لك أو ان ما في قلبي موافق لقولي (وهو ألد الخصام) أي شديد الخصومة يقال رجل ألد أو امرأة ألد أو الخصام مصدرا خصم قاله الخليل وقيل جمع خصم قاله الزجاج والمعنى أنه أشد الخصام خصومة لكثرة جهده وقوة مرابعته والاضافة بمعنى في أي ألد في الخصام أو جعل الخصام ألد على المبالغة أي شديد الجدال في الباطل وهو كاذب القول وقيل شديد القسوة في المعصية يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال أبغض الرجال الى الله الا الداحض أخرجه البخاري ومسلم (واداؤلي سعي في الارض ليفسد فيها) أي اذا أدبر وذهب عنك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل انه بمعنى ضل وغضب وقيل انه بمعنى الولاية أي اذا كان واليا يفعل ما يفعله ولاية

عنهم في سورة المائدة انهم قالوا نحن ابناء الله وأحبواؤه فأكذبهم الله تعالى بما أخبرهم انه يغضبهم بذنوبهم ولو كانوا كما ادعوا لما كان الامر كذلك وكما تقدم من دعواهم انه لن تمسهم النار الا أياما معدودة ثم ينتقلون الى الجنة ورد عليهم تعالى في ذلك وهكذا قال لهم في هذه الدعوى التي ادعوها بلا دليل ولا حجة ولا بينة فقال تلك امانتهم وقال أبو العالية أمانتي تمتوها على الله بغير حق وكذا قال قتادة والربيع بن أنس ثم قال تعالى قل أي يا محمد ها اوتوا برهانكم قال أبو العالية ومجاهد والسدي والربيع بن أنس حجتكم وقال قتادة ينتسبكم على ذلك ان كنتم صادقين أي فيما تدعونه ثم قال تعالى بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن أي من أخلص العمل لله وحده لا شريك له كما قال تعالى فان حاجوك فقل أسألت وجهي لله ومن اتبعن الآية وقال أبو الغالية والربيع بلى من اسلم وجهه لله يقول من أخلص لله وقال سعيد بن جبير بلى من اسلم

أخلص وجهه قال دينة وهو محسن أي اتبع فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فان العمل المتقبل شرطين أحدهما أن يكون السوء خالصا لله وحده والاخر أن يكون صوابا موافقا للشريعة حتى كان خالصا لم يكن صوابا لم يتقبل ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد رواه مسلم من حديث عائشة عنه عليه الصلاة والسلام فعمل الرهبان ومن شابههم وان فرض أنهم مخلصون فيد الله فانه لا يتقبل منهم حتى يكون ذلك متابعا للرسول صلى الله عليه وسلم المبعوث اليهم وإلى الناس كافة وفيهم وأمثالهم قال الله تعالى وقد مننا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقال تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة

بحسبه النظم ان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا وقال تعالى وجوه يومئذ خاضعة عاملة ناصبة تصلي نار احامية تسقي من عين آنية
 وروى عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه انه تناولها في الرهبان كاسياقي واما ان كان العمل موافقا للشريرة في الصورة الظاهرة
 ولكن لم يخلص عاملة القصد لله فهو أيضا مردود على فاعله وهذا حال المرأتين والمنافقين كما قال تعالى ان المنافقين يخادعون الله
 وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وقال تعالى فويل للمصلين الذين هم عن
 صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون المساعون ولهذا قال تعالى (٢٦٧) غن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا

صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا
 وقال في هذه الآية الكريمة بلى
 من أسلم وجهه لله وهو محسن
 وقوله فله أجره عند ربه ولا خوف
 عليهم ولا هم يحزنون ضمن لهم
 تعالى على ذلك تحصيل الاجور
 وآمنهم مما يخافونه من الخدور
 فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه
 ولا هم يحزنون على ماضى مما
 يتركونه كما قال سعيد بن جبير
 فلا خوف عليهم يعنى في الآخرة
 ولا هم يحزنون يعنى لا يحزنون
 للموت وقوله تعالى وقالت اليهود
 ليست النصارى على شيء وقالت
 النصارى ليست اليهود على شيء
 وهم يتلون الكتاب بين به تعالى
 تناقضهم وتباغضهم وتعاديتهم
 وتعاذهم كما قال محمد بن اسحق
 حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة
 أو سعيد بن جبير عن ابن عباس
 قال لما قدم أهل خبران من
 النصارى على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أتتهم أخبارهم
 فتنازعوا عند رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال رافع بن حرملة
 ما أنتم على شيء وكفر بعيسى

السوء من الفساد في الارض والسعي يحتمل أن يكون المراد به السعي بالقدمين الى ما هو
 فساد في الارض كقطع الطريق وقطع الارحام وحرب المسلمين وسفك دماهم ويحتمل ان
 يكون المراد به العمل في الفساد وان لم يكن فيه سعي بالقدمين كالتمديد على المسلمين بما
 يضرهم واعمال الخيل عليهم وكل عمل يعمل به الانسان بمجوارحه أو حواسه يقال له سعي
 وهذا هو الظاهر من هذه الآية (ويهلك الحرث والنسل) من عطف الخاص على العام فان
 الفساد أعم من ذلك فيشمل سفك الدماء ونهب الاموال وغير ذلك والمراد بالحرث الزرع
 والنسل الاولاد وقيل الحرث النساء قال الزجاج وذلك لان النفاق يؤدي الى تزييق
 الكامة ووقوع القتال وفيه هلاك النسل وقال مجاهد الحرث نبات الارض والنسل
 نسل كل شيء من الحيوان والناس والدواب وعنه أيضا قال معنى الآية بلى في الارض
 فيعمل فيها بالعدوان والظلم فيحبس الله بذلك القطر من السماء فلهك الحبس القطر الحرث
 والنسل وقال ابن عباس نسل كل دابة وأصل الحرث في اللغة الشق ومنه المجرث لما
 يشق به الارض والحرث كسب المال وجهه وأصل النسل في اللغة الخروج والسقوط
 ومنه نسل الشعر ومنه أيضا الى ربهم ينسلون ومن كل حذب ينسلون ويقال لما خرج
 من كل أمي نسل لخروجه منها (والله لا يحب الفساد) يشمل كل نوع من أنواعه من غير فرق
 بين ما فيه فساد الدين وما فيه فساد الدنيا واحتجت المعتزلة بهذه الآية على أن المحبة عبارة
 عن الإرادة وأجيب عنه بان الإرادة معنى غير المحبة فان الانسان قد يريد شيئا ولا يحب
 كالدواء المترينسأله ولا يحب فبان الفرق بينهما وقيل ان المحبة مدح الشيء وتعظيمه
 والإرادة بخلاف ذلك (واذا قيل له) أى على سبيل النصيحة وهي مستأنفة أو معطوفة
 على يعجبك (انني الله) أى خف الله في سررك وعلائقك (أخذته العزة بالاثم) العزة القوة
 والغلبة من عزه يعزه اذا غلبه ومنه وعزني في الخطاب وقيل العزة هنا المحبة والالفة
 وقيل المنعة وشدة النفس والمعنى حملته العزة على فعل الاثم من قولك أخذته بكذا اذا
 حملته عليه وألزمته اياه قاله الزمخشري وقيل أخذته العزة بما يؤثم أي ارتكب
 الكفر للعزة ومنه بل الذين كفروا في عزة وشقاق وقيل الباء في قوله بالاثم بمعنى اللام
 أي أخذته المحبة عن قبول الوعد لللاثم الذي في قلبه وهو النفاق وقيل الباء بمعنى مع أي
 أخذته العزة مع الاثم وقيل للسببية أي ان اثمه كان سببا لاخذ العزة وفي هذه الآية

وبالأنجيل وقال رجل من أهل خبران من النصارى لليهود ما أنتم على شيء وبخبر نبوة موسى وكفر بالتوراة فانزل الله في ذلك
 قولهما وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب قال ان كلا يتلو في
 كتابه تصديق من كفر به ان يكفر اليهود بعيسى وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم على اسان موسى بالتصديق بعيسى وفي
 الانجيل ما جاء به عيسى بتصديق موسى وما جاء من التوراة من عند الله وكل يكفر بما في يد صاحبه وقال مجاهد في تفسيره
 الآية قد كانت أوائل اليهود والنصارى على شيء وفي رواية وقالت اليهود ليست النصارى على شيء قال بلى قد يكذبون

النصارى على شيء ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا وقالت النصارى ليست اليهود على شيء قال بلي قد كانت أوائل اليهود على شيء ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا وعنه رواية أخرى كقول أبي العالية والريبع بن أنس في تفسير هذه الآية وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء هؤلاء أهل الكتاب الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا القول يقتضي أن كلام الطائفتين صدقت فيما رتبته الطائفة الأخرى ولكن ظاهر سياق الآية يقتضي ذمهم فيما قالوه مع علمهم بخلاف ذلك ولهذا قال تعالى وهم يتلون الكتاب أي وهم يعلمون (٢٦٨) شريعة التوراة والانجيل كل منهما قد كانت مشروعة في وقت

ولكنهم تجاحدوا فيما بينهم عناداً وكفراً ومقابلة للفاسد بالفاسد كما تقدم عن ابن عباس ومجاهد وقادة في الرواية الأولى عنه في تفسيرها والله أعلم وقوله كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم بين هذا جهل اليهود والنصارى فيما تقابلوا به من القول وهذا من باب الإيحاء والإشارة وقد اختلف فيمن عني بقوله تعالى الذين لا يعلمون فقال الريح بن أنس وقادة كذلك قال الذين لا يعلمون قالوا قالت النصارى مثل قول اليهود وقيل لهم وقال ابن جريج قلت لعطاء من هؤلاء الذين لا يعلمون قال أمم كانت قبل اليهود والنصارى وقبل التوراة والانجيل وقال السدي كذلك قال الذين لا يعلمون فهم العرب قالوا ليس محمد على شيء واختار أبو جعفر بن جرير أنها عامة تصلح للجميع وليس ثم دليل قاطع يبين واحداً من هذه الأقوال والجل على الجميع أولى والله أعلم وقوله تعالى فأنذرتهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أي أنه تعالى

التعظيم وهو نوع من علم السديع وهو عبارة عن إرداف الكلمة بأخرى ترفع عنها اللبس وتقربها إلى الفهم وذلك أن العزة تكون محمودة ومذمومة فمن جسيها محمودة قوله تعالى والله العزة لرسوله وللمؤمنين فلما أطلقت لتوهم في بعض من لا دراية له أنه المحمودة فقبل بالاثم وتوضيحا للمراد فرفع اللبس به قاله السمين قال ابن مسعود أن من أكبر الذنوب عند الله أن يقول الرجل لأخيه اتق الله فيقول عليك بنفسك أنت تأمرني وعن سفيان قال قال رجل لمالك بن مغول اتق الله فسقط فوضع خده على الأرض وتواضع الله (فحسبه جهنم) أي كافيه معاقبة وجرأ كما تقول للرجل كفال ما حل بك وأنت تستعظم عليه ما حل به وحسب اسم فاعل وقيل اسم فاعل (ولبس المهاد) جمع المهاد وهو الموضع المهيأ للنوم ومنه مهدي الصبي وقيل اسم مفرد سمي به الفراش الموطن للنوم وسميت جهنم مهاداً لأنهم استقروا الكفار وقيل المعنى أنهم يبادل لهم من المهاد كقوله فيشرهم بعدذاب أليم وقال مجاهد بن يسلم مهادوا لانفسهم وقال ابن عباس بنس المنزل وهذا من باب التكميل والاستزاء (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله) يشري بمعنى يبيع أي يبيع نفسه في مرضاة الله كالجهاذ والامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال قتادة هم المهاجرون والانصار ومثله قوله تعالى وشروه بثمن بخس وأصله الاستبدال ومنه قوله ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة والمرضاة الرضا قال ابن عباس نزلت في سرية الرجيع وكانت بعد أحد وفي البخاري تمام قصته عن حديث أبي هريرة فان شئت فارجع اليه (والله رؤف بالعباد) وجه ذكر الرأفة هنا أنه أوجب عليهم ما أوجب له ليجازيهم ويثيبهم عليه فكان ذلك رأفة لهم ولطفاً بهم ومن رأفته ان جعل النعيم الدائم في الجنة جزاء على العمل القليل المنقطع ومن رأفته انه يقبل توبة عبده وأنه لا يكلف نفساً الا وسعها وان المار على الكفر ولو مائة سنة اذا تاب ولو لحظة أسقط عنه عقاب تلك السنين وأعطاه الثواب الدائم ومن رأفته ان نفس العباد وأموالهم له ثم انه يشترى ملكه بملكه فضلاً منه ورحمة واحساناً وهذه أربعة أقسام اشتملت عليها آيات الآيات الكريمة أولها راعب في الدنيا فقط ظاهرها وباطننا والثاني راعب فيها وفي الآخرة كذلك والثالث راعب في الآخرة فقط ظاهرها وفي الدنيا باطننا والرابع راعب في الآخرة فقط ظاهرها وباطننا معرض عن الدنيا كذلك (يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة)

يجمع بينهم يوم المعاد ويفصل بينهم بقضائه العدل الذي لا يجوز فيه ولا ينظم مثقال ذرة وهذه الآية كقوله تعالى في سورة الحج ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد وكما قال تعالى قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتح العليم (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا حائقين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم) اختلف المفسرون في المراد من الذين منعوا مساجد الله وسعوا في خرابها على قولين أحدهما ما رواه العوفي في تفسيره عن ابن عباس في قوله ومن

أظلم من منع مساجد الله أن يدبرها اسمه قال هم النصارى وقال يجاهدكم النصارى قالوا يظرون في بيت المقدس الذي
 وينعوا الناس أن يصلا فيه وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وسعى في خرابها قال هو يجتصر وأصحابه خرب
 بيت المقدس وأعانه على ذلك النصارى وقال سعيد عن قتادة قال أولئك أعداء الله النصارى جلهم بعض اليهود على أن أعانوا
 يجتصر البابل الجوسى على تخريب بيت المقدس وقال السدى كانوا ظاهرا واجتصر على خراب بيت المقدس حتى خربه
 وأمر أن تطرح فيه الجيف وأن أعانه الروم على خرابه من أجل (٢٦٩) ابن أبي عمير قال قتلا يحيى بن زكريا وروى

نحوه عن الحسن البصرى القول
 الثانى مارواه ابن جرير حدثني
 يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن
 وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن
 أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر
 فيها اسمه وسعى في خرابها قال
 هؤلاء المشركون الذين حالوا
 بين رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يوم الحديبية وبين أن يدخلوا مكة
 حتى يخرجهم منه بنى طوى وهادهم
 وقال لهم ما كان أحد يصعد عن
 هذا البيت وقد كان الرجل يلقى
 قاتل أبيه وأخيه فلا يصدده فقالوا
 لا يدخل علينا من قتل أباهنا يوم بدر
 وفيه باق وفي قوله وسعى في خرابها
 قال أذقطعوا من يعمرها بذكره
 ويأتيها للعبادة والعمرة وقال ابن
 أبي حاتم ذكر عن سلمة قال قال محمد
 ابن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد
 عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن
 ابن عباس أن قريشا منعوا النبي
 صلى الله عليه وسلم الصلاة عند
 الكعبة في المسجد الحرام فانزل
 الله ومن أظلم ممن منع مساجد الله
 أن يذكر فيها اسمه ثم اختار ابن
 جرير القول الاول واحتج بان قريشا

لما ذكر سبحانه ان الناس ينقسمون الى ثلاث طوائف مؤمنين وكافرين ومنافقين أمرهم
 بعد ذلك ما يكون على ملة واحدة وإنما أطلق على الثلاث الطوائف لفظ الايمان لان
 اهل الكتاب مؤمنون بنبيهم وكتابهم والموافق مؤمن بلسانه وان كان غير مؤمن بقلبه
 والسم بفتح السين وكسر ها قال الكسائي معناه ما واحد وكذا عند البصريين وهما
 جميعا يعان للاسلام والمسالمة وقال أبو عمرو بن العلاء انه بالفتح للمسالمة وبالكسر
 للاسلام وأنكر المبرد هذه التفرقة وقال الجوهري السلم بفتح السين ويكسر ويذكر
 ويؤنث وأصله من الاستسلام والانقياد ويرجح الطبري أنه هنا بمعنى الاسلام وقد حكى
 البصريون في سلم وسلم وسلم انهم بمعنى واحد وكافة حال من السلم أو من ضمير المؤمنين فعناه
 على الاول لا يخرج منكم أحد وعلى الثانى لا يخرج من أنواع السلم شئ بل ادخلوا فيها
 جميعا أى في خصال الاسلام وهو مشتق من قولهم كففت أى منعت أى لا يمنع منكم
 أحد من الدخول في الاسلام والكف المنع والمراد به هنا الجميع (ولا تتبعوا خطوات
 الشيطان) أى لا تسلكوا الطريق التى يدعوكم اليها الشيطان وقيل لا تتبعوا الى
 الشبهات التى تلقى اليكم أصحاب الضلالة والغواية والاهواء المضلة لان من اتبع سنة
 انسان فقد اتبع أثره وقد تقدم الكلام على خطوات (انه لكم عدو مبين) يعنى
 الشيطان وانه يحاول ايصال الضرر والبلاء اليك وان الله بين عداوته ما هي فكأنه مبين
 وان لم يشاهد وهذا البيان بالنسبة لمن أنار الله قلبه وأما غيره فهو حليفه (فان زلتم)
 أى تحيتم عن طريق الاستقامة وأصل الزل في القدم ثم استعمل في الاعتقادات
 والا رأى وغير ذلك يقال زلزلوا وزلوا أى دحضت قدمه والمعنى فان ملتم وضلتم
 وأشركتم وعز حتم عن الحق (من بعد ما جاءكم اليينات) أى بالحق الواضحة والبراهين
 الصحيحة على أن الدخول في الاسلام هو الحق (فاعلموا أن الله عزيز) غالب لا يعجزه شئ
 عن الانتقام منكم (حكيم) لا ينتقم الا الحق وفي الآية وعيد وتهديد لمن قلبه شأ ونفاق
 أو عنده شبهة في الدين (هل يتظرون) استفهام انكارى أى ينتظرون يقال نظرت
 وانتظرته بمعنى والمراد هل ينتظر الزلون التاركون للدخول في الاسلام والمتبعون
 خطوات الشيطان فهو التفات الى الغيبة للايدان بان سوء صنيعهم موجب للاعراض
 عنهم وحكاية جنائهم لماعداهم من أهل الانصاف على طريق الاهانة (الأن يأينهم الله)

لم تسع في خراب الكعبة وأما الروم فسعوا في تخريب بيت المقدس (قلت) والذي يظهر والله أعلم القول الثانى كما قاله ابن زيد
 وروى عن ابن عباس لان النصارى اذ منعت اليهود الصلاة في البيت المقدس كان دينهم أقوم من دين اليهود وكانوا أقرب منهم ولم
 يكن ذكر الله من اليهود مقبولا اذ ذال له لانهم لعنوا من قبل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون وأيضا
 فانه تعالى لما واجهه الذم في حق اليهود والنصارى شرع في ذم المشركين الذين أخرجوا الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة
 ومنعوه من الصلاة في المسجد الحرام وأما اعتماده على أن قريشا لم تسع في خراب الكعبة فأى خراب أعظم مما فعلوا أخرجوا

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه واستحوذوا عليه بأصنامهم وأندادهم وشركهم كما قال تعالى وما لهم إلا يعبدونهم وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أوليائهم إلا الميقون ولكن أكثرهم لا يعلمون وقال تعالى ما كان للمشركين أن يعبدوا معاجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النارهم خالدون انما يعبدون معاجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين وقال تعالى هم الذين كفروا وصدوك عن المسجد الحرام (٢٧٠) والهدى معكوفان يبلغ حبله لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم

بما وعدهم من الحساب والعذاب استثناء مفرغ من مقدر أى ليس لهم شيء ينتظرونه الا اتيان العذاب وهذا مباغاة في توخيهم (في ظلال) جمع ظيلة وهي ما يظلك وقال الاخفش وقد يحتمل ان يكون معنى الايمان راجعا الى الجزاء فسمى الجزاء اتيانا كما سمي التخويف والتعذيب في قصة عمودا تيانا فقال فأتى الله بنيانهم من القواعد وقال في قصة النصير فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وانما احتمل الايمان هذا لان أصله عند أهل اللغة القصد الى الشيء فعنى الآية هل ينتظرون الا ان يظهر الله فعلا من الافعال مع خلق من خلقه يقصد الى محاربتهم وقيل ان المعنى يأتهم أمر الله وحكمه وقيل ان قوله في ظلال بمعنى يظلل وقيل المعنى يأتهم بأسه في ظلال (من الغمام) يعنى السحاب الرقيق الأبيض سمي بذلك لانه يغى أى يستبر وجهه اتيان العذاب في الغمام على تقدير ان ذلك هو المراد ما في محجى الخوف من محل الأمن من الفظاعة وعظم الموقع لان الغمام مظنة الرحمة لا مظنة العذاب وهذا أبلغ في تكبيهم وتخويفهم أخرج ابن جرير عنه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يجمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما شاخصة أبصارهم الى السماء ينتظرون فصل القضاء ونزل الله في ظلال من الغمام من العرش الى الكرسي وعن ابن عمر قال يهبط حين يهبط وينهوي بين خلقه سبعون ألف حجاب منها النور والظلمة والماء فيصوت الماء في تلك الظلمة صوتا تتخلل له القلوب وعن ابن عباس يأتى الله يوم القيامة في ظلال من السحاب قد قطعت طاقات والتقدير في ظلال كائن من الغمام ومن على هذا التبعيض أومن ناحية الغمام وهي على هذا الابتداء الغاية (والملائكة) أى وتأتيهم الملائكة فانهم وسائط في اتيان أمره تعالى بل هم الأتون بآسائه على الحقيقة وقرئ بالجر عطف على ظلال أو على الغمام فتوصف الملائكة بكونهم باطلا على التشبيه قال عكرمة والملائكة حوله وقيل حول الغمام وقيل حول الرب تعالى وهذه من آيات الصفات والعلما فيها وفي أحاديث الصفات مذهبان أحدهما الايمان والتسليم لما جاء في آيات الصفات وأحاديثها وجوب الاعتقاد بنظايرها والايان بها كما جاءت وحالة علمها الى الله تعالى مع تزيينهم سبحانه عن التشبيه والتشليل والتخريف والتبديل والتعطيل وهو قول سلف هذه الامة وأتمها قال الكلبي هذا من الذي لا يفسر وكان ابن عيينة والزهرى والاوزاعي ومالك وابن المبارك والثوري والليث بن

ان تطوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لوت يلو العذبة الذين كفروا منهم عذابا أليما فقال تعالى انما يعبدون معاجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فإذا كان من هو كذلك مطرودا منها مصدودا عنها فإى خراب لها أعظم من ذلك وليس المراد بعمارتها زخرفتها وإقامة صورتها فقط انما عمارتها بذكر الله فيها وإقامة شرعه فيها ورفعها عن الدنس والشرك وقوله تعالى أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين هذا خبر معناه الطلب أى لا تمكنوا هؤلاء اذا قدرتم عليهم من دخولها الا تحت الهدنة والجزية وهذا ما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أمر من العام القابل في سنة تسع أن ينادى برحاب منى ألا لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ومن كان له أجل فاجله الى مدته وهذا اذا كان تصديقا وعملا بقوله تعالى يأتهم الذين آمنوا انما المشركون نجس

فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال بعضهم ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا معاجد الله الا خائفين سعد على حال التيب وإرتعاد الفرائض من المؤمنين ان يطاشوا بهم فضلا ان يسبوا ولوا عليها وعينوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وغيرهم وقيل ان هذا إشارة من الله للمسلمين انه سبب ظهورهم على المسجد الحرام وعلى سائر المساجد وانه يذل المشركين لهم حتى لا يدخل المسجد الحرام أحد منهم الا خائفا يحاف أن يؤخذ في عاقب أو يقتل ان لم يسلم وقد أنجز الله هذا الوعد كما تقدم من منع المشركين من دخول المسجد الحرام وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يبيح جزيرة

العرب دينان وان يحكي اليهود والنصارى منها والله الحمد والمنة وما ذاك الا شريف أكثاف

الله فيها رسوله الى الناس كافة بشيرا ونذيرا صلوات الله وسلامه عليه وهذا هو الخزي لهم في الدنيا لا ^{الديني} عمل فكم صدوا المؤمنين عن المسجد الحرام صدوا عنه وكأجلهم من مكة أجلا وعنها ولهم في الآخرة عذاب عظيم على ما انتهكوا من حرمة البيت وامتنعوا من نصب الاصنام حوله ودعاه غير الله عنده والطواف به عربا وغير ذلك من أقايعهم التي يكرها الله ورسوله وامان فسيريت المقدس فقال كعب الاحبار ان النصراني لما ظهر وا (٢٧١) على بيت المقدس خربوه فلما بعث الله

محمد صلى الله عليه وسلم أنزاه عليه ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعي في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين الآية فليس في الارض نصراني يدخل بيت المقدس الا خائفا وقال السدي فليس في الارض رومي يدخله اليوم الا وهو خائف أن يضرب عنقه أو قد أخيف باداء الجزية فهو يؤديها وقال قتادة لا يدخلون المساجد الا مسارقة قلت وهذا لا ينبغي أن يكون داخلا في معنى عموم الآية فان النصراني لما ظفوا بيت المقدس بامتهان الصخرة التي كانت تسمى الى اليها اليهود عوقبوا شرعا وقدر بالذلة فيه الا في أحيان من الدهر اشحن بهم بيت المقدس وكذلك اليهود لما عصوا الله فيه أيضا أعظم من عصيان النصارى كانت عقوبتهم أعظم والله أعلم وفسر هؤلاء الخزي في الدنيا بخروج المهدي عند السدي وعكرمة ووائل بن داود وفسره قتادة باداء الجزية عن يدهم صاغرون والصحيح ان الخزي في

سعدوا أحد بن حنبل واسحق بن راهويه يقولون في هذه الآية وأمثالها اقروها كما جاءت بلا كيف ولا تشبيه ولا تاويل ولا تعطيل هذا مذهب أعلام أهل السنة ومعتقد سلف الامة وأنشد بعضهم في المعنى

عقيدتنا أن ليس مثل صفاته * ولذا نهى عن عقيدة صائب
نسلم آيات الصفات بأسرها * واجراءها للظاهر المتقارب
وتؤيس عنها كنه فهم عقولنا * وتاويلنا فعل الليب المغالب
ونركب للتسليم سلفنا فانها * لتسلم دين المرء خير المراكب

والثاني التاويل لها بما يناسب تنزيهه سبحانه وتعالى عندهم وهو قول جمهور علماء المتكلمين وأصحاب النظر كما قالوا في هذه الآية يحى الله هو يحيى الآية أو يحيى أمر الله أو عذاب الله فانكروا امرار الصفات على ظاهرها واجراءها على ما أراد الله وهذا خلاف ما عليه سلف الامة وأئمتها وقد أوضحنا ذلك في كتابنا الانتقاد الرجح وبغية الرائد بما لا يحتاج الناظر فيه ما الى غيرهما (وقضى الامر) عطف على يأتيهم داخل في حيز لا يتظار وانما عدل الى صيغة الماضي دلالة على تحققه فكانه قد كان أو جله مستأنفة حتى بها للدلالة على ان مضمونها واقع لاحالة أي وفرغ من الامر الذي هو اهلا كهم قال عكرمة قضى الامر أي قامت الساعة (والى الله ترجع الامور) أي أمور العباد في الآخرة لا الى غيره والمراد من هذا اعلام الخلق انه المجازي على الاعمال بالثواب والعقاب (سل بني اسرائيل كما آتيناهم من آية بينة) المأمور بالسؤال هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويجوز ان يكون هو كل فرد من السائلين وهو سؤال تفرع وتوابع والمسئول عنهم هو المدينون كما استفهامية للتقرير وخبرية للتكثير والاية هي البراهين التي جاء بها أنبياءهم في أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقبل المراد بذلك الآيات التي جاء بها موسى وهرون تسع قال أبو العالمة تاهم الله آيات ينشأت عما موسى ويده وأقطعهم البحر وأغرق عدوهم وهم يتظرون وظلالا من الغمام وأنزل عليهم المن والسوى (ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاتنه) المراد بالنعمة هنا ما جاءهم من الآيات وقال ابن جرير الطبري النعمة هنا الاسلام والظاهر دخول كل نعمة أتم الله بها على كل عبد من عباده كائن من كان فوقع منه التبديل لها وعدم القيام بشكرها

الدنيا أعظم من ذلك كما هو وقد ورد الحديث بالاستعاذة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة كما قال الامام أحمد أخبرنا الهيثم بن خارجة أخبرنا محمد بن أيوب بن ميسرة بن حلس سمعت أبي يحدث عن بشر بن أرطاة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم أحسن عاقبتنا في الامور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة وهذا حديث حسن وليس في شيء من الكتب الستة وليس احبا به وهو بشر بن أرطاة ويقال ابن أبي أرطاة حديث سواء موسى حديث لا تقطع الايدي في الغزو (ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم) وهذا والله أعلم فيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين أخرجوا من

مكة وفارقوا مسجدهم ومصلاهم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بمكة الى بيت المقدس والكعبة بين يديه فلما
 قدم المدينة وجهه الى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ثم صرفه الله الى الكعبة بعد ولهذه الآية قول تعالى والله المشرق
 والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله قال أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب التاميم والمنسوخ أخبرنا جاج بن محمد أخبرنا ابن جريح
 وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس قال أول ما نسخ للقرآن فيما ذكرنا والله أعلم شأن القبلة قال الله تعالى والله
 المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجهه (٢٧٢) الله فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فملى شحوبت

ولا ينافي ذلك كون السياق في بني إسرائيل أو كونهم السبب في النزول لما تقرر من إن
 الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (فإن الله شديد العقاب) فيه من التعريب
 والتخويف ما لا يقاقر قدره (زين للذين كفروا الحياة الدنيا) المزين هو الشيطان بأن
 وسوس لهم ومناهم الاماني الكاذبة وذلك حقيقة كما قال السعد التقي زاني وبني به ماضيا
 دلالة على ان ذلك قد وقع وفرغ منه أو المزين لأنفس المجبولة على حب العاجلة وزين نبى
 للجهول وقرئ بفتح الزاء والمزين هو الله بان خلق الاشياء العجيبة ومكنهم منها أذامن
 شئ الا وهو خالقهم وعلى هذا المسند والاسناد مجاز لان خذلانه اياهم صار سببا لاستحسانهم
 الحياة الدنيا وزينها في أعينهم والمراد بالذين كفروا رؤساء قريش أو كل كافروا
 خص الكفار بالذكر مع كون الدنيا من سنة للمسلم والكافر كما وصف سبحانه بانه جعل
 ما على الارض زينتها ليلا يخلق أيهم أحسن عملا لان الكافر افتتن به هذا التزيين
 وأعرض عن الآخرة والمسلم لم يفتن به بل أقبل على الآخرة والمعنى حسنت في أعينهم
 وأشربت محبتهم في قلوبهم حتى تم اليك وأعليها وتوافيقها معرضين عن غيرها
 (ويسخرون من الذين آمنوا) أي والحال أن أولئك الكفار يسخرون من المؤمنين
 لكونهم فقراء لاحظ ليسهم من الدنيا كظروء الكفر وأساطين الضلال وذلك لان
 عرض الدنيا عندهم هو الامر الذي يكون من ناله سعياد اربحا ومن حرمة شقيا خيرا
 وقد كان غالب المؤمنين اذ ذلك فقراء لا اشتغالهم بالعبادة وأمر الآخرة وعدم التفتاتهم
 الى الدنيا وزينتها وحكى الاخفش انه يقال سخرت منه وسخرت به وضحكك منه
 وضحكك به والاسم السخرية والسخرى وبني به نصار عادلالة على التجدد والحدوث ولما
 وقع من الكفار ما وقع من السخرية بالمؤمنين ردا لله عليهم بقوله (والذين اتقوا فوفهم
 يوم القيامة) والمراد بالفوقية هنا العلو في الدرجة لانهم في الجنة والكفار في النار ويحتمل
 ان يراد بالفوق المكان لان الجنة في السماء والنار في أسفل سافلين أو أن المؤمنين هم
 الغالبون في الدنيا كما وقع ذلك من ظهور الاسلام وسقوط الكفر وقتل أهله وأسرحهم
 وتشريدهم وضرب الجزية عليهم ولا مانع من جعل الآية على جميع ذلك ولا التقييد
 بكونه في يوم القيامة وقوله دلالة على أن فوقهم من أجل التقوى وفيه تحريضهم على
 الانصاف به اذا سمعوا ذلك أو لا يذنبان ان اعراضهم عن الدنيا لا انتفاء عنهم الكونها شاعرا

المقدس وترك البيت العتيق ثم
 صرفه الى بيته العتيق ونسخها
 فقال ومن حيث خرجت قول
 وجهك شطر المسجد الحرام
 وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
 شطره وقال علي بن أبي طلحة عن
 ابن عباس قال كان أول ما نسخ
 من القرآن القبلة وذلك ان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم لما أجزا الى
 المدينة وكان أهلها اليهود أمره
 الله ان يستقبل بيت المقدس
 ففرحت اليهود فاستقبلها رسول
 الله صلى الله عليه وسلم بضعة
 عشر شهرا وكان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يحب قبلة ابراهيم
 وكان يدعو وينظر الى السماء
 فانزل الله قدرى قلب وجهك
 في السماء الى قوله فولوا وجوهكم
 شطره فارتاب من ذلك اليهود وقالوا
 ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها
 فانزل الله قل لله المشرق والمغرب
 وقال فأينما تولوا فثم وجه الله
 وقال عكرمة عن ابن عباس فأينما
 تولوا فثم وجه الله قال قبلة الله
 أي أينما وجهت شرقا وغربا وقال
 مجاهد فأينما تولوا فثم وجه الله

حيثما كنتم فلكم قبلة تستقبلونها الكعبة وقال ابن أبي حاتم بعد رواية الاثر المتقدم عن ابن عباس في نسخ
 القبلة عن عطاء عنه وروى عن ابي العالية والحسن وعطاء الخراساني وعكرمة وقتادة وأسدي وزيد بن أسلم نحو ذلك وقال ابن
 جرير وقال آخرون بل أنزل الله هذه الآية قبل أن يفرض التوجه الى الكعبة وإنما أنزلها ليعلم نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ان
 لهم التوجه بوجوههم للصلاة حيث شاؤوا من نواحي المشرق والمغرب لانهم لا يوجهون وجوههم وجهها من ذلك وناحية الا كان
 جبل شأوه في ذلك الوجه وتلك الناحية لان الله تعالى المشرق والمغرب وانه لا يخلو منه مكان كما قال تعالى ولا أدنى من ذلك ولا أكبر

الاهو معهم أينما كانوا قالوا ثم نسخ ذلك بالفرض الذي فرض عليهم التوجه الى المسجد الحرام هكذا قال وفي قوله واند تعالى لا يخلو منه مكان ان أراد علمه تعالى فصحح فان علمه تعالى محيط بجميع المعلومات وأما أنه تعالى فلا تكون محصورة في شيء من خلقه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال ابن جرير وقال آخرون بل نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا من الله أن يصلى التطوع حيث توجه من شرق أو غرب في مسيره في سفره وفي حال المسايعة وشدة الخوف حدثنا أبو بكر ياب أخبرنا ابن ادريس حدثنا عبد الملك هو ابن أبي سليمان عن سعيد بن جبيرة عن (٢٧٣) ابن عموانه كان يصلى حيث توجهت به راحته

ويذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك ويتاول هذه الآية فانيخوتوا فثم وجه الله ور واه مسلم والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق عن عبد الملك بن أبي سليمان به وأصله في الصحيحين من حديث ابن عمر وعامر بن ربيعة من غير ذكر الآية وفي صحيح البخاري

عن جانب القدس عن حارثة بن وهب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره ألا أخبركم بأهل النار كل عتيل جواظ جعظري مستكبر أخرجه الشيخان وعن أسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال قلت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجند محبوسون غير أن أصحاب النار قد أمر بهم الى النار وقت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء أخرجه البخاري ومسلم (والله يرزق من يشاء بغير حساب) يحتمل أن يكون فيه إشارة الى أن الله سبحانه سيرزق المستضعفين من المؤمنين ويوسع عليهم ويجعل ما يعطيهم من الرزق بغير حساب أي بغير تقدير لأن ما يدخل عليه الحساب فهو قليل ويحتمل أن المعنى ان الله يوسع على بعض عباده في الرزق كما وسع على أولئك الرؤساء من الكفار استدرجالهم وليس في التوسعة دليل على أن من وسع عليه فقد رضى عنه ويحتمل ان يراد بغير حساب من الرزوقين كما قال تعالى ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال ابن عباس في تفسيره ليس على الله رقيب ولا من يحاسبه وقال سعيد بن جبيرة لا يحاسب الرب وقيل يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة وقيل يرزقه بغير استحقاق وقيل لا يخاف نفاد ما في خزائنه حتى يحتاج الى حساب وقيل لا يعطى كل واحد على قدر حاجته بل يعطى الكثير لمن لا يحتاج اليه وقيل غير ذلك (كان الناس أمة واحدة) أي كانوا متفقين على دين واحد وهو الاسلام فاختلقوا واختلف في الناس فقيل هم بنو آدم حين أخرجهم الله نسما من ظهر آدم عن أبي بن كعب قال كانوا أمة واحدة حين عرضوا على آدم ففطرهم على الاسلام وأقروا بالعبودية وكانوا مسلمين ثم اختلفوا ومن بعد آدم وقيل آدم وحده قاله مجاهد وسبى ناسا لانه أصل النسل وقيل آدم وحواء وقيل المراد القرون الاولى التي كانت بين آدم ونوح وهي عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلقوا قاله ابن عباس وقيل المراد نوح ومن في سفينته وقيل ان العرب كانت على دين ابراهيم الى أن غيره عمرو بن لحي وقيل كانوا من حين وفاة آدم الى زمان نوح على الكفر والباطل بدليل قوله فبعث الله النبيين والحكم للغالب والاول أولى قال أبو السعود وهو الانسب بالنظم الكريم وقيل ليس في الآية ما يدل على أنهم كانوا على ايمان أو كفر فهو موقوف على دليل من خارج وقيل المراد الاخبار عن الناس الذين

من حديث نافع عن ابن عمر أنه كان اذا سئل عن صلاة الخوف وصفها ثم قال فان كان خوف أشد من ذلك صلوا رجلا قياما على أقدامهم وربكنا مستقبل القبلة وغير مستقبلها قال نافع ولا أرى ابن عمر ذكر ذلك الا عن النبي صلى الله عليه وسلم (مسألة) ولم يفرق الشافعي في المشهور عنه بين سفر المسافة وسفر العدو فالجميع عنه يجوز التطوع فيه على الراحلة وهو قول ابي حنيفة خلافا لما لك وجامعة واختار أبو يوسف وأبو سعيد الاضطجعي التطوع على الدابة في المصر وحكاها أبو يوسف عن أنس بن مالك رضى الله عنه واختاره أبو جعفر الطبري حتى

(٣٥ ل - فتح البیان) للمامشي أيضا قال ابن جرير وقال آخرون بل نزلت هذه الآية في قوم سميت عليهم القبلة فلم يعرفوا شطرها فاصولوا على أنباء مختلفة فقال الله تعالى الى المشارق والمغارب فاین ولیم وجوهكم فهناك وجهي وهو قبلتكم فيعلمكم بذلك أن صلاتكم ماضية حدثنا محمد بن اسحق الاهوازي أخبرنا أبو أحمد الزبيري أخبرنا أبو الربيع السمان عن عاصم بن عبيد الله بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة سوداء مظلمة فتر لنا من لا فجعل الرجل يأخذ الاجار فيعمل مسجدا يصلي فيه فلما ان أصبحنا اذا نحن قد صلينا الى غير القبلة فقلنا يا رسول الله لقد صلينا اليكنا هذه غير القبلة

وسلم حديثه فانزل الله تعالى هذه الآية ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا
 بعضا وأما إعادة الصلاة لمن تبين له خطؤه ففسيها قولان للعلماء وهذه دلائل على عدم
 بل نزلت هذه الآية في سبب التجاني كما حدثنا محمد بن بشار أخبرنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال إن أفعالكم قد ماتت فاصلوا عليه قالوا صلى على رجل ليس بمسلم قال فتزيت وإن من أهل الكتاب من يؤمن بالله وما أنزل اليكم
 وما أنزل اليهم خاشعين لله قال قتادة فقالوا إنه كان لا يصلي إلى القبلة (٢٧٥) فانزل الله ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا

فثم وجه الله وهذا غريب والله أعلم
 وقد قيل أنه كان يصلي إلى بيت
 المقدس قبل أن يبلغه الناسخ
 إلى الكعبة كما حكاه القرطبي عن
 قتادة وذكر القرطبي أنه لما
 مات صلى عليه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فاخذ بذلك من ذهب
 إلى الصلاة على الغائب قال وهذا
 خاص عند أصحابنا من ثلاثة
 أوجه أحدها أنه عليه السلام
 شاهده حين سوي عليه طويع له
 الأرض الثاني أنه لما لم يكن عنده
 من يصلي عليه صلى عليه واختاره
 ابن العربي قال القرطبي ويعبد
 أن يكون ملك مسلم ليس عنده
 أحد من قومه على دينه وقد أجاب
 ابن العربي عن هذا لعلمهم لم يكن
 عندهم شرعية الصلاة على الميت
 وهذا جواب جيد الثالث أنه
 عليه الصلاة والسلام انما صلى
 عليه ليكون ذلك كالتأليف لبقية
 الملوك والله أعلم وقد أورد الحافظ
 أبو بكر بن مردويه في تفسيره هذه
 الآية من حديث أبي معشر عن
 محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سامة
 عن أبي هريرة قال قال رسول الله

حرير وضعفه ابن عظمة (بأذنه) قال الزجاج معناه بعلمه وقال الخناس هذا غلط والمعنى
 بامرهم وادارته (والله يهدي من يشاء) من عباده (إلى صراط مستقيم) أى طريق سوى
 (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) أم هنا منقطع بمعنى بل وحكى بعض اللغويين أنه اقدم
 بمثابة همزة الاستفهام يتدوهم الكلام فعلى هذا معنى الاستفهام هنا التقرير والانكار
 أى أ حسبتم دخولكم الجنة واقعا والغرض من هذا التوبيخ تشجيعهم على الصبر وحثهم
 عليه وحسب ههنا من أخوات ظن وقد تستعمل في اليقين (ولما يأتكم مثل الذين خلوا
 من قبلكم) الواو للحال ولما بمعنى لم أى والحال أنكم لم يأتكم مثاهم بعد ولم يتلوأبها
 ابتوايه من الأحوال الهائلة التي هي مثل في القضاة والسدة وهو متوقع مستظرو لم
 تمنحوا بمثل ما احتج به من كان قبلكم قصبروا وكأصبروا ذكر الله سبحانه هذه التسمية بعد
 أن ذكر اختلاف الأمم على أنبيائهم تنبيها للمؤمنين وتقوية لقلوبهم ومثل هذه الآية قوله
 أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وقوله ألم أحسب الناس أن
 يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون (مستهم) استئناف بيان لقوله مثل الذين خلوا
 (البأساء والضراء) قد تقدم تفسيرهما (وزلزلوا) الزلزلة شدة التحريك تكون في
 الأشخاص وفي الأقوال يقال زلزل الله الأرض زلزلة وزلزالا بالكسر فتزلزلت أى تحركت
 واضطربت فعنى زلزلوا خوفوا وأزعجوا أزعجا شديدا وحركوأبأنواع البساي والزياء
 وقال الزجاج أصل الزلزلة نقل الشيء من مكانه فإذا قلت زلزلة فمعناه كررت زلله من مكانه
 (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه) أى استمر ذلك إلى غاية هي قول الرسول ومن معه
 أى صاحبوه في الإيمان وحتى بمعنى إلى وإن مضمرة أى إلى أن يقول وهي غاية لما تقدم
 من المس والزلزال وذلك لأن الرسل أثبت من غيرهم وأصبرهم وأضبط للنفس عند نزول
 البلياء وكذلك أتباعهم من المؤمنين (متى نصر الله) متى ظرف زمان لا يتصرف إلا بجره
 بجر في الرسول هنا قيل هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل هو شعيب وقيل هو كل
 رسول بعث إلى أمته وقالت طائفة في الكلام تقديم وتأخير أى حتى يقول الذين آمنوا
 متى نصر الله ويقول الرسول ألا أن نصير الله قريب ولا ملجئ لهذا التكلف لأن قول
 الرسول ومن معه متى نصر الله ليس فيه الاستعجال النص من الله سبحانه وليس فيه
 ما زعموه من الشك والارتباب حتى يحتاج إلى ذلك التأويل المتعسف قال قتادة نزلت

صلى الله عليه وسلم ما بين المشرق والمغرب قبله لأهل المدينة وأهل الشام وأهل العراق وله مناسبة ههنا وقد أخرجه الترمذي
 وابن ماجه من حديث أبي معشر واسمه نجيح بن عبد الرحمن السدي المدني به ما بين المشرق والمغرب قبله وقال الترمذي وقد
 روى من غير وجه عن أبي هريرة وتكلم بعض أهل العلم في أبي معشر من قبل حفظه ثم قال الترمذي حدثني الحسن بن بكر المروزي
 أخبرنا المعلى بن منصور أخبرنا عبد الله بن جعفر الخزومي عن عثمان بن محمد الأحنسي عن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي
 الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما بين المشرق والمغرب قبله ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وحكى عن

الجناري انه قال هذا اقوى من حديث أبي معشر وأصح قال الترمذي وقد روى عن غيره واحد من الصحابة ما بين المشرق والمغرب قبله منهم عمر بن الخطاب وعلي وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين وقال ابن عمر اذا جعلت المغرب عن يمينك والمشرق عن يسارك فما بينهما قبله اذا استقبلت القبلة ثم قال ابن مردويه حدثنا علي بن أحمد بن عبد الرحمن أخبرنا يعقوب بن يوسف مولى بني هاشم أخبرنا شعيب بن أيوب أخبرنا ابن خنيس عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما بين المشرق والمغرب قبله وقد رواه الدارقطني (٢٧٦) والبيهقي وقال المشهور عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنهم ما قوله قال

ابن جرير ويحتمل فايما تولوا وجوهكم في دعائكم لي فهناك وجهي أستجيب لكم دعاءكم كما حدثنا القاسم أخبرنا الحسين حدثني ججاج قال قال ابن جرير ججاج قال مجاهد لما نزلت ادعوني أستجب لكم قالوا الى أين فنزلت فايها تولوا فثم وجه الله قال ابن جرير ومعنى قوله ان الله واسع علم يسع خلقه كلهم بالكفاية بالجود والافضال وأما قوله علم فانه يعنى علم بآعمالهم ما يغيب عنه منها شيء ولا يعزب عن علمه بل هو بجميعها علم (وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض ككل له قاتنون بديع السموات والارض واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) اشتملت هذه الآية الكريمة والتي تليها على الرد على النصارى عليهم لعائن الله وكذا من أشبههم من اليهود ومن مشركى العرب من جعل الملائكة بنات الله فاكذب الله جميعهم في دعواهم وقولهم ان الله ولد افا قال تعالى سبحانه أى تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوا

هذه الآية في يوم الاحزاب وهي غزوة الخندق أصاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ وأصحابه بلاء وحصر وقيل نزلت في غزوة أحد وقيل غير ذلك وقال ابن عباس أخبر الله المؤمنين أن الدنيا دار بلاء وأنه مبتليهم فيها وأخبرهم انه هكذا فعل بالنبياؤه وصفوته لتطيب أنفسهم والمعنى انه بلغهم الجهد والشدة والبلاء ولم يبق لهم صبر وذلك هو الغاية القصوى في الشدة فلما بلغ الحال في الشدة الى هذه الغاية واستبطوا النصر قيل لهم (ألا ان نصر الله قريب) اجابة لهم في طلبهم والمعنى هكذا كان حالهم لم يغيرهم طول البلاء والشدة عن دينهم الى أن يأتيهم نصر الله فكأنوا بما معشر المسلمين كذلك وتحملوا الاذى والشدة والمشقة في طلب الحق فان نصره سبحانه قريب اتيانه لا بعيد وفيه اشارة الى ان المراد بالقرب القرب الزماني وفي اشارة الجملة الاسمية على الفعلية المناسبة لما قبلها وتصديرها بحرف التنبيه والتأكيد من الدلالة على تحقق مضمونها وتقرره ما لا يخفى (يسألونك ماذا ينفقون) السائلون هنا هم المؤمنون سألوا عن الشيء الذي ينفقونه ما هو أى ما قدره وما جنسه (قل ما أنفقتم من خير الى آخره) فاجيبوا ببيان المصروف الذي يصرفون فيه تنبيها على انه الاول بالقصد لان الشيء لا يعتد به الا اذا وضع في موضعه وصادف مصرفه وقيل انه قد تضمن الآية بيان ما ينفقونه وهو كل خير وقيل انما سألوا عن وجوه البر التي ينفقون فيها وهو خلاف الظاهر وما شرطية وقيل موصولة والاول أولى لتوافق ما بعدها (فلما الدين) قدمه ما للوجوب حقه ما على الولد لانها السبب في وجوده (والاقرين) قدمه لان الانسان لا يقدر أن يقوم بمصالح جميع الفقراء فتقدم القرابة أولى من غيرهم ولانهم أبعاض الوالدين (واليتامى) لانهم لا يقدر ورون على الكسب ولانهم متفق وقد تقدم الكلام في الاقرين واليتامى (والمساكين والسبل) أى هم أولى به وانظر الى هذا الترتيب الحسن العجيب في كيفية الانفاق كيف فصله ثم أتبعه بالاجال فقال (وما تنفقوا من خير) أى مع هؤلاء وغيرهم طلبا لوجه الله ورضوانه (فان الله به عليم) فيجاز بكم عليه قال ابن مسعود نسختها آية الزكاة وقال الحسن انها محكمة وقال ابن زيد هذا في النفل أى التطوع وهو ظاهر الآية فمن أحب التقرب الى الله بالانفاق فالاولى به أن ينفق في الوجوه المذكورة في الآية فيقدم الاول فالاول ولم يذكر فيها السائلين والرقاب كما في الآية الاخرى اكتفاء بها

كبير ابل له ما في السموات والارض أى ليس الاخر كما افتر واو انما له ملك السموات والارض ومن فيهن وهو المتصرف فيهم وهو خالقهم ورازقهم ومقدرهم ومسيرهم ومصرفهم كما يشاء والجميع عبيده وملك له فكيف يكون له ولد منهم والولد انما يكون متولدا من شيئين متناسين وهو تبارك وتعالى ليس له نظير ولا مشارك في عظمته وكبريائه ولا صاحبة فكيف يكون له ولد كما قال تعالى بديع السموات والارض أى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخالق كل شيء وهو بكل شيء عليم وقال تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هذا أن يدعو الرحمن ولدا

وما ينبغي للرجن ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا آت الرحمن عبد القدا حصاعهم وعدهم عداوكلهم آتية يوم القيامة فردا وقال تعالى قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقرر تعالى في هذه الآيات الكريمة انه السيد العظيم الذي لا نظير له ولا شبيه له وان جميع الاشياء غيره مخلوقة له مربية فكيف يكون له من اولاد ولهذا قال البخاري في تفسير هذه الآية من البقرة أخبرنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن عبد الله بن أبي الحسبين حدثنا نافع بن جبير هو ابن مطعم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له (٢٧٧) ذلك وشئتني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه

اي في زعم اني لا أقدر ان أعيدته كما كان واما شتمه اي ابقوله اني ولدا فسخاني ان أتخذ صاحبة أو ولدا انفرد به البخاري من هذا الوجه وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن كامل أخبرنا محمد بن اسمعيل الترمذي أخبرنا محمد بن اسحق بن محمد القروي أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى

كذبني ابن آدم وما ينبغي له أن يكذبني وشئتني وما ينبغي له أن يشتمني فاما تكذيبه اي ابقوله ان يعبدني كما بدائي وليس أول الخلق باهون علي من عاداته واما شتمه اي ابقوله أتخذ الله ولدا وأنا الله الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لأحد أصبر علي أذى سمعه من الله انهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافهم وقوله كل له قاتون قال ابن أبي حاتم أخبرنا أبو سعيد الأشج أخبرنا اسباط عن مطرف عن عطية عن ابن عباس

أوبعموم قوله وما تفعلوا من خير فانه شامل لكل خير وقع في أي مصرف (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) بين سبحانه أن هذا أي فرض القتال عليهم من جملة ما امتحنوا به والمراد بالقتال قتال الكفار والكفر بالضم المشقة وبالفتح مأ كرهت عليه ويجوز الضم في معنى الفتح فيكونان لغتين وانما كان الجهاد كرهالا لان فيه اخراج المال ومفارقة الاهل والوطن والتعرض لذهاب النفس وفي التعبير بالمصدر وهو كرهه مباالغة ويحتمل ان يكون بمعنى المكروه كما في قولهم الدراهم ضرب الأمير قيل الجهاد فرض على كل مسلم ويدل عليه ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برا كان أو فاجر أخرجه أبو داود بن زيادة فيه وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا وقيل الجهاد تطوع والمراد من الآية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دون غيرهم وبه قال الثوري والاوزاعي والاول وأولى والجهود على انه فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقي قال الزهري كتب الله القتال على الناس جاهدا أو لم يجاهدوا فن غزاهم ونعمت ومن قعد فهو عدة ان استعين به أعان واذا استنفر نفروا ان استعنى عنه قعد وقيل فرض عين ان دخلوا بلادنا وفرض كفاية ان كانوا بلادهم (وعسى أن تسكروها شيئا) قيل عسى هنا بمعنى قد روى ذلك عن الاصم وقال أبو عبيدة عسى من الله ايجاب والمعنى عسى أن تسكروها الجهاد طبعها لما فيه من المشقة وأما شرعافه ومحبوب وواجب ولا يلزم منه ما قاله السعد التفتازاني كراهة حكم الله ومحبة خلافه وهو ينافي كمال التصديق لان معناه كراهة النفس ذلك الفعل ومشقته مع كمال الرضا بالحكم والاذعان له (وهو خير لكم) فربما تغلبون وتظفرون وتغنون وفوق رن ومن مات مات شهيدا أو الواو للجمال أو صفة لشيء وعليه جرى أبو البقاء هنا والزنجشري في قوله ولها كتاب معلوم وهو رأي ابن حبان وسائر النحويين بخالفونه (وعسى أن تحبوا شيئا) أي الدعوة وترك القتال (وهو شر لكم) فربما يتقوى عليكم العدو فيغلبكم ويقصدكم الى عقد دنائكم فيحل بكم أشد مما تخافونه من الجهاد الذي كرهتم مع ما يشقوكم في ذلك من الفوائد العاجلة والآجلة (والله يعلم) ما فيه صلاحكم وفلاحكم وما هو خير لكم وما في الجهاد من الغنية والاجر والخير فلذلك يامركم به

قال قاتين مصلين وقال عكرمة وأبو مالك كل له قاتون مقرون له بالعبودية وقال سعيد بن جبير كل له قاتون يقول الاخلاص وقال الربيع بن أنس يقول كل له قاتون أي قائم يوم القيامة وقال السدي كل له قاتون أي مطيعون يوم القيامة وقال خصيف عن مجاهد كل له قاتون قال مطيعون كن انسا نافكان وقال كن جارا فكان وقال ابن أبي شيبة عن مجاهد كل له قاتون مطيعون قال طاعة الكافر في سجود ظله وهو كاره وهذا القول عن مجاهد وهو اختيار ابن جرير يجمع الاقوال كلها وهو أن القنوت والطاعة والاستكانة الى الله وهو شرعي وقدرى كما قال تعالى ولله يسجد من في السموات ومن في الارض طوعا

وكرها وظلالهم بالغدو والاصال وقد ورد حديث فيه بيان القنوت في القرآن ما هو المراد به كما قال ابن ابي حاتم، حبر يوسف
ابن عبد الاعلى حديثنا بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث ان دراجا ابنا السمع حدثه عن ابي الهيثم عن ابي سعيد الخدري عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل حرف من القرآن يذكرك فيه القنوت فهو الطاعة وكذا رواه الامام أحمد عن حسن بن موسى
عن ابن لهيعة عن دراج باسناد مثله ولكن في هذا الاسناد ضعف لا يعتمد عليه ورفع هذا الحديث منكرو وقد يكون من كلام
الصحابي أو من دونه والله أعلم وكثير ما لقي (٢٧٨) بهذا الاسناد تفاسير فيها نكارة فلا يغتر بها فان السند ضعيف والله

(وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ذَلِكَ وَلِذَلِكَ تَكْرَهُونَهُ قِيلَ إِنَّهَا مُحْكَمَةٌ نَاسِخَةٌ لِلْعُدُوِّ عَنِ الْمُشْرِكِينَ وَقِيلَ
مَنْسُوخَةٌ لِأَنَّ فِيهَا جُوبَ الْجِهَادِ عَلَى الْكَافَّةِ وَالنَّاسِخُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ
لِيَنْفِرُوا كَافَّةً وَقِيلَ إِنَّهَا نَاسِخَةٌ مِنْ وَجْهِهِ وَمَنْسُوخَةٌ مِنْ وَجْهِهَا فَالنَّاسِخُ مِنْهَا الْإِجَابُ لِلْجِهَادِ
مَعَ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَ الْمَنْعِ مِنْهُ وَالْمَنْسُوخُ إِيْجَابُ الْجِهَادِ عَلَى الْكَافَّةِ وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ
الْجِهَادِ وَوُجُوبِهِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ لَا يَتَسَمَّحُ بِالْمَقَامِ لِبَسْطِهَا (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ
فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ) أَيْ الْقِتَالُ فِيهِ أَهْمٌ كَبِيرٌ مُسْتَكْرٍ وَالشَّهْرُ الْحَرَامُ الْمُرَادُ بِهِ الْخَنَسُ
وَقَدْ كَانَتْ الْعَرَبُ لَا تَسْفِكُ فِيهِ دِمَاءً وَلَا تَغْيِرُ عَلَى عَدُوِّهَا وَالشَّهْرُ الْحَرَامُ هِيَ ذُو الْقَعْدَةِ
وَذُو الْحِجَّةِ وَمَحْرُومٌ رَجَبٌ ثَلَاثَةٌ سَرْدٌ وَوَاحِدٌ فَرْدٌ وَهَذِهِ الْأُمُورُ أَكْثَرُ ذُنُوبًا وَأَشَدُّ عَاقِبَةً
الْقِتَالُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ كَذَا قَالَ الْمُبَرِّدُ وَغَيْرُهُ قِيلَ إِنَّهَا مُحْكَمَةٌ وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْغَزْوُ
فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ الْبَاطِرُ بِقِيَّةِ الدَّفْعِ وَقِيلَ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ أَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ
وَبِقَوْلِهِ قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً وَبِهِ قَالَ الْجَهْوَرُ (وَصَدْعٌ سَبِيلُ اللَّهِ) أَيْ صَدْعٌ مَسِيلُ
عَنِ الْحَجِّ أَوْ صَدْعٌ عَنِ الْإِسْلَامِ مِنْ يَرِيدُهُ (وَكَقْرَبَهُ) الضَّمِيرُ يَعُودُ إِلَى اللَّهِ وَقِيلَ إِلَى الْحَجِّ
(وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أَيْ وَصَدْعٌ عَنْهُ قَالَهُ الزَّخَّشِيُّ وَغَيْرُهُ وَتَعَقَّبَ بَانَ عَطْفُ قَوْلِهِ وَكَقْرَبَهُ
عَلَى صَدْمَانَعٍ مِنْهُ أَذِلَّ لَا يَتَقَدَّمُ الْعَطْفُ عَلَى الْمَوْصُولِ عَلَى الْعَطْفِ عَلَى الصَّلَةِ وَهُوَ سَبِيلُ اللَّهِ
لَوْجُودِ الْفَصْلِ بِاجْتِنَابِيٍّ وَاجْتِنَابِيٍّ بِالْكَفْرِ بِاللَّهِ وَالصَّدْعُ عَنْ سَبِيلِهِ مَتَّحِدَانِ مَعْنَى فَكَأَنَّهُ
لَا فَصْلَ بَاجْتِنَابِيٍّ بَيْنَ سَبِيلٍ وَمَا عَطْفُ عَلَيْهِ (وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ) يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ حِينَ أَذَوْهُمْ حَتَّى هَاجَرُوا وَتَرَكُوا مَكَّةَ وَإِنَّمَا جَعَلَهُمُ اللَّهُ أَهْلَهُ
لأنهم كانوا هم القَائِمِينَ بِحَقُوقِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ دُونَ الْمُشْرِكِينَ وَمَعْنَى الْآيَةِ الَّذِي ذَهَبَ
إِلَيْهِ الْجَهْوَرُ أَنَّكُمْ بِنَاقِرِيشَ تَسْتَغْثَمُونَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَمَا تَفْعَلُونَ أَنْتُمْ مِنَ
الصَّدْعِ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَمَنْ أَرَادَ الْإِسْلَامَ وَمَنِ الْكَفْرَ بِاللَّهِ وَمَنِ الصَّدْعِ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَنِ
إِخْرَاجِ أَهْلِ الْحَرَمِ مِنْهُ (أَكْبَرُ) جَرْمًا عِنْدَ اللَّهِ وَسَبَبُ الْإِزْوَالِ يَشْهَدُ لِهَذَا الْمَعْنَى وَيُقِيدُ أَنَّهُ
الْمُرَادُ فَانِ السُّؤَالَ مِنْهُمْ الْمَذْكُورُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ سُؤَالُ أَنْكَارِ مَا وَقَعَ مِنَ السَّرِيَةِ الَّتِي
بَعَثَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ (وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ) الْمُرَادُ بِالْفِتْنَةِ هُنَا الْكَفْرُ
وَالشُّرْكُ قَالَهُ ابْنُ عَرَبٍ أَيْ كَفَرُكُمْ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ الْوَاقِعِ مِنَ السَّرِيَةِ الَّتِي بَعَثَهَا النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالْفِتْنَةِ الْإِخْرَاجُ لِأَهْلِ الْحَرَمِ مِنْهُ وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالْفِتْنَةِ

أَعْلَمُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى بِدِيعِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ أَيْ خَالِقَهُمَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ
سَبَقُ قَالَ جَاهِدُوا السُّدَى وَهُوَ
مَقْتَضَى اللَّغَةِ وَمِنْهُ يُقَالُ لِلشَّيْءِ
الْمُحْدَثِ بَدْعٌ كَمَا جَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ
فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بَدْعٌ وَالبَدْعُ عَلَى
قِسْمَيْنِ تَارَةٌ تَكُونُ بَدْعَةً شَرْعِيَّةً
كَقَوْلِهِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بَدْعٌ وَكُلُّ
بَدْعٍ ضَلَالَةٌ وَتَارَةٌ تَكُونُ بَدْعَةً
لِغَوِيَّةً كَقَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرِو بْنِ
الْخَطَّابِ عَنْ جَمْعِهِ أَيَاهُمْ عَلَى
صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ وَاسْتِزَارِهِمْ نَعَمْتَ
البَدْعَةُ هَذِهِ وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ
بِدِيعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَبْدَعُهُمَا
وَإِنَّمَا هُوَ مَفْعَلٌ فَصَرَفَ إِلَى فَعِيلٍ
كَاصْرِفَ الْمُؤْمِنُ إِلَى الْإِلَهِ وَالْمَسْمُوعُ
إِلَى السَّمِيعِ وَمَعْنَى الْمَبْدَعِ الْمُنْشِئُ
وَالْمُحْدَثُ مَا لَا يَسْبِقُهُ إِلَى أَنْشَاءِ
مِثْلِهِ وَاحِدَاتُهُ أَحَدٌ قَالَ وَلِذَلِكَ
سَمِيَ الْمَبْدَعُ فِي الدِّينِ مَبْتَدَعًا
لِأَحَدَاتِهِ فِيهِ مَا لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ غَيْرُهُ
وَكَذَلِكَ كُلُّ مُحْدَثٍ قَوْلًا أَوْ فِعْلًا
لَمْ يَتَقَدَّمْ فِيهِ مِمَّا تَقَدَّمَ فَانِ الْعَرَبُ
تَسْمِيَتُهُ مَبْتَدَعًا وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ
أَعْيَشَى بْنِ تَعْلَبَةَ فِي مَدْحِ هُوَذَيْنِ
عَلَى الْخَنْفَى

يدعى الى قول سادات الرجال اذا * أبدوا له الحرم أو ما شاءه ابتدعا

هنا

أَيِ يَحْدِثُ مَا شَاءَ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ يَعْنِي الْكَلَامَ سَبَّحَانَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ وَهُوَ مَالِكٌ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ تَشْهَدُ بِهِ جَمِيعُهَا بِدَلَالَتِهَا
عَلَيْهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَتَقْرَأُ بِالطَّاعَةِ وَهُوَ بَارِئٌ خَالِقُهَا وَمُوجِدُهَا مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ وَلَا مِثَالٍ احْتِذَاهَا عَلَيْهِ وَهَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ
أَنْ يَمُنَّ بِشَهَادَةِ ذَلِكَ الْمَسِيحِ الَّذِي أَضَافُوا إِلَى اللَّهِ بِنُوتَهُ وَأَخْبَارَ مِنْهُ لَهُمْ أَنْ الَّذِي ابْتَدَعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ وَعَلَى
غَيْرِ مِثَالٍ هُوَ الَّذِي ابْتَدَعَ الْمَسِيحَ عِيسَى مِنْ غَيْرِ وَالِدٍ بِقُدْرَتِهِ وَهَذَا مِنْ ابْنِ جَرِيرٍ رَجَّحَهُ اللَّهُ كَلَامَ جَيْدٍ وَعِبَارَةً صَحِيحَةً وَقَوْلُهُ تَعَالَى

واذا قضى أمر افانما يقول له كن فيكون يسين بذلك تعالى كمال قدرته وعظيم سلطانه وانه اذا قدر امر او اراد كونه فانما يقول له كن أى مرة واحدة فيكون أى فيوجد على وفق ما أراد كما قال تعالى انما أمره اذا أراد شيان يقول له كن فيكون وقال تعالى انما قولنا لشيء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون وقال تعالى وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر وقال الشاعر
 اذا ما أراد الله أمر افانما * يقول له كن قوله فيكون . ونبه بذلك أيضا على ان خلق عيسى بكلمة كن فكان كما أمره الله
 قال الله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب (٢٧٩) ثم قال له كن فيكون (وقال الذين لا يعلمون

لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك

قال الذين من قبلهم مثل قولهم

تشابهت قلوبهم قدينا الآيات

لقوم يوقنون) قال محمد بن اسحق

حدثني محمد بن أبي محمد عن

عكرمة وأوسعيد بن جبير عن ابن

عباس قال قال رافع بن حرملة

لرسول الله صلى الله عليه وسلم

يا محمد ان كنت رسولا من الله كما

تقول فقل لله فيكلمنا حتى نسمع

كلامه فانزل الله في ذلك من قوله

وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا

الله أو تأتينا آية وقال مجاهد

وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا

الله أو تأتينا آية قال النصارى

تقوله وهو اختيار ابن جرير قال

لان السياق فيهم وفي ذلك نظر

وحكى القرطبي لولا يكلمنا الله أى

يخاطبنا بنبوتك يا محمد قلت وهو

ظاهر السياق والله أعلم وقال أبو

العالية والربيع بن أنس وقادة

والسدي في تفسير هذه الآية هذا

قول كفار العرب كذلك قال الذين

من قبلهم مثل قولهم قال هم اليهود

والنصارى ويؤيد هذا القول وان

القائلين ذلك هم مشركوا العرب

هنا فتنهم عن دينهم حتى لمكوا أى فتنة المستضعفين من المؤمنين أو نفس الفتنة التى
 الكفار عليهم وهذا أريج من الوجهين الاولين لان الكفر والانحراف قد سبق ذكرهما
 وانهم جامع الصدا كبر عند الله من القتال في الشهر الحرام وعن سفيان الثوري هذا شيء
 منسوخ ولا بأس بالقتال في الشهر الحرام وعن ابن عباس ان هذه الآية منسوخة بآية
 السيف في براءة (ولايزالون يقاتلونكم) ابتداء كلام يتضمن الاخبار عن الله عز وجل
 للمؤمنين بان هؤلاء الكفار والمشركين لايزالون مستمرين على قتالكم وعداوتكم
 (حتى يردكم عن دينكم) أى الاسلام الى الكفر (ان استطاعوا ذلك وتبها لهم منكم
 والتقيد بهذا الشرط مشعر باستبعادكم من ذلك وقد رتبهم عليه ثم حذر الله سبحانه
 المؤمنين من الاغترار بالكفر والدخول فيما يريدونه من ردكم عن دينهم الذى هو
 الغاية لما يريدونه من المقاتلة للمؤمنين فقال (ومن يردكم منكم عن دينكم فهو كافر
 فأولئك حبطت أعمالهم) الرد الرجوع عن الاسلام الى الكفر والتقيد بالكفر يفيد
 ان عمل من ارتد اغمايطل اذا مات على الكفر وما اذا أسلم بعد الرد لم يثبت عليه شيء من
 أحكام الرد وفيه دليل للشافعي ان الرد لا تحبط الاعمال حتى يموت على ردة وعند أبي
 حنيفة ان الرد لا تحبط العمل وان أسلم وحبط معناه بطل وفسد ومنه الملبط وهو فساد
 يلحق المواشي في بطونهم من كثره كالهالك لا تقتضخ أجوافها وربما قوت من ذلك وفي
 هذه الآية تهديد للمسلمين لينتبهوا على دين الاسلام (في الدنيا والآخرة) أى لا يبقى له حكم
 المسلمين في الدنيا فلا يأخذ شيئا مما يستحقه المسلمون من الميراث وغيره ولا ينظر بحظ من
 حظوظ الاسلام ولا ينال شيا من ثواب الآخرة الذى يوجبها الاسلام ويستحقه أهله وقد
 اختلف أهل العلم في الرد هل تحبط العمل بمجرد ما لم لا تحبط الا بالموت على الكفر
 والواجب حمل ما أطلقته الآيات في غير هذا الموضع على ما في هذه الآية من التقيد
 (وأولئك أصحاب النار) يعنى الذين ماتوا على الردة والكفر (هم فيها خالدون) أى
 لا يخرجون منها أبدا وقد تقدم الكلام في معنى الخلود (ان الذين آمنوا والذين هاجروا
 وجاهدوا في سبيل الله) انجزة معناه الى الانتقال من موضع الى موضع وترك الاول لا يشار
 الثانى والهجرة ضد الوصول والهاجر التقاطع والمراد بها هنا الهجرة من دار الكفر الى دار
 الاسلام والجهاد ضد الجهاد والجهاد بذل الوسع (أولئك يرجون) أى

قوله تعالى واذا جاءتهم آية قالوا ان تؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتى رسل الله الآية وقوله تعالى وقالوا ان تؤمن حتى تفجر لنا من
 الارض ينبوعا الى قوله قل سبحان ربى هل كنت الا بشر ارسولا وقوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة
 أن نرى ربنا الآية وقوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة الى غير ذلك من الآيات الدالة على كفر مشركى العرب
 وعقوبهم وعنداهم وسؤالهم ما لا حاجة لهم به انما هو الكفر والمعاندة كما قال من قبلهم من الامم الخالية من أهل الكتابين وغيرهم
 كما قال تعالى يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقال انزلنا الله جهرة وقال تعالى واذا

واسناده ضعيف والله أعلم ثم قال ابن جرير وحدثني القاسم اخبرنا الحسين سعد ثني ججاج عن ابن جريج اخبرني داود بن أبي عاصم به أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم أين أبو أي قزلت أنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم وهذا مرسل كالذي قبله وقد روي عن محمد بن كعب وغيره في ذلك لاستحالة السك من الرسول صلى الله عليه وسلم في أمر أيوبه واختار القراءة الأولى وهذا الذي سلكه ههنا فيه نظر لاحتمال أن هذا كان في حال استغفاره لا يؤيه قبل أن يعلم أمرهما فلما علم ذلك تبرأ منهما وأخبر عنهما أنهم من أهل النار كما ثبت (٢٨١) هذا في الصحيح ولهذا أشباه كثيرة ونظائر

ولا يلزم ما ذكر ابن جرير والله أعلم وقال الامام أحمد اخبرنا موسى ابن داود حدثنا فليح بن سليمان عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال أجل والله انه لم يوصف في التوراة بصفته في القرآن يأبها النبي أنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرز اللامين وأنت عهدي ورسولي سميتك المتوكل لا تظول ولا غليظ ولا مخناب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله فيفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا انقرض بآخر اجبه البخاري فرواه في البيوع عن محمد ابن سنان عن فليح بنه وقال تابعه عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال وقال سعيد بن هلال عن عطاء عن عبد الله بن سلام ورواه في التفسير عن عبد الله عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال عن عطاء عن عبد الله بن عمرو بن

الخرقي شرحي لمبلغ المرام وأطال الشوكاني الكلام عليه في شرحه للمتنقي فليح جمع اليهما وجه القول في تحريم الخمر ان الله أنزل فيه أربع آيات نزل بكمه ومن غرات الخيل والاعناب يتخذون منه سكراف كان المسلمون يشربونها في أول الاسلام وهي لهم حلال ثم نزل بالمدينة في جواب عمرو ومعاذ هذه الآية فتركها قوم لقوله فيها انتم كبير وشربها قوم اقلوه ومنافع للناس ثم نزل لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فترك قوم شربها في أوقات الصلاة ثم أنزل الله الآية التي في المائدة وذلك بعد غزوة الاحزاب بياض والخرمزد كر وثوث وقال الاصمعي الخمر أنى وأنكر التذكير (والميسر) مصدر ميمي ما خوذ من اليسر وهو وجوب الشيء صاحبه يقال يسر لي كذا اذا وجب والياسر اللادع بالقداح وقال الازهرى الميسر الخمر الذي كانوا يتقامرون عليه سمي ميسرا لانه يجرأ أجزاء فكأنه موضع التجزئة وكل شيء جرأه فقد يسرته والياسر الجازر وقال وهذا الاصل في الياسر ثم يقال للصار بين بالقداح والمتقامرين على الجزور ياسرون لانهم جازرون اذ كانوا سبيل ذلك والمراد بالميسر في الآية قمار العرب بالازلام قال جماعة من السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم كل شيء فيه قمار من زردا وشرنج أو غيرهما فهو الميسر حتى لعب الصبيان بالجزور والكعب الاما يج من الرهان في الخيل والقرعة في افراز الحقوق وقال مالك الميسر ميسران ميسر اللهو وميسر القمار فمن ميسر اللهو النرد والشرنج والملاهي كلها وميسر القمار ما يتخاطر الناس عليه وكل ما قور به فهو ميسر كالطاب والمثقلة والطاولة وغيرها وسما في البحث مطولا في هذا في سورة المائدة عند قوله انما الخمر والميسران شاء الله تعالى (قل فيهما انتم كبير) يعني في الخمر والميسر فأنتم الخمر أي انتم تعاطيها ينشأ من فساد عقل مستعملها فيصدر عنه ما يصدر عن فساد العقل من الخماصة والمشاقة وقول الفحش والزور وتعطيل الصلوات وسائر ما يجب عليه وأما انتم الميسر أي انتم تعاطيها ينشأ عن ذلك من الفقر وذهاب المال في غير طائل والعداوة وإيجاش الصدور (ومنافع للناس) أما منافع الخمر فيج التجارة فيها وقيل ما يصدر عنها من الطرب واللذة والنشاط والفرح وقوة القلب وثبات الجنان وإصلاح المعدة وقوة الباه وتصفيه اللون وجل البخل على الكرم وزوال الهم وهضم الطعام وتشجيع الجنان وقد أشار شعراء العرب الى شيء من ذلك في أشعارهم ومنافع الميسر مصير الشيء الى

(٣٦ ل - فتح البیان) العاص به فذكر نحوه فبعد الله هذا هو ابن صالح كما صرح به في كتاب الادب وزعم ابن مسعود الدمشقي أنه عبد الله بن رجاء وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره هذه الآية من البقرة عن أحمد بن الحسن بن أيوب عن محمد بن أحمد بن البراء عن المعاني بن سليمان عن فليح بنه وزاد قال عطاء ثم لقيت كعب الاحبار فسألته فما اختلفا في حرف الا أن كعبا قال بلغته أعينا عموي وآذانا صموي وقلوبا غلفا (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتسع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولن أتبعن أهواءهم بعد الذي جاء من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير الذين آتيناهم الكتاب يتلوه حق تلاوته

اولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون) قال ابن جرير يعني بقوله جل ثناؤه ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وليست اليهود يا محمد ولا النصارى راضية عندك أبد فندع طلب ما يرضيهم ويوافقهم وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم الى ما بعثك الله به من الحق وقوله تعالى قل ان هدى الله هو الهدى أى قل يا محمد ان هدى الله الذى بعثني به هو الهدى يعني خوالدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل قال قتادة في قوله قل ان هدى الله هو الهدى قال خصومة عليها الله محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه يخاصمون بها (٢٨٢) أهل الضلالة قال قتادة وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كن

يقول لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله (قلت) هذا الحديث يخرج في الصحيح عن عبد الله بن عمرو ولئن اتبع أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير فيه تهديد ووعيد شديد للامة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى بعدما علوا من القرآن والسنة عما ذاب الله من ذلك فان الخطاب مع الرسول والامر لأمته وقد استبدل كثير من الفقهاء بقوله حتى تتبع ملتهم حيث أقر الملة على أن الكفر كاه ملة واحدة كقوله تعالى لكم دينكم ولي دين فعلى هذا لا يتوارث المسلمون والكفار وكل منهم يرث قرينه سواء كان من أهل دينه أم لا لانهم كلهم ملة واحدة وهذا مذهب الشافعي وأبى حنيفة وأحمد في رواية عنه وقال في الرواية الأخرى كقول مالك انه لا يتوارث أهل ملتين شتى كما جاء في الحديث والله أعلم وقوله الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حتى تلاوته

الانسان بغير تعب ولا كد وما يحصل من السرور والارضية عند أن يصير له منها سهم صالح وسهام الميسر احد عشر منها سبعة لها فروض على عدد ما قيم امن الخطر وطوى الفساد والتوأم والرقب والخلس والناقر والمسيل والمعلو والسفح والوعد والضعف والجزور ولا تطول بك علامات وأحوالها (واعلموا كبر من نفعيما) أخبر سبحانه بأن الخمر والميسر وان كان فيه مانع فالأثم الذى يلحق بتعاطيها أكثر من هذا النفع لانه لا خير يساوى فساد العقل الحاصل بالخمر فانه ينشأ عنه من الشرور ما لا يأتي عليه الحصر وكذلك لا خير في الميسر يساوى ما فيه من الخاطرة بالمال والتعرض للفسق واستلاب العداوات المفضية الى سفك الدماء وهتك الحرم وقد وردت في تحريم الخمر ووعيد شاربيها أحاديث كثيرة (ويستأثرون ماذا ينفقون قل العفو) والعفو ما سهل وتيسر ولم يشق على القلب والمعنى أنفقوا ما فضل عن حوائجكم ولم تجيدوا فيه أنفسكم وقيل هو ما فضل عن نفقة العيال وقال جرير العلماء غونفقات التطوع وقيل ان هذه الآية منسوخة بآية الزكاة المفروضة وقيل هي محكمة وفي المال حتى سوى الزكاة وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير الصدقة ما كن عن ظهر غنى وابداً عن تعول وثبت في الصحيح من فروعاً من حديث حكيم ابن حزام وفي الباب أحاديث كثيرة وقيل المعنى خذ الميسر من اخلاق الرجال ولا تستقص عليهم كذلك بين الله لكم الآيات) أى في أمر النفقة ومصارفها (اعلمكم تفكرون في الدنيا والآخرة) أى في أمر خداف تجيبون من أموالكم ما تصلحون به معاش دنياكم وتنفقون الباقي في الوجوه المقربة الى الآخرة وقيل في الكلام تقديم وتأخير أى كذلك بين الله لكم الآيات في الدنيا والآخرة لعلكم تفكرون في الدنيا وزوالها وفي الآخرة وبقاتهم فترغبون عن العاجلة الى الآجلة (ويستأثرون عن اليتامى قل اصلاح لهم خير) هذه الآية نزلت بعد نزول قوله تعالى ولا تقر بوا مال اليتيم وقوله ان الذين ياكلون أموال اليتامى وقد ضاق على الاولياء الامر فنزلت هذه الآية والمراد بالاصلاح هنا مخالطتهم على وجهه الاصلاح لأموالهم فان ذلك أصلح من محابتهم وفي ذلك دليل على جواز التصرف في أموال اليتامى من الاولياء وان وصياء بالبيع والمضاربة والأجارة ونحو ذلك وقيل ان يوسع على اليتيم من طعام نفسه ولا يوسع عليه من طعامه

قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة هم اليهود والنصارى وخو قول عبد الرحمن بن زيد

ابن أسلم واختاره ابن جرير وقال سعيد عن قتادة هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا ابراهيم بن موسى وعبد الله بن عمران الاصبهاني قال أخبرنا يحيى بن يمان حدثنا اسامة بن زيد عن أبيه عن عمر بن الخطاب يتلونه حتى تلاوته قال اذا هر بك الجنة سألت الله الجنة واذا مرت بك النار تعوذ بالله من النار وقال أبو العالية قال ابن مسعود الذى نفسى بيده ان حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقرأ كما أنزل الله ولا يحرف الكلم عن مواضعه

ولا يأتول منه شيأ على غير تأويله وكذا روى عنه عبد الرزاق عن معمر بن قنادة ومنصور بن المعتمر عن ابن مسعود قال السدي عن أبي مالك عن ابن عباس في هذه الآية قال يحملون حلاله ويحرمون حرامه ولا يحرفونه عن مواضعه قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن مسعود نحوه ذلك وقال الحسن البصري يعملون بحكمه ويؤمنون بتشابهه ويكونون ما أشكل عليهم إلى عالمه وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبو زرعة أخبرنا إبراهيم بن موسى أخبرنا ابن أبي زائدة أخبرنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس في قوله لا يؤمنون حق تلاوته قال يتبعونه حتى أتباعه ثم قرأ والقمر إذا تلاها يقول أتبعها (٢٨٣) قال وروى عن عكرمة وعطاء ومجاهد

وأبى رزین و ابراهیم الخنقی نحو
ذلك وقال سفيان الثوري أخبرنا
زبيد عن مرة عن عبد الله بن
مسعود في قوله يتلونه حق تلاوته
قال يتبعونه حق اتباعه قال
القرطبي وروى نصر بن عيسى
عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن
النبي صلى الله عليه وسلم في قوله
يتلونه حق تلاوته قال يتبعونه حق
اتباعه ثم قال في اسناد غير واحد
من المجتهدين فيما ذكره الخطيب
الآن معناه صحيح وقال أبو موسى
الاشعري من يتبع القرآن يهبط
به على رياض الجنة وعن عمر بن
الخطاب هم الذين اذا امروا بأية
رجعة سألوها من الله واذا امروا
بأية عذاب استعاضوا منها قال
وقد روى هذا المعنى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه كان اذا
مر بأية رجعة سأل واذا امر بأية
عذاب تعوذ وقوله أولئك
يؤمنون به خبر عن الذين آتيناها
الكتاب يتلونه حق تلاوته أى من
أقام كتابه من أهل الكتب المنزل
على الأنبياء المتقدمين حتى أقاموا
آمن بما أرسلناك به بما نجد كما قال

ولا يأخذ أجرة ولا عوضا على إصلاح أمواله (وان تخاطبهم فاخوانكم) اختلف في تفسير الخاططة لهم فقال أبو عبيدة مخاطبة السامع أن يكون لأحدكم المال ويشق على كافلة أن يفرط عامه عنه ولا يجسد به أمن خطبه بعياله فيأخذ من مال اليتيم ما يرى أنه كافيه بالبحرى فيجعله مع نفقة أهله وهذا قد تقع فيه الزيادة والنقصان فدلّت هذه الآية على الرخصة وهي ناسخة لما قبلها وقيل المراد بالخاططة المعاشرّة للإيتام وقيل المراد بها المصاهرة لهم والأولى عدم قصر الخاططة على نوع خاص بل يشمل كل مخاطبة كما يستفاد من الجملة الشرطية والتقدير فهم اخوانكم في الدين (والله يعلم المفسد) لاموالهم بخاططته (من المصلح) بها تحذير للاولياء أى لا يتخفى على الله من ذلك شيء فهو يجازى كل أحد بعمله من أصلح فلنفسه ومن أقسده فعليه بافقيه وعدو وعيد خلا أن في تقديم المفسد مزيد تهديد وتاكيد لاوعيد (ولو شاء الله لا غنتكم) أى جعل ذلك شاقا عليكم ومنعبا لكم وأوقعكم فيما فيه الحرج والمشقة وقيل الغنت هنا معناه الهلاك قاله أبو عبيدة وأصل الغنت المشقة وقال ابن الأنباري أصل الغنت التشديد ثم نقل الى معنى الهلاك (ان الله عزيز) أى لا يتسرع عليه شيء لانه غالب لا يغلب (حكيم) يتصرف في ملكه بما تقتضيه مبادئه وحكمته وليس لكم ان تختاروا ولا تنفكم (ولا تشكوا للمشركات) أى لا تترجوا والمراد بالنكاح العقد لا الوطء حتى قيل انه لم يرد في القرآن بمعنى الوطء أصلا (حتى يؤمن) حتى بمعنى الى أى الى يؤمن وفي هذه الآية النهي عن نكاح المشركات فقيل المراد بها الوثنيات وقيل انها اثم الكتابيات لان أهل الكتاب مشركون قالت اليهود وعزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقد اختلف أهل العلم في هذه الآية فقالت طائفة ان الله حرم نكاح المشركات فيها والكتابيات من الجملة ثم جاءت آية المائدة فخصت الكتابيات من هذا العموم ومحمد المحمدي عن ابن عباس ومالك وسفيان بن سعيد وعبد الرحمن بن عمرو والاوزاعي وذهب طائفة الى أن هذه الآية ناسخة لآية المائدة وأنه يحرم نكاح الكتابيات والمشركات وهذا أحد قولى الشافعي وبه قال جماعة من أهل العلم وينجى عن قولهم ان هذه الآية ناسخة لآية المائدة بان سورة البقرة من أول منازل وسورة المائدة من آخر منازل والقول الاول هو الراسخ وقد قال به مع من تقدم عثمان بن عفان وطخوذ جابر وحذيفة وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير

تعالى ولولا أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لآكوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم الآية وقال قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم أى اذا أقموا حق الإقامة وأدنتم بها حق الايمان وصدقتم ما فيها من الاخبار بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم ونعمته وصفته والامر باتباعه ونصره وموازنته فادكم ذلك الى الحق واتباع الخبر في الدنيا والآخرة كما قال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والانجيل الآية وقال قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين أولوا العلم من قبله اذ انبأ الى عليهم يحذرون للذقان سجدوا ويقولون سبحان ربنا ان

كان وعد ربنا له ولا أي ان كان ما وعدنا به من شأن محمد صلى الله عليه وسلم لواقعنا. وقال تعالى الذين آمنوا هم الكتاب من قبله هم به
يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آتاهم الله الحق من ربنا اننا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتوا أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن
بالجنة السينة وما رزقناهم ينفقون وقال تعالى وقل للذين آمنوا والذين آمنوا من قبلهم ان لا يؤمنوا بغير ما آمنوا به ولا يؤمنوا
عليك البلاغ والله بصير بالعباد ولهذا قال تعالى ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون كما قال تعالى ومن يكفر به من الاسراب
فالنار موعده وفي الصحيح والذي نفسي بيده لا يسمع في أحد من هذه الامة يهودى ولا نصرانى ثم لا يؤمن بي

الادخل النار (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم
وأني فضلتكم على العالمين واتقوا
يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا
ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها
شفاعة ولا هم ينصرون) قد تقدم
نظير هذه الآية في صدر السورة
وكررت ههنا للتأكيده والحث
على اتباع الرسول النبي الاحي
الذي يجدون صفته في كتبهم ونعمته
واسمه وأمره وأتمه فذكرهم
من كتمان هذا وكتمان ما أنعم به
عليهم وأمرهم أن يذكروا نعمته
الله عليهم من النعم الدينية
والدنية ولا يحسدوا بني عمهم
من العرب على ما رزقهم الله من
ارسل الرسول الخاتم منهم ولا
يحملهم ذلك الحسد على مخالفته
وتكذيبه والحيد عن موافقته
صاوات الله وسلامه عليه دائما الى
يوم الدين (واذا نزل ابراهيم
بكلمات فاتمهن قال اني جاعلكم
لناس اماما قال ومن ذريتي قال
لا ينال عهدى الظالمين) يقول
تعالى منها على شرف ابراهيم
خلده عليه السلام وأن الله تعالى

والحسن وطاوس وعكرمة والشعبي والغضائلي كما حكاها النحاس والقرطبي وقد حكاها ابن
المنذر عن المذكورين وزاد عمر بن الخطاب وقال لا يصح عن أحد من الاولين انه سرم
ذلك وقال بعض أهل العلم ان لفظ المشرك لا يتناول أهل الكتاب لقوله تعالى ما يؤد الذين
كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين. وعلى فرض أن لفظ المشركين يعنى فهذا العموم
مخصوص بآية المائدة كما قدمنا من مقاتل بن حيان قال نزات هذه الآية في أي مرثد
الغزوى استأذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عناق أن يتزوجها وكانت ذات حظ
من جمال وهي مشركة وأبو هريرة يومئذ مسلم فقال يا رسول الله انهم اتجسسوني فأمرني الله
ولا تنكحوا المشركات أخرجه ابن أبي حاتم وابن المنذر وأخرج البخاري عن ابن عمر
قال حرم الله نكاح المشركات على المسلمين ولا أعرف شيئا من الاشراك أعظم من أن
تقول المرأة ربها عيسى أو عبد من عباد الله (ولامة مؤمنة خير من مشركة) أي ولقيقة
مؤمنة أنفع وأصلح وأفضل من حرة مشركة. وقيل المراد بالامة الحرة لان الناس كلهم
عبيد الله وامأوه والاول أولى لانه الظاهر من اللفظ ولانه أبلغ فان تفضل الامة المؤمنة
على الحرة المشركة يستفاد منه تفضل الحرة المؤمنة على الحرة المشركة بالاولى قال ابن
عزقة يبي التفضل في كلامهم ايجابا للاول ونفيًا عن الثاني فعلى هذا لا يلزم وجود خير
في المشركة مطلقا (ولو أعجبكم) المشركة من جهة كونها ذات جمال أو مال أو نسب
أو شرف وهذه الجملة حالية قال السيوطي وهذا مخصوص بغير الكتابيات بآية
والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب (ولا تنكحوا المشركين) أي لا تزوجوا الكفار
بالمؤمنات خطاب الاولياء (حتى يؤمنوا) قال القرطبي وأجعت الامة على أن المشرك
لا يبط المؤمنة بوجه ما في ذلك من الغضاضة على الاسلام (ولعبد) الكلام فيه كالكلام
في قوله ولائمة والترجيح كالترجيح (مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم) أي بحسبه وجماله
ونسبه وماله (أولئك) إشارة الى المشركين والمشركات (يدعون الى النار) أي الى الاعمال
الموجبة للنار فكان في مصاهرتهم ومعاشرتهم ومصاحبتهم من الخطر العظيم ما لا يجوز
للمؤمنين أن يتعرضوا له ويدخلوا فيه (والله يدعوا الى الجنة والمغفرة) أي الى الاعمال
الموجبة للجنة. وقيل المراد أن أولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة (بآذنه) أي بأمره
قاله الزجاج. وقيل بتيسيره وتوفيقه قاله في الكشف فجب اجابته بالتزويج من أوليائه

جعله اماما للناس يقتدى به في التوحيد حين قام بما كلفه الله تعالى به من الاوامر والنواهي ولهذا قال واذا يتلى
ابراهيم ربه بكلمات أي واذا كرى محمد لهؤلاء المشركين وأهل الكتابين الذين يتحلون مله ابراهيم وليسوا عليها وانما الذي هو
عليه مستقيم فانت والذين معك من المؤمنين اذ كل هؤلاء ابتلاء الله ابراهيم أي اختباره له بما كلفه به من الاوامر والنواهي
فاتمهن أي قام بهن كهن كما قال تعالى وابراهيم الذي وفى أي وفى جميع ما شرع له فعمل به صاوات الله عليه وقال تعالى ان
ابراهيم كان امة فالت الله حنفا ولم يكن من المشركين شاكر الانعمه اجتباها وهداها الى صراط مستقيم وآتاهم في الدنيا حسنة وانه

في الآخر قلن الصالحين ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم خنيفا وما كان من المشركين وقال تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان خنيفا مسلما وما كان من المشركين ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين وقوله تعالى بكلمات أي بشرائع وأوامر وفواه فان الكلمات تطلق ويراد بها الكلمات القدسية كقوله تعالى عن مريم عليها السلام وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين وتطلق ويراد بها الشرعية كقوله تعالى وقت كذبتك صدقا وعدلا أي كلماته الشرعية وهي اما خبر صدق واما طلب عدل ان (٢٨٥) كان أمرا أو نهيا ومن ذلك هذه الآية

الكريمة واذا تسلى ابراهيم ربه بكلمات فاتهن أي قام بهن قال اني جاعلك للناس اماما أي جزاء على ما فعل كما قام بالاوامر وترك الزواجر جعده الله للناس قدوة واماما يقتدى به ويحتذى حدوه وقد اختلف في تعيين الكلمات التي اختبر الله بها ابراهيم الخليل عليه السلام فروى عن ابن عباس في ذلك روايات فقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال ابن عباس اتلاه الله بالملك وكذا رواه أبو اسحق السبيعي عن التميمي عن ابن عباس وقال عبد الرزاق أيضا أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس واذا تسلى ابراهيم ربه بكلمات قال اتلاه الله بالظاهرة خمس في الرأس وخمس في الجسد في الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وحلق وفرق الرأس وفي الجسد تقليم الاظفار وحلق العانة والختان وتنف الابط وغسل أثر الغائط والبول بالماء قال ابن أبي حاتم وروى عن سعيد بن المسيب ومجاهد والشعبي والبخاري

وهم المسلمون (ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون) أي يوضح أدلته وبيجه في أوامره ونواهيه وأحكامه لعلهم يتعظون (ويستأثرونك عن المحيض) السائل أبو الدحداح في نفر من الصحابة والمحيض هو الحيض وهو مصدر ميمي يقال حاضت المرأة حيضا ومحيمضا فهي حائض وحائضة كذا قال القراء ونساء محيض وحوائض والحيضة بالكسر المرة الواحدة وقيل الاسم وقيل المحيض عبارة عن الزمان والمكان وهو مجاز فيهما وقال ابن جرير الطبري المحيض اسم الحيض أي الحدث وأصل هذه الكلمة من السيلان والانفجار يقال حاض السيل وفاض وحاضت الشجرة أي سالت رطوبتها ومنه الحوض لان الماء يحوض اليه أي يسيل (قل هو أذى) أي شيء يتأذى به أي براءتته والأذى كناية عن القذرا ومجمله ويطلق على القول المكروه ومنه قوله تعالى ولا تطاولوا صدفاتكم بالمن والأذى ومنه قوله تعالى ودع أذاهم (فاعتزلوا النساء في المحيض) أي فاجتنبوهن واتركوا وطأهن في زمان الحيض ان حمل المحيض على المصدر أو في محل الحيض ان حمل على الاسم والمراد من هذا الاعتزال ترك الجماعة لترك الجمالسة أو الملايسة فان ذلك جائز بل يجوز الاستمتاع منها بما عدا الفرج أو بما دون الأزار على خلاف في ذلك وأما ما روى عن ابن عباس وعبيدة السلماني أنه يجب على الرجل ان يعتزل فراش زوجته اذا حاضت فليس ذلك بشيء ولا خلاف بين أهل العلم في تحريم وطء الحائض وهو معلوم من ضرورة الدين وقد أخرج مسلم وأهل السنن وغيرهم عن أنس ان اليهود كانوا اذا حاضت المرأة منهم أخرجوها من البيت ولم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها في البيوت فسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك فأمر الله ويستأثرونك عن المحيض الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تؤسلم جامعوهن في البيوت واصنعوا كل شيء الا النكاح (ولا تقر بهن) بالجماع (حتى يظهرن) قرى بالتحفيف والتشديد والظهر انقطاع الحيض والتطهر بالاغتسال وبسبب اختلاف القراء اختلف أهل العلم فذهب الجمهور الى أن الحائض لا يحل وطؤها لزوجه حتى تطهر بالماء وقال محمد بن كعب القرظي ويحيى بن بكير اذا ظهرت الحائض وتيممت حيث لاماء حلت لزوجه وان لم تغتسل وقال مجاهد وعكرمة ان انقطاع الدم يحلها لزوجه ولكن تنوضا وقال أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد ان انقطع دمها بعد مضي عشرة أيام جازله أن يطأها قبل الغسل وان كان انقطاعه قبل العشرة لم يجز حتى تغتسل أو يدخل

وأبي صالح وأبي الجلاء نحو ذلك (قلت) وقريب من هذا ما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر من الفطرة قص الشارب واعفاء البهية والسواك واستنشاق الماء وقص الاظفار وغسل البراجم وتنف الابط وحلق العانة واتقاص الماء قال مصعب ونسيت العشرة الا ان تكون المضمضة قال وكيع انتقاص الماء يعني الاستنجاء وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الفطرة خمس الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظفار وتنف الابط ولفظه لمسلم وقال ابن أبي حاتم أنابا بن نونس بن عبد الاعلى قراءة أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن لبيعة عن ابن هبيرة عن

حدثني بن عبد الله الصنعاني عن ابن عباس أنه كان يقول في تفسير هذه الآية وإذا أتى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال عشر
ست في الإنسان وأربع في المشاعر فاما التي في الإنسان خلق العانة وتنف الابط والحنان وكان ابن عسيرة يقول هؤلاء الثلاثة
واحدة (١) وتقليم الاظفار وقص الشارب والسوا وغسل يوم الجمعة والاربعة التي في المشاعر الطواف والسعي بين الصفا والمروة
وروي الجمار والافاضة وقال داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس انه قال ما أتى به هذا الدين أحد فقام به كله الا ابراهيم
قال الله تعالى وإذا أتى إبراهيم ربه بكلمات (٢٨٦) فاتمهن قلت له وما الكلمات التي أتى الله ابراهيم بهن فاتمهن قال

الاسلام ثلاثون ثم ما منها عشر
آيات في براءة التائبون العابدون
الى آخر الآية وعشر آيات في
أول سورة قدا فلع المؤمنون وسأل
سائل يعذاب واقع وعشر آيات في
الاحزاب ان المسلمين والمسلمات
الى آخر الآية فاتمهن كلين
نكتبت له براءة قال الله و ابراهيم
الذي وفي قال هكذا رواه الحاكم
وأبو جعفر بن جرير وأبو محمد بن
أبي حاتم بإسنادهم الى داود بن
أبي هند بن وهذا لفظ ابن أبي حاتم
وقال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي
محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن
عباس قال الكلمات التي أتى
الله بهن ابراهيم فاتمهن فراق قومه
في الله حين أمر بفراقهم ومحاботه
نمرود في الله حين وقفه على موقفه
عالمه من خطر الامر الذي فيه
خلافهم وصبره على قذفهم اياه في
النار ليحرقوه في الله على هول ذلك
من أمرهم والهجرة بعد ذلك من
وطنه وبلاده في الله حين أمره
بالخروج عنهم وما أمره به من
الضباقة والصبر عليه بنفسه وماله
وما أتى به من ذبح ابنه حين أمره

عليها رقت صلاة وقدر سج ابن جرير الطبري قراءة التشديد والاولى أن يقال ان الله
سجانه جعل للعل غائبين كما تقتضيه القراءة فان احدهما انقطاع الدم والاخرى التطهير منه
والغاية الاخرى مشتملة على زيادة على الغاية الاولى فيجب المصير اليها وقد دل على أن الغاية
الاخرى هي المعبرة قوله تعالى بعد ذلك (فإذا تطهروا) فان ذلك يفيد أن المعبر التطهير
لا مجرد انقطاع الدم وقد تقرر ان القراءة بتين بمنزلة الآيتين فكأنه يجب الجمع بين الآيتين
المشتملة احدهما على زيادة قوا العمل بتلك الزيادة كذلك يجب الجمع بين القراءتين
(فاتمهن من حيث أمركم الله) أي فقامعوهن وكفى عنه بالبيان والمراد انهم بجامعوهن
في المأني الذي أباحه الله وهو القبل وقيل من حيث بمعنى في حيث كف في قوله تعالى اذا نودي
للصلاة من يوم الجمعة أي في يوم الجمعة وقوله ماذا خلقوا من الارض أي في الارض وقيل
ان المعنى من الوجه الذي أذن الله لكم فيه أي من غير صوم و احرام واعتكاف وقيل
ان المعنى من قبل الطهر لان من قبل الحيض وقيل من قبل الحلال لان من قبل الزنا ان الله
يجب التواين ويجب المتطهرين) قيل المراد التواين من الذنوب والمتطهرون من
الجنابة والاحداث وقيل التواين من اتيان النساء في أدبارهن وقيل من اتيانهن في
المحض والاول أظهر (نساؤكم حرث لكم) لفظ الحرث يفيد أن الاباحه لم تقع الا في
الفرج الذي هو القبل خاصة اذ هو من درع الذرية كما أن الحرث من درع النبات فقد شبه
ما يلقى في أرحامهن من النطف التي منها النسل بما يلقى في الارض من البذور التي منها النبات
بجامع ان كل واحد منهما مادة لما يحصل منه وهذه الجملة بيان للجملة الاولى أعني قوله
فاتمهن من حيث أمركم الله (فاتوا حرثكم) أي محل زرعكم واستنبأكم الزاود وهو القبل
وهذا على سبيل التشبيه فجعل فرج المرأة كالارض والنطفة كالبدن والولد كالزراع (أي
شتم) أي من أي جهة شتمتم من خلف وقدام وباركة ومستلقية ومضطجعة وقائمة وقاعدة
ومقبلة ومدمبرة اذا كان في موضع الحرث وانما عبر سبحانه بكلمة أي لكونها أعم في اللغة
من أين وكيف ومتى وأما سيويه ففسرها بكيف وقد ذهب السلف والخلف من الصحابة
والتابعين والائمة الى ما ذكرناه من تفسير الآية وان اتيان الزوجة في دبرها حرام وروي
عن سعيد بن المسيب ونافع وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وعبد المالك بن المبارك
انه يجوز ذلك حكاه عنهم القرظي في تفسيره قال وحكي ذلك عن مالك في كتابه ليسمي

بذبحه فلما مضى على ذلك من الله كله وأخلصه للبلاء قال الله له اسلم قال أسلمت لرب العالمين على ما كان من خلاف كتاب
الناس وفراقهم وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبو سعيد الأشج أخبرنا اسمعيل بن علية عن أبي رجاء عن الحسن يعني البصري وإذا أتى
ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال ابتلاه بالكوكب فرضى عنه وابتلاه بالقمر فرضى عنه وابتلاه بالشمس فرضى عنه وابتلاه
بالهجرة فرضى عنه وابتلاه بالحنان فرضى عنه وابتلاه بانه فرضى عنه وقال ابن جرير أخبرنا بشر بن معاذ أخبرنا يزيد بن زريع
(١) قوله وتقليم الاظفار الخ كذا في النسخ التي بأيدينا والمعدود خمسة على قول ابن عسيرة وسبعة على قول غيره فالمعدود على كل حال
غير ظاهر وقوله بعد فلما مضى على ذلك الخ فيه ما يحتاج الى تأمل اه صححه

أخبرنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول إني والله لقد ابتلاه بامر قنبر عليه ابتلاه بالكوكب والشمس والقمر فاحسن في ذلك وعرف أن ربه دائم لا يزول فوجد وجهه للذي فطر السموات والأرض خنيقا وما كان من المشركين ثم ابتلاه بالهجرة فخرج من بلاده وقومه حتى لحق بالشام مهاجرا إلى الله ثم ابتلاه بالنار قبل الهجرة فصر على ذلك وابتلاه بذيح ابنه والختان فصر على ذلك وقال عبد الله بن زريق أخبرنا عن عمر بن عبد الله بن عمر عن سمع الحسن يقول في قوله وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات قال ابتلاه الله بذيح ولده وبالنار والكوكب والشمس والقمر وقال أبو جعفر بن جرير أخبرنا ابن بشار أخبرنا مسلم بن قتيبة أخبرنا أبو هلال عن الحسن وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات قال ابتلاه بالكوكب والشمس والقمر فوجدته (٢٨٧) صابرا وقال العوفي في تفسيره عن ابن عباس وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات

فأتتهن فتهن قال إني جاعلك للناس إماما ومنهن وأذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل ومنهن الآيات في شأن المنسك والمقام الذي جعل لإبراهيم والرزق الذي رزق ساكنو البيت ومحمد بعث في دينهما وقال ابن أبي حاتم أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح أخبرنا شاذان عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتتهن قال الله لإبراهيم إني مبتليك بأمر فمنها هو قال تجعل علي للناس إماما قال نعم قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين قال تجعل البيت مشابة للناس قال نعم قال وأمننا قال نعم قال تجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك قال نعم قال وترزق أهلنا من الثمرات من آمن منهم بالله قال نعم قال ابن أبي نجيح سمعته عن عكرمة فعرضته على مجاهد فلم يشكره وهكذا رواه ابن جرير عن غير وجهه عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح

كتاب السر وحذاق أصحاب مالك ومشايعهم يشكرون ذلك الكتاب ومالك أجمل من أن يكون له كتاب سر ووقع هذا القول في العتبية وذكر ابن العربي أن ابن شعبان أسند جواز ذلك إلى زمرة كثيرة من الصحابة والتابعين وإلى مالك من روايات كثيرة في كتاب ججاج النسوان وأحكام القرآن قال الطحاوي روى أصبغ بن الفرج عن عبد الرحمن بن القاسم قال ما أدركت أحدا أقتدى به في ديني شك في أنه حلال بعني وطء المرأة في دبرها ثم قرأ نسأؤكم حرث لكم ثم قال فأي شيء أبين من هذا وقد روى الحاكم والدارقطني والخطيب البغدادي عن مالك من طرق ما يقتضي إباحة ذلك وفي أسانيدنا ضعف وقد روى الطحاوي عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أنه سمع الشافعي يقول ما صبح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تحليله ولا تحريمه شيء والقياس أنه حلال وقد روى ذلك أبو بكر الخطيب قال ابن الصباغ كان الربيع يحلف بالله الذي لا اله الا هو لقد كذب ابن عبد الحكم على الشافعي في ذلك فإن الشافعي نص على تحريمه في ستة كتب من كتبه وأخرج البخاري ومسلم وأهل السنن وغيرهم عن جابر قال كانت اليهود تقول إذا أتى الرجل امرأته من خلفها في قبليها ثم حلت جاء الولد أحول فسننات نسأؤكم حرث لكم فأؤاخرتكم أني شئت أن شاء محببة وإن شاء غير محببة غير أن ذلك في صمام واحد وقد روى هذا عن جماعة من السلف وصرحوا أنه السبب والصمام السبيل وأخرج أحمد وعبد بن حميد والترمذي وحسنه والنسائي والضياء في المختارة وغيرهم عن ابن عباس قال جاء عمر إلى رسول الله فقال يا رسول الله هلكت قال وما أهلكك قال حوأت رجلي الليلة فلم يرد عليه شيئا فوحي الله إلى رسوله هذه الآية نسأؤكم حرث لكم يقول أقبل وأدبر واتق الدبر والخبيضة وأخرج الشافعي في الام وابن أبي شيبة وأحمد والنسائي وابن ماجه وابن المنذر والبيهقي في سننه من طريق خزيمة بن ثابت أن سائلا سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن إتيان النساء في أدبارهن فقال حلال أو لا بأس فلما ولى دعاه فقال كيف قلت آمن دبرها في قبلها فأمع أم من دبرها في دبرها فلا إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن وأخرج ابن أبي شيبة والترمذي وحسنه والنسائي وابن حبان عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينظر الله إلى رجل أتى امرأته في الدبر وأخرج أحمد والبيهقي في سننه عن ابن عمر وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الذي يأتي

عن مجاهد وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتتهن قال ابتلى بالآيات التي بعثها إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات قال الكلمات إني جاعلك للناس إماما وقوله وأذ جعلنا البيت مشابة للناس وأمننا وقوله واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقوله وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل الآية وقوله وأذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل الآية قال فذلك كله من الكلمات التي ابتلى بها إبراهيم وقال السبكي الكلمات التي ابتلى بها إبراهيم ربه بناتقبل منالك أنت السميع العليم ربنا وأجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة

مسلمة ك ر بنا وبعث فيهم رسولا منهم وقال القرطبي وفي الموطأ وغيره عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول ابراهيم عليه السلام أول من اختن وأول من ضاق الضيف وأول من قلم أظفاره وأول من قص الشارب وأول من شاب فلما رأى السيب قال ما هذا قال وقار قال يارب زدني وقارا وذكرا بن أبي شيبة عن سعد بن ابراهيم عن أبيه قال أول من خطب على المنابر ابراهيم عليه السلام قال غيره وأول من يرد البريد وأول من ضرب بالسيف وأول من استاك وأول من استنجد بالماء وأول من لبس السراويل وروى معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن اتخذ المنبر فقد اتخذ أبا ابراهيم

وان اتخذ العصافير اتخذها أبي ابراهيم (قلت) هذا الحديث لا يثبت والله أعلم ثم شرع القرطبي يتكلم على ما يتعلق بهذه الاشياء من الاحكام الشرعية قال أبو جعفر بن جرير ما حاصله انه يجوز أن يكون المراد بالكلمات جميع ما ذكرنا أن يكون بعض ذلك ولا يجوز الجزم بشئ منها أنه المراد على التعمين بالجديث أو أجماع قال ولم يصح في ذلك خبر ينقل الواحد ولا ينقل الجماعة الذي يجب التسليم له قال غير واحد انه قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في نظير معنى ذلك خبران أحدهما ما حدثنا به أبو كريب أخبرنا راشد بن سعد حدثني زيان ابن قائد عن سهل بن معاذ بن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول ألا أخبركم لم سمي الله ابراهيم خليله الذي وفي لانه كان يقول كلما أصبح وكلما أمسى سبحان الله حين تمشون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشما وحين تظهرون الى آخر الآية قال والاخر منهما ما حدثنا به أبو كريب أخبرنا الحسن بن عطية أخبرنا اسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي امامة قال قال الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم و ابراهيم الذي وفي قال أنذرون ما وفي قالوا الله ورسوله أعلم قال وفي عمل يومه أربع ركعات في النهار ورواه آدم في تفسيره عن حماد بن سلمة وعبد بن حميد عن يونس بن محمد عن حماد بن سلمة عن جعفر بن الزبير ثم شرع ابن جرير يضعف هذين الحديثين وهو كما قال فانه لا يجوز روايتهما الا ببيان ضعفهما وضعفهما من وجوه عديدة فان كلاما من السندين مشتمل على غير واحد من الضعفاء مع ما في متن الحديث مما يدل على ضعفه والله أعلم ثم قال ابن جرير ولو قال قائل ان الذي قاله

امرأته في دبرها هي اللوطية الصغرى وأخرج أحمد وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ملعون من أتى امرأته في دبرها وقد ورد النهي عن ذلك من طرق وقد ثبت في ذلك عن جماعة من الصحابة والتابعين مرفوعا وموقوفا وقد روى القول بجل ذلك عن بعضهم كما قدمنا وليس في أقوال هؤلاء حجة البتة ولا يجوز لأحد أن يعمل على أقوالهم فانهم لم يأتوا بدليل يدل على الجواز فنزعم منهم أنه فهم ذلك من الآية فقد أخطأ في فهمه وقد فسر هالناس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأكابر أصحابه بخلاف ما قاله هذا المخطئ في فهمه كائنا من كان ومن زعم منهم أن سبب نزول الآية أن رجلا أتى امرأته في دبرها فليس في هذا ما يدل على ان الآية أحلت ذلك ومن زعم ذلك فقد أخطأ بل الذي تدل عليه الآية ان ذلك حرام فكأن ذلك هو السبب لا يستلزم ان تكون الآية نازلة في تحريمه فان الآيات النازلة على أسباب تأتي تارة بتحليل هذا وتارة بتحريمه (وقدموا الانفسكم) أي خيرا كما في قوله تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله وقيل ابتغاء الولد وقيل التزويج بالعفاف وقيل التسمية والدعاء عند الجماع وقيل غير ذلك (واتقوا الله) فيه تحذير عن الوقوع في شئ من المحرمات (واعلموا أنكم ملائكة) بالبعث مبالغة في التحذير (وبشر المؤمنين) الذين اتقوا بالجنة تأنيس لمن يفعل الخير ويحسب الشر (ولا تجعلوا الله) أي الحلف به (عرضة ليمانكم) العرضة النسبة قاله الجوهري وقيل العرضة الشدة والقوة ومنه قولهم للمراة عرضة للنكاح اذا صلحت له وقويت عليه وأفلا ن عرضة أي قوة وتطلق العرضة على اليمين ويقال فلان عرضة للناس لا يرزقون يقعون فيه فعلى المعنى الذي ذكره الجوهري أن العرضة النسبة كالغرفة يكون ذلك اسم لما تعرضه دون الشئ أي يجعله حائرا له وما نعامه أي لا تجعلوا الله حائرا وما نعامه حلفهم عليه وذلك لان الرجل كان يحلف على بعض الخير من صلة الرحم أو احسان الى الغير أو اصلاح بين الناس بان لا يفعل ذلك ثم يتعصم من فعله مع الا لذلك الامتناع بانه قد حلف أن لا يفعل وهذا المعنى هو الذي ذكره الجمهور في تفسير الآية فنهاهم الله أن يجعلوا عرضة ليمانهم أي حائرا لما حلفوا عليه وما نعامه وسمى الخلق عليه التمسك باليمين وعلى هذا يكون قوله (أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) عطف بيان لايمانكم أي لا تجعلوا الله مانعا للايمان التي هي بركم وتقواكم واصلحكم بين

كريب أخبرنا الحسن بن عطية أخبرنا اسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي امامة قال قال الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم و ابراهيم الذي وفي قال أنذرون ما وفي قالوا الله ورسوله أعلم قال وفي عمل يومه أربع ركعات في النهار ورواه آدم في تفسيره عن حماد بن سلمة وعبد بن حميد عن يونس بن محمد عن حماد بن سلمة عن جعفر بن الزبير ثم شرع ابن جرير يضعف هذين الحديثين وهو كما قال فانه لا يجوز روايتهما الا ببيان ضعفهما وضعفهما من وجوه عديدة فان كلاما من السندين مشتمل على غير واحد من الضعفاء مع ما في متن الحديث مما يدل على ضعفه والله أعلم ثم قال ابن جرير ولو قال قائل ان الذي قاله

بجاهد وابوصالح والربيع بن أنس أولى بالصواب كان مذهبا لأن قوله أني جاعلك للناس اماما وقوله وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل
أن طهرا بيتي للطائفين بالآية وسائر الآيات التي هي نظير ذلك كالبيان عن الكلمات التي ذكر الله أنه ابتلى بهن ابراهيم (قلت)
والذي قاله أولامن أن الكلمات تشبه جميع ما ذكر أقوى من هذا الذي جوزوه من قول مجاهد ومن قال مثله لأن السياق يعطى
غير ما قالوه والله أعلم وقوله قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين لما جعل الله ابراهيم اماما سأل الله أن تكون الأئمة من
بعده من ذريته فأجيب الى ذلك وأخبر أنه سيكون من ذريته ظالمون (٢٨٩) وأنه لا ينالهم عهد الله ولا يكونون أئمة فلا

الناس ويتعلق قوله لا إيمانكم بقوله لا تجعلوا أى لا تجعلوا الله لا إيمانكم مانعا وحاجزا
ويجوز أن يتعلق بعرضه أى لا تجعلوا شأنا معترضاً بينكم وبين البر وما بعده وعلى المعنى
الثاني وهو أن العرضة الشدة والقوة يكون معنى الآية لا تجعلوا الذين بالله قوة لأنفسكم
وعدة في الامتناع من الخير ولا يصح تفسير الآية على المعنى الثالث وهو تفسير العرضة
بالهمة وأما على المعنى الرابع وهو قولهم فلان عرضة للناس فيكون معنى الآية عليه
ولا تجعلوا الله معرضاً لإيمانكم فتبذلونه بكثرة الحلف به ومنه واحفظوا إيمانكم
وقد ذم الله المكثرين للحلف فقال ولا تطع كل حلاف مهين وقد كانت العرب تتماح
بقوله الإيمان فيكون قوله أن تبروا عله للنهي أى لا تجعلوا الله معرضاً لإيمانكم إرادة أن
تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس لأن من يكثر الحلف بالله يجترى على الخنث ويفجر في
يمينه وقد قيل في تفسير الآية أقوال هي راجعة الى هذه الوجوه التي ذكرناها (والله
سميع) أى لا قول العباد (عليهم) بما يصدر منهم وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة في
الصحيين وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من حلف على يمين فرأى غيرها
خيراً منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه وثبت أيضاً في الصحيحين وغيرهما أن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال والله أن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً
منها إلا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني وأخرج ابن ماجه وابن جرير عن عائشة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حلف على يمين قطيعة رحم أو معصية
فدبر أن يحث فيها ويرجع عن يمينه وفي الباب أحاديث (لا يؤخذكم الله باللغو في
إيمانكم) (اللغو مصدراً للغواو لغايلغي لغيا إذا أتى بما لا يحتاج اليه في الكلام
أو بما لا خير فيه وهو الساقط الذي لا يعتد به فاللغو من اليمين هو الساقط ومنه اللغو في
الدية وهو الساقط الذي لا يعتد به من أولاد الأبل ومعنى الآية لا يعاقبكم الله بالساقط
من إيمانكم (ولكن يؤخذكم) أى يعاقبكم بما كسبت قلوبكم) أى اقترفته بالقصد
اليه وهي اليمين المقصودة ومثله قوله تعالى ولكن يؤخذكم بما عقدتم الإيمان وقد
اختلف أهل العلم في تفسير اللغو فذهب ابن عباس وعائشة وجهور العلماء الى أنه قول
الرجل لا والله وبلى والله في حديثه وكلامه غير معتقد لليمين ولا يريد لها قال المروزي
هذا معنى لغو اليمين الذي اتفق عليه عامة العلماء ويدل له الأحاديث وبه قال الشافعي

(٣٧ ل - فتح البيان) المشرك لا يكون امام ظالم يقول لا يكون امام مشرك وقال ابن جرير عن عطاء قال أني جاعلك
لناس اماما قال ومن ذريتي فأني ان يجعل من ذريته اماما ظالمًا قلت لعطاء ما عهده قال أمره وقال ابن أبي حاتم أخبرنا عمرو
ابن ثور القيساري فيما كتب الى أخبرنا القرياني حدثنا اسمعيل حدثنا اسمعيل بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال قال الله
لا ابراهيم أني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي فأني أن يفعل ثم قال لا ينال عهدى الظالمين وقال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي
محمد عن سعيداً وعكرمة عن ابن عباس قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين يخبره أنه كائن في ذريته ظالم لا ينال عهده ولا

ينبغي ان يولييه شيئا من امره وان كان من ذرية خليفه وحسن استيفذ فيه دعوته وتبلغ له فيه ما اراد من مسئلته وقال العوفي عن
ابن عباس لا ينال عهدى الظالمين قال يعنى لاعدى الظالم عليك في ظلمه ان تطيعه فيه وقال ابن جرير حدثنا اسحق اخبرنا عبد الرحمن
ابن عبد الله عن اسرائيل عن مسلم الا عور عن مجاهد عن ابن عباس قال لا ينال عهدى الظالمين قال ليس للظالمين عهد وان عاهدته
فانقضه وروى عن مجاهد وعطاء ومقاتل بن حيان نحو ذلك وقال الثوري عن هرون بن عتبة عن ابييه قال ليس لظالم عهد
وقال عبد الرزاق اخبرنا معمر عن قتاده (٢٩٠) في قوله لا ينال عهدى الظالمين قال لا ينال عهد الله في الاخرة للظالمين

فاما في الدنيا فقد ناله الظالم فامن به
وأكل وعاش وكذا قال ابراهيم
النخعي وعطاء والحسن وعكرمة
وقال الربيع بن أنس عهد الله
الذي عهد الى عباده دينه يقول
لا ينال دينه الظالمين الا ترى انه
قال وباركنا عليه وعلى اسحق ومن
ذريته ما محسن وظالم لنفسه مبين
يقول ليس كل ذرية نك يا ابراهيم
على الحق وكذا روى عن ابي
العالية وعطاء ومقاتل بن حيان
وقال جوير عن الضحاك لا ينال
طاعتي عدوتي بعصيتي ولا أنحلها
الاولي يطيعني وقال الحافظ
أبو بكر بن مردويه اخبرنا عبد
الرحمن بن محمد بن حامدا اخبرنا أحمد
ابن عبد الله بن سعيد الدارماني
اخبرنا وكيع عن الاعمش عن
سعيد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن
السلمي عن علي بن أبي طالب عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ينال
عهدى الظالمين قال لا طاعة الا في
المعروف وقال السدي لا ينال
عهدى الظالمين يقول عهدى
نبوتى فهذه اقوال مفسري السلف
في هذه الآية على ما نقله ابن جرير

وقال أبو هريرة وجماعة من السلف هو ان يحلف الرجل على الشيء لا يظن الا انه اذا
هو ليس ما هو ظنه والى هذا ذهب الحنفية وبه قال مالك في الموطأ ولا كفارة فيه ولا اثم
عليه عنده وروى عن ابن عباس انه قال لغو اليمين ان تحلف وأنت غضبان وبه قال
طاوس ومكحول وروى عن مالك وقيل ان اللغو هو عين المعصية قاله سعيد بن
المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن وعبد الله بن الزبير وأخوه عروة كالذي يقسم لبشر بن
الخجر أو ليطعن الرحم وقيل لغو اليمين هو دعاء الرجل على نفسه كان يقول أعني الله
بصره أذهب الله ماله هو يهودى هو مشرك قاله زيد بن أسلم وقال مجاهد لغو اليمين ان
يتبايع الرجلان فيقول أحدهما والله لا أبغك بكذا ويقول الآخر والله لا أشتريه بكذا
وقال الضحاك لغو اليمين هي المكفرة أى اذا كفرت سقطت وصارت لغوا والراجح القول
الاول لمطابقته للمعنى اللغوي وإدلالة الأدلة عليه (والله غفور حلیم) حيث لم يؤخذ كم
بما تقولونه بألسنتكم من دون عدو وقصدوا أخذكم بما تعدونه قلوبكم وتكلمت به
ألسنتكم وتلك هي اليمين المعقودة المقصودة وقال سعيد بن جبيرة والله غفور يعنى اذا
تجاوز عن اليمين التي حلف عليها حلیم اذ لم يجعل عليها الكفارة (الذين يؤلون من نسائهم
تربص أربعة أشهر) أى يحلفون والمصدر ايلاء وألية وألوة وقرأ ابن عباس الذين ألوا
يقال آلى بولي ايلاء وآلى بالثناء آلى أى حلف ومنه ولا يأتل أو ألوا الفضل منكم
والا يلاءحقه ان يستعمل بعلى واستعماله بمن تضمنه معنى العداوى يحلفون متبايعين
من نسائهم وقد اختلف أهل العلم في الايلاء فقال الجمهور ان الايلاء هو ان يحلف ان
لا يبطأ امرأته أكثر من أربعة أشهر فان حلف على أربعة أشهر فقادونها لم يكن موليا
وكانت عندهم عينا محضا وبه سدا قال مالك والشافعي وأحمد وأبو ثور وقال الثوري
والكوفيون الا يلاء ان يحلف على أربعة أشهر فصاعدا وهو قول عطاء وروى عن ابن
عباس انه لا يكون موليا حتى يحلف أن لا يمسها أبدا وقالت طائفة اذا حلف أن لا يقرت
امرأته يوما أو أقل أو أكثر لم يبطأها أربعة أشهر بانتهى بالايلاء وبه قال ابن مسعود
والنخعي وابن أبي ليلى والحكم وحماد بن سليمان وقاتل و اسحق قال ابن المنذر وانكر
هذا القول كثير من أهل العلم وقوله من نسائهم يشمل الحرائر والاماء اذا كن زوجات
وكذلك يدخل تحت قوله للذين يؤلون العبد اذا حلف من زوجته وبه قال أحمد والشافعي

وابن أبي حاتم رحمه الله تعالى واخبرنا ابن جرير ان هذه الآية وان كانت ظاهرة في الخبر انه لا ينال عهد الله
بالامانة ظالمها ففيها اعلام من الله لابراهيم الخليل عليه السلام انه سجد من ذرية نك من هو ظالم لنفسه كما تقدم عن مجاهد وغيره
والله أعلم وقال ابن خزيمة اذا مالكي الظالم لا يصلح أن يكون خليفة ولا حاكما ولا مفتيا ولا شاهدا ولا زوايا (واذ جعلنا البيت
مشابة للناس وأنموا واتخذوا من مقام ابراهيم مضى) قال العوفي عن ابن عباس قوله تعالى (واذ جعلنا البيت مشابة للناس يقول
لا يقضون منه وطرا يا نبيهم ثم يرجعون الى آلهتهم ثم يعودون اليه وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مشابة للناس يقول يشربون

رواهما ابن جرير وقال ابن أبي حاتم اخبرنا أبي اخبرنا عبد الله بن رجاء اخبرنا اسرائيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى واذجعلنا البيت مثابة للناس قال يثوبون اليه ثم رجعون قال وروى عن أبي العباس وسعيد بن جبيرة في رواية وعطاء ومجاهد والحسن وعطية والربيع بن أنس والفتح الشاذلي وقال ابن جرير حدثني عبد الكريم بن أبي عمير حدثني الوليد بن مسلم قال قال أبو عمرو يعني الأوزاعي حدثني عبد بن أبي لابة في قوله تعالى واذجعلنا البيت مثابة للناس قال لا ينصرف عنه منصرف وهو يرى انه قد قضى منه وطرا وحدثني بونس عن ابن وهب (٢٩١) قال قال ابن زيد واذجعلنا البيت مثابة

لأناس قال يشوبون اليه من
البلدان كلها ويا توبه وما أحسن
ما قال الشاعر في هذا المعنى أوردته
القرطبي

جعل البيت مثابا لهم
ليس منه إلا ما يقضون

وقال سعيد بن جبير في الرواية

الانحرى وعكرمة وقنادة وعطاء
الح. اساني مشابه للناس. أي، مجموعا

وَأَمَّا قَالَ الْخَمَلُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ

الرازی عن الر س عن أنس عن آل

العالية ونجعلنا البيت مشاف

والناس وأما يقول أئمة من العبد
وان يحمل فيه السلاح وقد كان

في الجاهلية يتخطف الناس من
جملهم وهذا آمنون لا يسبون

وروی عن مجاهد وعطاء السدي

وقمادة والربيع بن أنس قالوا من
دخاها كان آمنا ومضمون ما فيه

هؤلاء الأئمة هذه الآية ان الله

تعالیٰ یذکر شرف البیت وما جع
موصوفاه شرعا و قدرا من کوا

منايه اللباس أى جعله محلات تستأجر

إليه الأرواح ونحن اليه ولا نعصى
منه وطرا ولو ترددت إليه كل عا

اليهم الى أن قال ربنا وتقبل دعائنا

سكعبة البيت الحرام قياما للناس أجمعين

لأعلى على الأرض وما هذا الشرف
بشيء قال تعالى إن آملين

۱۰۰

وأبو ثور قالوا ولاؤه كالحر وقال مالك والزهرى وعطاء وأبو حنيفة واسحق إن أجله شهران وقال الشعبي إيلاء الامة نصف إيلاء الحرة والترتب التانى والتأخر وانما وقت الله سبحانه بهذه المدة دفعا للضرار عن الزوجة وقد كان أهل الجاهلية يؤلون السنة والسنتين وأكثر من ذلك يقصدون بذلك ضرار النساء وقد قيل إن الأربعة الأشهر هى التى لا تطيق المرأة الصبر عن زوجها زيادة عليها (فإن فإوا) أى رجعوا فيها أو بعدها عن المين إلى الوطء ومنه حتى تتي إلى أمر الله أى ترجع ومنه قبل اللطل بعد الزوال فىء لأنه رجع عن جانب المشرق إلى جانب المغرب يقال فاء بى فئتة وفاقاً وأنه سريع الفئتة أى الرجعة والسلف فى الفى أقوال مختلفة فنبغى الرجوع إلى معنى الفى لغته وقد بيناه قال ابن المنذر وأجمع كل من يحفظ عنه العلم على أن الفى الجماع لمن لا عذر له فإن كان له عذر حرض أو سجن فهى امرأته فإذا زال العذر فبى الوطء ففرق بينهم ما كان المدة قد انقضت قاله مالك وقالت طائفة إذا أشهد على فئتة بقلبه فى حال العذر أجزأه وبه قال الحسن وعكرمة والنخعي والأوزاعي وأحمد بن حنبل وقد أوجب الجمهور على المولى إذا فاء بجماع امرأته الكفارة وقال الحسن والنخعي لا كفارة عليه وللصحابه والتابعين فى هذا أقوال مختلفة متناقضة والمتعين الرجوع إلى ما فى الآية الكريمة وهو ما عرفناك واشدد عليه يديك (فإن الله غفور) للزوج إذا تاب من اضراره بما أمر الله (رحيم) لكل التائبين (وإن عزموا الطلاق) العزم العزم على الشئ يقال عزم يعزم عزماء وعزيمة وعزما ناواعتزم اعتزما فعنى عزموا الطلاق عقدوا عليه قلوبهم بأن لم يفشوا فليوقعوه والطلاق من طلقت المرأة تطلق كنصر ينصر طلاقاً فهى طالق وطالقة أيضاً والطلاق حل عقد النكاح وفى ذلك دليل على أنها لا تطلق بمضى أربعة أشهر كما قال مالك ما لم يقع انشاء تطليق بعد المدة وأيضاً فإنه قال (فإن الله سميع) لقولهم وسميع يقتضى مسموعاً بعد المضى وقال أبو حنيفة سميع لا يلائمه (علم) بعزمه الذى دل عليه مضى أربعة أشهر والمعنى ليس لهم بعد تربص ما ذكره إلا الفئتة أو الطلاق واعلم أن أهل كل مذهب قد فسروا هذه الآية بما يطابق مذهبهم وتكفوا عما لم يدل عليه اللفظ ولا دليل آخر ومعناها ظاهر واضح وهو أن الله جعل الاجل لمن بولى أى يحلف من امرأته أربعة أشهر ثم قال مخبر العباد يحكمهم هذا المولى بعد هذه المدة فإن فاء أى رجعوا إلى بقاء الزوجة واستدامة

استجابة من الله تعالى لدعاء خليله ابراهيم عليه السلام في قوله فاجعل آفة من الناس تهوى اليهم الى أن قال ربنا وتقبل دعائي
وصفحه تعالى بانه جعله آمناً من دخله آمن ولو كان قد فعل ما فعل ثم دخله كان آمناً وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كان الرجل
يلقي قاتل أبيه أو أخيه فيه فلا يعرض له كما وصف في سورة المائدة بقوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس أي
يدفع عنهم بسبب تعظيمها سوء كما قال ابن عباس لو لم يحج الناس هذا البيت لأطبق الله السماء على الأرض وما هذا الشرف
الالشرف بانه أولاد وهو خليل الرحمن كما قال تعالى واذبوا بالابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وقال تعالى ان أول بيت

وضع للناس الذي يكد مباركا وهدي العالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وفي هذه الآية الكريمة نبأ على مقام ابراهيم مع الامر بالهالة عنده فقال واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقد اختلف المفسرون في المراد بالمقام ما حوفا قال ابن أبي حاتم أخبرنا عمرو بن شبة الغيري حدثنا أبو خلف يعني عبد الله بن عيسى أخبرنا داود بن أبي هند عن مجاهد عن ابن عباس واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى قال بمقام ابراهيم الحرم كله وروى عن مجاهد وعطاء مثل ذلك وقال أيضا أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا جراح عن ابن جريج قال (٢٩٢) سألت عطاء عن واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى فقال سمعت ابن

عباس قال أما مقام ابراهيم الذي ذكرهنا فمقام ابراهيم هذا الذي في المسجد ثم قال ومقام ابراهيم بعد كثير مقام ابراهيم الحج كله ثم فسره لي عطاء فقال التعريف وصلاتان بعرفة والمشعر ومضى وروى الجمار والطواف بين الصفا والمروة فقلت أقسره ابن عباس قال لا ولكن قال مقام ابراهيم الحج كله قلت أجمعت ذلك لهذا أجمع قال نعم سمعته منه وقال سفيان الثوري عن عبد الله بن مسلم عن سعيد بن جبيرة واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى قال الجرجير مقام ابراهيم نبي الله قد جعله الله رجة فكان يقوم عليه ويناوله اسمعيل الحجر ولو غسل رأسه كما يقولون لاختلف رجلاه وقال السدي المقام الحجر الذي وضعته زوجة اسمعيل تحت قدم ابراهيم حتى غسلت رأسه حكاه القرطبي وضعفه ورجحه غيره وحكاه الرازي في تفسيره عن الحسن البصري وقسادة والربيع بن أنس وقال ابن أبي حاتم أخبرنا الحسن بن محمد ابن الصباح أخبرنا عبد الوهاب بن

عطاء عن ابن جريج عن جعفر بن محمد عن أبيه سمع جابر يحدث عن حجة النبي صلى الله عليه وسلم قال لما طاف تارة النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمره هذا مقام أينما قال نعم قال أفلا تتخذونه مصلى فأنزل الله عز وجل واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقال عثمان بن أبي شيبة أخبرنا أبو أسامة عن زكريا عن أبي اسحق عن أبي ميسرة قال قال عمر قلت يا رسول الله هذا مقام خليل ربنا قال نعم قال أفلا تتخذونه مصلى فنزل واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقال ابن مردويه أخبرنا علي بن أحمد أخبرنا غيلان بن عبد الحميد أخبرنا مسروق بن المزيان أخبرنا زكريا بن أبي زائدة عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب

أنه من مقام إبراهيم فقال يا رسول الله أليس تقوم بمقام خليل ربنا قال بلى قال أفلا نتخذ منه مصلى فلم يلبث إلا يسيرا حتى نزلت
 واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقال ابن مردويه أخبرنا علي بن أحمد بن محمد القزويني أخبرنا علي بن الحسين حدثنا الجعيد
 أخبرنا هشام بن خالد أخبرنا الوليد عن مالك بن أنس عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يوم فتح مكة عند مقام إبراهيم قال له عمر يا رسول الله هذا مقام إبراهيم الذي قال الله واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى قال نعم قال
 الوليد قلت لمالك هكذا أخذوا قال نعم هكذا وقع في هذه (٢٩٣) الرواية وهو غريب وقد روى النسائي

من حديث الوليد بن مسلم
 نحوه وقال البخاري باب قوله
 واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى
 مشابهة يشوبون يرجعون حديثنا
 مسندنا أخبرنا يحيى عن حميد عن
 أنس بن مالك قال قال عمر بن
 الخطاب وافقت ربي في ثلاث أو
 وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول
 الله لو اتخذت من مقام إبراهيم
 فنزلت واتخذوا من مقام إبراهيم
 مصلى وقلت يا رسول الله يدخل
 عليك البر والفاجر فلو أمرت
 أمهات المؤمنين بالحباب فأمر الله
 آية الحجاب قال وبلغني معابة النبي
 صلى الله عليه وسلم ببعض نسائه
 فدخلت عليهن فقلت ان انتهين
 أوليسدن الله رسوله خيرا منكن
 حتى أتيت أحدي نسائه قالت
 يا عمر ما في رسول الله ما يعظ نساءه
 حتى تعظهن أنت فأمر الله عسى
 ربه ان يهلكن ان يبدله أزواجا خيرا
 منكن مسلمات الآية وقال ابن أبي
 حريم أخبرنا يحيى بن أيوب حدثني
 حميد قال سمعت أنس عن عمر
 رضي الله عنهما هكذا أساقه
 البخاري ههنا وعلق الطريق

تارة على الاطهار وتارة على الحيض وقال قوم مأخوذ من قرء الماء في الحوض وهو
 جعه ومنه القرآن لاجتماع المعاني فيه والاصل ان القرأ في لغة العرب مشتركة بين
 الحيض والطهر ولاجل ذلك الاشتراك اختلف أهل العلم في تعيين ما هو المراد بالقراءة
 المذكورة في الآية فقال أهل الكوفة هي الحيض وهو قول عمرو بن دينار وابن مسعود وأبي
 موسى ومجاهد وقتادة والشافعية والحنابلة وأحمد بن حنبل وقال أهل الحجاز
 هي الاطهار وهو قول عائشة وابن عمر وزيد بن ثابت والزهرى وأبان بن عثمان والشافعية
 واعلم انه قد وقع الاتفاق بينهم على ان القرأ الوقت فصار معنى الآية عند الجميع والمطلقات
 يترتب بأنفسهن ثلاثة آوقات فهي على هذا مفسرة في العدد مجتمعة في المعدود فوجب
 طلب البيان للمعدود من غيرها فاعل القول الاول استدلو ا على ان المراد في هذه الآية
 الحيض بقوله صلى الله عليه وآله وسلم دعي الصلاة أيام أقرائك وبقوله صلى الله عليه وآله
 وسلم طلاق الأمة تطليقتان وعدتها خمسة اثنان وبأن المقصود من العدة استبراء الرحم
 وهو يحصل بالحيض لا بالطهر واستدل أهل القول الثاني بقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن
 ولا خلاف انه يؤمر بالطلاق وقت الطهر وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم لعمره
 فليراجعها ثم ليسكنها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها
 النساء وذلك لان زمن الطهر هو الذي تطلق فيه النساء قال أبو بكر بن عبد الرحمن
 ما أدركنا أحدا من فقهاءنا لا يقول بأن الإقراء هي الاطهار فاذا طلق الرجل في طهر لم يبطأ
 فيه اعتدت بمابقي منه ولو ساعة ولو لحظة ثم استقبلت طهرا ثانيا بعد حيضة فاذا رأت الدم
 من الحيضة الثالثة خرجت من العدة انتهى وعندى ان لاجفة في بعض ما احتج به أهل
 القولين جميعا أما قول الاولين ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال دعي الصلاة أيام
 أقرائك فغاية ما في هذا ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يطلق الإقراء على الحيض ولا
 نزاع في جواز ذلك كما هو شأن اللفظ المشترك فانه يطلق تارة على هذا وتارة على هذا وانما
 النزاع في الإقراء المذكورة في هذه الآية وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم في الأمة وعدتها
 خمسة اثنان فهو حديث أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه والدارقطني والحاكم وصححه
 من حديث عائشة مرفوعا وأخرجه ابن ماجه والبيهقي من حديث ابن عمر مرفوعا أيضا
 ودلالة على ما قاله الاولون قوية وأما قولهم ان المقصود من العدة استبراء الرحم وهو

الثانية عن شيخه سعيد بن الحكم المعروف بابن أبي حريم المصري وقد تفرد بالرواية عنه البخاري من بين أصحاب الكتب الستة
 وروى عنه الباقر بن واسطة وغرضه من تعليق هذا الطريق ليس في اتصال اسناد الحديث وانما لم يستدله لان يحيى بن أبي أيوب
 الغافقي فيه شيء كما قال الامام أحمد فيه هو سبي الحفظ والله أعلم وقال الامام أحمد حدثنا هشيم أخبرنا حميد عن أنس قال قال
 عمر رضي الله عنه وافقت ربي عز وجل في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام إبراهيم
 مصلى وقلت يا رسول الله ان نساء لم يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن ان يحجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع على ذلك رسول الله

الحديث الطويل الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث حاتم بن اسمعيل وروى البخاري بسنده عن عمرو بن دينار قال سمعت ابن عمر يقول قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قطاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين فهذا كله مما يدل على ان المراد بالمقام انما هو الحجر الذي كان ابراهيم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع الجدار تأه اسمعيل عليه السلام به يقوم فوقه ويناوله الحجر فيضعها بيده لرفع الجدار وكلما كل ناحية انتقل الى الناحية الاخرى يطوف حول الكعبة وهو واقف عليه كلما فرغ من جدار نقله الى الناحية التي تليها وهكذا حتى تم جدران (٢٩٥) الكعبة كما سيأتي بيانه في قصة ابراهيم

واسمعيل في بناء البيت من رواية ابن عباس عند البخاري وكانت آثار قدميه ظاهرة فيه ولم يزل هذا معروفا تعرفه العرب في جاهليتها ولهذا قال أبو طاب في قصيدته المعروفة بالامية

وموطئ ابراهيم في الصخر رطبة

على قدميه حافيا غير ناعل

وقد أدرك المسلمون ذلك فيه أيضا

كما قال عبد الله بن وهب أخبرني

نونس بن يزيد عن ابن شهاب ان

أنس بن مالك حدثهم قال رأيت

المقام فيه أصابعه عليه السلام

وأخص قدميه غير أنه أذهب مسيح

الناس بأيديهم وقال ابن جرير

أخبرنا بشر بن معاذ أخبرنا يزيد بن

زريع أخبرنا سعيد عن قتادة

واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى

انما أمروا ان يصلوا عنده ولم

يؤمروا بعسكه وقد تكلفت هذه

الامة شيئا ما تكلفته الامم قبلها

واقصد كرشنا من رأى اشرع عقبه

وأصابعه فيه فزال هذه الامة

يمسكونه حتى اخلاق وانجي

(قلت) وقد كان هذا المقام ملصقا

بجدار الكعبة قديما ومكانة

والمطلقات يتربصن بأنفسهن لانهن المثلثات وغيرهن وصيغة التفضيل لافادة أن الرجل اذا أراد الرجعة والمرأة تأبأها وجب ايثار قوله على قولها وليس معناه ان لها حق الرجعة قاله أبو السعود (في ذلك) يعني في مدة التربص فان انقضت مدة التربص فهي أحق بنفسها ولا تحمل له الا نكاح مستأنف بولي وشهود ومهر حديد ولا خلاف في ذلك والرجعة تكون بالنفط وتكون بالوط ولا يلزم المراجع شيء من أحكام النكاح بلا خلاف (ان أرادوا اصلاحا) أي بالمرجعة أي اصلاح حاله معها وحالها معه فان قصد الاضرار بها فهي محرمة لقوله تعالى ولا تمسكوهن ضرارا التمتعوا قيل واذا قصد بالرجعة الضرار فهي صحيحة وان ارتكبه به محرما وظلم نفسه وعلى هذا فيكون الشرط المذكور في الآية للثلاث لا لزواج على قصد اصلاح والرجل لهم عن قصد الضرار وليس المراد به جعل قصد اصلاح شرط الصحة للرجعة (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) أي ولهن من حقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن فيحسن عشرتها بما هو معروف من عادة الناس انهم يفعلونه لنساءهم وهي كذلك تحسن عشرته زوجها بما هو معروف من عادة النساء انهن يفعلنه لازواجهن من طاعة وتزين وتحبب ونحو ذلك قال ابن عباس في الآية اني أحب ان أتزين لامرأتي كما أحب ان تستزين لي لان الله قال ولهن الخ قال الكرخي أي في الوجوب لافي الجنس فالوجوب لهما به أو خبرت له لم يلزمه أن يفعل ذلك وقيل في مطلق الوجوب لافي عدد الافراد ولا في صفة الواجب (وللرجال عليهن درجة) أي منزلة ليست لهن وهي قيامه عليهن في الاتفاق وكونه من أهل الجهاد والعقل والقوة وله من الميراث أكثر مما لهما وكونه يجب عليها امتثال أمره والوقوف عند رضاه والشهادة والدية وصلاحيته الامامة والقضاء وله أن يتزوج عليا ويتسرى وليس له اذلك وييسد الطلاق والرجعة وليس شيء من ذلك يسهلها ولم يكن من فضيلة الرجال على النساء الا كونهن خلقن من الرجال لما ثبت ان حواء خلقت من ضلع آدم لكنني وقد أخرج أهل السنن عن عمرو بن الاحوص أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الا ان لكم على نساءكم حقوا لنساءكم عليكم حقا أم احقكم على نساءكم أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون الا وحقهن عليكم أن تحسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن وصححه الترمذي وأصله عند مسلم في الصحيح وأخرج أحمد وأبو داود والنسائي

معروف اليوم الى مجانب الباب مما يلي الحجر عينة الداخل من الباب في البقعة المستقلة هناك وكان الخليل عليه السلام لما فرغ من بناء البيت وضعه الى جدار الكعبة وأنه انتهى عنده البناء فتركه هناك ولهذا والله أعلم أمر بالصلاة هناك عند الفراغ من الطواف وناسب ان يكون عند مقام ابراهيم حيث انتهى بناء الكعبة فيه وانما أخره عن جدار الكعبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أحد الأئمة المهديين والخلفاء الراشدين الذين أمرنا بتابعهم وهو أحد الرجلين اللذين قال فيهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر وهو الذي نزل القرآن بوفاقه في الصلاة عنده ولهذا لم ينكر ذلك أحد من الصحابة

رضي الله عنهم اجعين قال عبد الرزاق عن ابن جريج حدثني عطاء وغيره من اصحابنا قالوا اول من نقله عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال عبد الرزاق ايضا عن معمر بن جندب الاعرج عن مجاهد قال اول من آخر المقام الى موضعه الان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال الحافظ ابو بكر أحمد بن علي بن الحسين البيهقي أخبرنا ابو الحسين بن الفضل القطان أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن كامل حدثنا أبو اسماعيل محمد بن اسمعيل السلمي حدثنا أبو ثابت حدثنا الذرا وردي عن هشام بن غزوة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ان المقام كان في زمان رسول الله (ﷺ) صلى الله عليه وسلم وزمان أبي بكر رضي الله عنه ملتصقا بالبيت ثم

آخره عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهذا السناد صحيح مع ما تقدم وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا ابن أبي عمر العدني قال قال سفيان يعني ابن عيينة وهو امام المكسبين في زمانه كان المقام من سقع البيت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فحوله عمر الى مكانه بعد النبي صلى الله عليه وسلم وبعد قوله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى قال ذهب السيل به بعد نحو ميل عمرايه من موضعه هذا فرده عمر اليه وقال سفيان لا أدري كم بينه وبين الكعبة قبل تحويله قال سفيان لا أدري أكان لا مصقباها أم لا فهذه الآثار متعاضدة على ما ذكرناه والله أعلم وقد قال الحافظ أبو بكر بن مردويه أخبرنا ابن عمر وهو أحمد بن محمد بن حكيم أخبرنا محمد بن عبد الوهاب بن أبي تمام أخبرنا آدم هو ابن أبي اسحق في تفسيره أخبرنا شريك عن ابراهيم ابن المهاجر عن مجاهد قال قال عمر ابن الخطاب يا رسول الله لو صلينا خلف المقام فأرسل الله واتخذوا

وابن ماجه وابن جرير والحاكم وصححه والبيهقي عن معاوية بن حسيمة القشيري انه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما حق المرأة على الزوج قال ان تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تهزج الا في الميت وعن ابن أبي ظبيان ان معاذ بن جبل خرج في غزاة بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها ثم رجع فرأى رجلا لا يسجد بعضهم لبعض فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها رواه البغوي بسنده (والله عز وجل) يقدر على الانتقام من يخالف أحكامه (حكيم) يطوى شرائع بعد على الحكم والمصالح (الطلاق مرتان) أي عدد الطلاق الذي ثبت فيه الرجعة للأزواج هو مرتان فالمراد بالطلاق المذكور هو الرجعي بدليل ما تقدم في الآية أي الطلقة الأولى والثانية اذ للرجعة بعد الثالثة وانما قال سبحانه مرتان ولم يقل طلقان إشارة الى انه ينبغي أن يكون الطلاق مرة بعد مرة لا طلقان دفعة واحدة كذا قال جماعة من المفسرين ولم يلم يكن بعد الطلقة الثانية إلا أحدا مرتين اما ايقاع الثالثة التي بها تبين الزوجية أو الامسالك لها واستدامة نسكاحها وعدم ايقاع الثالثة عليها قال سبحانه (فامسالك) أي بعد الرجعة لمن طلقها زوجها طلقين (بمعروف) أي بما هو معروف عند الناس من حسن العشرة وحقوق النكاح (أو تسريح باحسان) أي بايقاع طلقة نالته من دون ضرار لها وقيل المراد امسالك بمعروف أي برجعة بعد الطلقة الثانية وتسريح باحسان أي بترك الرجعة بعد الثانية حتى تنقضي عدتها والاول أظهر قال أبو عمرو وأجمع العلماء على أن التسريح هي الطلقة الثالثة بعد الطلقتين وأياها عني بقوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره وقد اختلف أهل العلم في ارسال الثلاث دفعة واحدة هل تقع ثلاث أو واحدة فقط فذهب الى الاول للجمهور وذهب الى الثاني من عداهم وهو الحق وقد قررره الشوكاني في مؤلفاته تقرير بابا لغاؤه وأفرده برسالة مستقلة وكذا الحافظ ابن القيم في إغاثة اللهفان واعلام الموقعين وقرره في شرحه على بلوغ المرام (ولا يحل لكم ان تأخذوا بها آتيتموهن شيئا) الخطاب للأزواج أي لا يحل لهم ان يأخذوا في مقابلة الطلاق بما دفعوه الى نساءهم من المهر شيئا على وجه المضاربة لهن وتكثيرهن للتحقيق أي شيئا نرا فضلا عن الكثير وخص ما دفعوه اليهن بعدم حل الاخذ منه مع كونه لا يحل للأزواج أن يأخذوا

من مقام ابراهيم مصلى فكان المقام عند البيت فحوله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى موضعه هذا قال مجاهد وكان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن هذا امر سل عن مجاهد وهو مخالف لما تقدم من رواية عبد الرزاق عن معمر عن جندب الاعرج عن مجاهد ان اول من آخر المقام الى موضعه الان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهذا أصح من طريق ابن مردويه مع اعتضاد هذا بما تقدم والله اعلم (وعنه الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بنتي للطائفتين والعائكة كفن والر كعب السجود واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهلي من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره الى عذاب

النار وبئس المصير وأذرفع إبراهيم القواعد من البيت واستعمل ريتا قبل منا أنك أنت السميع العليم ربنا وأجعلنا مسلمين لك
ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكا وتب علينا أنك أنت التواب الرحيم قال الحسن البصري قوله وعهدنا إلى إبراهيم
واسماعيل قال أمرهما الله أن يطهرا من الأذى والتجسس ولا يصيبه من ذلك شيء وقال ابن جرير قلت لعطاء ما عهد قال أمره
وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وعهدنا إلى إبراهيم أي أمرناه كذا قال والنظاران هذا الحرف إنما عدى بالي لاند في معنى تقدمنا
وأوجبنا وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله أن يطهرا يدي للطائفتين (٢٩٧) والعاكفين قال من الاوثان وقال

مجاهد وسعيد بن جبير طهرا يدي
للتائفتين أن ذلك من الاوثان
والرفث وقول الزور والرجس
قال ابن أبي حاتم وروى عن عبيد
ابن عمير وأبي العالمة وسعيد بن
جبير ومجاهد وعطاء وقتادة أن
طهرا يدي أي بلاه الله من
الشرك وأما قوله تعالى للتائفتين
فاطوا ف بالبيت معروف وعن
سعيد بن جبير أنه قال في قوله تعالى
للتائفتين يعني من أتاه من غربة
والعاكفين المقيمين فيه وهكذا
روى عن قتادة والربيع بن أنس
أنهم فسر العاكفين بأهل المقيمين
فيه كما قال سعيد بن جبير وقال
يحيى القطان عن عبد الملك هو ابن
أبي سليمان عن عطاء في قوله
والعاكفين قال من أتاه من
الامصار فأقام عنده وقال لنا
ونحن مجاورون أنتم من العاكفين
وقال وكيع عن أبي بكر الهذلي
عن عطاء عن ابن عباس قال إذا
كان جالساً فهو من العاكفين
وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي
أخبرنا موسى بن اسمعيل أخبرنا
حماد بن سلمة أخبرنا ثابت قال قلنا

من أموالهن التي يملكنها من غير المهور لكون ذلك هو الذي يتعلق به نفس الزوج ويتطلع
لاخذه دون ما عدها مهوراً فملكها على أنه إذا كان أخذ ما دفعه إليها في مقابلته البضع
عند خروجه عن ملكه لا يحل له كان ما عدها ممنوعاً عنه بالاولى وقيل الخطاب للامعة
والحكام ليطابق قوله فإن خفتم فإن الخطاب فيه للامعة والحكام وعلى هذا يكون اسناد
الاخذ إليهم لكونهم الأحرار من ذلك والاولى أولى لقوله ما آتيتوهن فإن اسناده إلى غير
الازواج بعيد جداً لأن آية الازواج لم يكن عن أمرهم وقيل إن الثاني أولى لأن
يشوش الظن (الآن يحاقاً) أي يعلم الزوجان من أنفسهما فيه التفات عن الخطاب إلى
الغيبه (أن لا يقيم احداً ودالله) أي تخاف المرأة أن تعصى الله في أمور زوجها ويخاف
الزوج أنه إذا لم تطعه ان يعتدي عليها وقرأ حجة يخاف بضم الياء أي إلا أن يعلم من حالهما
والفاعل محذوف وهو الامعة والولادة والحكام والقضاة واختاره أبو عبيد قال لقوله فإن
خفتم ففعل الخوف لغير الزوجين وقد احتج بذلك من جعل الخلع إلى السلطان وهو سعيد
ابن جبير والحسن وابن سيرين وقد ضعف النحاس اختيار أبي عبيد (فان خفتم) أي
خشيتهم وأشفقتم وقيل معناه ظنتم (أن لا يقيم احداً ودالله) يعني ما أوجب الله على كل
واحد منهما من طاعته فيما أمر به من حسن العشرة والمعايشة بالمعروف وقيل هو يرجع
إلى المرأة وهو سوء خلقها واستخفافها بحق زوجها (فلا جناح عليهما فيما افتدت به) أي
لا جناح على الرجل في الاخذ ولا على المرأة في الاعطاء ما تنفدى نفسها من ذلك النكاح
بيد شيء من المال يرضى به الزوج فيطلقها لاجله وهذا هو الخلع وقد ذهب الجمهور إلى
جواز ذلك للزوج وأنه يحل له الاخذ مع ذلك الخوف وهو الذي صرح به القرآن وحكى ابن
المنذر عن بعض أهل العلم أنه لا يحل له ما أخذ ولا يجبر على رده وهذا في غاية السقوط
وأخرج البخاري والنسائي وابن ماجه وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس أن جيلة بنت
عبد الله بن سلول امرأة ثابت بن قيس بن شماس أتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم
فقال يا رسول الله ثابت بن قيس ما أعقب عليه في خلق ولادين ولكن لا أطيعه بعضاً
وأكره الكفر في الاسلام قال أتريدين عليه حديثه قالت نعم قال اقبل الحديقة وطلقها
تطلقه ولفظ ابن ماجه فأمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يأخذ منها حديثه
ولا يزداد في الباب أحاديث كثيرة وقد ورد في ذم المختلعات أحاديث منها عن ثوبان عند

(٣٨ - فتح البين ل) لعبد الله بن عبيد بن عمير ما أراي الامكلم الامير أن امتنع الذين ينামون في المسجد الحرام فانهم
يجنبون ويحذرون قال لا تفعل فان ابن عمر شغل عنهم فقال هم العاكفون ورواه عبد بن حميد عن سليمان بن حرب عن حماد
ابن سلمة به (قلت) وقد ثبت في الصحيح أن ابن عمر كان ينাম في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عزب وأما قوله تعالى والركع
السجود فقال وكيع عن أبي بكر الهذلي عن عطاء عن ابن عباس والركع السجود قال إذا كان مصلياً فهو من الركع السجود وكذا
قال عطاء وقتادة في يومه أربع في النهار ثم شرع ابن جرير يضعف هذين الحديثين فإن كلا من السنتين مشتمل على غير واحد

تقدم سواء العا كف فيه والباد وفي هذه الآية الكريمة ذكر الطائفتين والعاكفين واكتفى بذكر الركوع والسجود عن القيام
لأنه قد علم انه لا يكون ركوع ولا سجود الا بعد قيام وفي ذلك أيضا رد على من لا يتحجه من أهل الكاين اليهود والنصارى لانهم
يعتقدون فضيلة ابراهيم الخليل واسماعيل ويعلمون انه بنى هذا البيت للطواف في الحج والعمرة وغير ذلك وللاعتكاف والصلاة
عنده وهم لا يفقهون شيئا من ذلك فكيف يكونون مقتدين بالخليل وهم لا يفقهون ما شرع الله له وقد حج البيت موسى بن عمران
وغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام كما أخبر بذلك المعصوم (٢٩٩) الذي لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى

الله وعقابه وفيه وفيما قبله الاظهار في مقام الاضمار لترسية المهابة وادخال الروح
في ذهن السامع وذكر هذا الوعيد بعد النهي عن تعديها للمبالغة في التهديد (فان طلقها)
أى الطلقة الثالثة التى ذكرها سبحانه بقوله أو تسرع بإحسان أى فان وقع منه ذلك
فقد حرمت عليه بالنسبة سواء كان قد راجعها أم لا وسواء انقضت عدتها في صورة
عدم الرجعة أم لا (فلا تحل له من بعد) الحكمة في شرع هذا الحكم الردع عن المسارعة
الى الطلاق وعن العود الى الطلقة الثالثة والرغبة فيها (حتى تنكح زوجا غيره) أى حتى
تتزوج بزوج آخر غير المطلق بعد انقضاء عدتها من الاول فيجاء معها والنكاح يتناول
العقد والوطء جميعا والمراد هنا الوطء وقد أخذ بنظرنا الآية سعيد بن المسيب ومن وافقه
قالوا يكفي مجرد العقد لانه المراد بقوله حتى تنكح زوجا غيره وذهب الجمهور من السلف
والخلف الى انه لا بد مع العقد من الوطء لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من
اعتبار ذلك وهو زيادة تعيين قبولها واعلم ان سعيد بن المسيب ومن تابعه وفي الآية
دليل على انه لا بد ان يكون ذلك نكاحا شرعيا مقصودا لذاته لانه كما عاين مقصود لذاته
بل حمله للتخليل وذكر عيسى الى ردّها الى الزوج الاول فان ذلك حرام للدلالة الواردة في ذمه
وعدم فاعله وأنه التيسر المستعار الذى لعنه الشارع ولعن من اتخذه لذلك وأخرج الشافعى
وعبد الرزاق وابن أبي شيبة وأحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه
والبيهقى عن عائشة قالت جاءت امرأة رفاعة القرظى الى رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فقالت انى كنت عند رفاعة فطلقنى فبت طلاقى فتزوجنى عبد الرحمن بن الزبير
وماءه الامثل هدية الثوب فتبسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال أتريدى ان
ترجعى الى رفاعة لا حتى تذوق عسيلة ويدوق عسيلتك وقد روى شيوخنا عنهما طرق
وأخرج أحمد والنسائى عن ابن عباس ان الغمصاء أو المصماء أنت النبي صلى الله عليه
وآله وسلم وفي آخره فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس ذلك لك حتى يدوق عسيلتك
رجل غيره والعسيلة مجاز عن قليل الجماع اذ يكفي قليل الانتشار شبهت تلك اللذة بالعسل
ومغربت بالتاء لان الغالب على العسل التآنيث قاله الجوهرى وقد ثبت لعن المحلل في
أحاديث كثيرة منها عن ابن مسعود عند أحمد والترمذى وصححه والنسائى والبيهقى في
سننه قال لعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم المحلل والمحلل له وفي الباب أحاديث في ذم

وتقدير الكلام اذا وعدها الى
ابراهيم أى تقدمنا بوجينا الى
ابراهيم واسماعيل أن تطهرا بيتى
للطائفتين والعاكفين والركع
السجود أى طهرا من الشرك
والرب وابناه خالصا لله معصلا
للطائفتين والعاكفين والركع
السجود وتطهرا المساجد مأخوذ
من هذه الآية الكريمة ومن قوله
تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع
ويذكر فيها اسمه يسبح له فيم بالغدو
والأصال ومن السنة من أحاديث
كثيرة من الامر بتطهيرها وتطعيمها
وغير ذلك من صميماتها من الاذى
والنجاسات وما أشبه ذلك ولهذا
قال عليه السلام انما بنيت
المساجد لمابنيت له وقد جعت
في ذلك جزأ على حدة ولله الحمد
والمنة وقد اختلف الناس في أول
من بنى الكعبة فقص الملائكة
قبل آدم روى هذا عن أبى جعفر
الباقر محمد بن على بن الحسين ذكره
القرطبي وحكى لفظه وفيه غرابة
وقيل آدم عليه السلام رواه
عبد الرزاق عن ابن جريج عن
عطاء وسعيد بن المسيب وغيرهم

ان آدم بناه من خمسة اجبل من حراء وطور سيناء وطور زيتا وجبل لبنان والجودى وهذا غريب أيضا وروى عن ابن عباس وكعب
الاجبار وقادة وعن وهب بن منبه ان أول من بناه شيث عليه السلام وغالب من يذكر هذا انما يأخذ من كتب أهل الكتاب وهى
مما لا يصدق ولا يكذب ولا يعتمد عليها بمجرد رواها وما اذا صح حديث في ذلك فعلى الرأس والعين وقوله تعالى واذا قال ابراهيم رب
اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال الامام أبو جعفر بن جرير أخبرنا ابن بشار أخبرنا
عبد الرحمن بن مهدي أخبرنا سفيان بن عيينة عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حرم

بیت الله وأمنه وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها فلا يصاد صيدها ولا يقطع عضاؤها وهكذا رواه النسائي عن محمد بن بشار عن
 بندار بن وهب وأخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وعمر بن الناقدة كلاهما عن أبي أحمد الزبيري عن سفيان الثوري وقال ابن جرير
 أيضا أخبرنا أبو بكر بن أبي الوائب قال حدثنا ابن إدريس وأخبرنا أبو بكر بن أبي خنيس ناعبد الرحيم الرازي قال أجمعنا سمعنا شعث عن
 نافع عن أبي خزيمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن إبراهيم كان عبدا لله وخلده وإني عبدا لله ورسوله وإن إبراهيم حرم
 مكة وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها أعضائها (٣٠٠) وصيدها لا يحمل فيها سلاح لقتال ولا يقطع منها شجرة إلا علف

بغير وشدة الطريق غريبة ليست
 في شيء من الكتب الستة وأصل
 الحديث في صحيح مسلم من وجه
 آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه
 قال كان الناس إذا رأوا أول الثمر
 جاؤا به إلى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فإذا أخذ رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال اللهم بارك لنا في ثمرنا
 وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في
 صاعنا وبارك لنا في مدنا اللهم إن
 إبراهيم عبدك وخليفك ونيبك
 وإني عبدك ونيبك وأنه دعاك لمكة
 وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك
 لمكة ومثله معه ثم يدعو أصغر
 وليلده فيعطيه ذلك الثمر وفي لفظ
 بركة مع بركة ثم يعطيه أصغر من
 يحضره من الولدان لفظ مسلم ثم
 قال ابن جرير حدثنا أبو كريب
 حدثنا قتيبة بن سعيد أخبرنا بكر بن
 مضر عن ابن الهادي عن أبي بكر بن
 محمد عن عبد الله بن عمرو بن عثمان
 عن رافع بن خديج قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إن
 إبراهيم حرم مكة وإني أحرم ما بين
 لابتيها أنفرد بها خواجه مسلم فرواه
 عن قتيبة عن بكر بن مضر به ولفظه

التحليل وفاعله وقد أطل في بيان ذلك الحافظ بن القيم في إغاثة اللهنان وعلام الموقعين
 وهو بحث نفيس جدا فارجع إليه (فان طلقها فلا جناح عليه - ما أن يترابعا) أي أن
 طلقها الزوج الثاني فلا جناح على الزوج الأول والمرأة أن يرجع كل واحد منهما إلى صاحبه
 يعني بنكاح جديد قال ابن المنذر أجمع أهل العلم على أن الحر إذا طلق زوجته ثلاثا ثم
 انقضت عدتها ونكحت زوجا ودخل بها ثم فارقتها وانقضت عدتها ثم نكحها الزوج الأول
 انما تكون عنده على ثلاث تطليقات (أن ظنا) علما وأيقنا وقيل إن رجوا لأن أحدا
 لا يعلم ما هو كائن إلا الله تعالى (أن يقيما حدود الله) أي حقوق الزوجية الواجبة لكل
 منهما على الآخر وقيل إن علما أن نكاحهما على غير دلالة والدلالة التحليل والأول أولى
 وأما إذا لم يحصل ظن ذلك بان يعلم أحدهما عدم الإقامة لحدود الله أو تردا
 أو أحدهما ولم يحصل لهما الظن فلا يجوز الدخول في هذا النكاح لأنه مظنة للمعصية
 لله والوقوع فيما حرمه على الزوجين (وتلك حدود الله) إشارة إلى الأحكام المذكورة كما
 سلف (بينهما القوم يعلمون) خصهم مع عموم الدعوة للعالم وغيره ووجوب التبليغ لكل
 فرد لأنهم المستقنون بذلك البيان (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) البلوغ إلى الشيء
 معناه الحقيقي الوصول إليه ولا يستعمل البلوغ بمعنى المقاربة إلا مجازا العلاقة مع قرينة
 كما هنا فإنه لا يصح إرادة المعنى الحقيقي لأن المرأة إذا بلغت آخر حرج من مدة العدة وجاوزته
 إلى الجزء الذي هو الأجل للانقضاء فقد خرجت من العدة ولم يبق للزوج عليها سبيل
 قال القرطبي في نفسه - يره أن معنى بلغن هنا فار بن باجاء العلماء قال ولأن المعنى يضطر
 إلى ذلك لأنه بعد بلوغ الأجل لا خيار له في الإمساك يعني فالبلوغ هنا بلوغ مقاربة والمعنى
 فار بن انقضاء عدتهن وشارف منتهاهما ولم يرد انقضاء العدة كما يقال بلغ فلان البلد إذا
 قاربته وشارفه فهذا من باب المجاز الذي يطلق اسم الكل فيه على الأجزاء وقيل إن الأجل
 اسم للزمان فيحمل على الزمان الذي هو آخر زمان يمكن ما يقع الرجعة فيه بحيث إذا فات
 لا يبقى بعده مكنة إلى الرجعة وعلى هذا التأويل فلا حاجة إلى المجاز (فامسكوهن) أي
 راجعوهن (بمعروف) وهو أن يشهد على رجعتهم وأن يراجعها بالقول لا بالوطء وقيل
 الإمساك بمعروف هو القيام بحقوق الزوجية وهو الظاهر قيل أعاده اعتناء بشأنه
 وبالمال في إيجاب المحافظة عليه (أو سرحوهن بمعروف) أي أتركوهن حتى تنقضي

كلفظه سواء وفي الصحيحين عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يوطئ المحلقة التي
 غلاما من غلمانكم يخدمني فخرج بي أبو طلحة يردني وراءه فكنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تزل وقال في
 الحديث ثم أقبل حتى إذا بد الله أحد قال هذا جبل يحبنا ونحبه فلما أشرف على المدينة قال اللهم إني أحرم ما بين جبليها مثل ما حرم
 إبراهيم مكة اللهم بارك لهم في مدهم وصاعهم وفي لفظ لهما اللهم بارك لهم في ميكلهم وبارك لهم في صاعهم وبارك لهم في مدهم
 زاد البخاري يعني أهل المدينة ولهما أيضا عن انس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلته بمكة

من البركة وعن عبد الله بن زيد بن عاصم رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حرم مكة ودعا لها وحرمت المدينة كما حرم ابراهيم مكة ودعوت لها في مدنها وصاعها مثل مادعا ابراهيم لمكة رواد البخارى وهذا اللفظ لمسلم وللفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابراهيم حرم مكة ودعا لاهلها وانى حرمت المدينة كما حرم ابراهيم مكة وانى دعوت في صاعها ومدنها على مادعا ابراهيم لاهل مكة وعن ابى سعيد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم ان ابراهيم حرم مكة فجعلها حراما وانى حرمت المدينة حراما ما بين ما رزينا ان لا يراق فيها دم ولا يحمل فيها (٣٠١) ملاح لقتال ولا يخطب فيها شجرة الا لعلف

اللهم بارك لنا في مدنتنا اللهم بارك لنا في صاعنا اللهم بارك لنا في مدنتنا اللهم اجعل مع البركة بركتين الحديث رواد مسلم والاحاديث في تحريم المدينة كثيرة وانما أوردنا منها ما هو متعلق بتحريم ابراهيم عليه السلام لمكة لما في ذلك من مطابقة الآية الكريمة وتكسبها من ذهب الى أن تحريم مكة انما كان على لسان ابراهيم الخليل وقيل انها محرمة منذ خلقت مع الارض وهذا أظهر وأقوى والله أعلم وقد وردت أحاديث أخر تدل على ان الله تعالى حرم مكة قبل خلق السموات والارض كما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمه الله الى يوم القيامة وانه لم يحل القتال فيه لاحد قبلى ولم يحل لي الاساعه من نهاره فهو حرام بحرمه الله الى يوم القيامة لا يعصده شوكه ولا ينقر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عثر بها ولا يختلى

عدهن فيمكن أنفسهن والمعنى اذا اطلقت النساء فقاربن آخر العدة فلا تضاروهن بالمراجعة من غير قصد لاستقرار الزوجية واستدامتها بل اختاروا أحد أمرين اما الامساك بمعروف من غير قصد للضرار أو التسريح باحسان أى تركها حتى تنقضى عدتها من غير مراجعة ضرارا (ولا تمسكوهن ضرارا) كما كانت تفعل الجاهلية من طلاق المرأة حتى يقرب انقضاء عدتها ثم مراجعتها الا عن حاجة ولا محبة ولكن لقصد تطويل العدة وتوسيع مدة الانتظار ضرارا (لتمتدوا) أى لقصد الاعتداء منكم عليهن والظلم بهن (ومن يفعل ذلك) أى الامساك المؤدى للضرار فقد ظلم نفسه لانه عثر بها لعقاب الله وسخطه في ضمن ظلمه لهن قال الزجاج يعنى عرض نفسه للعذاب لأن اتيان ما نهى الله عنه تعرض لعذاب الله (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) أى بالاعراض عنها والتمسك بالعمل بما فيها من قولهم لمن لم يجتد فى الامر انما أنت هاز كانه نهى عن الهزو وأراد به الامر بضده والمعنى لا تأخذوا أحكام الله على طريقة الهزو فانها جد كالمهاقن هزل فيها فقد لزمته نهامهم سبحانه ان يفعلوا كما كانت الجاهلية تفعل فانه كان يطلق الرجل منهم أو يعتق أو يتزوج ويقول كنت لاعبا قال القرطبي ولا خلاف بين العلماء ان من طلق هازلا ان الطلاق يلزمه أخرج أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة (واذكروا نعمت الله عليكم) أى العمة التى صرتم فيها بالاسلام وشرائع بعد ان كنتم في جاهلية جهلاء وظلمات بعضها فوق بعض (وما أنزل عليكم من الكتاب) وهو القرآن (والحكمة) قال المفسرون هى السنة التى سنها لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وآله وسلم وبه قال الشافعى (يعظكم به) أى يخوفكم بما أنزل عليكم وأورد الكتاب والحكمة بالذم كرمع دخولهما فى النعمة دخولا أوليا تنبيها على خطرهما وعظم شأنهما (واقفوا لله) يعنى خافوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه (واعلموا أن الله بكل شئ عليم) لا يخفى عليه شئ من ذلك فيؤاخذكم بأنواع العقاب (واذاطلقت النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن) الخطاب فى هذه الآية بقوله واذاطلقت النساء وبقوله فلا تعضلوهن اما ان يكون للزوج ويكون معنى العضل منهم ان يمنعوهن من أن يتزوجن من الأزواج بعد انقضاء عدتهن لمحبة الجاهلية كما يقع كثيرا من

خلافا فقال العباس يارسول الله الا الاذخر فانه لقيتهم وليبوتهم فقال الا الاذخر وهذا اللفظ مسلم ولهما عن أبى هريرة نخومين ذلك ثم قال البخارى بعد ذلك وقال ابان بن صالح عن الحسن بن مسلم عن صفية بنت شيبة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم مثله وهذا الذى علقه البخارى رواه الامام ابو عبد الله بن ماجه عن محمد بن عبد الله بن نمير عن يونس بن بكير عن محمد بن اسحق عن ابان بن صالح عن الحسن بن مسلم بن ساق عن صفية بنت شيبة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب عام الفتح فقال يا أيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام الى يوم القيامة لا يعصده شجرها ولا ينقر صيده ولا يأخذ لقطتها الا لمنشد

فقال العباس الا الاذخر فانه للبسوت والقبور فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الاذخر وعن ابي شريح العدوي انه قال لعمر بن سعد وهو يبعث البعوث الى مكة ائذن لي ايها الامير ان احدثك قولاً قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح سمعته اذ نأى ووعده قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به انه جدد الله وأبني عليه ثم قال ان مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر ان يسفك بها دماً ولا يعصدهم اشجرة فان أحدثت شخصاً بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا ان الله اذن لرسوله ولم يأذن لركم وانما (٣٠٢) ائذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمها اليوم كحرمها

بالامس فليبلغ الشاهد الغائب فقبل لابي شريح ما قال لك عمرو فقال انا أعلم بذلك منك يا ابا شريح ان الحرم لا يعصدها ولا يفار ابدم ولا فارا بخربة رواه البخاري ومسلم وهذا لفظه فاذا علم هذا فلا منافاة بين هذه الاحاديث الدالة على ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وبين الاحاديث الدالة على ان ابراهيم عليه السلام حرمها لان ابراهيم بلغ عن الله حكمه فيها وتحريمه اياها وانها لم تزل بلد احراماً عند الله قبل بناء ابراهيم عليه السلام لها كما انه قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوباً عند الله حاتم النبيين وان آدم لم يجسد في طينته ومع هذا قال ابراهيم عليه السلام ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية وقد أجاب الله دعاءه بما سبق في علمه وقدره ولهذا جاء في الحديث انهم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن بدء أمرك فقال دعوة أبي ابراهيم عليه السلام وبشرى عيسى بن مريم ورأت أي كانه خرج منها نوراً فضاء له قصور الشام أي اخبرنا

عن بدء ظهور أمرك كما سيأتي قريبا ان شاء الله وأما مسئلة تفصيل مكة على المدينة كما هو قول الجمهور بتحقيق أو المدينة على مكة كما هو مذهب مالك وأتباعه فنذكر في موضع آخر بأدلتنا ان شاء الله وبه الثقة وقوله تعالى اخبارا عن الخليل انه قال رب اجعل هذا بلداً آمناً أي من الخوف أي لا يرعب أهله وقد فعل الله ذلك شرعاً وقدره كقوله تعالى ومن دخله كان آمناً وقوله أولم ير وأنابنا جعلنا حرم ما آمنا ويتخطف الناس من حولهم الى غير ذلك من الآيات وقد تقدمت الاحاديث في تحريم القتال فيه وفي صحيح مسلم عن جابر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لأحد أن يحمل بمكة السلاح وقال في هذه السورة

رب اجعل هذا بلدا آمنا يا اجعل هذه البقعة بلدا آمنا وناسب هذا الامة قبل بناء الكعبة وقال تعالى في سورة ابراهيم واذا قال ابراهيم رب اجعل هذا البلدا آمنا وناسب هذا هنا لانه والله اعلم كانه وقع دعاء مرة ثانية بعد بناء البيت واستقرار اهل به وبعد مولد اسحق الذي هو اصغر سن من اسمعيل بثلاث عشرة سنة ولهذا قال في آخر الدعاء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واحق ان ربي لسميع الدعاء وقوله تعالى وارزق اهلهم من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتنعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير قال ابو جعفر الرازي عن الربيع (٣٠٣) بن أنس عن أبي العالبة عن ابي بن كعب

قال ومن كفر فامتنعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير قال هو قول الله تعالى وهذا قول مجاهد وعكرمة وهو الذي صوبه ابن جرير رحمه الله قال وقرا آخرون قال ومن كفر فامتنعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير فجعلوا ذلك من تمام دعاء ابراهيم كما رواه ابو جعفر عن الربيع عن أبي العالبة قال كان ابن عباس يقول ذلك قول ابراهيم يسأل ربه ان من كفر فامتنعه قليلا وقال ابو جعفر عن لثبن أبي سليم عن مجاهد ومن كفر فامتنعه قليلا يقول ومن كفر فارزقه قليلا ايضا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير قال محمد بن اسحق لماعت لا ابراهيم الدعوة على من أبي الله ان يجعل له الولاية انتقطا على الله ومحبة وفرا لما لم يخالف أمره وان كانوا من ذريته حين عرف انه كائن منهم ظالم لا يناله عهده بخبر الله له بذلك قال الله تعالى ومن كفر فاني أرزق البر والفاجر وامتنعه قليلا وقال حاتم بن اسمعيل عن

تحقق مضونه وليس أمر ايجاب وانما هو أمر ندب واستحباب وقيل هو خبر على بابه (حولين كاملين) تأكد الدلالة على ان هذا التقدير بتحقيق لا تقريري وفيه رد على أبي حنيفة في قوله ان مدة الرضاع ثلاثون شهرا وعلى زفر في قوله انه ثلاث سنين ذلك (لمن أراد ان يتم الرضاعة) فيه دليل على ان ارضاع الحولين ليس حتميا بل هو التمام ويجوز الاقتصار على مادونه وليس له حد محدود وانما هو على مقدار اصلاح الطفل وما يعيش به قال النحاس لا يعرف البصريون الرضاعة الا بالفتح وحكي الكوفيون جواز الكسر والاية تدل على وجوب الرضاع على الام لولدها وقد حمل ذلك على ما اذا لم يقبل الرضيع غيرها (وعلى المولود له) أي على الاب الذي يولده وآثر هذا اللفظ دون قوله وعلى الوالد للدلالة على ان الاولاد لا ياء للامهات ولهذا ينسبون اليهم دونهن كانهن انما ولدن لهم فقط ذكر معناه في الكشف (رزقهن) المراد بالرزق هنا الطعام السكافي المتعارف بين الناس ويطلق الرزق بالكسر على المرزوق وعلى المصدر (وكسوتهن) المراد بالكسوة ما يتعارفونه أيضا (بالمعروف) أي على قدر الميسرة وفي ذلك دليل على وجوب ذلك على الآباء للامهات المرضعات وهذا في المطلقات طلاقا ثنائيا وما غير المطلقات فنقتن وكسوتهن واجبة على الأزواج من غير ارضاعهن لا ولادتهن وقال القرطبي الاظهر ان الآية في الزوجات في حال بقاء النكاح لانهن المستحقات للنفقة والكسوة أرضعن أو لم يرضعن وهما في مقابلة التمكين لكن اذا اشتغلت الزوجة بالارضاع لم يكمل التمكين ولا التمتع بها فقد يتوهم ان هذه النفقة تسقط حالة الارضاع فدفعت هذا التوهم بقوله وعلى المولود له ثم قال في محل آخر في هذه الآية دليل على وجوب نفقة الولد على الوالد لعجزه وضعفه ونسبه تعالى للام لان الغذاء يصل اليه بواسطته في الرضاع وأجمع العلماء على انه يجب على الاب نفقة أولاده الاطفال الذين لا مال لهم انتهى (لان كفاف نفس الاوسعها) هو تقييد لقوله بالمعروف أي هذه النفقة والكسوة الواجبان على الاب بما يتعارفه الناس لا يكلفه منهما الا ما يدخل تحت وسعه وطاقته لا ما يشق عليه ويجتزعه وقبل المراد لا تكلف المرأة الصبر على البقرة في الاجرة ولا يكلف الزوج ما هو اسراف بل يراعى التصدر لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده قرئ بالرفع على الخبر وفتح الراء المشددة على النهي واصلا لا تضار رأ ولا تضار رعى البناء للفاعل أو المتعول أي لا تضار

حميد الخراط عن عمار الذهبي عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله تعالى رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهلهم من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ابن عباس كان ابراهيم يحجرها على المؤمنين دون الناس فأنزل الله ومن كفر ايضا ارزقهم كما أرزق المؤمنين فأخلق خلقا لا ارزقهم امتنعهم قليلا ثم اضطرهم الى عذاب النار وبئس المصير ثم قرأ ابن عباس كلا غده هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا واد ابن مردويه وروى عن عكرمة ومجاهد نحو ذلك ايضا وهذا كقوله تعالى ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم ينالهم العذاب الشديد كما كانوا يكفرون وقوله

تعالى ومن كفر فلا يحزنك كفره السامر جمعهم قنبتهم عما عاينوا ان الله عليهم بذات الصدور غمعتهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ وقوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة لبعثنا لمن يكفر بالرحن ليسوتهم سقفا من فضة ومعارض عليها يظهر ان وليسوتهم اوثانوا سررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين وقوله ثم اضطره الى العذاب النار وبئس المصير أى ثم ألجئه بعد متاعه في الدنيا وبسطنا عليه من ظلمة الى عذاب النار وبئس المصير ومعنا ان الله تعالى ينظرهم ويمهلهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر كقوله (٣٠٤) تعالى وكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة ثم أخذتها الى المصير

وفي الصحيحين لأحد أصـ بر على
أذى سمعه من الله انهم يجعلون له
ولدوا هو يرزقهم ويعافهم وفي
الصحيح أيضا ان الله لم يخلق الخلق حتى
اذا أخذهم لم يفلته ثم قرأ قوله تعالى
وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى
وهى ظالمة ان أخذهم اليه شديد
وقرأ بعضهم قال ومن كفر فأمتعه
قليلا الآية جعله من تمام دعاء
ابراهيم وهى قراءة شاذة مخالفة
للقرء السبعة وتركيب السياق
يأبى معناها والله أعلم فان الضمير
في قال راجع الى الله تعالى في قراءة
الجهور والسياق يقتضيه وعلى
هذه القراءة الشاذة يكون الضمير
في قال عائدا على ابراهيم وهذا
خلاف نظم الكلام والله سبحانه
هو العلامة وأما قوله تعالى واذ يرفع
ابراهيم القواعد من البيت
واسمعي ربنا تقبل منا انك أنت
السميع العليم ربنا واجعلنا
مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة
لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك
أنت التواب الرحيم فالقواعد جمع
قاعدة وهى السارية والاساس
يقول تعالى واذكرا بمحمد لقومك

الاب بسبب الولدان تطلب منه ما لا يتقدر عليه من الرزق والكسوة أو بان تفرط في حفظ
الولد والقيام بما يحتاج اليه أو لاتصا رر من زوجه بان يقصر عليها في شئ مما يجب عليه
أو يتزعزعا ولداهما من ابلا سبب وهكذا قراءة الرفع تحتل الوجهين ويجوز ان تكون الباء
في قوله بولد خاصلة لقوله تضار على انه بمعنى تضار أى لاتضر والدة بولدها فتسى وتريشه
أو تقتصر في غذائه ولا وال بولده وقدمها المرط شفتها وأضيف الولد تارة الى الاب وتارة الى
الام للاستعطف لالبيان النسب اذ لو كانت له لم تصح الا للوالد لانه هو الذى ينسب اليه
الولد وهذه الجملة تفصيل للجملة التى قبلها وتقرر لها أى لا يكف كل واحد منهما مما الاخر
ما لا يطيقه فلا يضار بسبب ولده (وعلى الوارث مثل ذلك) معطوف على قوله وعلى المولود
له وما بينهما ما تفسير للمعروف أو تعليل له معترض بين المعطوف والمعطوف عليه واختلف
أهل العلم في معنى الآية فقيل هو وارث الصبي أى اذا مات المولود له كان على وارث هذا
الصبي المولود ارضاعه كما كان يلزم أباده ذلك قاله عمر بن الخطاب وقتادة والسدي والحسن
ومجاهد وعطاء وأحمد واسحق وأبو خنيفة وابن أبى الى على خلاف بينهم هل يكون
الوجوب على من يأخذ نصيبا من الميراث أو على الذى كور فقط أو على كل ذى رحم له وان
لم يكن وارثا منه وقيل المراد بالارث وارث الاب يجب عليه نفقة المرضعة وكسوتها
بالمعروف قاله الفخاؤه وقال مالك في تفسير هذه الآية بمنزل ما قاله الفخاؤه ولكنه قال
انهم امنسوخة وانهم الا نلزم الرجل نفقة أخ ولا ذى قرابة ولا ذى رحم منه وشرطه الفخاؤه
بان لا يكون للصبي مال فان كان له مال أخذت أجرة رضاعه من ماله وقيل المراد بالوارث
الذى كور في الآية هو الصبي نفسه أى عليه من ماله ارضاع نفسه اذا مات أبوه وورث من
ماله قاله قبيصة بن ذؤيب وبشير بن نصر قاضى عمر بن عبد العزيز وروى عن الشافعى
وقيل هو الباقي من والدى المولود بعد موت الآخر منهما فاذا مات الاب كان على الام
كفاية الطفل اذ لم يكن له مال قاله سفيان الثورى وقيل وارث المرضعة يجب عليه ان
يصنع بالمولود كما كانت الام تصنعه به من الرضاع والخدمة والتربية وقيل ان معنى الآية
انه يحرم عليه الاضرار بالام كما يحرم على الاب وبه قالت طائفة من أهل العلم قالوا وهذا
هو الاصل فمن ادعى انه يرجع فيه العطف الى جميع ما تقدم فعليه الدليل قال القرطبي وهو
الصحيح اذ لو أراد الجميع الذى هو الرضاع والاتفاق وعدم الضرر لقال وعلى الوارث مثل

بناء ابراهيم واسمعيلى عليهما السلام البيت ورفعهما القواعد منه وهما يقولان ربنا تقبل منا انك أنت هؤلاء

السميع العليم وحكى القرطبي وغيره عن أبى وابن مسعود انهما كانا يقرآن واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيلى
ويقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم (قلت) ويدل على هذا قولهما بعد ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة
لك الآية فهم فى عمل صالح وهما بسألان الله تعالى ان يتقبل منهما كما روى ابن أبى حاتم من حديث محمد بن يزيد بن خنيس المكي
عن وهيب بن الورد انه قرأ واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيلى ربنا تقبل منا ثم يبكي ويقول يا خليل الرحمن ترفع قوائم

بيت الرجن وأنت مشفق إن لا يتقبل منك وهذا كما حكى الله تعالى عن حال المؤمنين الخالص في قوله والذين يؤتون ما آتوا
يعطون ما أعطوا من الصدقات والنفقات والقربات وقلوبهم ووجهه أي خائفة أن لا يتقبل منهم كما جاء به الحديث الصحيح عن عائشة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي في موضعه وقال بعض المفسرين الذي كان يرفع القواعد هو إبراهيم والد إسماعيل
والصحيح أنهما كانا يرفعان ويقولان كما سيأتي بيانه وقد روى البخاري ههنا حديثا شامورا ثم تتبعه آثارا متعلقة بذلك قال
البخاري رحمه الله حدثنا عبد الله بن محمد أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر (٣٠٥) عن أيوب السخيتي وكثير بن كثير بن

المطاطب بن أبي وداعة يزيد
أحد هما على الآخر عن سعيد بن
جبير عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال أول ما اتخذ النساء
المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت
منطقة التعى أثرها على سارة ثم جاء
بها إبراهيم وبانها إسماعيل وهي
ترضعه حتى وضعهما عند البيت
عند دوحه فوق زمزم في أعلى
المسجد وليس بمكة يومئذ أحد
وليس بهما ماء فوضعهما هناك
ووضع عندهما جراب فيه تمر وسقاء
فيه ماء ثم قفا إبراهيم منطلقا
فتبعته أم إسماعيل فقالت يا إبراهيم
أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي
الذي ليس فيه أنيس ولا شيء فقالت
له ذلك ههنا وجعل لا يلتفت
إليها فقالت الله أمرك بهذا قال
فعم قالت إذا لا يبض عينا ثم رجعت
فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند
الثنية حيث لا يرونها استقبل
بوجهه البيت ثم دعا بهذه
الدعوات ورفع يديه فقال ربنا
انني أسكنت من ذرتي بواد غير ذي
زرع عند بيتك المحرم حتى بلغ
يشكرون وجعلت أم إسماعيل

هؤلاء قدل على أنه معطوف على المنع من المضارة وعلى ذلك تأوله كافة المفسرين فيما حكى
القاضي عبد الوهاب قال ابن عطية وقال مالك وجميع أصحابه والسعي والزهري
والخالك وجماعة من العلماء المراد بقوله مثل ذلك أن لا يضاروا وما الرزق والكسوة فلا
يجب شيء منهما وحكى ابن القاسم عن مالك مثل ما قدمنا في تفسير هذه الآية ودعوى
النسخ ولا يخفى عليك ضعف ما ذهب إليه هذه الطائفة فإن ما خصصوا به معنى قوله وعلى
الوارث مثل ذلك من ذلك المعنى أي عدم الأضرار بالمرضة قد أفاده قوله لا تضار والدة
بولدها لصدق ذلك على كل مضارة ترد عليهم من المولود له أو غيره وأما قول القرطبي لو أراد
الجميع لقال مثل هؤلاء فلا يخفى ما فيه من الضعف البين فإن اسم الإشارة يصلح للمتعذر
كما يصلح للواحد بآويل المذكر أو نحوه وأما ما ذهب إليه أهل القول الأول من أن
المراد بالوارث وارث الصبي فيقال عليه أنه لم يكن وارثا حقيقة مع وجود الصبي حيا بل هو
وارث مجازا باعتبار ما يؤل إليه وأما ما ذهب إليه أهل القول الثاني فهو وإن كان فيه
جل الوارث على معناه الحقيقية لكن لا يجب النكفة عليه مع غنى الصبي فيه ما فيه ولهذا
فيه القائل به بأن يكون الصبي فقيرا ووجه الاختلاف في تفسير الوارث ما تقدم من ذكر
الوالدين والمولود له والولد فاحتمل أن يضاف الوارث إلى كل منهم (فإن أراد افضالا) الضمير
لوالدين والفضال الطعام عن الرضاع أي التفريق بين الصبي والشدي ومنه سمي الفصل
لأنه مفصول عن أمه (عن تراض منهما) أي صادر عن تراض من الأبوين وعلى اتفاق
من الوالدين إذا كان الفضال وغطام الولد قبل الحولين (وتشاور) أي يشاورون أهل العلم
في ذلك حتى يجزوا أن الفضال قبل الحولين لا يضرب بالولد (فلا جناح عليهما) في ذلك
الفصل لما بين الله سبحانه أن مدة الرضاع حولان كاملا ن قيد ذلك بقوله لمن أراد أن يتم
الرضاعة وظاهره أن الأب وحده إذا أراد أن يفصل الصبي قبل الحولين كان ذلك جائزا له
وهنا اعتبر سبحانه تراض الأبوين وتشاورهما فلا بد من الجمع بين الأمرين بأن يقال إن
الإرادة المذكورة في قوله لمن أراد أن يتم الرضاعة لا بد أن تكون منهما أو يقال إن تلك
الإرادة إذ لم يكن الأبوان للصبي حينئذ كان الموجود أحدهما أو كانت المرضة للصبي
ظئرا غير أمه والتشاور استخراجه الرأي يقال شرت العسل استخرجه فلا بد لأحد الأبوين
إذا أراد فصل الرضيع أن يراضى الآخر ويشاوره حتى يحصل الاتفاق بينهما على ذلك

(٣٩ ل - فتح البيان) ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت
تنظر إليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت
الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فنهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان
المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا فنزلت ذلك سبع مرات قال ابن
عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهم خوفًا لما أشرقت على المروة سمعت صوتا فقالت صد تريد نفسها ثم

تسمعت فسمعت أيضا فقالت قد أسمع ان كان عندك غوث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول يدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقاها وهو يقرب بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله أم اسمعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا من عينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافي الضيعة فان همتا بيننا لله بينه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضمع أهله وكان البيت مرتفعاً من الارض كالراية تأتيه السيول فتأخذ (٣٠٦) تنعيمه وشماله فكانت كذلك حتى حرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت

من جرهم مقبلين من طريق كذا فنزلوا في أسفل مكة فقرأوا طائراً عائداً فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء العهد بناه هذا الوادي وما فيه ما فأرسلوا جراً يأبجرهين فاذا هم بالماء فرجعوا فأخبروههم بالماء فأقبلوا قال وأم اسمعيل عند الماء فقالوا أنأدنى لنا ان نزل عندك قالت نعم ولكن لاحق لكم في الماء عندنا قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فأتى ذلك أم اسمعيل وهي تحب الانيس فنزلوا وأرسلوا الى أهلهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها أهل آيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة منهم وماتت أم اسمعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسمعيل يطالع تركته فلم يجد اسمعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج بيتي لثام سأله عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة فمشكت اليه قال فاذا جاء زوجك فأقرئ عليه السلام وقولي له يغفر عنه يا به فلما جاء اسمعيل كاه

(وان أردتم) خطاب للآباء وزاد بعضهم الامهات وفيه خروج من الغيبة الى الخطاب (ان تسترضعوا أولادكم) قال الزجاج التقدير ان تسترضعوا لا اولادكم غير الالوة وعن سيبويه المعنى ان تسترضعوا المراضع أولادكم (فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتكم) بالمدى اعطيتم وعنى قراءة الجماعة الا ابن كثير فانه قرأ بالقصر أى فعلتم والمعنى انه لا بأس عليكم ان تسترضعوا أولادكم غير أمهاتهم اذا سلمتم الى الامهات أجرهن بحسب ما قد أرضعن لكم أى وقت ارادة الاسترضاع قاله سفيان الثوري ومجاهد وقال قتادة والزهرى ان معنى الآية اذا سلمتم ما آتيتكم من ارادة الاسترضاع أى سلم كل واحد من الابوين ورضى كان ذلك عن اتفاق منهما وقصد خير وارادة معروف من الامر وعلى هذا فيكون قوله سلمت عاماً للرجال والنساء تغليباً وعلى القول الاول الخطاب للرجال فقط وقيل المعنى اذا سلمتم ان اردتم استرضاعها أجرها فيكون المعنى اذا سلمتم ما أردتم ايأته أى اعطاءه الى الممرضعات وليس هذا قيداً لصحة الاجارة فان تعجيل الاجرة لا يشترط وانما هو قيد كمال لانه أطيّب لنفوسهن (بالعرف) أى بعاية معارفه الناس من أجر الممرضعات من دون مما طلة لهن أو حطب بعض ما هو لهن من ذلك فان عدم توفير أجرهن يبعثهن على التساهل بأمر الصبي والتفريط في شأنه والمعنى ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشرين بالوجوه ناطقين بالقول الجليل مطمين لانفس المراضع بما أمكن (واتقوا الله) أى خافوه فيما فرض عليكم من الحقوق وفيما أوجب عليكم للمراضع ولأولادكم (واعلموا ان الله بما تعملون بصير) لا يخفى عليه خافية من جميع أعمالكم سرها وعلانياتها فانه تعالى يراعا ويعلمها (والذين يتوفون منكم) ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً) لما ذكر سبحانه عدة الطلاق واتصل بذلك كره اذكر الارضاع عقب ذلك بذكر عدة الوفاة لئلا يتوهم ان عدة الوفاة مثل عدة الطلاق قال الزجاج ومعنى الآية والرجال الذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً أى ولهم زوجات فالزوجات يتربصن وقال أبو علي الفارسي تقديره والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بعدهم وهو كقولك السمن منوان بدرهم أى منه وحكى عن سيبويه ان المعنى وفيما تلى عليكم الذين يتوفون وقيل التقدير وأزواج الذين يتوفون منكم يتربصن ذكره صاحب الكشاف وفيه ان قوله ويذرون أزواجاً لا يلائم ذلك التقدير لان الظاهر من النكحة المعادة المغيرة وقال بعض النحاة من الكوفيين ان

الخبير أنس شياً فقال هل جاءكم من احد فالت نعم جاء شئ كذا وكذا فأنعمت فأخبرته وسألتى كيف عيشنا فأخبرته الخبر أنا في جهده وشدة قال فهل أوصالك بشئ قالت نعم امرنى ان أقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة يا بك قال ذلك أتى وقد أمرنى ان أفارقك فالجنى باهلك وطلقها وتزوج منهم أخرى فلبث عنهم ابراهيم ماشاء الله ثم اناهم بعد فلم يجدوه فدخل على امرأته فسألهاعنه فقالت خرج بيتي لنا قال كيف أنتم وسألهاعن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسوعة وأنت على الله عز وجل قال ما طعناكم قالت اللجم قال فاشير ابيكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حجب

ولو كان لهم لدعائهم فيه قال فهم لا يخلو عليهم ما احدث غير مكة الالم يوافقه قال فاذا جاء زوجك فافترق عليه السلام ومعه شئت
عقبه باب فاجاء اسمعيل قال هل اتاكم من احد قالت نعم انا ناشخ حس الهيمه وانت عليه فسألني عنك فاخبرته فبأني كيف
عشنا فاخبرته انا بخير قال فأوصالك بشي قالت نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك ان تثبت عتبة بابك قال ذاك أي وأنت العتبة
أمرني ان أمسكك ثم لبث عنهم ماشاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يرى نبلا له تحت دوحه قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه وصنعا كما
يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال يا اسمعيل ان الله أمرني بأمر قال (٣٠٧) فأصنع ما أمرك ربك قال وتعينني قال

وأعينك قال فان الله أمرني ان
أبني ههنا بيتا وأشار الى آكة
مرتفعة على ما حولها قال فعند
ذلك رفعوا القواعد من البيت فجعل
اسمعيل ياتي بالجارة وابراهيم يبي
حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر
فوضعه له فقام عليه وهو يبني
واسمعيل يناوله الجارة وهما
يقولان ربنا تقبل منا انك أنت
السميع العليم قال فجعلانيان
حتى يدورا حول البيت وهما
يقولان ربنا تقبل منا انك أنت
السميع العليم ورواه عبد بن
حميد عن عبد الرزاق به مطولا
ورواه ابن أبي حاتم عن أبي عبد الله
محمد بن جواد الطبراني وابن جرير
عن أحمد بن ثابت الرازي كلاهما
عن عبد الرزاق به مختصرا وقال
أبو بكر بن مردويه أخبرنا
اسمعيل بن علي بن اسمعيل أخبرنا
بشر بن موسى أخبرنا أحمد بن محمد
الازرق أخبرنا مسلم بن خالد
الزنجي عن عبد الملك بن جريج عن
كثير بن كثير قال كنت انا وعمان
ابن أبي سليمان وعبد الله بن عبد
الرحمن بن أبي حسين في ناس مع

الخبر عن الذين متروك والقصد الاخبار عن أزواجهم بانهم يتربصن وأصل التوقي أخذ
الشيء وافيافن مات فقد استوفى عمره كما لا يقال توفي فلان يعني قبض وأخذ والخطاب
لكافة الناس بطريق التسوين والمراد بالازواج هنا النساء لان العرب تطلق اسم الزوج
على الرجل والمرأة والمعنى الذين يوقون ويتركون النساء ينتظرن بانفسهن قدر هذه المدة
ووجه الحكمة في جعل العدة للوفاة هذا المقدار ان الجنين الذي يتحرك في الغالب ثلاثة
أشهر والابن لا أربعة فزاد الله سبحانه على ذلك عشر الا ان الجنين ربما يضعف عن الحركة
فتأخر حركته قليلا ولا يتأخر عن هذا الاجل وظاهر هذه الآية العموم وان كل من
مات عنها زوجها تكون عدتها هذه العدة ولكنه قد خص هذا العموم بقوله تعالى
وأولات الاجال أجلهن ان يضعن حملهن والى هذا ذهب الجمهور وروى عن بعض
الصحابة وجماعة من أهل العلم ان الحامل تعتد بأخر الاجلين جمع بين العام والخاص
واعمالهما والحق ما قاله الجمهور والجمع بين العام والخاص على هذه الصفة لا يناسب
قوانين اللغة ولا قوانين الشرع ولا معنى لخراج الخاص من بين افراد العام الايمان ان
حكمه مغاير لحكم العام ومخالف له وقد صرح عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه أذن لسبعة
الاسلية ان تترقح بعد الوضع والترقب التأني والتصبر عن النكاح وظاهر الآية عدم
الفرق بين الصغيرة والكبيرة والحر والامة وذات الحيض والأيسة وان عدتهن جميعا
للوفاة أربعة أشهر وعشر وقيل ان عدة الامة نصف عدة الحر شهران وخمسة ايام قال
ابن العربي اجماعا الا ما يحكي عن الاصح فانه سوى بين الحر والامة وقال الباسجي ولا نعلم
في ذلك خلافا لا ما يروى عن ابن سيرين انه قال عدتها عدة الحر وليس بالثابت عنه
ووجه ما ذهب اليه الاصم وابن سيرين ما في هذه الآية من العموم ووجه ما ذهب اليه
من عدتها قياس عدة الوفاة على الحد فانه ينصف للامة بقوله سبحانه فعلمين نصف ما على
المحصنات من العذاب وقد تقدم حديث طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان وهو
صالح للاحتجاج به وليس المراد منه إلا جعل طلاقها على النصف من طلاق الحر وعدتها
على النصف من عدتها ولكنه لما لم يمكن أن يقال طلاقها تطليقة ونصف وعدتها حيضة
ونصف لكون ذلك لا يعقل كانت عدتها وطلاقها ذلك القدر المذكور في الحديث جبرا
للكسر ولكن ههنا أمر يمنع من هذا القياس الذي عمل به الجمهور وهو ان الحكمة في

سعيد بن جبيرة في أمي المسجد ليل فقال سعيد بن جبيرة سألني قبل ان لا تروني فسألوه عن المقام فأنشأ يحسدتهم عن ابن عباس فذكر
الحديث بطوله ثم قال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد أخبرنا أبو عامر عبد الملك بن عمر وأخبرنا ابراهيم بن نافع عن كثير بن كثير عن
سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال لما كان بين ابراهيم وبين أخله ما كان خرج باسمعيل وأم اسمعيل ومعهم شئ في ماء فجعلت أم
اسمعيل تشرب من الشئ فيدرب لها على صبيها حتى قدم مكة فوضعهما تحت دوحه ثم رجع ابراهيم الى اهله فأتته أم اسمعيل
حتى بلغوا كدنا فنادته من وراءه يا ابراهيم الى من تتركنا قال الى الله قالت رضيت بالله قال فرجعت فجعلت تشرب من الشئ ويدر

لنم اعلی صیبا حتی لما فی الماء قالت لو ذهبت فنظرت لعل أحسن احدا فذهبت فصعدت الصفا فنظرت هل تحس أحسا فسلم
تحتس أحدا فلما بلغت الوادی سعت حتى أتت المروءة وعلت ذلك أشواطا حتى أتت سبعائهم قالت لو ذهبت فنظرت ما فعل الصبی
فذهبت فنظرت فاذا هو علی حمله كأنه ینسج للموت فلم تقرها نفسها فقالت لو ذهبت فنظرت لعل أحسن احدا فذهبت فصعدت
الصفا فنظرت ونظرت فلم تحس أحدا حتى أتت سبعائهم قالت لو ذهبت فنظرت ما فعل فاذا هی بصوت فقالت أعش ان كان عندك
خبر فاذا جیر بل علیه السلام (٣٠٨) قال قتال بعقبه هكذا ونحو عقبه علی الارض قال فابقی الماء فذهبت ام اسمعیل

فَجَعَلَتْ تَحْفَرُ قَالَ فَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوُزَّتْ كَتَمَتْ
لِكَانَ الْمَاءُ ظَاهِرًا قَالَ جَعَلَتْ
تَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ وَيَدْرِ لِبَنَاءِ عَلَى
سَبِيحًا قَالَ فَرَأَسَ مِنْ جِرْهِمْ بَيْطُنَ
الْوَادِي فَأَذَاهُمْ بِطَيْرِ كَانَتْهُمْ أَنْكَرُوا
ذَلِكَ وَقَالُوا مَا يَكُونُ الطَّيْرُ الْأَعْلَى
مَاءً فَبَعَثُوا رَسُولَهُمْ فَظَنَرُوا فَأَذَاهُوا
بِالْمَاءِ فَأَتَاهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ فَأَتُوا إِلَيْهَا
فَقَالُوا يَا أَسْمَعِيلُ أَنْذَرْنَا أَنْ
نَكُونُ مَعَكَ وَنَسْكُنَ مَعَكَ فَبَلَغَ
ابْنَاهُ وَنَكَحَ مِنْهُمْ امْرَأَةً قَالَ ثُمَّ أَنَّهُ
بَدَأَ لِابْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَالَ لِأَخِي أَنِّي مَطْلَعُ تَرْكِي قَالَ
خُفَاءً فَسَلِمَ فَقَالَ آيُنَ - ا - سْمَعِيلُ قَالَتْ
امْرَأَتُهُ ذَهَبَ يَصِيدُ قَالَ قَوْلِي لَهُ
إِذَا جَاءَ غَرِيبَةً يَا بَنِي فَلَمَّا أَخْبَرَتْهُ
قَالَ أَنْتَ ذَلِكَ فَأَذْهَبِي إِلَى أَخِيكَ
قَالَ ثُمَّ أَنَّهُ بَدَأَ لِابْرَاهِيمَ فَقَالَ أَنِّي
مَطْلَعُ تَرْكِي قَالَ خُفَاءً فَقَالَ آيُنَ
ا - سْمَعِيلُ فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ ذَهَبَ
يَصِيدُ فَقَالَتْ أَلَا تَنْزِلُ فَتَقْطَعُ
وَتَشْرَبُ فَقَالَ مَا طَعَامُكُمْ وَمَا شَرِبُكُمْ
قَالَتْ طَعَامُنَا اللَّحْمُ وَشَرَابُنَا الْمَاءُ
قَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي طَعَامِهِمْ
وَشَرَابِهِمْ قَالَ فَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ

جعل عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرا وما قدمناه من معرفة خلوها من الحمل ولا يعرف الا
تلك المدة ولا فرق بين الحرة والامة في مثل ذلك بخلاف كون عدتها في غير الوفاة حيتين
فان ذلك يعرف به خلوا الرحم ويؤيد عدم الفرق ماسيا في عدة أم الولد واختلف أهل
العلم في عدة أم الولد عرت سيدها فقال سعيد بن المسيب ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن
وابن سيرين والزهرى وعمر بن عبد العزيز والاوزاعي واسحق بن راهويه وأحمد بن حنبل
في رواية عنه انها تعد بأربعة أشهر وعشر لحديث عمرو بن العاص قال لا تلبسوا علينا
سنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم عدة أم الولد اذا توفي عنها سيدها أربعة أشهر وعشر
أخرج أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم وصححه وضعفه أحمد وأبو عبيد وقال
الدارقطني الصواب انه موقوف وقال طاووس وقناة عدتها شهران وخمس ليل وقال
أبو حنيفة وأصحابه والثوري والحسن بن صالح تعد بثلاث حيض وهو قول علي وابن
مسعود وعطاء وابراهيم النخعي وقال مالك والشافعي وأحمد في المشهور عن عدتها
حيضة وغير الخاض شهره يقول ابن عمر والشعبي ومكحول والليث وأبو عبيد وأبو ثور
والجمهور وقد أجمع العلماء على ان هذه الآية ناسخة لما بعدها من الاعتداد بالحوول وان
كانت هذه الآية متقدمة في التلاوة (فأذا بلغن أجلهن) المراد بالبلوغ هنا انقضاء العدة
(فلا جناح عليكم) الخطاب للاولياء لانهم هم الذين يتولون العقد وقيل الخطاب لجميع
المسلمين (فما فعلن في أنفسهن) من التزين والتعرض للخطاب والنقله من المسكن الذي
كانت معتدة فيه وقيل عنى بذلك النكاح خاصة والاولى (بالمعروف) الذي
لا يخالف شرعا ولا عادة مستحسنة وقد استدل بذلك على وجوب الاحداد على المعتدة
عدة الوفاة وقد ثبت ذلك في الصحيحين وغيرهما من غير وجه ان النبي صلى الله عليه وآله
وسلم قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تتحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج
أربعة أشهر وعشرا وكذلك ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم لم في الصحيحين وغيرهما
النهي عن الكحل لمن هي في عدة الوفاة والاحداد ترك الزينة من الطيب ولبس الثياب
الجديدة والحلي وغير ذلك ولا خلاف في وجوب غل في عدة الوفاة ولا خلاف في عدة
الرجعية واختلفوا في عدة البائنة على قولين ومحل ذلك كتب علم الفروع واحتج أصحاب
أبي حنيفة على جواز النكاح بغير ولي بهذه الآية لان اضافة الفعل الى الفاعل محمول على

وشرابهم قال فقال ابو القاسم قال ثم انه بدا ابراهيم صلى الله عليه وسلم فقال لاهله اني مطاع تركي المباشرة صلى الله عليه وسلم بركة بدعوة ابراهيم قال ثم انه بدا ابراهيم صلى الله عليه وسلم فقال لاهله اني مطاع تركي المباشرة فجاءه وافق اسمعيل من وراءه فزعم يصلح نبلا له فقال يا اسمعيل ان ربك عز وجل امرني ان ابنى له بيتا فقال اطع ربك عز وجل قال انه قد امرني ان تعينني عليه فقال اذا فعلت او كما قال قال فقام فجعل ابراهيم يبنى واسمعيل يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم قال حتى ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم حكذا رواه من هذين الوجهين في كتاب الانبياء والعجب ان الحافظ ابا عبد الله الحاكم رواه في كتابه المستدرک عن ابي العباس الاصم عن محمد بن سنان القزاز عن ابي علي عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي عن ابراهيم بن زافع به وقال

مصحح على شرط الشيخين ولم يخرجاه كذا قال وقد رواه البخاري كاتري من حديث ابراهيم بن نافع وكان فيه اختصار افا انه لم يذكر فيه شأن الذبح وقد جاء في الصحيح ان قرني الكباش كانا معلقين بالكعبة وقد جاء ان ابراهيم عليه السلام كان يزور اهل بيته على البراق سرعيا ثم يعود الى اهل بيته بالبلاد المقدسة والله أعلم والحديث والله أعلم انما فيه مرفوع أما كن صرح به ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في هذا السياق ما يخالف بعض هذا كما قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المنثري قالوا أخبرنا مؤمل أخبرنا سفيان عن أبي اسحق (٣٠٩) عن حارثة بن مضرب عن علي بن أبي طالب قال لما أمر ابراهيم ببناء

المباشرة وأجيب بانه خطاب للاولياء ولوضح العدة بغير ولي لما كان مخاطبا (والله بما تعملون خبير) لا يخفى عليه خافية (ولاجتراح عليكم فيما عرّضتم به من خطبة النساء) المتوفى عنهن أزواجهن في العدة وكذا المطلقات طلاقا بنا وأما الرجعات فيحرم التعريض والتصریح بخطبتين ففي المفهوم تفصيل والاحتجاج الانم أي لا اثم عليكم والتعريض ضد التصریح وهو من عرض الشيء أي جانبه كأنه يحوم به حول الشيء ولا يظهره وقيل هو من قولك عرضت الرجل أي أهديت له ومنه ان ركبا من المسلمين عرضوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبا بكر يا أيها أهدوا ههنا فاما المعرض بالكلام يوصل الى صاحبه كلاما يفهم معناه وقال في الكشف الفرق بين الكناية والتعريض ان الكناية ان تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع والتعريض ان تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتكم لا سلم عليكم ولا انظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا * وحسبك بالتسليم متى تقاضيا * وكأنه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض ويسمى التلميح لانه يلوح منه ما يريد انتمى والمعنى لو حتم وأشرتم والخطبة بالكسر ما يقع عليه الطالب من الطلب والاستطاف بالقول والفعل يقال خطبها بخطبها خطبة وخطبا والخطبة بالضمة هي الكلام الذي يقوم به الرجل خطبا (أو أكنتم) معناه سترتم وأضمرتم من التزويج بعد انقضاء العدة والا كان التستر والاختفاء يقال أكنتمه وكنتمه وهما بمعنى واحد ومنه يعض مكنون ودر مكنون وأهنا اللاباحة أو التخمير أو التفصيل أو الابهام على المخاطب (في أنفسكم) يعني من قصد نكاحهن وقيل هو أن يدخل ويسلم ويهدي ان شاء ولا يتكلم بشيء (علم الله أنكم ستدكرونهن) أي لا تصبرون عن النطق لهن برغبتكم فيهن فرخص لكم في التعريض دون التصریح وقال في الكشف ان فيه طرفا من التوبيخ كقوله تعالى علم الله أنكم كنتم تحتلون أنفسكم (ولكن لا يواعدوهن سرا) قد اختلف العلماء في معنى السرف قيل معناه نكاحا أي لا يقل الرجل لهذه المعتدة تزويجيني بل يعرض بعرض أيضا وقد ذهب الى ان هذا معنى الآية جهور العلماء وقيل السر الزنا أي لا يكون منكم مواعدة على الزنا في العدة ثم التزويج بعدها قاله جابر بن زيد أبو مجلز والحسن وقتادة والخمالي والتخمي واختاره ابن جرير الطبري وقيل السر الجماع أي لا تصفوا أنفسكم لهن بكثرة الجماع ترغيبا لهن في النكاح

أولا وضع له حوطا وتجبوا لانه بناء الى أعلاه حتى كبر اسمعيل فبناه معا كما قال الله تعالى ثم قال ابن جرير أخبرنا بن السري حدثنا أبو الاحوص عن سماعة عن خاد بن عريرة ان رجلا قام الى علي رضي الله عنه فقال ألا تخبرني عن البيت أهو أول بيت وضع في الأرض فقال لا ولكن أول بيت وضع في البركة مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وان شئت أنبأتك كيف بنى ان الله أوحى الى ابراهيم ان ابن لي يتافى الارض فضا قاق ابراهيم بذلك ذرعا فأرسل الله السكينة وهي ريح تجوز ولها أركان فابع أحدهما صاحبه حتى انتهت الى مكة فطوت على موضع البيت كطى الخفة وأمر ابراهيم ان يبنى حيث تسمت السكينة فبنى

ابراهيم وبني الحجر فذهب الغلام شيئا فقال ابراهيم ابغني حجرا كما امرك قال فانطلق الغلام واتمس له حجرا فاتاه به فوجده قد ركه الحجر الاسود في مكانه فقال يا ابت من أتاك بهذا الحجر فقال أتاني به من لم يسكن على بناء جاء به جبريل عليه السلام من السماء فاتمته وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ أخبرنا سفيان عن بشر بن عاصم عن سعيد بن المسيب عن كعب الاحبار قال كان الميت غشاة على الماء قبل ان يخلق الله الارض باربعين عاما ومنه حيث الارض قال سعيد وحدثنا علي بن أبي طالب أن ابراهيم أقبل من أرض (٣١٠) أرمينية ومعه الكينة تدله على بيوت البيت كما تبتوا العنكبوت بيتا قال

والى هذا ذهب الشافعي في معنى الآية والاستدراك بقوله لكن من مقدر دل عليه سند كروهن أي فاذا كروهن ولكن لا راعدوهن سرا ولا تصرحوها بالخطبة بان تذكروا صريح النكاح قال ابن عطية أجمعت الامة على ان الكلام مع العتدة بما شاورت من ذكر جاع أو تعريض عليه لا يجوز وقال أيضا أجمعت الامة على كراهة المواعدة في العدة للمرأة في نفسها واللاب في ابنته البكر والسيد في أمته وقال ابن عباس المواعدة سر ان يقول لها اني عاشق وعاهدي ان لا تزوجي غيري ونحو هذا (الا أن تقولوا) قيل هو استثناء منقطع بمعنى لكن لان القول هو التعريض والمستثنى منه المراد به التصريح وهذا هو شأن المنقطع يفسر بلكن وبه قال السيوطي ومنع صاحب الكشاف ان يكون منقطعا وقال هو مستثنى من قوله لا تواعدوهن أي مواعدة ماقط الامواعدة معروفة غير منكورة شرعا وهي ما يكون بطريق التعريض والتأويل فجعله على هذا استثناء متصلا من رعا ووجه كونه منقطعا انه يؤدي الى جعل التعريض موعودا وليس كذلك لان التعريض طريق المواعدة لانه الموعود في نفسه وعن ابن عباس قال التعريض ان يقول اني أريد التزويج وانني لأحب المرأة من أمرها وان من شأنى النساء ولوددت ان الله يسر لي امرأة صالحة رواه البخاري وجماعة (قولا معروفا) أي تعريضا وقال ابن عباس هو قوله ان رأيت ان لا تسبقني بنفسك أو يقول انك جميلة وانك الى خير وان النساء من حاجتي (ولا تعزموا عقدة النكاح) قد تقدم الكلام في معنى العزم يقال عزم الشيء وعزم عليه والمعنى هنا لا تعزموا على عقدة النكاح في العدة لان العزم عليه بعد هال بالأس به ثم حذف على قال سيويه والحذف في هذه الآية لا يقاس عليه وقال النحاس يجوز ان يكون المعنى ولا تعقدوا عقدة النكاح لان معنى تعزموا وتعقدوا واحد قيل ان العزم على الفعل يتقدمه فيكون في هذا النهي مبالغة لانه اذا نهى عن المتقدم على الشيء كان النهي عن ذلك الشيء بالاولى (حتى) غاية للنهي (يلغ الكتاب أحله) أي تنقضي العدة والكتاب هنا هو الحد والقدر الذي رسم من المدة سماه كتابا لكونه محددا ومفروضا كقوله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وهذا الحكم أعني تحريم عقد النكاح في العدة مجمع عليه والمراد بالاجل آخر مدة العدة (واعلموا ان الله يعلم ما في أنفسكم) من العزم على ما لا يجوز (فاحذروه) أي عقابه اذا عزمتم على عقدة

فكشفت عن أبحار لا يطيق الحجر الاثلاثون رجلا فقلت يا أبا محمد فان الله يقول واذيرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعهيل قال كان ذلك بعد وقال السدي ان الله عز وجل أمر ابراهيم ان يبني البيت هو واسمعهيل ابنا بيتي للطائفتين والعائفتين والركع السجود فانطلق ابراهيم حتى أتى مكة فقام هو واسمعهيل وأخذوا المعاول لا يدريان أين البيت فبعث الله ريحا يقال لها الريح الخجوج لها جناحان ورأس في صورة حية فكشفت لهما ما حول الكعبة عن أساس البيت الاول واتباعها بالمعاول يحفران حتى وضعا الأساس فذلك حين يقول تعالى واذيرفع ابراهيم القواعد من البيت واذبوأنا لابراهيم مكان البيت فلما بنيا القواعد فبلغا مكان الركن قال ابراهيم لاسمعهيل يا بني اطلب لي حجرا احسنا أضعه ههنا قال يا ابت اني كسلان لغب قال على ذلك فانطلق يطلب له حجرا وجاءه جبريل بالججر الاسود من الهند وكان أبيض باقوتة بيضاء مثل

الثغامة وكان آدم هبط به من الجنة فأسودت خطايا الناس فجاءه اسمعهيل بحجر فوجده عند الركن فقال يا ابت من النكاح جاءك بهذا قال جاء به من هو أشد منك فبنوا هما يدعوان الكامات التي ابتلى ابراهيم ربه فقال ربنا تبطل منا أنك أنت السميع العليم وفي هذا السياق ما يدل على ان قواعد البيت كانت مبنية قبل ابراهيم وانما هدى ابراهيم اليها وبؤى لها وقد ذهب الى هذا ذاهبون كما قال الامام عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس واذيرفع ابراهيم القواعد من البيت قال القواعد التي كانت قواعد البيت قبل ذلك وقال عبد الرزاق أيضا أخبرنا هشام بن حسان عن سوار بن عطاء عن عطاء بن أبي رباح

قال لما هبط الله آدم من الجنة كانت رجلاه في الارض ورأسه في السماء يسمع كلام أهل السماء ودعاهم فأنس اليهم فهابت الملائكة حتى شكت الى الله في دعائها وفي صلاتها فخفضه الله تعالى الى الارض فلما تقدموا كان يسمع منهم استوحش حتى شكا ذلك الى الله في دعائه وفي صلاته فوجه الى مكة فكان موضع قدميه قرية وخطوه مائة حتى انتهت الى مكة وأنزل الله ياقوته من ياقوت الجنة فكانت على موضع البيت الآن فلم يزل يطوف به حتى أنزل الله الطوفان فرفعت تلك الياقوتة حتى بعث الله ابراهيم عليه السلام فيه وذلك قول الله تعالى واذنوا بالابراهيم مكان البيت وقال (٣١١) عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج عن

عطاء قال قال آدم اني لا اسمع أصوات الملائكة قال بنطيتك ولكن اهبط الى الارض فابن لي بيتا ثم احفف به كما رأيت الملائكة تحف بينتي الذي في السماء فيزعم الناس انه بناه (١) من خمسة أجناب من حراء وطور زيتا وطور سيناء والجودي وكان ربه من حراء فكان هذا بناء آدم حتى بناه ابراهيم عليه السلام بعد وهذا صحيح الى عطاء ولكن في بعضه نكارة والله أعلم وقال عبد الرزاق أيضا أخبرنا معمر عن قتادة قال وضع الله البيت مع آدم اهبط الله آدم الى الارض وكان مهبطه بارض الهند وكان رأسه في السماء ورجلاه في الارض فكانت الملائكة تنهاه فنقص الى ستين ذراعا فزن آدم اذ فقد أصوات الملائكة وتسيحهم فشا ذلك الى الله عز وجل فقال الله يا آدم اني قد أهبط لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلى عنده كما يصلى عند عرشي فانطلق اليه آدم فخرج ومدا في خطوه فكان بين كل خطوتين مفازة فلم تزل تلك

النكاح في العدة والاتعزموا عليه فان العزم على المعصية مغصية (واعلموا أن الله غفور حلیم) لا يعاجلكم بالعقوبة على الجهر بالمعصية بل يسترها (لأجناس عليكم) المراد بالجناس هنا التبعية من المهر ونحوه فرفعه رفع لذلك أي لا تسعة عليكم بالمهر ونحوه (ان طلقتم النساء لم تمسوهن) أي مدة عدم مسيكنهم وقال أبو البقاء والمعنى ان طلقتهن غير ماسين لهن فعلى الاول ما مصدرية طرفية وعلى الثاني شرطية وقيل انها موصولة أي ان طلقتم النساء اللاتي لم تمسوهن أي ما لم تتجامعهن وقرأ ابن مسعود من قبل ان تتجامعهن وقرأ غيرهما مسوهن من المفاعلة وهكذا اختلفوا في قوله (أو تفرضا لهن فريضة) فقيل أو بمعنى الأي الا ان تفرضا وقيل بمعنى حتى أي حتى تفرضا وقيل بمعنى الواو أي وتفرضا اولست أرى لهذا التطويل وجهها ومعنى الآية أوضح من أن يلتبس فان الله سبحانه رفع الجناس عن المطلقين ما لم يقع أحد الاخرين أي مدة انتفاء ذلك الاحد ولا يقتضي الاحد الملبهم الا بانتفاء الامر من معافان وجد المسيس وجب المسمى أو مهر المثل وان وجد الفرض وجب نصفه مع عدم المسيس وكل واحد منهما اجناس أي المسمى أو مهر المثل أو نصفه واعلم ان المطلقات أربع مطلقة مدخول بها مفروض لها وهي التي تقدم ذكرها قبل هذه الآية وفيها نهى عن الاضاح عن ان يأخذوا مما آتوهن شيئا وان عدتهن ثلاثة قروء ومطلقة غير مفروض لها ولا مدخول بها وهي المذكورة هنا فلا مهر لها بل المتعة وبين في سورة الاحزاب ان غير المدخول بها اذا طلقت فلا عدة عليها ومطلقة مفروض لها غير مدخول بها وهي المذكورة بقوله سبحانه وان طلقتهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة ومطلقة مدخول بها غير مفروض لها وهي المذكورة في قوله تعالى فما استمتعتم بهن من فآتوهن أجورهن والمراد بالفرصة هنا تسمية المهر وفيها وجهان أظهرهما انها مقعول به والتقدير شيء مفروض والثاني ان تكون منصوبة على المصدر بمعنى فرضوا واستجدوا أبو البقاء الوجه الاول (ومتعوهن) أي أعطوهن شيئا يكون متاعا لهن وظاهرا لاجب الوجوب وبه قال علي وابن عمر والحسن البصري وسعيد بن جبير وأبو قلاية والزهرى وقاتدة والخالك ومن أدلة الوجوب قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فتمتعوهن وسرحوهن سرا حبيلا وقال مالك وأبو عبيد

للمأز بعد ذلك فأبى آدم البيت فطاف به ومن بعده من الانبياء وقال ابن جريج أخبرنا ابن جيمد أخبرنا يعقوب العمى عن حفص ابن جيمد عن عكرمة عن ابن عباس قال وضع الله البيت على أركان الماء على أربعة أركان قبل أن تخلق الدنيا بألني عام ثم دحيت الارض من تحت البيت وقال محمد بن اسحق حدثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد وغيره من أهل العلم ان الله لما بعث ابراهيم ومعه جبريل يده على موضع البيت ودعا له الحرم وخرج معه جبريل فكان لا يمر بقربة إلا قال أبهذه أمرت يا جبريل فيقول (١) قوله خمسة المعدود أربعة وحرره اه

جبريل امضه حتى قدم به مكة فوهى انذالك اعضاءه وسنموسر و بهما اناس يقال لهم العماليق خارج مكة وساحوتيا والبيت يومئذ
ربوة جراندة فقال ابراهيم بن خويلد اخيه حرت ان اضعها قال نعم فعمد بهما الى موضع الخرفان فزك ما فيه وامر هاجرا
اجعل ان تتخذ فيه عريشا فقال رب انى اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم الى قوله لعلهم يشكرون وقد
عبد الزناق اخبرنا هشام بن حسان اخبرني حميد عن مجاهد قال خلق الله موضع هذا البيت قبل ان يخلق شيئا بالآنى سنة وأركان في
الارض السابعة وكذا قال ليث بن أبي سليم (٢١٢) عن مجاهد القواعد في الارض السابعة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي

أخبرنا عمر بن رافع أخبّرنا عبد
الوهاب بن معاوية عن عبد
المؤمن بن خالد عن عليّ بن حجر أن
ذا القرنين قدم مكة فوجد إبراهيم
واسماعيل بينان قواعده البيت من
خمسة أجيال فقال مالك ولا رضا
فقال نحن عبدان مأموران
أمرنا ببناء هذه الكعبة قال فما بنا
بالبنية على ما أتت عيان فقامت
خمسة أكباش فقلن نحن نثم مد أن
إبراهيم واسماعيل عبدان مأموران
أمرنا ببناء هذه الكعبة فقال قد
رضيت وسلمت ثم مضى وذكر
الأزرق في تاريخه أنه ان ذا القرنين
طاف مع إبراهيم عليه السلام
بالبیت وهذا يدل على تقدم زمانه
والله أعلم وقال البخاري رحمه
الله قوله تعالى وأذيرفع إبراهيم
القواعد من البيت وإسماعيل
الآية القواعد أساسه واحدا
قاعدة والقواعد من النساء
واحدتها قاعدة حدثنا إسماعيل
حدثني مالك عن ابن شهاب عن
سالم بن عبد الله أن عبد الله بن
محمد بن أبي بكر أخبر عبد الله بن
عمر عن عائشة زوج النبي صلى الله

والقاضي شرح وغيرهم ان المتعة المطلقة المذكورة مندوبة لا واجبة لقوله تعالى حقا
على المحسنين ولو كانت واجبة لاطلقها على اطلاق اجمعين ويحاج عنه ان ذلك لا ينافي
الوجوب بل هو ثابت كسده كما في قوله في الآية الاخرى حقا على المتقين أي ان الوفاء بلك
والقيام به شأن أهل التقوى وكل مسلم يجب عليه ان يتق الله سبحانه وقد وقع الخلاف
أيض هل المتعة مشروعة لغیر هذه المطلقة قبل المسيس والقرض أم ليست بمشروعة الا
ليافقط فقبل انها مشروعة لكل مطلقة واليه ذهب ابن عباس وابن عمر وعطاء وجابر بن
زيد وسعيد بن جبیر وأبو العالية واخسر البصري والشافعي في أحد قولييه وأحمد واسحق
ولكنهم اختلفوا هل هي واجبة في غير المطلقة قبل النساء والقرض أم مندوبة فقط
واستدلوا بقوله تعالى والله طلاق ما عرف حقا على المتقين وبقوله تعالى يا أيها
النبي قبل لا زواجك ان كنتن تردن اخياة الدنيا وزينتهن فاعطينن ما سئعن وأمر حكيم
سرا حجابا والآية الاولى عامة لكل مطلقة والثانية في أزواج النبي صلى الله عليه وآله
وسلم وقد كن مفروضا لهن مدخولا لهن وقال سعيد بن المسيب انها يجب لله طلاقا اذا
طلقت قبل للمسيس وان كانت مفروضا لها لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا كنتم
المؤمنات ثم طلقوهن من قبل ان تمسوهن فالكلم عليهن من عدة تعدوهن فاعطوهن
قال عده الآية التي في الاحزاب نسخت التي في البقرة وذهب جماعة من أهل العلم الى
ان المتعة مختصة بالمطلقة قبل النساء والتسمية لان المدخول بها تسحق جميع المسمى أو غير
المثل وغير المدخولة التي قد فرض ليه أزواجهن فريضة أي سمي ليه اميرا وطلاقا قبل
الدخول تسحق نصف المسمى ومن القائلين بهذا ابن عمر ومجاهد وقد وقع الاجماع على
ان المطلقة قبل الدخول أو القرض لا تسحق الا المتعة اذا كانت حرة وأما اذا كانت أمة
فذهب الجمهور الى ان ليه المتعة وقال الاوزاعي والثوري لا متعة لها لانها تكون
لبيدها ولا تسحق مالا في مقابل تأدي ملكه لان الله سبحانه انما شرع المتعة للمطلقة
قبل الدخول والقرض لكونها ساذي بالطلاق قبل ذلك وقد اختلفوا في امتعة
المشروعة هل هي مقدرة بقدر أم لا فقال مالك والشافعي في الجديد لا حد ليه معروف بل
ما يقع عليه اسم المتعة وقال أبو حنيفة انه اذا تنازع الزوجان في قدر المتعة وجب ليه
نصف مؤمئتها ولا ينقص من خمسة دراهم لان أقل المهر عشرة دراهم والسلف فيها

عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اثم ترى ان قومك حين بنوا البيت اقتصروا عن قواعد ابراهيم اقول
فقلت يا رسول الله ألا تردنا على قواعد ابراهيم قال لا لاحداث قومك بالكفر فقال عبد الله بن عمر كنت عائشة سمعت هذا من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك استلام الركبتين اللذين يليان الخراج الا ان البيت لم يتم
على قواعد ابراهيم عليه السلام وقدر وافي الحج عن القعني وفي احاديث الانبياء عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيى بن يحيى
ومن حديث بن وهب والنسائي من حديث عبد الرحمن بن القاسم كلهم عن مالك بن ورواه مسلم ايضا من حديث نافع قال سمعت

عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن أبي خافعة يحدث عبد الله بن عمر عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية أو قال بكفر لا تنقذ كنز الكعبة في سبيل الله ولعلت بابها بالارض ولا دخلت فيها الخمر وقال البخاري أخبرنا عبد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحق عن الأسود قال قال لي ابن الزبير كانت عائشة تسر اليك حديثا كثيرا فحدثتني في الكعبة قال قلت قالت لي قال النبي صلى الله عليه وسلم يا عائشة لولا قومك حديث عهد بمك لا تنقذ كنز الكعبة فجعلت لها بابا بين بابي يدخل منه الناس وبابا يخرجون منه ففعله (٣١٣) ابن الزبير انفرديا خراج البخاري فروا هكذا

في كتاب العلم من صحيحه وقال مسلم في صحيحه حدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا حداثه عهد قومك بالكفر لنتقت الكعبة ولجعلناها على أساس إبراهيم فان قرى شاحين بنت البيت استقصرت ولجعلت لها خانقا قال وحديثه أبو بكر ابن أبي شيبة وابو كريب قال أخبرنا ابن نمير عن هشام بهذا الاسناد انفرده مسلم قال وحديثي محمد بن حاتم حدثني محمد بن مهادي أخبرنا سليمان بن حيان عن سعيد بن عيسى عن ابن مينا قال سمعت عبد الله بن الزبير يقول حدثتني خالتي عاتكة بنت عائشة رضي الله عنها قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم يا عائشة لولا قومك حديث عهد بشرك لهدمت الكعبة فارتقت بالارض ولجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيها ستة أذرع من الخمر فان قرى شاحين بنت الكعبة انفردها أيضا (ذكر بناء قرى شاحين الكعبة بعد إبراهيم الخليل

أقول سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى وقوله (على الموسع قدره وعلى المقتر قدره) يدل على ان الاعتبار في ذلك بحال الزوج فالتمتع من الغنى فوق التمتع من الفقر والموسع هو الذي اتسع ماله وقرى الموسع بالتشديد وقرى قدره بسكون الدال فيه ما يفتح الدال فيها قال الاخفش وغيره هما لغتان فصيحتان وهكذا في قوله تعالى فسالت أودية بقدرها وقوله وما قدره والله حق قدره والمقتر المقل والتمتع على الموسع منكم أو على موسعكم قدره أي قدره كما كانه وطاقته وكذا يقال في الثاني والآية تفيد انه لا نظر الى قدر الزوجية وقيل هذا ضعيف في مذهب الشافعي بل ينظر الحالكم بجاهته الى حالهما جميعا على أظهر الوجوه (متاعا) مصدره وكذا أي متعهن متاعا (بالمعروف) ما عرف في الشرع والعادة الموافقة له وقوله (حقا على الحسين) وصف لقوله متاعا أو مصدره لعل محذوف أي حق ذلك حقا يقال حققت عليه القضاء وأحققت أي أوجبت قال ابن عباس المس النكاح والفرضة الصداق وأمر الله أن يتعها على قدر عسره ويسره فان كان موسرا متعها بخادم وان كان معسرا متعها بثلاثة أثواب ونحو ذلك وعنه قال متعة الطلاق أعلاها الخادم ودون ذلك الورق ودون ذلك الكسوة وعن ابن عمر أدنى ما يكون من المتعة ثلاثون درهما وعن الحسن بن علي انه متع بعشرين ألفا ورتاق من عسل وعن شريح انه متع بخمسة مائة درهم وعن الحسن بن علي أيضا انه متع بعشرة آلاف وعن ابن سيرين انه كان يمتع بالخادم والنفقة والكسوة (وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم) فيه دليل على أن المتعة لا تجب لهذه المطلقة لوقوعها في مقابلة المطلقة قبل البناء والفرض التي تستحق المتعة أي فالواجب عليكم نصف ما مسمت لهن من المهر وهذا مجمع عليه وقد وقع الاتفاق أيضا على ان المرأة التي لم يدخل بها زوجها ومات وقد فرض لها مهر اتسحقه كاملا بالموت ولها المهرات وعليها العدة واختلاف في الخلوة هل تقوم بتمام الدخول وتستحق المرأة بها كمال المهر كما تسحقه بالدخول أم لا فذهب الى الاول مالك والشافعي في القديم والكوفون والخلفاء الراشدون وجهور أهل العلم ويجب أيضا عندهم العدة وقال الشافعي في الجديد لا يجب الانصف المهر وهو ظاهر الآية لما تقدم من ان المسيس هو الجامع ولا يجب عنده العدة واليه ذهب جماعة من السلف (الآن يعقون) أي المطلقات ومعناه يتركن ويصفحن وهو

(٤٠ - فتح البيان ل) عليه السلام بمد طوي له وقبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين) وقد نقل معهم في الهجرة وله من العمر خمس وثلاثون سنة صلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم الدين قال محمد بن اسحق بن يسار في السيرة ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسًا وثلاثين سنة اجتمع قرى شاحين الكعبة وكانوا يسمون بذلك ليسقوها ويهاون خدمها وانما كانت رضاء فوق التامة فارادوا رفعها وتسقيفها وذلك ان نفر اسرقوا كنز الكعبة وانما كان يكون في بئر جوف الكعبة وكان الذي وجد عنده البكر ذكوريك مولى بنى مليح بن عمرو من خزاعة فقطعت قرى شاحين يده ويزعم الناس ان الذين سرقوه

وضعه عند ذؤيك وكان البحر قد رمى به فينة الى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فأخذوا خشبها فاعدوه لتسقيتها وكان
 بمكة رجل قبلي نجار فبها ألهم في أنفسهم بهض ما يصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كانت تطرح فيها ما يهدي لها كل
 يوم فتشرف على جدار الكعبة وكانت مما يابون وذلك انه كان لا يدنو منها أحد الا أجزت وكشت وفقت فاعا فكلنا زايها بونها
 فيدناهي يوما تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله اليها طائرا فاخاطبته فاذن ذهابها فقالت قريش اننا لنرجوان
 يكون الله قد رضى ما أردنا عندنا عايل (٢١٤) رفيق وعندنا خشب وقد كفنا الله الحية فلما أجمعوا أمرهم في خدمتها

وبنايها قام ابن وهب بن عمرو
 ابن عاتذ بن عبد بن عمران بن مخزوم
 فتناول من الكعبة حجرا فوثب
 من يده حتى رجع الى موضعه فقال
 يا معشر قريش لا تدخلوا في
 بنيانها من كسبكم الاطبا
 لا يدخل فيها سهر بغي ولا بيع ربا
 ولا مظلة أحد من الناس قال
 ابن اسحق والناس ينتهون هذا
 الكلام للوليد بن المغيرة بن
 عبد الله بن عمرو بن مخزوم قال ثم
 ان قريشا تجزأت الكعبة فكان
 شق الباب لبني عبد مناف وزهرة
 وكان ما بين الركن الاسود والركن
 اليماني لبني مخزوم وقبائل من
 قريش انضموا اليهم وكان ظهر
 الكعبة لبني جهم وسهم وكان شق
 الحجر لبني عبد الدار بن قصي ولبن
 أسد بن عبد العزى بن قصي وابني
 عدى بن كعب بن أوى وهو الخطيم
 ثم ان الناس هابوا خدمتها وفرقوا
 منه فقال الوليد بن المغيرة أنا
 ابدؤكم في خدمتها فأخذ المعول ثم
 قام عابها وهو يقول اللهم لم ترع
 اللهم اننا لنريد الانخير ثم خدم
 من ناحية الركنين فتربص الناس

استثناء مفرغ من أهم العام وقيل منقطع ومعناه يتركز النصف الذي يجب ليس
 على الأزواج وروى عن محمد بن كعب القرظي انه قال الا ان يعفون يعني الرجال وهو
 ضعيف لفظا ومعنى (أو يعفوا الذي بيده عقدة النكاح) معطوف على محل قوله الا ان
 يعفون لان الاول مبنى وهذا معرب قيل هو الزوج وبه قال جابر بن مطعم وسعيد بن
 المسيب وشريح وسعيد بن جابر ومجاهد والشعبي وعكرمة ونافع وابن سيرين والضحك
 ومحمد بن كعب القرظي وجابر بن زيد وأبو مجزأ والربيع بن أنس وإياس بن معاوية
 ومكحول ومقاتل بن حيان وهو الجديدي من قول الشافعي وبه قال أبو حنيفة وأصحابه
 والثوري وابن شبرمة والأوزاعي ورجحه ابن جرير وفي هذا القول قوة وضعف أما قوله
 فليكون الذي بيده عقدة النكاح حقيقة هو الزوج لانه الذي اليه رفعه بالطلاق وأما
 ضعفه فليكون العفو منه غير معقول وما قولنا به من ان المراد يعفون ان يعطى المهر كاملا
 غير ظاهر لان العفو لا يطلق على الزيادة وقيل المراد بقوله أو يعفوا الذي بيده عقدة
 النكاح هو الولي وبه قال النخعي وعلمة والحسن وطاوس وعطاء وأبو الزناد وزيد بن
 أسلم وربيعة والزهرى والاسود بن زيد والشعبي وقدة ومالك والشافعي في قوله القديم
 وفيه قوة وضعف أما قوله فليكون معنى العفو فيه معقولا وأما ضعفه فليكون عقدة
 النكاح بيد الزوج لا بيده ومما يزيد هذا القول ضعفا انه ليس للولي أن يعفون عن الزوج
 مما لا يملكه وقد حكى القرطبي الاجماع على ان الولي لا يملك شيئا من مالها والمهر مالها
 فالراجح ما قاله الاولون لوجهين الاول أن الزوج هو الذي بيده عقدة النكاح حقيقة
 الثاني ان عفوها كمال المهر هو صادر عن المالك المطلق التصرف بخلاف الولي وتسمية
 الزيادة عفو وان كان خلاف الظاهر لكن لما كانت الغالب انهم يسوقون المهر كاملا عند
 العقد كان العفو معقولا لانه لو كلفوا لم يسترجع النصف منه ولا يحتاج في هذا الى أن
 يقال انه من باب المشاكلة كما في الكشاف لانه عفو معقوب أي ترك لما يستحق المطالبة به
 الا أن يقال انه مشاكلة أو تغليب في توفية المهر قبل ان يسوقه الزوج (وأن تعفوا أقرب
 للتقوى) قيل هو خطاب للرجال والنساء تغليباً أي وعفو بعضكم أيها الرجال والنساء
 أقرب للتقوى أي من عدم العفو الذي فيه التخصيف والمراد بالتقوى الا لانه وطيب
 النفس من الجانبين وعليه قراءة الجمهور بالنساء التوفية وقرأ الشعبي وأبو يونس بالياء

ذلك اللبلة وقالوا نظر فان أصيب لم يهدم منها شيئا ورددناها كما كانت وان لم يصبه شيء فقد رضى الله ما صنعنا فاصبح التحية
 الوليد من ليلة غاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه حتى اذا انتهى الهدم بهم الى الاساس أساس ابراهيم عليه السلام أفضوا الى
 حجارة خضر كالأسنه أخذ بعضهم بعضها قال خذني بعض من يروى الحديث ان رجلا من قريش من كان يهدمها أدخل عتلة
 بين حجرين منها ليقطع بها أيضا احدهما فلما تحرك الحجر انقضت مكة بأسرها فانتهوا عن ذلك الاساس قال ابن اسحق ثم ان
 القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها كل قبيلة تجمع على حدة ثم ينوها حتى بلغ البناء موضع الركن يعني الحجر الاسود

فأختصه وأفيه كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى حتى تحاوروا وتخالقوا وأعدوا للقتال فقررت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدواهم بنو عدى بن كعب بن لؤي على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة فسموا لعقة الدم فكنت قريش على ذلك أربع ليال أو خسا ثم انهم اجتمعوا في المسجد فقتلوا ورواوا تناصفا وافرغوا عن بعض أهل الرواية أن أبا أمة ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكان عامداً من قريش كلهم قال يامعشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه ففعلوا فكان أول داخل (٣١٥) رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما

رأوه قالوا هذا الأمين رضينا هذا محمد فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم هلم إلى ثوب فإني به فأخذ الركن يعني الحجر الأسود فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بأحسية من الثوب ثم أرفعوه جميعاً ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده صلى الله عليه وسلم ثم بنى عليه وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحي الأمين فلما فرغوا من البنيان وبنوها على ما أرادوا قال الزبير بن عبد المطب فيما كان من أمر الحجة التي كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها

عجبت لما تصوبت العقاب إلى الشعيان وهي لها اضطراب وقد كانت يكون لها كشيش وأحياناً يكون لها وثاب إذا قام إلى التأسيس شدت تهيننا البناء وقد تهاب فلما أن خشينا الرجز جاءت عقاب تلتب لها انصباب فضمت إليها ثم خلت

الخصبة فيكون الخطاب مع الرجال فقط وفي هذا دليل على ما رجحناه من أن الذي بيده عقدة السكاح هو الزوج لأن عقود الولي عن شيء لا يملك كدليس هو أقرب للتقوى بل أقرب إلى الظلم والجور والمعنى وليعف الزوج فيترك حقه الذي ساق من المهر إليها قبل الطلاق فهو أقرب للتقوى (ولا تنسوا الفضل بينكم) المعنى أن الزوجين لا ينسبان الفضل من كل واحد منهما على الآخر من جهة ذلك أن تفضل المرأة بالعفو عن النصف ويتفضل الرجل عليها بكل المهر وهو ارشاد للرجال والنساء من الأزواج إلى ترك التقصص على بعضهم بعضاً والمساخطة فيما يستغرقه أحدهما على الآخر لوصلة التي قد وقعت بينهما من إفضاء البعض إلى البعض وهي وصلة لا تشبهها وصلة فن رعاية حقها ومعرفة حقها مع رفعت الحرس منهما على التسامح (إن الله يحب العاملون بصير) فيه من ترغيب المحسن وترهيب غيره ما لا يخفى (حافظوا على الصلوات) المحافظة على الشيء المداومة والمواظمة عليه أي داوموا واطبوا على الخمس المكتوبات بجميع شرائطها وحدودها وإتمام أركانها ففعلها في أوقاتها المخصصة بها ولعل الأمر بالصلوات وقع في تضاعيف أحكام الأولاد والأزواج لتأليهمهم الاشتغال بشأنهم عنها (والصلاة الوسطى) الوسطى تأنيث الأوسط وأوسط الشيء وأوسطه خياره ومنه قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطاً وأوسط فلان القوم يسطهم أي صار في وسطهم وليست من الوسط الذي معناه متوسط بين شيئين لأن فعله دعاءها التنضيل ولا يني للنفصيل إلا ما يقبل الزيادة والنقص والوسط بمعنى العدل والخيار يقبلهما بخلاف المتوسط بين الشيئين فإنه لا يقبلهما فلا يني منه أفعل للنفصيل وأفرد الصلاة الوسطى بالذکر بعد دخولها في عموم الصلوات تشريفاً لها وقد اختلف أهل العلم في تعيينها على ثمانية عشر قولاً وأوردوها الشوكاني في شرحه للمنتقى وذكر ما نسب به كل طائفة وأرجح الأقوال وأصحها ما ذهب إليه الجمهور من أنها العصر لما ثبت عند البخاري ومسلم وأهل السنن وغيرهم من حديث علي قال كان راسها الفجر حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملائكة قبورهم وأجوا فيهم ناراً وأخرج مسلم والترمذي وابن ماجه وغيرهم من حديث ابن مسعود وهو قوما مثل ذلك وأخرجه ابن جرير وابن المنذر والطبراني من حديث ابن عباس مرفوعاً وأخرجه البزار بإسناد صحيح من حديث جابر مرفوعاً

لنا البنيان ليس له حجاب * فقمنا حاشدين إلى بناء * لنا منه القواعد والتراب * وأيسر على مساوينا ثياب * أعزبه المليك بنى لؤي * فليس لاصله منهم ذهاب * وقد حشدت هناك بنو عدى * ومرة قد تقدمها كلاب * فبونا المليك بذلك عزا * وعند الله يلتمس الثواب * قال ابن اسحق وكانت الكعبة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثمانين عشرين ذراعاً وكانت تكسى القباطي ثم كسيت بعد البرد أول من كساها الدياج الجلاج بن يوسف (قلت) ولم تزل على بناء قريش حتى احترقت في أول إمارة عبد الله بن الزبير بعد سنة ستين وفي آخر ولايته يزيد بن معاوية لما

ما سر وابن الزبير حينئذ نقضها ابن الزبير الى الارض وبنها على قواعد ابراهيم عليه السلام وأدخل فيها الحجر وجعل لها بابا
شرفيا وبابا غير بابا ملحقين بالارض كما جمع ذلك من خاتمة عائشة أم المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل كذلك مدة
امارتها حتى قتلته الخياط فردها الى ما سكنت عليه بامر عبد الملك بن مروان له بذلك كما قال مسلم بن الخياط في صحيحه أخبرنا
هند بن السري أخبرنا ابن أبي سليمان عن عطاء قال لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية حين غزاه أهل
الشام فدخل من أمره ما كان تركه ابن (٢١٦) الزبير حتى قدم الناس الموسم يريدان يحزمهم أو يحجزونهم على أهل الشام فلما

صدر الناس قال يا أيها الناس
أشيروا على في الكعبة أنقضها ثم
أبني بناءها وأصلح ما وهى منها
قال ابن عباس أنه قد خرق لي
رأى فيها أرى أن تصلح ما وهى منها
وتدع بيتا أسلم الناس عليه وأجارا
أسلم الناس عليه وأبعث عليها النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ابن
الزبير لو كان أحدهم احترق بيته
مارضى حتى يجده فكيف بيت
ربكم عز وجل انى مستخبر ربي
ثلاثا ثم عزم على أمرى فلما مضت
ثلاثا أبجع رأيه على أن ينقضها
فحسامها الناس أن ينزل بأول
الناس يصعد فيه أمر من السماء
حتى يصعد رجل فألقى منه حجارة
فلما لم يره الناس أصابه شيء فتابعوا
فنقضوه حتى بلغوا به الارض
فجعل ابن الزبير أعمدة يستريح عليها
الستور حتى ارتفع بناؤه وقال
ابن الزبير انى سمعت عائشة رضى
الله عنها تقول ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لولا ان الناس
حديث عهدهم بكفر وليس عندي
من النفقة ما يقوين على بنائه
لكنى أدخلت فيه من الحجر خمسة

وأخرجه أيضا البزار بسند صحيح من حديث حذيفة مرفوعا وأخرجه الطبراني بإسناد
ضعيف من حديث أم سلمة مرفوعا وورد في تعيين انما العصر من غير ذكر يوم الاحزاب
أحاديث مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهذه أحاديث مبرحة بانها العصر
وقدرى عن الصحابة في تعيين انما العصر آثار كثيرة وفي الثابت عن النبي صلى الله عليه
وآله وسلم ما لا يحتاج معه الى غيره وأما ما روى عن علي وابن عباس انهما قالان انما صلاة
الصبح كما أخرجته مالك في الموطأ عنهما وأخرجته ابن جرير عن ابن عباس وكذلك غيره
عن ابن عمر وأبى امامة فمكل ذلك من أقوالهم وليس فيها شيء من المرفوع الى النبي صلى الله
عليه وآله وسلم ولانهم يعمل ذلك حجة لاسيما اذا عارض ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم بثبوتها يمكن أن يدعى فيه التواتر واذا لم تقم الحجة بأقوال الصحابة لم تقم بأقوال من بعدهم
من التابعين وتابعيهم بالاولى وهكذا لا تقوم الحجة بما أخرجته ابن أبي حاتم بإسناد حسن
عن ابن عباس انه قال صلاة الوسطى المغرب وهكذا الاعتبار بما ورد من قول جماعة من
الصحابة انما الظهر وغيره من الصلوات ولكن المحتاج الى امعان نظر وفكر ما ورد
مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم مما فيه دلالة على انما الظهر كما أخرجته ابن
جرير عن يزيد بن ثابت مرفوعا ان الصلاة الوسطى صلاة الظهر ولا يصح رفعه بل المروى
عن زيد ذلك من قوله واستدل على ذلك بان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلى
بالحاجرة وكانت أثقل الصلاة على أصحابه وأين يقع هذا الاستدلال من تلك الاحاديث
الحجة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهكذا الاعتبار بما روى عن ابن عمر
من قوله انما الظهر وكذلك ما روى عن عائشة وأبى سعيد الخدرى وغيرهم فلا حجة في قول
أحمد مع قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأما ما رواه عبد الرزاق وابن جرير
 وغيرهما ان حفصة قالت لابي رافع مولاهما وقد أمرته أن يكتب لهما مصحفا اذا أتت على
 هذه الآية حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى فتعال حتى أمليها عليكم فلما بلغ ذلك
 أمرته أن يكتب حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وأخرجه أيضا
 عنهما مالك وعبد بن حميد وابن جرير والبيهقي في سننه وزادوا وقالت أشهد انى سمعت من
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخرج مالك ومسلم وأهل السنن وغيرهم عن أبي
 يونس مولى عائشة وفيه قالت سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكذا روى

أدرك ولجعلت له بابا يدخل الناس منه وبابا يخرجون منه قال فانا أجد ما نفق رأيت أخاف الناس قال فزاد فيه
خسة أدرك من الحجر حتى أبد الله أسانظر الناس اليه فبنى عليه البناء وكان طول الكعبة ثمانية عشر ذراعا فلما زاد فيه استقصه فزاد
في طوله عشرة أدرك وجعل له بابين احدهما يدخل منه والآخر يخرج منه فلما قتل ابن الزبير كتب الخياط الى عبد الملك يستخيره
 بذلك ويخبره ان ابن الزبير قد وضع البناء على أس نظر اليه العدو من أهل مكة فمكتب اليه عبد الملك انالسان من تطلع ابن
 الزبير في شيء أماما زاده في طوله فأقره وأماما زاد فيه من الحجر فرده الى بنائه وسد الباب الذي فتحه فنقضه وأعاد الى بنائه وقدره

النسائي في سننه عن حماد عن يحيى بن أبي زائدة عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء عن ابن الزبير عن عائشة بالمر فخرج منه ولم يذكر
 القصه وقد كانت السنة اقرارا ما فعله عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم الا انه هو الذي وده رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن خشى
 ان تنكره قلوب بعض الناس لحدائثه عهدهم بالاسلام وقرب عهدهم من الكفر ولكن خفيت هذه السنة على عبد الملك بن مروان
 ولهذا لما تحقق ذلك عن عائشة أنها روت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال زدنا ما نراك وما نولي كما قال مسلم حدثني محمد
 ابن حاتم حدثنا محمد بن بكر اخبرنا ابن جريح سمعت عبد الله بن عبيد (٣١٧) بن غير والوليد بن عطاء سمعت ثمان عن

عن أم سلمة أنها قالت كما قالت حفصة وعائشة فغاية ما في هذه الروايات عن أمهات
 المؤمنين الثلاث انهن يروين هذا الحرف هكذا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 وليس فيه ما يدل على تعيين الصلاة الوسطى انها الظهراً أو غيرها بل غاية ما يدل عليه عطف
 صلاة العصر على الصلاة الوسطى انها غيرها لان المعطوف غير المعطوف عليه وهذا
 الاستدلال لا يعارض ما ثبت عند صلى الله عليه وآله وسلم ثبوتها لا يدفع انها العصر كما
 قدمنا بيانه فالجواب ان هذه القراءة التي نقلها أمهات المؤمنين الثلاث باثبات قوله
 وصلاة العصر معارضة بما أخرجه ابن جريح عن عروة قال كان في مصحف عائشة حافظوا
 على الصلوات والصلاة الوسطى وهي صلاة العصر وأخرج وكيع عن حميدة قالت قرأت
 في مصحف عائشة والصلاة الوسطى صلاة العصر وفي الباب روايات فلهذه الروايات
 تعارض تلك الروايات باعتبار التلاوة ونقل القراءة ويبقى ما صح عن النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم من التعيين صاف عن شوب كدرا معارضة على انه قد ورد ما يدل على نسخ ذلك
 القراءة التي نقلتها حفصة وعائشة وأم سلمة فأخرج عبد بن حميد ومسلم وأبو داود في ناسخه
 وابن جرير والبيهقي عن البراء بن عازب قال نزلت حافظوا على الصلوات وصلاة العصر
 فقرأنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما شاء الله ثم نسخها فأنزله حافظوا
 على الصلوات والصلاة الوسطى فقبل له هي اذا صلاة العصر قال قد حدثتكم كيف نزلت
 وكيف نسخها الله والله أعلم اذا تقررت لك هذا وعرفت ماسأله تبين لك انه لم يرد ما يعارض
 ان الصلاة الوسطى صلاة العصر وأما حجج بقية الاقوال فليس فيها شيء مما ينبغي
 الاشتغال به لانه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك شيء وبعض القائلين
 عزّل على أمر لا يقول عليه فقل انها صلاة كذا لانها وسطى بالنسبة الى أن قبلها
 كذا من الصلوات وبعد هذا كذا من الصلوات وهذا الرأي المحض والتخمين الجحت
 لا ينبغي ان تستند اليه الاحكام الشرعية على فرض عدم وجود ما يعارضه عن رسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم فكيف يصح وجود ما هو في أعلى درجات الصحة والقوة
 والثبوت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبالله العجب من قوم لم يكتفوا
 بتقصيرهم في علم السنة واعراضهم عن خير العلوم وأنعمها حتى كفوا أنفسهم التسليم
 على أحكام الله والتجبر على تفسير كتاب الله بغير علم ولا هدى فجاءوا بما يخلط منه تارة

الحرف بن عبد الله بن أبي ربيعة قال
 عبد الله بن عبيد وقد الحرف بن
 عبد الله على عبد الملك بن مروان
 في خلافته فقال عبد الملك ما أظن
 أبا حبيب يعني ابن الزبير سمع من
 عائشة ما كان يزعم انه سمع منها
 قال الحرف بلى أنا سمعته منها قال
 سمعته تقول ماذا قال قالت قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
 قومك استقصروا من بنيان
 البيت ولولا حدائث عهدهم
 بالشرك أعدت ما تركوا منه فان
 بد القومك من بعدى أن ينوه
 فهلم لا ترك ما تركوا منه فأراها
 قريبا من سبعة أذرع هذا حديث
 عبد الله بن عبيد بن غير وزاد عليه
 الوليد بن عطاء قال النبي صلى الله
 عليه وسلم ولعلت لها بابين
 موضوعين في الارض شرقيا
 وغربيا وهل تدريين لم كان قومك
 رفعوا بابها قالت قلت لا قال
 تعززا أن لا يدخلها الا من أرادوا
 فكان الرجل اذا هو أراد أن
 يدخلها يدعونه حتى يرتقى حتى اذا
 كاد أن يدخل دفعوه ففسقط قال
 عبد الملك فقلت للحرف أنت سمعتها
 تقول هذا قال نعم قال فمكت

ساعة بعد ما تم قال وددت اني تركت وما تحصيل قال مسلم وحدثناه محمد بن عمرو بن جبلة حدثنا أبو عاصم ج وحدثنا عبد بن حميد
 أخبرنا عبد الرزاق كلاهما عن ابن جريح هذا الاسناد مثل حديث أبي بكر قال وحدثنا محمد بن حاتم حدثنا عبد الله بن بكر السهمي
 حدثنا حاتم بن أبي صغيرة عن أبي ذرعة ان عبد الملك بن مروان ينهاه يطوف بالبيت اذ قال قائل الله ابن الزبير حيث يكذب على
 أم المؤمنين يقول سمعتها تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة لا تحدثان قومك بالكفر لنعقت الكعبة حتى أزيد فيها
 من الخمر فان قومك قصر وافي البناء فقال الحرف بن عبد الله بن أبي ربيعة لا تقل هذا يا أمير المؤمنين فاني سمعت أم المؤمنين تحدث

هذا قال لو كنت سمعته قبل ان آهدهم لتركته على ما بيني وبين الزبير فهذا الحديث كالمقطوع به الى عائشة لانه قد روى عنها من طرق صحيحة متعددة عن الاسود بن يزيد والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن محمد بن أبي بكر وعروة بن الزبير فدل هذا على صواب ما فعلا بن الزبير فلو تركنا لكان جيدا ولكن بعد ما رجح الامر الى هذا الحال فقد كره بعض العلماء ان يغير عن حاله كذا كره عن أمير المؤمنين هرون الرشيد وأبيه المهدي أنه سأل الامام مالكا عن هدم الكعبة وزدها الى ما فعلا بن الزبير فقال له مالكا يا أمير المؤمنين لا تجعل كعبة الله (٢١٨) ملعبة للملوك لا يشاء أحد أن يهدمها الا هدمها فترك ذلك الرشيد فله عياض والنوى ولا تزال والله أعلم هكذا

الى آخر الزمان الى أن يخرج بها ذو السويقتين من الحبشة كما ثبت ذلك في الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة أخرجاه وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كافي به أسود أفحج يقلعها جحرا جحرا رواد البخاري وقال الامام أحمد بن حنبل في مسنده أخبرنا أحمد بن عبد الملك الحراني أخبرنا محمد بن سلمة عن ابن اسحق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ويسلبها حليتها ويجرداها من كسوتها ولما كافي أنظر اليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بسمحاته ومعوله الفدع زبيخ بين القدم وعظم الساق وهذا والله أعلم انما يكون بعد خروج يأجوج ومأجوج لما جاء في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري

ويكي منه أخرى قال الخازن وأصبح الاقوال كلها أنها العصر للاحاديث الصحيحة الواردة فيها والله أعلم انتهى وقيل صلاة الجنازة وقيل صلاة الجمعة وكلها أقوال ضعيفة ليس عليها آثار من علم (وقوموا لله قانتين) القنوت قيل هو الطاعة أي قوموا في صلواتكم طائعين قاله جابر بن زيد وعطاء وسعيد بن جبيرة والفضال والشافعي وقيل هو الخشوع قاله ابن عمر ومجاهد وقيل هو الدعاء وبه قال ابن عباس وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قنت شهر اريد عو على رعل وذ كوان وقال قوم ان القنوت طول القيام وقيل معناه سأكبتين قاله السدي ويدل عليه حديث زيد بن أرقم في الصحيحين وغيرهما قال كان الرجل يكلم صاحبه في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحاجة في الصلاة حتى نزلت هذه الآية وقوموا لله قانتين فأمر نبال السكون وقيل أصل القنوت في اللغة الدوام على الشيء فكل معنى يناسب الدوام يصح اطلاق القنوت عليه وقد ذكر أهل العلم أن للقنوت ثلاثة عشر معنى وقد ذكرها الشوكاني في شرح المنتقى وذكرنا في شرح بلوغ المرام والمتعين ههنا حمل القنوت على السكون للحديث المذكور وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ان في الصلاة لشغلا وفي صحيح مسلم وغيره أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس انما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن وقد اختلفت الاحاديث في القنوت المصطلح عليه هل هو قبل الركوع أو بعده وهل هو في جميع الصلوات أو بعضها وهل هو مختص بالنوازل أم لا والراجح اختصاصه بالنوازل وقد أوضح الشوكاني ذلك في شرحه للمنتقى فليرجع اليه (فان خفتهم فرجلا أو رجلا) الخوف هو الفرع والرجل جمع رجل أو راجل من قولهم رجل رجل الانسان يرجل رجلا اذا عدم المراكب ومشى على قدميه فهو رجل ورجل يقول أهل الخجاز مشى فلان الى بيت الله حافيا رجلا حكاها ابن جرير الطبري وغيره ويجمع على رجل ورجلة قال رجل بمعنى الماشي له ثلاثة جوع والركبان جمع راكب قيل لا يطلق الاعلى راكب الا بل ويقال لمن ركب الجار والبغل جارا وبغال والاجود صاحب جمار وبغل وهذا بحسب اللغة والمراد بها انما يعم الكل لما ذكرنا الله سبحانه الامر بالمحافظة على الصلوات ذكر حالة الخوف انهم يصنعون فيها ما يتكتمهم ويدخل تحت طوقهم من المحافظة على الصلاة بقولها

رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحجن البيت وليعتمر بعد خروج يأجوج ومأجوج • حال وقوله تعالى حكاية لدعاء ابراهيم واسماعيل عليه السلام ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأزنا مناسكا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم قال ابن جرير يعنينا بذلك واجعلنا مسلمين لا همك خاضعين لطاعتك لا نشر لك معول في الطاعة أحد اسواك ولا في العبادة غيرك وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا اسمعيل عن رجا بن حبان الحصري القرشي أخبرنا معقل بن عبيد الله عن عبد الكريم واجعلنا مسلمين لك قال مخلص لك قال مخلصه وقال أيضا أخبرنا علي بن

الحسين أخبرنا المقدمي أخبرنا سعيد بن عامر عن سلام بن ابى مطيع في هذه الآية واجعلنا مسلمين قال كانوا مسلمين ولكنهم ما سألوه الثبات وقال عكرمة بن سناو اجعلنا مسلمين لك قال الله قد فعلت ومن ذريتنا أمة مسلمة لك قال الله قد فعلت وقال السدي ومن ذريتنا أمة مسلمة لك يعنيان العرب قال ابن جرير والصواب انه يعم العرب وغيرهم لان من ذرية ابراهيم بنى اسرائيل وقد قال الله تعالى ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (قلت) وهذا الذي قاله ابن جرير لا ينفيه السدي فان تخصيصهم بذلك لا ينفي من عداهم والسابق انما هو في العرب ولهذا قال بعده ربنا وابعث (٣١٩) فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم

حال الترحيل وحال الركوب وأبان لهم ان هذه العبادة لازمة في كل الاحوال بحسب الامكان وقد اختلف أهل العلم في حد الخوف المبيح لذلك والبحث مستوفى في كتب الفروع قال ابن عباس يصلى الراكب على دابته والراجل على رجليه وعن جابر بن عبد الله قال اذا كانت المسابقة فليؤمى برأسه حيث كان وجهه فذلك قوله فرجالا أو ركبانا والمعنى ان لم يمكنكم ان تصلوا فأتين موفين حقوق الصلاة من اتمام الركوع والسجود والخضوع والخشوع لخوف عدو أو غيره فصلوا شاة على أرجلكم أو ركبانا على دوابكم مستقبل القبلة وغير مستقبلها وهذا في حال المقاتلة والمسابقة في وقت الحرب وصلاة الخوف قسمان أحدهما ان يكون في حال القتال وهو المراد بهذه الآية وقسم في غير حال القتال وهو المذكور في سورة النساء في قوله واذا كنت فيهم فأقت لهم الصلاة وسياق الكلام عليه في موضعه وفي ايراد هذه الشرطية بكلمة ان المنبئة عن عدم تحقق وقوع الخوف وقلته وفي ايراد الشرطية الثانية بكلمة اذا المنبئة عن تحقق وقوع الامن وكثرته مع الاجازة في جواب الاولى والاطنب في جواب الثانية من الجزالة ولطف الاعتبار ما فيه عبرة لا ولي الابصار (فأذا أنستم) أى اذا زال خوفكم بعد وجوده أو لم يكن أصلا فارجعوا الى ما أمرتم به من اتمام الصلاة مستقبلين القبلة فأتين بجميع شروطها وأركانها وهو قوله (فأذكروا الله) وقيل معنى الآية خرجتم من دار السفر الى دار الاقامة ودخولكم معنى الآية (كأعلمكم) أى ذكرنا مثل ما علمكم من الشرائع أن يصلى الركاب على دابته والراجل على رجليه والكاف صفة مصدر محذوف أى ذكرنا كما كنا نعلمكم اياكم أو مثل تعليمه اياكم (ما لم تكونوا تعلمون) فيه اشارة الى انعام الله تعالى علينا بالعلم ولولا تعليمه ايانا لم نعلم شيئا ولم نصل الى معرفة شئ قلنا الحمد على ذلك (والدين يتوفون منكم ويذرون أزواجا) أى يقربون من الوفاة اذا المتوفى بالفعل لا يتصور منه وصية وهذا يعود الى بقية الاحكام المفصلة فيما سلف وقد اختلف السلف ومن تبعهم من المنسرين في هذه الآية هل هي بحكمة أو منسوخة فذهب الجمهور الى أنها منسوخة بالاربعة الاثني عشر كما تقدم وان الوصية المذكورة فيها منسوخة بما فرض الله له من الميراث وحكى ابن جرير عن مجاهد ان هذه الآية محكمة لا نسخ فيها وان العدة اربعة أشهر وعشر ثم جعل الله له وصية منها سكنى سبعة أشهر وعشرين ليلة فان شئت

الكتاب والحكمة ويزكهم الآية والمراد بذلك محمد صلى الله عليه وسلم وقد بعث فيهم كما قال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم ومع هذا لا ينفي رسالته الى الاجر والاسود لقوله تعالى قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وغير ذلك من الادلة القاطعة وهذا الدعاء من ابراهيم واسماعيل عليهما السلام كما أخبر الله تعالى عن عباده المؤمنين في قوله والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما وهذا التدرج غوب فيه شرعا فان من تمام محبة عبادة الله تعالى ان يحب ان يكون من صلبه من يعبد الله وحده لا شريك له ولهذا لما قال الله تعالى لا ابراهيم عليه السلام اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين وهو قوله واجنني وبني أن نعبد الاصنام وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من

ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له وأرانا مناسكا قال ابن جرير عن عطاء وأرانا مناسكا أخرجهما لنا علمناها وقال مجاهد أرانا مناسكا سدا جحنا وروى عن عطاء أيضا وقتادة ثم وذلك وقال سعيد بن منصور أخبرنا عتاب بن بشير عن خصف عن مجاهد قال قال ابراهيم ارانا مناسكا فاتاه جبرائيل فاتي به البيت فقال ارفع القواعد فرفع القواعد وأتم البنين ثم أخذ بيده فاخرجه فانطلق به الى الصفا قال هذا من شعائر الله ثم انطلق به الى المروة فقال وهذا من شعائر الله ثم انطلق به نحو منى فلما كان من العقبه اذا ابليس قائم عند الشجرة فقال كبر وارمه فكبر ورماه ثم انطلق ابليس فقام عند الجرة الوسطى فلما

جازه جبريل و ابراهيم قال له كبير وارمه فكبر ورماه فذهب الخبيث ابليس وكان الخبيث أراد أن يدخل في الحج شيئا فلم يستطع
 فأخذ سيد ابراهيم حتى أتى به المشعر الحرام فقال هذا المشعر الحرام فأخذ سيد ابراهيم حتى أتى به عرفات قال قد عرفت ما أريدك
 قالها ثلاث مرات قال نعم وروى عن أبي مجلز وقتادة نحو ذلك وقال أبو داود الطيالسي أخبرنا حماد بن سلمة عن أبي العاصم
 الغنوي عن أبي الطفيل عن ابن عباس قال ان ابراهيم لما أرى أوامر الناس عرض له الشيطان عند المسعى فسا بقه ابراهيم ثم
 انطلق به جبريل حتى أتى به منى فقال هذا (٣٢٠) مناخ الناس فلما انتهى الى جرة العقبة تعرض له الشيطان فرماد بسبع

المرأة سكنت في وصيته وان شئت خرجت وقد حكى ابن عظمة والقاضي عياض أن
 الاجماع منعقدة على أن الحول منسوخ وأن عدتها أربعة أشهر وعشر (وصية
 لارواحهم) قرئ بالنصب على تقدير فعل محذوف أي فليوصوا وصية أو أوصى الله وصية
 أو كتب الله عليهم وصية وقرئ بالرفع ومعناه وصية الذين يتوفون وصية أو حكم الذين
 يتوفون وصية والمعنى فيجب عليهم أن يوصوا لارواحهم بثلاثة أشياء النفقة والكسوة
 والسكنى وهذه الثلاثة تستمر سنة وحينئذ يجب على الزوجة ملازمة المسكن وترك التزين
 والاحداد هذه السنة (مما عالى) تمام (الحول) أي متعوهن متاعا أو جعل الله لهن
 ذلك متاعا والمتاع ههنا نفقة السنة والمعنى انه يجب على الذين يتوفون أن يوصوا قبل
 نزول الموت بهم لازواجهم أن يمتنع بعدهم حولا كاملا بالنفقة والسكنى من تركهم
 (غير اخراج) أي لا يخرجن من مساكنهن (فان خرجن) باختيارهن قبل الحول (فلا
 جناح) ولا حرج (عليكم) أي على الولي والحاكم (فيما فعلن في انفسهن) من التعرض
 للخطاب والتزين لهن وترك الاحداد (من معروف) أي بما هو معروف في الشرع غير
 منكرو فيه دليل على أن النساء كن يخبرات في سكنى الحول وليس ذلك بحتم عليهن وقيل
 المعنى لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهن وهو ضعيف لأن متعلق الجناح هو مذكور في
 الآية بقوله فيما فعلن (والله عزيز) أي غالب قوى في انتقامه ممن خالف أمره ونهيه
 وتعدى حدوده (حكيم) فيما شرعه من الشرائع وبين من الاحكام (ولله مطلقات متاع
 بالمعروف) قد اختلف المفسرون في هذه الآية فتبين هل المتعة وانها واجبة لكل
 مطلقة وقيل ان هذه الآية خاصة بالثيبات اللواتي قد جوعن لانه قد تقدم قبل هذه
 الآية ذكر المتعة واللواتي لم يدخل بهن الا زواج وقد قدمنا الكلام على هذه المتعة
 والخلاف في كونها خاصة بن طلاق قبل البناء والتعرض أو عامة لاه مطلقات وقيل ان هذه
 الآية شاملة للمتعة الواجبة وهي متعة المطلقة قبل البناء والفرص وغير الواجبة وهي
 متعة سائر المطلقات فانها مستحبة فقط وقيل المراد بالمتعة ههنا النفقة (حقا على المتقين)
 يعنى الذين يتقون الشرك (كذلك بين الله لكم آياته) أي ما يلزمكم ويلزم أزواجكم
 والذي يجب لبعضكم على بعض (عليكم تعقلون) أي لكي تعقلوا ما بينت لكم من
 الفرائض والاحكام وما فيه صلاح دينكم ودنياكم (ألم ترائى الدين خر جوامس ديارهم)

حصيات حتى ذهب ثم أتى به الى
 الجرة الوسطى فعرض له الشيطان
 فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم
 أتى به الى الجرة القصوى فعرض له
 الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى
 ذهب فأتى به جعة فقال هذا المشعر
 ثم أتى به عرفة فقال هذه عرفة
 فقال له جبريل أعرفت (ربنا
 وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم
 آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة
 ويركبههم انك أنت العزيز الحكيم)
 يقول تعالى اخبارا عن تمام دعوة
 ابراهيم لاهل الحرم ان يبعث الله
 فيهم رسولا منهم أي من ذرية
 ابراهيم وقد وافقت هذه الدعوة
 المستجابة قد رآه الله السابق في تعيين
 محمد صلوات الله وسلامه عليه
 رسولا في الاميين اليهم والى سائر
 الاجميين من الانس والجن كما
 قال الامام احمد أخبرنا عبد الرحمن
 ابن مهدي عن معاوية بن صالح عن
 سعيد بن سويد الكلبي عن عبد
 الاعلى بن هلال السلمي عن
 العرياض بن سارية قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم اني
 عند الله لخاتم النبيين وان آدم

لم يجد في طينته وسأبئكم باول ذلك دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى بي ورويا نحي التي رأت وكذلك أمهات • الاستفهام
 النبيين يرين وكذلك رواه ابن وهب واللبث وكاتبه عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح وتابعه أبو بكر بن أبي مرزوق عن سعيد بن
 سويد بن وهب وقال الامام احمد أيضا أخبرنا أبو النضر أخبرنا الفرج أخبرنا القمان بن عامر قال سمعت أبا امامة قال قلت يا رسول الله
 ما كان اول بدء أمرك قال دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى بي ورأت أمي انه يخرج منها نوراً ضاءت له قصور الشام والمردان
 أول من فوه بكروه وشهروه في الناس ابراهيم عليه السلام ولم يزل ذكره في الناس مذ كورام شهر ورايسا راحتي أفصح باسمه خاتم أنبياء

بنى اسرائيل نسباً وهو عيسى بن مريم عليه السلام حيث قام في بنى اسرائيل خطيباً وقال انى رسول الله اليكم مصداق لما بين يدي من التوراة ومبشر برسول يأتى من بعدى اسمه أجد ولهذا قال في هذا الحديث دعوة أبى ابراهيم وبشرى عيسى بن مريم وقوله ورأت أمى انه خرج منها نوراً ضاعت له قصور الشام قبل كان منا ما رأته حين جلت به وقصته على قومها فاشاع فيهم واشتهر بينهم وكان ذلك توطئة وتخصيص الشأم بظهور نوره إشارة الى استقراريته ونسبته ببلاد الشأم ولهذا يكون الشأم في آخر الزمان معقلاً للاسلام وأهله وبها ينزل عيسى بن مريم اذا نزل بمشق بالمنازة الشرقية (٣٢١) اليه بها منها ولهذا جاء في الصحيحين لا تزال

طائفة من أمتى ظاعرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك وفى صحيح البخارى وهم بالشأم قال أبو جعفر الرازى عن الربيع ابن أنس عن أبى العباس فى قوله ربنا وابعث فيهم رسلاً منهم يعنى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقبل له قد استحب لك وهو كائن فى آخر الزمان وكذا قال السدى وقسادة * وقوله تعالى ويعلمهم الكتاب يعنى القرآن والحكمة يعنى السنة قاله الحسن وقسادة ومقاتل بن حيان وأبو مالك وغيرهم وقيل انهم فى الدين ولا منافاة بين كيم قال على ابن أبى طلحة عن ابن عباس يعنى طاعة الله والاخلاص وقال محمد ابن اسحق ويعلمهم الكتاب والحكمة قال يعلمهم الخير فيفدعوه والشر فيستقوه ويخبرهم برضاء الله عنهم اذا أطاعوه لئلا يتكثروا من طاعته ويحتجبوا ما بسخطه من معصيته وقوله انك أنت العزيز الحكيم أى العزيز الذى لا يهجزه شئ وهو قادر على كل شئ الحكيم فى أفعاله وأقواله فيضع الأشياء فى

الاستفهام هنا التقرير والرؤية المذكورة هى رؤية القلب لارؤية البصر والمعنى عند سيويته تنبه الى أمر الذين خرجوا ولا يحتاج هذه الرؤية الى منعواين كذا قيل وحاصله أن الرؤية هنا التى يعنى الادراك مضممة معنى التنبيه ويجوز ان تكون مضممة معنى الانتهاء أى ألم ينته علمك اليهم أو معنى الوصول أى ألم يصل علمك اليهم ويجوز ان تكون بمعنى الرؤية البصرية أى ألم تنظر الى الذين خرجوا وهم قوم من بنى اسرائيل جعل الله سبحانه قصة هؤلاء ما كانت يمكن من الشيع واليهود والشعبيات على الاقرار بها بمنزلة المعجزة لكل فرداً والمبصرة لكل مبصر لان أهل الكتاب قد أخبروا بها ودونوها وأشهرها وأمرها والخطاب هنا لكل من يصلح له والكلام جار مجرى المثل فى مقام التعجب ادعاء لظهور وجهه حيث يستوى فى ادراكه الشاهد والغائب قاله السعدى التفتازانى وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة والعموم أولى (وهو الوف) قيل ثلاثة آلاف أو أربعة وقيل عشرة آلاف وقيل بضع وثلاثون ألفاً وقيل أربعون ألفاً وقيل سبعون ألفاً وأصح الاقوال قول من قال انهم كانوا زيادة على عشرة آلاف لان الالوف من جوع الكثرة وحقيقته ما فوق العشرة قاله القرطبي فدل على أن الوف كثيرة وجع القليل آلاف وقيل جمع الف أو ألف كقاعدة وقعود والمعنى مؤلفون والاول أولى والاول الحال (حذر الموت) أى مخافة الطاعون وكان قد نزل بهم وقيل انهم أمروا بالجهاد ففترروا منه وحذر الموت (فقد الله الموت) أمر تكوين وتحويل وهو عبارة عن تعاقب ارادته بموتهم دفعة أو تمثيل لامتة سبحانه اياهم ميتة نفس واحدة كأنهم أمروا فاطاعوا فماتوا (ثم أحياهم) يعنى بعد موتهم بدعائهم خريفى بعد عمانية أيام أراً كثره ماشوا راعاهم أثر الموت لا يلبسون ثوباً الا عاد كالكنف واسمى فى أسباطهم (ان الله ذو فضل) التذكير للتعظيم أى لذو فضل عظيم (على الناس) جميعاً فيجب عليهم شكره أما هؤلاء الذين خرجوا لئلا يكونوا أحياءهم ليعتبروا وأما الخاطبون فليكون قد أرشدهم الى الاعتبار والاستبصار بقصة هؤلاء قال ابن عباس كانوا أربعة آلاف خرجوا فراراً من الطاعون وقالوا نأتى أرضاً ليس بها موت حتى اذا كانوا بموضع كذا وكذا قال لهم الله موتوا فماتوا فخرع عليهم نبي من الانبياء فدعاه به أن يحييهم حتى يعبدوه فاحياهم وان القرية التى خرجوا منها اوردان قبل هو خريفى ويقال له ابن الجوزى ويقال له

(٤١ - فتح البستان ل) محالها العلم وحكمته وعدله ومن يرغب عن مله ابراهيم الامن سفته نفسه ولقد اصطفاه فى الدنيا وانه فى الآخر لمن الصالحين اذ قال له رب أسألك رب العالمين ووصى بها ابراهيم نبيه ويعقوب ابني ان الله اصطفى ليكم الذين فلا تموتن الا وانتم مسلمون) يقول تبارك وتعالى رد على الكفار فيما ابتدعوه وأحدثوه من الشرك بالله المخالف لملة ابراهيم الخليل امام الحنفاء فانه جردتو حيدر به تبارك وتعالى فلم يدع معه غيره ولا أشرك به طرفتين وتبرأ من كل معبود سواه وخالف فى ذلك سائر قومه حتى تبرأ من أبيه فقال يا قوم انى برى عما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفاً وما أنا

من المشركين وقال تعالى وإذا قال إبراهيم لأبيه وقومه اني براهم عما تعبدون الا الذي فطرني فانه سبيد دين وقال تعالى وما كن استغفار ابراهيم لا يبد الا عن موعدة وعدها لآله فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم قال تعالى ان ابراهيم كان امة قاتله حديثنا وليك من المشركين شاكر الا نعمة اجتبا وهداه الى صراط مستقيم وآتاه في الدنيا حسنة وآتاه في الآخرة الصالحين واهذا رأ مثاله قال تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه أى ظلم نفسه بسننه وسوء تدبيره بترك الحق الى الضلال حيث خالف (٢٣٢) طريق من اصطفى في الدين الهادي والرشاد من حداثة سنه الى ان اتخذ الله خليلا

وهو في الآخرة من الصالحين السعداء فمن ترك طريقه هذا وسلك مملته واتبع طرق الضلالة والغي فأتى سفه أعظم من هذا أم أى ظلم أكبر من هذا كما قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم قال أبو العالية وقتادة نزلت هذه الآية في اليهود أحدثوا طارقاتا ليست من عند الله وخالقوا ملة ابراهيم فيما أحدثوه ويشهد لصحة هذا القول قول الله تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين وقوله تعالى اذ قال لله ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين أى أمره الله تعالى بالاخلاص له والاستسلام والانقياد فاجاب الى ذلك شرعا وقدره وقوله ووصى به ابراهيم بنيه ويعقوب اى وصى بهذه الملة وهى الاسلام لله أو يعود الضمير على الكلمة وهى قوله أسلمت لرب العالمين لحرضهم عليه ومحبتهم لها حافظوا عليهم الى حين الوفاة ووصوا

ذوال الكفل وهو ثالث خليفة فى بنى اسرائيل لان موسى بعده يوشع ثم كالب ثم حزقيل وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم هذه القصة مطولة عن أبى مالك وفيه انهم بضعة وثلاثون ألفا وقال سعيد بن عبد العزيز ان ديارهم هى أذرعات وعن أبى صالح قال كانوا تسعة آلاف وأخرج جماعة من محدثي المفسرين هذه القصة على انها ولا يأتى الاستكثار من طرقها بفائدة وقد ورد في الصحيحين وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم النهى عن الفرار من الطاعون وعن دخول الارض التى هو بها من حديث عبد الرحمن بن عوف (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) يعنى ان أكثر من أنعم الله عليه لا يشكر (وقالتوا لى سبيل الله) هو معطوف على مقدر كأنه قيل اشكروا بفضل الله لا اعتبار بما قص عليكم وقالتوا هذا اذا كان الخطاب بقوله وقالتوا راجعا الى مخاطبين بقوله ألم تر الى الذين خرجوا كما قاله جمهور المفسرين وعلى هذا يكون ايراد هذه القصة لتشجيع المسلمين على الجهاد وقيل ان الخطاب للذين احيوا من بنى اسرائيل فيكون عطفا على قوله موتوا وفي الكلام محذوف تقديره وقال لهم قاتلوا وقال ابن جرير لا وجه لقول من قال ان الامر بالقتال للذين احيوا وقيل العطف على حافظوا على الصلوات وفيه بعد والاول أولى (واعلموا ان الله سميع) لما يتوله المتعل عن القتال (عليم) بما يضمرة وفيه وعد لمن بادى بالجهاد ووعيد لمن تخلف عنه (س ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) لما أمر سبحانه بالقتال والجهاد أمر بالانفاق في ذلك واقرض الله مثل لتقديم العمل الصالح الذى يستحق بدفعه الثواب وأصل القرض انه اسم لكل ما يلتمس عليه الجزاء يقال أقرض فلان فلان أى أعطاه ما يتجزاه وقال الزجاج القرص فى اللغة البلاء الحسن والبلاء السيء وقال الكسائى القرض ما أسلفت من عمل صالح أرسى وأصل الكلمة القطع ومنه المقرض واستدعاء القرض فى الآية انما هو تأيس وتقريب للناس بما يفهمونه والله هو الغنى الحميد شبهه عطاء المؤمن ما يرجو ثوابه فى الآخرة بالقرض كما شبه عطاء النفوس والأموال فى أخذ الجنة بالبيع والشراء وقيل كنى عن التقدير بنفسه العلية المنزهة عن الحاجات برغبة فى الصدقة كما كنى عن المريض والجائع والعطشان بنفسه المقدسة عن النقائص والآلام فى الحديث الصحيح اخبارا عن الله عز وجل يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى واستطعمتك فلم تطعمنى واستسقيتك فلم تسقى

أبناءهم بها من بعدهم كقوله تعالى وجعلها كلمة باقية فى عقبه وقد قرأ بعض السلف ويعقوب بالصعب عطا تسقى على نبيه كان ابراهيم وصى بنه وابن ابنه يعقوب بن اسحق وكان حاضر اذ ذلك وقد ادعى التفسيرى فيما حكاك القرطبي عنه ان يعقوب انما ولد بعد وفاة ابراهيم ويحتاج سئل هذا الى دليل صحيح والظاهر والله أعلم ان اسحق ولد له يعقوب فى حياة الخليل وسارة لان البشارة وقعت بهما فى قوله فبشرناهما باسحق ومن وراء اسحق يعقوب وقد قرئ بنصب يعقوب ههنا على نزاع الخافض فلولم يوجد يعقوب فى حياتهم لما كان لذكره من بين ذرية اسحق كبير فائدة وأيضا فقد قال الله تعالى فى سورة العنكبوت وهبنا لاسحق ويعقوب

وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب الآية وقال في الآية الاخرى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وهذا يقتضي انه وجد في حياته
 وايضا فانه يأتي بيت المقدس كما طقت بذلك الكتب المتقدمة وثبت في الصحيحين من حديث أبي ذر قال يا رسول الله أي مسجد
 وضع أول قال المسجد الحرام قلت ثم أي قال بيت المقدس قلت كم بينهما قال أربعون سنة الحديث فزع ابن حبان ان بين سليمان
 الذي اعتقده ان يأتي بيت المقدس وانما كان جدده بعد خرابه وخرقه وبين ابراهيم أربعين سنة وهذا ما أنكر على ابن حبان فان
 المدة بينهما تزيد على ألوف سنين والله أعلم وايضا فان وصية يعقوب لبنيه (٣٢٣) سيأتي ذكرها قريبا وهذا يدل على أنه ههنا

من جملة الموصين * وقوله يأتي ان الله
 اصطفى لكم الدين فلا تفترون
 الا وانتم مسلمون اي احسنوا في
 حال الحياة والزواهد البرزخية
 الله الوفاة عليه فان المريت غالباً
 على ما كان عليه ويبحث على
 مامات عليه وقد أجرى الله الكريم
 عادته بان من قصدا الخير وفق له
 ويسر عليه ومن نوى صالحا ثبت
 عليه وهذا لا يعارض ما جاء في
 الحديث الصحيح ان الرجل
 ليعمل بعمل أهل الجنة حتى
 ما يكون بينه وبينها ابرص او ذراع
 فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل
 أهل النار فيدخلها وان الرجل
 ليعمل بعمل أهل النار حتى
 ما يكون بينه وبينها ابرص او ذراع
 فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل
 أهل الجنة فيدخلها لانه قد جاء في
 بعض روایات هذا الحديث ليعمل
 بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس
 ويعمل أهل النار فيما يبدو للناس
 وقد قال الله تعالى فأما من أعطى
 واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره
 ليسرى وأما من بخل واستغنى
 وكذب بالحسنى فسنيسره

تسقى قال يارب كيف أسقيك وانت رب العالمين قال استسقا لعبدى فلان فلم تسقه أما
 انك لوسعة لوجدت ذلك عندي وكذا فيما قبله أخرجه مسلم والبخاري وهذا كله خرج
 مخرج انتشاره فلان كنى عنه ترغيبا لمن خوطب به وقوله حسنا أي طيبة به نفسه من
 دون من ولا أذى وقيل محتسبا وقيل هو الانفاق من المال الحلال في وجه البر وقيل
 هو الخالص لله تعالى ولا يكون فيه رياء ولا سمعة وقد اختلف في تقدير هذا التضعيف
 على أقوال وقيل لا يعلمه الا الله وحده قاله السدي وهذا هو الاولى وانما أبهم الله ذلك
 لان ذكر الميم في باب الترغيب أقوى من ذكر الميم في باب الحدود وقيل الى سبع مائة ضعف وقيل
 غير ذلك وأخرج الطبراني والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال لما نزلت هذه الآية
 قال أبو الدرداء ان انصاري يا رسول الله ان الله يريد منا القرض قال نعم قال أرنى يدك
 يا رسول الله فناول يده قال فاني قد أقرضت ربي حاططي وله فيه ستمائة نخلة وقد أخرج
 هذه القصة جماعة من المحدثين وأخرج أحمد وابن المنذر من حديث أبي هريرة وفيه قال
 والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الله يضاعف
 الحسنة ألفي ألف حسنة وأخرج ابن حبان في صحيحه والبيهقي وغيرهما عن ابن عمر قال
 لما نزلت مثل الذين يتفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل الى
 آخرها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رب زد أمتي فزت من ذا الذي يقرض الله
 قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة قال رب زد أمتي فزت انما يوفي الصابرون أجرهم
 بغير حساب وأخرج ابن المنذر عن سفيان قال لما نزلت من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها
 قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رب زد أمتي فزت من ذا الذي يقرض الله قال
 رب زد أمتي فزت مثل الذين يتفقون أموالهم قال رب زد أمتي فزت انما يوفي الصابرون
 وفي الباب أحاديث هذه أحسنها (والله يشبض ويبسط) حسبما تقتضيه مشيئته المنة
 على الحسنة والمصلح فلا تخلوا عنه بما وسع عليكم كيلا تبدل أحوالكم ولعل تأخير
 البسط عن القبض في الذكر للايماء الي انه يعقبه في الوجود تسلية للفقراء هذا عام في كل
 شيء فهو التناض الباسط والقبض التقييد والبسط التوسيع وفيه وعيد بان من بخل من
 البسط يوشك ان يبذل بالقبض ولهذا قال (والله ترجعون) أي هو يجازيكم بما قدمتم
 عند الرجوع اليه فان أنفقتم مما وسع به عليكم أحسن اليكم وان بخلتم عاقبكم وعن

لعسرى (أم كنتم عمداء) اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آباءك ابراهيم واسماعيل
 واسحق اله واحد ونحن له مسلمون تلك أمة قد خلت لهما ما كسبت ولكم ما كسبت ولا تسئلون عما كانوا يعملون يقول
 تعالى محتجا على المشركين من العرب أبناء اسمعيل وعلى الكفار من بني اسرائيل وهو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام
 بأن يعقوب لما حضرته الوفاة وصى بنيه بعبادة الله وحده لا شريك له فقال لهم ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك
 واله آباءك ابراهيم واسماعيل واسحق وهذا من باب التغليب لان اسمعيل عمه قال النحاس والعرب تسمى العم أبا فله القرطبي

وقد استدللهم هذه الآية الكريمة من جعل الجنة أبوابا وجب به الاخوة كما هو قول الصدوق حكاه البخاري عنه من طريق ابن عباس وابن الزبير ثم قال البخاري ولم يختلف عليه واليه ذهب عائشة أم المؤمنين وبه يقول الحسن البصري وطاوس وعطاء وهو مذهب أبي حنيفة وغير واحد من السلف والخلف وقال مالك والشافعي وأحمد في المشهور وعنه انه يقاسم الاخوة وحكي ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت وجماعة من السلف والخلف واختاره صاحب أبي حنيفة القاسمي أبو يوسف وجمعة من الحسن ولحقه راجح موضع آخره وقوله اليها واحدا (٢٢٤) أي نوحده بالالوهية ولا نشرك به شيئا غيره ونحن له مسابون أي

مطعمون خاضعون كما قال تعالى وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون والاسلام هو مله الانبياء طائفة وان تنوعت شرائعهم واختلفت مناهجهم كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون والايات في هذا كثيرة والا حديث فتم ا قوله صلى الله عليه وسلم نحن من غير الانبياء اولاد علات ديننا واحد وقوله تعالى تلك أمة قد خلت أي مضت ليها ما كسبت ولكم ما كسبت أي ان السلف الماضين من آباءكم من الانبياء والصالحين لا ينفعكم اتسابكم اليهم اذ لم تعملوا خيرا يعود نفعه عليكم فان لهم أعمالهم التي عملوها ولكم أعمالكم ولا تسألون عما كانوا يعملون وقال أبو العالية والربيع وقتادة تلك أمة قد خلت يعني ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط ولهذا جاء في الاثرين أنباء به علم يسرع به نسب (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان

قتادة يقبض الصدقة ويسط قال يخلف واليه ترجعون قال من التراب والى التراب تعودون وعن ابن زيد قال علم الله فيمن يتاقل في سبيل الله من لا يجد قوة وفين لا يتاقل في سبيل الله فذهب هؤلاء الى القرض فقال من ذا الذي يقرض الله قال يسط عليك وأنت تنبل عن الخروج لا تريدو يقبض عن هذا وهو يطيب نفسه بالخروج ويخلف له فقوة مما يبذل يكن لك الخلف وقيل المعنى ان الله يقبض بعض التسلوب حتى لا تقدر على الاتفاق في الطاعة وعمل الخير ويسط بعض انكسار حتى تقدر على فعل الطاعات والاتفاق في البر وعن ابن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان تلوب بنى آدم بين اصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم الله مصرف اللوب ثبت قلبه با على طاعتك آخر جدم سلم وهذا الحديث من أحاديث الصفات التي يجب الايمان بها وامرارها كما جاءت من غير تكليف ولا تشبيه ولا تحريف ولا تعطيل ولا تأويل وبهذا قال سلف هذه الامة وأئمتها (الم تراءى الاملا من بنى اسرائيل) الكلام فيه كال كلام في قوله ألم تراءى الذين خرجوا من ديارهم وقد قدمناه والملا الاشراف من الناس كأنهم ملأوا شرقا وقال الزجاج سمو بذلك لانهم ملأوا من يحتاج اليه منهم وهو اسم جمع كالقوم والرهط لا واحده من لفظه قال القراء الملا الرجال في كل القرآن ويجمع على املاء مثل سبب وأسباب ذكر الله سبحانه في التحريض على القتال قصة أخرى جرت في بنى اسرائيل بعد القصة المتقدمة والمعنى كائنين (من بعد) وفاة (موسى اذ قالوا النبي لهم) قيل هو شمويل بن يال ابن عاقمة ويعرف بابن المجوز ويقال فيه شمعون وهو من ولد يعقوب وقيل من نسل هرون وقيل هو يوشع بن نون وهذا ضعيف جدا لان يوشع هو نبي موسى ولم يوجد داود الا بعد ذلك بدخراطويل وقيل هو بالعربية اسمعيل قاله أبو السعد (ابنت لنا ملكا نقاتل في سبيل الله) المراد بالملك الامير أي ترجع اليه ونعمل على رأيه (قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا) عسى من أفعال المقاربة أي فهل قاربتم ان لا تقاتلوا وادخل حرف الاستفهام على فعل المقاربة لتقرير ما هو متوقع عنده والاشعار بانه كائن وفصل بين عسى وخبرها بالشرط للدلالة على الاعتناء به (قالوا وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله) قيل المعنى وأي شئ لنا ان لا نقاتل وقيل غير ذلك قال انكاس هذا أجودها (وقد

من المشركين) قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد حدثني سعيد بن جبيرة أو عكرمة عن ابن عباس . اخرجنا قال قال عبد الله بن سوريا الا عور لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما الهدى الاما نحن عليه فانه عيايا محمد تهتدوا قالت النصاري مثل ذلك فانزل الله عز وجل وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا وقوله قل بل ملة ابراهيم حنيفا أي لا تريد ما دعوتونا اليه من اليهودية والنصرانية بل تتبع مله ابراهيم حنيفا أي مستقيما قاله محمد بن كعب القرظي وعيسى بن جارية وقال خفيف عن مجاهد مخلصا وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس حاجا وكذا روى عن الحسن والفضال وعطية والسدي وقال أبو العالية

الخنيف الذي يستقبل البيت بصلاته ويرى ان حجه عليه ان استطاع اليه سبيلا وقال مجاهد والربيع بن انس خنيفا أي متبعيا وقال أبو قلابه الخنيف الذي يؤمن بالرسالة كلهم من أولهم إلى آخرهم وقال قتادة الخنيفة شهادة أن لا إله الا الله يدخل فيها تحريم الامهات والنسب والخالات والعلمات وما حرم الله عز وجل والختان (قولوا آمنا بالله وما أنزل اليه وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أتى موسى وعيسى وما أتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) أرشد الله تعالى عباده المؤمنين الى الايمان بما أنزل اليهم بواسطة رسوله محمد صلى (٣٢٥) الله عليه وسلم مفصلا وما أنزل على الانبياء

المقدمين مجملًا ونص على أعيان من الرسل وأجل ذكر بقية الانبياء وان لا يفرقوا بين أحد منهم بل يؤمنوا بهم كلهم ولا يكونوا كمن قال الله فيهم ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نسؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا الآية وقال البخاري حدثنا محمد ابن بشار أخبرنا عثمان بن عروة أخبرنا علي بن الماركة عن يحيى ابن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل الله وقدرى مسلم وأبو داود والنسائي من حديث عثمان بن حكيم عن سعيد بن يسار عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر ما يصلي الركعتين اللتين قبل الفجر بآمننا بالله وما أنزل اليه الآية

أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) افراد الاول بالذكر لانهم الذين وقع عليهم السبي ولا منهم مكان فوق مكان سائر القرابة وهذا كلام عام والمراد منه خاص لان القائمين لنبيهم ما ذكر كانوا في ديارهم وانما أخرج بعض آخر غيرهم ثم أخبر سبحانه أنهم قولوا المافرض عليهم القتال لا اضطراب نياتهم وفقر عزائمهم فقال (فلما كتب عليهم القتال تولوا) بعد مشاهدة كثرة العدو وشوكته (الاقليل منهم) واختلف في عدد القليل الذين استثناهم الله سبحانه وهم الذين اكتفوا بالغرفة (والله عليهم بانظامين) أي عالمين بظلم نفسه حين خالف أمر ربه ولم يف بمأقال وهم بقية السبعين ألفا وهم من عدا القليل المذكور (وقال لهم نبيهم) شروع في تصديق ما جرى بينهم وبين نبيهم من الاقوال والافعال (ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) وهو اسم أعجمي وكان سقاء وقيل راعيا وقيل دباغا وقيل مكاريا واسمه بالعبرانية شاول بن قيس وجعله فعلا تامن الطول تعسف يدفعه منع صرفه (قالوا أي يكون له الملك علينا) أي كيف يكون ذلك وكيف يستحقه ولم يكن من بيت الملك (ونحن أحق بالملك منه) انما قالوا ذلك لانه كان في بني اسرائيل سبطان سبط سبوة وسبط مملكة فسبب النبوة سبب لاوي بن يعقوب ومنه كان موسى وهرون عليهما السلام وسبب المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من أحدهما وانما كان من سبط بنيامين بن يعقوب عليه السلام فلهدا أنكروا كونه ملكا لهم وزعموا أنهم أحق بالملك منه ثم أكدوا ذلك بقولهم (ولم يأت سعة من المال) أي ولا هو من أوتي سعة من المال حتى تتبعه لشرفه وأماله بل هو فقير والمالك يحتاج الى المال (قال) يعني شعوب النبي (ان الله اصطفاه عليكم) أي اختاره وخصه بالملك واختيار الله هو الوجه القاطع ثم بين لهم مع ذلك وجه الاصطفاء وقال (وزاد بسطة) أي فضيلة وسعة (في العلم) الذي هو ملاك الانسان ورأس الفضائل وأعظم وجوه الترجيح وكان من أعلم بني اسرائيل وقيل هو العلم بالحرب وبالملك وقيل به بالديانات (والجسم) الذي يظهر به الاثر في الحروب ونحوها فكان قويا في دينه وبدنه وذلك هو المعبر لاشرف النسب فان فضائل النفس مقدمة عليه وفي هذه الآية دليل على بطلان قول من زعم من الشيعة ان الامامة موروثة وكان طالوت أطول من الناس برأسه ومنكبيه وقيل بالجمل وكان من أجلهم وقيل المراد به القوة لان العلم بالحروب والقوة على الاعداء مما فيه حفظ المملكة (والله يوتي

والاخرى بآمننا بالله واشهد باننا مسلمون وقال أبو العالية والربيع وقادة الاسباط بنو يعقوب اثنا عشر رجلا ولد لكل رجل منهم أمة من الناس فسموا الاسباط وقال الخليل بن أحمد وغيره الاسباط في بني اسرائيل كالقبائل في بني اسمعيل وقال الزمخشري في الكشف الاسباط حفدة يعقوب ذراري آبائهم الاثنى عشر وقد نقله الرازي عنه وقرره ولم يعارضه وقال البخاري الاسباط قبائل بني اسرائيل وهذا يقتضي ان المراد بالاسباط ههنا شعوب بني اسرائيل وما أنزل الله من الوحي على الانبياء الموجودين منهم كما قال موسى لهم اذكروا نعمته الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعل لكم ملة كالآية وقال تعالى وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا قال

انقرطي وسموا الاسباط من السبط وهو السبع ففهم جماعة وقيل أصله من السبط بالتحريك وهو الشجر أي في الكثرة بمنزلة الشجر الواحد سبطه قال الزجاج وبين لهذا ما حدثنا محمد بن جعفر الانباري حدثنا أبو نعيم الدقاق حدثنا الاسود بن عامر حدثنا اسرائيل عن سماعة عن ابن عباس قال قال كل الانبياء من بني اسرائيل الا عشرة نوح وهو وصالح وشعيب وابراهيم واسحق ويعقوب واسمه عيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام قال القرطبي والسبط الجماعة والقبيلة الراجعون الى أصل واحد وقال قتادة أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا به (٢٢٦) ويصدقوا بكتبه كلها وبرسله وقال سليمان بن حبيب انما

ملكهم من يشاء قال الملك والعبيد عبده فقال لكم والاعتراض على شيء ليس حولكم ولا أمر اليكم وقد ذهب بعض المفسرين الى ان قوله هذا من قول نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل هو من قول نبيهم وهو الظاهر وقيل من كلام الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم (والله واسع) أي واسع الفضل يوسع على من يشاء من عباده (عليه) بن يستحق الملائكة ويصلح له (وقال لهم نبيهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت) التابوت فعلوت من التوب وهو الرجوع لانهم يرجعون اليه أي علامة ملكه آيات التابوت الذي أخذ منكم أي رجوعه اليكم وهو صندوق التوراة قليل وكان من خشب الشهد وهو الذي تتخذ منه الأمشاط طوله ثلاثة أذرع في عرض ذراعين (فيه سكية من ركبكم) السكية فعلة مأخوذة من السكون والوقار والطمأنينة أي فيه سبب سكون قلوبكم فيما اختلفتم فيه من أمر طالوت وقيل الضمير للآيتين أي في آياته سكون لكم أو للتابوت أي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التوراة قال ابن عطية الصحيح ان التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الانبياء وآثارهم فكانت النفوس تسكن الى ذلك وتأنس به وتتقوى وقد اختلف في السكية على أقوال سيأتي بيان بعضها (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) اختلف في البقية فقل هي عصا موسى ورضاض الألواح قاله ابن عباس وقيل عصا موسى وعصا هرون وشئ من ألواح التوراة وقيل كانت التوراة والعلم وقيل كان فيه عصا موسى ونعلاه وعصا هرون وعصاه وقيل من المن وكان عند بني اسرائيل يتوارثونه قريبا بعد قرن فلما عصوا وأفسدوا سلط الله عليهم العماقة فغلبوهم عليه وأخذوه منهم وقيل غير ذلك وقيل المراد بآل موسى وهرون هما أنفسهم أي مما ترك موسى وهرون والفظ آله مقبلة لتفخيم شأنهما وقيل المراد الانبياء من بني يعقوب لانهم من ذرية يعقوب فسائر قرابته ومن تناسل منه آل لهما (تحمله الملائكة) أي تسوقه قال ابن عباس جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون اليه حتى وضعته عند طالوت فلما رأوا ذلك قالوا نعم فسلوا له الرئاسة وملكوه وكانوا الانبياء اذا حضر واقتلوا قدموا التابوت بين أيديهم ويقولون ان آدم نزل بذلك التابوت وبالركن وبعصا موسى من الجنة وبلغني ان التابوت وعصا موسى في بحيرة طبرية وانهم ما يخرجان قبل يوم القيامة وقال قتادة كان التابوت في التيه خلفه موسى عند يوشع بن نون فبقى هناك فأقبلت الملائكة تحمله حتى

أمرنا أن نؤمن بالتوراة والانجيل ولا نعمل بما فيها وقال ابن أبي حاتم أخبرنا محمد بن محمد بن مصعب العموري أخبرنا مؤمل أخبرنا عبيد الله بن أبي حميد عن أبي الملقح عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنوا بالتوراة والزبور والانجيل واسمعكم القرآن (فان آمنوا مثل ما آمنتم به فقد أخذوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسمكفكمهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون) يقول تعالى فان آمنوا يعني الكفار من أهل الكتاب وغيرهم غسل ما آمنتم به بآياتها المؤمنون من الايمان بجميع كتب الله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم فقد آتاهم الله ما أرادوا الحق وأرشدوا اليه وان تولوا أي عن الحق الى الباطل بعد قيام الحجج عليهم فانما هم في شقاق فسمكفكمهم الله أي فسند نصركم عليهم وينظركم بهم وهو السميع العليم قال ابن أبي حاتم قرأ علي بن ابي طالب بن عبد الأعلى أخبرنا ابن

وهب أخبرنا نازيد بن يونس نافع بن أبي نعيم قال أرسل الى بعض الخلفاء معصف عثمان بن عفان ليصلحه قال زياده وضعته فقلت له ان الناس يقولون ان معصفه كان في حجره حين قتل فوقع الدم على فمك فكفكمهم الله وهو السميع العليم فقال نافع بصرت عيني بالدم على هذه الآية وقد قدم وقوله صبغة الله قال الضحاك عن ابن عباس دين الله وكذا روى عن مجاهد وأبي العالمة وعكرمة وابراهيم والحسن وقتادة والضحاك وعبد الله بن كثير وعطية العوفي والربيع بن أنس والسدي ونحو ذلك واتصاب صبغة الله اما على الاغراء كقوله فطرة الله أي الرمز ذلك عليكموه وقال بعضهم بدل من قوله مله ابراهيم وقال سيبويه

هو صدق مؤكدا تصب عن قوله آمنا بالله كقوله وعد الله وقد ورد في حديث رواد ابن أبي حاتم وابن مردويه من رواية أشعث بن
 اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن بني إسرائيل قالوا يا رسول الله هل يصبح
 ربك فقال اتقوا الله فناداه به يا موسى سألوكم هل يصبح ربك فقل نعم أنا أصبغ الألوان الأحمر والأبيض والأسود والألوان
 كلها من صبغي وأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة كذا وقع في رواية ابن مردويه
 من فروعها وفي رواية ابن أبي حاتم موقوف وهو أشبه أن صح استاده (٣٢٧) والله أعلم (قل أتحاجونني في الله وحور بنا

وربكم ولنا أعمالكم أعمالكم
 ونحن له مخلصون أم تقولون إن
 إبراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب
 والأسباط كانوا هودا أو نصارى
 قل أنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن
 كتم شهادة عنده من الله وما الله
 بغافل عما تعملون تلك آية قد
 خلت لهم ما كسبت ولكم
 ما كسبتم ولا تستلون عما كانوا
 يعملون يقول تعالى مرشدانبيه
 صلوات الله وسلامه عليه إلى ذرة
 مجادلة المشركين قل أتحاجونني في
 الله أي أتناظر وتناظر في توحيد الله
 والإخلاص له والافتقار إليه واتباع
 أوامره وترك زواجره وهو ربنا
 وربكم المتصرف فينا وفيكم
 المستحق للإخلاص الإلهية له
 وحده لا شريك له ولنا أعمالنا
 ولكم أعمالكم أي نحن براء
 منكم ومما تعبدون وأنتم براء
 كما قال في الآية الأخرى فإن كذبوك
 فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم
 بريئون مما عمل وأنا بريء مما
 تعملون وقال تعالى فإن حاجوك
 فقل أسألت وجهي لله ومن اتبعني
 إلى آخر الآية وقال تعالى أخبرا
 عن إبراهيم وحاجه قومه قال

وضعه في دار طالوت فأصبح في داره فأقروا بملكه وقد ورد هذا المعنى مختصرا مطولا عن
 جماعة من السلف فلا يأتي التطويل بذلك بقائده يعتد بها وعن ابن عباس أيضا كان
 طالوت عظيما جسيما ينضل بني إسرائيل بعنقه ولم يأت به وحى وكانت سبعة تابوت موسى
 نحو من ثلاثة أذرع في ذراعين والسكينة الرحمة والطمأنينة أو الدابة قدر الهرة لها عينان
 لهما شعاع وكان إذا التقى الجمع أن خرجت يديها ونظرت إليهم فيهمز الجليش من الرعب
 وعن علي السكينة تريح خجوج هفافة ولها رأسان ووجه كوجه الإنسان وقال مجاهد
 السكينة شيء يشبه الهرة رأس كراس الهرة ووجه كوجه الهرة ووجناحان وذنب مثل
 ذنب الهرة وعن ابن عباس السكينة طشت من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب
 الأنبياء ألقى الألواح فيه وعن وهب بن منبه أنه قال هي روح من الله تتكلم إذا اختلفوا
 في شيء تسلم فخبيرهم ببيان ما يريدون وعن الحسن قال هي شيء تسكن إليه قلوبهم وعن
 عطاء بن أبي رباح هي ما يعرفون من الآيات التي يسكنون إليها وأقول هذه التفسير
 المتناقضة لعلها وصلت إلى هؤلاء الأعلام من جهة اليهود أقامهم الله فخافوا هذه الأمور
 لقصد التلاعب بالمسلمين والتشكيك عليهم وانظر إلى جعلهم لها تارة حيوانا وتارة جادا
 وتارة شيئا لا يعقل وهكذا كل منقول عن بني إسرائيل يتناقض ويشتمل على ما لا يعقل في
 الغالب ولا يصح أن يكون مثل هذه التفسير المتناقضة مروية عن النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم ولا يراها قائله فهم أجل قدرا عن التفسير بالأي وبالمجال للاجتهاد فيه إذا
 تقررت هذا عرفت أن الواجب الرجوع في مثل ذلك إلى معنى السكينة لغة وهو معروف
 ولا حاجة إلى ركوب هذه الأمور المتعسفة المتناقضة فقد جعل الله عنها سعة ولو ثبت لنا
 في السكينة تفسير عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لوجب علينا المصير إليه والقول به
 ولكنه لم يثبت من وجه صحيح بل ثبت أنها تنزلت على بعض الصحابة عند تلاوته للقرآن كما
 في صحيح مسلم عن البراء قال كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط فتغشته
 سحابة فجعلت تدور وتدور وجعل قرسه ينقر منها فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وآله
 وسلم فذكر ذلك له فقال تلك السكينة نزلت للقرآن وليس في هذا إلا أن هذه التي سماها
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سكينة سحابة دارت على ذلك القارئ فالتهم أعلم وعن
 أبي صالح قال كان في التابوت عصا موسى وعصاهرون وثياب موسى وثياب هرون

أتحاجوني في الله إلى آخر الآية وقال تعالى ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه الآية وقال في هذه الآية الكريمة ولنا أعمالنا ولكم
 أعمالكم ونحن له مخلصون أي نحن براء منكم كما أنتم براء منا ونحن له مخلصون أي في العبادة والتوجه ثم أنكر تعالى عليهم في دعواهم
 أن إبراهيم ومن ذكر بعده من الأنبياء والأسباط كانوا على ملتهم إما اليهودية وإما النصرانية فقال قل أنتم أعلم أم الله يعني بل الله
 أعلم وقد أخبرهم لم يكونوا هودا ولا نصارى كما قال تعالى ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من
 المشركين الآية والتي بعدها * وقوله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله قال الحسن البصري كانوا يقرؤون في كتاب الله

الذي اتاهم ان الدين الاسلام وان محمد رسول الله وان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا آراء من اليهودية والنصرانية فهمدوا الله بذلك وأقرواعلى أنفسهم ففكروا شهادة الله عندهم من ذلك وقوله وما الله بغافل عما تعملون تهديد ووعد شديد أى ان علمه محيط بعملكم وسيجزىكم عليه ثم قال تعالى ذلك امة قد خلت أى قد مضت لياما كسبت ولكم ما كسبتم أى ليسم أعمالهم ولكم أعمالكم ولا تأسئلون عما كنوا يعملون وليس يعنى عنكم انتسابكم اليهم من غير متابعتهم منكم انهم ولا تغتروا بمجرد النسبة اليهم حتى (٣٢٨) فكنوا امة دين مثلهم لا وامر الله واتباع رسوله الذين بعثوا

مبشرين ومنذرين فانه من كفر بنبي واحد فقد كفر بسائر الرسل ولا سياب سيد الانبياء وخاتم المرسلين ورسول رب العالمين الى جميع الانس والجن من المكلفين صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر انبياء الله اجمعين (سبح قول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل الله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم) قيل المراد بالسفهاء هم المشركوا العرب قاله الزجاج وقيل أجبارهم ودقاله مجاهد وقيل المنافقون قاله السدي والآية عامة في هؤلاء كلهم والله اعلم قال البخاري أخبرنا أبو نعيم سمع زهير بن أبي اسحق عن البراء رضى الله عنه ان رسول الله صلى

الله عليه وسلم صلى الى بيت المقدس سنة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا او كان يحجه ان تكون قبلته قبل البيت • الشئ وانه صلى اول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل من كان صلى معه فمر على اهل المسجد وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا بكاهم قبل البيت وكان الذي قدم مات على القبلة قبل ان يحول قبل البيت رجالا قتلوا لم يذرموا فتول فيهم فانزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم انفر دبه البخاري من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر وقال محمد بن اسحق حدثني اسمعيل بن ابي خالد عن ابي اسحق عن البراء قال كان

الله عليه وسلم صلى الى بيت المقدس سنة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا او كان يحجه ان تكون قبلته قبل البيت • الشئ وانه صلى اول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل من كان صلى معه فمر على اهل المسجد وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا بكاهم قبل البيت وكان الذي قدم مات على القبلة قبل ان يحول قبل البيت رجالا قتلوا لم يذرموا فتول فيهم فانزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم انفر دبه البخاري من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر وقال محمد بن اسحق حدثني اسمعيل بن ابي خالد عن ابي اسحق عن البراء قال كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي نحو بيت المقدس ويكثر النظر الى السماء ينتظر أمر الله فأنزل الله قدرى ثقل وجهك في السماء فلو لي نيك قبله ترضاها فقول وجهك شطر المسجد الحرام فقل رجال من المسلمين وددنا لو علمنا علم من مات منا قبل أن نصرف الى القبلة وكيف يصلاتنا نحو بيت المقدس فأنزل الله وما كان الله ليضيع إيمانكم وقال السفهاء من الناس وهم أهل الكتاب ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها فأنزل الله سيقول السفهاء من الناس الى آخر الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا الحسن بن عطية حدثنا السراييل عن أبي إسحق عن البراء قال كان (٣٢٩) رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلى نحو بيت

المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان يحب أن يواجه نحو الكعبة فأنزل الله قدرى ثقل وجهك في السماء فلو لي نيك قبله ترضاها فقول وجهك شطر المسجد الحرام قال فوجه نحو الكعبة وقال السفهاء من الناس وهم اليهود وما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها فأنزل الله قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب قبله إبراهيم فكان يدعو الله وينظر الى السماء فأنزل الله عز وجل فولوا وجوهكم شطره أي نحو فارتاب من ذلك اليهود وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها فأنزل الله قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وقد جاء في هذا الباب أحاديث

الشيء أي ذقته وأطعمته الماء أي أذقته وفيه دليل على ان الماء يقال له طعام والاعتراف الاخذ من الشيء باليد أو بالة والغرف مثل الاعتراف والغرفة المرة الواحدة وقد قرئ بفتح الغين وضمها فالفتح للمرة الضم اسم للشيء المغترف وقيل بالفتح الغرفة الواحدة بالكف وبالضم الغرفة بالكفين وقيل هما الغتان بمعنى واحد (فسر بوامنه) أي من النهر (الاقليم منهم) وهم المذكورون في قوله ومن لم يطعمه قال القرطبي ان القليل لم يشرب أصلا قال سعيد بن جبيرة القليل ثلثائة وبضعة عشر رجلا عدة أهل بدر وعن البراء قال كذا أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم تحدث أن أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه الا بضعة عشر وثلثائة وعن قتادة قال ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه يوم بدر أنهم بعدة أصحاب طالوت يوم لقي جالوت وعن ابن عباس قال كانوا ثلثمائة ألف وثلاثة آلاف وثلثائة وثلاثة عشر فسر بوامنه كلهم الا ثلثائة وثلاثة عشر رجلا عدة أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر فذهب طالوت ومضى ثلثائة وثلاثة عشر وقرئ الا قليل ولا وجه له الا ما قيل من أنه من هجر اللنظ الى جانب المعنى أي لم يطعمه الا قليل وهو تعسف (فلما جاوزوه) أي جاوزوا النهر طالوت (والذين آمنوا معه) وهم القليل الذين أطاعوه واطعوا على الغرفة وقال القرطبي هم الذين لم يذوقوا الماء أصلا (قالوا) أي الذين شربوا (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) أي بعمار بتهم ومقاومتهم فضلا عن ان يكون لنا غلبة عليهم لما شاهدوا منهم من الكثرة والشدة قال القرطبي قيل وكانوا مائة ألف رجل شاكى السلاح وأكثر المفسرين على أنهم قالوا هذا القول بعد ما عبروا النهر مع طالوت وأوجالوت وجنوده فرجعوا منهم من قالين هذه المقالة وبعض المفسرين على أن العصاة لم يعبروا النهر بل وقفوا يسألوه قالوا معتذرين عن الخلف منادين ومهينين لجالوت والمؤمنين الذين معه لا طاقة لنا اليوم الخ والجند الانصار والاعوان والجمع أجناد وجنود الواحد جندي فالباء للوحدة مثل روم ورومي (قال الذين يظنون) أي يتيقنون رداعلى المتخلفين (أنهم ملاقوا الله) أي أنهم يستشهدون بما قرب فيلقون الله صرح به القاضي كالشكاف (كم من فئة قليلة) الفئة الجماعة لا واحد من لفظه والقطعة منهم من قاوت رأسه بالسيف أي قطعه (غلبت فئة كثيرة بادن الله) أي بقضاء الله وأرادته (والله مع

(٤٢ - فتح البيان ل) كثيرة وحاصل الامر انه قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس فكان بمكة يصلي بين الركنين فتكون بين يديه الكعبة وهو مستقبل صخرة بيت المقدس فلما هاجر الى المدينة تعذر الجمع بينهم فأمره الله بالتوجه الى بيت المقدس قاله ابن عباس والجمهور ثم اختلف هؤلاء هل كان الامر به بالقرآن أو بغيره على قولين وحكي القرطبي في تفسيره عن عكرمة وأبي العالية والحسن البصري ان التوجه الى بيت المقدس كان باجتهاده عليه السلام والمقصود ان التوجه الى بيت المقدس بعدمقدمه صلى الله عليه وسلم المدينة واستمر الامر على ذلك بضعة عشر شهرا

وكان يكثر الدعاء والابتهال أن يوجه الى الكعبة التي هي قبله ابراهيم عليه السلام فأجيب الى ذلك وأمر بالتوجه الى البيت العتيق فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فأعلمهم بذلك وكان أول صلاة صلاها اليها صلاة العصر كما تقدم في الصحيحين من رواية البراء ووقع عند النسائي من رواية أبي سعيد بن المعلى انها الظهور وقال كنت أنا وصاحبي أول من صلى الى الكعبة وذ كر غير واحد من المنسرين وغيرهم ان تحويل القبلة نزل على رسول الله وقد صلى ركعتين من الظهر وروايت في مسجد بني سابة فسمى مسجد القبلتين (٣٣٠) وفي حديث نويلة بنت مسلم انهم جاءهم الخبر بذلك وهم في صلاة

الظهر قالت فتقول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال ذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر النخري وأما أهل قباء فلم يبلغهم الخبر الى صلاة الفجر من اليوم الثاني كما جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال بينما الناس بقباء في صلاة الصبح اذ جاءهم أت فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة وفي هذا دليل على أن الناس لا يلزم حكمه الا بعد العلم به وان تقدم نزوله وبالغاه لانهم لم يؤمروا باعادة العصر والمغرب والعشاء والله أعلم ولما وقع هذا حصل لبعض الناس من أهل النفاق والريب والكثرة من اليهود ارتباب وزيف عن الهدى وتخبيط وشك وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها أي قالوا ما الهؤلاء تارة يستقبلون كذا وتارة كذا فأنزل الله جوابهم في قوله قل لله المشرق والمغرب أي الحكم والتصرف والامر كله لله

الصابرين) بالنصر والعون وهذه من جملة مقولهم ويحتمل انهم امن كلام الله تعالى أخبر بها عن حال الصابرين فلا يحمل لهما من الاعراب (ولما برزوا لجالوت وجنوده) أي صاروا في البراز وهو المتسع من الارض وما انكشف منها واسموى ومنه سميت المبارقة في الحرب لظهور كل قرن الى صاحبه والمعنى ظهروا لقتالهم وتصافوا والبراز بالفتح والكسر لغة قليلة القضاة الواسع الخالي من الشجر وجالوت أمير العماليق وكان جبارا من أولاد عمليق بن عاد (قالوا) أي جميع من معه من المؤمنين (ربنا أفرغ) أي اصب (علينا صبرا) الافراغ يفيده معنى الكثرة (ونبت أقدامنا) عبارة عن كمال القوة والرسوخ وعدم الغسل والتزلزل عند المقاومة يقال نبت قدم فلان على كذا اذا استقر له ولم يزل عنه وثبت قدمه في الحرب اذا كان الغلب له والنصر معه وليس المراد تقرر رجليه في مكان واحد (وانصرا على القوم الكافرين) هم جالوت وجنوده ووضع الظاهر موضع المضمير اظهرا لما هو العلة الموجبة للنصرة عليهم وهي كفرهم وذكر النصر بعد سؤال تثبيت الاقدام ليكون الثاني هو غاية الاول (فهزموهم باذن الله) الهزم الكسر ومنه سقاء منهزم أي انثنى بعضه على بعض مع الخفاف ومنه ما قيل في زحزم انهم ازمته جبريل أي خزمها برجله فخرج الماء والهزم ما يكسر من يابس الخطب وتثدير الكلام فانزل الله عليهم النصر فهزموهم بأمر الله وارادته (وقتل داود جالوت) هو داود بن ايشاو يقال داود بن زكريان بشوى من سبط يهوذا بن يعقوب جمع الله له بين النبوة والملك بعبدان كان راعيا وكان أصغر اخوته اختاره طالوت لمقابله جالوت فقتله وكان يومئذ صغيرا لم يبلغ الحلم سقيما أصفر اللون يرى الغنم فهذه الوقعة قبل نبوته وان أباه كان من جد له جديش طالوت وعن مجاهد وغيره قال كان طالوت أميرا على الجيش فبعث أبو داود مع داود بشى الى اخوته فقال داود لطالوت ماذا لي وأقبل جالوت فقال لك ثلث ملكي وأكملك انتي فأخذ مجلدة فجعل فيها ثلاث مروا ثم سمي ابراهيم واسحق ويعقوب ثم أدخل يده فقال بسم الله الهى واله أبائى ابراهيم واسحق ويعقوب فخرج على ابراهيم فجعل يده في حرجته فرمى بها جالوت فخرق ثلاثة وثلاثين يضة عن رأسه وقتل ما وراءه ثلاثين رجلا فأخذ داود جالوت حتى ألقاه بين يدي طالوت ففرح بنو اسرائيل فزوجه ابنته وأعطاه نصف الملك فكثرت معه كذلك أربعين سنة فقات طالوت واستقل داود بالملك سبع سنين ثم انتقل الى رحمة الله تعالى

وحيثما تولوا فم وجه الله وليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله أي في شأن كله في امتثال أو امر الله فحيثما وجهتم أو وجهتم فالتوا عا في امتثال امره ولولو وجهتم في كل يوم من ان الى جهات متعددة ففحن عبيده وفي تصرفه وخدا حثما وجهتم أو وجهتم وهو تعالى له بعبدته ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه وأتمته عناية عظيمة اذ هداهم الى قبلته ابراهيم خليل الرحمن وجعل توجيههم الى الكعبة الميمنية على اسمه تعالى وحده لا شريك له أشرف بيوت الله في الارض اذ هي بناء ابراهيم الخليل عليه السلام ولهذا قال قل لله المشرق والمغرب ثم يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

وقد روى الامام أحمد عن علي بن عاصم عن حمزة بن عبد الرحمن عن عمرو بن قيس عن محمد بن الاشعث عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني في أهل الكتاب أنهم لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التي هداها الله لينا وضلوا عنها وعلى القبلة التي هداها الله لينا وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الامام امين وقوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا تكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يقول تعالى انما احولناكم الى قبلة ابراهيم عليه السلام واختارنا لكم لتجعلكم خيام الامم لتكونوا يوم القيامة شهداء على الامم لان الجميع معترفون لكم (٣٣١) بالفضل والوسط ههنا الخمار والا حور كما

يقال قريشي أو وسط العرب نسبة ودار أي خيرها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطا في قومه أي أشرفهم نسبا ومنه الصلاة

الوسطى التي هي أفضل الصلوات

وهي العصر كما ثبت في الصحيح

وغيرها ولما جعل الله هذه الامة

وسطا خصها بأكمل الشرائع

وأقوم المناهج وأوضح المذاهب كما

قال تعالى هو اجتباكم وما جعل

عليكم في الدين من حرج مله أي بكم

ابراهيم هو سبهاكم المسلمين من قبل

وفي هذا يكون الرسول شهيدا

عليكم وتكونوا شهداء على الناس

وقال الامام أحمد حدثنا وكيع

عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي

سعيد قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم يدعى نوح يوم القيامة

فيقال له هل بلغت فيقول نعم

فيدعى قومه فيقال لهم هل

بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير

وما أتانا من أحد فيقال لنوح من

يشهد لك فيقول محمد وأتمته

قال في ذلك قوله وكذلك

جعلناكم أمة وسطا قال والوسط

العدل قد عدون فتشهدون له

وقال الامام أحمد أيضا حدثنا

أبو معاوية حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيء النبي يوم القيامة

بمع الرجلان وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم هذا فيقولون لا فيقال له هل بلغت قوما فيقول نعم فيقال من

شهد لك فيقول محمد وأتمته فيدعى محمد وأتمته فيقال لهم هل بلغ هذا قومه فيقولون نعم فيقال وما علمكم فيقولون جاءنا نبينا

أخبرنا ان الرسل قد بانوا فذلك قوله عز وجل وكذلك جعلناكم أمة وسطا قال عدلا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول

فبجان من لا ينقضى ملكه وقد ذكر المفسرون أقاصيص كثيرة من هذا الجنس قاله أعلم (وأتاه الله) أي داود (الملك) الكامل سبع سنين بعد موت طالوت (والحكمة) والمراد بالحكمة هنا النبوة وقيل هي تعليمه صنعة الدروع من الحديد وكان يلين في يده وينسجه كنسج الغزل ومنطق الطير والالخان أي فهم أصواته وكذا البهائم وقيل هي اعطاؤه السلسلة التي كانوا يتحاكون اليها (وعلمه بما يشاء) قيل ان المضارع هنا موضوع موضع الماضي وفاعل ذلك هو الله تعالى وقيل داود وظاهر هذا التركيب ان الله سبحانه علمه بما قضت به مشيئته وتعلقت به ارادته وقد قيل ان من ذلك ما قدمناه من تعليمه صنعة الدروع وما بعده قيل كان ملك طالوت الى ان قتل مدة أربعين سنة فألقى بنو اسرائيل الى داود ذلك كوه عليهم وأعطوه خزانة طالوت قال الكلبي والفتح ملك داود بعد قتل طالوت نحو سبع سنين ولم يجمع بنو اسرائيل على ملك واحد الا على داود فجمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يكن كذلك من قبل ولم يجمعه الا احده بل كانت النبوة في سبط و الملك في سبط ثم جمع الله له ذلك ولا يسهل سليمان بين الملك والنبوة (ولو لدفع الله الناس بعضهم ببعض) قرئ الدفع والدفاع وهو ما صدر ان يدفع كذا وعلى القرأتين فالصدر مضاف الى الفاعل أي ولو لدفع الله الناس وبعضهم بدل من الناس وهم الذين يباشرون أسباب الشر والفساد ببعض آخر منهم وهم أهل الايمان الذين يكفونهم عن ذلك ويردونهم عنه (فسدت الارض) لتغلب أهل الفساد عليهم واحداثهم الشرور التي تم لك الحارث والنسل قال ابن عباس يدفع الله عن يصى عن لا يصى وعن يصى عن لا يصى وعن يصى عن لا يصى وأخرج ابن عدي وابن جرير بسند ضعيف عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله سيدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ابن عمر ولو لدفع الله الناس الآية وفي اسناده يحيى بن سعيد العطار وهو ضعيف جدا ورواه أحمد أيضا (ولكن الله ذو فضل) التذكير للتعظيم (على العالمين) أي عم فضل الناس كلهم (تلك آيات الله) هي ما شملت عليه هذه القصة من الامور المذكورة (تتلوها عليكم بالحق) والمراد بالحق هنا الخبر الصحيح الذي لا ريب فيه عند أهل الكتاب والمطلعين على أخبار العالم (وانك لمن المرسلين) اخبار من الله سبحانه بانهم من جله رسل الله سبحانه تقوية لقلوبه وتثبيتا لجنانه وتشديد الامر به وان الذي يخبر به

بالبلغ ثم أشهد عليكم رواه البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن الاعمش وقال الامام أحمد أيضا حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيء النبي يوم القيامة بمع الرجلان وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم هذا فيقولون لا فيقال له هل بلغت قوما فيقول نعم فيقال من شهد لك فيقول محمد وأتمته فيدعى محمد وأتمته فيقال لهم هل بلغ هذا قومه فيقولون نعم فيقال وما علمكم فيقولون جاءنا نبينا أخبرنا ان الرسل قد بانوا فذلك قوله عز وجل وكذلك جعلناكم أمة وسطا قال عدلا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول

عليكم شهيدا وقال أحدنا أيضا حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي معبد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا قال عدلا روى الخفاف أبو بكر بن مردويه وابن أبي حاتم من حديث عبد الواحد بن زياد عن أبي مالك الأشجعي عن المغيرة بن عتبة بن نبال (١) حدثني مكتب لنا عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا وأمتي يوم القيامة على كور مشرقين على أنثلاثي مائة من الناس أحد الأودائة وأنا وما من نبي كذب قومه إلا وفضن شهدا أنه قد بلغ رسالة ربه عز وجل وروى الخفاف في مسنده كذا ابن (٣٣٢) مردويه أيضا واللفظ له من حديث مصعب بن ثابت عن محمد بن كعب

القرظي عن جابر بن عبد الله قال شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة في بني مسلمة وكنت إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم والله يا رسول الله لو كان المرء كان لقد كان عفة مسلما لو كان وأشوا عليه خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت بما تقول فقال الرجل الله أعلم بالسرا أرفأما الذي بد النامنه فذاك فقال النبي صلى الله عليه وسلم وجبت ثم شهد جنازة في بني حارثة وكنت إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم يا رسول الله بمس المرأة ان كان لفظا غلطا فأنشوا عليه شرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعضهم أنت بالذي تقول فقال الرجل الله أعلم بالسرا أرفأما الذي بد النامنه فذاك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت قال مصعب بن ثابت فقال لنا عند ذلك محمد بن كعب صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قرأ وكذلك جعلناكم أمة وسطا تكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ثم

من الاخبار العجيبة والقصص القديمة وحى من الله من غير أن يعرفها بشراء كتب ولا استماع أخبار فدل ذلك على رسالتك (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) قيل هو إشارة إلى جميع الرسل فيكون الآلاف والالام للاستغراق وقيل هو إشارة إلى الانبياء المذكورين في هذه السورة وقيل إلى الانبياء الذي بلغ عليهم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد تفضيل بعضهم على بعض أن الله سبحانه جعل لبعضهم من الرسل أيا الكمال فوق ما جعله لآخر فكان الأكثر من أيا فاضلا ولا آخر مفضولا وكادت هذه الآية على أن بعض الانبياء أفضل من بعض كذلك دلت الآية الأخرى عليه وهي قوله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتيناهم دوزورا عن قتادة قال اتخذ الله إبراهيم خلیلا ولاكم الله موسى تكليما وجعل عيسى كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وهو عبد الله وكلمته وروحه وآتى داود زورا وآتى سليمان ملكا عظيما لا ينبغي لاحد من بعده وغفر لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال الخازن وأجعت الأمة على أن نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الانبياء لعموم رسالته وهو قوله وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقد استشكل جماعة من أهل العلم الجمع بين هذه الآية وبين ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن عمر بن الخطاب قال لا تفضلوني على الانبياء وفي لفظ آخر لا تفضلوا بين الانبياء وفي لفظ لا تختاروا بين الانبياء فقال قوم ان هذا القول منه صلى الله عليه وآله وسلم كان قبل ان يوحى اليه بالتفضيل وان القرآن ناسخ للمنع من التفضيل وقيل انه قال صلى الله عليه وآله وسلم ذلك على سبيل التواضع كما قال لا يقل أحدكم أنا خير من نونس بن مولى نواضع علم انه أفضل الانبياء كما يدل عليه قوله أنا سيد ولد آدم وقيل انما نهي عن ذلك قطعا للجدال والخلاف في الانبياء فيكون مخصوصا بمثل ذلك اذا كان صوابه وذلك ما مونا وقيل ان النهي انما هو من جهة النبوة فقط لانها خصلة واحدة لا تفاضل فيها ولانهى عن التفاضل بزيادة الخصوصيات والكرامات وقيل ان المراد النهي عن التفضيل بمجرد الاهواء والعصية وفي جميع هذه الاقوال ضعف وعندى انه لا تعارض بين القرآن والسنة فان القرآن دل على ان الله فضل بعض أنبيائه على بعض وذلك لا يستلزم انه يجوز لنا أن نفضل بعضهم على بعض فان المزايا التي هي مناط التفضيل معلومة عند الله تعالى لا ينبغي على الله منها حافية وليست

قال الخافكم هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقال الامام أحمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا داود بن أبي جعفر عن الفرات عن عبد الله بن يزيد عن أبي الاسود انه قال آتيت المدينة فوافقتهم وأوقفهم فوقع بها مرض فؤهم يموتون موتا ذريعا فجلت إلى عمر بن الخطاب فثرت به جنازة فأتيت على صاحبها خيرا فقال وجبت ثم مرر بأخري فأتيت عليها فقلت وجبت فقال أبو الاسود ما وجبت يا أمير المؤمنين قال قلت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما مسلم شهد له أربعة بخيرا أدخله الله الجنة قال فقال وثلاثة قال فقال وثلاثة قال واثنتان قال واثنتان ثم لم نسأله عن الواحد وكذا روى البخاري والترمذي والنسائي من (١) قوله نبال في نسخة فنبال بالفاء والهاء وحرر اه

حدث داود بن أبي الفرات به وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن عثمان بن يحيى حدثنا أبو قلابة الرقاشي حدثني أبو الوليد حدثنا نافع بن عمر حدثني أمية بن صفوان عن أبي بكر بن أبي زهير الثقفي عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنابذة يقول يوشك أن تعلموا أخباركم من شراركم قالوا يا رسول الله قال بالثناء الحسن والثناء السيئ أنتم شهداء الله في الأرض ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هرون ورواه الامام أحمد عن يزيد بن هرون وعبد الملك بن عمر وشريح عن نافع عن ابن عمر به وقوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت (٣٣٣) عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن

يعلمونه عند البشر فقد يجعل أتباع نبي من الانبياء بعض من اياه وخصوصا به فضلا عن من ايا غيره والتفضيل لا يجوز الا بعد العلم بجميع الاسباب التي يكون بها اخذافا ضلوا وهذا مفضول لا قبل العلم ببعضها أو باكثرها أو باقلها فان ذلك تفضيل بالجهل واقدام على أمر لا يعلمه الفاعل له وهو ممنوع منه فلو فرضنا أنه لم يرد الا القرآن بالاخبار لنا بان الله فضل بعض أنبيائه على بعض لم يكن فيه دليل على انه يجوز للبشر أن يفضلوا بين الانبياء فكيف وقد وردت السنة الصحيحة بالنهي عن ذلك واذا عرفت هذا علمت انه لا تعارض بين القرآن والسنة بوجه من الوجوه فالقرآن فيه الاخبار من الله بانه فضل بعض أنبيائه على بعض والسنة فيها النهي لعباده ان يفضلوا بين أنبيائه فمن تعرض للجمع بينهما ما زاعما انهما متعارضان فقد غلط غلطا بينا (منهم) تفصيل للتفضيل المذكور ارجالا (من كلم الله) أي بغير واسطة وهو موسى كله في الطور ونبينا سلام الله عليهما كقوله الاسراء وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال في آدم انه نبي مكمل وقد ثبت ما يفيد ذلك في صحيح ابن حبان من حديث أبي ذر والائتفات حيث لم يقل كلمة التبرية الملهابة بهم هذا الاسم الشريف والرمز الى ما بين التكميل ورفع الدرجات من التفاوت (ورفع بعضهم درجات) هذا البعض يحتمل ان يراد به من عظمت منزلته عند الله سبحانه من الانبياء ويحتمل ان يراد به نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لكثرة خصاله المقتضية لتفضيله ويحتمل ان يراد به ادريس لان الله سبحانه أخبرنا بأنه رفعه مكانا عليا وقيل انهم أولو العزم وقيل ابراهيم ولا يخفى ان الله سبحانه أجبه هذا البعض المرفوع فلا يجوز لنا التعرض للبيان له الا ببرهان من الله سبحانه او من نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ولم يرد ما يرشد الى ذلك فالتعرض لبياناه هو من تفسير القرآن الكريم بحض الرأي وقد عرفت ما فيه من الوعيد الشديد مع كون ذلك ذريعة الى التفضيل بين الانبياء وقد نهينا عنه وقد جزم كثير من أئمة التفسير انه نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وأطالوا في ذلك واستدلوا بما خصه الله به من المعجزات وخزائيا الكمال وخصال التفضل وهم بهذا الجزم بدليل لا يدل على المطلوب قد وقعوا في خطرين وارتهكوا بهما نهيين وهما تفسير القرآن بالرأي والدخول في ذرائع التفضيل بين الانبياء وان لم يكن ذلك تفضيلا صريحا فهو ذريعة اليه بلاشك ولا شبهة لان من جزم بأن هذا البعض المرفوع درجات هو النبي القلاني انتقل من ذلك الى

ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الاعلى الذين هدى الله يقول تعالى انما شرعنا لك يا محمد التوحيد ولا الى بيت المقدس ثم صرفناك عنها الى الكعبة ليظهر حال من يتبعك ويطيعك ويستقبل معك حيثما توجهت ممن ينقلب على عقبيه أي مرتد عن دينه وان كانت لكبيرة أي هذه الفعلة وهو صرف التوجه عن بيت المقدس الى الكعبة أي وان كان هذا الامر عظيما في النفوس الاعلى الذين هدى الله قلوبهم وأيقنوا بصديق الرسول وان كل ما جاء به فهو الحق الذي لا هزيمة فيه وان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فله أن يكلف عباده بما شاء وينسخ ما يشاء وله الحكمة التامة والحق البالغة في جميع ذلك بخلاف الذين في قلوبهم مرض فان كلما حدث أمر أحدث لهم شكوكا كما يحصل للذين آمنوا ايقان وتصديق كما قال تعالى واذا ما أنزلت سورة فنفهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يتبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وقال تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عى وقال تعالى ونزل من القرآن ما هو شفاء ورجة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولهذا كان من ثبت على تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه في ذلك وتوجه حيث أمره الله من غير شك ولا ريب من سادات الصحابة وقد ذهب بعضهم الى ان السابقين الاولين من المهاجرين والانصار هم الذين صلوا القبلتين وقال البخاري في تفسير هذه الآية حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفيان عن عبد الله بن ديار عن ابن عمر قال بينا الناس يصليون الصبح في مسجد قباء اذا جاء رجل فقال قد أنزل على النبي صلى

عن سفيان عن عبد الله بن ديار عن ابن عمر قال بينا الناس يصليون الصبح في مسجد قباء اذا جاء رجل فقال قد أنزل على النبي صلى

الله عليه وسلم قرآن وقد امر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها فوجهوا إلى الكعبة وقدروا مسلم من وجه آخر عن ابن عمر ورواه الترمذي من حديث سفيان الثوري وعنده أنهم كانوا ركوعاً فاستداروا كما هم إلى الكعبة وهم ركوع وكداروا مسلم من حديث جاد بن سلمة عن ثابت عن أنس مثله وهذا يدل على كمال طاعتهم لله ولرسوله واتقيادهم لاواصر الله عز وجل رضى الله عنهم أجمعين وقوله وما كان الله ليضيق إيمانكم أي صلاتكم إلى بيت المقدس قبل ذلك ما كان يضيغ ثوبهم عند الله وفي الصحيح من حديث أبي إسحق السبيعي عن (٣٣٤) البراء قال مات قوم كانوا يصلون نحو بيت المقدس فقال الناس ما حالهم

في ذلك فأمر الله تعالى وما كان الله ليضيق إيمانكم ورواه الترمذي عن ابن عباس وصححه وقال ابن إسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس وما كان الله ليضيق إيمانكم أي بالقبلة الأولى وتصديقكم ببيكم واتباعه إلى القبلة الأخرى أي ليعطيكم أجرهما جميعاً إن الله بالناس لرؤف رحيم وقال الحسن البصري وما كان الله ليضيق إيمانكم أي ما كان الله ليضيق محمد صلى الله عليه وسلم وانصرفكم معه حيث انصرف إن الله بالناس لرؤف رحيم وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أصرأه من لسبي قد فرق بينهما وبين ولدها فجعلت كلياً وجدت صبيها من السبي أخذته فألصقته بصدرها وحى تدور على ولدها فلما وجدته ضمه إليها وألصقته ثديها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه طارحة ولدها في النار وحى تقدر على أن لا تطرحه قالوا لا يا رسول الله قال فوالله لله أرحم

التفصيل المنهي عنه وقد أغنى الله نبينا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك بما لا يحتاج معه إلى غيره من النضائل والفواضل فأياك أن تقرب إليه صلى الله عليه وآله وسلم بالدخول في أبوابهم إلا عن دخوليها فتعصيه وتسي وأنت تظن أنك مطيع محسن (وأيتنا عيسى بن مريم البينات) أي الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة من أحياء الأموات بإبراء المرضى من الأكمة والابرس وغير ذلك (وأيدناه) أي قويناه (بروح القدس) وجبريل وكان يسير معه حيث سار إلى أن رفعه الله إلى عنان السماء السابعة وقد تقدم الكلام على هذا (ولو شاء الله ما اقتل) أي ما اختلف فأطلق الاقتال وأراد سببه وهو الاختلاف (الذين من بعدهم) أي من بعد الرسل وقيل من بعد موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام لأن الثاني مذكور صريحاً والاول والثالث وقعت الإشارة إليهم ما يقولونه منهم من كأم الله أي لو شاء الله عدم اقتالهم ما اقتتلوا فنعول المشبهة محذوف على القاعدة وقيل أن لا يؤمروا بالقتال وقيل أن يصيرهم إلى الإيمان وكأها متقاربة (من بعد ما جاءتهم البينات) أي الدلالات الواضحات من الله بما فيه من دجر لمن شذاه الله تعالى ووفقه (ولكن اختلفوا) استثناء من الجملة الشرطية أي ولكن الاقتال ناشئ عن اختلافهم اختلافاً كثيراً حتى صاروا أملاً مختلفاً والمعنى لو شاء الله الاتفاق لاتفقوا ولكن شاء الاختلاف فاختلوا وفيه إشارة إلى قياس استثنائى (فهم من آمن ومنهم من كفر) أي ثبت على إيمانه أو تعدد الكفر بعد قيام الحجة كالتصاري بعد المسيح (ولو شاء الله) عدم اقتالهم بعد هذا الاختلاف (ما اقتتلوا) نأ كيد (ولكن الله يفعل ما يريد) من توفيق من شاء وخذلان من شاء لا أراد حكمه ولا مبدل لقضائه فهو يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض عليه في ملكه وفعله وسأل رجل علياً عن القدر فقال طربق مظلماً فلا تسلكه فأعاد السؤال فقال بجر عتيق فلا تلج فيه فأعاد السؤال فقال سر الله قد خفي عليكم فلا تفتشه (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم) ظاهر الآية الواجب وقدره جماعة على صدقة النظر لذلك ولما في آخر الآية من الوعيد الشديد وقيل إن هذه الآية تجمع زكاة الفرض والتطوع قال ابن عطية وهذا صحيح ولكن ما تقدم من الآيات في ذكر القتال وإن الله يدفع المؤمنين في صدور الكافرين يترج منه أن هذا التذنب انما هو في سبيل الله قال القرطبي وعلى هذا التأويل يكون اتفاق المال مرة وأجبا

بعداده من هذه ولدها (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنريك قبله) ترشداً قول وجعل شطر المسجد ورمرة الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كان أول ما نسخ من القرآن القبلة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود فأمروا أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعه عشر شهراً وكان يحب قبله إبراهيم فكان يدعو إلى الله ينظر إلى السماء فأمر أن ينزل الله قدرى قلب وجعل في السماء إلى قوله فولوا وجوهكم

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يحول نحو الكعبة فترت قد نرى تقلب وجهك في السماء فصرف الى الكعبة وروى النسائي عن أبي سعيد بن المعلى قال كان نعدو الى المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصلي فيه فقرأنا يا مؤمنون رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد على المنبر فقلت لقد حدثت أمر فقلت فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها حتى فرغ من الآية فقلت لصاحبي تعال نركع ركعتين قبل ان ينزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنكون أول من صلى فتواري بنا فصليناها (٣٣٦) ثم نزل النبي صلى الله عليه وسلم وصلى للناس الظهر يومئذ

وكذا روى ابن مردويه عن ابن عمر ان أول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة صلاة الظهر وانها الصلاة الوسطى والمشهور ان أول صلاة صلاها الى الكعبة صلاة العصر ولهذا تأخر الخبر عن أهل قباء الى صلاة الفجر وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا الحسين بن اسحق التستري حدثنا رجاء بن محمد السقطي حدثنا اسحق بن ادريس حدثنا ابراهيم بن جعفر حدثني أبي عن جدته أم أبيه فويلة بنت مسلم قالت صلينا الظهر أو العصر في مسجد بني حارثة فاستقبلنا مسجدا يلياء فصلينا ركعتين ثم جاء من يحدثنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استقبل البيت الحرام فتحول النساء فكان الرجال والرجال مكان النساء فصلينا المسجدتين الباقيتين ونحن مستقبلون البيت الحرام فحدثني رجل من بني حارثة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أولئك رجال يؤمنون بالغيب وقال ابن مردويه أيضا حدثنا

الوجود فهو على حد لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها قال الرازي في تفسيره ان السنة ما يتقدم النوم فاذا كانت عبارة عن مقدمة النوم فاذا قيل لا تأخذ سنة دل على انه لا يأخذ نوم بطريق الاولى فكان ذلك النوم تكرار اقلنا تقدير الآية لا تأخذ سنة فضلا عن ان يأخذ نوم والله أعلم بمراده انتهى وأقول أن هذه الاولوية التي ذكرها غير مسلمة فان النوم قد يرد ابتداء من دون ما ذكر من النعاس واذا ورد على القلب والعين دفعة واحدة فانه يقال للنوم ولا يقال له سنة فلا يستلزم نفي السنة في النوم وقد ورد عن العرب نفهم جميعا وأيضا فان الانسان يقدر على ان يدفع عن نفسه السنة ولا يقدر على ان يدفع عن نفسه النوم فقد يأخذ النوم ولا تأخذ السنة فلورفع الاقتصار في النظم القرآني على نفي السنة لم يفد ذلك نفي النوم وهكذا الرفع على نفي النوم لم يفد نفي السنة فكهم من ذي سنة غير نائم وكرر حرف النفي للتخصيص على شمول النفي لكل واحد منهما فالسنة النوم الخفيف والنوم هو الثقيل المزيل للعقل والقوة والوسواس بين الناس والمقطان والجملة تنفي للتشبيه بينه تعالى وبين خلقه والله منزعه عن النقص والاقاب وان ذلك تغير وهو مقدس عن التغير وعن أبي موسى الاشعري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطيبا بخمس كلمات فقال ان الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له ان ينام الحديث رواه مسلم (له ما في السموات وما في الارض) يعني انه تعالى مالك جميع ذلك بغير شريك ولا منازع وهو خالقهم وهم عبيده وخلقهم وهم في ملكه وأجرى الغالب مجرى الكل فعبر عنه بلفظ مادون من وفيه رد على المشركين العابدین لبعض الكواكب التي في السماء والاصنام التي في الارض يعني فلا تصلح أن تعبد لانهم مملوك مخلوق له والادام للتقوى والالتزام بالعبادة (من ذا الذي يشفع عنده الا بذنه) في هذا الاستفهام من الانكار على من يزعم ان أحدا من عباد الله يقدر على ان ينفع أحدا منهم بشفاعته أو غيرها والتقريع والتوبيخ له ما لا يريد عليه وفيه من الدفع في صدور عباد القبور والصلوات في وجوههم والفت في أعضادهم ما لا يقدر قدره ولا يبلغ مداه والذي يستفاد منه فوق ما يستفاد من قوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقوله تعالى ومن ملك في السموات لا تغنى شفعاتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله ان يشاء ويرضى وقوله تعالى لا يستكبرون الا من أذن له الرحمن بدرجات كثيرة وقد ثبت الاحاديث الصحيحة الثابتة في دواوين

محمد بن علي بن دحيم حدثنا حازم حدثنا مالك بن اسمعيل النهدي حدثنا قيس عن زياد بن علاقة الاسلام عن عمارة بن أوس قال بينما نحن في الصلاة نحو بيت المقدس ونحن ركوع اذ نادى ناديا بالباب ان القبلة قد حوت الى الكعبة قال فاشهد على امامنا انه انحرف فتحول هو والرجال والصبيان وهم ركوع نحو الكعبة وقوله وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره أمر تعالى باستقبال الكعبة من جميع جهات الارض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ولا يستثنى من هذا شيء سوى المنافلة في حال السفر فانه يصلها حيثما توجه قاليه وقلبه نحو الكعبة وكذا في حال المسايفة في القتال يصل على كل حال وكذا من جهل

جهة القبلة يصلي باجتهاده وان كان مخطئاً في نفس الامر لان الله تعالى لا يكلف نفساً الا وسعها (مسئلة) وقد استدلل المالكية بهذه الآية على ان المصلي ينظر امامه لا الى موضع سجوده كما ذهب اليه الشافعي وأحمد وأبو حنيفة قال المالكية بقوله قول وجهك شطر المسجد الحرام فلو نظر الى موضع سجوده لاحتاج أن يتكلف ذلك بنوع من الانحناء وهو يناق كمال القيام وقال بعضهم ينظر المصلي في قيامه الى صدره وقال شريك القاضي ينظر في حال قيامه الى موضع سجوده كما قال جنهور الجساعة لانه ابلغ في الخضوع واكد في الخشوع وقد ورد به الحديث وأما في حل ركوعه فعلى (٢٣٧) موضع قدميه وفي حال سجوده الى موضع

الاسلام صفة الشفاعة وان هي ومن يقوم بها بالاذن (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) الضمير ان لما في السموات والارض بتغليب العقلاء على غيرهم وما بين أيديهم وما خلفهم عبارة عن المتقدم عليهم والمتأخر عنهم وعن الدنيا والآخرة وما فيها وما قال مجاهد ما مضى من الدنيا وما خلفهم من الآخرة وعن ابن عباس ما قدموا من أعمالهم وما أضعوا من أعمالهم والمقصود انه عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شيء من أحوال جميع خلقه حتى يعلم ديب الخلة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء تحت الارض الغبراء وحركة الذرة في جوف السماء والطير في الهواء والسماك في الماء وفيه رد على من ينفي عنه سبحانه علم الجزئيات كالفلاسطة وهي أي صفة العلم له سبحانه امام أئمة الصفات فلا يخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء (ولا يحيطون بشيء من علمه) قد تقدم معنى الاحاطة والعلم هنا بمعنى المعلومات أي لا يحيطون بشيء من معلوماته (الابشاش) ان يطالعهم عليه بأخبار الانبياء والرسل ليكون دليلاً على نبوتهم وليس ذلك اليهم بل اليه (وسع كرسيه) يقال فلان يسع الشيء سعة اذا احاطه وأمكنه القيام به وأصل الكرسي في اللغة مأخوذ من تركيب الشيء بعضه على بعض ومنه الكراسة لتركب بعض أوراقها على بعض وفي العرف ما يجلس عليه والكرسي هنا الظاهر انه الجسم الذي وردت الآثار بصقته كما سيأتي بيان ذلك وقد نفي وجوده جماعة من المعتزلة وأخطوا في ذلك خطأ بينا وغلطوا غلطا فاحشا وقال بعض السلف ان الكرسي هنا عبارة عن العلم قالوا ومنه قيل للعلماء كراسي ومنه الكراسة التي يجمع فيها العلم ورجح هذا القول ابن جرير الطبري وفي القاموس الكرسي بالضم والكسر السرير والعلم والجمع كراسي وقيل كرسية قدرته التي يسكن بها السموات والارض كما يقال اجعل لهذا الخائن كرسياً أي ما يعمده وقيل ان الكرسي هو العرش وقيل هو تصور عرفانته ولا حقيقة له قال التفتازاني انه من باب اطلاق المركب الحسى المتوهم على المعنى العقلي الخلق وقال البيضاوي لا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وهو تمثيل مجرد وقيل هو عبارة عن الملك والسلطان مأخوذ من كرسى العالم والملك والحق القول الاول ولا وجه للعدول عن المعنى الحقيقي إلا مجرد خيالات تسببت عن جهالات وضلالات جاءت عن الفلاسفة أقامهم الله تعالى والمراد بكونه وسع (السموات والارض) انها صارت فيه وأنه وسعها ولم يضق عن الكونه بسيطاً واسعاً وأخرج الدارقطني في الصفات

الانفد وفي حال قعوده الى جرد وقوله وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم أي واليهود الذين أنكروا استقبالكم الكعبة وانصروا فكم عن بيت المقدس يعلمون ان الله تعالى سيوجهكم اليها بما في كتبهم عن انبيائهم من النبوة والصفوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتمه وما خصه الله تعالى به وشرفه من الشريعة الكاملة العظيمة ولكن أهل الكتاب يكاثرون ذلك بينهم حسدا وكفرا وعناداً ولهذا تهددهم تعالى بقوله وما الله بغافل عما تعملون (ولئن آتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما آتيت بتابع قبلتهم وما تبعهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذ المن الظالمين) يخبر تعالى عن كفر اليهود وعنادهم ومخالفتهم ما يعرفونه من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لو أقام عليهم كل دليل على صحة ما جاءهم به لما تبعوه وتركوا أهواءهم كما قال تعالى ان الذين حققت عليهم كلمة ربك

(٤٣ - فتح البيان ل) لا يؤمنون ولوجاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم ولهذا قال ههنا ولئن آتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وقوله وما آتيت بتابع قبلتهم أخبار عن شدة متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم لما أمره الله تعالى به وانه كما هم مستكبرون بالرأى وأهوائهم فهو أيضاً مستمسك بأمر الله وطاعته واتباع مرضاته وانه لا يتبع أهواءهم في جميع أحواله ولا كونه متوجها الى بيت المقدس لكونه قبله اليهود وانما ذلك عن أمر الله تعالى ثم حذر تعالى عن مخالفة الحق الذي يعلمه العالم الى الهوى فان العالم الحق عليه أقوم من غيره ولهذا قال مخاطباً للرسول والمراد به الامه ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم

انك اذا المني الثالمن) الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممتريين) يخبر تعالى ان علماء أهل الكتاب يعرفون صحة ما جاءهم به الرسول صلى الله عليه وسلم كما يعرف أحدكم ولده والعرب كانت تضرب المثل في صحة الشيء بهذا كما جاء في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل معه صغير ابنة هذا قال نعم يا رسول الله أشهد به قال أما انه لا يخفى عليك ولا تخفى عليه قال القرطبي وروى عن عمرانه قال لعبد الله بن سلام أتعرف محمدا كما تعرف ولدك قال نعم وأكثر (٢٣٨) نزل الامين من السماء على الامين في الارض بنعت فعرقت به واني

لا ادري ما كان من أمه قلت وقد يكون المراد يعرفونه كما يعرفون أبناءهم من بين أبناء الناس لا يشك أحد ولا يمتري في معرفة ابنه اذا رآه من أبناء الناس كلهم ثم أخبر تعالى انهم مع هذا التحقق والاتقان العلي ليكتمون الحق أى ليكتمون الناس ما في كتبهم من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون ثم ثبت تعالى نبه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وأخبرهم بأن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم هو الحق الذي لا مزية فيه ولا شك فقال الحق من ربك فلا تكونن من الممتريين (ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير) قال العوفي عن ابن عباس ولكل وجهة هو موليها يعنى بذلك أهل الأديان يقول لكل قبيلة قبله يرضونها ووجهة الله حيث توجهه المؤمنون وقال أبو العالية لليهودى وجهته هو موليها وللنصراني وجهته هو موليها وهذا كم أنتم أيها الأمة الى القبلة التي هي القبلة وروى عن مجاهد

والخطيب في تاريخه عن ابن عباس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قول الله وسع كرسيه قال كرسية موضع قدمه والعرش لا يقدر قدره الا الله عز وجل وأخرجه الحاكم وصححه وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه والبيهقي عن أبي ذر الغفاري انه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الكرسي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفسي بيده ما السموات السبع عند الكرسي الا خلقته لملاقة في أرض فلاوة وان فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحاقة وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعا انه موضع القدمين وفي سنده الحكم بن ظهير النزارى الكوفي وهو متروك وقد ورد عن جماعة من السلف من الصحابة وغيرهم في وصف الكرسي آثار لا حاجة في بسطها (ولا يؤده حنظها) معناه لا ينقله ولا يبجده ولا يشق عليه حفظ السموات والارض يقال آدنى بمعنى أثقلني وتحملت منه مشقة وقال الزجاج يحتمل أن يكون الضمير في قوله يؤده لله سبحانه ويجوز أن يكون للكرسي لانه من أمر الله (وهو العلي العظيم) العلي يراد به علو القدر والمنزلة أى الرفيع فوق خلقه ليس فوقه شيء وقيل العلي بالملك والسلطنة والقهر فلا أعلى منه أحد وقيل علامن ان يحيط به وصف الواصفين ذوالعظمة والجلال الذي كل في عظمتيه وحكي الطبري عن بعضهم انهم قالوا ذو العلي عن خلقه بارتناف مكانه عن أما كن خلقه قال ابن عطية وهذا قول جهلة مجسمين وكان الواجب أن لا يحكى انتهى والخلاف في اثبات الجهة معروف في السلف والخلف والنزاع فيه كائن بينهم والادلة من الكتاب والسنة طافحة بها ولكن الناشئ على مذهب يرى غيره خارجا عن الشرع ولا ينظر في أدلته ولا يلتفت اليها والكتاب والسنة هما المعيار الذي يعرف به الحق من الباطل وتبين به الصحيح من الفاسد ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض وفلاشك ان هذا اللفظ يطلق على القاهرة الغالب أيضا كافي قوله ان فرعون علا في الارض والعظيم بمعنى عظيم شأنه وخطره قال في الكشف ان الجلة الاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية بيان لكونه مالكا لما يدبره والجلة الثالثة بيان لكبرياء شأنه والجلة الرابعة بيان لاحاطته بأحوال الخلق وعلمه بالمرضى منهم المستوجب للشفاة وغير المرتضى والجلة الخامسة بيان لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها وأجلاله وعظم قدره انتهى وبالجلة فهذه الآية قد اشملت

وعطاء والضحاك والربيع بن أنس والسدي نحو هذا وقال مجاهد في الرواية الاخرى والحسن أمر كل قوم يصولون الى على الكعبة وقرأ ابن عباس وأبو جعفر الباقر وابن عاصم ولكل وجهة هو مولاها وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا وقال ههنا أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير أى هو قادر على جمعكم من الارض وان تفرقت أجيادكم وأبدانكم (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام

وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منكم فلا تخشوهم واخشوني ولا تسمعوا
عليكم ولعلكم تهتدون) هذا امر ثالث من الله تعالى باستقبال المسجد الحرام من جميع أقطار الارض وقد اختلفوا في حكمه
هذا التكرار ثلاث مرات فقل تأكيده لانه أول ناسخ وقع في الاسلام على ما نص عليه ابن عباس وغيره وقيل بل هو منزل على
أحوال فالامر الاول لمن هو مشاهد الكعبة والثاني لمن هو في مكة غائبا عنها والثالث لمن هو في بقية البلدان هكذا وجهه مقرر
الدين الرازي وقال القرطبي الاول لمن هو بمكة والثاني لمن هو في بقية الامصار (٣٣٩) والثالث لمن خرج في الاسفار ورجع هذا

الجواب القرطبي وقيل انما ذكر
ذلك لتعلقه بما قبله أو بعده من
السياق فقال أولاً وقد نرى تقلب
وجهك في السماء فلو لي نيك قبلة
ترضاهما الى قوله وان الذين أوثوا
الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم
وما الله بغافل عما يعملون فذكر في
هذا المقام اجابته الى طيبته وأمره
بالقبلة التي كان يود التوجه اليها
ويرضاها وقال في الامر الثاني
ومن حيث خرجت فول وجهك
شطر المسجد الحرام وأنه الحق من
ربك وما الله بغافل عما تعملون
فذكر انه الحق من الله وارتقاءه
المقام الاول حيث كان موافقا
لرضا الرسول صلى الله عليه وسلم
فبين انه الحق أيضا من الله يحسنه
ويرتضيه به وذكر في الامر الثالث
حكمة قطع حجة المخالف من اليهود
الذين كانوا يتعجبون باستقبال
الرسول الى قبلتهم وقد كانوا يعلمون
بما في كتبهم انه سيصرف الى قبلته
ابراهيم عليه السلام الى الكعبة
وكذلك مشركو العرب انقطعت
حجتهم لما صرف الرسول صلى الله

على أمهات المسائل الالهية فانها تدل على انه تعالى موجود واحد في الالهية متصف
بالحياة الازلية الابدية واجب الوجود لذاته موجود لغضيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم
غير منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغر والتغور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه
ما يعترى النفوس والارواح مالمالك الملك والمكتوت ومبدع الاصول والفروع وذو البطش
الشديد الذي لا يشفع أحد عنده كائن من كان الامن أذن له الرحمن عالم بالاشياء كلها
جليها وخفيها كلها وجزئها واسع الملك والقدرة لكل ما يصح ان يملك ويقدر عليه
لا يثق عليه شاق ولا يشغل شأن عن شأن متعال عن الخلق ميا بين عن العالم مستوعب
العرش على الذات سمي الصفات كبير الشأن جليل القدر رفيع الذكر مطاع الامر جلي
البرهان على عما يدركه القماس والظن والوهم عظيم لا يحيط به علم الخلائق والفهم ولذلك
قد ورد في فضل هذه الآية أحاديث فخرج أحمد ومسلم واللفظ له عن أبي بن كعب ان
النبي صلى الله عليه وآله وسلم سأله أي آية من كتاب الله أعظم قال آية الكرسي قال ليهنك
العلم أب المنذر وأخرج البخاري في تاريخه والطبراني وأبو نعيم في المعرفه بسند رجاله ثقات
عن ابن الاسقع البكري ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاءهم في صفة المهاجرين فسأله
انسان أي آية في القرآن العظيم أعظم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا اله الا هو
الحق القيوم الآية وأخرج سعيد بن منصور والحاكم والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال سورة البقرة فيها آية سيدة أي القرآن لا تقرأ
في بيت فيه شيطان الا خرج منه آية الكرسي قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه وأخرج
أبو داود والترمذي وصححه من حديث أسماء بنت زيد بن السكن قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يقول في هاتين الآيتين الله لا اله الا هو الحق القيوم والم الله لا اله
الا هو ان فيها اسم الله الاعظم وقد وردت أحاديث في فضلها غير هذه وورد أيضا في فضل
قراءتها دبر الصلوات وفي غير ذلك وورد أيضا مع مشاركة غيرها لها أحاديث في فضلها وورد
عن السلف في ذلك شيء كثير وقد اختلف أهل العلم في قوله (لا اكره في الدين) على أقوال
الاول انهم انسخوه لان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أكره العرب على دين
الاسلام وقتلهم ولم يرض منهم الا الاسلام والناسخ لها قوله تعالى يا أيها النبي جاهد
الكفار والمنافقين وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار

فسأله ابراهيم التي هي أشرف وقد كانوا يعظمون الكعبة وأعجبهم استقبال الرسول اليها وقيل غير ذلك من الاجوبة عن حكمة
التكرار وقد سطره الرازي وغيره والله أعلم وقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة أي أهل الكتاب فأنهم يعلمون من صفة هذه الامة
التوجه الى الكعبة فاذا فقدوا ذلك من صفتها ربما احتجوا بها على المسلمين ولئلا يحتجوا بما وافقة المسلمين اياهم في التوجه الى بيت
القدس وهذا أظهر قال أبو العباس لئلا يكون للناس عليكم حجة يعني به أهل الكتاب حين قالوا صرف محمد الى الكعبة وقالوا
شق الرجل الى بيت أبيه ودين قومه وكان حجتهم على النبي صلى الله عليه وسلم انصرفه الى البيت الحرام أن قالوا سيرجع الى ديننا

كما رجع الى قبلتنا قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد وعطاء والضحاك والريبع بن أنس وقتادة والسدي نحو هذا وقال هؤلاء في قوله الا الذين ظلموا منهم يعني مشركي قريش ووجه بعضهم حجة الظلمة وهي داخضة أن قالوا ان هذا الرجل يزعم انه على دين ابراهيم فان كان توجهه الى بيت المقدس على مله ابراهيم فلم يرجع عنه والجواب ان الله تعالى اختاره التوجه الى البيت المقدس أولا لما له تعالى في ذلك من الحكمة فأطاع ربه تعالى في ذلك ثم صرّفه الى قبله ابراهيم وهي الكعبة فامتثل أمر الله في ذلك أيضا فهو صلات الله وسلامه عليه مطيع لله في جميع أحواله (٣٤٠) لا يخرج عن أمر الله طرفة عين وأتمته تبع له وقوله فلا تخشوهم

واخشوني أي لا تخشوا شبه الظلمة المتعنتين وأفردوا الخشية لي فانه تعالى هو أهل أن يخشى منه وقوله ولا تم نعمتي عليكم عطف على لئلا يكون للناس عليكم حجة أي لا تم نعمتي عليكم فيما شرعت لكم من استقبال الكعبة لتكمل لكم الشريعة من جميع وجوهها ولعلكم تهتدون أي الى ما ضلت عنه الامم هديناكم اليه وخصناكم به ولهذا كانت هذه الامة أشرف الامم وأفضليها كما أرسنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذا كروني أذكركم واشكروا الى ولا تكفرون) يذكر تعالى عباده المؤمنين ما أنعم به عليهم من بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم اليهم يتلوا عليهم آيات الله مبينات ويزكيهم أي يطهرهم من رذائل الاخلاق ودنس النفوس وأفعال الجاهلية ويخرجهم من الظلمات الى النور ويعلمهم الكتاب وهو القرآن والحكمة وهي السنة ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون فكانوا

وليجدوا فيكم غلظة وقال تعالى ستدعون الى قوم أولى بأس شديد فتقاتلوا منهم أو يسلون وقد ذهب الى هذا كثير من المفسرين القول الثاني انها ليست بمنسوخة وانما نزلت في أهل الكتاب خاصة وانهم لا يكرهون على الاسلام اذا أدوا الجزية بل الذين يكرهون هم أهل الاوثان فلا يقبل منهم الا الاسلام أو السيف والى هذا ذهب الشعبي والحسن وقتادة والضحك انقول الثالث ان هذه الآية في الانصار خاصة القول الرابع ان معناها لا تقولوا لمن أسلم تحت السيف انه مكروه فلا اكرهه في الدين القول الخامس انها وردت في السبي متى كانوا من أهل الكتاب لم يجبروا على الاسلام وقال ابن كثير في تفسيره أي لا تكرهوا أحدا على الدخول في دين الاسلام فانه بين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج الى أن يكره أحد على الدخول فيه بل من هداه الله الى الاسلام وشرح صدره بنور بصيرته دخل فيه على بينة ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فانه لا يفيد الدخول في الدين مكرها مفسورا وهذا يصلح أن يكون قول سادسا وقال في الكشف في تفسير هذه الآية أي لم يجبر الله أمر الايمان على الاجبار والقسر ولكن على التمكن والاختيار ونحوه قوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا فأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين أي لو شاء لقسرهم على الايمان ولكن لم يفعل وبني الامر على الاختيار وهذا يصلح أن يكون قول سابع والذي ينبغي اعتقاده ويتعين الوقوف عنده انها في السبب الذي نزلت لاجله محكمة غير منسوخة وهو ان المرأ من الانصار تكون مقلاة لا يكاد يعيش لها ولا فيجعل على نفسها ان عاش لها ولأن تهوده فلما أجلبت يهود بنى النصير كان فيهم من أبناء الانصار فقالوا الاندع أبناءنا فنزلت أخرجه أبو داود والنسائي وغيرهما عن ابن عباس وقد وردت هذه القصة من وجوه حاصلها ما ذكره ابن عباس مع زيادات تتضمن ان الانصار قالوا انما جعلناهم على دينهم أي دين اليهود ونحن نرى ان دينهم أفضل من ديننا وان الله جاء بالاسلام فلنسكركمهم فلما نزلت خبر الانصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكرههم على الاسلام وهذا يقتضي ان أهل الكتاب لا يكرهون على الاسلام اذا اختاروا البقاء على دينهم وأدوا الجزية وأما أهل الحرب فالآية وان كانت تعمهم لان النكرة في سياق النفي وتعريف الدين يفيد ان ذلك والاعتبار بعوم اللفظ لا بخصوص السبب لكن قد خص هذا العموم بما ورد من الآيات في اكرام أهل الحرب من الكفار على الاسلام وقد

في الجاهلية الجاهلاء يسفهن بالقول القرافة لولا بركة رسالته وعن سفارته الى حال الاولياء وسجاياء العلماء قيل فصاروا أعمق الناس علما وأبرهم قلوبا وأقلمهم تكلفا وأصدقهم لهجة وقال تعالى لقد امن بالله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم الآية وقد من لم يعرف قدر هذه النعمة فقال تعالى ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار قال ابن عباس يعني بنعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا ندب الله المؤمنين الى الاعتراف بهذه النعمة ومقابلتها بذكره وشكره وقال فاذا كروني أذكركم واشكروا الى ولا تكفرون قال مجاهد في قوله كما أرسنا فيكم رسولا فيكم رسول الله صلى الله عليه وسلم

فأذكرني قال عبد الله بن وهب عن هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم أن موسى عليه السلام قال يا رب كيف أشكرك قال له رب
 تذكري ولا تنساني فإذا ذكرني فقد شكرتني وإذا نسيتني فقد كفرتني قال الحسن البصري وابو العالية والسدّي والربيع بن
 أنس إن الله يذكركم ويذكركم فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وقال ابن أبي حاتم حديثنا الحسن بن محمد بن الصباح أخبرنا زيد بن هرون
 أخبرنا عمارة الصدي لاني أخبرنا مكيحول الأزدي قال قلت لابن عمر (٣٤١) أرايت قاتل النفس وشارب الخمر والسارق
 والزاني يذكرك الله وقد قال الله

تعالى فأذكرني أذكركم قال اذا
 ذكر الله هذا ذكر الله بلغته حتى
 يسكت وقال الحسن البصري
 في قوله فأذكرني أذكركم قال
 اذكرني فيما افترضت عليكم
 أذكركم فيما أوجبت لكم على
 نفسي وعن سعيد بن جبيل اذكرني
 بطاعتي أذكركم بغفرتي وفي رواية
 برجتي وعن ابن عباس في قوله
 اذكرني أذكركم قال ذكر الله
 اياكم أكبر من ذكركم اياه وفي
 الحديث الصحيح يقول الله تعالى
 من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي
 ومن ذكرني في ملأ ذكرته في
 ملا خيره منه قال الامام أحمد
 حديثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر
 عن قتادة عن أنس قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 الله عز وجل يا ابن آدم ان ذكرني
 في نفسك اذكرك في نفسي وان
 ذكرني في ملأ اذكرك في ملا
 من الملائكة أو قال في ملاخير
 منه وان دنوت مني شبرا دنوت
 منك ذراعا وان دنوت مني ذراعا
 دنوت منك باعا وان أتيتني تمشي

قل ان هذه الآية الى خالدون من بقية آية الكرسي والتحقيق أن هذه الآية مستأنفة
 جى فيها اثر بيان صفات الباري المذكورة ليدان بان من حق العاقل أن لا يحتاج الى
 التكليف والا كراهي الدين بل يختار الدين الحق من غير تردد (قد بين الرشد من الغي)
 لرشدنا الايمان والغي الكفر أي قد تميزا أحدهما من الآخر وأصل الغي بمعنى الجهل
 الآن الجهل في الاعتقاد والغي في الاعمال وهذا الاستئناف يتضمن التعليل لما قبله
 (فن يكفر بالطاغوت) الطاغوت فعلوت من طغى يطغى ويطغوا اذا جاوز الحد قال
 سيبويه هو اسم مذ كرم فرد أي اسم جنس يشمل القليل والكثير قاله سيبويه وقال أبو
 على الفارسي انه مصدر كهوت وجبروت بوصفه الواحد والجمع وقيل أصل الطاغوت
 في اللغة مأخوذ من الطغيان يؤدي معناه من غير اشتقاق وقال المبرد هو جمع قال ابن
 عطية وذلك مردود قال الجوهري والطاغوت الكاهن والساحر والسيطان وكل رأس
 في الضلال وكل ما عبد من دون الله وقد يكون واحدا قال تعالى يريدون أن يتحاكوا
 الى الطاغوت وقد أمر وأن يكفروا به وقد يكون جمعا قال تعالى أولياؤهم الطاغوت
 والجمع الطواغيت أي فن يكفر بالسيطان أو الاضنام أو أهل الكهانة ورؤس الضلالة
 أو بالجميع (ويؤمن بالله) عز وجل بعد ما تميزه الرشد من الغي والحق عن الباطل والهدى
 عن الضلالة وانما قدم الكفر بالطاغوت على الايمان بالله لان الشخص مالم يخاف
 الشيطان ويترك عبادة غيره تعالى لم يؤمن بالله كما قالوا ان الخلية مقدمة على الخلية
 (فقد استمسك بالعروة) هو في الاصل شد البدن وأصل المادة يدل على التعاقق ومنه عروته
 اذا ألمت به متعلقا به واعتراه الهم تعلق به (الوثقى) أي فقد فاز وتمسك بالحبل الوثيق
 المحكم والوثقى فعلى من الوثاقه تأنيب الاوثق وجمعها وثق مثل الفضلى والفضل وقد
 اختلف المفسرون في تفسير العروة الوثقى بعد اتفاقهم على ان ذلك من باب التشبيه
 والتمثيل لما هو معلوم بالدليل بما هو مدرك بالحاسة ف قيل المراد بالعروة الايمان وقيل
 الاسلام وقيل لا اله الا الله وقيل من باب الاستعارة المفردة حيث استعير العروة الوثقى
 للاعتقاد الحق ولا مانع من الحمل على الجميع (لا انفصام لها) لا انفصام الاتساق من غير
 بينونة قال الجوهري فصم الشيء كسر من غير أن يبين وأما القصم بالقاف فهو
 الكسر مع البينونة وفسر صاحب الكشاف الانفصام بالانقطاع والمعنى أن المتمسك

أنتك هرولة صحيح الاسناد أخرجه البخاري من حديث قتادة وعنده قال قتادة الله أقرب بالرجة وقوله واشكروا لي ولا تكفرون
 أمر الله تعالى بشكركه ووعد على شكره بجزاير فقال واذا نذرتكم لئن شكرتم لازيدنكم وائن كفرتم ان عذابي لشديد
 وقال الامام أحمد حدثنا روح حدثنا شعبه عن الفضل بن فضالة رجل من قيس حدثنا أبو رجاء العطاردي قال خرج عليا عمران
 ابن حصين وعليه مطرف من خز لم نره عليه قبل ذلك ولا بعده فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أنعم الله عليه نعمة
 قال الله يجب أن يري أثر نعمته على خلقه وقال روح مرة على عيده (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصلاة والصلاة النافعة

الصابرين ولا تنزلوا المني يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون) لم فرغ تعالى من بيان الامر بالشكر ثم عفي
 بيان الصبر والارشاد والاستعانة بالصبر والصلاة فان العبد اما ان يكون في نعمة فيشكر عليها أو في نقمة فيصبر عليها كما جاء في
 الحديث بحمد الله مؤمن لا يتقضى الله قضاء الا كان خيرا له ان أصابته سرأ فشكر كان خيرا له وان أصابته ضراء فصبر كان خيرا له
 وبين تعالى ان أجود ما يستعان به على تحمل المصائب الصبر والصلاة كما تقدم في قوله واستعينوا بالصبر والصلاة رانها الكبيرة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا حزته أمر صلى (٣٤٢) الاعلى الخاشعين وفي الحديث ان

والصبر صبران فصبر على ترك
 المحارم والمأثم وصبر على فعل
 الطاعات والقربات والثاني أكثر
 ثوابا لانه المقصود وأما الصبر
 الثالث وهو الصبر على المصائب
 والنوائب فذلك أيضا واجب
 كالاستغفار من المعاييب كما قال
 عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الصبر في
 بابين الصبر لله بما أحب وان ثقل
 على النفس والابدان والصبر لله
 عما كره وان نازعت اليه الاهواء
 فمن كان هكذا فهو من الصابرين
 الذي يسلم عليهم ان شاء الله وقال
 علي بن الحسين زين العابدين ذا
 جمع الله الاولين والاخرين
 ينادى مناد أين الصابرون
 ليدخلوا الجنة قبل الحساب قال
 فيقوم عنق من الناس فتسلقاهم
 الملائكة فيقولون الى أين يا بني
 آدم فيقولون الى الجنة فيقولون
 وقبل الحساب قالوا نعم قالوا ومن
 أنتم قالوا نحن الصابرون قالوا
 وما كان صبركم قالوا صبرنا على
 طاعة الله وصبرنا عن معصية الله
 حتى توفانا الله قالوا أنتم كما قلتم
 ادخلوا الجنة فنع أجبر العالمين

(قلت) ويشهد لهذا قوله تعالى انما وفي الصابرون أجبرهم بغير حساب وقال سعيد بن جبيرة الصبر اعتراف العبد لله وضع
 بما أصاب منه واحتسابه عند الله رجاء ثوابه وقد يجزع الرجل وهو متجدد لا يرى منه الا الصبر وقوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في
 سبيل الله أموات بل أحياء يخبر تعالى ان الشهداء في برزخهم أحياء مرزقون كما جاء في صحيح مسلم ان ارواح الشهداء في حواصل
 طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى قتاديل معلقة تحت العرش فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال ماذا تبغون
 فتقولوا يا ربنا وای نبي تبغی وقد أعطيتنا ما لم نعط أحدا من خلقك ثم عاد عليهم عند هذا الفلأمرأ والنهم لا يتركون من أن يسألوا قالوا

نريد ان نردنا الى الدار الدنيا فنقاتل في سبيلك حتى نفقتل فيك مرة أخرى لما يرون من ثواب الشهادة فيقول الرب جل جلاله اني كتبت انهم اليها لا يرجعون وفي الحديث الذي رواه الامام أحمد عن الامام الشافعي عن الامام مالك عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يعثفه ففيه دلالة لعموم المؤمنين أيضا وان كان الشهداء قد خصوا بالذكور في القرآن تشرىف الله بهم وتكرما وتعظيما (ولنولينكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس) (٣٤٣)

مصيبة قالوا ان الله وانا اليه راجعون أو ائلك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) أخبر تعالى انه يتلى عباده أى يختبرهم ويمتحنهم كما قال تعالى واولئكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبوأخباركم فتارة السرا وتارة بالضراء من خوف وجوع كما قال تعالى فأذاقها الله لباس الجوع والخوف فان الجائع والخائف كل منهما مظهر ذلك عليه ولهذا قال لباس الجوع والخوف وقال ههنا بشئ من الخوف والجوع أى بقليل من ذلك ونقص من الاموال أى ذهاب بعضها والانفس كموت الاصحاب والاقارب والاحباب والثرات أى لا تغفل الحدائق والمزارع كمعادتها قال بعض السلف فكانت بعض النخيل لا تثمر غير واحدة وكل هذا وأمثاله مما يختبر الله به عباده فمن صبرا ثابا ومن قضا أحل به عقابه ولهذا قال تعالى وبشر الصابرين وقد حكى بعض المفسرين ان المراد من الخوف ههنا خوف

وضع الحاجة التي هي أقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر كما يقال عاديقي لاني أحسنت اليك قال مجاهد ملك الارض أربعة مؤمنان سليمان وذو القرنين وكافران غرودو بجنت نصر واختلفوا في وقت الحاجة فقيل لما كسر ابراهيم الاصنام وقيل بعد القائه في النار وكان مدة ملكه أربع مائة سنة (اذ قال ابراهيم ربى الذي يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت) أراد ابراهيم عليه السلام ان الله هو الذى يخلق الحياة والموت في الاجساد وأراد الكافران به قدر على ان يعفوا عن القتل فيكون ذلك احياء وعلى ان يقتل فيكون ذلك اماتة فكان هذا اجوابا باحق لا يصح نصبه في مقابلة تحية ابراهيم لانه أراد غير ما أراد الكافر فلو قال له ربى الذى يخلق الحياة والموت في الاجساد فهل تقدر على ذلك بهت الذى كفر بادى به وفى أول هذه ولكنه انتقل معه الى حجة أخرى أوضح منها تيسر الخناق وارسال العنان المناظرة (قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) لكون هذه الحجة لا تجرى فيها المغالطة ولا يتيسر للكافران يخرج عنها يخرج مكابرة ومشاعبة وتوهمها وتليسا على العوام (فهت الذى كفر) بهت الرجل وبهت وبهت اذا انقطع وسكت متحيرا وقال ابن عطية وقد تأول قوم في قراءة بهت بالفح انه بمعنى سب وقد ف وان الغرود هو الذى سب حين انقطع ولم تكن له حيلة انتهت وقال سبحانه فهت الذى كفر ولم يقل فهت الذى حاج اشعارا بان تلك الحاجة كفر وقيل هذا الفعل من جلة الافعال التي جاءت على صورة المبني للمفعول والمعنى فيها على البناء للفاعل والبهت الانقطاع والحيرة وهو مبهوت لا باهت ولا بهيت (والله لا يهدي القوم الظالمين) تذييل مقرر لاضمون الجلة التي قبله (أو كذاذى مر على قرية) أى ألم تر اليه كيف هداه الله وأخرجته من ظلمة الاشتباه الى نور العيان والشهود واختلف في ذلك المار فروعى عن مجاهد انه كان كافرا أشد في البعث وهذا الضعيف جد القول كما لبث والله لا يخاطب الكافر واقوله ولنجعلك آية للناس وهذا لا يستعمل في حق الكافر وقال ابن عباس وعبد الله بن سلام وسليمان بن ربيعة والبخاري وقتادة وعكرمة والسدي وخويزر بن شريك وخرنبا وقال ابن عبيد ووهب بن نصير وهارميا بن حلقية من سبط هرون وهو الخضر بعينه وعن رجل من أهل الشام انه خرقيل ومقصود القصة تعريف منكرى البعث قدرة الله على احياء خلقه بعد اماتتهم لا تعريف اسم ذلك المار قال وهب وعكرمة

الله بالجوع صيام رمضان ونقص الاموال الزكاة والانفس والامراض والثرات الاولاد وفي هذا نظر والله اعلم ثم بين تعالى من الصابرون الذين شكرهم فقال الذين اذا أصابهم مصيبة قالوا ان الله وانا اليه راجعون أى تسألوا يقول لهم هذا أعما أصابهم وعلما انهم ملك لله يصرف في عبده بما يشاء وعلما أنه لا يصيح لديه شقال ذرة يوم القيامة فاحذر انهم ذلك اعترفافهم بانهم عبيده وانهم اليه راجعون في الدار الآخرة ولهذا أخبر تعالى عما أعطاهم على ذلك فقال أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة أى ثناء من الله عليهم قال عبيد بن جبير أى أمنه من العذاب وأولئك هم المهتدون وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نعم العبدان

ونعمت فعلاوة وتذا عليهم صلوات من ربه ورحمة في ذلك العبد لان اولئك هم الميئنون ايضا فعلاوة وهي ما توضع بين
العبدان وهي رابطة في اجل فكنته حوزة تعملوا عليهم وزيدوا ايضا وقد ورد في كتاب الاسترجاع وهو قول الله تعالى وانه
راجعون عند الحساب احاديث كثيرة في ذلك ما رواه الامام احمد حيث قال حدثني يونس بن محمد حدثنا الشيباني عن ابن مسعود عن يزيد
ابن عبد الله حدثنا ابي ابيد عن ابي ابيد عن عمرو بن ابي عمرو عن ابي ابيد عن ابي ابيد عن ابي ابيد عن ابي ابيد عن ابي ابيد عن ابي ابيد
الله عليه وسلم فقد قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ما رواه الامام احمد حيث قال حدثني يونس بن محمد حدثنا الشيباني عن ابن مسعود عن يزيد
ابن عبد الله حدثنا ابي ابيد عن ابي ابيد عن عمرو بن ابي عمرو عن ابي ابيد عن ابي ابيد عن ابي ابيد عن ابي ابيد عن ابي ابيد عن ابي ابيد عن ابي ابيد

وتريمع ان التقرية هي التي تفسد بغير قصد ايضا وقيل ان التقرية هي التي
اخذها وقيل هي التقرية التي خرج اهلها من ديارهم وحسب خوف وقيل هي التي
سار ابا لهو موضع بدارس وقال السدي لما دخل مكة او قرية من ديارهم خرجت اهلها
وقيل ديارهم في بصرى وعسكر مكرم على شط دجلة والافق هو الفخير والافق هو
خويفه على عروشه اي ساقة بمعنى ساقه السقف ثم سقطت اخطان عليه قاله السدي
واخذوه ابن جرير وقيل معناه خافه من الناس والبيوت فاقته واخذوا اخوانه
خوت الدار وخوت تخوي خواتهم ودون خواتهم واخذوا ايضا اخوانه خواتهم
عن الغداة والقاهر القول الاول بل لانه قوله على عروشه من خوي البيت اذا سقط
وخوت الارض اذا تهدمت قال ابن عباس حاوية اي خراب وقال قتادة حاوية اي
ليس فيها احد وقال الفخار العروش السقوف قال اي فنت المار اي يحيى هذه
التي بعد موتها اي يحيى او كذا يحيى وخواتمها على قتلها اذ
المشابهة حاوية الاموات الميمنة حاوية الاحياء وتقديم المقبول لكون الاستبعاد ناشئا من
حيته لان جبهة القاتل وقيل قال ذلك استعظام القدرته تعالى قاله السيوطي وعبد
ابي السعود قال ذلك تليغا عليها وتثبوت اى عمارتها مع استعظامها لئلا ينس منها وعبد
البيضاوي قال ذلك استعظامها لتصور عن معرفة طريقها والاحياء وسبب توجهه على ذلك
التقرية انه كان من اهلها من جده من سابعهم بخت نصر فلما اخلص من اسبي وجاءوا بها
على ذلك الحاوية فوجع وتلف وما قال انما رده المنة متبعدا للاحياء التقرية فلهذا كورة
بالعمارة لئلا وان يكون فيها ضرب الله المثل في نفسه جدهم اعظم مما سأل عنه فقال
فاما الله ما علمه وحكي الطبري عن بعضهم انه قال كان هذا القول شكا في قدراته
على الاحياء فلهذا ضرب الله المثل في نفسه قال ابن عطية ليس يدخل شك في قدراته
سجده على احياء قريه يجلب العمارات اليها وانما تصور ان ذلك اذا كان سؤالا عن احياء
موتاهم والعام السنة اصد مصدر كالتعوم سجي به هذا القدر من الزمان والتعوم هو
السباحة حيث السبق عام لان الشمس تعوم في جميع ربو وجها (ثم بعته) اي احياء ليريه
كيفية ذلك واشار البعث على الاحياء دلالة على سرعته وسهولة تايده على اباري تعالى
كأنه بعثه من الترم واللاذ ان يات تاد كنيته يوم موفاه فترقا هما مستعدا لظن

مصيبه فيسترجع عند مصيبتهم ثم
يقول اللهم اجزني في مصيبي
واخلفني خيرا منها الا فعل ذلك
به قال ام سلمة خفت ذلك منه
فلما توفي ابو سلمة استرجعت وقالت
اللهم اجزني في مصيبي واخلفني
خيرا منها ثم رجعت الى نفسي
فقلت من اين لي خيرا من ابي سلمة
فلما انتفتحت عدتي استاذن على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا
أدفع اشيا الى فقلت بي من
الفرط واذا في له فوضعت له
وسادة اثم حو الخلف فقعده
عليها فخطبني الى نفسي فلما فرغ
من مقالته قلت يا رسول الله ما لي
ان لا يكون بك الرغبة ولكني امرأة
في غيرة شديدة فاقه في ان ترى مني
شيئا بعدني الله وانا امر اذ قد
دخلت في السن واذ ان عيال
فقال اما ماذا كرت من الغيرة
فوفى يذهبها الله عز وجل عند
واما ماذا كرت من السن فقد
اصابني مثل الذي اصابك واما
ماذا كرت من العيال فتماعاك
عالي قال فقد سلمت لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فترجيا

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ام سلمة بعد ان تلي الله ما لي في سنة خير امه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا استلال
وفي صحيح مسلم عنها انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون
اللهم اجزني في مصيبي واخلفني خيرا منها الا جره الله في مصيبي واخلفني خيرا منها قالت فلما توفي ابو سلمة قلت كما امرني رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخلف الله لي خيرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الامام احمد حدثنا يزيد بن عباد بن عباد قال
حدثنا هشام بن ابي هشام حدثنا عباد بن زياد عن ابيه عن فاطمة ابنة الحسين عن ابيها الحسين بن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بخصية فيذكرها وان طال عهدها وقال عباد قدم عهدا فيحدث لذلك استرجاعا الا جدد الله له عند ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب ورواه ابن ماجه في سننه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن هشام بن زياد عن أمه عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها وقد رواه اسمعيل بن علي بن يزيد بن هرون عن هشام بن زياد عن أبيه كذا عن فاطمة عن أبيها وقال الامام أحمد بن يحيى بن اسحق السيلحي أن انا جاد بن سلمة عن أبي سنان قال دفنت اباي فاني لاني القبر اذا أخذ بيدي أبو طلحة يعني الخولاني فخرجني وقال لي ألا أبشرك قلت بلى قال حدثني الضحالك بن عبد الرحمن (٣٤٥) بن عوزب عن أبي موسى قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال الله يملك الموت قبضت ولد عبدى قبضت قرة عينه وعرة دفنوا له قال نعم قال فما قال قال جلدك واسترجع قال ابشوا له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد ثم رواه عن علي بن اسحق عن عبد الله بن المبارك فذكره وهكذا رواه الترمذي عن سويد بن نصر عن ابن المبارك وقال حسن بن سعيد واسم أبي سنان عيسى بن سنان (ان

الصفحة المروية من شعائر الله فن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم) قال الامام أحمد حدثنا سليمان بن داود الهاشمي أنا ابراهيم بن سعد عن الزهري عن عروة عن عائشة قال قلت لأبي قال قول الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله فن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما قلت فوالله ما علي أحد جناح أن لا يطوف بهما فقالت عائشة بشما قلت يا ابن أخي انهما لو كانتا على ما أولها عليه كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما وليكنها انما أنزلت أن الانصار كانوا قبل أن

والاستدلال قال علي قال ما خلق الله عينا جعل ينظر الى عظامه ينضم بعضها الى بعض ثم كسيت لحما ثم نفخ فيه الروح قال علي فأتى مدينته وقد ترك جارا له اسكافا شابا خفاء وهو شيخ كبير (قال كم لبثت قال اثبت يوما أو بعض يوم) اختلف في فاعل قال فاعل هو الله عز وجل وقيل ناداه بذلك ملك من السماء قيل هو جبريل وقيل غيره وقيل انه نبي من الانبياء وقيل رجل من المؤمنين من قومه شاهدده عند ان أمته الله وعمر الى حين بعثه والاول أو لى لقوله فيما بعد وانظر الى العظام كيف ننشزها وانما قال يوما أو بعض يوم بناء على ما عذرته وفي ظنه فلا يكون كاذبا ومثله قول أصحاب الكهف قالوا البنا يوما أو بعض يوم ومثله لقوله صلى الله عليه وآله وسلم في قصة ذي اليمين لم تقصر ولم أنس وهذا ما يؤيد قول من قال ان الصديق مطابق الاعتقاد والكذب ما خلفه وقيل ان الله أماته ضحى في أول النهار وأحياه بعد مائة سنة في آخر النهار قبل أن تغيب الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى ان الشمس قد غابت ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو بعض يوم وقيل ان أو بمعنى بل التي للاضراب وهو قول ثابت وقيل هي للشك والاول أولى (قال بل لبثت مائة عام) هو استئناف أيضا كما سلف أي ما لبثت يوما أو بعض يوم بل لبثت مائة عام (فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه) الطعام هو التين الذي كان معه والشراب هو العصير والمعنى لم يتغير ولم يتن فكان التين كأنه قد قطف من ساعته والعصير كأنه عصر من ساعته أمره الله ان ينظر الى هذا الاثر العظيم من آثار القدرة وهو عدم تغير طعامه وشرابه مع طول تلك المدة والتسنه مأخوذة من السنة أي لم ترق عليه السنون أي المائة سنة لبقائه على حاله وعدم تغيره مع طول الزمان مع ان شأنه التغير يسير بعاد وأصله سنة أو سنة من سنه التخلد وتسنته اذا أدت عليها السنون ونحوه سماء أي تحمل سنة ولا تحمل أخرى وقيل هو من أسن الماء اذا تغير وكان يجب على هذا أن يقال يتأسن من قوله حمامة سنون قاله أبو عمرو والشيباني وقال الزجاج ليس كذلك لان قوله مسنون ليس بمعناه متغير وانما معناه مصبوب على سنة الارض (وانظر الى حمارك) اختلف المفسرون في معناه فذهب الاكثر الى ان معناه انظر اليه كيف تفرقت أجزاؤه وتخرت عظامه وتقطعت أوصاله ثم أحياه الله وعاد كما كان لتشاهد كيفية الاحياء فالنظر ان مختلفان وقال الضحالك وروى بن منبه انظر الى حمارك فأعاني حربه لم يصبه شيء بعد ان مضت عليه مائة عام

(٤٤ - فتح البيان ل) يسلموا كانوا يملكون امانة الطاعة التي كانوا يعبدونها عند المشرك وكان من أهلها يخرج أن يطوف بالصفا والمروة فسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله انا كنا نخرج ان نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية فأمر الله عز وجل ان الصفا والمروة من شعائر الله فن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما قالت عائشة ثم قدس رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بهما فليس لاحد ان يدع الطواف بهما آخر جهاه في الصحيحين وفي رواية عن الزهري انه قال فحدثت بهذا الحديث أبابكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فقال ان هذا العلم ما كنت سمعته ولقد سمعت رجلا من أهل العلم

يقولون ان الناس الامن ذكرت عائشة كانوا يقولون ان طوافنا بين هذين الحجرين من آخر الجاهلية وقال آخرون من الانصار انما امر بابا الطواف بالبيت ولم نؤمر بالطواف بين الصفا والمروة فانزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله قال أبو بكر بن عبد الرحمن فلعلمنا نرات في هراء وهؤلاء ورواه البخاري من حديث مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بنحو ما تقدم ثم قال البخاري حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن عاصم بن سليمان قال سألت أنساعن الصفا والمروة قال كنا نرى انه من أمر الجاهلية فلما جاء الاسلام أمسكناهم ما أنزل الله عز وجل ان (٣٤٦) الصفا والمروة من شعائر الله وذكر القرطبي في تفسيره عن ابن عباس قال كانت الشياطين تفرق

بين الصفا والمروة للليل كله وكانت بينهما آلهة فلما جاء الاسلام سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطواف بينهما فأنزلت هذه الآية وقال الشعبي كان اساف على الصفا وكانت نائلة على المروة وكانوا يستلمونها ففجر جوا بعد الاسلام من الطواف بينهما فأنزلت هذه الآية (قلت) ذكر محمد بن اسحق في كتاب السيرة ان اسافا ونائلة كانا بشرين فزينا داخل الكعبة فمخنا حجرين فصبتهما فمقر يش تجاه الكعبة ليعتبر بهما الناس فلما طال عهدهما عبداهم حولا الى الصفا والمروة فصباهنالك فكان من طاف بالصفا والمروة يستلمهما ولهذا يقول أبو طالب في قصيدته المشهورة

وحيث ينبج الاشعرون ركابهم
لمقضى السيول من اساف ونائل
وفي صحيح مسلم من حديث جابر الطويل وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من طوافه بالبيت عاد الى الركن فاستلمه ثم خرج من باب الصفا وهو يقول ان

ويؤيد القول الاول قوله تعالى وانظر الى العظام كيف ننشرها ويؤيد القول الثاني مناسبة لقوله فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانما ذكر سبحانه عدم تغيير طعامه وشرابه بعد اخباره انه لبث مائة عام مع ان عدم تغيير ذلك الطعام والشراب لا يصلح أن يكون دليلا على تلك المدة الطويلة بل على ما قاله من لبثه يوما أو بعض يوم لزيادة استعظام ذلك الذي أماته تلك المدة فانه اذا رأى طعامه وشرابه لم يتغير مع كونه قد قلن انه لم يلبث الا يوما أو بعض يوم زادت الحيرة وقويت عليه الشبهة فاذا انظر الى حماره عظاما متفجرة تقر لديه ان ذلك صنع من تأتى قدرته بما لا تحيط به العقول فان الطعام والشراب سريع التغير وقد بقي هذه المدة الطويلة غير متغير والحمار يعيش المدة الطويلة وقد صار كذلك فبارك الله أحسن الخالقين (والجعلك آية للناس) وعبرة ودلالة على البعث بعد الموت قاله الفقهاء وقال الاعمش كونه آية هو انه جاء شابا على حاله يوم مات فوجد الابناء والحفدة شيوخا (وانظر الى العظام كيف ننشرها) قرأ الكوفيون بالزاي والباقون بالراء وقد أخرج الحاكم وصححه عن زيد بن ثابت ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ كيف ننشرها فغنى القراءة بالزاي نرفعها ومنه النشر وهو المرفع من الارض أى نرفع بعضها الى بعض وأما معنى القراءة بالراء فواضحة من أنشئ الله الموتى أى أحيائهم (ثم نكسوها لجما) أى نسترداه كما يسترد الجسد باللباس واستعار اللباس لذلك ولعل عدم التعرض لنفخ الروح لما ان الحكمة لا تقتضى بيانه (فلما تبين له) ما تقدم ذكره من الايات التي أراه الله سبحانه وأمره بالنظر اليها والتفكير فيها التي استغربها قال ابن جرير لما انضح له عيانا ما كان مستنكرا في قدره الله عنده قبل عيانه من احياء القرية وقال الزمخشري ما أشكل عليه يعنى من أمر الاحياء والاول أولى لان قوة الكلام تدل عليه بخلاف الثاني (قال أعلم) أى علم مشاهد بعد العلم العقينى الخاص بالفطرة والادلة العقلية قال أبو علي الفارسي معناه أعلم هذا الضرب من العلم الذي لم يكن علمته (أن الله على كل شيء قدير) لا يستعصى علمه شيء من الاشياء ويدخل تحته الامانة والاحياء دخولا اوليا (واذا قال ابراهيم رب ارنى كيف تبني الموقد) انظر فممنسوب بفعل محذوف أى اذكر وقت قول ابراهيم وانما كان الامر بالذ كر موجه الى الوقت دون ما وقع فيه مع كونه المقصود لقصد المبالغة لان طلب وقت الشيء يستلزم طلبه بالاولى وهكذا يقال في سائر

الصفا والمروة من شعائر الله ثم قال أبدأ بعبادة الله به وفي رواية للنسائي ابدأوا بعبادة الله به وقال الامام أحمد حدثنا المواضع شرح حدثنا عبد الله بن المؤدل عن عطاء بن أبي رباح عن صفية بنت شيبة عن حبيبة بنت أبي تيجرة قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بين الصفا والمروة والناس بين يديه وهو ورائهم وهو يسبح حتى أرى ركبته من شدة السجى يدور به ازاره وهو يقول اسعوا فان الله كتب عليكم السجى ثم رواه الامام أحمد عن عبد الرزاق انا معمر عن واصل مولى أبي عبيدة عن موسى بن عبيدة عن صفية بنت شيبة ان امرأة أخبرتها انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة يقول كتب عليكم السجى فاسعوا وقد

استدل بهذا الحديث على مذهب من يرى ان السعي بين الصفا والمروة ركن في الحج كما هو مذهب الشافعي ومن وافقه ورواية عن أحمد وهو المشهور عن مالك وقيل انه واجب وليس بركن فان تركه عمدا أو سهوا جبره بدم وهو رواية عن أحمد وبه يقول طائفة وقيل بل مستحب واليه ذهب أبو حنيفة والثوري والشعبي وابن سيرين وروى عن أنس وابن عمرو وابن عباس وحكي عن مالك في العتبية قال القرطبي واحتجوا بقوله تعالى فمن تطوع خيرا والقول الاول أرجح لانه عليه السلام طاف بينهما وقال لتأخذوا عني مناسككم فكل ما فعله في حجة تلك واجب لابد من فعله في الحج الا ما خرج بدليل (٢٤٧) والله أعلم وقد تقدم قوله عليه السلام

اسعوا فان الله كتب عليكم السعي فقد بين الله تعالى ان الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله أي مما شرع الله تعالى لابراهيم في مناسك الحج وقد تقدم في حديث ابن عباس ان أصل ذلك مأخوذ من طواف هاجر وتردادهما بين الصفا والمروة في طلب الماء ولولدهما لئلا يمازجا ماؤهما وزادهما حين تركهما ابراهيم عليه السلام هناك وليس عندهما أحد من الناس فلما خافت على ولدها الضيعة هناك ونفذ ما عهدت لهما قامت تطلب الغوث من الله عز وجل فلم تزل تردد في هذه البقعة المشرفة بين الصفا والمروة متدلة خائفة وجليلة مضطرة فقيرة الى الله عز وجل حتى كشف الله كبريتها وانس غريبتها وفتح شفتها وأنبع لها زمزم التي طعامها طعام طعم وشفاء سقم فالساعي بينهما ينبغي له أن يستحضر فقره وذلته وحاجته الى الله في هداية قلبه وصلاح حاله وغفران ذنبه وأنه يلجئ الى الله عز وجل لتفريج ما هو به من النقائص والعيوب وأن يهديه الى الصراط المستقيم

المواضع الواردة في الكتاب العزيز بمثل هذا الظرف وقوله رب آثره على غيره لما فيه من الاستعفاف الموجب لقبول ما يرد بعده من الدعاء قال الاخفش لم يرد رؤية القلب وانما أراد رؤية العين وكذا قال غيره ولا يصح أن يراد به الرؤية القلبية هنا لان مقصود ابراهيم أن يشاهد الاحياء لتحصل له الظمانينة (قال أولم تؤمن) أي ألم تعلم ولم تؤمن بانى قادر على الاحياء حتى تسألني اراءه (قال بلى) علمت وأمنت بانك قادر على ذلك (ولكن) سألت (ليطمئن قلبي) باجتماع دليل العيان الى دلائل الايمان وقد ذهب الجمهور الى أن ابراهيم لم يكن شاكيا في احياء الموتى قط وانما طالب المعايينة لما جبلت عليه النفوس البشرية من رؤية ما أخبر عنه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس الخبر كالمعاينة وحكي ابن جرير عن طائفة من أهل العلم أنه سأل ذلك لانه شك في قدرة الله واستدلوا بما صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الصحيحين وغيرهما من قوله نحن أحق بالشك من ابراهيم وعماروى عن ابن عباس انه قال ما في القرآن عندى آية أرجى منها أخرجه عنه الحاكم وصححه ورجح هذا ابن جرير بعد حكايته له قال ابن عطية وهو عندى مردود يعنى قول هذه الطائفة ثم قال وأما قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم نحن أحق بالشك من ابراهيم فعندها انه لو كان شاكيا لكنا نحن أحق به ونحن لا نشك فابراهيم أخرى أن لا يشك فالحديث مبنى على نفي الشك عن ابراهيم وأما قول ابن عباس هي أرجى آية فمن حيث ان فيها الادلال على الله وسؤال الاحياء في الدنيا وليست منظمة ذلك ويجوز أن نقول هي أرجى آية لقوله أولم تؤمن أي ان الايمان كاف لا يحتاج معه الى تنقيرو بحث قال فالشك يسعد على من ثبت قدمه بالايمان فقط فكيف بمرتبة النبوة والانباء معصومون من الشكائرومن الصغائر التي فيهم اذ يله اجماعا واذ تأملت سره عليه السلام وسائر الالفاظ لاية لم تعط شكاً وذلك ان الاستفهام بكيف انما هو سؤال عن حاله شيء عموما وجوده متقرر الوجود عند السائل والمسؤل نحو قولك كيف علم زيد وكيف نسج الثوب ونحو هذا ومتى قلت كيف ثوبك وكيف زيد فانما السؤال عن حال من أحواله وقد يكون كيف خبرا عن شيء شأنه أن يستفهم عنه بكيف نحو قولك كيف شئت فكن ونحو قول البخاري كيف كان بدء الوحى وهي في هذه الآية استفهام عن هيئة الاحياء والاحياء متقررون لكن لما وجدنا بعض المنكرين لوجود شيء قد يعبرون عن انكاره بالاستفهام عن حاله لذلك الشيء يعلم انها

وأن يشبهه عليه السلام وأن يحول من حاله الذي هو عليه من الذنوب والمعاصي الى حال الكمال والغفران والسداد والاستقامة كما فعل هاجر عليها السلام وقوله فمن تطوع خيرا قيل زاد في طوافه بينهما على قدر الواجب ثمانية وتسعة ونحو ذلك وقيل يطوف بينهما في حجة تطوع أو غيره تطوع وقيل المراد تطوع خيرا في سائر العبادات حكى ذلك الرازي وعزى الثالث الى الحسن البصري والله أعلم وقوله فان الله شاكر عليم أي يثيب على القليل بالكثير علم بقدر الخرافة لا يخس أحد أثوابه ولا يظلم مثقال ذرة وان تلك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما (ان الذين يكفون ما أتوا من اليبات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك

يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا وينو افأولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم ان الذين كفروا وما لبثوا وهم كفارا أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون عذابا عذابا شديدا لمن كتم ما جاءت به الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدى النافع للقاب من بعد ما بينه الله تعالى لعباده في كتبه التي أنزلها على رسله قال أبو العالمة زلت في أهل الكتاب كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم أخبرناهم بلعنهم كل شيء على صنيعهم ذلك فكأن العالم يستغفر له كل شيء حتى (٣٤٨)

لا تصح فيلزم من ذلك ان الشيء في نفسه لا يصح مثال ذلك أن يقول مدع أنا أرفع هذا الجبل فقول المكذب له أرفني كيف ترفعه فهددته بمرقة مجاز في العبارة ومعناه هاتسليم جدل كأنه يقول أقرض انك ترفعه فلما كان في عبارة الخليل هذا الاشتراك المجازي خلاص الله لذلك وجهه على ان بين له الحقيقة فقال له أولم تؤمن قال بلى فكممل الامر وتخلص من كل شيء ثم علم عليه السلام سؤاله بالطمأنينة قال القرطبي هذا ما ذكره ابن عطية وهو بالغ ولا يجوز على الانبياء صلوات الله عليهم مثل هذا الشك فانه كفر والانبياء ممتقون على الايمان بالبعث وقد أخبر الله سبحانه ان أنبياءه وأوليائه ليس للشيطان عليهم سبيل فقال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقال اللعين الاعمالك منهم المخلصين واذ لم تكن له عليهم سلطة فكيف يشككهم وانما سأل أن يشاهد كيفية جمع أجزاء الموتى بعد تفريقها وإيصال الاعصاب والجلود بعد تغزيقها فأراد أن يرقى من علم اليقين الى عين اليقين فقل له رب أرفني كيف طلب مشاهدة الكيفية قال الماوردي وليست الا في قوله أولم تؤمن ألف استفهام وانما هي ألف ايجاب وتقرير والواو والواو والحال وتؤمن معناه ايمانا مطلقا دخل فيه فصل احياء الموتى والطمأنينة اعتمدت وسكون وقال ابن جرير ليوقن قلبي (قال خذ أربعة من الطير) أي ان أردت ذلك فخذ والطير اسم جمع لطائر كركب راكب وهو مذهب أبي الحسن أو جمع نحو تاجر وتجرا ومصدر قاله أبو البقاء وخص الطير بذلك قيل لانه أقرب أنواع الحيوان الى الانسان شبه في تدوير الرأس والمشي على الرجلين وقيل ان الطير همته الطيران في السماء والخليل كانت همته العلو وقيل غير ذلك من الاسباب الموجبة لتخصيص الطير وكل هذه لا تسمن ولا تغني من جوع وليست الاخواطرافهام وبوادراذه ان لا ينبغي أن تجعل وجوها لكلام الله وعللا لما يريد في كلامه وهكذا قيل ما وجه تخصيص هذا العدد فان الطمأنينة تحصل باحياء واحد فقيل ان الخليل انما سأل واحدا على عدد العبودية فأعطى أربعة على قدر الربوبية وقيل الطيور الاربعة اشارة الى الاركان الاربعة التي يتركب منها أركان الحيوان ونحو ذلك من الهذيان قال ابن عباس والطير الذي أخذ وزودال وديك وطاوس وروى نحوه عن قتادة والحسن وعنه قال الغرني والطاوس والديك والحمامة وقال مجاهد الغراب بدل الغرني (فصرهن اليك) أي اضمهم اليك وأملهن واجعلنهن يقال رجل أصورا اذا كان مائل

اللاعنون وقد ورد في الحديث المسند من طرائق يشد بعضهم بعضا عن أبي هريرة وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سئل عن علم فكتمه أبطله يوم القيامة بلجام من نار والذي في الصحيح عن أبي هريرة انه قال لولا آية في كتاب الله ما حدثت أحدا شيئا ان الذين يكفون ما أنزلنا من البينات والهدى الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عمار ابن محمد عن ليث بن أبي سليم عن المنهال بن عمرو عن زاذان بن عمر عن البراء بن عازب قال كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة فقال ان الكافر يضرب ضربة بين عينيه يسمعها كل دابة غير الثقلين فقلعته كل دابة سمعت صوته فذلك قول الله تعالى أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون يعني دواب الارض ورواه ابن ماجه عن محمد بن الصباح عن عاصم بن محمد بن عطاء بن أبي رباح كل دابة والجن والاناس وقال مجاهد اذا أجذبت الارض قال البهائم هذا من اجل عصاة بني آدم لعن الله عصاة بني آدم وقال أبو

العالمة والربيع بن أنس وقاتدة ويلعنهم اللاعنون يعني تلعنهم الملائكة والمؤمنون وقد جاء في الحديث ان العالم العنق يستغفر له كل شيء حتى الحستان في الجوعاء في هذه الآية أن كاتم العلم يلعنه الله والملائكة والناس أجمعون واللاعنون أيضا وهم كل فصيح وأجمي اما بلسان المقال أو الحال أن لو كان له عقل ويوم القيامة والله أعلم ثم استثنى الله تعالى من هؤلاء من تاب اليه فقال الا الذين تابوا واصلحوا وينو افيه واصلحوا أعمالهم وبينوا للناس ما كانوا يكتفونه فأولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم وفي هذا دلالة على ان الداعية الى كفر او بدعة اذا تاب الى الله تاب الله عليه وقد ورد ان الاثم السابقة لم تكن

التوبة تقبل من مثل هؤلاء منهم ولكن هذا من شريعة نبي التوبة وفي الرحمة صلوات الله وسلامه عليه ثم أخبر تعالى عن كفره واستمر به الحال الى مماته بان عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيه أي في اللعنة التابعة لهم الى يوم القيامة ثم المصاحبة لهم في نار جهنم التي لا يتخفف عنهم العذاب فيها أي لا ينقص عذابهم فيه ولا هم ينظرون أي لا يغير عنهم ساعة واحدة ولا يفتربل هو متواصل دائم فنعوذ بالله من ذلك قال أبو العالية وقتادة ان الكافر يوقف يوم القيامة فيلعنه الله ثم تلغنه الملائكة ثم يلغنه الناس أجمعون * (فصل) * لاخلاف في جواز لعن الكفار وقد كان عمر بن (٣٤٩) خطب رضى الله عنه ومن بعده من الأئمة

يلعنون الكفرة في القنوت وغيره فاما الكافر المعين فقد ذهب جماعة من العلماء الى انه لا يلعن لانا لا ندري بما يختم الله له واستدل بعضهم بالآية ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وقالت طائفة أخرى بل يجوز لعن الكافر المعين اختصاره الفقيه أبو بكر بن العربي المالكي ولكنه احتج بحديث فيه ضعف واستدل غيره بقوله عليه السلام في قصة الذي كان يؤتي به سكران فيجسده فقال رجل لعنه الله ما أكثر ما يؤتي به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلعه فانه يحب الله ورسوله فدل على ان من لا يحب الله ورسوله يلعن والله أعلم (والحكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم) يخبر تعالى عن تفرد به بالهية وأنه لا شريك له ولا عدول له بل هو الله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لا اله الا هو وانه الرحمن الرحيم وقد تقدم تفسير هذين الاسمين في أول الفتحة وفي الحديث عن شهر ابن حوشب عن أسماء بنت يزيد ابن السكن عن رسول الله صلى

الغنقو يقال صار الشيء يصوره ويصيره أماله أو قطعها للغنان لفظ مشترك بين هذين المعنيين والقراءتان تحتملهما معا وقرئ قصرهن بضم الصاد وكسرها وقيل معناه قطعهن وبه قال ابن عباس وبالتبضية حرقهن وشققهن وعنه قال أوثقهن (ثم اجعل على كل جبل منهن جراً) فيه الاحراب بالتجزئة لان جعل كل جرة على جبل يستلزم تقدم التجزئة قال لزجاج المعنى ثم اجعل على كل جبل من كل واحد منهن جراً والجزء النصيب واختلفوا في عدد الاجزاء والجبال وليس في ذلك كثير فائدة (ثم ادعهن) أي قل لهن تعالين باذن الله تعالى (يا أيديكن) أي اناس ريعا (سعيًا) أي مشيا سريعا والمراد بالسعي الاسراع في الطيران أو المشي وقيل السعي هو الحركة الشديدة وقيل العدو وقيل الطيران وفيه انه لا يقال للطائر اذا طار سعي فالحكمة في السعي دون الطيران ان ذلك أبعد من الشبهة لانهم لو طارت لنوهم متوهم انها غير تلك الطيور وان أرجلها غير سليمة فنفي الله تعالى هذه الشبهة (واعلم ان الله عزيز حكيم) في صنعه أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال وضعهن على سبعة أجبل وأخذ الرأس بيده فجعل ينظر الى القطرة تلقى القطرة والريرة تاتي الريرة حتى صرن أحياء ليس لهن رؤس فجئن الى رؤسهن فدخلن فيها وانهك بالقتلة دليلا على فضل الخليل وحسن الادب في السؤال حيث أراه ما سأل في الحال وأرى العزيز ما أراد بعد أمته مائة عام (مثل الذين يتفقون أموالهم في سبيل الله) قيل المراد به الانفاق في الجهاد وقيل في جميع وجوه البر فيدخل فيه الواجب والتطوع (كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة) المراد بالسبع السنابل هي التي تخرج في ساق واحدة تشعب منه سبع شعب في كل شعبة سنبلة واحدة اسم لكل ما يزرعه ابن آدم وقيل المراد بالسنابل هنا سنابل الذرة والدخن فهو الذي يكونون منها في السنبلة هذا العدد وقال القرطبي ان سنبل الدخن يجي في السنبلة منه أكثر من هذا العدد بضعين وأكثر على ما شاهدنا قال ابن عطية وقد يروى جدي في سنبل القمح مائة حبة وأما في سائر الحبوب فأكثر ولكن المثال وقع بهذا القدر وقال الطبري ان قوله في كل سنبلة مائة حبة معناه ان وجد ذلك والافعل أن يفرضه والذي ينبغي الاعتماد عليه في هذه الآية وأمثالها ان المقصود بها مجرد تمثيل زيادة الاجر وكثرة الثواب دون وجود ذلك (والله يضاعف لمن يشاء) يحتمل أن يكون المراد يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء أو يضاعف هذا العدد فيزيد عليهضاعف لمن يشاء لالكل

الله عليه وسلم انه قال اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين واليه الحكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم والم الله لا اله الا هو الحي القيوم ثم ذكر الدليل على تفرد به بالهية بتفرد بخلق السموات والارض وما فيهما وما بين ذلك مما ذكرنا برأى من المخلوقات الدالة على وحدانيته فقال (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لنعم يعقلون) يقول تعالى ان في خلق السموات والارض تلك في ارتفاعها ولطافتها واتساعها وكواكبها السيارة والثواب

ودوران فلكتها وهذه الارض في كافتها وانخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها وودادها وعمرانها وما فيها من المنافع واختلاف الليل والنهار هذا يجيء ثم يذهب ويخطفه الآخر ويعقبه لا يتأخر عنه لحظة كما قال تعالى لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون وتارة يطول هذا ويقصر هذا وتارة يأخذ هذا من هذا ثم يتعاضدان كما قال تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي يزيد من هذا في هذا والفتاك التي تجري في البحر بما ينفع الناس أي في تسخير البحر يحمل السفن من جانب الى جانب المعاش (٣٥٠) الناس والارتفاع بما عند أهل ذلك الاقليم ونقل هذا الى هؤلاء وما عند أولئك الى هؤلاء وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها كما قال تعالى وآياته لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون الى قوله وما لا يعلمون وبث فيها من كل دابة أي على اختلاف أشكالها وألوانها ومنافعها وصغرها وكبرها وهو يعلم ذلك كله ويرزقه لا يخفى عليه شيء من ذلك كما قال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وتصريف الرياح أي فتارة تأتي بالرجة وتارة تأتي بالعذاب وتارة تأتي بمشقة بين يدي السحاب وتارة تسوقه وتارة تجمعه وتارة تفرقه وتارة تصرفه ثم تارة تأتي من الجنوب وهي الشامية وتارة تأتي من ناحية اليمين وتارة صبا وهي الشرقية التي تصدم وجه الكعبة وتارة دبوراً وهي غربية تنفذ من ناحية دبر الكعبة وقد صنف الناس في الرياح والمطر والانهاء كتباً كثيرة فيما يتعلق بلغاتها وأحكامها وبسط ذلك يطول ههنا والله أعلم

الناس وهذا هو الرابع لما سألني وقد ورد القرآن بأن ائمة بعشر أمثالها واقتضت هذه الآية أن نفقه الجهاد حسنة بسبع مائة ضعف فينبغي العام على الخاص وهذا بناء على أن سبيل الله هو الجهاد فقط وأما إذا كان المراد به وجوده أخيراً فيخص هذا التضعف الى سبع مائة بثواب النفقات ويكون العشرة الأمثال فيما عد ذلك (والله واسع عليم) أخرج مسلم وأحمد والنسائي والحاكم والبيهقي عن ابن مسعود أن رجلاً تصدق بناقعة مخطومة في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لك بها يوم القيامة سبع مائة ناقعة كذا مخطومة وأخرج أحمد والترمذي وحسنه والنسائي وابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عن نعيم بن فاك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أنفق نفقة في سبيل الله كتب له سبع مائة ضعف وأخرجه البخاري في تاريخه من حديث أنس وأخرجه أحمد من حديث أبي عبيدة وزاد من أنفق على نفسه وأهله وأعد مريضاً فأحسنه بعشر أمثالها وأخرج ابن ماجه وابن أبي حاتم من حديث عمران بن حصين وعلي وأبي الدرداء وأبي هريرة وأبي امامة وابن عمر وجابر كلهم يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أرسل بنفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم يوم القيامة سبع مائة درهم ومن غزا بنفسه في سبيل الله وأنفق في وجهه ذلك فله بكل درهم يوم القيامة سبع مائة ألف درهم ثم تلا هذه الآية والله يضاعف لمن يشاء وأخرج أحمد من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل عمل ابن آدم يضاعف ائمة بعشر أمثالها الى سبع مائة ضعف الى ما شاء الله يقول الله الا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به وأخرجه أيضاً مسلم وأخرج الطبراني من حديث معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال طوبى لمن أكثر في الجهاد في سبيل الله من ذكر الله فإن له بكل كلمة سبعين ألف حسنة منها عشرة أضعاف وقد وردت الأحاديث الصحيحة في أجر من جهز غازياً وأخرج أبو داود والحاكم وصححه عن سهل بن معاذ عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الصلاة والصوم والذكر يضاعف على النفقة في سبيل الله سبع مائة ضعف وأخرج أحمد والطبراني في الاوسط والبيهقي في سننه عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله بسبع مائة ضعف (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) هذه الجملة متضمنة لبيان كيفية الانفاق الذي تقدم أي هو انفاق الذين ينفقون قيل

الناس وهذا هو الرابع لما سألني وقد ورد القرآن بأن ائمة بعشر أمثالها واقتضت هذه الآية أن نفقه الجهاد حسنة بسبع مائة ضعف فينبغي العام على الخاص وهذا بناء على أن سبيل الله هو الجهاد فقط وأما إذا كان المراد به وجوده أخيراً فيخص هذا التضعف الى سبع مائة بثواب النفقات ويكون العشرة الأمثال فيما عد ذلك (والله واسع عليم) أخرج مسلم وأحمد والنسائي والحاكم والبيهقي عن ابن مسعود أن رجلاً تصدق بناقعة مخطومة في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لك بها يوم القيامة سبع مائة ناقعة كذا مخطومة وأخرج أحمد والترمذي وحسنه والنسائي وابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عن نعيم بن فاك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أنفق نفقة في سبيل الله كتب له سبع مائة ضعف وأخرجه البخاري في تاريخه من حديث أنس وأخرجه أحمد من حديث أبي عبيدة وزاد من أنفق على نفسه وأهله وأعد مريضاً فأحسنه بعشر أمثالها وأخرج ابن ماجه وابن أبي حاتم من حديث عمران بن حصين وعلي وأبي الدرداء وأبي هريرة وأبي امامة وابن عمر وجابر كلهم يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أرسل بنفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم يوم القيامة سبع مائة درهم ومن غزا بنفسه في سبيل الله وأنفق في وجهه ذلك فله بكل درهم يوم القيامة سبع مائة ألف درهم ثم تلا هذه الآية والله يضاعف لمن يشاء وأخرج أحمد من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل عمل ابن آدم يضاعف ائمة بعشر أمثالها الى سبع مائة ضعف الى ما شاء الله يقول الله الا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به وأخرجه أيضاً مسلم وأخرج الطبراني من حديث معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال طوبى لمن أكثر في الجهاد في سبيل الله من ذكر الله فإن له بكل كلمة سبعين ألف حسنة منها عشرة أضعاف وقد وردت الأحاديث الصحيحة في أجر من جهز غازياً وأخرج أبو داود والحاكم وصححه عن سهل بن معاذ عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الصلاة والصوم والذكر يضاعف على النفقة في سبيل الله سبع مائة ضعف وأخرج أحمد والطبراني في الاوسط والبيهقي في سننه عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله بسبع مائة ضعف (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) هذه الجملة متضمنة لبيان كيفية الانفاق الذي تقدم أي هو انفاق الذين ينفقون قيل

ببر السحاب المسخر بين السماء والارض أي سائر بين السماء والارض مسخر الى ما يشاء الله من الاراضى • نزلت والا ما كن كما يصرفه تعالى لايات لقوم يعقلون أي في هذه الاشياء دلالات بيّنة على وحدانية الله تعالى كما قال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الابواب الذين يذكرون الله فيما موقعه وادعوا على جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فنعذاب النار وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه أخبرنا محمد بن أحمد بن ابراهيم بن محمد بن أبي سعيد الدمشقي حدثني أبي عن أبيه عن أشعث بن إسحق عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن

عباس قال انت قرىش محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد اننا نريد ان تدعور بك ان يجعل لنا الصفا ذهباً فنشتري به الخيل والسلاح فنقوم بك ونقاتل معك قال أوثقوا الى ان تدعوت ربى فجعل لكم الصفا ذهباً التؤمنينى فاثقوا له فدعاه به فأتاه جبريل فقال ان ربك قد أعطاهم الصفا ذهباً على انهم لم يؤمنوا بك عذبهم عذاباً لم يعذب به أحد من العالمين قال محمد صلى الله عليه وسلم رب لا بل دعنى وقومى فلا تدعهم يوماً فأنزل الله تعالى هذه الآية ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر ما ينفع الناس الآية (٣٥١) ورواه ابن أبى حاتم من وجه آخر عن جعفر بن أبى

المغيرة به وزاد فى آخره وكيف يسألونك الصفا وهم يرون من الآيات ما هو أعظم من الصفا وقال ابن أبى حاتم أيضاً حدثنا أبى حدثنا أبى جديفة حدثنا شبل عن ابن أبى شحيج عن عطاء قال نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة واليهكم الله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم فقال كفار قريش بمكة كيف يسبح الناس الله واحد فأنزل الله تعالى ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر ما ينفع الناس الى قوله لايات لقوم يعقلون فهذا يعلمون انه الله واحد والله كل شئ وخالق كل شئ وقال وكيع بن الجراح حدثنا سفيان عن أبيه عن أبى الضحى قال لما نزلت واليهكم الله واحد الى آخر الآية قال المشركون ان كان هكذا فليأتنا بآية فأنزل الله عز وجل ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار الى قوله يعقلون ورواه آدم بن أبى اياس عن أبى جعفر هو الرازى عن سعيد بن

نزلت فى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف أما عثمان فجهز المسلمين فى غزوة تبوك بألف بعير باقتابها واحلاسها وأما عبد الرحمن فجاء بأربعة آلاف درهم صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى) المن هو ذكرا النعمة على معنى التعديد لها والتقرير بها وقيل المن التحدث بما أعطى حتى يبلغ ذلك المعطى فيؤذيه والمن من البكائر كما ثبت فى صحيح مسلم وغيره انه أحد الثلاثة الذين لا ينظر الله اليهم ولا يزكهم ولهم عذاب عظيم والاذى السب والتطاول والتشكى قال فى الكشف ومعنى ثم اظهر التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خسر من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيراً من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا انتهى فثم على هذا التراخي فى الرتبة وقيل هو على باب التراخي فى الزمان نظراً للغالب من ان وقوع المن والاذى يكون بعد الانفاق عدّة وقدم المن على الاذى لكثرة وقوعه ووسط كلمة لا للدلالة على شمول النفي لاتباع كل واحد منهما (لهم أجرهم) يعنى ثوابهم فى الآخرة (عند ربهم) فيه تأكيد وتشريف (ولا خوف عليهم) يعنى يوم القيامة (ولا هم يحزنون) يعنى على ما خلفوا من الدنيا وظاهر الآية تنفى الخوف عنهم فى الدارين كما تنفide المنكرة الواقعة فى سياق النفي من الشمول وكذلك تنفى الحزن يفيد دوام اتفائها عنهم وقد وردت الاحاديث الصحيحة فى النهى عن المن والاذى وفى فضل الانفاق فى سبيل الله وعلى الاقارب وفى وجود الخير ولا حاجة الى التطويل بذلك كراهية معرفته فى مواطنها قال عبد الرحمن بن يزيد كان أبى يقول اذا أعطيت رجلاً شيئاً ورأيت ان سلامك يشغل عليه فلا تسل عليه والعرب تمدح بترك المن وكرمت النعمة وتذم على اظهارها والمن بها والاذى ما يصل الى الانسان من ضرر بقول أو فعل والمراد هنا ان يشكروهم بسبب ما أعطاهم (قول معروف) قيل الخبر شذوف أى أولى وأمثل ذكره النحاس قال ويجوز ان يكون خبراً عن مبتدأ مخذوف أى الذى أمر به بقول معروف أى كلام حسن ورد جيل على الفقير السائل وقيل عدة حسنة توعد بها وقيل دعاء صالح تدعوه لظواهر الغيب (ومغفرة) له فى الحاجة مبتدأ أيضاً وخبره (خير من صدقة) وجازا لابتداء المنكرتين لأن الاولى تخصصت بالوصف والثانية بالعطف والمعنى ان القول المعروف من المسؤول للسائل وهو التأنيس والترجمة بما عدا الله والرد الجليل خير من الصدقة التى (ينبغيها أذى) وقد ثبت فى صحيح مسلم صلى الله عليه وآله

مسروق والدسفيان عن أبى الضحى به (ومن الناس من يتخذ من دون الله آداة يحبونهم يحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كاتبرأوا منا كذلك يريهم أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار) يذكّر تعالى حال المشركين به فى الدنيا وما لهم فى الآخرة حيث جعلوا آداة أى امثالاً ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه وهو الله لا اله الا هو ولا ضله ولا ند له ولا شريك معه وفى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال قلت يا رسول الله

أى الذنب اغنم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك وقوله والذين آمنوا أشد حبا لله ولهم الله وتعام معرفتهم به وتوقيرهم وتوحيدهم له لا يشركون بشيأ بل بعدونه وحدونه وتوحيدهم عليه ويجوز أن جميع أمورهم اليه ثم توعد تعالى المنكرين به الظالمين لأنفسهم بذلك فقال وليرى الذى ظلموا الذين العذاب ان القوة ته جميعا قال بعضهم تقدير الكلام لو عاينوا العذاب لعلموا حينئذ ان القوة لله جميعا أى ان الحكم له وحده لا شريك له وان جميع الاشياء تحت قبضه وغلبته وساطته وان الله شديد العذاب كما قال فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد يقول (٢٥٢) ليرعاهون ما يعاينونه هنالك وما يحيل بهم من الامر النقطع المنكر

وسلم الكلمة الطيبة صدقة وان من المعروف ان تلقى أحاك بوجه طلق والمراد بالمغفرة السر للخلد وسوء حاله المحتاج والعفو عن السائل اذا صدر منه من الاخاح ما يكدر صدر المسؤل وقيل ان المراد ان العفو من جهة السائل لانه اذا رده رداجلا عذره وقيل المراد فعل يؤدى الى المغفرة خير من صدقة أى غير ان الله خير من صدقةكم وهذه الجمل مستأنفة مقررقة لتلك اتباع المن والاذى للصدقة قال الضحاك قول معرووف ردجيل تقول يرحك الله ويرزق الله ولا تنهد ولا تغلظ له القول وعن عمرو بن دينار قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ما من صدقة أحب الى الله من قرل الحق ألم تسمع قول الله قول معروف الا ايدأخرجه ابن حاتم (والله غنى) عن صدقة العباد لا يحوج الفقراء الى تحمل مؤنة المن والاذى ويرزقهم من جهة أخرى (حليم) بتأخير العقوبة عن المان والمردى لا يعاجلهم بها لانهم لا يستحقونها بسببهما والجمل تذييل لما قبله مشتتة على الوعد والوعيد مقررقة لاعتبار الخيرية بالنسبة الى السائل قطعا رايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم) يعنى أجورهم والابطال للصدقات اذ هاب أثرها وافساد منفعتها أى لا تبطلوها (بالمن والاذى) أو بأحدهما يعنى على السائل الفقير وقال ابن عباس بالمن على الله والاذى لصاحبها قال بعضهم ذهب أجره فلا أجر له ولا وز عليه وقال بعضهم له أجر الصدقة ولكن ذهبت مضاعفته وعليه الوزر بالمن قال الكرخى وهذا الوجه وقال بعضهم لا أجر له فى نفقته وعليه وزر فيمان على الفقير (كالذى) أى كابطال الذبح (ينفق ماله رياء الناس) أى لاجل الرياء أو مرائيا لا يقصد بذلك وجه الله وثواب الآخرة بل يفعل ذلك رياء للناس وسعة واستجلا بانثائهم عليه ومدحهم له قيل والمراد به المنافق بدليل قوله (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) قال ابن عباس لا يدخل الجنة منان وذلك فى كتاب الله يعنى هذه الآية (فخلد) أى مثل الذى ينفق رياء الناس أو المان المعطى وقد عدل من خطاب الى غيبة ومن جمع الى افراد (كمثل صفوان) الصفوان الحجر الكبير الاملس الصلب وفيه لغتان أشهرهما سكون الفاء والثانية فتحها و هو اقرب ابن المسيب والزهرى وهى شاذة وقال الاخفش صفوان جمع صفوانة وقال الكسابى صفوان واحد وجمعه صفنى واصنى وأنكره المبرد وقال النحاس يجوز أن يكون جمعا وأن يكون واحدا وهو أولى لقوله (عليه تراب) أى استقر على الصفوان (قاصابه) أى الصفوان أو التراب (وابل) أى مطر والوابل

الهائل على شركهم وكفرهم لانه واما هم فيه من الضلال ثم أخبر عن كفرهم باوثانهم وتبى المتبوعين من التابعين فقل اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا تبرأت منهم الملائكة الذين كانوا يزعمون انهم يعبدونهم فى الدار الدنيا فقول الملائكة تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون ويقولون سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون واجن أيضا تبرأ منهم ويتصلون من عبادتهم لهم كما قال تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال الخليل لقومه انما اتخذتم من دون الله آوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وماواكم النار وما لكم من ناصرين وقال تعالى

ولوترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا الذين استكبروا • المطر ولولا أنتم لكان مؤمنين قال الذين استكبروا الذين استضعفوا أن نحن صدقناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا الذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمرنا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون وقال تعالى وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفكم وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلانكلمونى ولوموا أنفسكم ما أنا بصخر خكم

وما أنتم بصري حتى أني كفرت بما أشر كتموني من قبل أن الظالمين لهم عذاب اليم وقوله ورواوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب أي عابوا عذاب الله وتقطعت بهم الحيل وأسباب الخلاص ولم يجدوا عن النار معدلا ولا مصرفا قال عطاء عن ابن عباس وتقطعت بهم الأسباب قال المودة وكذا قال مجاهد في رواية ابن أبي شحيج وقوله وقال الذين أتبعوا الوان لنا كرهتسبناهم كرهناهم كما تبتوا منا أي لو أن لنا عودة إلى الدار الدنيا حتى شبرأمن هؤلاء ومن عبادتهم فلا نلتقت اليهم بل فوحد الله وحده بالعبادة وهم كاذبون في هذا بل لوردوا العاد والمأنه واعنه وانهم لكاذبون كما أخبر الله تعالى عنهم بذلك (٣٥٣).

حسرات عليهم أي تذهب وتضمحل كما قال تعالى وقد مننا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقال تعالى مثل الذين كفروا برحمتهم أعمالهم كماد استمدت به الريح في يوم عاصف الآية وقال تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الطمأن ماء الآية وليد قال تعالى وما هم بخارجين من النار (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما ياحر كتم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) لما بين تعالى انه لا اله الا هو وانه المستقل بالخلق شرع عيين انه الرزاق لجميع خلقه فذكر في مقام الامتنان انه أباح لهم أن يأكلوا مما في الارض في حال كونه حلالا من الله طيبا أي مستطابا في نفسه غير ضار للابدان ولا للعقول ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان وهي طرائقه ومسالكه فيما أضل أتباعه فيه من تحريم البجائر والسوائب والوسائل ونحوها مما كان زينة

المطر الشديد العظيم القطر والمطر أوله رش ثم طش ثم طل ثم نضج ثم هطل ثم وبل يقال وبلت السماء وبلوا وبلوا اشتد مطرها وكان الاصل وبل مطر السماء خذف للعلم به ولهذا يقال للمطر وابل مثل الله سبحانه هذا المناق فيصفون عليه تراب يظنه اظان أرضا منبئة طيبة فاذا أصابه وابل من المطر أذهب عنه التراب (فتركه) أي الصفون يعني بقي (صلدا) أي أجرد نقيما من التراب الذي كان عليه وأملس ليس عليه شيء من الغبار أصلا وكذلك حال هذا المرائي يوم القيامة فان نفسه قته لا تنفع قال ابن عباس صلدا أي يابس جاسما لا ينبت شيئا (لا يقدر ون على شيء مما كسبوا) أي على ثواب شيء مما عملوا في الدنيا مستأنفة كأنه قيل ماذا يكون حالهم فقيل لا يقدر ون الخ (والله لا يهدي القوم الكافرين) يعني الذي سبق في علمه انهم يوقنون على الكفر وفيه تعرض بان المن والاذى والرياء من خصال الكفار وعن مجاهد بن يسد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال انما أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا بارسل الله وما الشرك الأصغر قال الرياء يعال لهم يوم تجازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل يتجدون عندهم خيرا رواه البغوي بسنده وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا أغنى الشركاء عن الشرك من عمن عسلا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه (ومثل الدين ينبتون أموالهم ابتغاء مرضات الله) ابتغى معناه طلب ومرضاة مصدر رضى يرضى (وتبينا) معناه يثبتون (من أنفسهم) يبذل أموالهم على الايمان وسائر العبادات رياضة لها وتدرى ما تقررنا أو يكون المثبت بمعنى التصديق أي تصديقا للاسلام ناشئان جهة أنفسهم وقد اختلف السلف في معنى هذا الحرف فقال الحسن ومجاهد معناه انهم يثبتون أن يضعوا صدقاتهم وقال بعضهم معناه تصديقوا ويقينوا بذلك عن ابن عباس وقيل معناه احتسابا من أنفسهم قاله قتادة وقيل معناه ان أنفسهم لها بصائر فهي تثبتهم على الانفاق في طاعة الله تبينا قاله الشعبي والسدي وابن زيد وأوصالح وهذا أربح مما قبله يقال ثبت فلان في هذا الامر أثبتة تبينا أي صححت عزمه (كمثل جملة برهنة) الجنة البستان وهي أرض تنبت فيها الاشجار حتى تغطيها مأخوذة من لفظ الجن والجنين لاستنارها وقال أبو السعد الجنة تطلق على الاشجار الملتمة المتكاتفة وعلى الارض المشتهة عليها والاول أولى لاجل قوله

(٤٥ - فتح البيان ل) لهم في جاهليتهم كما في حديث عياض بن حماد الذي في صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى ان كل مال منته عبادي فهو لهم حلال وفيه واني خلقت عبادي خفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن عيسى بن شعبة المصري حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الاحتيابي حدثنا أبو عبد الله الجوزي رفيق ابراهيم بن أدهم حدثنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال بليت هذه الآية عند النبي صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا فقام سعد بن أبي وقاص

فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة فقال يا سعد أطلب مطعما تكن مستجاب الدعوة والذي نفس محمد بيده إن الرجل أبقد القسمة الحرام في جوفه ما تقبل منه أربعين يوما وأجابه عبد بن الحنفية من السحت والربا فقال أولى به وقونه الله لكم عدو مبين تنفير عنه وتحذير منه كما قال إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا واتخذوا عواصم بكم كقوله من أحبب السعير وقال تعالى آتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا وقال قتادة والسدي في قوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان كل معصية لله فهي من خطوات (٣٥٤) الشيطان وقال عكرمة هي نزع الشيطان وقال مجاهد خطوه

أوقال خطاياه وقال أبو مجزى الذوق المعاصي وقال الشعبي نذر رجل أن يكرأه فأفقه مسروق بن بكش وقال هذا من خطوات الشيطان وقال أبو الغيث عن مسروق أني عبيد الله ابن مسعود بضرع وملح جفعل يا كل فاعترل رجل من القوم فقال ابن مسعود ناولوا صاحبكم فقال لا تريد فقال أصابم أنت قال لا قال فما شأنك قال حرمت أن أكل ضرا عابدا فقال ابن مسعود هذا من خطوات الشيطان فاطم وكفر عن يمينك رواه ابن أبي حاتم وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا حسان بن عبد الله المصري عن سليمان التيمي عن أبي رافع قال غضبت يوما على امرأتي فقالت عني يومها يودية ويومنا نصرانية وكل ملوك لنا حرام لم تطلق امرأتك فأبى عبد الله بن عمر فقال أما شدة من خطوات الشيطان وكذلك قالت زينب بنت أم سلمة وهي يومئذ أفقه امرأتني المديت عايت عاصما وابن عمر فقالا مثل ذلك وقال عبد بن

بريرة والربوبية كانت الثلاث المكان المرتفع أو قما نيسرا أو انما خص الربوبية لأن نباتها يكون أحسن من غيره مع كونه لا يصغله البرد في الغالب بخودة وكرمه ولما فقه هو أنه بهبوب الرياح الملتفة قال الطبري وهي أرض الحزن التي تستكثر العرب من ذكرها واعتز بها ابن عطية فقال إن رياض الحزن منسوبة إلى نجد لأنها خير من رياض تهامة ونبات نجد أعطر ونسيم أبرد وأرق ونجد يقال لها حزن وليست هذه المذكورة ههنا من ذلك ولقد الربوبية مأخوذة من رباب ربوا إذا زاد وقال الخليل الربوبية أرض مر تقصعة طيبة وتيل هي الأرض المستوية الجيدة الطيبة إذا أصابها المطر انتفعت وربت وكثر ريعها وحلت أشجارها (أصابع أو ابل) قال الخليل أن ابل المظر الشديد يقل ولبت السهل وتيل الأرض موبولة قال الاخفش ومنه قوله تعالى أخذ أي بيلا أي شديدا وضرب وييل وعذاب وييل قال بعضهم

ماروضة من رياض الحزن معشبة * خضر أجاد عليها أو ابل هطل

أراد بالحزن ما غلط وارتفع من الأرض (فأنت اكلنا) بضم الهمزة والقوة التي تؤكل كقوله تعالى تؤكل كذا أي كل حين وإضافته إلى الجنة إضافة اختصاص كسرج القوس وباب الدار (ضعفين) أي مثلي ما كانت تثر بسبب أو ابل فالمراد بالضعف المثل وقيل أربعة أمثال (فان لم يصبا أو ابل فقل) أي فان الظل يكفي ما هو النض أي المضر الضعيف الخفيف المستوق التمر قال الميرد وغيره تقديره فقل يكفيها وقال الزجاج تقديره فاني بصيها ظل والمراد ان الظل يوجب سناوب أو ابل في أخراج الثمر ضعفين وقال قوم الظل التمدد وفي الصحاح الظل أضعف المطر والجوع أطلال قال الماردي وزرع الظل أضعف من زرع المطر والمعنى ان ثمرات حوله أعز كية عند الله لتضع بحال وإن كانت متساوية ويجوز أن يعتبر التمثيل لميرد عليهم باعتبار ما أصدر عنهم من الثقة الكثيرة والقليل وبين الجنة المعنوية باعتبار ما أصابها من المطر الكثير والقليل فكأن كل واحد من المطرين يضعف كية فكذلك تفتقهم جلب أو قلت بعد ان يطلب به بارجه الله را كية زائدة في أجورهم (والله بما تعملون) أي شيئا لا امرأ قريبا (بصير) لا يخفى عليه من شيء وفي هذا ترغيب لهم بالاخلاص مع ترهيب من الريا عو شحوه فهو وعد ووعد (أبونا أحمدكم أن تكون الجنة من نخيل وأعتاب) الود الخبشي مع تنبيهه والتمني

جيد حدثنا أبو نعيم عن شريك عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس قال ما كنت من غير أن أدري غضب الله أحدا فيهم من خطوات الشيطان وكفاره كفارة بين وقوله انما يأمر كمالا سوء والنفسا ان تستروا على الله ما لا تعلمون أي انما يأمركم عدوكم الشيطان بأفعال السيئة وأعطاهم الفاحشة كارتا شحوه وأعطاهم من ذنب وهو القوس على الله لا علم في هذا كل كافر ومبتدع أيضا (وأما قيل لهم انهم أنزل الله قالوا بل تبسح ما ألقينا عليه البياض) كان أبواهم لا يعقلون شيئا ولا يمدون ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعو بما لا يسمع الا دعاءه منكم عني فيهم لا يعقلون (يقول تعالى وأما قيل لهم لا يسمعون

من المشركين اتبعوا ما أنزل الله على رسوله واتركوا ما أنتم عليه من الضلال والجهل فالوفاي جواب ذلك بل تتبع ما أنفينا أي وجدنا عليه آية نأى من عبادة الاصنام والانداد قال الله تعالى منكر عليهم أو لو كان آباؤهم أي الذين يقتدون بهم ويقتنون أثرهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون أي ليس لهم فهم ولا هداية وروى ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنها أنزلت في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الاسلام فقالوا بل تتبع ما أنفينا عليه آباءنا فأنزل الله هذه الآية ثم ضرب لهم تعالى مثلاً كما قال تعالى للذين (٢٥٥) لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء فقال ومثل

الذين كفروا أي فيما هم فيه من الغي والضلال والجهل كالذواب السارحة التي لا تنقه ما يقال لها بل اذ انعق بهاراعيا أي دعاها إلى ما يرشدك لا تفقه ما يقول ولا تفهمه بل انما تسمع صوته فقط هكذا روى عن ابن عباس وأبي العباس ومجاهد وعكرمة وعطاء والحسن وقادة وعطاء الخراساني والريبع بن أنس نحو هذا وقيل انما هذا مثل ضرب لهم في دعايهم الاصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل شيئاً اختاره ابن جرير والاول أولى لأن الاصنام لا تسمع شيئاً ولا تعقل ولا تبصر ولا يبطش لها ولا حياة فيها وقوله صم بكم عني أي صم عن سماع الحق بكم لا يتفوهون به عني عن رؤية طريقه ومسلكه فهم لا يعقلون أي لا يعقلون شيئاً ولا يفهمونه كما قال تعالى والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشا الله يضلله ومن يشا يجعله على صراط مستقيم (يا أيها الذين آمنوا) كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون

الداخله على الفعل لا تكرار الوقوع والجنة تطلق على الشجر الملتف وعلى الارض التي فيها الشجر والاول أولى هنا قوله (تجري من تحتها الانهار) بإرجاع الضمير إلى الشجر من دون حاجة إلى مضاف محذوف وأما على الوجه الثاني فلا بد من تقديره أي من تحت أشجارها وهكذا قوله الآتي فاحترق لا يحتاج إلى تقدير مضاف على الوجه الاول وأما على الثاني فيحتاج إلى تقديره أي فاحترق أشجارها وخص النخل والاعناب بالذكر مع قوله (له فيها من كل الثمرات) لكونهما أكرم الشجر وأشرف الفواكه جامعين لفنون المنافع لما فيه من الغذاء والتفكه وهذه الجمل صفات الجنة والنخل اسم جمع واحده نخلة أو جمع فخل الذي هو اسم جنس والاعناب جمع عنب الذي هو اسم جنس واحده عنبه (وأصابه السكر) الواو للحال جمالا على المعنى بتقدير قد وقيل غير ذلك وهذا أريح وكبر السن هو مظنة شدة الحاجة لما يلحق صاحبه من العجز عن تعاطي الاسباب والمعنى كثرت جهات حاجاته ولم يكن له كسب غيرها (وله ذرية ضعفاء) حال من الضمير في أصابه أي والحال ان له أولاد اصغار اعجزت عن الحركة بسبب الضعف والصغر فان من جمع بين كبر السن وضعف الذرية كان تحسره على تلك الجنة في غاية الشدة (فأصابها اعصار) الاعصار الريح الشديدة المرتفعة التي تهب من الارض إلى السماء كالعمود وهي التي يقال لها الزوبعة قاله الزجاج قال الجوهرى الزوبعة رئيس من رؤساء الجن ومنه سمى الاعصار زوبعة وأم زوبعة وأبازوبعة يقال فيه شيطان مارد وهي ريح تثير الغبار وترتفع إلى السماء كأنه عمود وقيل هي ريح تثير سحاباً ذات رعد وبرق وقال ابن عباس ريح فيها سموم شديدة سميت بذلك لانها تلتف كما يلتف الثوب المعصور وقيل لانها تعسر السحاب وتجمع على أعاصير والريح مؤنثة على الأكثر وقد تذكر على معنى الهواء وقال ابن الأنباري وكذلك أسماؤها الا الاعصار فانه مذكر (فيه نار فاحترق) عطف على قوله فأصابها وهذه الآية تمثيل لمن يعمل خيراً ويضم ما يحبطه فيجده يوم القيامة عند شدة حاجته اليه لا يسم ولا يغنى من جوع بحال من له هذه الجنة الموصوفة وهو متصف بتلك الصفقة وقال ابن عباس ضرب الله مثلاً لعمل رجل غنى يعمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله كلها (كذلك) أي كما بين ما ذكر من أمر النفقة المقبولة وغيرها (بين الله لكم الآيات) قال ابن عباس

انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم يقول تعالى أمر عباده المؤمنين بالاكل من طيبات ما رزقهم تعالى وان يشكروه تعالى على ذلك ان كانوا عبيده والا كل من الحلال سبب لتقبل الدعاء والعبادة كما ان الاكل من الحرام يمنع قبول الدعاء والعبادة كما جاء في الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا الفضيل بن مرزوق عن عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس ان الله طيب لا يقبل الا طيباً وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعلموا صالحا اني بما تعملون

عليه وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك ورواه مسلم في صحيحه والترمذي من حديث فضيل ابن مرزوق ولما امتن تعالى عليهم برزقه وأرشدتهم إلى الأكل من طيبه ذكر أنه لم يحرم عليهم من ذلك إلا الميتة وهي التي تموت حنف أنفها من غير تدككة وسواء كانت مستنقاة وموقودة أو متدية أو نطيخة أو وعدا عليها السبع وقد خصص الجمهور من ذلك ميتة النحر لقوله تعالى أحل لكم صيد البحر (٢٥٦) وطعامه على ما ساءت أن شاء الله وحديث العنبر في الصحيح وفي المسند

والموطأ والسنن قوله عليه السلام في البحر عواظها وهو ما زه الحل ميتة وروى الشافعي وأحمد وابن ماجه والدارقطني حديث ابن عمر مرفوعاً أحل لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكلب والطحال وسبأني تقرير ذلك أن شاء الله في سورة المائدة (مسألة) «ولبن الميتة ويضها المتصل بها نجس عند الشافعي وغيره لأنه جرح منها وقال مالك في رواية هو طاهر إلا أنه نجس بالمجاورة وكذلك أفضحة الميتة فيها الخلاف والمشهور عندهم أنها نجسة وقد أوردوا على أنفسهم أكل الصحابة من جن الجحش فقال القرطبي في التفسير ههنا يخاطب اللبن منها يسير ويعني عن قليل النجاسة إذا خالط الكثير من المائع وقد روى ابن ماجه من حديث سيف بن هرون عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سليمان رضي الله عنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السمك والجبن وانفرا فقال الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت عنه فهو مباح

يعني في زوال الدنيا وإقبال الآخرة (علكم تتفكرون) أي تعتبرون (يا أيها الذين آمنوا) أنفقوا من طيبات ما كسبتم أي من جيد ما كسبتم وخياره كذا قال الجمهور وقال جماعة أن معنى الطيبات هنا الحلال ولا مانع من اعتبار الأمرين جميعاً لأن جيد الكسب ومختاره إنما يطلق على الحلال عند أهل الشرع وإن أطلقه أهل اللغة على ما هو جيد في نفسه حلالاً كان أو حراماً فالحقيقة الشرعية مقدمة على الغوية قال علي بن أبي طالب ما كسبتم من الذهب والفضة وقال مجاهد من التجارة وقيل المواشي قيل وفيه دليل على إباحة الكسب وفي الحديث عن المقدم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ما أكل كل أحد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده أخرجه البخاري واختلف في المراد بالاتفاق فقيل الزكاة المفروضة لأن الأمر للوجوب وقيل صدقة التطوع وقيل الفرض والنفل جميعاً (ومما) أي من طيبات ما (أخر جناكم من الأرض) وحذف لدلالة ما قبله عليه وهي النباتات والمعادن والركاز وقال علي يعني من الحب والتمر وكل شيء عليه زكاة وقال مجاهد من الثمار وظاهر الآية يدل على وجوب الزكاة في كل ما يخرج من الأرض لكن الجمهور خصصوا هذا العموم وخصه الشافعي بما يزرعه الأعدميون ويقتات اختياراً وقد بلغ نصاباً وبشر النخل وتمر العنب وأبقاه أبو حنيفة على عمومها فوجبها في كل ما يقصد من نبات الأرض كالقواكه والبقول والخضراوات كالبطيخ والقثاء والخيار وأوجب في ذلك العشر قليلاً كان أو كثيراً والاولى وتفصيل ذلك في كتب الفروع (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) أي لا تقصدوا المال الردي وفي الآية الأمر باتفاق الطبيب والنهي عن اتفاق الخبيث وقد ذهب جماعة من السلف إلى أن الآية في الصدقة المفروضة وذهب آخرون إلى أنها تعم صدقة الفرض والتطوع وهو الظاهر وسبأني من الأدلة ما يؤيد هذا وتقديم الظرف يفيد التخصيص أي لا تختصوا الخبيث بالاتفاق أي لا تقصدوا المال الخبيث مخصصين بالاتفاق به قاصرين له عليه أخرجه الترمذي وصححه وابن ماجه وغيره ما عني البراء بن عازب قال نزلت فينا معشر الانصار كنا أصحاب نخل وكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثيره وقتله وكان الرجل يأتي بالقنور والقنورين فيعلقه في المسجد وكان أهل الصدقة ليس لهم طعام فكان أحدهم إذا جاع أتى القنور ففصر به بعصاه فيسقط البسر والترفأ كل وكان ناس من لا يرغب في الخير

عنه وكذلك حرم عليهم لحم الخنزير سواء ذكر أم مات حنف أنفق ويدخل شحمه في حكم لحمه ما تغلبا « يأتي

أو أن اللحم يشمل ذلك أو بطريق القياس على رأي وكذلك حرم عليهم ما أهل به لغير الله وهو ما ذبح على غير اسمه تعالى من الانصاب والانداد والازلام ونحو ذلك مما كانت الجاهلية يبحرون له وذكر القرطبي عن ابن عطاء أنه نقل عن الحسن البصري أنه سئل عن امرأة علمت عرس العجم فحترت فيه حرزور فقال لا تؤكل لأنهم ذبحت الصنم وأورد القرطبي عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت عما يذبح العجم لا يعادهم فيهدون منه للمسلمين فقالت ما ذبح لذلك اليوم فلا تأكلوا منه وكوا من أشجارهم ثم أباح تعالى

تناول ذلك عند الضرورة والاحتياج البها عند فقد غير حرام الاطعمة فقال من اضطر غير باغ ولا عادي في غير بغي ولا عدوان وهو مجاوزة الحد فلا اثم عليه أي في كل ذلك ان الله غفور رحيم وقال مجاهد في اضطر غير باغ ولا عادي فاطع السبل أو مفارقا للامعة أو خارجا في معصية الله فله الرخصة ومن خرج باغيا أو عاديا أو في معصية الله فلا رخصة له وان اضطر اليه وكذا روى عن سعيد بن جبير وقال سمعت في رواية عنه ومقاتل بن حيان غير باغ يعني غير مستحل وقال السدي غير باغ يعني فيه شهوته وقال آدم بن أبي اياس حدثنا حمزة عن عثمان بن عطاء وهو الخراساني عن أبيه (٣٥٧) قال لا يشوي من الميتة ليشتهي ولا يطبخه ولا يأكل الا العلقه ويحمل معه ما يبلغه الحلال فإذا بلغه ألقاه وهو قوله ولا عاد ويقول لا يعدو به الحلال وعن ابن عباس لا يشبع منه ما وفسره السدي بالعدوان وعن ابن عباس غير باغ ولا عاد قال غير باغ في الميتة ولا عاد في أكله وقال قتادة من اضطر غير باغ ولا عاد قال غير باغ في الميتة أي في أكله ان يعمد حلالا الى حرام وهو يجب دمه مندوحة وحكي القرطبي عن مجاهد في قوله من اضطر أي أكره على ذلك بغير اختياره (مسئله) اذا وجد المضطر ميتة وطعام الغير بحيث لا قطع فيه ولا أذى فله لا يحل له أكل الميتة بل يأكل طعام الغير بغير خلاف كذا قال ثم قال واذا أكله والحالة هذه هل يضمن أم لا فيه قولان همار وايتان عن مالك ثم أورد من سنن ابن ماجه من حديث شعبة عن أبي اياس جعفر ابن أبي وحشية سمعت عباد بن شرحبيل العنزي قال أصابتنا عامنا خمسة فأتيت المدينة فأتيت حائطا فأخذت سنبلًا ففركته

بأني بالقنونه الشيب والحنف والقنود انكسر فيعلقه فانزل الله هذه الآية وفي الباب أحاديث وعن علي قال نزلت هذه الآية في الزكاة المفروضة وعن ابن عباس قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشترون الطعام الرخيص ويصدقون فانزل الله هذه الآية (ولستم بأخذيه) أي والحال انكم لا تأخذونه في معاملاتكم في وقت من الاوقات هكذا بين معناه الجمهور وقيل معناه ولستم بأخذيه ولو وجدته في السوق يباع (الآن) أي بان (تغمضوا فيه) هو من أغمض الرجل في أمر كذا اذا تساهل ورضي ببعض حقه وتجاوز وغض بصره عنه وقرئ بفتح التاء وكسر الميم مخففا وقرئ بضم التاء وكسر الميم مشددة والمعنى على الثانية الا أن تهمضوا سواها من البائع منكم وعلى الثالثة الا ان تأخذوا بنقصان قال ابن عطية وقراءة الجمهور وهي الاولى تخرج على التجاوز وعلى تغميض العين لان أغمض غمض أو على ان الابعى حتى أي حتى تأتوا غامضان التأويل والنظر في أخذ ذلك والانغماض يطلق على كل من التساهل في الشيء واطباق جفن العين واذا عرفت هذا عرفت ان لا حاجة لدعوى المجاوزة والكفاية التي قالها بعضهم والمعنى لستم بأخذيه في حال من الاحوال الا في حال الانغماض (واعلموا أن الله غني) عن صدقاتكم لم يأمركم بالتصدق (١) اعوز واحتياج اليها ان لنفعلكم بها واحتياجكم لشواها فيمنع بغي لكم أن تحرقوا فيها الطيب (جيد) محمود في أفعاله على كل حال من التعذيب والاثابة (الشيطان يعدكم الفقر) قد تقدم معنى الشيطان واشتقاقه ويعدكم معناه يخوفكم بالفقر ائلا تنفقوا هذه الآية متصلة بما قبلها وقرئ الفقر بضم الفاء وهي لغة قال الجوهري والفقر لغة في الفقر مثل الضعف والضعف (ويأمركم بالفحشاء) أي الخصلة الفحشاء وهي المعاصي والانفاق فيها والجنس عن الانفاق في الطاعات قال في الكشف والفاحش عند العرب الجنس انتهى ولكن العرب وان أطلقته على الجنس فذلك لا ينافي اطلاقهم على غيره من المعاصي وقد وقع كثير في كلامهم والمعنى يحسن لكم الجنس ومنع الزكاة والصدقة قال الكلبي كل فحشاء في القرآن فالمراد به الزنا الا هذا الموضع (والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) بسبب الانفاق كقوله ان الحسنات يذهبن السيئات وقوله وما اتقتهن من شيء فهو يحلفه والوعدي كلام العرب اذا أطلق فهو في الخير واذا قيد فقد يقيس دارة بالخير وتاربا بالشر ومنه قوله تعالى

وأكلته وجعلت منه في كسائي فإصاحب الحائط فضر بني وأخذ ثوبي فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال للرجل ما أطعمته اذ كان جائعا ولا ساعدا ولا علمته اذ كان جاهلا فأمره فرد اليه ثوبه وأمره ليوسق من طعام أو نصف وسق اسناد صحيح قوى جدد له شواهد كثيرة من ذلك حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الثمر المعلق فقال من أصاب منه من ذي حاجة بغيره غير متخذ خينة فلا شيء عليه الحديث وقال مقاتل بن حيان في قوله فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم فيما أكل من اضطرار وبلغنا والله أعلم انه لا يراد على ثلاث لقم وقال سعيد بن جبير غفور لما أكل من الحرام (١) العوز بفتحين درويش شيد ونايات شيد اه صراح

رحيم اذا حل له الحرام في الاضرار وقال وكيع اخبرنا الاعمش عن ابي الفخي عن مسروق قال من اضطر فلم يأكل ولم يشرب ثم مات دخل النار وهذا يقتضي ان كل الميتة للمضطر عزيمة لا رخصة قال ابو الحسن الطبري المعروف بالكاظمي رقيق الغزالي في الاشتغال وهذا هو الصحيح عندنا كالا فطار للمريض ونحو ذلك (ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم النار ولا يكاهم الله يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة قبيحا (٣٥٨) أصبرهم على السار ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا

النار وعد الله الذين كفروا ومنه أيضا ما في هذه الآية من تقييد وعد الشيطان بالنار وتقييد وعد الله سبحانه بالمغفرة والفضل والمغفرة المستمرة على عباده في الدنيا والآخرة لذنوبهم وكنارتها والفضل ان يخلف عليهم أفضل مما أنفقوا فيه وسع لهم في أرزاقهم وينعم عليهم في الآخرة بما هو أفضل وأكثروا أجل وأجل (والله واسع) أي غني قادر على اغنائكم واخلاف ما تنفقونه (عليهم) بانفاقكم لا تخفى عليه خافية عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ما من يوم يصبح فيه العباد الا وملاكان ينزلان يقول أحدهما اللهم أعط منفقنا خلفا ويقول الآخر أعط مسكنا خلفا أخرجه الشيخان وفي الباب أحاديث (بؤي الحكمة من يشاء) الحكمة هي العلم وقيل الفهم وقيل الاصابة في القول ولا مانع من الجمل على الجميع شيئا أو بدلا وقيل انها النبوة وقيل الخشية وقيل العقل وقيل الورع وقيل المعرفة بالقرآن وقيل الفقه في الدين وقيل التفكير في أمر الله وقيل طاعة الله والعمل بها وهذه الأقوال كلها قريب بعضها من بعض لان الحكمة مصدر من الاحكام وهو الاتفاق في عمل أو قول وكل ما ذكره نوع من الحكمة التي هي الجنس فكأن الله تعالى حكما وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم حكمه وأصل الحكمة ما يمنع من السفه وخوكل قبيح وعن ابن عباس قال الحكمة المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه وحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وامثاله وعنه قال انها القرآن يعني تفسيره وعنه انها الفقه في القرآن وعن أبي الدرداء انها قراءة القرآن والتفكير فيه وعن أبي العالية عن الكتاب والفهم به وبه قال النخعي وعن مجاهد هي الكتاب يؤتي اصابته من يشاء وعنه قال هي الاصابة في القول وعن أبي العالية ومطر الوراق قال هي الخشية (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) قرئ ومن يؤت الحكمة على البناء للفاعل وقراءة الجمهور على البناء للمفعول أي من أعطاه الله الحكمة أي العلم النافع المؤدي الى العمل الصالح فقد أعطاه خيرا عظيما قدره مجلد لا يحيط به الى السعادة الابدية والتسكير للتعظيم (وما يذكر إلا أولو الاباب) أي الذين عقلوا عن الله أمره ونهيه والاباب العقول واحدا باب وقد تقدم الكلام فيه وفيه من الترغيب في المحافظة على الاحكام الواردة في شأن الانسان لا يمتحن والجملة اما حال واما اعتراض تذييلي (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه) ما شرطية ويجوز ان تكون

في الكتاب اني شقاق بعيد) يقول تعالى ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب يعني اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم التي بأيديهم مما تشبهه بالرسالة والنبوة فكتموا ذلك لئلا تذهب رياستهم وما كانوا يأخذونه من العرب من الهدايا والتحف على تعظيمهم آبائهم خشوا لعنهم الله ان أظهروا ذلك أن يتبعه الناس ويتركوه فكتموا ذلك ابقاء على ما كان يحصل لهم من ذلك وهو نزيه سير فباعوا أنفسهم بذلك واعتاضوا عن الهدى واتباع الحق وتصديق الرسول والايمان بما جاء عن الله بذلك النذر اليسير نخبوا وخسروا في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فان الله أظهر لعباده صدق رسوله بما نصبه وجعله معه من الايات الظاهرات والدلائل القاطعات فصدقه الذين كانوا يخافون أن يتبعوه وصاروا عوناً له على قتالهم وباؤا بغضب على غضب وذمهم الله في كتابه في غير موضع فمن ذلك هذه الآية الكريمة ان الذين يكتمون ما أنزل الله من

الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا وهو عرض الحياة الدنيا أولئك ما يأكلون في بطونهم النار أي انما يكون موصولة ما يأكلونه في مقابلة كتمان الحق نار اتأجج في بطونهم يوم القيامة كما قال تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا وفي الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الذي يأكل أو يشرب في آية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نارا جحيم وقوله ولا يكاهم الله يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم وذلك لانه تعالى غضبان عليهم لانهم كتموا وقد علموا فاستحقوا الغضب فلا ينظر اليهم ولا يزكهم أي يثني عليهم ويمدحهم بل يعذبهم عذابا أليما وقد ذكر ابن أبي

حاتم وابن مردويه ههنا حديث الاعمش عن ابي حازم عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم شيخ زان ومالك كذاب وعائل مستكبر ثم قال تعالى خبرا عنهم أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى أى اعتاضوا عن الهدى وهو نشر ما في كتبهم من صفة الرسل وذكريبعثه والبشارة به من كتب الانبياء وأتباعه وتصديقه استبدلوا عن ذلك واعتاضوا عنه الضلالة وهو تكذيبه والكفر به وكتبا صفاته في كتبهم والعذاب بالمغفرة أى اعتاضوا عن المغفرة بالعذاب وهو ما عايطوه من أسبابه المذكورة وقوله تعالى (٢٥٩) فأصبرهم على النار يخبر تعالى انهم في عذاب

شديد عظيم هائل يتعجب من رأيهم فيها من صبرهم على ذلك من شدة ما هم فيه من العذاب والشكال والاعلال عما ذاب الله من ذلك وقيل معنى قوله فأصبرهم على النار أى فأدومهم لعمل المعاصي التى تنفضي بهم الى النار وقوله تعالى ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق أى انما استحقوا هذا العذاب الشديد لان الله تعالى أنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الانبياء قبله كتبه بحقيق الحق وباطال الباطل وهؤلاء اتخذوا آيات الله هزوا فكتبهم يأمرهم باظهار العلم ونشره خالفوه وكذبوه وهذا الرسول الخاتم يدعوهم الى الله تعالى ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وهم يكذبونه ويخالفونه ويحجبونه ويكتمون صفته فاستهزؤا بآيات الله المنزلة على رسوله فلهم هذا العذاب والشكال ولهذا قال ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لى شقاق بعييد (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب

موصولة والعائد محذوف أى الذى نفقته وهذا بيان لحكم كل عام يشمل كل صدقة مقبولة وغير مقبولة وكل نذر مقبول وغير مقبول وفيه معنى الوعد ان نفق ونذر على الوجه المقبول والوعيد لمن جاء بعكس ذلك ووجد الضمير مع كونه مرجعه شيئين هما النفقة والنذر لان التقدير وما أنفقتم من نفقة فان الله يعلمها أو نذرتهم من نذر فان الله يعلمه ثم حذف أحدهما استغناء بالآخر قاله النحاس وقيل انما كان العطف فيه بكلمة أو كما في قولك زيد أو عمر وفانه يقال أكرمته ولا يقال أكرمتهما والاولى أن يقال ان العطف بأو يجوز فيه الامر ان لو حيد الضمير كما في هذه الآية وفي قوله تعالى واذا رآوا تجارة أولهوا انفضوا اليها وقوله ومن يكسب خطيئة أو عاثم يرم به بريئا وتثنيته كما في قوله تعالى ان يكن غنياً وفقيراً فانه اولى بهم ما ومن الاول في العطف بالواو وقوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها وقيل اذا واحد الضمير بعد ذكر شيئين أو أشياء فهو بتأويل المذكور أى فان الله يعلم المذكور وبه جزم ابن عطية ورجحه القرطبي وذكريبعثه كثير من النخبة في مؤلفاتهم (وما للظالمين) انفسهم بما وقعوا فيه من الاثم بخالفه ما امر الله به من الانفاق في وجوه الخير (من انصار) ينصرونهم ويمنعونهم من عقاب الله بما ظلموا به انفسهم والاولى الحمل على العموم من غير تخصيص بما يفهمه السياق أى ما للظالمين بأى مظلمة كانت من أنصار وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نذر الطاعة والمعصية في الصحيح وغيره ما هو معروف بقوله صلى الله عليه وآله وسلم لا نذر في معصية الله وقوله من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصيه فلا يعصه وقوله النذر ما استغنى به وجه الله وثبت عنه في كفارة النذر ما هو معروف (ان تبدوا الصدقات فنعسها) وان تحفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم في هذا نوع تفصيل لما اجل في الشرطية المتقدمة ولذا ترك العطف بينهما أى ان تطهروا الصدقات فنعم شيئاً اظهرها وان تحفوها وتصيبوها مصارفها من الفقراء فالأخفاء خير لكم وقد ذهب جمهور من المفسرين الى أن هذه الآية في صدقة التطوع لا في صدقة الفرض فلا فضيلة للاخفاء فيها بل قد قيل ان الاظهار فيها أفضل وقالت طائفة أن الاخفاء أفضل في الفرض والتطوع عن ابن عباس قال جعل السر في التطوع بفضل علانيتهما سبعين ضعفاً وجعل صدقة الفريضة علانيتهما أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفاً وكذا جميع الفرائض والنوافل في

ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين وفى المال على حسنة ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى الباساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) اشملت هذه الآية الكريمة على جل عظيمة وقوا عديمة وعقيدة مستقيمة كما قال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا عبيد بن هشام الحلبي حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عاصم بن شنى عن عبد الكريم عن مجاهد عن ابي ذر انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الايمان فتلا عليه ليس البر أن تولوا وجوهكم الى آخر الآية قال ثم سأله أيضاً فتلاها

عليه ثم سأل فقال اذا عملت حسنة اجمع اقليل واذا عملت سيئة ابغض اقليل وهذا منقطع فان مجاهد الميزاني قد ذكر انه مات قديما
وقال السعدي حدثنا القاسم بن عبيد الرحمن قال سمعت رجلا يقول ما لايمان فقر اعطيه هذه الآية ليس ان يقرأها
وجوهكم حتى فرغ منها فقال الرجل ليس عن البرمالة فقد انبؤوا رجلا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عما سألني
عنه فقرأ عليه هذه الآية فاني ان يرضي كما أتيت ان ترضي فقد ارسول الله صلى الله عليه وسلم وأشار بيده المؤمن اذا عمل حسنة
سره وزج ثوابها واذا عمل سيئة آخرتها (٣٦٠) وخاف عقابها ورواه ابن مردويه وهذا ايضا منقطع والله اعلم وما

الكلام على تفسير هذه الآية
فان الله تعالى لما أمر المؤمنين
أولاد التوراة ان يأتوا بالمقدس ثم
حولهم الى الكعبة شق ذلك على
نفوس طائفة من أهل الكتاب
وبعض المسلمين فأرسل الله تعالى بيان
حكمته في ذلك وهو ان المراد انما
هو طاعة الله عز وجل وامثل
أوامره والتوجه حيثما وجهه
اتباع ما شرع فيه هذا امر البر
والنقوى والايمان الكامل وليس
في لزوم التوجه الى جهة من المشرق
أو المغرب بولا طاعة ان لا يمكن
أمر الله وشرعه ولهذا قال ليس
البر ان يقرأ وجوهكم قبل المشرق
والمغرب ولكن البر من آمن بالله
واليوم الآخر الآية كما قال في
الاضاحي واليسديا لمن سأل الله
مذمبا ولا دعاها ولكن سأل الله
النقوى منكم وقال العوفي عن
ابن عباس في هذه الآية ليس البر
ان تصلوا ولا تعملوا فهذا حين
تتول من مكة الى المدينة ونزلت
الفراتن والحدود فأمر الله
بالفراتن وعمل بها وروى عن
الغزالي ومقاتل خوذك وقد

والشاهد كونه او عنه في الآية قال كان هذا العمل قبل ان يقرن برأه فقامت برأه بقران
الصدقات وتقصيلها انتهت الصدقات اليها وعنه قال هذا منسوخ وقول في أموالهم
حق معكم السائل واخرهم قال منسوخ تسبح كل صدقة في القرآن الآية التي في سورة
التوبة انما الصدقات للفقراء وقد ورد في فضل صدقة السرا حديث صحيحة مرفوعة
(وفاقر عتكم من مائة تمكهم) عن تبعض أي شيئا من سياتكم لان تصدقات
لا تكثر جميع السيات كذا تدبره أبو البقاء وحكي الطبري عن فرقة منهم زائدة وذلك على
رأى لا تحسن قال ابن عطية وقد سئل عن قول الله تعالى أي من أجرت ذنوبكم
وهذا ضعيف والسيات جمع سيئة وزعم القليل انها نسبية أي من أجرت ذنوبكم
سياتكم (والله بما تعملون خبير) يعني من خيرا والصدقات واحدا لها وفيه ترغيب
في الاسرار (ليس عليت هذا هم) أي ليس بواجب عليت ان يجعلهم منسدين قابلين
أمر واية من هو اعنه فان يدي مصدر مضاف ممنوع أوليس عليت أن يستدوا فيكون
مضافا لغيره (ولكن الله يهدي من يشاء) هداية توصل الى المضروب وهذه الجملة معترضة
وفيها الالتفات وعن ابن عباس قال كانوا يكرهون أن يرفعوا لانسابهم من المشركين
فقرئت هذه الآية الى آخره فرخص لهم وفي السبب آثار عن الصحابة والتابعين
(وم تفتقروا من خير قد تفسكم) أي كل ما يصدق عليه اسم الخير كما قلنا نحن ونوعلي كافر
ولكن هذا في غير صدقة الفرض (وما تفتقروا الا انتم عوجهاه) استثناء من أعهم العلى
أي لا تفتقروا الفرض الا لي هذا الفرض ثم بين ان المنفعة للعبد بها المقبولة انما هي
ما كانت لا تنفع وجهه الله سبحانه قال الزجاج هذا من المؤمنين وقال بعضهم تفتقت
على شرا خلق الله لكان لك ثواب تفتقت ويرد حديث لا يأكل طعم من الاثني وأجمع
العلم اعلى انه لا يجوز صرف الزكاة الى المسلمين وجوز أبو حنيفة صرف صدقة الفطر
ان اعلى النعمة وحسنه ما في العلم في ذلك (وم تفتقروا من خير يوفىكم) أي يوفى (يكم)
أجره وثوابه على الوجه الذي تقدم ذكره من التضعيف قال عطاء الخراساني اذا أعطيت
لوجه الله فلا عليت ما كان عليه (واتم لا تعلمون) أي لا تقصون شيئا من ثواب أعمالكم
(الفقراء الذين أحصروا في مثل الله) بالغزوة وأخيه ذو قبيصة من مصرف الصدقات
واختاره ابن الأباري قال ابن عباس هم أصحاب الصدقة يعني فقراء المهاجرين كانوا يفتقروا

أبو العالية كانت اليهود تقبل قبل المغرب وكانت النصراني تقبل قبل المشرق فقال الله تعالى ليس البر ان
تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب يقول هذا كلام الايمان وحقيقته العمل وروى عن الحسن بن سعيد بن أنس عن
مجاهد ولكن البر ما أتيت في الغزوة من طاعة الله عز وجل وقال الغزاة ولكن البر والنقوى ان تولوا الشرائع على وجوهها
وقال الثوري ولكن البر من آمن بالله الآية قال هذه أنواع البر كذا وصدق وجه الله فان من اتصف بهذه الآية فقد دخل في عرى
الاسلام كذا وأخذ بجامع آخره وهو الايمان بالله وانه لا اله الا هو وصدق بوجوه الملائكة الذين هم مفرقة بين الله ورسوله وسلك

وهو اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء على الانبياء حتى خفت بأشرفها وهو القرآن المهين على ما قبله من الكتب الذي انتهى اليه كل خير واشتد على كل سعادة في الدنيا والآخرة ونسخ به كل ما سواه من الكتب قبله وآمن بأبياء الله كلهم من أولهم الى خاتمهم محمد صلات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وقوله وآتى المال على حبه أى أخرجه وهو يحب ليراعب فيه نص على ذلك ابن مسعود وسعيد بن جبير وغيرهما من السلف والخلف كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً أفضل الصدقة ان تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر وقد روى الحاكم (٣٦١) في مستدركه من حديث شعبة والثوري

عن منصور عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وآتى المال على حبه ان تعطيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (قلت) وقد رواه وكيع عن الأعمش وسفيان عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود موقوفاً وهو أصح والله أعلم وقال تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً اتانا بكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً وقال تعالى ان تناولوا البر حتى تنفقوا مما يحبون وقوله ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة نعط آخرافهم من هذا وهوانهم آثروا بما هم مضطرون اليه وهؤلاء أعطوا وأطعموا ما هم محبوبون له وقوله ذوى القربى وهم قرابات الرجل وهم أولى من أعطى من الصدقة كما ثبت في الحديث الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذوى الرحم ثمان صدقة وصلة فهم أولى الناس بك وبرك واعطائك وقد أمر الله تعالى

أربعمائة رجل لم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشاير وكفوا يارون الى صفة في المسجد يعلمون القرآن بالليل وهم الذين حبسوا أنفسهم على الجهاد خاصة وعلى طاعة الله عامة قيل منعوا عن التكسب لما هم فيه من الضعف (لا يستطيعون ضرباً في الارض) للتكسب بالتجارة والزراعة ونحو ذلك بسبب ضعفهم قال مجاهد هم مهاجرو قريش بالمدينة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمروا بالصدقة عليهم وقال سعيد بن جبير هم قوم أصابهم الجراحات في سبيل الله فصاروا زمنى فجعل لهم في أموال المساكين حقاً وقيل كل من تصف بالفقر وما ذكره (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) ذكر سبحانه من صفة أولئك الفقراء ما يوجب الخنوع عليهم والشفقة بهم وهو كونهم متعففين عن المسئلة واطهار المسكنة بحيث ينظرون الجاهل بهم ومن لم يختبر حالهم انهم أغنياء والتعفف تفعل من العفة وهو بناء مبالغة من عفا عن الشيء اذا أمسك عنه وتزهد عن طلبه وفي يحسبهم لغتان فتح السين وكسرها قال أبو علي الفارسي والنسخ أقيس لان العين من الماضى مكسور فبايها أن تأتي في المضارع مفتوحة فالقراءت بالكسر على هذا حسنة وان كانت شاذة ومن لا بداء الغاية وقيل لبيان الجنس (تعرفهم) أى تعرف فقرهم (بسيماهم) أى برئائهم ثيابهم من الضر وصفة أولائهم من الجوع وضعف أبدانهم من الفقر وكل ما يشعر بالفقر والحاجة وقيل التواضع والخضوع والاول أولى والخطاب اما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول كل من يصلح للمخاطبة والسيما مقصورة العلامة وقد تدو هي مقبولة لانها مشتقة من الوسم فهي من السمة أى العلامة (لا يسألون الناس الخافاً) الخاف الاحاح في المسئلة وهو مشتق من الخاف سعى بذلك لاشتماله على وجوه الطلب في المسئلة كاشتمال الخاف على التغطية والمعنى انهم لا يسألونهم البتة لاسؤال الخاح ولا سؤال غـبر الخاح وبه قال الطبري والراجح واليه ذهب جمهور المفسرين ووجهه ان التعفف صفة ثابتة لهم لا تفارقهم ومجرد السؤال يناهيا وقيل المراد انهم اذا سألوا سألوا بتلطف ولا يلحفون في سؤالهم وهذا وان كان هو الظاهر من توجه النفي الى القيد دون المقيد لكن صفة التعفف تنافيه وأيضاً كون الجاهل بهم يحسبهم أغنياء لا يكون الامع عدم السؤال البتة وثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس المسكين الذي ترده القرة

(٤٦ - فتح البيان ل) بالاحسان اليهم في غير موضع من كتابه العزيز واليتامى هم الذين لا كتب لهم وقد مات آباؤهم وهم ضعفاء صغار دون البلوغ والقدرة على التكسب وقد قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن جويرير عن الضحاك عن التزال بن سبرة عن علي بن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يتم بعد حلم والمساكين وهم الذين لا يجدون ما يكفيهم في قوتهم وكسوتهم وسكاكهم فيعطون ما يستدبه حاجتهم وخلتهم وفي الصحيحين عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده القرة والقرتان واللقمة واللقمة وليكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يقطن له فيصدق عليه وابن السبيل وهو

المسافر المجتاز الذي قد فرغت نفسه فاعطى ما يوصله الى بلده وكذا الذي يريد سفره في طاعة فيعطى ما يكفيه في ذهابه وايابه ويدخل في ذلك الضيف كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس انه قال ابن السبيل هو الضيف الذي ينزل بالمسلمين وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبيرة وأبو جعفر البقر والحسن وقادة والنجاشي والزهري والريبع بن أنس ومقاتل بن حيان والسائلين وهم الذين يتعرضون للطلب فيعطون من الزكوات والصدقات كما قال الامام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن قال لا أحدنا سفيان عن مصعب بن محمد عن يعلى بن أبي يحيى عن فاطمة (٣٦٢) بنت الحسين عن أبيها قال عبد الرحمن حسين بن علي قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على فرس رواه أبو داود وفي الرقاب وهم الممسكون الذين لا يجردون ما يؤدونه في كتابتهم وسباني الكلام على كثير من هذه الاصناف في آية الصدقات من براءة ان شاء الله تعالى وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا شريك عن أبي حنيفة عن الشعبي حدثتني فاطمة بنت قيس انها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المال حق سوى الزكاة قالت لا على وآتى المال على حبه ورود ابن مردويه من حديث آدم بن أبي اياس ويحيى بن عبد الحميد كلاهما عن شريك عن أبي حنيفة عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المال حق سوى الزكاة ثم قرأ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الى قوله في الرقاب وأخرج ابن ماجه والترمذي وضعف أبا حنيفة ميمونا الاوروق ورواه مسيار وسعيد بن سالم عن الشعبي وقوله

والقرتان واللقمة واللقمة انما للمسكين الذي يتعفف واقرؤا ان شئتم لا يسألون الناس الخافا وقد ورد في تحريم المسئلة أحاديث كثيرة الا من ذى سلطان أو في أمر لا يجدر منه بد (وما تنفقوا من خير فان الله به عليم) أي يعلم مقادير الانفاق ويجازي عليه وفيه حديث على الصدقة والانفاق في الطاعة لاسماعيل هو لاء (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) يفيد زيادة رغبتهم في الانفاق وشدة حرصهم عليه حتى انهم لا يتركون ذلك لئلا يولاهم او يفعلونه سرا وجهرا عند ان تنزل بهم حاجة المحتاجين وتظهر لاهم فافقه المفتاين في جميع الازمنة على جميع الاحوال وعن ابن عباس بسند ضعيف قال نزلت في علي بن أبي طالب كانت عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا ودرهما سرا ودرهما علانية وفي الآية اشارة الى أن صدقة السر أفضل من صدقة العلانية لانه تعالى قدم نفقة الليل على نفقة النهار و قدم السر على العلانية وقيل نزلت في الذين يربطون الخيل للجهاد في سبيل الله لانهم يعلمون في هذه الاربعة الاحوال والاول أولى عن غريب المليك مر فوعا قال نزلت هذه الآية في أصحاب الخيل وقال أبو امامة الباهلي فيمن لا يربطها خيلاء ولا رياء ولا سمعة وعن ابن عباس قال هم الذين يعلمون الخيل في سبيل الله وقال قتادة هؤلاء قوم أنفقوا في سبيل الله الذي افترض عليهم في غير سرف ولا اطلاق ولا تبذير ولا فساد وقال سعيد بن المسيب نزلت في عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان في نفقتهم في جيش العسرة وكون ماذ كرسيا لنزولها لا يقتضي خصوص الحكم به بل العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (فلهم أجرهم عند ربهم) الفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعد ها وقيل هي للعطف (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أي يوم القيامة أو في الدارين الذين يأكلون الربوا) الربا في اللغة الزيادة مطلقا يقال ربا الشيء يربوا اذا زاد وفي الشرع يطلق على شيئين على ربا الفضل وربا النسيئة حسب ما هو مفصل في كتب الفروع وغالب ما كانت تفعله الجاهلية انه اذا حل أجل الدين قال من هو له من هو عليه أتقضى أم تربي فاذا لم يقض زاد مقدارا في المال الذي عليه وأخر له الاجل الى حين وهذا حرام بالاتفاق وقياس كتابة الربا بالياء للكسرة في أوله وقد كتبه في المحصف بالواو وليس المراد بالذين يأكلون الربا اختصاص هذا الوعيد بمن يأكله بل هو عام لكل من يعامل بالربا فإما أخذه فيعطيه وانما خص

واقام الصلاة وآتى الزكاة أي وأتم أفعال الصلاة في أوقاتها بركوعها وسجودها وطمأنينتها وخشوعها الاكل على الوجه الشرعي المرضي وقوله وآتى الزكاة يحتمل أن يكون المراد به زكاة النفس وتخليصها من الاخلاق الدنيئة الرذيلة كقوله قد أفلح من زكاهما وقد خاب من دساها وقول موسى لنزعونك الى أن تركي وأهديك الى ربك فتخشى وقوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ويحتمل أن يكون المراد زكاة المال كما قاله سعيد بن جبيرة ومقاتل بن حيان ويكون المذكور من اعطاء هذه الجهات والاصناف المذكورة انما هو التطوع والبر والصلة ولهذا تقدم في الحديث عن فاطمة بنت قيس ان

في المال حقا سوى الزكاة والله اعلم وقوله والموفون بعهدهم اذا عاهدوا كقوله الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وعكس هذه الصفة النفاق كما صرح في الحديث آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اتفق خان وفي الحديث الاخر اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم خثر وقوله والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أى في حال الفقر وهو البأساء وفي حال المرض والاسقام وهو الضراء وحين البأس أى في حال القتال والنقاء الاعداء قاله ابن مسعود وابن عباس وأبو العالية ومرة الهمداني ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والربيع (٣٦٣) بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان

وأبو مالك والفتاك وغيرهم وانما نصب المصابرين على المدح والحث على الصبر في هذه الاحوال لشدة وضعفهم والله اعلم وهو المستعان وعليه التكلان وقوله أولئك الذين صدقوا أى هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين صدقوا في ايمانهم لانهم حققوا الايمان القلبي بالاقرار والافعال فهو لا هم الذين صدقوا وأولئك هم المتقون لانهم اتقوا المحارم وفعلوا الطاعات (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ولكم في القصاص حياة يا أيها الالهاب لعليكم تتقون يقول تعالى كتب عليكم العدل في القصاص أيها المؤمنون حرّم بجرّم وعبدكم بعبدكم وأنثاكم بأنثاكم ولا تتجاوزوا وتعتدوا كما اعتدى من قبلكم وغير واحكم الله فيهم وسبب ذلك قرينة والنصير

الا كل لزيادة التشنيع على فاعله ولكونه هو الغرض الالهم فان أخذ الرابعا انما أخذ للكل عن جابر قال لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آكل الربا وموكله وكتابه وشاعبه رواه مسلم (لا يقيمون) أى يوم القيامة من قبورهم وبهذا فسر جمهور المفسرين قالوا انه يبعث الجنون عقوبة له وتقينا عند أهل الحديث وقيل ان المراد تشبيه من يخرس في تجارته فيجمع ماله من الربا بقيام الجنون لان الحرص والطمع والرغبة في الجمع قد استقرت حتى صار شبيها في حركته بالجنون كما يقال لمن يسرع في مشيه ويضطرب في حركته انه قد جر (الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) أى يصصره وأصل الخبط الضرب بغير استواء كخبط العشواء وهو المصروع والمس الجنون والمسوس الجنون وكذلك الاول قال سعيد بن جبير تلك علامة آكل الربا اذا استحل يوم القيامة وفي الآية دليل على فساد قول من قال ان الصرع لا يكون من جهة الجن وزعم انه من فعل الطباع وقال ان الآية خارجة على ما كانت العرب تزعمه من أن الشيطان يصرع الانسان وليس بصحيح وان الشيطان لا يسلك في الانسان ولا يكون منه مس وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أن يتخبطه الشيطان كما أخرجه النسائي وغيره وقد وردت أحاديث كثيرة في تعظيم ذنب الربا منها حديث عبد الله بن مسعود عند الخاصكم وصححه والبيهقي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الربا ثلاثة وسبعون بابا أيسر هام مثل أن ينسج الرجل أمه وان أربى الربا عرض الرجل المسلم وورده هذا المعنى مع اختلاف العدد عن جماعة من الصحابة وورد عن جماعة منهم ان آخر آية أنزلها على رسوله آية الربا (ذلك بأنهم قالوا) ذلك إشارة الى ما ذكر من حالهم وعقوبتهم بسبب قولهم (انما البيع مثل الربوا) أى انهم جعلوا البيع والربا بشيا واحدا أى اعتقدوا مدلول هذا القول وفعلوا مقتضاه أى ذلك العقاب بسبب انهم نظمو الربا والبيع في سلك واحد لافضاهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين وانما شبهوا البيع بالربا بمبالغة بجعلهم الربا أصلا والبيع فرعاً أى انما البيع بلا زيادة عند حلول الاجل كالبيع بزيادة عند حلوله فان العرب كانت لا تعرف ربا الا ذلك وهذا من عكس التشبيه بمبالغة وهو أعلى مراتبه فجاء قولهم القمركوجه زيد والبحر ككنه اذ صار المشبه مشبها به فرد الله عليهم بقوله (وأحل الله البيع وحرم الربوا) أى ان الله تعالى

كانت بنوا النضير قد غزت قرية في الجاهلية وقهرهم وهم فكان اذا قتل النضري القرظي لا يقتل به بل يصادى بمائة وسق من التمير واذا قتل القرظي النضري قتل وان قاده فدية بمائتي وسق من التمير ضعف دية القرظي فأمر الله بالعدل في القصاص ولا تتبع سبيل المفسدين المخرفين المخالفين لاحكام الله فيهم كفر أو بغيا فقال تعالى كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى وذكري سبب نزولها مارواه الامام أبو محمد بن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني عبد الله بن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قول الله يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى يعني اذا

بأن عمدا الحرب بالحر وذلك ان حين من العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الاسلام بقليل فكان بينهم قتل وجراحات حتى قتلوا العبد والنساء فبأخذ بعضهم من بعض حتى أساءوا فحارن أسد الحيين يتناول على الآخر في العدة والاموال خلفوا أن لا يرضوا حتى يقتل بالعبد من الحر منهم والمرأة من الرجل منهم قتل فيهم الحرب بالحر والعبد بالعبد والاني بالاني منهم من سخرة نسيخها النفس بالنفس وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله والاني بالاني وذلك انهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة ولكن يقتلون الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة فأمر الله النفس بالنفس (٣٦٤) والعين بالعين فجعل الاحرار في القصاص سواء فيما بينهم من العمد

رجالهم ونسأؤهم في النفس وفيما دون النفس وجعل العبيد مستوين فيما بينهم من العمد في النفس وفيما دون النفس رجالهم ونسأؤهم وكذلك روى عن أبي مالك انهم امنوا بخرقة بقوله النفس بالنفس * (مسئلة) * ذهب أبو حنيفة الى أن الحرية تقتل بالعبد لعدم آية المائدة والسيد ذهب الثوري وابن أبي ليلى وداود وهو مروي عن علي وابن مسعود وسعيد بن المسيب وابراهيم النخعي وقتادة والحكم قال البخاري وعلي بن المسيب وابراهيم النخعي والثوري في رواية عنه ويقتل السيد بعبد لعدم حديث الحسن عن سمرة من قتل عبده قتلناه ومن جدد عبده جددناه ومن خصاه خصيناه وخالفهم الجمهور فقالوا لا يقتل الحر بالعبد لان العبد سبعة لوقتل خطا لم يجب فيه دية وانما تجب فيه قيمته ولانه لا يقاد بغيره ففي النفس بطريق الاولى وذهب الجمهور الى أن المسلم لا يقتل بالكافر لما ثبت في البخاري عن علي قال قال رسول

أحل البيع وحرم نوعان أنواعه وهو البيع المشتمل على الربا الذي هو زيادة في المال لاجل تأخير الاجل والبيع مصدر باع يبيع أي دفع عوضا وأخذ عوضا وقد ذكر المفسرون في هذا المقام سبب تحريم الربا واختلاف اهل العلم في عللها وأحكامها ومسائل القرض وانما محلها كتب الفروع (فمن جاءه موعظة من ربه) أي من بلغته موعظة من الله من المواعظ التي تشتمل عليها الاوامر والنواهي ومنها ما وقع هناك من النهي عن الربا والموعظة والعظة والوعظ معناها واحد وهو الزجر والتخويف وتذكير العواقب والاتعاظ القبول والامثال (فانتهى) عن أكله أي فامتنع النهي الذي جاء وانزجر عن النهي عنه واتعظ وقيل (فله ماسلف) أي ما تقدم منه من الربا لا يؤاخذ به لانه فعله قبل أن يبلغه تحريم الربا وقبل ان تنزل آية تحريم الربا (وأمره) أي أمر الربا (الى الله) في تحريمه على عباده واستمرار ذلك التحريم وقيل الضمير عائدا الى ماسلف أي أمره الى الله في العفو عنه واستقاط التبعة فيه وقيل الضمير يرجع الى المربي أي أمر من عامل بالربا الى الله في تشييته على الانتماء أو الرجوع الى المعصية وقيل ان شاء عبده وان شاء عفا عنه (ومن عاد) الى أكل الربا والمعاملة به (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) الاشارة الى من عاد وجع أصحاب باعتبار معنى من وقيل ان معنى من عاد هو ان يعود الى القول بانما البيع من الربا وانما يكفر بذلك فيستحق الخلود وعلى التقدير الاول يكون الخلود مستعارا على معنى المبالغة كما تقول العرب ملك خالد أي طويل البقاء والمصير الى هذا التأويل واجب للاحاديث المتواترة القاضية بخروج الموحدين من النار قال سعيد ابن جبيرة خالدون يعني لا يموتون (يحقق الله الربا) أي يذهب بركته في الدنيا وان كان كثيرا فلا يبقى بيد صاحبه وقيل يحقق بركته في الآخرة قال ابن عباس لا يقبل الله منه صدقة ولا جناحا ولا جهادا ولا صلة (ويربى الصدقات) أي يزيد ها ويثرها يعني يزيد في المال الذي أخرج صدقته وقيل يسارك في ثواب الصدقة ويضاعفه ويزيد في أجر المصدق ولا مانع من جل ذلك على الامر من جميعا وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة عن فروة عن تصديق بعدل مرة من كسب طيب ولا يقبل الله الاطيبا فان الله يقبلها بيمينه ثم يريها لصاحبها كما يري أحدكم فلو أنه حتى تكون مثل الجبل وزاد في حديث عائشة وابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ هذه الآية واخرج

الله صلى الله عليه وسلم لا يقتل مسلم بكافر ولا يصح حديث ولا تأويل يخالف هذا وأما أبو حنيفة فذهب الى أنه الظاهر ان يقتل به لعدم آية المائدة * (مسئلة) * قال الحسن وعطاء لا يقتل الرجل بالمرأة لهذه الآية وخالفهم الجمهور لآية المائدة ولقوله عليه السلام المسلمون متكافؤا ماؤهم وقال الليث اذا قتل الرجل امرأته لا يقتل بها خاصة (مسئلة) ومذهب الائمة الاربعة والجمهور ان الجماعة يقتلون بالواحد قال عمر في غلام قتل سبعة فقتلهم وقال لوقم لا عليه أهل صنعاء لقتلتهم ولا يعرف له في زمانه مخالف من الصحابة وذلك كالأجماع وحكي عن الامام أحمد رواية ان الجماعة لا يقتلون بالواحد ولا يقتل بالنفس الانفس واحدة

وحكاه ابن المنذر عن معاذ وابن الزبير وعبد الملك بن مروان والزهرى وابن سيرين وحبيب بن ابي ثابت ثم قال ابن المنذر وهذا الصحيح ولا جنة لمن أباح قتل الجماعة وقد ثبت عن ابن الزبير ما ذكرناه وإذا اختلفت الصحابة فسيلا النظر وقوله فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه باحسان قال مجاهد عن ابن عباس فمن عفى له من أخيه شيء فالعفو أن يقبل الدية في العمد وكذا روى عن أبي العالية وأبي الشعثاء ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء والحسن وقتادة ومقاتل بن حيان وقال الضحاك عن ابن عباس فمن عفى له من أخيه شيء يعنى فمن ترك له من أخيه شيء يعنى أخذ الدية بعبد (٣٦٥) استحقاق الدم وذلك العفو فاتباع بالمعروف

يقول فعلى الطالب اتباع بالمعروف إذا قبل الدية وأداء إليه باحسان يعنى من القاتل من غير ضرر ولا معك يعنى المدافعة وروى الحاكم من حديث سفيان عن عمرو بن مجاهد عن ابن عباس ويؤدى المطلوب باحسان وكذا قال سعيد ابن جبير وأبو الشعثاء جابر بن زيد والحسن وقتادة وعطاء الخراساني والريبع بن أنس والسدى ومقاتل بن حيان (مسئلة) قال مالك رحمه الله في رواية ابن القاسم عنه وهو المشهور وأبو حنيفة وأصحابه والشافعي وأحمد في أحد قولي له ليس لولى الدم أن يعفو على الدية الأبرضا القاتل وقال الباقر له أن يعفو عليهم وإن لم يرض (مسئلة) وذهب طائفة من السلف إلى أنه ليس للنساء عفو منهم الحسن وقتادة والزهرى وابن شبرمة والليث والاوزاعي وخالفهم الباقر وقوله ذلك تخفيف من ربكم ورحمة يقول تعالى إنما شرع لكم أخذ الدية في العمد تخفيفا من الله عليكم ورحمة

الطبراني عن أبي برزة الأسلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن العبد ليتصدق بالكسرة تروى عنده الله حتى تكون مثل أحد وهذه الأخبار تين معنى الآية يقال أرباه إذا زاده كما يؤخذ من القاموس ويستعمل لازما أيضا فيقال أربى الرجل إذا دخل في الربا (والله لا يحب) أى لا يرضى لأن الحب مختص بالتوأمين (كل كفار أثيم) فيه تشديد وتغلظ عظيم على من أربى حيث حكم عليه بالكفر ووصفه بأثيم للمبالغة وقيل لازالة الاشتراك إذ قد يقع على الزناح ويحتمل أن المراد بقوله كل كفار من صدرت منه خصلة توجب الكفر ووجه التصاقه بالمقام أن الذين قالوا انما البيع مثل الربا كفار وقد تقدم تفسير قوله (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم) قبل المراد به الذين آمنوا بتحريم الربا والعموم أولى والايان التصديق بالله ورسوله والعمل الصالح الذى أمرهم الله به ومن جعلته ترك الربا والصلاة والزكاة هما المفروضتان (ولا خوف عليهم) من مكروه يأتى في المستقبل (ولا هم يحزنون) على أمر محبوب فاتهم في الماضي (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله واذروا ما بقى من الربوا) أى قوا أنفسكم من عقابه واتركوا البقايا التى بقيت لكم من الربا وظاهره أنه أبطل من الربا ما لم يكن مقبوضا قال السدى نزات في العباس بن عبد المطلب ورجل من بنى المغيرة كانا شريكين في الجاهلية يسلفان الربا إلى ناس من ثقيف في الاسلام ولهما أموال عظيمة في الربا فنزل الله هذه الآية (ان كنتم مؤمنين) قيل هو شرط مجازى على جهة المقابلة وقيل ان بمعنى إذ قال ابن عطية وهو مردود لا يعرف في اللغة والظاهر ان المعنى ان كنتم مؤمنين على الحقيقة فان ذلك يستلزم امتثال أوامر الله ونواهيه (فان لم تفعلوا) يعنى ما أمرتم به من الاتقاء وترك ما بقى من الربا (فأذنبوا) قرئ بكسر الذا والمدة على وزن آمنوا ومعناه فأعلموا بها غيركم من آذن بالشئ إذا أعلم به وقيل هو من الأذن وهو الاستماع لانه من طرق العلم وقرئ بفتح الذا مع القصر ومعناه فأعلموا أنتم وأيقنوا (بحرب من الله ورسوله) قال ابن عباس يقال لا تكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب قال أهل المعاني الحرب هنا السيف وقيل المراد بهذه المحاربة المبالغة في الوعد والتهديد دون نفس الحرب وقيل بل نفس الحرب وذلك ان كان أكل الربا دأباً شوكاً لا ينزع عنه حتى على الامام أن يحاربه والاولى أولى وقد دلت هذه الآية على أن أكل الربا والعمل به من

بكم مما كان محتوما على الامم قبلكم من القتل أو العفو كما قال سعيد بن منصور حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار أخبرني مجاهد عن ابن عباس قال كتب على بنى اسرائيل القصاص في القتل ولم يكن فيهم العفو فقال الله لهذه الامة كتب عليكم القصاص في القتل الحرب بالحر والعبد بالعبد والاثني بالاثني فمن عفى له من أخيه شيء فالعفو أن يقبل الدية في العمد ذلك تخفيف مما كتب على بنى اسرائيل من كان قبلكم فاتباع بالمعروف وأداء إليه باحسان وقد روى غير واحد عن عمرو وأخيه ابن حبان في صحيحه عن عمرو بن دينار ورواه جماعة عن مجاهد عن ابن عباس بنحوه وقال قتادة ذلك تخفيف من ربكم رحم الله الامة وأطعمهم

الدية ولم يحل لأحد قبلهم فكان أهل التوراة انما هو القصاص وعقوبتكم بينهم ارش وكان أهل الانجيل انما هو عقو امر وابه وجعل لهذه الامة القصاص والعفو والارش وهكذا روى عن سعيد بن جبيرة ومقاتل بن حيان والريبع بن أنس نحو هذا وقوله فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم يقول تعالى فمن قتل بعد أخذ الدية أو قبولاها فله عذاب من الله أليم موجع شديد وهكذا روى عن ابن عباس ومجاهد وعطاء وعكرمة والحسن وقتادة والريبع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان انه هو الذي يقتل بعد أخذ الدية كما قال محمد بن اسحق عن الحرث (٣٦٦) من فضيل عن سعيد بن أبي العوجاء عن أبي شريح الخزاعي أن

النبي صلى الله عليه وسلم قال من أصيب بقتل أو جرح فانه يختار احدي ثلاث اما أن يقتص واما أن يعفو واما أن يأخذ الدية فان أراد الرابعة فخذوا على يديه ومن اعتدى بعد ذلك فله نار جهنم خالدا فيها رواه أحمد وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أعافي رجلا قتل بعد أخذ الدية يعني لا أقبل منه الدية بل أقتله وقوله ولكم في القصاص حياة يقول تعالى وفي شرع القصاص لكم وهو قتل القاتل حكمة عظيمة وهي بقاء المهج ووصونها لانه اذا علم القاتل انه يقتل انكف عن صنعه فكان في ذلك حياة للنفوس وفي الكتب المتقدمة القتل أني للقتل فحاش هذه العبارة في القرآن أفصح وأبلغ وأوجز ولكم في القصاص حياة قال أبو العالية جعل الله القصاص حياة فكم من رجل يريد أن يقتل فيمنعه مخافة أن يقتل وكذا روى عن مجاهد وسعيد بن جبيرة وأبي مالك والحسن وقتادة والريبع بن أنس ومقاتل بن حيان وأولى الباب لكم تتقون يقول يا أولى العقول والافهام والنهي الافراد

الكبائر ولا خلاف في ذلك وتنبه كبر الحرب للتعظيم وزادها تعظيما نسبتها الى اسم الله الاعظم والى رسوله الذي هو أشرف خلقه (وان تبتم) من الربا (فلكم رؤس أموالكم) تأخذونها دون الزيادة (لا تظلمون) غرماء كما باخذ الزيادة مستأنفة أو حال من الكافي لكم (ولا تظلمون) أنتم من قباهم بالمطل والنقص والجملة حاله أو استئنافية وفي هذا دليل على أن أموالهم مع عدم التوبة حلال لمن أخذها من الأئمة ونحوهم ممن يتوب عنهم (وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة) لما حكم سبحانه لأهل الربا رؤس أموالهم عند الواحدين للمال حكم في ذوى العسرة بالنظرة الى يسار والعسرة ضيق الحال من جهة عدم المال ومنه جيش العسرة والنظرة التأخير والميسرة مصدر بمعنى اليسر وارتفع ذوب كان اتمامه التي بمعنى وجدوه هذا قول سيويه وأبي علي الفارسي وغيرهما وفي مصنف أبي وان كان ذا عسرة على معنى وان كان المطلوب ذا عسرة وقرأ الاعمش وان كان معسرا قال النحاس ومكي والنقاش وعلى هذا يمتنع لفظ الآية بأهل الربا وعلى من قرأ ذو فهي عامة في جميع من عليه دين واليه ذهب الجمهور وقد وردت احاديث صحيحة في الصحيحين وغيرهما في الترغيب لمن له دين على معسر أن ينظره وفي ثواب انتظار المعسر والوضع عنه وتشديد أمر الدين والا امر بقضائه وهي معروفة يطول ذكرها والميسرة في اللغة اليسار والسعة (وان تصدقوا خير لكم) أي على معسري غرمائكم بالابرامن كل الدين أو بعضه وفيه الترغيب لهم بان يتصدقوا برؤس أموالهم على من أعسر وجعل ذلك خيرا من انتظاره قاله السدي وابن زيد والضحك قال الطبري وقال آخرون معنى الآية وان تصدقوا على الغني والفقير خير لكم والصحيح الاول وليس في الآية مدخل للغني (ان كنتم تعلمون) جوابه محذوف أي ان كنتم تعلمون انه خير لكم علمتم به وفي الحديث من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في نوره يوم لا ظل إلا ظله رواه مسلم (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله) هو يوم القيامة وتذكيره للتحويل وذهب قوم الى ان هذا اليوم المذكور هو يوم الموت وذهب الجمهور الى انه يوم القيامة كما تقدم قرئ ترجعون بفتح التاء أي تصيرون فيه الى الله وقرئ بضمها وفتح الجيم أي تردون فيه اليه (ثم توفى كل نفس) من النفوس المكلفة (ما كسبت) أي جزاء ما كسبت يعني عملت من خيرا أو شر (وهم لا يظلمون) أي في ذلك اليوم والجملة حاله وجع الضمير لانه أنسب بحال الجزاء كما كان

الافراد وقاتل بن حيان وأولى الباب لكم تتقون يقول يا أولى العقول والافهام والنهي الافراد لعلكم تنزحون وتتركون مجارم الله وما آثمه والتقوى اسم جامع لفعل الطاعات وترك المنكرات (كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقر بين المعروف فحقا على المتقين فن بقله بعد ما سمعه فاعلم انه على الذين يبدلون ان الله سميع عليم فمن خاف من موص جنتا أو انما فاصح بينهم فلا آثم عليه ان الله عفو رحيم) اشملت هذه الآية الكريمة على الامر بالوصية للوالدين والاقر بين المعروف واجبا على أصح القولين قبل نزول آية المواريث فلما نزلت آية الفرائض

نسخت هذه وصارت الموارث المقدرة فربضه من الله يأخذها أهلها احتسان غير وصية ولا تحمل منسبة الموصى ولهذا جاء في الحديث الذي في السنن وغيرهما عن عمرو بن خارجة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب وهو يقول ان الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث وقال الامام أحمد حدثنا اسمعيل بن ابراهيم بن عتبة عن يونس بن عبيد عن محمد بن سيرين قال جلس ابن عباس فقرأ سورة البقرة حتى أتى هذه الآية ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقرين فقال نسخت هذه الآية وكذا رواه سعيد بن منصور عن هشيم عن يونس به ورواه الحاكم في مستدركه (٣٦٧) وقال صحيح على شرطهما وقال علي بن

أبي طلحة عن ابن عباس في قوله الوصية للوالدين والاقرين قال كان لا يرث مع الوالدين غيرهما الا وصية للاقرين فأمر الله آية الميراث فبين ميراث الوالدين وأقر وصية الاقرين في ثلث مال الميت وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج بن محمد أخبرنا ابن جريح وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس في قوله الوصية للوالدين والاقرين نسختها هذه الآية للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقرين وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقرين مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا ثم قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن عمر وأبي موسى وسعيد بن المسيب والحسن ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير ومحمد بن سيرين وعكرمة وزيد بن أسلم والربيع بن أنس وقتادة والسدي ومقاتل بن حيان وطاوس وابراهيم التيمي وشريح والفتح والزهري ان هذه الآية منسوخة نسختها آية الميراث والعجب من أبي عبد الله محمد بن

الافراد أن نسب بحال الكسب وهذه الآية فيها الموعظة الحسنة لجميع الناس وفيه وعيد شديد وزجر عظيم عن ابن عباس قال آخر آية نزلت من القرآن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية وكان بين نزولها وبين موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحد وعشرون يوما وعن سعيد بن جبيرة عن عائشة رضي الله عنها وآله وسلم بعد نزولها تسع ليال ثم مات وقبل سبعا وقيل ثلاث ساعات ومات صلى الله عليه وآله وسلم ليلتين خلتا من ربيع الاول في يوم الاثنين حين زاعت الشمس سنة احدى عشرة من الهجرة قال الخفافى وكون هذه الآية آخر آية مذكور في كتب الحديث صحيح (بابها الذين آمنوا اذا نداء يفتحهم) هذا شروع في بيان حال المداينة الواقعة بين الناس بعد بيان حال الربا أى اذا دأب بعضكم بعضا وعاملهم بذلك سواء كان معطيا أو آخذاً وذكر الدين بعد ما يغنى عنه من المداينة لقصد التاكيد مثل قوله ولا طائر يطير بجناحيه وقيل انه ذكر ليرجع اليه الضمير من قوله فاكتبوه ولو قال فاكتبوا الدين لم يكن فيه من الحسن ما في قوله اذا تداينتم بدين والدين عبارة عن كل معاملة كان أحد العوضين فيها نقدا والاخر في الذمة نسبة فان العبد عند العرب ما كان حاضر والدين ما كان غائبا وقد بين الله سبحانه هذا المعنى بقوله (الى أجل مسمى) يعنى الى مدة معلومة الاول والاخر مثل السنة والشهر والاجل يلزم في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محل الاجل وقد استدل به على ان الاجل المجهول لا يجوز وخصوصا أجل السلم وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أسلف في عمر فليسلف في كيل معلوم الى أجل معلوم وقد قال بذلك الجمهور واشترطوا وقتيه بالايام أو الأشهر أو السنين قالوا ولا يجوز الى الحصاد أو الديار أو رجوع القافلة أو نحو ذلك وجوزه مالك قال ابن عباس لما حرم الربا أباح السلم (فاكتبوه) أى الدين باجلا يبعأ كان ذلك أو سلماً أو قرضاً لانه أدفع للنزاع وأقطع للخلاف قال ابن عباس نزلت يعنى هذه الآية في السلم في كيل معلوم الى أجل معلوم وأخرج البخاري وغيره عنه قال أشهد ان السلف المضخون الى أجل مسمى ان الله قد أحله وقرأ هذه الآية (ولو كتب بينكم كاتب) هو بيان لكيفية الكتابة المأمور بها وظاهر الامر الوجوب وبه قال عطاء والشعبي وابن جريح والتيمي واختاره محمد بن جابر الطبري وأوجبوا على الكاتب ان يكتب اذا طلب منه ذلك ولم يوجد كاتب سواه

عمر الرازي رحمه الله كيف حكى في تفسيره الكبير عن أبي مسلم الاصفهاني ان هذه الآية غير منسوخة وانما هي مفسرة بآية الموارث ومعناه كتب عليكم ما وصى الله به سنن توريث الوالدين والاقرين من قوله يوصيكم الله في أولادكم قال وهو قول أكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء قال ومنهم من قال انها منسوخة فيمن يرث ثابته فيمن لا يرث وهو مذهب ابن عباس والحسن ومسروق وطاوس والفتح ومسلم بن يسار والعلاء بن زياد (قلت) وبه قال أيضا سعيد بن جبير والربيع بن أنس وقتادة ومقاتل ابن حيان وليكن على قول هؤلاء لا يسمى هذا نسخا في اصطلاحنا المتأخر لان آية الموارث انما رفعت حكم بعض أفراد ما دل عليه

عموم آية الوصاية لأن الأقربين أعم من يرث ومن لا يرث فرفع حكمهم من يرث بجماعين له وبقي الأمر على ما دلّت عليه الآية الأولى وهذا انما يتأتى على قول بعضهم أن الوصاية في ابتداء الإسلام إنما كانت مذباحة نسخت فأما من يقول أنها كانت واجبة وهو الظاهر من سياق الآية فيستعين أن تكون منسوخة بآية الميراث كما قاله أكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء فإن وجوب الوصية للوالدين والأقربين الزايرين منسوخ بالاجماع بل منهي عنه الحديث المتقدم أن الله قد اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث فآية الميراث حكم مستقل ووجوب (٣٦٨) من عند الله لأهل القروض والعصبات رفع بها حكم هذه الكمية بقي

الأقارب الذين لا ميراث لهم يستحب له أن يوصي لهم من الثلث استئناسا بآية الوصية وشمولها ولما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده قال ابن عمر ما مررت على ليلته منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا وعندي وصيتي والآيات والاحاديث بالامر ببر الأقارب والاحسان اليهم كثيرة جدا وقال عبيد بن حميد في مسنده اخبرنا عبد الله عن مبارك بن حسان عن نافع قال قال عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يا ابن آدم نتان لم يكن لك واحدة منهم ما جعلت لك نصيبا في مالك حين أخذت بكظمك لا تظهرك به وأزكك وصلاة عبادي عليك بعد انقضاء اجلك وقوله ان ترك خيرا اى ما لا قاله ابن عباس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وابو العالية وعطية العوفي والضحالك والسدي والزبيع بن انس ومقاتل بن حيان

وقيل الامر للندب والاستحباب وبه قال الجمهور (بالعدل) صفه لكاتب أى كاتب كائن بالعدل أى يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص ولا يميل الى أحد الجانبين وهو أمر للمتدائنين باختيار كاتب متصف بهذه الصفة لا يكون في قلبه وقلمه هوادة لاحد منهما على الآخر بل يتحرى الحق بينهم والمعدلة فيهم (ولا ياب كاتب ان يكتب كما علمه الله) التكررة في سياق النفي مشددة بالعموم أى لا يتسع أحد من الكتاب من ان يكتب كتاب التدوين على الطريقة التي علمه الله من الكتابة أو كما علمه الله بقوله بالعدل (فليكتب) بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم أو أجل ولا تأخير بل يكتب ما يصلح ان يكون حجة عند الحاجة ويكون كل واحد منهما آمنا من ابطال حقه وان يحتزن من الالفاظ التي يقع النزاع فيها (ولاملل) الاملال والاملاء لغتان الاولى لغة أهل الحجاز وبني أسد والثانية لغة بني تميم فهذه الآية جاءت على اللغة الاولى وجاء على اللغة الثانية قوله تعالى فيسمى على عليه بكرة وأصيلوا الادغام في مثل ذلك جائز لا واجب (الذي عليه الحق) هو من عليه الدين أمره الله تعالى بالاملاء لان الشهادة انما تكون على اقراره بشهود الدين في ذمته (وليسق الله) الذي عليه الحق (ربه) أمره بالتقوى فيما عليه على الكاتب فلا يجحد جميع الحق والبعض كما ساقى وبالغ في ذلك بالجمع بين الاسم والوصف (ولا يبخس منه شيئا) نهاه عن الخس وهو النقص وقيل انه نهى للكاتب والاول أولى لان من عليه الحق هو الذي يتوقع منه النقص ولو كان نهى للكاتب لم يقتصر في نهيه على النقص لانه يتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه النقص (فان كان الذي عليه الحق) اظيهار في مقام الاضرار لزيادة الكشف والبيان لان الامر والنهي لغيره (سقيها) السقيه هو الذي لا رأى له في حسن التصرف فلا يحسن الاخذ ولا الاعطاء شبه بالشرب السفينة وهو انخفيف التسج والعرب تطلق السفينة على ضعف العقل تارة وعلى ضعف البدن أخرى وبالجدل فالسفيه هو المبذر اما جله بالتصرف أو لئلا يعبه المال عبثا مع كونه لا يجمل الاصول وقيل الطفل الصغير أى جاهلا بالاملاء (أو ضعيفا) وهو الشيخ الكبير والصبي قال أهل اللغة الضعف بضم الصاد في البدن وبفتحها في الرأى لغته أو جؤن (أو لا يستطيع ان يتل هو) يعنى لخرم أو عجم في كلامه أو جبس أو غيبة لا يملكه الحضور عند الكاتب أو يجهل بحاله وعليه أو لا يقدر على التعبير كما ينبغي فهو لا يكلمهم لا يصح اقرارهم فلا بد ان

وقتادة وغيرهم ثم منهم من قال الوصية مشروعة سواء قل المال أو كثر كالورثة ومنهم من قال انما يوصى يقوم اذا تركه ما لا جليل لا ثم اختلفوا في مقداره فقال ابن ابي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ اخبرنا سفيان عن هشام بن عروة عن ابيه قال قيل لعلي رضي الله عنه ان رجلا من قريش قدمات وترك ثلثمائة ديناراً واربع مائة يوص قال ليس بشيء انما قال الله ان ترك خيرا وقال ايضا وحديثا هرون بن اسحق الهمداني حدثنا عبدة يعنى ابن سليمان عن هشام بن عروة عن ابيه ان عليا دخل على رجل من قومه يعوده فقال له اوص فقال له علي انما قال الله ان ترك خيرا الوصية انما تركت شيئا يسيرا فتركته لوالدك

وقال الحاكم ان ابن حدثني عن عكرمة عن ابن عباس ان ترك خير قال ابن عباس من لم يترك ستين دينار لم يترك خيرا قال الحاكم قال طاوس لم يترك خيرا من لم يترك ثمانين دينار او قال قتادة كان يقال انما فاقوها وقوله بالمعروف أي بالرفق والاحسان كما قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن أحمد حدثنا ابراهيم بن عبد الله بن بشار حدثني سرور بن المغيرة عن عباد بن منصور عن الحسن قوله كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت فقل اعموا اليكم وصية الحق على كل مسلم أن يوصي اذا حضره الموت بالمعروف غير المنكر والمراد بالمعروف أن يوصي لأقربيه وصية لا تتجحف بورثته من غير اسراف ولا تقبركا ثبت (٣٦٩) في الصحيحين ان سعدا قال يا رسول الله ان لي

مالا ولا يرثني الا ابنتي افاوصي بثلاثي مالي قال لا قال فبالشطر قال لا قال فالثالث قال الثالث والثالث كثير انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عامة يتكفنون المال وفي صحيح البخاري ان ابن عباس قال لو ان الناس غضوا من الثالث الى الربع فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الثالث والثالث كثير وروى الامام أحمد عن أبي سعيد مولى بني هاشم عن زياد بن عتبة بن حنظلة سمعت حنظلة بن جذيم بن حنيفة ان جده حنيفة أوصى ليعيم في حجره بمائة من الابل ففسق ذلك على بنيه فارتفعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حنيفة اني أوصيت ليعيم بمائة من الابل كأنسماها المطية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا لالا الصدقة خمس والا فعشر والا فخمسة عشرة والا فثلاثون والا فخمسة وثلاثون فان أكثر فاربعون وذكر الحديث بطوله وقوله فن بدله بعد ما سمعها فاتمها الله على الذين يبدلونه

يقوم غيرهم مقامهم وقيل ان الضعيف هو المدخول العقل الناقص الفطنة العاجز عن الاملاء والذي لا يستطيع هو الصغير (فليقل وليه) الضمير عائدة الى الذي عليه الحق فيل عن السفه وليه المنصوب عنه بعد جرده عن التصرف في ماله ويعل عن الصبي وصيه أو وليه وكذلك يعل عن العاجز الذي لا يستطيع الاملال اضعفه وليه لانه في حكم الصبي أو المنصوب عنه من الامام أو القاضي ويعل عن الذي لا يستطيع وكيله اذا كان صحيح العقل وعرضت له آفة في اسانه أو لم تعرض ولكنه جاهل لا يقدر على التعبير كما ينبغي وقال الطبري ان الضمير في قوله وليه يعود الى الحق وهو ضعيف جدا قال القرطبي في تفسيره وتصرف السفه المحجور عليه دون وليه فاسد اجماعا ففسوخ أبدا لا يوجب حكما ولا يؤثر شيئا فان تصرف سفه ولا تجز عليه فقيه خلاف انتهى (بالعدل) أي الصدق من غير زيادة ولا نقص (واستشهدوا شهيدين) الاستشهاد طلب الشهادة وما عاها شهيدين قبل الشهادة من مجاز الا ول أي باعتبار ما يؤل اليه أمرهما من الشهادة (من رجالكم) أي كاشين من المسلمين فيخرج الكفار ولا وجه لخروج العبيد عن هذه الآية فهم اذا كانوا مسلمين من رجال المسلمين وبه قال شريح وعثمان البتي وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وأبو ثور وقال أبو حنيفة ومالك والشافعي وجهه والعلماء لا يجوز شهادة العبد لما يلحقه من نقص الرق وقال الشعبي والنخعي تصح في الشيء اليسير دون الكثير واستدل الجمهور على عدم جواز شهادة العبد بأن الخطاب في هذه الآية مع الذين يتعاملون بالمداينة والعبد لا يملك شئاً تتجبر فيه المعاملة ويجب عن هذا بأن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وأيضا العبد تصح منه المداينة وسائر المعاملات اذا أذن له مالكة بذلك وقد اختلف الناس هل الاشهاد واجب أو مندوب فقال أبو موسى الاشعري وابن عمر والضحاك وعطاء وسعيد بن المسيب وجابر بن زيد ومجاهد وداود بن علي الظاهري وابنه انه واجب ورجحه ابن جرير الطبري وذهب الشعبي والحسن ومالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابه انه مندوب وهذا الخلاف بين هؤلاء هو في وجوب الاشهاد على البيع واستدل الموحيون بقوله تعالى وأشهدوا اذا تباعتم ولا فرق بين هذا الامر وبين قوله واستشهدوا فيلزم القائلين بوجوب الاشهاد في البيع ان يقولوا بوجوبه في المداينة (فان لم يكونا رجلين) أي الشاهدان أي بحسب القصد والارادة أي فان لم يقصد اشهادهما

(٤٧ - فتح البيان ل) ان الله سمع علم يقول تعالى فن بدل الوصية وحرفها فغير حكمها وزاد فيها ونقص ويدخل في ذلك الكتابان لها بنزريق الاولى فاتمها الله على الذين يبدلونه قال ابن عباس وغير واحد وقد وقع أجر الميت على الله وتعلق الائم بالذين بدلوا ذلك ان الله سمع علم أي قد اطلع على ما أوصى به الميت وهو علم بذلك وعابله الموصي اليهم وقوله تعالى فن خاف من موص جنفا وأتمها قال ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والضحاك والربيع بن أنس والسدي الحنف الخطأ وهذا يشمل أنواع الخطأ كلها بأن زادوا الرثابا اسطة أو وسيله كما اذا أوصى ببيعة الشئ القلاني محاباة أو أوصى لابن ابنته ليزيدها أو نحو ذلك من الهه ١٤١٠

غير عامل بل بطبعه وقوة شفقته من غير تضر أو متعمدا انما في ذلك فالوصي والحالة هذه ان يصلح القضية ويعدل فالوصية على الوجه الشرعي ويعدل عن الذي اوصى به الميت الى ما هو اقرب الاشياء اليه واشبه الامور به جمعاً بين مقصود الموصي والطريق الشرعي وهذا الاصلاح والتوفيق ليس من التبديل في شيء ولا هذا عطف هذا فينه على النهي عن ذلك ليعلم ان هذا ليس من ذلك بسبيل والله أعلم وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد قراءة اخبرني ابي عن الاوزاعي قال الزهري حدثني عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم (٣٧٠) انه قال ير دم من صدقة الجانف في حياته ما ير دم من وصية الجانف عند موته وهكذا رواه

أبو بكر بن مردويه من حديث العباس بن الوليد بن قال ابن أبي حاتم وقد أخطأه الوليد بن يزيد وهذا الكلام انما هو عن عروة فقط وقد رواه الوليد بن مسلم عن الاوزاعي فلم يجاوز به عروة وقال ابن مردويه أيضاً حدثنا محمد بن أحمد ابن ابراهيم حدثنا ابراهيم بن يوسف حدثنا هشام بن عمار حدثنا عمر ابن المغيرة عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الجانف في الوصية من الكبائر وهذا في رفعه أيضاً نظراً واحسن ما ورد في هذا الباب ما قاله عبد الرزاق حدثنا معمر عن أشعث بن عبيد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فاذا أوصى خاف في وصيته فيختم له بشيء لم يعمل به فدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فيعدهل في وصيته فيختم له بخير مما لم يعمل به فدخل الجنة قال ابو هريرة اقرؤا ان شئتم تلك حدود الله فلا تعتدوها الآية (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم

ولو كانا موجودين (فرجل وامرأتان) أي فليشهد رجل وامرأتان أو فرجل وامرأتان يكفون كاثنون (من ترضون) دينهم وعدا التهم حال كونهم (من الشهداء) وفيه ان المرأتين في الشهادة برجل وانما لا يجوز شهادة النساء الامع الرجل لا وحدهن الا فيما لا يطلع عليه غيرهن للضرورة واختلفوا هل يجوز الحكم بشهادة امرأتين مع عين المدعي كما جاز الحكم برجل مع عين المدعي فذهب مالك والشافعي الى انه يجوز ذلك لان الله سبحانه قد جعل المرأتين كالرجل في هذه الآية وذهب أبو حنيفة وأصحابه الى انه لا يجوز ذلك وهذا يرجع الى الخلاف في الحكم بشهادة مع عين المدعي والحق انه جائز لورود الدليل عليه وهو زيادة لم يخالف ما في الكتاب العزيز في تعيين قبولها وقد أوضحنا ذلك في شرح بلوغ المرام وأوضحه الشوكاني في شرحه للمتنق وغيره من مؤلفاته ومعلوم عند كل من يفهم انه ليس في هذه الآية ما يرد به قضاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالشاهد واليمين ولم يدفعوا هذا الابقاع مبنية على حرف حارهي قولهم ان الزيادة على النص نسخ وهذه دعوى باطلة بل الزيادة على النص شرعية ثابتة جاء بها من جاء بالنص المتقدم عليها وقد أوضحت ذلك في كتابي حصول المأمول من علم الاصول فليرجع اليه وأيضاً كان يلزمهم أن لا يحكموا بسكول المطلوب ولا يمتنعين الرد على الطالب وقد حكموا بهما والجواب الجواب (أن تضل احداهما) قال أبو عبيد معني تضل تنسى أي لضعف عقولهن وضبطهن والضلال عن الشهادة انما هو نسيان جزء منها أو ذكر جزء (فقد كرا احداهما) أي اذا كره (الآخرى) أي الناسة قرئ فقد كرا بالتخفيف ومعناها تريد هذا كرا وقرأة الجماعة بالتشديد أي تنبها اذا غفلت ونسيت وهذه الآية لتعمل لاعتبار العدد في النساء أي فليشهد رجل ولتشهد امرأتان عوضاً عن الرجل الآخر لاجل تذكري احداهما الاخرى اذا ضلت وعلى هذا فيكون في الكلام حذف وهو سؤال سائل عن وجه اعتبار امرأتين عوضاً عن الرجل الواحد فقيل وجهه ان تضل احداهما فقد كرا احداهما الاخرى والعلة عوضاً عن الرجل الواحد فليشهد امرأتان عوضاً عن الرجل الآخر لاجل تذكري احداهما الاخرى والعلة في الحقيقة هي التذكير ولكن الضلال لما كان سبباً له نزل منزلة وأبهم الفاعل في تضل وتذكر لان كلامهم ما يجوز عليه الوضمان فالعنى ان ضلت هذه ذكرتها هذه وان ضلت هذه ذكرتها هذه لا على التعيين أي ان ضلت احدي الامرأتين ذكرتها الاخرى وانما اعتبر فيهما هذا التذكير لما يلحقهما من ضعف النساء بخلاف الرجال وقد يكون الوجه

في الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أي ايا ما معدودات فن كان منكم من مرضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فن تطوع خيراً فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون يقول تعالى مخاطباً للمؤمنين من هذه الامة وآسر اللهم بالصيام وجو الامسالك عن الطعام والشراب والوقاع بنية خالصة لله عز وجل لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الاخلاط الرديئة والاخلاق الرذيلة وذكر انه كما أوجب عليهم فقد أوجب على من كان قبلهم فلهم فيه اسوة وليجتهدوا في أداء هذا الفرض أكمل مما فعله أولئك كما قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله

لجعلكم أمة واحدة ولكن ليسوا كما فيكم إنما كنتم فاستبقوا الخيرات الآية ولهذا قال ههنا يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون لأن الصوم فيه تزكية للبدن وتضييق لمساك الشيطان ولهذا أثبت في الصحيحين يامعشر الشهاب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء ثم بين مقدار الصوم وأنه ليس في كل يوم ثلاثا يشق على النفوس فتضعف عن حمله وأدائه بل في أيام معدودات وقد كان هذا في ابتداء الاسلام يصومون من كل شهر ثلاثة أيام ثم نسخ ذلك بصوم شهر رمضان كما سيأتي بيانه وقد روى ان الصيام أولا (٣٧١) كما كان عليه الامم قبلنا من كل شهر

ثلاثة أيام عن معاذ وابن مسعود وابن عباس وعطاء وقتادة والفتح ابن حزم احمد وزاد لم يزل هذا مشروعا من زمان نوح الى أن نسخ الله ذلك بصيام شهر رمضان وقال عباد بن منصور عن الحسن البصري يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فقال نعم والله لقد كتب الصيام على كل أمة قد دخلت كما كتبه علينا شهرًا كاملاً وأياما معدودات عدد ما علموا وروى عن السدي نحوه وروى ابن أبي حاتم من حديث أبي عبد الرحمن المقرئ حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثني عبد الله ابن الوليد عن أبي الربيع رجل من أهل المدينة عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صيام رمضان كتبه الله على الامم قبلكم في حديث طويل اختصر منه ذلك وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن حدثه عن ابن عمر قال أنزلت كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم كتب عليهم اذا صلى

في الاجتهاد ان ذلك يعني الضلال والتذكير يقع بينهما متناوباً حتى ربما ضلت هذه عن وجه وضلت تلك عن وجه آخر فذكرت كل واحدة منهما صاحبها وقال سفيان بن عيينة معنى قوله فتذكر كل واحداهما الاخرى تصير هاذ كرايعني ان مجموع شهادة المرأتين مثل شهادة الرجل الواحد وروى نحوه عن أبي عمرو بن العلاء ولا شأن ان هذا باطل لا يدل عليه شرع ولا لغة ولا عقل (ولا ياب الشهادة اذا ما دعوا) أي لا أداء الشهادة التي قد تحمله لهما من قبل وقيل اذا ما دعوا التحمل الشهادة وتسميتهم شهداء مجاز كما تقدم وحملها الحسن على المعنيين وظاهر هذا النهي ان الامتناع من أداء الشهادة حرام (ولا تأسأوا) أي لا تأملوا ولا تضجروا والخاطب للمؤمنين أو لامة تعاهد من أولي الشهود (أن تكتبوه) أي الذين الذي تدانتم به وقيل الحق وقيل الشاهد وقيل الكتاب فهاهم الله سبحانه عن ذلك لانهم ربما ملوا من كثرة المداينة ان يكتبوا ثم بالغ في ذلك فقال (صغيراً أو كبيراً) أي لا تأملوا في حال من الاحوال سواء كان الدين كبيراً أو قليلاً ولا وعلى أي حال كان الكتاب مختصراً أو مشعباً وقدم الصغير هنا على الكبير للاهتمام به لدفع ما عساه ان يقال ان هذا مال صغير أي قليل لا احتياج الى كتبه (الى أجله) أي الى محل الدين أو الحق (ذلكم) أي المكتوب المذكور في ضمير قوله ان تكتبوه (أقسط عند الله) أي أعدل واحفظ وأصح من القسط بالكسر والقسط الجور والعدول عن الحق (وأقوم للشهادة) أي أعون على اقامة الشهادة وأثبت لها وهو مبنى من أقام وكذلك أقسط مبنى من فعله أي أقسط وقد صرح سيبويه بأنه قماشي أي بناءً أفعل التفضيل (وأدنى أن لا تترابوا) أي أقرب لنفي الريب في معاملاتكم أي الشك وذلك ان الكتاب الذي يكتبونه يدفع ما يعرض لهم من الريب كما كنا ما كان (الآن تكون تجارة) أي تقع أو توجد تجارة على ان كان تامة والتجارة تقلب الاموال وتصر فيها الطلب النماء والزيادة بالارباح والاستثناء منقطع أي لكن وقت تباعكم وتجارتكم فإنه يجوز عدم الاستشهاد والكتب فيها وقال أبو البقاء انه متصل والاول أولى وقرئ بالنصب على الناقصة أي تكون التجارة تجارة (حاضرة) بحضور البدلين وهي تم المبايعتين أو دهن (تديرونها بينكم) أي تتعاطونها ايدياً بيد فلادارة التعاطى والتفاضل فالمراد بالتبايع التاجر يدا بيد (فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها) أي فلا حرج عليكم ان تركتم كتابتها وانما رخص الله في ترك الكتابة في هذا النوع من

أحدهم العتة وتوابع حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى مثلها قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن عباس وأبي العالية وعبد الرحمن ابن أبي ابي وجها وسعيد بن جبيرة ومقاتل بن حيان والربيع بن أنس وعطاء الخراساني نحوه ذلك وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس كما كتب على الذين من قبلكم يعني بذلك أهل الكتاب وروى عن الشعبي والسدي وعطاء الخراساني مثله ثم بين حكم الصيام على ما كان عليه الامر في ابتداء الاسلام فقال فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر أي المريض والمسافر لا يصومان في حال المرض والسفر لما في ذلك من المشقة عليهم ما بل يفطران ويقضيان بعدة ذلك من أيام أخر وأما الصحيح المقيم الذي يطيق

الصيام فقد كان خير بين الصيام وبين الاطعام ان شاء صام وان شاء أفطر وأطعم عن كل يوم مسكيناً فان أطعم أكثر من مسكين
عن كل يوم فهو خير وان صام فهو أفضل من الاطعام قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وطاوس ومقاتل بن حيان وغيرهم من
السلف ولهذا قال تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون
وقال الامام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا المسعودي حدثنا عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه
قال أُميت الصلاة ثلاثة أحوال وأحيل الصيام (٣٧٢) ثلاثة أحوال فأما أحوال الصلاة فان النبي صلى الله عليه وسلم قدم

التجارة لكثرة جريته بين الناس فلو كانوا الكتابة فيه اشق عليهم ولانه اذا أخذ كل واحد
حقه في الخمس لم يكن هنالك خوف الجحود فلا حاجة الى الكتابة (وأشهدوا اذا تباعدتم)
قيل معناه هذا السابغ المذكور هنا وهو التجارة الحاضرة على ان الاشهاد فيها يكتفى وقيل
معناه أى تباعدت عن البيع كان حاضراً أو كاللئلا ذلك أدفع لمادة الخلاف وأقطع لمنشأ الشجار وهذا
وما قبله أمر نذير وقد تقدم قريباً ذكر الخلاف في كون هذا الاشهاد واجباً أو مندوباً
(ولا يضار كاتب ولا شهيد) يحتمل أن يكون مبنياً للفاعل أو للمفعول فعلى الاول معناه
لا يضار كاتب ولا شهيد من طلب ذلك منهما اما بعدم الاجابة أو بالتحريف والتبديل
والزيادة والنقصان في كتابته ويدل على هذا قراءة عمرو بن عباس وغيرهما لا يضار بكسر
الراء الاولى وعلى الثاني لا يضار كاتب ولا شهيد بأن دعياً الى ذلك وهما مشغولان بجهته
لها وما يضيّق عليهم ما في الاجابة ويؤنيان حصل منهما التراخي أو يطلب منهما الحضور
من مكان بعيد ويدل على ذلك قراءة ابن مسعود لا يضار بفتح الراء الاولى وصيغة المتأعلة
تدل على اعتبار الامر من جميعا وقد تقدم في نفسه قوله تعالى لا تضار والدّة بواحدة اما اذا
راجعه زادك بصيرة ان شاء الله تعالى (وان تفعلوا) أى ما نهى الله عنه من المضارة (فانه)
أى فعلكم هذا (فسوق بكم) خروج عن الطاعة الى المعصية ملتبس بكم (واتقوا الله)
في فعل ما أمركم به وترك ما نهىكم عنه (ويعلمكم الله) ما تحتاجون اليه من العلم حال
مقدرة أو مستأنف وفيه الوعد لمن اتقاه ان يعلمه ومنه قوله تعالى ان تقوا الله يجعل لكم
فرقانا (والله بكل شىء عليم) هذا آخر آية الدين وقد حدث الله سبحانه فيها على الاحتياط
في أمر الاموال لكونها سبباً لمصالح المعاش والمعاد قال القفال ويدل على ذلك ان ألفاظ
القرآن جارية في الاكثر على الاختصار وفي هذه الآية بسط شديد ألا ترى انه قال اذا
تدائمتين الى أجل مسمى فاكتبوه ثم قال ثانياً وليكتب بينكم كاتب بالعدل ثم قال
ثالثاً لا ياب كاتب أن يكتب كما علمه الله فإني كان هذا كالتكرار لقوله وليكتب بينكم كاتب
بالعدل لان العدل هو ما علمه الله ثم قال رابعاً فليكتب وهذا إعادة للأمر الاول ثم قال
خامساً وليعلم الذي لديه الحق لان الكاتب العدل انما يكتب ما على عليه ثم قال سادساً
وليتق الله ربه وهذا تأكيد ثم قال سابعاً ولا يجنس منه شيئاً وهذا كالتفاديس قوله وليتق
الله ربه ثم قال ثامناً ولا تساموا ان تكسوه صغيراً أو كبيراً الى أجله وهو أيضاً تأكيد

المدينة وهو يصلى سبعة عشر
شهر الى بيت المقدس ثم ان الله
عز وجل أنزل عليه قد نرى تقلب
وجهك في السماء فلنولينك قبلة
ترضاها الآية فوجهه الله الى مكة
هذا حول قال وصكافوا
يخضعون للصلاة ويؤذن بها
بعضهم بعضاً حتى تقسوا أو كادوا
ينفكون ثم ان رجلاً من الانصار
يسأل له عبد الله بن زيد بن عبد ربه
أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله انى رأيت فيما
برى النائم ولو قلت انى لم أكن نائماً
لصدقت انى بينا أنا بين النائم
واليقظان اذ رأيت شخصاً عليه
ثوبان أخضران فاستقبل القبلة
فقال الله أكبر الله أكبر ثم نادى
لا اله الا الله مثنى حتى فرغ من
الاذان ثم أمهل ساعة ثم قال مثل
الذى قال غير انه يزيد في ذلك قد
دامت الصلاة مرتين قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليها بلالا
فليؤذن بها فكان بلال أول من
أذن بها قال وجاء عمر بن الخطاب
رضى الله عنه فقال يا رسول الله
قد طاف بى مثل الذى طاف به غير

انه سبى فني فهذا حال قال وكانوا يأتون الصلاة وقد سبقهم النبي صلى الله عليه وسلم يعضها فكان الرجل يشرب الى
الرجل اذن كم صلى فيقول واحدة واثنين فيصلحها ثم يدخل مع القوم في صلاتهم قال جاء معاذ فقال لأجدته على مال أبداً الا كنت
عليها ثم قضيت ما سبقنى قال جاء وقد سبقته النبي صلى الله عليه وسلم يعضها فادل فثبت معه فقام قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قام فقضى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قدس لكم معاذ فكمذا فاصنعوا فله ثلاثة أحوال وأما أحوال الصيام فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام وصيام عاشوراء ثم ان الله فرض عليه الصيام وأنزل

الله تعالى بأيم الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم إلى قوله وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكيناً فأجر ذلك عند الله عز وجل أنزل الآية الأخرى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن إلى قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فأثبت الله صيامه على المقيم الصحيح ورخص فيه للمريض والمسافر وثبت الاطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام فهذان حالان قالوا كانوا يأكلون ويشربون ويأثرون النساء عالم يناموا فإذا ناموا استعوا ثم ان رجلاً من الانصار يقال له صرمة كان يعمل صاعاً حتى أمسى فجاء إلى أهله (٣٧٣) فصلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح فأصبح صاعاً فراه رسول الله

صلى الله عليه وسلم وقد جهد جهداً شديداً فقال ما لي أراك قد جهدت جهداً شديداً قال يا رسول الله اني علمت أمس جئت حين جئت فألقيت نفسي فميتاً فأصبحت حين أصبحت صاعاً قال وكان عرقاً أصاب من النساء بعد ما نام فأنى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأرسل الله عز وجل أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم إلى قوله ثم أتوا الصيام إلى الليل وأخرجهم أبو داود في سننه والحاكم في مستدركه من حديث المسعودي به وقد أخرجه البخاري ومسلم من حديث الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت كان عاشوراء يصام فلما نزل فرض رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر وروى البخاري عن ابن عمر وابن مسعود مثله وقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كما قال معاذ رضى الله عنه كان في ابتداء الامر من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم عن كل يوم مسكيناً وهكذا روى

لما مضى ثم قال ناسعاً ذلك لكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى إن لا ترتابوا فذكر هذه الفوائد التالية لتلك التأكيدات السابقة وكل ذلك يدل على المبالغة في التوصية بحفظ المال الحلال وصونه عن التهلكة لئلا يتمكن الانسان بواسطته من الاتفاق في سبيل الله والاعراض عن مسأخطة من الرأى وغيره والمواظبة على ذكر الله وتقواه ذكره الخطيب (وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة) لماذا كرسجانه مشروعية الكتابة والاشهاد لحفظ الاموال ودفع الريب عقب ذلك بذكر حالة العذر عن وجود الكاتب ونص على حالة السفر فانهم من جلة أحوال العذر ويحق بذلك كل عذر يقوم مقام السفر وجعل الرهان المقبوضة فائضة مقام الكتابة أى فان كنتم مسافرين ولم تجدوا كاتباً في سفركم فرهان مقبوضة وعلى هنا معنى في وفيه إشارة ان على استعارة تبعية شبه تمكنهم من السفر بتمكن الراكب من كونه قال أهل العلم الرهن في السفر ثابت بنص التنزيل وفي الخبر يعمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما ثبت في الصحيحين انه صلى الله عليه وآله وسلم رهن درعاً له من يهودى وأفاد قوله مقبوضة اشتراط القبض في الرهن والاكتفائه من المرتهن ووكيله وقرأ الجمهور كتاباً أى رجلاً يكتب لكم وقرئ كتاباً قال ابن الأنباري فسر ابن مجاهد فقال معناه فان لم تجدوا ممداداً في الاسفار وقرئ فرهن بضم الراء والهاء جمع رهان وقرئ فرهن وقرأه الجمهور فرهان قال الزجاج يقال في الرهن رهنه وأرهنه وكذا قال ابن الاعرابي والاختفش وقال أبو علي الفارسي يقال أرهنه في المعاملات وأما في القرض والبيع فرهنه وقال ابن السكيت أرهنه فيهما بمعنى أسلفت والمرتهن الذي يأخذ الرهن والشيء مرهون ورهين ورأهنت فلانا على كذا مرأهنته خاطرته وقد ذهب الجمهور إلى أنه يصح الارتهان بالإيجاب والقبول من دون قبض (قال أس بعضكم بعضاً) أى الدائن المدينون على حقه فلم يرتبه بمعنى ان كان الذي عليه الحق أميناً عند صاحب الحق لم يضمن به وامأته واستغنى بأمانته عن الارتهان (فليؤد الذي أئتمن) وهو المدينون (أمانته) أى الدين الذي عليه والامانة مصدر سمي به الذي في الذمة وأضافها إلى الذي عليه الدين من حيث ان لها اليه نسبة (وليتق الله ربه) في أن لا يكتف من الحق شيئاً وفي أداء الحق عند حلول الاجل من غير مماطلة ولا جحود بل يعامله المعاملة الحسنه كما أحسن ظنه فيه وفيه مبالغت من حيث الاتيان بصيغة

البخاري عن سلمة بن الأكوع أنه قال لما نزلت وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من اراد أن يفطر يفطرى حتى نزلت الآية التي بعدها فأنسختها وروى أيضاً من حديث عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال هي منسوخة وقال السدي عن مرة عن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين قال يقول وعلى الذين يطيقونه أى يتجشمونه قال عبد الله فكان من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم مسكيناً فمن تطوع يقول أطعم مسكيناً آخر فهو خير له وان تصوموا أخبر لكم فكانوا كذلك حتى نسختها فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقال البخاري أيضاً أخبرنا أسحق حدثنا روح حدثنا زكريا بن أسحق

حدثنا عمرو بن دينار عن عطاء بن رباح عن ابن عباس يقرأ وعلى الدين بيطقة فدية طعام مسكين قال ابن عباس ليست منسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فطعامان مكان كل يوم مسكينا وهكذا روى غير واحد عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس نحوه وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الرحيم بن سليمان عن أشعث بن سوار عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية وعلى الذين بيطقونه فدية طعام مسكين في الشيخ الكبير الذي لا يطيق الصوم ثم ضعف فرخص له أن يطعم مكان كل يوم مسكينا وقال الحافظ أبو بكر بن (٣٧٤) مردويه حدثنا محمد بن أحمد حدثنا الحسين بن محمد بن بهرام الخزومي

حدثنا وهب بن بقية حدثنا خالد بن عبد الله عن ابن أبي ليلى قال دخلت على عطاء في رمضان وهو يأكل فقال قال ابن عباس نزلت هذه الآية فنسخت الأولى الشيخ الكبير الغاني أن شاء أطعم عن كل يوم مسكينا وأفطر فاحصل الأمر أن النسخ ثابت في حق الصحيح المقيم بإيجاب الصيام عليه لقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وأما الشيخ الغاني الهرم الذي لا يستطيع الصيام فله أن يفطر ولا قضاء عليه لأنه ليست له حال يصير إليها تمكن فيها من القضاء ولكن على من يجب عليه إذا أفطر أن يطعم عن كل يوم مسكينا إذا كان ذا جدة فيه قولان للعلماء أحدهما لا يجب عليه إطعام لأنه ضعيف عنه لسنه فلم يجب عليه فدية كالصبي لأن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها وهو أحد قولي الشافعي والثاني وهو الصحيح وعليه أكثروا العلماء أنه يجب عليه فدية عن كل يوم كما فسروا ابن عباس وغيره من السلف على قراءة من قرأ وعلى الذين بيطقونه أي يتجشونه كما قاله ابن

الأمر الظاهرة في الوجوب والجمع بين ذكر الله والرب وذكره عقب الأمر بأداء الدين وفيه من التحذير والتخويف ما لا ينبغي (ولا تكةوا والشهادة) نهى للشهود أن يكتبوا ما تحملوه من الشهادة إذا دعوا لإقامتها وهو في حكم التفسير لقوله ولا يضار كاتب أي لا يضارر بكسر الراء الأولى على أحد التفسيرين المتقدمين (ومن يكتبها) يعني الشهادة (فانه آثم) أي فاجر (قلبه) خص القلب بالذكر لأن الحكم من أفعاله ولكونه رئيس الأعضاء وهو المضغة التي انصلحت صلح الجسد كله وانفسدت فسد كله واستناد الفعل إلى الخارجة التي تعمله أبلغ وأصح في مؤاخذة الشخص بأعمال القلب وارتقاع القلب على أنه فاعل أو مبتدأ أو ثم خبره على ما تقرر في علم النحو ويجوز أن يكون قلبه بدلا من آثم بدل البعض من الكل ويجوز أيضا أن يكون بدلا من الضمير الذي في آثم الرجوع إلى من قرئ قلبه بالنصب كما في قوله الأمن سفة نفسه (والله بما تعملون عليم) فيه وعيد وتحذير لمن كنتم الشهادة ولم يظهرها ويقال له هذه الآية آية الدين وأخرج البخاري في تاريخه وأبو داود وغيرهما عن أبي سعيد الخدري أنه قرأ هذه الآية وقال هذه نسخت ما قبلها (وأقول) رضى الله عن هذا الصحابي الجليل ليس هذا من باب النسخ فهذا مقيد بالاثمان وما قبله ثابت محكم لم ينسخ وهو مع عدم الاثمان وعن سعيد بن المسيب أنه بلغه أن أحدث القرآن بالعرش آية الدين وعن ابن شهاب قال آخر القرآن عهدا بالعرش آية الربا وآية الدين (لله ما في السموات وما في الأرض) ملكا وأهلها له عبيد وهو مالكهم واستدل بسعة ملكه على سعة علمه (وان تدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) ظاهره أن الله يحاسب العباد على ما أضمروا من أنفسهم وأظهروه من الأمور التي يحاسب عليها (فيغفر لمن يشاء) منهم ما يغفره منها (ويعذب من يشاء) منهم عما أسروا وأظهر منها هذا معنى الآية على مقتضى اللغة العربية وقد اختلف أهل العلم في هذه الآية على أقوال الأول أنها وإن كانت عامة فهي مخصوصة بكتمان الشهادة وإن الكاتم للشهادة يحاسب على كتمه سواء أظهر للناس أنه كاتم للشهادة أو لم يظهر وقد روى هذا عن ابن عباس وعكرمة والشعبي وجهاد وهو مردود على الآية من عموم اللفظ ولا يصلح ما تقدم قبل هذه الآية من النهي عن كتم الشهادة أن تكون مختصة به والقول الثاني أن ما في الآية مختص بما يطرأ على النفوس من الأمور التي هي بين الشك واليقين قاله جهاذ وهو أيضا

مسعود وغيره وهو اختيار البخاري فإنه قال وأما الشيخ الكبير إذا لم يطق الصيام فقد أطمأنس بعدما كبر عاма أو عاين عن كل يوم مسكينا خيرا ولجأ وأفطر وهذا الذي عليه البخاري قد استند الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده فقال حدثنا عبد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا عمران عن أيوب بن أبي تميمة قال ضعف انس عن الصوم فصنع جفنة من ثريد فدعا ثلاثين مسكينا فأطعمهم ورواه عبد بن حميد عن روح بن عباد عن عمران وهو ابن جرير عن أيوب به ورواه عبد أيضا من حديث ستة من أصحاب انس عن أنس بمعناه ونما يلحق بهذا المعنى الحامل والمرضع إذا طاقا على أنفسهم ما أولد لهم ما فقيهما

مختص

خلاف كثير بين العلماء فهم من قال يفطران ويقديان ويقضيان وقيل يقديان فقط ولا قضاء وقيل يجب القضاء بلا فدية وقيل يفطران ولا فدية ولا قضاء وقد بسطنا هذه المسئلة مستقصاة في كتاب الصيام الذي أفرده الله الجدة والمئة (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان من مرضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) يمدح تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهن لانزال القرآن العظيم وكما (٣٧٥) اختصه بذلك وقد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الالهية تنزل فيه على الانبياء قال الامام احمد ابن حنبل رحمه الله حدثنا ابو سعد مولى بني هاشم حدثنا عمران ابو العوام عن قتادة عن ابي فليح عن واثلة يعني ابن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انزلت

تخصيص بلا مخصص والقول الثالث انها محكمة عامة ولكن العذاب على ما في النفس يختص بالكفار والمنافقين حكاية الطبري عن قوم وهو أيضاً يختص بلا مخصص فان قوله بغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء لا يختص ببعض معين الابدليس والقول الرابع ان هذه الآية منسوخة قاله ابن مسعود وعائشة وابو هريرة والشعبي وعطاء ومحمد بن سيرين ومحمد بن كعب وموسى بن عبيدة وهو مروى عن ابن عباس وجعاعة من الصحابة والتابعين وهذا هو الحق لما ساقى من التصريح بنسخها ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله غفر لهذه الامة ما حدثت به أنفسها وأخرج البخاري والبيهقي عن مروان الأصغر عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحسبه ابن عمران تبدوا ما في أنفسكم الآية قال نسختم الآية التي بعدها وأخرج عبد بن حميد والترمذي عن علي بن فضال وأبو داود في ناسخه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما في السموات وما في الأرض وان تبدوا ما في أنفسكم الآية أشد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأنوار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم جثوا على الركب فقالوا يا رسول الله كلفنا من الاعمال ما يطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزل الله عليك هذه الآية ولا نطيعها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتريدون ان تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وسمعنا بل قولوا سمعنا وأطعنا غزناك ربنا واليك المصير فلما أقرأها القوم وذات بها أسنتهم أنزل الله في أثرها آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون الآية فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل لا يكف الله نفساً الا وسعها الى آخرها وأخرج أحمد ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر والحاكم والبيهقي عن ابن عباس مرفوعاً نحوه وزاد فأنزل الله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال قد فعلت ربنا ولا تحمّل علينا اصراً كما حملته على الذين من قبلنا قال قد فعلت ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به قال قد فعلت واعف عنا واغفر لنا وارحمنا الآية قال قد فعلت وقد رويت هذه القصة عن ابن عباس من طرق وبجميع ما تقدم يظهر لك ضعف ما روى عن ابن عباس في هذه الآية انه قال نزلت في كتمان الشهادة فانها لو كانت كذلك لم يشهد الامر على الصحابة وعلى كل حال فبعد هذه الاحاديث المصروفة

الذي كانت الكتب الالهية تنزل فيه على الانبياء قال الامام احمد ابن حنبل رحمه الله حدثنا ابو سعد مولى بني هاشم حدثنا عمران ابو العوام عن قتادة عن ابي فليح عن واثلة يعني ابن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انزلت صحف ابراهيم في اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين من رمضان والانجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان وانزل القرآن لاربع وعشرين خلت من رمضان وقد روى من حديث جابر بن عبد الله وفيه ان الزبور انزل لثنتي عشرة خلت من رمضان والانجيل لثمان عشرة والباقي كما تقدم رواه ابن مردويه واما الصحف والتوراة والزبور والانجيل فنزل كل منها على النبي الذي انزل عليه جلة واحدة واما القرآن فأنزل جلة واحدة الى بيت العزة من السماء الدنيا وكان ذلك في شهر رمضان في ليلة القدر منه كما قال تعالى انا انزلناه في ليلة القدر وقال انا انزلناه في ليلة مباركة ثم نزل بعد مفارقة بحسب

الوقائع على رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا روى من غير وجه عن ابن عباس كما قال اسرائيل عن السدي عن محمد بن ابي الجاهل عن مقسم عن ابن عباس انه سأل عظمة بن الاسود فقال وقع في قلبي الشك قول الله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن وقوله انا انزلناه في ليلة مباركة وقوله انا انزلناه في ليلة القدر وقد انزل في شوال وفي ذي القعدة وفي ذي الحجة وفي المحرم وصفه شهر ربيع فقال ابن عباس انه انزل في رمضان في ليلة القدر وفي ليلة مباركة جلة واحدة ثم انزل على مواقع النجوم ترتيباً في الشهور والايام رواه ابن ابي حاتم وابن مردويه وهذا القظه وفي رواية سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال انزل القرآن في النصف من شهر

رمضان الى سماء الدنيا جعل في بيت العزة ثم انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشر من سنة لجواب كلام الناس وفي رواية
عكرمة عن ابن عباس قال نزل القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر الى هذه السماء الدنيا جلة واحدة وكان الله يحدث لبيته ما يشاء
ولا يبيء المنكر كون بمنزل يخاضعون به الا جاءهم الله بجوابه وذلك قوله وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جلة واحدة كذلك
لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئتاك بالحق وأحسن تقسيما وقوله هدى للناس وبينات من الهدى
والفرقان هذا مدح للقرآن الذي انزله الله هدى (٣٧٦) لقلوب العباد من آمن به وصدقوه واتبعوه وبينات اى ودلائل وبيِّن

بينة واضحة جليلة لمن فهمها وتدبرها
دالة على صحة ما جاء به من الهدى
المنافى للضلال والشك والخالف
للحق ومفرقا بين الحق والباطل
والضلال والحرام وقد روى عن
بعض السلف انه كره ان يقال الا
شهر رمضان ولا يقال رمضان قال
ابن ابي حاتم حدثنا ابي حاتم محمد
ابن بكار بن الريان حدثنا ابو
معشر عن محمد بن كعب القرظي
وسعيد هو المقبري عن ابي هريرة
قال لا تقولوا رمضان فان رمضان
اسم من اسماء الله تعالى ولكن
قولوا شهر رمضان قال ابن ابي
حاتم وقد روى عن مجاهد ومحمد
ابن كعب فتشؤ ذلك ورخص فيه
ابن عباس وزيد بن ثابت (قلت)
ابو معشر هو شبيب بن عبد الرحمن
المدني امام المغازي والسير ولكن
فيه ضعف وقد رواه ابنه محمد عنه
بجعله من فروع ابي هريرة وقد
انكره عليه الحافظ بن عدى وهو
جديد بالانكار فانه متروك وقد
وهبهم في رفع هذا الحديث وقد
اتصرا البخاري رحمه الله في كتابه
لهذا فقال باب يقال رمضان وساق

بالنسخ والناسخ لم يبق مجال للتحالفها ومما يؤيد ذلك ما ثبت في الصحيحين والنسب الرابع
من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تجاوز زنى عن
أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به وأخرج ابن جرير عن عائشة قالت كل
عبد لهم بسوء ومعضية وحدث نفسه به حاسبه الله في الدنيا يخاف ويحزن ويشتمهم
لا يناله من ذلك شيء كما هم بالسوء ولم يعمل بشيء والا حديث المتقدمة المصروفة بالنسخ
تدفعه عن ابن عباس قال ان الله يقول يوم القيامة ان كتابي لم يكتبوا من أعمالكم
الا ما ظهروا منها فأما ما أسررت في أنفسكم فأنا أأنتسبكم به اليوم فأعترى لمن شئت وأعذب
من شئت وهو مدفوع عما تقدم وقيل بحكمة لانه اذا جمل ما في النفس على خصوص
العزم لم يكن نسخ لانه مؤاخذ به وقد نظم بعضهم مراتب القصد بقوله

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا * وخاطر خذيت النفس فاستعما
يليه هم فغزم كلها رفعت * سوى الاخير فقيهه الاخذ قد وقعا

(والله على كل شيء قدير) فيغفر للمؤمنين فضلا ويعذب الكافرين عدلا قال ابن عباس
يغفر الذنب العظيم ويعذب على الذنب الصغير (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه
والمؤمنون) أي بجمع ما أنزل اليه قال الزجاج لما ذكر الله سبحانه في هذه السورة فرض
الصلاة والزكاة والصيام وبين أحكام الحج والجهاد وحكم الخيض والطلاق والايلاء
وأفاد صيص الانبياء وبين حكم الربا ذكر تعظيمه ثم ذكر تصديق نبيه صلى الله عليه وآله
وسلم ثم ذكر تصديق جميع المؤمنين بجمع ذلك فقال آمن الرسول أي صدق الرسول
بجميع هذه الاشياء التي جرى ذكرها وكذلك المؤمنون (كل آمن بالله وملائكته وكتبه
ورسوله) أفرد الضمير في آمن لان المراد ايمان كل فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع كما اعتبر
ذلك في قوله وكل أتوه داخرين وهذه أربع مراتب من أصول الدين وضرورياته وسبب
نزولها الآية التي قبلها وقد تقدم بيان ذلك وقوله وملائكته أي من حيث كونهم عباده
المكرمين المتوسطين بينه وبين أنبيائه في انزال كتبه وقوله وكتبه لأنهم المشقة على
الشرائع التي تعبد بها عباده وقوله ورسوله لأنهم المبلغون لعباده ما نزل اليهم وقرأ ابن
عباس وكتابه وقال الكتاب أكثر من الكتب وبينه صاحب الكشاف فقال لانه اذا أريد
بالواحد الجنس والجنسية فاعلم في وحدان الجنس كلها ما يخرج منه شيء وأما الجمع فلا

يدخل

وقوله فمن شهد

منكم الشهر فليصمه هذا الإيجاب حتم على من شهد استمالة الشهر اى كان مقيما في البلد حين دخل شهر رمضان وهو صحيح في بدنه
ان يصوم لا بحالة ونسخت هذه الآية الاباحة المتقدمة لمن كان صحيحا مقيما ان يفطر ويفدى باطعام مسكين عن كل يوم كما تقدم
بيانه ولما ختم الصيام اعاد ذكر الرخصة للمريض وللمسافر في الاطوار بشرط القضاء فقال ومن كان مريضا او على سفر فعدة من
أيام اخر معناه ومن كان به مرض في بدنه يشق عليه الصيام معه او يؤذيه او كان على سفر اى في حال السفر فله ان يفطر فاذا افطر فعليه

عذة ما افطر في السفر من الايام ولهذا قال يزيد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر أى انما رخص لكم في الفطر في حال المرض وفي السفر مع تحتمه في حق المقيم الصحيح تيسيرا عليكم ورجة بكم وههنا مسائل تتعلق بهذه الآية احداها انه قد ذهب طائفة من السلف الى أن من كان مقيما في أول الشهر ثم سافر في أثناءه فليس له الافطار بعذر السفر والحالة هذه لقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وانما يباح الافطار لسافر استهل الشهر وهو مسافر وهذا القول غريب نقله أبو محمد بن حزم في كتابه المحلى عن جماعة من الصحابة والتابعين وفيما حكاه عنهم نظر والله أعلم فانه قد ثبتت السنة عن (٣٧٧) رسول الله صلى الله عليه وسلم انه خرج في

شهر رمضان لغزوة الفتح فسار حتى بلغ الكد يد ثم أفطر وأمر الناس بالفطر أخرجه صاحبنا الصحيح الثانية ذهب آخرون من الصحابة والتابعين الى وجوب الافطار في السفر لقوله فعذة من أيام أخر والصحيح قول الجمهور ان الامر في ذلك على التخيير وليس بحتم لانهم كانوا يخرجون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان قال ففنا الصائم ومنا المفطر فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم فلو كان الافطار هو الواجب لا تكرر عليهم الصيام بل الذي ثبت من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان في مثل هذه الحالة صائما ثابتا في الصحيحين عن أبي الدرداء قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان في حر شديد حتى ان كان أحدا نال الصبح بده على رأسه من شدة الحر وما فينا صائم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله ابن رواحة الثالثة قالت طائفة منهم الشافعي الصيام في السفر أفضل من الافطار لفعل النبي

فلا يدخل تحته الا ما فيه الجنسية من الجوع انتهى ومن أراد تحقيق المقام فليرجع الى شرح التلخيص المطول عند قول الماتن واستغراق المفرد أشمل (لا نفرق بين أحد من رسله) فتؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعل اليهود والنصارى لم يقل بين أحد لان الواحد يتناول الواحد والمتن والجمع والمذكور والمؤنث كما في قوله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين فوصفه بقوله حاجزين لكونه في معنى الجمع (وقالوا سمعنا وأطعنا) أى أدركناه باسماعنا وفهمناه وأطعنا ما فيه وقيل معنى سمعنا أجبنا دعوتك (غفرانك ربنا) أى اغفر غفرانك قاله الزجاج وغيره وقيل نسألك غفرانك وقدم السمع والطاعة على طلب المغفرة لكون الوسيلة تقدم على المتوسل اليه (واليك المصير) أى المرجع والمآب بالبعث (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) أى ما تسعه قدرته افضلا منه ورجة أو ما دون مدى طاقتها أى غاية طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها التكليف هو الامر بما فيه مشقة وكلفة والوسع الطاعة والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه وهذه جملة مستقلة جاءت عقب قوله سبحانه ان تبدوا ما في أنفسكم الاية لكشف كربة المسلمين ودفع المشقة عليهم في التكليف بما في الانفس وهى كقولهم سبحانه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر قال ابن عباس وأكثر المفسرين ان هذه الاية نسخت حديث النفس والوسوسة (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) فيه ترغيب وترهيب أى لها ثواب ما كسبت من الخير وعليها وزر ما اكتسبت من الشر وتقديرها وعليها على الفعلين يفيد ان ذلك لها لاغيرها وعليها الا على غيرها وهذا مبني على ان كسب الخير فقط واكتسب للشر فقط كما قاله صاحب الكشف وغيره وقيل كل واحد من الفعلين بصدق على الامرين وانما كرر الفعل وحالف بين التصريفين تحسينا للنظم كما وقع في قوله تعالى فهل الكافرين أهلهم رويدا وقيل اللام للخير وعلى للمضرة ولكن يقتض هذا بقوله تعالى ولهم اللعنة وعليهم صلوات اللهم الا أن يقال هما يقتضيان ذلك عند الاطلاق بلا ذكر الحسنه والسيئة أو انهما يستعملان لذلك عند تقاربهما كما في هذه الاية (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا) أى لا تؤاخذنا بما يصدر منا من هذين الامرين وقد استشكل هذا الدعاء جماعة من المفسرين وغيرهم قائلين ان الخطأ والنسيان مغفوران غير مؤاخذ

(٤٨ - فتح البيان ل) صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقالت طائفة بل الافطار أفضل أخذ بالرخصة ولما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الصوم في السفر فقال من أفطر فحسن ومن صام فلاجناح عليه وقال في حديث أخرجه عليكم برخصة الله التي رخص لكم وقالت طائفة هما سواء الحديث عائشة ان حصة بن عمرو الاسلمى قال يا رسول الله انى كثير الصيام أفصوم في السفر فقال ان شئت فصم وان شئت فافطر وهو في الصحيحين وقيل ان شق الصيام فالافطار أفضل لحديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا قد نزل عليه فقال ما هذا قالوا صائم فقال ليس من البر الصيام في السفر أخرجه فاما ان رغب عن

السنة ورأى أن الفطر مكره اليه فهذا عين عليه الأفطار ويحرم عليه الصيام والحالة هذه لما جاء في مسند الامام أحمد وغيره
عن ابن عمر وجابر وغيرهما من لم يقبل رخصة الله كان عليه من الاثم مثل جبال عرفة الرابعة القضاء هل يجب متابعاً ويجوز
فيه التفريق فيه قولان أحدهما أنه يجب المتابع لان القضاء يحكي الاداء والشأن لا يجب المتابع بل ان شاء فارق وان شاء تابع
وهذا قول جمهور السلف والخلف وعليه ثبت الدلائل لان المتابع انما وجب في الشهر لضرورة أدائه في الشهر فاما بعد انقضاء
رمضان فالمراد صيام أيام عدة ما أفطر ولهذا قال (٣٧٨) تعالى فعدة من أيام أخر ثم قال تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد

بكم العسر قال الامام أحمد حدثنا
أبو سلمة الخزازي حدثنا أبو هلال
عن حميد بن هلال العدوي عن
أبي قتادة عن الاعرابي الذي سمع
النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان
خير دينكم أيسره ان خير دينكم
أيسره وقال أحمد أيضاً حدثنا
يزيد بن هرون أخبرنا عاصم بن
هلال حدثنا عاصم بن عروة
القمي حدثني أبي عروة قال كنا
نتظر النبي صلى الله عليه وسلم
تخرج يقطر رأسه من وضوء أو
غسل فصلى فلما قضى الصلاة
جعل الناس يسألونه علمنا خرج
في كذا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان دين الله في يسر ثلاثاً
يقولها ورواه الامام أبو بكر بن
هر دويه في تفسير هذه الآية من
حديث مسلم بن أبي تميم عن عاصم
ابن هلال به وقال الامام أحمد
حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة
قال حدثنا أبو التياح سمعت أنس
ابن مالك يقول ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال يسروا ولا
تعسروا وسكنوا ولا تنفروا أخرجه
في الصحيحين وفي الصحيحين أيضاً

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للمعاذ وأبي موسى حين بعثهما الى اليمن بشرأوا لا تنفروا يسروا ولا تعسروا وطوعاً
ولا تخلفاً وفي السنن والمسند ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت بالحنيفية السمجة وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه
في تفسيره حدثنا عبد الله بن اسحق بن ابراهيم حدثنا يحيى بن أبي طالب حدثنا عبد الوهاب بن عطاء حدثنا أبو مسعود الحريري
عن عبد الله بن شقيق عن مجنون بن الادرع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يصلي فقرأه يصبر ساعة فقال أترأه يصلي
صادقاً قال قلت يا رسول الله هذا أكثر أهل المدينة صلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبغوه فتملكوه وقال ان الله انما أراد

خسين صلاة وأمرهم بأربع أموا لهم زكاة ومن أصاب منهم ثوبه نجاسة قطعها ومن
 أصاب ذنبا أصبح وذنبه مكتوب على يابه وذنبه هذا من الاثقال والآصار (ربنا ولا تحمِلنا
 ما لا طاقة لنا به) تكرير النداء للنعمة المذكورة قبل هذا والمعنى لا تحمِلنا من الأعمال
 ما لا نطيق وقيل هو عبارة عن ازال العقوبات كأنه قال لا تنزل علينا العقوبات بتقربنا
 في المحافظة على تلك التكاليف الشاقة التي كلفت بها من قبلنا وقيل المراد به الشاق الذي
 لا يكاد يستطاع من التكاليف والطاقة القدرة على الشيء (واعف عنا) أي عن ذنوبنا
 يقال عفو عن ذنبه إذا تركته ولم تعاقبه عليه (واغفر لنا) أي استر على ذنوبنا
 ولا تفضحنا بالمواخذة والغفر الستر (وارحنا) أي تفضل برحمة منك علينا وتعطف بنا
 (أنت سولانا) أي ولينا وناصرنا وخرج هذا مخرج التعليم كيف يدعون وقيل معنادات
 سيدنا ونحن عبيدك (فانصرنا على القوم الكافرين) فان من حق المولى ان ينصر عبيده
 والمراد عامة الكفرة وفيه اشارة الى اعلاء كلمة الله بالجهاد في سبيله وقد قدمنا في شرح
 الآية التي قبل هذا أنه ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى قال
 عقب كل دعوة من هذه الدعوات قد فعلت فكان ذلك دليلا على أنه سبحانه لم يؤاخذهم
 بشيء من الخطا والنسيان ولا جمل عليهم شيئا من الاصر الذي حمله على من قبلهم ولا جملهم
 ما لا طاقة لهم به وعفا عنهم وغفر لهم ورحمهم ونصرهم على القوم الكافرين والحمد لله
 رب العالمين وقد أخرج ابن ماجه وابن المنذر وابن حبان في صحيحه والطبراني والدارقطني
 والحاكم والبيهقي في سننه عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله
 تجاوز عن أمتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه ورؤى من طرق كثيرة وفي
 اسانيد هامقال ولكنهم يقرؤ بعضها بعضا فلا يقصر عن رتبة الحسن لغيره وقد تقدم
 حديث قد فعلت وهو يشهد لهذا الحديث وقد ورد عن جماعة من الصحابة وغيرهم ان
 جبريل لقن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاتمة البقرة آمين وقد ثبت عند الشيخين
 وأهل السنن وغيرهم عن ابي مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأ
 الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وأخرج أحمد والنسائي والطبراني والبيهقي
 في الشعب بسند صحيح عن حذيفة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول أعطيت
 هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كفر تحت العرش لم يعطها نبي قبلي وأخرج الطبراني
 بسند جيد عن شداد بن أوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله كتب
 كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بألفي عام فأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة
 لا تقرأن في دار ثلاث ليال فيقر بهن الشيطان وأخرج مسلم والنسائي واللفظ له عن ابن
 عباس قال يينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنده جبريل اذ سمع نقيضا فرجع جبريل
 بصره الى السماء فقال هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط قال فقرأ منه ملك فأتى النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم فقال ابشر بنورين قد أوتيتهم ما لم يؤت ما نبي قبلك فاتحة الكتاب
 وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ آخرهما الا أوتيته فهذه أحاديث مرفوعة الى النبي

به هذه الامه اليسر وم يرد بهم
 العسر ومعنى قوله يريد الله بكم
 اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملاوا
 العدة أي انما أرحمكم في
 الافطار للمرض والسفر ونحوهما
 من الإعذار لارادته بكم اليسر وانما
 أمركم بالقضاء لتكملاوا عدة شهركم
 وقوله ولتكبروا الله على ما هذاكم
 أي ولتذكروا الله عند انقضاء
 عبادتكم كما قال فاذا قضيت
 مناسككم فاذكروا الله كذا ذكركم
 آباءكم وأشد ذكرا وقال فاذا
 قضيت الصلاة فانتشروا في الارض
 وابتغوا من فضل الله واذكروا
 الله كثيرا لعلكم تفلحون وقال
 فسبح بحمدي ربك قبل طلوع
 الشمس وقبل الغروب ومن
 الليل فسبحه وأدبار السجود ولهذا
 جاءت السنة باستحباب التسبيح
 والحمد والتكبير بعد الصلوات
 المكتوبات وقال ابن عباس ما كنا
 نعرف انقضاء صلاة رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الا بالتكبير
 ولهذا أخذ كثير من العلماء
 مشروعية التكبير في عيد الفطر
 من هذه الآية ولتكملاوا العدة
 ولتكبروا الله على ما هذاكم حتى
 ذهب داود بن علي الاصمعياني
 الظاهري الى وجوبه في عيد الفطر
 اظاهر الامر في قوله ولتكبروا
 الله على ما هذاكم وفي مقابلته
 مذهب أبي حنيفة رحمه الله انه
 لا يشترع التكبير في عيد الفطر
 والباقون على استحبابه على
 اختلاف في تنصيل بعض الفروع

صلى الله عليه وآله وسلم في فضل هاتين الآيتين وقد
 روى في فضله ما من غير المرفوع عن عمرو على
 وابن مسعود وأبي مسعود وكعب الأحبار
 والحسن وأبي قلابة وفي قول النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم
 ما يغني عن غيره
 والله الحمد
 تم

بينهم وقوله واعلمكم تشكرون أي
 إذا قسم بكم أمركم الله من طاعته
 بأداء فرائضه وترك محارمه وحفظ
 حدوده فاعلمكم أن تكونوا من
 الشاكرين بذلك

إلى هنا انتهى الجزء الأول ويليه
 الجزء الثاني وأوله قوله تعالى وإذا
 سألك عبادي عني فاني قريب

* (تم طبع الجزء الأول ويليه الجزء الثاني وأوله سورة آل عمران) *

ولما انتهى طبع الجزء الأول من تجزئة مؤلفه حفظه الله الذي آخره آخر سورة الانعام
 قال في خاتمة طبعه الأول بالمطبعة البهوبالية الخشاب الافضل والهمام الاكمل
 الجليل السيد النقيب اللوذعي الاديب الشيخ محمد أحسن الطيب ابن الهيثم نجش
 الحاجي يوري مقرظا هذا التفسير البديع بهيج الوضع وجيل الصنيع ومؤرخ انتهاء
 طبع هذا الجزء الجليل المنبئ عن غزارة علم مؤلفه البحر الخضم الشهم النبيل مانصه

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

أجد ملفوظ به أمام كل كلام وأسعد ما يفتخر به كل مأموم وإمام حمد الله سبحانه
 وتعالى بما جده في كتابه العزيز وتنزيله الذهب الابرين من جواهر زواجر صيغة الخلافة
 باسمه اذ لا يشركه أحد في حده ولا رسمه رب السموات والارض وما بينهما ما فاعبده
 واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا وانما هي محامد لذاته الواجب الوجود الموحدة لكل
 موجود ايجادا سويا وأحسن ما تلى به حده الناهي ووصفه السامي التصلية والتسليم
 على أفضل رسله وخاتم أنبيائه المستل من سلالة عمه نان المفضل بالقرآن واللسان
 والبيان وعلى آله وأصحابه أولى الايمان والعرفان (وبعيد) فقد تم طبع هذا الجزء
 الأول من تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن المستر عن أنوار التنزيل المضي عباضوا
 التأويل الذي لم تزل نعم القلوب اليه زفافه ورياح الأمال خولة هفاهه وعيون
 الفخول اليه رواق وأفواههم بتمنيه نواطق لما أودع فيه من كنوز الرواية ورموز
 الدراية بأسلوب رائق ومسلك فائق يحرس لفصاحته سبحانه وي طرح لبلاغته قس
 في زوايا التسيان ولعمري ان اسمه طابق مسماه ورسمه وافق معناه كما يعرف ذلك
 الناقد البصير ولا ينبغي مثل خبير بدار الرياسة العلمية وبيت الطباعة البهية بلدة
 بهوبال المحمية المحلية بنسبتها للدائرة السنوية صاحبة الدولة السعيدة ذات المنكازم
 المشهورة الحميدة غرة جبهة الدهر وقرعة عين العصر حضرتنا (نواب شاهجهان بيگم)

واليمة المملكة الباهرة ومصرها القاهرة لازالت بالشيم الزاهرة الفاهرة كيف
وبمثل طبع هذا الكتاب تلبس به وبال ثوب تيهها واعجابها وتجذيل خيلها واغرابها
وكان ذلك خدمة لحماي تغورها الاسلامة وماحي بدعها السامة النامية أحمد المفاخر
محمد الماثر رب السيف والقلم ذي الرأي والراية والعلم والعلم عزيز مصر به وبال
ووحيد عصر الدولة والاقبال تاج العترة المكل وطراز المجد الرفيع الاول من شاع
فضله وذاع وتوفرت لشراء تأليفه المقدمة الاسماع بقية أهل القرآن والحديث مستمد
الفتح من حضرة الباري المغيت ذي التجدد والعلو والتفأخر نواب على الجاه أمير الملك
السيد محمد صديق حسن خان بهادر لازالت الماثرا الجميدة به محمد والمعارف الجلية
اليه تقصد الى أن قال

انه لما وصل في الحادى عشر من شهر ربيع الاول سنة احدى وتسعين ومائتين وألف
هجرية بعد الحج والزيارة النبوية الى بيت المقدس بجزء من هذا التفسير ووقف من
هناك من أهل العلم عايمه أنشوا عليه ثناء بالغاً ومدحوه مدحاً سائغاً وكتب عليه مقرظاً
كريم المحدث ذوالفضل الممتد يوسف بن أسعد المفتى بالقدس سلمهما الله الصمد
ماصورته هكذا

الحمد لله الذى نصب للعلماء العاملين أعلاماً ورفع قدرهم فهم أعز الخلق مقاماً جعلهم
حفظه شرعه القويم وهذا عصر اطمه المستقيم أحلهم منزلة أنبياء بنى اسرائيل
وأبدى بهم الحق فبأقوالهم زهقت الاباطيل وأنزل على رسوله الذى هو أكرم من الحق وسبق
اقراراً باسم ربك الذى خلق وشرف قدره بشهادة قرآن غير ذى عوج وأزال عن أمته
المرحومة غمت الاصر والحرج فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما تلا نال القرآن
ورتل وغرف من بحور معانيه مفسراً قول (وبعد) فان أعظم العلوم عند الله قدراً
وأعزها منزلة وأوفاهما أجراً علم التفسير لكتاب الله القدير اذ به مناط عبادة المكلفين
وصحة أصولهم وفروعهم عند المحققين ومن أعظم ما صنف فيه وتنافس به هذا الزمان
كتاب التفسير المسمى بفتح البيان فى مقاصد القرآن لو حيد هذا الدهر وفريد هذا
الأوان فبالله من كتاب تصاغر عنده فصاحة سحبان وتغور من غيرياه حكمة لقمان
تصدر من بحر معناه ونهر مبناه جهابذة النقد ويعجز عن الاتيان بمثل أهل الحل والعقد
الفاظه مهذبة ومعانيه مستعذبة فبالله من مؤلف جامع وما أجده من سفر مانع
فأكرم به من كرم مانع تقتطف منه المعاني الدقيقة وتقتنص منه المبانى الرقيقة كف
لا هو تأليف ذى الامارة العلي في العلم والعمل وقطب دائرة السادة الاول مجيد القول
فى التفسير ومجكم الصياغة الآخذ بجامع الفصاحة والبلاغة سلاله سيد المرسلين
وتاج هامة كافة المفسرين ولسان رجال الرواية والمحدثين وميزان اعتدال الافاضل
والمحققين ومحط رجال أولى الفضل واليقين من ذات له الرتبة العالية ليرقاها واقفرت
به الامارة الغالبة لما علاها

آته الخلافة منقادة * اليه تجرأ ذابها

فلم تك تصلح الاله * ولم يك يصلح الاله

وتفاخرت به هويا على غيرهما من الاقاليم الدانية والقاصية فلا زالت بتأهولة معمورة
 عالية المخاطب بنواب عالي الجاه أمير الملك سيد محمد صديق حسن خان بهادر
 آدام الله عليه حلل السعادة والسيادة والتناصر وأعز الله به العلم وأيده
 وأعلى كلمته وقوى شوكة وأيده بحرمة سيد المرسلين وآخر
 دعوانا أن الحمد لله رب العالمين * الداعي علي الزوام يوسف
 ابن أسعد الملقب بالامام بالمسجد الاقصى
 والمدرس به انتهى كلامه سلمه
 الله تعالى والحمد لله
 أولا وآخرا
 آمين